هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات، ولم تُراجع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ
وليد صالح البري
المحاضرة الأولى

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

نبدأ برنامجنا بدراسة قواعد في التوحيد أو في العقيدة تتعرض لأقسام العقيدة الرئيسية هذه القواعد مفيدة في:

أنها تضبط لطالب العلم "كما سنبين" عقيدة أهل السنة والجماعة في أبواب شتى من أبواب العقيدة كالأسماء والصفات ,

توحيد العبادة , باب الإيمان , القضاء والقدر إلى غير ذلك من الأبواب والمسائل الرئيسية في دراسة العقيدة.

علم التوحيد أو علم العقيدة أو علم السنة "كل هذه معاني وأسماء أطلقها علماؤنا على علم العقيدة كما سنبين" من أعظم العلوم التي تدرس

بل هو أصل العلوم وإن شرف العلم من شرف المعلوم ولا أحد أشرف من الله عز وجل.

وعلم التوحيد أو علم العقيدة أو علم السنة كلها تختص بالله عز وجل بتوحيده في:

الأسماء والصفات بتوحيده في العبودية "الألوهية" بتوحيده في الربوبية كيفية الإيمان بالقضاء والقدر معنى الإيمان

وكل هذا يرجع إلى معنى الإيمان بالله سبحانه وتعالى

لذلك كان هذا العلم أشرف العلوم على الإطلاق.

- كما يقول دائما علماؤنا : " لا يمكن للمرء أن يدرك الإتقان في علوم الشريعة الأخرى حتى يكون متقنا في علم العقيدة" .

من أراد الإتقان في الفقه أو في الحديث أو في الأصول أو في أي شيء من العلوم لن يستطيع أن يصل إلى هذا الإتقان

إلا إذا كان صاحب عقيدة صافية نقية ويعلم عقيدة أهل السنة والجماعة وأصولها ويقف على أرض صلبة.

وإلا من عنده خلل في علم العقيدة أو نقص أو عدم كمال لا بد سيتأثر به في باقي العلوم.

وهذا واقع مشاهد فعلماؤنا علماء أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين تجد الذي حاز الإتقان والجمع في العلوم

لو نظرت إلى عقيدته تجدها صافية كاملة كعقيدة أهل السنة والجماعة.

وأما من عنده بعض الدخن ستجد عنده أيضاً بعض النقص فيما عنده من العلوم الأخرى.

لذلك علم العقيدة من أهم العلوم التي لا بد للمرء أن يسير في دراستها ويتدرج فيها ويتقنها ويهتم بها

خاصة في زمننا الذي أصبح الآن السيطرة على عقول الناس والشباب وغيرهم تكون بالسيطرة على العقيدة التي عندهم

من أراد أن يتحكم أو يضرب في أخلاقهم وأعرافهم لا بد أن يضرب عقيدتهم أولاً

لما يصيب العقيدة دخن أو ينحرف في عقيدته يسهل بعد ذلك تنقله في أي شيء يريده منه من أراد أن يمكر بالإسلام والمسلمين

لذلك الهجمات شرسة جداً في مسألة إفساد عقيدة المسلمين

تارة بالتسوية بين الأديان ويوهمون الناس أن الأديان السماوية واحدة ولا فرق

وتارة بأن يخرج الناس أصلاً من الإسلام ويريد أن يجعلها كالإلحاد وغيره

وأنه لا يوجد إله إلى غير ذلك من الأفكار ليتحرر الناس لمن أراد أن يتحرر

وهذه كلها ضرب في أصول العقيدة وإخراج الناس من الإسلام إلى الكفر

لذلك لا بد أن يوجد في كل زمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم طائفة تذب عن الدين عن عقيدة أهل السنة والجماعة

سواء كانوا من الذين يريدون إخراج الناس من الإسلام والردة أو حتى من تخريب عقيدة أهل السنة والجماعة

من نشر طوائف المبتدعة وأفكارهم في مخالفة أهل السنة والجماعة سواء كان في الإيمان أو في الأسماء والصفات

أو في التوحيد "توحيد العبادة"

كل هذه الطوائف مبتدعة ولهم ناس يروجون لهذه الأفكار

كل هذا موجود في هذا الزمان وسيظل موجود في كل زمان لأن الصراع بين أهل الإسلام وغيرهم إلى قيام الساعة

الصراع بين الخير والشر إلى قيام الساعة الصراع مع إبليس إلى قيام الساعة

لذلك حرياً بنا في هذا الزمان أن نشتد على أنفسنا في دراسة العقيدة والعلم كله في هذا في كتب المتقدمين

الذين سطروا لنا كتباً فيها عقيدة أهل السنة والجماعة صافية نقية خالصة

تعتمد "كما سنبين" على الأصول المعتمد عليها عند العلماء وهم:

الكتاب والسنة وأقوال الصحابة

لذلك من أراد الإتقان عليه بكتب السلف كتب المتقدمين في هذا العلم.

ملحوظة:

لماذا نطلب العلم؟

نطلب العلم رضا لله عز وجل فطلب العلم عبادة من أجلِّ العبادات

أشرف العلوم علم العقيدة فلا بد للمرء أن يستحضر هذه النية في الدراسة هو يريد بهذه الدراسة رضا الله العلو عند الله عز وجل

كلما ازداد المرء إيماناً ومعرفةً بربه وإتقاناً لهذا العلم كلما اقترب من الله عز وجل ورضي الله عنه

وهذه هي الأصل في هذا الأمر وفي كل عبادة يفعلها المرء يريد منها رضا الله عز وجل عنه

ولا شك أنه يريد الأجر والثواب في الدنيا والآخرة ولكنه المبتغى من ذلك كله هو أن ينال رضا الله عز وجل

لذلك علينا أن نراجع النوايا دائماً نستحضرها لأن المرء يفتح له بالنية يفتح له في الفهم والحفظ والإتقان بنيته في هذا العلم.

مقدمة:

معنى العقيدة لغةً:

مأخوذة من العقد وهو الربط والشد بقوة ومنه أيضاً الإحكام والتماسك والإثبات.

ويطلق على العهد وتأكيد اليمين.

وأيضاً كل ما عقد عليه الإنسان فيه قلباً جازماً فهو يعتبر عقيدة أو يعد عقيدة

أما في الاصطلاح عند أهل العلم فهي:

تطلق على أمرين عام وخاص

في الاصطلاح العام العقيدة هي:

الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد "بصرف النظر عن نوع الاعتقاد هو حق أم باطل"

أما في الاصطلاح الخاص كلمة عقيدة في كلام العلماء هي:

الإيمان الجازم بالله وبما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسماءه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

"كما جاء في الحديث الصحيح"

وأيضاً يدخل فيه كل ما جاء في النصوص الصحيحة من أصول الدين أو أمور الغيب أو الأخبار أو ما أجمع عليه السلف.

لذلك كل أمر كان عقدي أو عملياً يعتريه الشك أو الاضطراب لا يسمى عقيدة.

فالعقيدة لا بد أن يكون مجزوماً بها "لذا قالوا هي الإيمان الجازم" مقطوعاً بها القلب معقود عليها

لذلك العقيدة غالبا تخص الأعمال القلبية:

الإيمان التصديق الخوف الرجاء.

لا ترتبط بالأعمال الظاهرة إلا لو قلت من جهة خاصة اعتقادي أي التصديق بالنصوص التي جاءت بتحريم الربا مثلاً .

والتصديق بما جاء به الرسل وبما جاء في الكتاب بتحريم الربا فهي تندرج تحتها ولكن الأصل أن العقيدة تختص بالأعمال القلبية.

هل ورد في الكتاب أو السنة اسم العقيدة؟

نقول ربما لا تجدها في الكتاب أو السنة منصوصاً عليها عقيدة هكذا

لكن المعنى حق مادة عقد في اللغة موجودة وتدور حول توثيق الشيء وتوكيد الشيء

وقال تعالى في الكتاب:

(لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ)

وهذا المعنى الذي موجود في اللغة أيضاً عقدتم أكدتم وثقتم جزمتم

ومع ذلك تجد مؤلفات كثيرة أو عدة من السلف يذكرون في كتبهم في أسماء الكتاب نفسه كلمة عقيدة

ومن هذه الكتب التي تحمل اسم العقيدة

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله اللكائي المتوفى عام 418 للهجرة.

وهو من أعظم الكتب في العقيدة هو سماه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل الصابوني المتوفى 449 للهجرة.

الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة لأبي بكر البيهقي

ثم بعد ذلك بسنوات الدرر المضية في عقيدة الفرق المرضية للعلامة السفاري

ستجد إذا الكلمة موجودة في كتب المتقدمين والمتأخرين

ومن أسماء العقيدة:

العقيدة.

السنة:

تطلق العقيدة أحياناً على السنة ويقصد بها العقيدة الصحيحة

فالسنة في اللغة هي الطريقة أو السير أو المسير

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم).

أي طريقتهم في الدين

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سن سنة حسنة).

- والسنة لها تعريف عند علماء الحديث وعند علماء الفقه وعند الأصوليين وعند علماء العقيدة:

السنة عند علماء الحديث هي:

ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلقي أو خُلقي.

السنة عند علماء الفقه هي:

ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

عند الأصوليين:

ما أمر به الشارع لا على سبيل الإلزام والحتم.

السنة عند علماء العقيدة هي:

طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات في الاعتقادات في مسائل:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

لماذا أطلقوا اسم السنة على العقيدة أيضاً؟

ليميزوا أهل السنة أهل هذه العقيدة عن الناس الذين تفرقوا عن السنة في العقيدة وهم المبتدعة.

لذلك ظهر اصطلاح السنة بمعنى العقيدة في القرن الثالث الهجري في عصر الإمام أحمد وما بعده لما ظهرت الفرق

وحدث رواج في عقائدهم كالمعتزلة "والمعتزلة في فتنة خلق القرآن زمن الإمام أحمد" والروافض والصوفية وأهل الكلام

أصبح هناك فِرق مبتدعة في هذه المسائل التي هي أمور العقيدة لم تكن موجودة من قبل المئة الثالثة "أواخر القرن الثالث"

فأصبح علماء الإسلام يطلقون على العقيدة كلمة السنة لماذا؟

ليميزوا أصحاب هذه العقيدة الصافية النقية عن المبتدعة

لأن خلاف السنة هي البدعة

لذلك يذكر أن عمر قال : من ترك السنة كفر

وكأن مقصده من ترك الاعتقاد الصحيح وانتقل إلى الاعتقاد الباطل يقع في الكفر

أي من ترك ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد الصحابة فقد وقع في الكفر

"والمسألة عامة تحتاج إلى تمحيص وتعيين"

وهناك بعض العلماء ألفوا كتباً في العقيدة أسموها السنة منها:

كتاب الإمام ابن أبي شيبة وكتاب الإمام أحمد والإمام ابن أبي عاصم

وهذه كتب في العقيدة ولكن أسموها السنة ليبينوا أن هذه هي السنة التي لا بد أن نتبعها الطريق هي منهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في الاعتقاد

وعبد الله ابن الإمام أحمد ألف كتاباً أيضاً سماه السنة وكذلك المروزي والخلل وابن مندى والهروي

كل هؤلاء ألفوا كتباً في العقيدة أسموها السنة وهي كتب هامة جداً تبين عقيدة أهل السنة والجماعة.

التوحيد:

كذلك تجد عندما نتكلم في هذا الباب نذكر كلمة التوحيد وهذه كلمة ثالثة أطلقت على العقيدة

والتوحيد هو في اللغة الإفراد

حتى تفرد شيء لا بد من أمرين نفي وإثبات

إذا أردت أن تفرد شيء لا بد أن تثبت شيء وتنفي شيء

لو قلت زيد قائم

هل أنت أفردته بالقيام

لا لم تفرده بالقيام هذه العبارة لا تفرد أن زيد هو الوحيد القائم

يمكن أن يكون هناك مجموعة وقلت زيد قائم هذا لا يمنع أن يكون عمرو قائم ومحمد قائم وغيرهما

لكن لو قلنا ما قام إلا زيد

نفينا القيام عن غير زيد وأثبتنا القيام لزيد

فالتوحيد هو إثبات وحدانية الله في الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات ونفي ذلك عن غيره.

أركان لا إله إلا الله:

نفي وإثبات

كفر وإيمان

ولاء وبراء

فالتوحيد لا بد فيه من إثبات الوحدانية لله في أسمائه في صفاته في ربوبيته في ألوهيته ونفيها عن غيره

لذلك نقول معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله.

لو قلت الواحد هو الله هذا ليس بتوحيد

لا إله إلا الله هي التوحيد

التوحيد هو الله فهناك آلهة أخرى غير الله

التوحيد هو المعبود فهناك معبودات أخرى غير الله

لا بد أن تقول لا معبود بحق إلا الله

هذه تفسير لا إله إلا الله

وأحياناً يطلق التوحيد على باب من أبواب العقيدة وليست كل العقيدة

يمكن أن أقول الاعتقاد الصحيح في الصحابة داخل تحت اعتقاد أهل السنة والجماعة.

لكن هل التوحيد داخل فيه الاعتقاد الصحيح في الصحابة؟

نقول التوحيد هو إفراد الله بالحقوق

إذاً التوحيد قد يكون له معنى خاص هو إفراد الله بالحقوق الملك وهذه ربوبية حقوق العبادة وحقوق الأسماء والصفات

التوحيد جزء من العقيدة الذي هو توحيد الله

لكن أحياناً العلماء يقولون التوحيد ويريدون به العقيدة ككل

التوحيد جزء لأنه لابُد من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر والقدر .

لماذا أطلق العلماء التوحيد على العقيدة؟

يقال هذا من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه وأشرف أصوله

أشرف شيء هو توحيد الله عز وجل وإن كان هناك الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر والقدر

وهنا قالوا إطلاق التوحيد على العقيدة من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه وأشرف أصوله

لأن التوحيد هو أهم مباحث العقيدة

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(الحج عرفة).

لأن عرفة أعظم أركان الحج وأشرفها

لأن الله عز وجل يتجلى في هذا اليوم سبحانه وتعالى بما يليق به ويباهي الملائكة بمن جاءه في عرفة فهو يوم عظيم.

وكما قال صلى الله عليه وسلم:

(الدين النصيحة)

وغير ذلك من إطلاق الشيء على أشرف أجزائه

لذلك تجد كتب تتكلم عن العقيدة وهي تسمى التوحيد ككتاب التوحيد لابن خزيمة

كتاب التوحيد لأبي العباس بن سريج البغدادي كتاب التوحيد لابن مندى وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب

هل ورد في الكتاب أو السنة لفظ التوحيد؟

جاء من قوله تعالى في سورة الإخلاص **(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)** .

بل جاء من حديث معاذ لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن :

قال له: (لعلك لا تلقاني بعد الآن فإنك تأت قوم أهل كتاب قال فأول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله).

كانوا نصارى "نصارى اليمن"

إذاً جاءت كلمة التوحيد في السنة وجاءت في الكتاب قبلها وجاءت أيضاً في مؤلفات بعض العلماء.

أصول الدين:

من أسمائه أيضاً أصول الدين وهي مركبة من أصول والدين مضاف ومضاف إليه

الأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره فهو القاعدة أو الدليل

نقول وأعظم دليل على توحيد الأسماء والصفات سورة الإخلاص

أعظم دليل على النية قوله تعالى:

(وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) .

وهكذا يطلق الأصل على الأدلة سواء من الكتاب أو من السنة

إذاً الأصل يطلق على: الدليل , القاعدة المستقرة , أصل الشيء , الأساس.

هذا معنى أصول والدين هو في اللغة:

الذل والخضوع وامتثال المأمور واجتناب المحذور.

إذاً أصول الدين هو القواعد الكلية الكبرى

وأيضاً ألفت مؤلفات في العقيدة سميت أصول الدين منها:

كتاب أبو الحسن الأشعري الإبانة عن أصول الديانة

وكتاب الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة لابن بطة المتوفى 387 وهذا كتاب مهم جداً كله أدلة من الكتاب والسنة.

الفقه الأكبر :

وأيضاً تسمى بالفقه الأكبر وهذا الذي سماه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ألف كتاباً أسماه الفقه الأكبر وينسب كتاب للشافعي اسمه الفقه الأكبر

لماذا سمي بالفقه الأكبر؟

قالوا ليميز عن الفقه الأصغر فقه الفروع الطهارة والعبادات الصلاة والزكاة والحج والصوم والنكاح والطلاق وغير ذلك .

الإيمان :

وأيضا قد يسمون الاعتقاد بكلمة الإيمان

لأن الإيمان تصديق والتصديق لابد أن يكون فيه جزم وقلنا أن العقيدة لابد أن يكون فيها اعتقاد جازم.

والإيمان لغة بمعنى التصديق "على الخلاف"

والإيمان اصطلاحاً قولاً باللسان وتصديق بالجنان وعملاً بالأركان

ومن الكتب الهامة التي تتكلم عن العقيدة وتسمى الإيمان:

كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى 224 للهجرة

كتاب الإيمان لابن مندى كتاب الإيمان لأبي بكر بن شيبة المتوفى 235 للهجرة

كتاب الإيمان لابن أبي يعلى وكتاب الإيمان لابن تيمية وهذا من أعظم الكتب لا بد لطالب العلم أن أن يتعرض له ويقرأه

عنده كتاب الإيمان الأوسط والإيمان الكبير.

الشريعة :

كذلك أطلق على العقيدة اسم الشريعة والشريعة من الشرع ومنها السنن والبيان ومنها المورد

يقولون شريعة من الماء أي مورد من الماء طريقة.

الشريعة في الاصطلاح تطلق على أمرين:

أمر عام ويشمل كل ما شرعه الله من الدين عقيدة وأحكام وغير ذلك وقال الله تعالى:

(شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ).

وورد هنا شرع في العقيدة والأحكام وكل ما كان من التوحيد من الأحكام من العقيدة يطلق عليه الشريعة.

وقد تطلق الشريعة بتعريف خاص وهو الأوامر والنواهي في الأحكام الحلال والحرام

لذلك يقال شرائع الأنبياء تختلف,

لا تختلف في الأصل تختلف في الأحكام الفقهية لذلك قال تعالى:

(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

هل هناك مؤلفات في العقيدة تسمى الشريعة؟

نعم ومن أهمها كتاب الشريعة لأبي بكر الآجوري المتوفى 360 للهجرة

"هذا الكتاب أفضل الكتب على الإطلاق التي ينتفع بها طالب العلم في زمننا هذا الكتاب لا يمكن أن يترك بدون قراءة ومدارسة

لأن مميزاته أنه من كتب المتقدمين وأنه كله مبني على ذكره للآثار من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وهو لا يتكلم إلا قليل

وتعرض لكل أبواب الشرع أبواب الدين والعقيدة وتعرض أيضاً للمبتدعة تعرض لكل الطوائف

الخوارج والمعتزلة والمعطلة والجهمية وتعرض لأبواب الأمر والنهي والولاية وتعرض للإيمان

وتعرض للقدر وتعرض للأسماء والصفات وتعرض للشرك في العبادة إلى غير ذلك"

وكتاب الإبانة عن طريقة الفرقة الناجية لابن بطة.

أي اسم من هذه الأسماء يطلق على العقيدة فهو مقبول عند أهل السنة والجماعة.

هذه تسمية أهل السنة والجماعة للعقيدة.

كيف سمى المبتدعة العقيدة؟ ماذا كان يطلق ؟

تجد المبتدعة يطلقون على العقيدة أسماء أخرى منها:

علم الكلام وهذا سائد عند المعتزلة والأشاعرة

وهذا باطل لا يقبل أصلاً علم الكلام مصدره فلاسفة الهند واليونان ومصدره البصر والرأي

وأنت تتكلم عن أمور غيبية العقيدة قضايا غيبية كيف تدخل الرأي فيها!

ولما دخل الرأي فيها أفسدها

ولو رجعت لعلماء السلف تجد لهم كلاماً في ذم علم الكلام وأهل الكلام من أول الإمام مالك إلى ما بعد ذلك

وما كانوا يقبلونه وكانوا يمنعون الناس من القراءة فيه

علم الكلام في شك وفيه حيرة وفيه نظريات تهدم كل فترة وفيه اضطراب واختلاف

أصلاً علماء الكلام يختلفون ويضطربون فكيف تسمي علم الكلام بالعقيدة؟!

الفلسفة :

وأيضاً هذه تسمية باطلة لأن معروف الفلسفة من أين أتت أصولها

من اليونان وغيرهم كلها تخيلات وتصورات خرافية وأوهام .

التصوف :

وهذه بدعة أيضاً

فيا ليته تكلم بالتصوف الذي كان عند المتقدمين الذي كان فيه الزهد والورع ويسير بالكتاب والسنة بل أدخلوا فيه شطحات المتصوفة الذين خالفوا فيها أهل السنة والجماعة.

الإلهيات أو علوم العقيدة والإلهيات:

ويدخلون علم الكلام والفلسفة وكلام المستشرقين ويعلمونها للناس وللطلاب على أنها عقيدة.

كل هذه مسميات المسمى ليس توقيفي بعض هذه المسميات ليست منصوص عليها في الكتاب والسنة

لها أصل في المعنى وعلماء السلف قرروها وألفوا بها كتب وهي مستوحاة كلها من الكتاب والسنة سواء معنى أو لفظاً أحياناً.

لكن هذه كلها التي استحدثت عند المبتدعة لا معنى لها في العقيدة ولا أصل لها لفظاً .

وبعض من دخلوا في الإلحاد يسمونه علم ما وراء الطبيعة

وهذه كلها مسميات لا بد أن يحذر منها

أشرف العلوم منزلة علم العقيدة وأعلاها مكانة وأوجبها مطلباً حتى ولو بدرجات من العامي إلى العالم

كل واحد لا بد له من نيل قسط من العقيدة سواء المعلوم من الدين بالضرورة أو ما يزيد على ذلك

فهي أرفع العلوم قدر فشرف العلم من شرف الموضوع وموضوع علم العقيدة هو معرفة الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته

لذلك هو أشرف العلوم على الإطلاق فشرف العلم من شرف الموضوع وليس أحد أشرف من الله عز وجل

ثمار العقيدة السليمة:

1. السعادة في الدنيا والآخرة متوقفة على العلم بالله

وحاجة الناس إلى العلم بالله فوق كل حاجة

لا راحة ولا طمأنينة للعبد إلا بمعرفة العبد من هو سيده وخالقه ورازقه وموجده ومتوفيه ومعطيه ومانعه كل هذه

ابن تيمية رحمة الله عليه له كلام بديع في هذه المسألة يقول:

حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب

فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان

وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً وشقى شقاوة لا سعادة معها أبداً.

فعلم العقيدة يتعلق بحياة القلوب والقلب المحرك لكل شيء

لذلك الأصل هو معالجة القلوب الحياة هي حياة القلوب

إن كنت سليم الاعتقاد فأنت تحيا حياة عظيمة في الدنيا والآخرة مطمئن وفي راحة لأنك تعتقد اعتقاداً صحيحاً في ربك

وأما إن كان اعتقادك سيئ أو رديء أو مخالف ولو كانت معك الصحة الكاملة فأنت في شقاوة

ولو كنت مريضاً ووجدت طبيباً ينعشك لكن قلبك على عيب ودخن فأنت لست في حياة أصالة قال تعالى:

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) .

(وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) .

قال ابن تيمية:

إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة

قال وهي جنة الإيمان ولذة الصلة بالرحمن.

فالإنسان لا يحيا بدون قلب سليم في العقيدة

2. قبول الأعمال متوقف على صحة العقيدة

العقيدة هي الأساس فإذا كان الأساس فاسداً فكيف ما يبنى على هذا الأساس كيف سيكون؟

لا بد سيكون فاسداً كما قال تعالى:

(وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) .

وتكلم الله عز وجل عن الكافرين لأن الأصل هم كانوا على الكفر فكل ما عملوا من أعمال أو فعلوا من أشياء

حتى لو كان ظاهرها الخير والصلاح يجازون عنها في الدنيا إن أراد الله عز وجل ذلك وأما في الآخرة

فكل هذه الأعمال التي فعلوها يجعلها الله عز وجل هباءاً منثوراً لفساد الاعتقاد الذي عندهم وما كان دون ذلك فهو مردوداً عليهم.

وكذلك من المسلمين من يتقن علم النحو أو أصول الفقه أو كذا وكذا وتجده عابد يحج ويعتمر كل عام ويحفظ القرآن

وتجده عنده العقيدة منحرفة

لذلك من الأهمية بمكان للمرء أن يتعهد اعتقاده وأن يراجع ويصحح ما فيه من دخن كان موجوداً

3. النجاة في الآخرة تتوقف على العقيدة إما خلود في الجنة "نسأل الله لنا جميعاً ذلك" وإما "عياذ بالله" خلود في النار

فالتوحيد هو الذي يمنع الخلود في النار لا يمكن أن نجد في النار يخلد موحداً أبداً إن دخلها لكنه سيخرج منها ويكون مآله إلى الجنة

وقد يكون التوحيد يدخله الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب

"ولا شك الكل يعلم حديث صاحب البطاقة"

السجلات كلها في الكفة اليسرى ثم قيل له تبقى لك بطاقة

قال ماذا يفعل ما تبقى مع كل هذه السجلات!

وضعت لا إله إلا الله فطاشت السجلات

فاهتمام المرء مهم جداً بتنقية وتصحيح العقيدة على الدوام

بل كل ما كان المرء في عقيدة صافية نقية مع ربه تجده في حال آخر مع الله ما يهمه ما يحدث في الدنيا ومع أهل الدنيا

ولو جاءت المصائب ولو جاءت المنغصات تجده هو في حال آخر لا يخاف من الناس لا يخاف من ضيق رزقه من ظلم متسلط أو ظالم

قال تعالى:

(وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) .

المرء علوه بقلبه باعتقاده والأيام دول

(وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ) .

يعلو أهل الكفر على أهل الإسلام ويعلو أهل الإسلام على أهل الكفر

ولو ترك أهل الإسلام شرع الله عز وجل ولم يوحدوا الله حق التوحيد

والعجب أن الناس ينظرون إلى أمور الدنيا وتستعجب من ضيق الرزق ومما يحدث من مصائب

ولا ينظرون إلى الشرك وإلى البدع التي تحيط بالأمة وفي بلادنا وبلاد غيرنا ويغفلون عن هذا السبب

بل كثير مما ينتسبون إلى العلم والدعوة يتكلمون ليل نهار عن أخلاقيات وأدبيات.

ولكن كم منهم يتكلمون عن التوحيد والشرك الذي يدب في الأمة سواء شرك ظاهر أو شرك خفي

كيفية تنقية الأمة من الشرك وعباد القبور والسؤال عند القبور وسؤال الأموات والسؤال لغير الله وغير ذلك من الأمور الموجودة

ولا بد أن هذا الشرك لا يرضاه الله عز وجل فكيف يكون النصر والتمكين والسعة في الرزق والسعادة في الدنيا

والشرك في بلادنا وفي بلاد غيرنا!

فدعوة التوحيد هي دعوة الرسل

(وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) .

كل رسول كان يأتي يقول:

(ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله).

مقاتلة لماذا؟

للأرض للكنوز للأموال ولا للحدود ولا لحقي وبيتي

لا القتال للا إله إلا الله لإدخال الناس في الإسلام توحيد الله عز وجل.

لذلك كان آخر واجب على المرء في حياته أن يقول لا إله إلا الله

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة).

(لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)

الحديث عند مسلم

والقرآن كله نزل بالتوحيد

قال ابن القيم:

غالب سور القرآن متضمنة لأنواع التوحيد

بل كل سور القرآن كذلك

يقال إن القرآن إما إخبار عن الله وأسمائه وصفاته وهذا التوحيد العلمي الخبري مثل قوله تعالى: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) .

وسورة الأنعام وما فيها من توحيد الله عز وجل

أو يكون القرآن دعوة لعبادة الله وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دون الله من الطواغيت والأنداد

وهذا من التوحيد بل هو توحيد العبادة

أو يكون في القرآن ما فيه من أمر ونهي وهذه تسمى حقوق التوحيد مكملات التوحيد

لذلك لو نظرنا نظرة شاملة العاصي لا يعتبر وحد الله توحيد شاملاً

لأنه عنده ذنوب ومعاصي "حتى في الفرعيات" نعم

لأن القرآن كله إما يخبر عن الله فلا بد من توحيد الله في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته

وإما أمر ونهي وهذا جزء من طاعة الله عز وجل وتوحيده

فمن فرط في الأوامر والنواهي لم يحقق التوحيد الكامل "وإن كان عنده المجزأي الذي ينجيه من النار"

ولكنه لم يصل إلى التوحيد الكامل ولا تكون عقيدته كاملة ولا تامة ولا يكون إيمانه كامل

لأن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي

وإما يكون في القرآن خبر عن إكرام الله عز وجل لأهل توحيده في الدنيا وفي الآخرة وهذا جزاء الموحدين.

وإما يكون الذكر في القرآن عقوبة أهل الشرك المضادة للتوحيد وهذا جزاء من خرج عن التوحيد

إذاً كل شيء في القرآن تجده يدور حول التوحيد

وأيضاً العقيدة الصحيحة تعصم مال ودم المرء:

لا يعصم دم الناس وأموالهم إلا بالعقيدة الصحيحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

لذلك من يخرج على الإسلام يستباح دمه وماله فقد ارتد "والعياذ بالله"

ومن دعي إلى الإسلام فرفض "كما جاء في الشرع"

إن كان من أهل الكتاب فله الجزية وإن لم يكن من أهل الكتاب فعليه القتل "وهذا جهاد وإن كان بالضوابط التي قررها العلماء"

كذلك العقيدة الصحيحة هي أساس بناء المجتمع:

إذا كانت العقيدة خالية من الشوائب تأسس المجتمع بأفراده على عقيدة صحيحة نقية ارتفع شأن هذا المجتمع

وإما إذا كانت العقيدة مخلخلة فاسدة فيها دخن فلا بد أن ينحدر هذا المجتمع إلى الحضيض وإلى أسفل السافلين

والعقيدة الصحيحة ترد على كل الوساوس التي عند الناس سواء أهل الإلحاد منهم المفكر والشاعر الذين يقولون من أين جئنا وإلى أين سنذهب والكون كيف وكل هذه الأسئلة التي يروجونها كل هذا ترد عليه العقيدة الصحيحة بالكلية

حتى ما يقال عن العوالم الأخرى عوالم الجن وغير ذلك وما يقوله في الجنة والغيبيات كل هذا ستجده في العقيدة

وأعظم شيء فيها أن العقيدة الصحيحة سلوان لمن آمن بالقضاء والقدر

فتكون تخفيفاً له على ما يصيبه من مكاره ومصائب وابتلاءات ما لا يزيله إلا العقيدة الصحيحة وأن يحسن الاعتقاد في القضاء والقدر

وكم من أناس وقعوا فيما وقعوا فيه من منكرات بسبب عدم إيمانهم بالقضاء والقدر إيماناً صحيحاً وطوائف ضلت في هذا الباب

القضاء والقدر أصل الأصول في باب العقيدة أيضاً بمعنى أنه من أهم الأبواب وأخطرها التي لا بد أن يتقنها طالب العلم ويضبطها

وهو راحة القلب كلها والطمأنينة كلها في هذا الباب.

مميزات العقيدة الصحيحة:

أولا: العقيدة الصحيحة قد كفلها الله لنا وحفظها:

والحمد لله أن العقيدة الصحيحة قد كفلها الله عز وجل وحفظها من أن يدخل عليها شيء أو تفسد

هذه من حفظ الله عز وجل كما هو أنزل الذكر وحفظه

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

كذلك حفظ الله دينه الذي أنزله حفظه كله أصوله وفروعه

وإن كانت الفروع قد حفظها الله عز وجل بنقل السنة والأحاديث من الصحابة إلى التابعين إلى زمننا

والله عز وجل جعل منقبة لهذه الأمة وجود دواوين السنة التي حفظت لنا الفروع فما بالكم بالأصول؟

أصول الاعتقاد الله أنزلها وحفظها إلى قيام الساعة.

فالعقيدة الصحيحة من غير تبديل ولا تغيير ولا زيادة أو نقصان محفوظة ولله الحمد والمنة وقد قيض الله علماء

ليسطروا لنا كتباً تبين لنا عقيدة أهل السنة والجماعة مما جاء في الكتاب والسنة؟

ثانيا: سهل ميسرة ليس فيها تعقيدات:

انظر إلى كتب العقيدة عند أهل السلف وانظر إلى كتب العقائد عند أهل الكلام وغيرهم من المبتدعة تجد طلاسم وعقد

بل انظر إلى الكتاب **(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ)**.

ثلاث كلمات تلخص لك ربوبية الله وأسمائه وصفاته

(واعبدوا الله). انتهت لا تعبدوا غيره

كلمات توجز لك العقيدة السهلة الصحيحة لا تحتاج لكلام البشر والفلاسفة والمناطقة وعلم الكلام لتبين للناس العقيدة

آيات الصفات التي يأولها أهل الكلام قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة وفهمها الصحابة وما قالوا هذا الكلام

وجاء من بعدهم من التابعين وتابعي التابعين "القرون الخيرية" ما أحد تكلم في هذا الكلام الذي تكلم فيه المبتدعة لماذا؟

لأن العقيدة سهلة واضحة يفهمها أي أحد العامي وغير العامي

لذلك أهل السنة يقولون أنت لست مطالب بأن تأتي بأحد وتقول له أين الله؟ لتختبره هذا ليس عندنا

النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بالجارية وسألها أين الله؟ ليتأكد أنها مؤمنة فيعتقها ولأن الفطرة تقول أن الناس يعلمون

أن الله مستوي على عرشه أو أن الله في السماء

كما قال الرجل الهمداني للجويني أو أبي المعالي ماذا أفعل عندما أريد أن أدعو الله؟

قال أرفع يدي وانظر إلى السماء

ضرب على رأسه وقال حيرني الهمداني لأن فطرة الناس على ذلك

فالعقيدة الصحيحة الله فطر الناس عليها فصارت سهلة ميسرة.

ثالثا: هذه العقيدة التي حفظها الله سالمة من كل نقص:

أنت يجب عليك ألا تخجل مما أنت عليه من اعتقاد بل هم الذين يخجلون أصحاب العقائد الباطلة المأولون والمعطلون والجبرية

هم الذين يخجلون لما عليه من باطل

أما أنت صاحب العقيدة الصحيحة فأنت على عقيدة سالمة من كل عيب أو نقص لأنها هي التي أنزلها الله عز وجل

ما دخل فيها أحد من البشر.

لما دخل البشر في هذا الأمر وتكلموا أفسدوا

لذلك نقول العقيدة الصحيحة موافقة لفطرة الإنسان

رابعا: عقيدة أهل السنة والجماعة "ولله الحمد" محاطة كلها بالبراهين من الكتاب والسنة:

قال تعالى:

(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) .

تجدهم يدورون بكلام ليس له أدلة ولا براهين وانظر إلى أهل السنة لا يتكلمون بكلمة في العقيدة إلا تجد عليها دليل من الكتاب والسنة.

خامسا: عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط لماذا؟

عقيدة أهل السنة من أين مستقاة؟ أين مصادرها؟

الكتاب والسنة

لذلك لا فيها لا شكوك ولا أوهام المرء الذي معتقده معتقد أهل السنة والجماعة مطمئن

(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ) .

أما غير أهل السنة عندهم حيرة عندهم ضلالة عندهم ريبة

الإمام مالك لما طرحت عليه قضية الجدل تكلم أمامه قال أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم بدين جديد؟!

هؤلاء هم المبتدعة هكذا لا يقف لأنه ترك اليقين الذي في الكتاب والسنة وذهب إلى أفكار وقلوب الناس

فكل واحد أجدل من الثاني عنده كلام ولسان ومناظرة تجده يترك ما هو عليه وينتقل لغيره

لذلك قال الإمام مالك أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم بدين جديد؟!

إذا كان الإعتقاد قائم على الجدل فكل واحد يأتي بحجة وجدال أنت ستنتقل لمن عنده حجة أكبر وهذا ما فعله أهل الكلام.

لو نظرت للأشاعرة كيف عندهم في أصولهم "التي لا يريدون أن يخرجونها ولو أحد قال لهم بها يتحايلون عليها"

يجب على كل مكلف أن يشك ثم يؤمن

أي إذا بلغ ما يكفيه من الإيمان والتوحيد الذي علمه عن طريق الأب مثلاً أو معلم لا بد أن يشك أولاً هل الله موجود!

ثم بعد ذلك يقول استدل ببراهين عقلية ثم يقول عندك صار إيمان لو قلت أن الله الآن موجود

وأي ضلال أكثر من هذا؟!

لذلك كثير منهم الذين خاضوا في هذا العلم بعد سنوات ندموا

وظهرت لهم كلمات بذلك على السنوات الطوال التي قضوها في علم الكلام ولم يورثوا إلا حيرة وضلال.

ومن أهم ثمار العقيدة الصحيحة عند المسلم وخاصة طلاب العلم:

تعظيمه للنصوص لا يرد أبداً نصاً شرعياً

لأن أصل العقيدة عندنا أن ما جاء في الكتاب والسنة ما كان عن الله في أسمائه صفاته في ربوبيته في توحيده

في الأمور الأخرى سمعاً وطاعة قلنا به

ستجد المرء بعقيدته هذه معظماً وقّافاً عند النصوص لا يرد أبداً نصاً شرعياً يعظم في قلبه أن يجد آية أو دليل من الكتاب

ويقول لا أعمل به أو هذا الكلام مؤول مفوض هذا لا يقصده الله هذا ما يقصده النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما فهمه الصحابة

لا يتلاعب أبداً بالنصوص وهذه لا تأتي إلا من صاحب العقيدة الصحيحة..

أما أصحاب البدع يتلاعبون تقول لهم الله عز وجل يقول:

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

يقولون لا توجد رؤية الرؤية رؤية قلبية أو لا توجد رؤية أصلاً

(وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) .

يتلاعبون يقولون الله لا يتكلم موسى الذي كلم ربنا

وأماذا تفعل في:

(وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ) .

فهم يتلاعبون لا يعظمون النصوص.

سادسا كذلك من اتبع العقيدة الصحيحة في قلبه حذر من عدم اتباع سبيل المؤمنين

يخشى أن يخالف إجماع المؤمنين وإجماع الصحابة يخشى أن يسير في طريق غير طريق (ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)

يخشى أن ألا يكون من الذين قالوا:

(ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ، صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ).

لماذا؟

لأن العقيدة تحمي صاحبها من الانحراف فيظل على هذا الطريق طريق الذين ينعم الله عز وجل عليهم.

ما هي المصادر التي يرجع إليها في تلقي وإثبات العقيدة الصحيحة؟

مصدر العقيدة الصحيحة هو الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف الصالح . هذه المصادر هي أساس دين الإسلام أصلاً

وهذه المصادر ترتكز على قواعد وأصول هي:

القاعدة الأولى:

(أ) تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها

ما دام جاء النص من الكتاب والسنة تعظمه وتنقاد إليه.

(ب) الاعتماد على الأحاديث الصحيحة .

إذا كان في الفقه القاعدة تقول:

(الأحكام فرع عن الصحيح) أي إذا كان الحديث ضعيف الحكم لا يثبت الحكم لا بد يكون على حديث صحيح ما بالكم بالعقيدة؟!

كذلك لا بد أن تعتمد في العقيدة على الأحاديث الصحيحة.

(ج) صحة فهم النصوص .

القاعدة الثانية:

كل ما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله والعمل به وإن كان آحاداً في العقائد والأحكام وغيرها

لماذا نقول ذلك؟

لأنه من بعض الطوائف من يقول أحاديث الآحاد لا تقبل في العقيدة

وهذا كلام باطل لماذا؟

لأن كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق لا ريب فيه قال تعالى:

(وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ) .

أمر الله عز وجل بطاعة نبيه قال تعالى:

(وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) .

ما دام قد ثبت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله والعمل به عقائد أو أحكام آحاد أو متواتر أو غير ذلك.

القاعدة الثالثة:

المرجع في فهم الكتاب والسنة هي النصوص المبينة لها بفهم السلف الصالح

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أرسل رسالة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال له:

ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق

فالسلف الصالح إن كانوا هم الصحابة فهم الذين نزل فيهم الوحي وأهل اللغة وهم أولى الناس بتقديم أفهامهم عن من جاء من بعدهم

لذا من الأصول التي يجب الاعتماد عليها في فهم النصوص فهم الصحابة رضي الله عنهم ففيهم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل الكتاب وهو معهم وهم أعلم الناس بمراد الله عز وجل ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم

خاصة بعد ما كثر البدع وقل العلم وفسدت الأفهام وهجرت السنة ترجع إلى المعين الأول.

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول:

يحتاج المسلمون إلى شيئين أحدهما معرفة ما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين بمعاني تلك الألفاظ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا الحروف فالتابعين أخذوا من الصحابة العلم وبلغوه.

القاعدة الرابعة:

أن أصول الدين كلها بينها النبي صلى الله عليه وسلم

لقد جاء اليهود إلى سلمان وقال له علمكم رسولكم كل شيء

فقال له سلمان نعم علمنا كل شيء ثم ذكر إذا دخل أحدكم الخلاء كيف يقضي حاجته

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم علمنا هذه الفروع ما بالنا بأصول العقيدة

أصول الدين كلها بينها النبي صلى الله عليه وسلم وليس لأحد أن يحدث شيئاً في الدين.

قال الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ .

قرأها النبي صلى الله عليه وسلم في الحج

لذلك قال اليهودي لعمر أنزلت عليكم آية لو أنزلت علينا معشر اليهود لتخذنا يوم نزولها عيداً

قال ما هي؟

فذكر الآية

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ .

قال عمر والله إني لأعلم متى نزلت وأين نزلت وإنه لكان عيداً

الدين اكتمل وكل شيء بينه الله عز وجل وبينه النبي صلى الله عليه وسلم

فلا يأتي أحد ويقول أن هناك شيء لم يبينه النبي صلى الله عليه وسلم هناك شيء لم يفهمه الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم

هذا مرفوض

القاعدة الخامسة:

التسليم لله ولرسوله ظاهراً وباطناً:

لا يعارض شيء من الكتاب ولا من السنة يسلم ظاهر وباطن:

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا).

هل هناك قياس؟

ليس هناك اجتهاد ولا قياس في أمور العقيدة

العقيدة غيب كيف ستقيس الغيب؟

أمور الغيب غير مدركة أمور الشهادة هي المعلومة كيف تقيس غيب على معلوم؟!

كل الطوائف المبتدعة في باب الأسماء والصفات مشكلتهم أنهم قاسوا الخالق بالمخلوق فوقعوا فيما وقعوا فيه ببطلان أو برد الصفات أو بتأويلها أو بغير ذلك.

إذاً بالتسليم لله ولرسوله ظاهراً وباطناً أخرجنا بذلك القياس والذوق والكشف "هذا في العقيدة"

القاعدة السادسة :

العقل الصريح موافق للنقل الصحيح:

الله سبحانه وتعالى خلق العقل والدين هو أمر الله عز وجل

لا يمكن أن يتعارض الخلق مع الأمر قال تعالى:

(أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ).

إذا لا يمكن أن يتعارض العقل مع النقل

إذا وجد في عقلك شيئا يخالف النقل فاعلم أن الخطأ عندك ما دام النقل صحيح فلا تعارض

والله أمرنا فقال: **(أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ) (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)**

إذا لا نمنع التفكر والتدبر وولكنك لا بد أن تربط عقلك بالنقل الصحيح

وإلا لو انحرف العقل عن الصراط المستقيم والنقل الصحيح لا بد أن ترده وتطرحه وتأخذ بالنقل

ولا تكن كالذين العقل عندنا يقدم على النقل فإذا وافق العقل النقل قالوا به وأما إذا عارض العقل النقل قالوا بالعقل وردوا النقل أو أولوه أي تأويل حتى يوافق عقلهم

فانظر إلى الضلال الذي هم فيه!

أما أصحاب السنة وأصحاب العقيدة الصحيحة النقل مقدم وإذا عارض عقلهم النقل طرحوا العقل وعملوا بالنقل.

القاعدة السابعة:

يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة لتتجنب الألفاظ البدعية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

الألفاظ هذه إن كانت في مقام المناظرة كالحيز والجهة والجسم ماذا تقصد هذه ليست ألفاظ شرعية ولكن ماذا تقصد إن كنت تقصد كذا فتجيبه إن كنت تقصد كذا فتجيبه

لكن الأصل أن تلتزم بالألفاظ الشرعية

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

الله عز وجل نهاهم أن يقولوا كلمة كان يقولها أهل الشرك أو أهل الكفر

فلا بد أن تتقيد بالألفاظ الصحيحة في العقيدة وإن تعرضت للألفاظ التي يقولها الغير لترد عليهم أو تثبت عورهم.

القاعدة الثامنة:

العصمة للنبي صلى الله عليه وسلم فقط والأمة مجموعة في عصمته صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(لا يجمع الله أمتي على ضلال).

فالعصمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولمجموع الأمة وليس لآحاد الأمة عصمة

لابد أن ننتبه لأن هذه مشكلة ما وقع فيما وقع فيه الطوائف جعلوا أئمتهم معصومين سواء الروافد أو الصوفية أو غيرهم يقدم رأي إمامه على الكتاب والسنة

فلا عصمة لأحد من الأئمة والمرجع كله إلى الكتاب والسنة لكن نعتذر لمن أخطأ من علمائنا ونحتسب له أجر الاجتهاد ولكل مجتهد نصيب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران إذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر).

انتهت المحاضرة بفضل الله

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

قواعد في أنواع التوحيد:

هي القواعد التي استقرأها أهل العلم من خلال دراستهم للكتاب والسنة فجمعوا بعض القواعد التي تعد أصول في العقيدة وفي دراسة التوحيد.

ولنبدأ بالقواعد التى تخص التوحيد:

فنقول ولله الحمد الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى

ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بكتاب الله أهل العمى

وكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من تائه ضال هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم

ينفون عن كتاب الله تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

اعلموا وفقكم الله وإياي أن العقيدة مرجعها إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم

لا إلى أهواء الناس ولا أقيستهم وأنه ليس هناك أعلم بالله من الله

ولا من الخلق أعلم به من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنه ليس هناك أنصح للأمة ولا أحسن بيانا ولا أعظم بلاغا منه صلى الله عليه وسلم.

فإذا ثبت وصف لله عز وجل بشيء من الصفات في كتابه الكريم أو ثبت ذلك في سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وجب على المسلم اعتقاد ذلك وينزه الله التنزيه اللائق بذاته عز وجل

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا).

ولا بد أن نعلم أيضا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يجهلوا أمور التوحيد جملة ولا تفصيلا

إلا النادر منهم الذي بعضهم قد تغيب عنه ولكنهم ومن ذلك لم يجهلوا أيضا معاني صفات الله عز وجل

ولا ارتابوا في وصف من أوصاف الله عز وجل ولا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء منه وهم الذين قد سألوه عن كل شيء

سألوه عن الأنفال:

(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ).

(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ).

(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ).

(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ).

(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ).

ما تركوا شيئا إلا وسألوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا يمكن أن نظن أن هذه الأشياء التي سألوا عنها: المحيض والأنفال واليتامى

أعظم شأنا عند الصحابة من الله ومن أسمائه ومن صفاته ومن معرفة صفات الله.

ومن أعظم أسباب محبة الله وإجلاله هو معرفة صفاته وأسمائه.

ولا يجوز لنا أن نعدل عن طريقة الصحابة في فهم هذه النصوص دون غيرهم من الفلاسفة والمتكلمة والمناطقة أو غير ذلك

الذين قال عنهم بعض أهل العلم قد أوتوا ذكاءا وما أوتوا زكاءا أتوا علوما وما أتوا فهوما

أعطوا سمع وبصرا وأفئدة قال تعالى:

(فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ).

سنبدأ بعون الله تعالى أولا في قواعد في أنواع التوحيد:

أنواع التوحيد يبين أهل العلم لو نظرنا إلى كتب العقيدة نجدهم قسموا التوحيد تقسيمات:

بعضهم قسم التقسيم الثلاثي:

توحيد الأسماء والصفات – توحيد الربوبية – توحيد الألوهية.

وهناك من قال بالتقسيم الثنائي كابن تيمية وغيره قال:

بالتوحيد العلمي الخبري الذي اجتمع فيه الأسماء والصفات مع الربوبية – وتوحيد القصد والطلب توحيد الألوهية أي توحيد العبادة.

وأين كان سواء التقسيم الثانئي أو الثلاثي حتى لا يشكل عليكم فأصله جاء من الاستقراء من البعض

ومن الذين يحاربون من يتكلم في التوحيد ويعلمون الناس التوحيد يقولون من أين أتيتم بالتثليث هذا حتى أنكم شابهتم النصارى في ذلك؟

"نعوذ بالله من هذا الكلام"

قالوا هم ثلثوا وأنتم جعلتم التوحيد ثلاث يقولون أين دليلكم؟

قلنا أن علماء أهل السنة والجماعة لما استقرأوا النصوص في الكتاب والسنة "والاستقراء دليل معتبر"

فوجدوا أن الله عز وجل تكلم في كثير من آيات القرآن وسوره عن أسمائه وصفاته وتكلم عن ربوبيته سبحانه وتعالى وتكلم عن ألوهيته

فقالوا إذا التوحيد إما أسماء وصفات لله أو توحيدا له في ربوبيته من الخلق والرزق والتدبير والملك إلى غير ذلك

أو توحيد في ألوهيته في إفراده في العبادة من الصلاة والصوم والاستعانة والاستغاثة إلى غير هذا

وقالوا إن هذا التقسيم هو فقط للتعليم والبيان وقد جاء في النصوص

"كما سنبين معنا في القواعد التي استخرجها علماؤنا من هذه النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة"

فإذا التقسيم ليس مبتدعا حتى لا يشكل عليكم ولكنه موافق ولا نقول أن التقسيم هذا المقصود منه أن يوقع الحق في نوع دون نوع

لا يقبل التوحيد إلا كلية لا يكون المرء موحدا توحيدا كاملا إلا بتوحيده أسماء الله وصفاته وتوحيده في ربوبيته وفي ألوهيته

هذا التقسيم فقط للتعليم للمعرفة لبيان الفرقات بينهم

ولبيان أيضا أن هناك بعض الطوائف أقرت ببعض التوحيد ولم تقر ببعض أنواع التوحيد

وهذا كان المقصود عند علمائنا من ذكر هذه التقسيمات ولا مشاح إن كان ثلاثيا أو ثنائيا المعنى في النهاية واحد.

فضلا أن هذه الأنواع التي قلت أنها أنواع التوحيد جعل لها قواعد ومنها:

القاعدة الأولى:

أن أنواع التوحيد وأضادها متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر.

ما معنى التلازم؟

لازوم الشيء أي عدم المفارقة

يقال لزم فلان بيته أي لم يفارق بيته

إذا التلازم في اللغة امتناع إنفكاك الشيء عن الشيء

أما التلازم في اصطلاح العلماء

فهو أحد الدلالات اللفظية التي تدل على المعنى

"عندنا في الدلالات اللفظية التي تدل على المعنى ثلاثة دلالات هي:

المطابقة والتضمن واللزوم"

مثال على المطابقة

لما أقول لفظ البيت

أقول هذا البيت فأنا أقصد المعنى المعلوم المتعارف للبيت الذي هو سكن للناس يبيتون فيه

أقول البيت دلالاته مطابقة للمعنى الذي مقصود عند الناس هذا يسمى دلالاة مطابقة.

لو قلت البيت وأقصد به تضمن

البيت يتضمن سقفا لا يكون بيتا إلا إذا فيه سقف

إذا قصدت السقف هذا يسمى تضمن

لما قلت البيت فلا بد أن البيت يتضمن سقفا

إذا البيت من باب المطابقة يدل على معنى البيت من باب التضمن يدل على السقف "دلالته على السقف

لو قلت لفظ السقف

لفظ السقف يدل على الحائط دلالة لزوم

أي ان السقف لا يمكن أن يكون سقفا إلاإذا كان هناك حوائط ترفعه

دلالة السقف على الحائط دلالة لزوم أي يلزم إذا قلت سقف أن هناك حوائط لا يمكن أن نتصور أن هناك سقف وليس هناك حوائط.

أحيانا يأتي التلازم في الأحكام

أي أن هناك حكم مقتضي لحكم آخر أنت رأيت دخان متصاعد في النهار هذا يقتضي وجود نار

في النهار لا ترى النار النهار نوره أعلى إذا الدخان دلالة على اقتضاءا ضروريا تلازم هنا أنه لا بد من وجود نار في هذا المكان

ولو رأينا نارا ليلا يقتضي وجود الدخان لأن الدخان في الليل لا يرى أيضا لسواد الليل

هنا تلازم إذا رأينا الدخان نهارا لا بد من وجود نار في هذا المكان وإذا رأينا النار ليلا لا بد من وجود دخان في هذا المكان.

التلازم بين الشيئين قد يكون تلازم مساويا أي وجود الأول يستلزم الثاني ووجود الثاني يستلزم وجود الأول وهذا يسمى تلازم من ترفين.

وقد يكون التلازم من طرف واحد أن وجود الأول يستلزم الثاني لكن وجود الثاني لا يستلزم الأول.

ولو قلنا نفي الثاني يستلزم نفي الأول لكن لا يستلزم وجود الثاني وجود الأول.

هذا يسمى تلازم من طرف واحد.

قال ابن القيم في هذه المسألة الشرع والعقل

بين الشرع وبين العقل تلازم ومتنع أن الشرع والعقل متلازمان

لذلك لو قلنا أن الشرع والعقل متلازمان إذا يمتنع تعارض المتلازمان

فلا بد أن نعلم لا تعارض بين العقل والشرع العقل ملزوم حتى نعلم الشرع

الإنسان بلا عقل لا يستطيع أن يعلم والشرع ما جاء إلا بما يقبله العقل فهناك تلازم بين الطرفين وتلازم مساوي.

وهذا كله كان مفردات القاعدة.

معنى القاعدة كي نطبقها على التوحيد:

أنواع التوحيد ثلاثة توحيد ربوبية توحيد أولوهية توحيد أسماء وصفات

وضدد التوحيد الشرك وكذلك أنواعه ثلاثة:

شرك في الربوبية شرك في الأولوهية شرك في الأسماء والصفات

معنى أن أقول أن أنواع التوحيد بينها تلازم إذا أقصد بذلك:

أن هناك علاقة تلازم بين توحيد الأسماء والصفات وبين توحيد الربوبية وبين توحيد الأولوهية

إذا هي متلازمة الثلاثة أنواع متلازمة متكافئة لا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر بمعنى:

لا ينفع توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية

وكذلك توحيد الله في ألوهيته وربوبيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته

فأي خلل أو انحراف في أي نوع من هذه الأنواع الثلاثة يؤدي إلى خلل أو انحراف في التوحيد بالكلية.

إذا هذه الأنواع الثلاثة لا ينفك بعضها عن بعض.

إذا توحيد الألوهية يستلزم توحيد الربوبية ويستلزم توحيد الأسماء والصفات.

فاختصاص الله عز وجل بالألوهية كونه أصلا ربا خالقا عالما مدبرا محيطا وأنه على كل شيء قدير.

كما أن خلقه سبحانه وتعالى متضمن لكمال القدرة والعلم والإرادة والعلم والحكمة والحياة وهذا مستلزم لسائر الصفات.

وتوحيد أيضا الأسماء والصفات يستلزم توحيد الألوهية والربوبية.

أعظم صفات الله عز وجل الألوهية والربوبية.

فتوحيد الأسماء والصفات يتضمن ويستلزم إفراد الله بالربوبية التي هي من صفاته وبالألوهية التي هي من صفاته.

كونه إلاها واحدا لا شريك له في ألوهيته فاسم الرب لا ينصرف إلا إليه عند الإطلاق فله وحده الربوبية المطلقة الشاملة.

واسم الله لا يطلق إلا عليه وحده ذو الألوهية على جميع خلقه ليس لهم إلاه غيره.

فإذا القاعدة المقصود منها:

أن أنواع التوحيد الثلاثة لا ينفك بعضهم عن بعض إذا وجد الربوبية استلزم وجود الألوهية والأسماء والصفات.

وكذلك الألوهية إذا وجدت استلزم أن يوحد الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته.

لو قلنا هذا في التوحيد عكس التوحيد الشرك فأيضا الشرك متلازم:

من أشرك في الربوبية يستلزم أن يشرك في الألوهية ويستلزم أيضا أن يشرك في أسماء الله وصفاته.

وأيضا من أشرك في أسماء الله وصفاته فعطل الأسماء وعطل الصفات أو حرفها

سيستلزم ذلك أنه سيشرك في الربوبية ويشرك في الألوهية.

هل هذه القاعدة لها أدلة؟

(ا). أول دليل من الفطرة فطرة الله التي فطر الله عز وجل الخلق عليها

فأصل الفطرة متضمن الإقرار بأن الله تعالى هو الرب وأنه متصف بأجمل الصفات وأكمل الصفات

وأن هذا مستلزم لمحبته والخضوع له والذل له والعبادة له.

هذا تلازم في أصل الفطرة.

أصل الفطرة التي فطر الله عز وجل عليها الناس عندهم تلازم بين التوحيد القولي العلمي

والتوحيد الإرادي العملي لا ينفك أحدهم عن الآخر.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء).

إذا أول شيء ما فطر الله عز وجل عليه الناس من التلازم هذا من أنواع التوحيد.

(ب). الدليل الثاني:

أنك لو نظرت أن أنواع الشرك والكفر متعددة هناك طوائف كثيرة تشرك أو تكفر بالله "عياذا بالله"

يمكن أن يكون الشرك عن طريق اليهود أو النصارى أو الذين يعبدون الأوثان باختلاف أديان ومذاهب المشركين.

ومع ذلك ومع هذا الاختلاف الله عز وجل أمر النبي صلى الله عليه وسلم ومن قبله الأنبياء أن يدعوا إلى شيء واحد هو:

شهادة أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله

كل المشركين وكل المعطلين باختلاف شركهم وتعطيلهم ومذاهبهم في الشرك والكفر ونحلهم لكنهم أمروا كلهم بدعوة واحدة وهي:

شهادة أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله وهذا يدل على أن هذه الكلمة متضمنة لكل أنواع التوحيد لماذا؟

لأن كل الناس مع اختلاف كفرهم دعوا إلى كلمة واحدة فقط.

وهذا يدل على أنه إن كفر في الربوبية لا بد أن يدعى إلى الثلاثة ولو كفر في الألوهية لا بد أن يدعى في الثلاثة

ولو كفر في الأسماء والصفات لا بد أن يدعى في الثلاثة.

ودل ذلك على أنه لا بد أن يحقق الثلاثة لذلك الله عز وجل وحد الدعوة لهؤلاء جميعا بشهادة أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله.

دل ذلك على أن أنواع التوحيد الثلاثة لا بد أن تكون مستلزمة بعضها لبعض.

(ج). الدليل الثالث:

ودل على ذلك من السنة الحديث المتفق عليه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن وكان في آخر من بعث قبل وفاته صلى الله عليه وسلم وقال له:

(لعلك لا تلقاني بعد عامي هذا إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله

فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا

فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تأخذ من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقي كرائم أموالهم).

النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ إلى أهل كتاب اليمن كانوا نصارى وكان هناك يهود أيضا وكذلك كان فيهم مشركين وكفار.

إذا فيهم ألوان من الشرك متعددة.

فيهم من يشرك بنسبة الولد "ونعوذ بالله من ذلك" وفيهم من يشرك بالتعطيل وغير ذلك ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ آمرا له

أن يبدأ معهم بالتوحيد بلا إلاه إلا الله

مع أن بعضهم عنده شرك في الربوبية

"التثليث ونسبة الولد" النصارى عندهم شرك في الربوبية يألهون المسيح "تعالى الله عما يقولون" هذا شرك في الربوبية

ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم دلهم على كلمة واحدة وهي الشهادتين أن يدعو بها كل هؤلاء.

دل ذلك على أنه لا انفكاك بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ومن الأدلة أيضا على ذلك نبين التلازم بين الشرك في العبادة وبين تعطيل أسماء الله وصفاته:

(د). العبادة لا بد لها فيها من قصد وإرادة وأن تتوجه إلى المعبود وهو الله عز وجل

فإذا أنت تتوجه إلى معبود فلا بد لك أن تعلم بأي جهة الجهة التي يتوجه بها إليه العباد.

إذا أنت نفيت الجهة وقلت أن المعبود لا يوجد في جميع الجهات.

كما يقول بعضهم أين الله؟

يقول لا تقول أين الله لا نعلم له جهة.

إذا أنت تعبد عدم.

والصحيح أن الله سبحانه وتعالى في السماء الله سبحانه وتعالى على العرش استوى.

فأنت إذا قلت ليس له جهة ولا أعلم له جهة فأنت لا تعبد أنت تعبد معدوم وتنتفي العبادة لكن القلب لا بد أن يتعلق بأحد يعبده.

فالذي يحدث أنك أنت ستترك الإلاه الحق وتتعلق بغيره فتقع في الشرك في العبادة لماذا؟

لأنك عطلت صفة لله عز وجل فأصبح الإلاه عندك كأنه معدوم فوقعت في تعلق قلبك بآخر ولي مقبور مع شيخ مع أي شيء تعبده

لذلك ابن تيمية رحمة الله عليه يقول:

كون الرب إلاها معبودا يستلزم أن يكون بجهة من عابده بالضرورة.

فهذا يبين لك كيف يحدث تلازم بين توحيد العبادة والأسماء والصفات.

هذه القاعدة التي تبين التلازم بين أنواع التوحيد مستقرة عند علماء السنة سواء بين أنواع التوحيد أو بين أضاد التوحيد

ويقصدون بذلك أنه لا يكمل إيمان أحد إلا باجتماع هذه الأنواع الثلاثة جميعا

إذا وجد البعض ولم يجد الآخر دل ذلك على عدم إما صحة التوحيد أو عدم كماله وعدم اعتباره

لأنه لو كان صحيحا لاستلزم قيام المرء بأنواع التوحيد الثلاثة

قال ابن القيم:

الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته.

كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الألوهية.

لذلك إن حدث العكس إن تجد أحد يشرك في الألوهية لا بد أن تعلم أنه يستلزم ذلك أن عنده خلل في الربوبية.

من الخطأ أن يقول البعض بأن مشركو العرب وحدوا ربوبية الله وأشركوا في الألوهية هذا خطأ

اللفظ هذا لا بد أن نصححه هم أقروا بربوبية الله ولكن لم يوحدوا ربوبية الله

هناك فرق بين الإقرار وبين التوحيد هم أقروا بربوبية الله

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ).

هم أقروا بأن الله هو الخالق المدبر الرزاق والرازق ولكنهم لم يأتوا بالتوحيد في الربوبية.

هناك فرق بين الإقرار وبين أن يوحد ويفرد الربوبية في كل شيء

وإلا هم ما جعلوا له أصنام بأسمائه مناة من المنان واللات من الإلاه والعزى من العزيز

فأشركوا وألحدوا حتى في الأسماء والصفات فضلا عن الربوبية.

فإذا لا يمكن لأحد أن يكون وحد الربوبية ويكون عنده شرك في الألوهية أو في الأسماء والصفات والعكس

ولذلك فمن وقع في شرك الألوهية أي صرف عبادة لغير الله لا بد أنه عنده نوع شرك في الربوبية وكذلك في الأسماء والصفات إن عطل أسماء الله وصفاته أو ألحد فيها لا بد بالتلازم الذي قلناه أنه عنده خلل في توحيد الألوهية وخلل في توحيد الربوبية.

ما فائدة هذه القاعدة:

معلوم أن أعظم أركان الإيمان هو الإيمان بالله عز وجل هو التوحيد وهذا متضمن لقولا ولعمل ولاعتقاد

فلا يصح إيمان أحد إلا باجتماع القول والعمل معا والاعتقاد "الإيمان قول وعمل واعتقاد".

ولا يتصور اجتماع الثلاثة إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة لأنها متلازمة إذا اختل واحد منها ستجد الخلل في الجميع.

فلا ينفع توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية كما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية.

فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا في عبادته لكن اعتقد مع ذلك أن لغير الله تأثيرا في شيء أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله

أو يملك ضر العباد او نفعهم ونحو ذلك فلا تصح عبادته

لأنه يجب أن يؤمن بالله إفرادا لأنه ربا متفردا بخصائص الربوبية.

فلا أحد يقول أنا أعبد الله وأدعو الله لكني عندي اعتقاد يمكن أن يضر وينفع هذا المقبور هذا الميت هذا الولي

أو هناك شيء آخر عنده تأثير وقدرة غير الله عز وجل ولو كان مدعي أنه لا يعبد إلا الله فهذا لا يقبل منه

بل يقال له أنت ما زلت عندك شرك في الألوهية لأنك عندك شرك في خصائص الربوبية.

ومن دعا غير الله تعالى هذا أشرك في العبادة وهذا يستلزم إشراكه في الربوبية ويستلزم إشراكه في الأسماء والصفات.

مثال:

لو ذهب أحد إلى قبر "كما يفعلون عباد القبور" وقال يا فلان أغثني أو افعل لي كذا

أو يناديه من مسافة بعيدة حتى لو لم يذهب إلى القبر وهو في المجالس ويناديه "والرجل صار ترابا أرم بلى" فدعاه دعاء العبادة

فهذا قد صرف عبادة له دون الله عز وجل

هو دعاه والدعاء عبادة

دعا من؟

دعا المقبور شرك في الألوهية

سأله ارزقني الولد ارزقني المال نجني من كذا

ظن به قدرته على جلبي الخير ودفع الضر أو اشفي المريض وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله

وهذه من صفات ربوبية الله عز وجل فأصبح في هذا الكلام أيضا شرك في الربوبية

ثم لما قال له هذا هو اعتقد أن هذا المقبور متصرف مع الله في ملكوته وحشاه ذلك

لأنه ما دعاه هذا الدعاء ولا اعتقد هذا الاعتقاد سواء من قريب أو من بعيد في أي وقت

إلا ادعا أنه متصرف ويستطيع أن يفعل ذلك فأصبح شرك في الأسماء والصفات

كأنه جعل هذا المقبور الذي على بعد كيلو أو اثنين أو مئة كيلو يسمع كلامه فجعل له سمعا محيط بالمسموعات

وهذا السمع لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى وجعل له قرب في الإجابة وهذا لا يكون إلا لله من صفات الله عز وجل ومن أسمائه

فانظر إلى فعل هذا الرجل الذي فعله مع المقبور فعل واحد أشرك فيه أنواع الشرك الثلاثة:

شرك في الألوهية وشرك في الربوبية وشرك في الأسماء والصفات.

فيبين لك كيف التلازم في الشرك كما أن هناك تلازم في التوحيد.

القاعدة الثانية:

توحيد الربوبية لا يصير الإنسان به مسلما حتى يأتي بأنواع التوحيد الأخرى:

يمكن أن نقول أن توحيد الربوبية غير كافي للإسلام حتى يأتي بأنواع التوحيد الأخرى

معنى القاعدة:

قلنا من قبل إن بعض المشركين كمشركي العرب أقروا واعترفوا بتوحيد الربوبية

وإن كانوا لم يوحدوا توحيدا كاملا صحيحا حتى في الربوبية

لكن أقروا به بل غالب البشرية أقرت بهذا النوع من التوحيد "توحيد الربوبية" لن ينكره أحد إلا الشواز من الناس

ومن أنكر أنكر على استكبار وليس على اعتقاد كما حدث من فرعون

أنكر على استكبار وعناد لما قال لموسى **(وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)**

وكأنه يسأل من رب العالمين؟

وفي آيات أخرى قال له موسى:

(قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا).

فهنا فرعون أنكر استكبارا وعنادا وليس عن اقتناع

إذا غالب البشر اعترفوا بهذا النوع من التوحيد ومع ذلك هذا النوع ولو اعترفوا به لا يفيدهم ولا يكون منجاة لهم من الحساب والعذاب

إذا لم يقترن بذلك توحيد العبادة

بل هذا الاعتراف كما كان في مشركي العرب لم يخلصهم من معنى أنهم أهل شرك

ولم يمنع ذلك الله عز وجل أن يرسل إليهم الرسول يدعوهم إلى التوحيد الخالص

ولم يمنع ذلك أن يتوعدهم الله عز وجل بالعذاب في الآخرة إذا ماتوا على هذا الكفر.

فإذا توحيد الربوبية لا ينجي من النار ولا يدخل الجنة التوحيد المنجي هو:

شهادة أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله

أي يقر بأن الله هو المستحق للعبادة دون سواه وأن محمدا رسول الله

ما الدلالة على هذه القاعدة:

(ا). الدليل الأول:

إقرار المشركين أنفسهم الذي جاء في القرآن أنهم أقروا بربوبية الله عز وجل ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام:

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ).

فالتوحيد هو حقيقة دين الإسلام ولا يقبل الله من أحد سواه قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إلاه إلا الله إقام الصلاة إتاء الزكاة صوم رمضان حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا).

لا بد من توحيد الإلوهية توحيد العبادة

الإسلام بني على هذه الأركان وأهمها هو عبادة الله وحده لا شريك له إذا لا بد من تحقيق الألوهية توحيد العبادة.

فلما جاءت السنة تبين أن الأصل في أركان الإسلام هو توحيد العبادة وهذا هو الذي أرسل به الرسل لأقوامهم:

(وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا). "سورة النساء الآية 36"

(وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ). "سورة النحل الآية 36"

فلما أقر المشركون بتوحيد الربوبية لم يقبله الله منهم وإلا لم يكن الله أرسل لهم الرسل وأمرهم بالإفراد في العبادة.

فدل ذلك على أنه هذا التوحيد منفردا لا يقبل.

لذلك قال الإمام الصنعاني:

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد من اتخاذ الأنداد

فلا يتخذون له ندا ولا يدعون معه أحد ولا يتكلون إلا عليه ولا يفزعون بكل حال إلا إليه

ولا يدعون غيره بأسمائه الحسنى ولا يتوصلون إليه بشفعاء.

(ب). الدليل الثاني:

أن المشركين لما أقروا بتوحيد الربوبية لم يعصم الله عز وجل أموالهم ولا دماءهم من السفك

كما جاء في سورة براءة:

(فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ). "التوبة الآية 5"

فإن تابوا قالوا بالشهادتين وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة مع أنهم كانوا يوحدون أو يقرون بالربوبية

والله عز وجل ما جعل لتوحيد الربوبية لهم عصمة لمالهم ولا لدمائهم بل جعل العصمة تكون لمن أقر

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني مالهم ودماءهم إلا بحقها).

فجعل العصمة للمال والدم بتوحيد الألوهية الذي لا بد أن ينضم لتوحيد الربوبية

فلما جعل الله عز وجل العصمة بعد ذلك دل على أن توحيد الربوبية ليس بكاف.

لماذا نقول أن هذه القاعدة بالأهمية بمكان؟

(ا). لأن ظهر بعد القرون الخيرية بعض الفرق المتكلمة والمتفلسفة وأهل الكلام

تجدهم لا يتعرضون لتوحيد العبادة وتوحيد الألوهية بل يقررون فقط توحيد الربوبية

لو نظرت إلى ما يسمى بكتب العقيدة عند أهل الكلام ما يقررون إلا توحيد الربوبية ويقولون هي الحجة

ويكفي ذلك وهذا أقر به المسلم والكافر "توحيد الربوبية"

ولا يكفي بل هو الحجة عليهم قال الله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ).

تلازم في كل الآيات يأمرهم بالعبادة ثم يذكرهم بمن؟

بالذي خلقهم

والتلازم هذا موجود في كثير من آيات القرآن والله سبحانه وتعالى يبينه كحجة على المشركين أنتم أقررتم بالربوبية لا بد أن تقروا بالألوهية

لذلك تجد هؤلاء المتكلمين والمتفلسفين ينكروا على أهل السنة والجماعة الكلام عن شرك الألوهية والتوحيد في ذلك

ولا يتكلمون فقط إلا عن ربوبية الله عز وجل.

لذلك هذه القاعدة مهمة لتبين عظم مكانة توحيد الألوهية

(ب). من فوائد هذه القاعدة:

أن توحيد الألوهية هو رأس الأمر وأساس الملة هو الذي رضيه الله عز وجل لعباده هو الذي أعد لهم جنات النعيم

إذا حققوا توحيد الألوهية بتضمين توحيد الربوبية له وتوحيد الأسماء والصفات

لكن هو أصل الأصول توحيد العبادة.

(ج). ثم تبين هذه القاعدة عدم انتفاع المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية بسبب أنهم لم يأتوا بلازمه أولا وهو توحيد الألوهية

لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فما لم يأتوا باللازم لم ينتفعوا بالملزوم

والقاعدة هذه من فوائدها ترد على أهل الكلام والتصوف الذين جعلوا الكلام في الربوبية فقط وعندهم من أتى بالربوبية

فهو مسلم كامل الإسلام بل عندهم من أتى بالربوبية يستحق الجنة ولا يخلد في النار.

وهذا باطل لأن لو كان ذلك صحيحا ما لكان أهل الشرك الذين أتوا بالربوبية وأقروا بها لا يحتاجون إلى الرسول

ولا ينكر الله عز وجل عليهم عدم توحيدهم في الألوهية.

لكن أهل الكلام أدخلوا في التوحيد أمورا باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافي التوحيد

وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمور عظيمة جدا هي أصل التوحيد ومنها توحيد الألوهية.

القاعدة الثالثة "وهي ملحقة بالقاعدة السابقة":

أن توحيد الربوبية أقرت به الخلائق مؤمنها وكافرها ولم ينكره إلا الشذاذ من العالمين:

ما معنى توحيد الربوبية؟

الاعتقاد الجازم والإيمان القاطع بإفراد الله عز وجل بما يختص به من أفعاله فهو وحده رب كل شيء ومليكه

وهو الخالق لهذا الكون والمدبر له الذي لم يشرك في خلقه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل

ولا منازع له في شيء من خصائص ربوبيته ولا شريك له في شيء من ملكه.

كل هذه المعاني التي بينها أهل العلم هي توحيد الربوبية

ويجيز ذلك أن تقول:

لا خالق إلا الله لا مالك إلا الله لا رازق إلا الله

إذا توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله لا أحدي يفعل هذه الأفعال إلا الله

ولا شك أن أفعال الله كثيرة خلق وتدبير وملك وإحياء وإماتة وتدبير الكون ونفع وضر وشفاء

وإجابة دعوة المضطر وإجابة الداعي ونصرة المظلوم.

والربوبية على نوعين:

ربوبية عامة تشمل كل ما خلقه الله في الكون لأن هو الخالق والرازق والمحيي والمميت والمدبر إلى غير ذلك.

كل من خلقه الله في الكون له ربوبية عامة عليه فهو الذي خلقهم وأصلح دنياهم واستقام لهم معيشتهم وجعل لهم سلامة الأبدان

وهذا يشترك فيه المؤمن والكافر والبار والفاجر والعاصي والفاسق والمؤمن.

ربوبية خاصة وهي على نوعان:

(ا). ربوبية خاصة بالهداية والإرشاد.

(ب). ربوبية خاصة بالتأييد والنصر على الأعداء وهذه أعطاها الله عز وجل لخواص خلقه

وأعظمهم على الإطلاق الأنبياء والرسل ومن تبعهم من أهل الإيمان والإصلاح

والله عز وجل يربيهم ويرضيهم بالإيمان والطاعة والعلوم النافعة وبالعقيدة الصحيحة وبالأعمال الصالحة وبالأخلاق الحميدة

وهذه تربية نافعة للقلوب وللأرواح مثمرة للسعادة وللفلاح في الدنيا والآخرة.

ولذلك تجد غالب أدعية الأنبياء بكلمة الرب لأنهم أكثر الناس حاجة لهذه الربوبية الخاصة

فأكثر أدعيتهم تكون بلفظ الرب دون الإلاه لأن غالب مطالبهم لما يدعوا الله في الربوبية الخاصة:

(رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا). "سورة نوح الآية 28"

تندرج هذه الأدعية تحت الربوبية الخاصة من الله لهم.

فالقاعدة تقول أن توحيد الربوبية أقرت به الخلائق لم ينكرها إلا الشذاذ من الناس: فرعون والنمرود.

حتى الذين يقولون بالثانوية الذين عندهم خالقين للخير والشر والظلمة والنور كالماجوس ليس عندهم تساوي بين آلهتهم

عندهم إلاه أعلى من إلاه يجعلون إلاه النور أفضل من إلاه الظلمة.

فلم يكن في أي زمان أو في أي فرقة من جعلوا صانعين متماثلين للعالم هناك واحد أعلى من الآخر

لم يكن أبدا لأهل الشرك أن يثبتوا حتى مع الله إلاها آخر مساويا له في الصفات والأفعال

حتى أهل الشرك يعلمون أن الله هو الخالق والمدبر لكن كانوا يعبدون الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفى.

وكذلك باقي المشركين ما ساوى أبدا في آلهتهم مع الله

حتى قوم إبراهيم الذين يعتقدون في النجوم والكواكب ما كانوا يظنون أن الكواكب والشمس والقمر هم يخلقون.

هم كانوا مقرين بالصانع بالخالق لكن كانوا يشركون في العبادة أيضا كما كان العرب يشركون في العبادة.

فمعنى هذه القاعدة:

أن الكفار المشركون كانوا مقرون أن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض وليس هناك في كل هؤلاء الكفار

من جعل لله شريكا مساويا له في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله لم يقل بذلك أحد حتى من الماجوس ولا من الذين ثلثوا

ولا من الصابئة المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد حتى الأنبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور.

كل هؤلاء مع أنهم كفار مشركين وتنوعوا في الشرك لكن مقرون بأن الرب الحق الذي ليس له في ذاته ولا صفاته ولا في جميع أفعاله

إلا إلاه واحد لكن أشركوا في الألوهية لأنهم جعلوا معه آلهة أخرى وصرفوا لها عبادات.

ما الفائدة من هذه القاعدة؟

(ا). منها أن الإقرار بالربوبية أمر فطري فطر الله عز وجل عليه العباد ومستقر في كل نفس.

لذلك لم تكن خصومة الرسل مع أقوامهم في توحيد الربوبية أو في إثباتها أو تقريرها لأنه لا يكن يحتاج إلى دليل

لو تتبعنا آيات القرآن نجد أن الله عز وجل كان يحاج الكفار أنهم أقروا بالربوبية وأقروا بأنه هو الخالق البارئ المصور الرزاق

فكان يحاجهم أنكم إذا أقررتم بذلك فعليكم أن توحدوه أيضا في العبادة .

(ب). والفائدة الأهم من ذلك أن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لا يصح منهم ولا يقبل منهم لماذا؟

لأنهم لم يأتوا به على الوجه الصحيح لم يأتوا باللازم الذي معه وهو توحيد العبادة.

لذلك لا نقول أن المشركين وحدوا الله في ربوبيته هذا كلام ليس منضبط علميا لماذا؟

إقرارهم لا قيمة له عند الله لأننا لا نجزئ التوحيد التوحيد كل متكامل فلا نقول أنهم وحدوا في الربوبية ولكن نقول أقروا بالربوبية

ولكن لو كانوا وحدوا لاستلزم منهم أن يوحدوا في الألوهية ولاستلزم منهم أن يوحدوا في الأسماء والصفات.

لو قلنا بالتلازم لا يمكن أن أقول توحيد في نوع وهم قد وقعوا في الشرك في نوع آخر

لأن التوحيد في نوع يستلزم التوحيد في باقي الأنواع لا يمكن أن نقول أقروا بالربوبية.

القاعدة الرابعة:

الربوبية والألوهية مفهومان متغايران إذا اقترنا افترقا وإذا افترقا اقترنا:

مفهومان متغايران أي أن:

الربوبية توحيد الله بأفعاله

والألوهية توحيد الله بأفعال المخلوقين كل ما يفعله المخلوق من عبادة لا بد أن تكون لله.

الربوبية غير الألوهية هذان مفهومان متغيران وإن كانت الربوبية والألوهية صفتان لله عز وجل في باب الأسماء والصفات

وقد تفرد الله عز وجل بهما دون أحد من خلقه.

وهو الرب الذي خلق عباده وملكهم ودبرهم ورباهم بنعمه الطيبة العظيمة سبحانه وتعالى وآلائه الكريمة

وهو أيضا معبودهم الحق فليس لهم معبود سواه.

أثبتنا التغاير بين الألوهية والربوبية لكن قالوا إذا اقترنا أي اقترنا في الذكر

أي إذا ذكرت الربوبية مع الألوهية في كلام واحد اقترنا هنا افترقا

إذا جاء في الكلام معنى الربوبية والألوهية كان لكل منهما من معنى

جاءت الألوهية منفردة أو الربوبية منفردة تشمل الاثنان وهو الدين كله

إذا لكل من الألوهية والربوبية مفهوم خاص

فنقول الرب أو الإلاه إذا اقترنا في الذكر كان لكل منهم معنى مختص وإذا افترقا في الذكر فجاء الرب فقط أو جاء الإلاه فقط في سياق منفرد أصبح الرب يقصد به معنى الرب والإلاه ولو جاء الإلاه منفرد أصبح يعني معنى الإلاه والربما الأدلة على ذلك؟

هذه قاعدة مقررة عند أهل العلم تسمى الاقتران والافتراق بعض الألفاظ جاءت في اللغة وفي الشرع إذا اقترنوا معا

كل واحد له معنى وإذا افترقوا كل واحد أتى منفرديشمل كل واحد معنى الآخر بمعنى:

(ا). قال الله سبحانه وتعالى في سورة الناس:

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ، مَلِكِ ٱلنَّاسِ، إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ).

ذكر الله رب الناس وإلاه الناس اجتمعا في سياق واحد فكان الرب بمعنى الربوبية أي المدبر والخالق وغير ذلك

والإلاه هو المألوه والمقصود بالعبادة وهنا اجتمعا في الذكر وافتراقا في المعنى فكان الإلاه الذي تألهه القلوب محبة وتعظيم

والرب هو الذي يربي عباده فيعطيهم من نعمه فهنا اجتمعا في الذكر وافترقا في المعنى فكان الرب هو الذي يربي عباده

والإلاه هو الذي تألهه القلوب محبة وتعظيما.

وللدلالة أيضا على التفرقة بين المعنين أو بين الرب وبين الإلاه:

(ب). أن كلمة التوحيد لا إلاه إلا الله التي يدخل بها الكافر إلى الإسلام هل يقبل منه لا رب إلا الله؟

لا خالق إلا الله؟ لا مدبر إلا الله؟

لا يقبل فإن كان مدلول كلمة الرب هو الإلاه لقبل منه أن يقول لا رب إلا الله لكن لأن الرب غير الإلاه

لم يقبل منه إلا أن يقول لا إلاه إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله

لذلك جاء في السنة في رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

ما يستقيم لأحد جاء قال أريد أن أدخل الإسلام فقال لا رب إلا الله وأن محمدا رسول الله

ما يقبل منه لا بد أن يقول لا إله إلا الله وهذا يبين التغاير في المعنى أن الرب غير الإله.

لماذا نقول بهذه القاعدة "الرب والإله إذا اقترنا افترقا وإذا افترقا اقترنا":

نقول الشرع جاء بين لنا ذلك أنه إذا جاءت كلمة الرب منفردة يمكن يقصد بها معنى الإله كما جاء في سورة براءة:

(ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ).

فلما سمع الآيات عدي بن حاتم وكان على النصرانية وأسلم قال يا رسول الله ما عبدناهم

قال: (ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فأطعتموهم)؟

قال نعم

قال: (فتلك عبادتهم).

فإذا جاء هنا الأرباب بمعنى الآلهة وهنا جاء اللفظ منفرد

فالرسول صلى الله عليه وسلم بين أن الأرباب هنا هم عبدوهم أطعوهم في التحليل والتحريم هذه عبادة من دون الله وهذه من لواظم الربوبية

والعبادة من لوازم الألوهية.

قال عدي بن حاتم ما عبدناهم وهو يقصد إنهم لم يعتقدوا أنهم خلقوهم أو أنهم مدبرين

لكن النبي صلى الله عليه وسلم بين لهم أن الأرباب ليس المقصود هنا هو المدبر والخالق لكن المقصود بالرب هنا كأنه الإله

أطعتوهم في التحليل والتحريم وهذا لا يكون إلا لله وصرفتم العبادة لهم وجعلها اتخاذ الأرباب.

فدل ذلك على أن الأرباب في هذه الآية هم المعبودون بسبب الطاعة واتباعهم لهم في التحليل والتحريم.

أيضا لما جاء وفد نجران للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا له أتريد أن نعبدك؟

لما تلا عليهم الآية:

(ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ).

فهم فهموا من الآية أن الأرباب المقصود بها اتخاذ الآلهة والعبادة من دون الله.

(ج). كذلك يدل على القاعدة حديث الملكين لما يأتيا الميت في قبره فيقولان للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

المقصود هنا بالرب ليس الربوبية بل من إلاهك من معبودك لأن الربوبية لن ينكرها أحد من المشركين

هم يسألون عن الإلاه الذي كنت تعبده؟

ثم ما الدين الذي تتبعه؟ وما النبي الذي تعتقد فيه؟

هذه لها نظائر في الشرع عندنا:

الإسلام والإيمان

الإسلام له معنى "على تعريف بعض العلماء" أنه الأعمال الظاهرة أو العبادات الظاهرة

والإيمان العبادات القلبية لذلك يقول إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا

اجتمعا في حديث جبريل لما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان

فكان الإسلام غير الإيمان هذا عبادات ظاهرة وهذا عبادات قلبية

فإذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى

فقد يكون الإسلام بمعنى الإيمان وقد يكون الإيمان بمعنى الإسلام وجاءت النصوص على ذلك

وكذلك الفقير والمسكين قد يأتي الفقير بمعنى المسكين والمسكين بمعنى الفقير

لكن إذا اجتمعا:

(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ) "سورة التوبة الآية 60"

جعل المسكين الذي عنده شيء زائد عن الفقير عنده آلة طكا في سورة الكهف:

(أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ) "سورة الكهف الآية 79"

المسكين عنده شيء يعمل به وإن كان لا يكفيه بخلاف الفقير وإن كان الاثنان يمكن أن يكونوا في المعنى واحد.

ما مميزات هذه القاعدة؟

فيها رد على الذين قالوا أن الألوهية والربوبية واحد ولا فرق بينهم ما الثمرة؟

(ا). لما أتينا إلى لا إلاه إلا الله

قالوا لا إلاه إلا الله لا خالق إلا الله لا رب إلا الله لا موجود إلا الله

وهذا باطل جعلوا التوحيد في الربوبية فقط

فقلنا لهم لا هناك فارق بين الألوهية وبين الربوبية

هم قالوا التوحيد إفراد الله بالربوبية ومن أفرد الله بالربوبية قد حقق التوحيد وجعلوا لا رب مثلها مثل لا إلاه المعنى واحد

قلنا المعنى مغاير في الأصل إلا أن يقصد بهذا المعنى الثاني

لكن لا رب إلا الله ليست كلا إلاه إلا الله

إذا هناك فرق بين الربوبية والألوهية معنى لا إلاه إلا الله

أي لا معبود بحق إلا الله ليس معناها لا رب إلا الله لا خالق إلا الله هذا لا يقبل .

(ب). أن الألوهية والربوبية صفتان لله عز وجل وهي متلازمة وليست مترادفة

اثبات الربوبية يستلزم الألوهية اثبات الألوهية يستلزم الربوبية

القاعدة الخامسة: معنى شهادة لا إلاه إلا الله:

أن شهادة لا إلاه إلا الله مشتملة على النفي والإثبات:

شهادة لا إلاه إلا الله هي شهادة التوحيد والتي يدخل بها الإسلام أول الواجبات وأصل الأصول

ولا يعتد بدخول الكافر في الإسلام إلا بعد أن ينطق ويقر بلا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله.

والشهادة مشتقة من الأصل شهد وهي تدل على الحضور والعلم والإعلام

شهد شهادة , شهد الرجل على كذا أي شهد شيء قد رأه وعلمه وأقر به وأخبر به.

شهادة لا إلاه إلا الله مشتملة على نفي وإثبات

النفي أن تنفي الشيء والإثبات هو ضد النفي تثبت الشيء

ما معنى القاعدة شهادة لا إلاه إلا الله مشتملة على نفي وإثبات

بعض العلماء جعل أركان لا إلاه إلا الله:

نفي وإثبات كفر وإيمان ولاء وبراء

فيقولون نفي وإثبات هذا ركن من أركان لا إلاه إلا الله أي لا تصح لا إلاه إلا الله إلا بالنفي والإثبات.

وقالوا أيضا كفر وإيمان

(فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ) "سورة البقرة الآية 256"

فلا بد فيها من كفر بالطاغوت وإيمان بالله

والثالث الولاء والبراء ركن من أركان التوحيد موالة الله وأولياء الله والبراءة من الشرك والمشركين

ثلاثة أركان بعض العلماء يسمونها أركان لا إلاه إلا الله لا تصح لا إلاه إلا الله من أحد إلا أن يأتي بهذه الثلاثة أركان منها النفي والإثبات

النفي لا إله والإثبات إلا الله

والمقصود نفي جميع الآلهة المعبودة من دون الله ولما تنفيها يستلزم إبطالها والكفر بها وبغضها وإزالتها عند القدرة

"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وإنها لا تستحق ذرة من العبادة

وإلا الله إثبات الألوهية لله عز وجل وحده دون سواه ولو أثبت الألوهية أفردناه بالعبادة بكل أنواع العبادة

فإذا النفي أيضا براءة من جميع المعبودات التي عبدت من دون الله عز وجل.

والإثبات إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادات.

معلوم أن جميع الأنبياء صلوات الله عز وجل عليهم والرسل جاءوا بهذه الدعوة لا إله إلا الله

بنفي الآلهة وبالتالي بطلانها وإثبات الألوهية لله عز وجل وإثبات إخلاص العبادة لله عز وجل

كل دعوة الرسل جاءت على نفي وإثبات وإذا لا تصح كلمة التوحيد بدون الاثنين بدون النفي وبدون الإثبات

أي لا يمكن أن يدخل الكافر الإسلام إلا أن يجمع بين نفي وإثبات ينفي كل الآلهة السابقة التي كان يعبدها ويقرها ثم يثبت إلاها واحدا فقط يفرده بالعبادة أي لو نفى فقط ولم يثبت لا يصح ولو أثبت ولم ينفي الباطلة لا يصح أيضا.

يقول ابن تيمية في ذلك:

العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتا لا مدح فيه ولا كمال

فلا بد من نفي آلهة الباطلة وإثبات الألوهية لله عز وجل ولذلك اعتقاد النفي والإثبات الذي دلت عليه كلمة التوحيد

وهذا مع النطق باللسان والنطق باللسان فقط لا يكفي لا بد من الاعتقاد

إذا لا بد من اعتقاد النفي والإثبات مع التلفظ مجرد النطق باللسان لا يعتد به ولا يكون المرء به داخلا في الإسلام

أيضا من النفي والإثبات لا بد أنك تعلم عندما قلنا لا إله أنك تنفي آلهة حقيقية كانت تعبد من دون الله وصرفت لها العبادة من دون الله

نعم كان هناك أصنام وأحجار وأشجار وطواغيت عبدت من دون الله وجعلت آلهة

لأن هناك من قال أن النفي ليس نفي حقيقي لآلهة عبدت من دون الله

قالوا لا إله إلا الله قد لا يوجد آلهة في الخارج هذا شيء في النية في الذهن فقط أما لا توجد آلهة حقيقية عبدت ونحن ننفيها

كأنك تقول لا شمس إلا الشمس لا قمر إلا القمر ليوصلك أنك تثبت فقط أنه هناك إله ولكن ليس معناه أن هناك آلهة أخرى تنفيها

ينفي أن هناك آلهة تنفى ويجعلها في الذهن فقط وأن فقط المستثنى هو الله الذي تريد أن تثبته

لا هذا خطأ والصحيح أننا ننفي آلهة حقيقية كانت تعبد من دون الله ولا بد ليصح اعتقاد المرء أن يعتقد أن لا آلهة أخرى تعبد

ولو كان هو يعبد آلهة أخرى لا بد أن يتبرأ منها ويعتقد بطلانها ويثبت الألوهية لله عز وجل وهذا معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله

(فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ)

لا بد من كفر بالطاغوت وإيمان بالله لا بد من براءة من الأوثان وولاء لله عز وجل

إذا من قال أن المنفي هذا شيء كلي وفي الذهن فقط "وهذا قاله أفلاطون والفلاسفة"

فنقول هذا الكلام مردود لا يصح إذا أنت لم تنف لا طاغوت ولا وثن ولا آلهة أخرى ولا شيء هذا يقدح أصلا في صحة لا إلاه إلا الله

وهذا ليس بمنطق معنى أنك تنفي الكلية وتقول هي في الذهن كأنك تقول لا شمس إلا الشمس إذا ما لازم ذلك. تقول .....

انتهت المحاضرة بفضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة الثالثة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة

ولازلنا في المحاضرة الأولى في القواعد الخاصة بدراسة العقيدة

كنا تكلمنا الإسبوع الماضي عن قواعد خاصة بأنواع التوحيد والقواعد الخاصة بأصل التوحيد

إن شاء الله اليوم الكلام عن قواعد الخاصة بأصل التوحيد

وقاعدة وهي القاعدة الأولى سنتكلم عن كفر بالطاغوت والإيمان بالله

والقاعدة الثانية والقاعدة من الأهمية بمكان

القاعدة الأولي :

وهي قاعدة محبة الله أصل الدين والمحبة فيه وله تبع لمحبته والمحبة معه تضاده وتناقضه

هذه قواعد في أصل التوحيد وأركان وغيره

وكنا قد بينا الإسبوع الماضي أيضاً من أركان التوحيد (لا إله إلا الله)

نفي وإثبات

وقد تكلمنا عنها في قاعدة الإسبوع الماضي

وولاء وبلاء وكفر وإيمان

حتى يحقق المرء لا إله إلا الله صحيحة لابد أن يأتي بهذه الأركان

ينفي جميع الآلهة ويثبت الإله الواحد فقط المستحق للعبادة هو الله عز وجل

ويوالي أولياء الله ويتبرأ ممن تبرأ منه الله عز وجل يوالي أهل الإيمان

ويتبرأ لأهل الكفر

كما جاء في قوله تعالى: **(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ)**[الممتحنة : 4]

والركن الثالث وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله

لا يستقيم تحقيق لا إله إلا الله

إلا بقوله تعالى: **(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)** [البقرة: 256]

لذلك علماؤنا قعدوا قاعدة الكفر بالطاغوت ركن التوحيد

وهذه محل الكلام عنها الآن

وأيضاً نبين المفردات:

الطاغوت من طغى وهو له عدة تفسيرات ومعاني تجتمع أن الطاغوت من طغى وهو معنى واحد وهو مجاوزة الحد في العصيان

كل من جاوز حده في العصيان فهو طاغي

طغى طاغ طغيان

وتعددت أقوال أهل العلم في معنى الطاغوت :

- منها يقول عمر رضي الله عنه وأرضاه وابن عباس رضي الله عنهما أن الطاغوت هو الشيطان وقال كذلك أيضاً المجاهد وقتادة والشعبي

-وقيل هو كاهن وقيل هو الساحر قال به أبو العلاء وقيل الأصنام وقيل مردة الإنس وكل ما يطغى، وكل هذه التفسيرات تفسيرات بأفراد أو أنواع الطاغوت

وإلا فالطاغوت يطلق على كل من طغى وتجاوز حده بعبادة أو طاعة كما سيأتي الآن من تعريفات ابن القيم وغيره

طاغوت كل من طغى وتجاوز حده بعبادة أو طاعة

قال الإمام مالك الطاغوت كل من عبد من دون الله من صنم أو كاهن أو ساحر أو كيفما صرفت له

وأيضاً الإمام الطبري قال أن الطاغوت كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده – أي يقهره على العبادة- أو بطاعة ممن عبده له

إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو حجراً أو وثناً أو جناً أوإنساً إلى غير ذلك

ثم نأتي لتعريف ابن القيم وهذا الذي اشتهر كثيراً ويحفظ

أن الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع

سواء عبد من دون الله أو اتبع في غير مرضاة الله أو طاعوه بغير ما أمر به الله عز وجل

قال طاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه من غير الله ورسوله

(ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ) [التوبة : 31]

يتحاكمون إليهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فجعلوهم طواغيت من دون الله عز وجل، فقد يكون هنا الطاغوت أن يتحاكموا إلي من لا يتحاكم إلى الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، كل هذه طواغيت ومن اتبعه فقد اتبع الطاغوت

وتختلف أحوال الناس بإتباعهم للطاغوت سواء بالعبادة أو بالإتباع أو الطاعة أوغير ذلك

يبقى كل ما تكلمنا عنه من خلال كلام السلف أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ورسوله سواء كان هذا الطاغوت جن إنس حجر فأنت بذلك متبع للطاغوت

يبقى الطاغوت اسم جنس يشمل كل ما تجاوز به المخلوق حده

أنت أصلاً مخلوق عبد لله فلو تجاوزت هذا الحد تكون طاغوتاً لوتجاوزت حدك فأمرت الناس أن يتبعونك أويطيعونك أو يعبدونك من دون الله عز وجل

فمن صرف لنفسه أو لغيره شيء من خصائص الربوبية أو الألوهية مما تفرد الله عز وجل به تعالى أو نسب إليه شيء من هذه الخصائص فرضي ولم ينكرها فهذا من الطاغوت وكل ما عبد من دون الله أيضاً من الطاغوت وكل من تسبب في ضلال الناس وصدهم عن الله فهو من الطاغوت سواء

كان من شياطين الجن أو الإنس وكل من أفسد على الناس فطرتهم التي خلقها الله عز وجل عليهم وغير دينهم فهو من الطاغوت

لذلك البعض رجع إلى قول عمر رضي الله عنه أن الطاغوت هو الشيطان لأن الشيطان هو الذي يدعو إلى ذلك كله

الشيطان هو الداعي في الأصل إلى عبادة ما عبد من دون الله

كل ما عبد من دون الله ستجد الشيطان يدعو إلى ذلك ويوقع الناس بذلك لأن هو الذي يسول لهم ويزين لهم الكفر من دون الله

قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) [مريم : 83]

فمن عبد غير الله كائناً من كان فإنه في الحقيقة قد عبد الشيطان اتبع الشيطان

{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [يس : 60]

لا يشترط أن يعبده بأن يصرف إليه عبادة صريحة

لا

لو اتبع الشيطان فيما زينه له فقد عبد الشيطان

وقد كان يدعو ابراهيم عليه السلام قومه

(وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا) [مريم : 41-42]

فالشيطان هو أصل الطغيان في الأرض، لذلك كل من طغى وتجاوز الحد فالشيطان إمامه وقائده في ذلك هو الشيطان ويستمد الطغيان هذا والكفر من الشيطان، لذلك الطاغوت الأكبر هو الشيطان

هذا كله كنا في تعريف ما معها تعريف الطاغوت

هذه القاعدة ما معناها؟

هي تبين أن من أركان التوحيد الكفر بالطاغوت بل هو أصل من أصول الإسلام كما بينا

لأنه إن لم يكفر بالطاغوت وكان عنده إيمان به أو ببعضه فسيكون على النقيض ولا يبقى مع الإيمان بالطاغوت إسلام ولا دين

من آمن بالطاغوت ولم يكفر به فلا يمكن أن يجتمع هذا مع الإسلام ومع الدين

لأن هذا أصل أصيل وأساس متين تقوم عليه ركن أو يقوم عليه شهادة لا إله إلا الله مع النفي والإثبات (الكفر بالطاغوت والإيمان بالله)

ولا يمكن أن ينجو المرء ولا يسعد لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالكفر بالطاغوت لأن هذا هو الإخلاص النفي والإثبات (كفر بالطاغوت وإيمان بالله)

طب كيف يكفر بالطاغوت؟ يكفر بالإعتقاد وبالقول وبالعمل

يعتقد جميع بطلان الآلهة وينتقد جميع بطلان المعبودات التي تعبد من دون الله أيا كان

انتبهوا يعتقد ذلك مش يقر أن هناك آلهة أخرى وكل واحد حر أوفي أديان أخرى وفي كل واحد سيحاسبه الله وإنا لا نعلم الحق ويوم القيامة سنعلم

لابد يعتقد بطلان جميع الآلهة والمعبودات من دون الله وأنها لا تملك خيراً ولا شراً ولا نصراً ولا عزاً

وكل عبادة صرفت لهذا الطاغوت لابد أن يعتقد ببطلانها

الإعتقاد في الكفر بالطاغوت لابد أن يضاف إليه بغض الشرك وعداوة أهله وأنصار الشرك

لابد أن يقابل مع الإعتقاد أن يكون هناك بغض للشرك وأهل الشرك وأنصار أهل الشرك

ولابد أن يتبرأ منه، بل مع هذا الإعتقاد لابد أن يصارح أيضاً بلسانه بذلك أنه ينفي المعبودات من دون الله عز وجل ينفيها نفياً قاطعاً جازماً وأنها ليس لها أدنى مثقال من الحق

لا في الألوهية ولا في العبادة ولا في تعظيم ولا في شيء من دون الله عز وجل ثم بعد ذلك يلزمه اجتناب المعبودات من دون الله بعد أن يعتقد بقلبه ويصرح بلسانه لابد أن يجتنب المعبودات من دون الله ويفارقها ويجاهدها ويجاهد أهلها بالقول وبالعمل وبالإزالة باليد عند القدرة بضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا كله معنى الكفر بالطاغوت

أصل هذه القاعدة وأدلتها من قوله تعالى في سورة البقرة

(فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ) [البقرة: 256]

دلالة الآية قال ايش؟ فمن يكفر بالطاغوت

كفرعام كفر بالطاغوت قولاً وعملاً واعتقاداً، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله لأن لابد الإيمان بالله كفر بالطاغوت لا تنفع فقط الإيمان بالله بدون كفر بالطاغوت كالنفي والإثبات

(فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا)

العروة الوثقى كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله

لذلك كان الكفر بالطاغوت ركن من أركان لا إله إلا الله، ركن من أركان الإيمان

لا يصح الإيمان والتوحيد إذا لم يتقدمه كفر بالطاغوت بل هو أصلاً لا يتصور وجود إيمان صحيح وتوحيد نافع بدون هذا الركن من أركان التوحيد

كفر بالطاغوت وإيمان بالله لا ينفكان عن بعضهما البعض

هذا دليل القاعدة من الكتاب ودليل القاعدة من السنة

الحديث

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"من قال لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ من دون الله حَرُمَ مالُه ودمُه وحِسابُه على الله"**

إذاً ليست المسألة أنك تقول لا إله إلا الله فقط، لابد أن تكفر بما يعبد من دون الله، وتصرح كما بينا، تعتقد وتصرح وتجتنب وتبغض كل هذا.

جعل النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا القول ليس القول فقط بل الكفر بما يعبد من دون الله هو الذي عاصم من المال والدم، قال وحسابه على الله.

إذاً لابد من معرفة لا إله إلا الله والتلفظ بها، والإقرار بها، والدعوة إليها. لكن هذا كله لا يكفي ليحرم المال والدم حتى يضاف إليها الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لا يحرم ماله ولا دمه.

(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ)،

فهذه أدلة القاعدة من الكتاب ومن السنة.

***فائدة هذه القاعدة وتطبيقاتها:**

1) - أول شيء من فائدة هذه القاعدة عدم صحة الإيمان والتوحيد بدون تحقيق الكفر بالطاغوت، يبقى من لم يحقق هذا الركن لا يصح إيمانه

لأنه من الأركان ما دام قلنا من الأركان فالركن هو ما كان في ماهية الشيء، إذا لم يوجد لا يوجد الشيء، وإذا وجد وجد الشيء مع باقي أركانه.

فإذا لم يوجد هذا الركن كأن الإيمان غير موجود، لا يوجد إيمان شرعي في قلبه إن لم يكفر بالطاغوت. يبقى أول شيء عدم الصحة.

2) - ثانياً، إن الكفر بالطاغوت شرط في صحة الإيمان تلازماً، يعني تلازم كلي لا ينفك أبداً.

تكلمنا عن التلازم الأسبوع الماضي حتى ما أعيد.

يعني إذاً الكفر بالطاغوت متلازم لا ينفك

الإيمان الشرعي الصحيح بالله عز وجل يضاف إليه بغض الطواغيت وعداوتهم، تلازم لا ينفكان. وهذه من الآية.

3) - الأمر الثالث من فوائد القاعدة بعد الشرح هذا، أن تحقيق الكفر بالطاغوت يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، لكن في مسألة مهمة وقع فيها البعض، هو قلنا تحقيق الكفر بالطاغوت يكون بالقلب واللسان والجوارح، لكن لا يلزم من تحقيق الكفر إزالته عن الوجود، يعني لا يلزم من تحقيق الكفر بالطاغوت إزالته عن الوجود. وهذا الذي وقع فيه البعض، أنهم لم يفرقوا بين الاعتقاد بالكفر بالطاغوت قولاً واعتقاداً وعملاً وأنك قد تعتقد وتقول وتفعل لكن لا يلزم منه أنك تزيله من الوجود.

ان كنت طبعاً لو أضفت إلى ذلك إمكانية إزالته، فهذا أعظم القربات وأجلّ الطاعات وهو مطلوب شرعي، لأن وجود الطواغيت وعبادتهم شر مستطير وفتنة عظيمة، لكن المسألة هذه على حسب القدرة والاستطاعة.

لما غالى فيها البعض وظنوا أن هذا من وجوب الإيمان أو من وجوب الكفر بالطاغوت أنك لابد تزيله وأصروا على ذلك فوقعوا في مفسدة أعظم، فلم ينتبهوا أن هناك فرق بين الكفر بالطاغوت، تحقيقه أنك تعتقد وتعمل وتقول، لكن ليس من تحقيقه أنك لابد أن تزيله.

وإلا قد وُجد حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً في أيام الجاهلية، وقريش كانت تعبدها من دون الله، والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم يدعوهم إلى التوحيد ولا يستطيع أن يزيلهم، إلى أن من الله عز وجل عليه وفتح مكة بعد ذلك، بتمن سنوات من بعد الهجرة وجلس ثلاثة عشر سنة في مكة يدعوهم مع وجود الأصنام، لأن المسألة مش في إزالة الوجود، هو كان يدعو ويبين لكن ما كان يستطيع الإزالة وقتها، ومع ذلك هو مؤمن بالله وكافر بالطاغوت وكل من آمن من الصحابة معه كانوا محققين لذلك مع عدم قدرتهم على الإزالة.

لكن لم يكتفوا باعتقاد ولا قول ولا فعل.

إذاً الأصل أنك تحقق هذا الاعتقاد والكفر بالطاغوت وتترك عبادة الطواغيت وتنبذها وتتبرأ، ولتسفه أهلهم أيضاً وتبين فقر هذه الآلهة وضعفها من دون أنها تنفع ولا تضر وتبين ذلك للناس ومع ذلك كان يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم يستطع أن يتعرض للهدم والكسر والإزالة، ليش؟ لعدم القدرة فقط.

ولما استطاع أزال، لما دخل مكة أزال، بل لما جاء الحج في العام التاسع لأبي بكر وأرسل الله آيات سورة براءة، أرسل علي رضي الله عنه وأرضاه إلى أبي بكر يأمر أن المشركين يخرجوا من الحرم وأنهم لن يحجوا بعد عامهم هذا، وأنه لا يمكن أن يطوف بالبيت عريان ولا كافر ولا مشرك وما إلى ذلك، لما حدث التمكن والقدرة، فأزال بذلك.

إذاً في أول الدعوة لم يستطع مع إنه كان محقق، لأن البعض قلت يخلط، ويتهم البعض الذي هو محقق للكفر بالطاغوت والإيمان بالله على أنه لا يستطيع الإزالة بأنه غير محقق، وقلت وقع فيها بعض الأغراب بعدم التفرقة، وأنا أؤكد عليها لأنها واقع مشاهد حديث.

إذاً هو ليس المراد في الإخلاص لا إله إلا الله أو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله نفي من وجود الأوثان والأصنام وإلا ستوجد، وقد بين انها ستوجد بل سترجع للجزيرة العربية مرة أخرى. وهذا ليس إقراراً لكن هو إخباراً.

إذاً ليس المراد هو نفي الوجود هو المراد أصلاً فيما نحن مأمورين به، طبعا نفي الوجود ده ثمرة، إنك تزيل المنكر، لكن الأصل الذي أنت مطالب به هو الإنكار، هو إنكار العبادة والكفر بها وعداوتها والتبرؤ منها هذا هو المطلوب.

وهذا معنى قوله تعالى : (وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ)

4) - من لوازم الكفر بالطاغوت الكفر بأهله وأنصاره وبغضهم وعداوتهم والبراءة منهم وجهادهم باللسان والسنان لتكون كلمة الله هي العليا. قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ)

الله عز وجل يمدح إبراهيم ومن كانوا معه قالوا لقومهم إنا براء، تبرأوا، من إيش؟ مما تعبدون من دون الله، وكفرنا بكم يعني تبرأوا وكفروا، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء مع إن أبوه وقومه، حتى قال حتى تؤمنوا بالله وحده. وكل هذه لوازم قلنا الكفر بالطاغوت

وقد قالها إبراهيم عليه السلام أعلنها صريحة في ذلك.

فهذه القاعدة من أهم القواعد التي لابد أن يضبطها طالب العلم ويعلمها تأصيلاً في كلامه عن التوحيد وفي شرحه لركن لا إله إلا الله وبيانه للناس واعتقاده والعمل به والقول به.

هنقف عند هذا القدر للصلاة ثم إن شاء الله نكمل القاعدة الثانية المهمة جداً، وهي قاعدة محبة الله هي أصل الدين

والمحبة فيه أو له تبعا لمحبته، والمحبة معه تضاد وتناقضه إن شاء الله دي تكون بعد الصلاة.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما زلنا في قواعد أصل التوحيد

وانتهينا من قاعدة الكفر بالطاغوت.

القاعدة الثانية:

ندخل في قاعدة جديدة وقاعدة أصيلة جداً من أهم القواعد، سنبين لماذا أدخلناها في أصل التوحيد مع إن البعض قد يقول إن هذه قاعدة من قواعد توحيد العبادة يعني كأي عبادة لكنها حقيقة هي من أصول الدين وهي أصل الدين كله وهي قاعدة محبة الله.

كما قال في العنوان

محبة الله هي أصل الدين، والمحبة فيه أو له تبعاً لمحبته، والمحبة معه تضاده وتناقضه.

فالمحبة اصلا مشتقة لغةً من (حبّ)، يقال أحبه وحبه حباً ومحبة، وكلها معاني واحدة مشتقة من أصل اللفظ حبّ.

واجتهد كثير من العلماء في تعاريف المحبة أو حبّ، وحقيقة هو كل اجتهادهم كان في بيان أسباب المحبة وشروط المحبة وثمرات المحبة

أما تعريفها فهي يعني كما قال ابن القيم: إن كل لفظ يعبر به عن الشيء لابد أن يكون ألطف وأرق منه، والمحبة ألطف وأرق من كل ما يعبر عنها.

لذلك ما استطاعوا أن يصلوا إلى تعريف للمحبة لأنها من الأمور القلبية التي عُلمت، يعني حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد، يصعب جداً أن يكون لها حد، لكن يعرفها من قامت به وجدانه، لا يمكن التعبير عنها.

لذلك ابن القيم يقول في معنى المحبة: فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها.

لذلك هو أيضا ابن القيم اجتهد كثيراً في بيان معاني وربطها بالمحبة، فأخرج لنا خمس معاني قال إن مادة حبّ في اللغة تدور على خمسة أشياء:

- **الأول:** الصفاء والبياض
- **والثاني:** العلو والظهور
- **والثالث:** اللزوم والثبات
- **الرابع:** اللُب
- **الخامس:** الحفظ والإمساك

قال هذه المعاني الخمس يدور حولها أو ترتبط ارتباطاً بمعنى حب في اللغة، فيقول الإمام ابن القيم في ذلك الصفاء والبياض، العلو والظهور، اللزوم والثبات، اللب، الحفظ والامساك. قال هذه الخمسة من لوازم المحبة.

ثم بين كلاماً بديعاً انقله كما قال: فإنها صفاء المودة من الأولى، وهيجان إرادة القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه، لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزوماً لا تفارقه، ولإعطاء المحب محبوبه لبه، وأشرف ما عنده وقلبه، ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه.

كلام هو كله يعني يُراجع تسمعوه هو أجمل فيه خمسة أمور التي في المحبة، لابد يكون فيها حقاً صفاء وبياض، لابد للمحبة أن تظهر وتعلو، يشعر بها المحبوب الذي يحبه غيره، لابد فيها من المحبة اللزوم والثبات، أن لو أحب شيء يلزم في هذا المحبة ويثبت على هذا الحب ولا يكون متقطعاً، وإن حبه لابد يعطيه قلبه هو اللب، لأن هذا هو أصل العبادة، أصلاً المحبة عبادة قلبية فلابد فيها من القلب.

ثم الحفظ والإمساك أن يحفظ نفسه ويمسكها على هذا الحب. وهذا كلام طبعاً من إمام كبير وهو ابن القيم في هذا الباب.

طيب هذا كله في المحبة في اللغة، ما معنى المحبة في الشرع؟ معناها في الشرع، احنا ندخل الى ما نريد في التوحيد لكن لابد أيضاً إننا نستشعر معنى هذه المفردات في لغة العرب.

قالوا في معناها في الشرع: ميل مخصوص يقود إلى طاعة المحبوب وتعظيمه وابتغاء مرضاته والبعد عما يغضبه ويسخطه.

ميل مخصوص في الشرع بقى، ولا تكون إلا لله، يقود إلى طاعة المحبوب وتعظيمه وابتغاء مرضاته والبعد عما يغضبه ويسخطه.

لذلك ابن القيم أيضاً يقول: لما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب كان هذا الميل حاملاً على طاعته وتعظيمه، وكلما كان الميل أقوى كانت الطاعة أتم والتعظيم أوفر.

هنا بقى ندخل إلى ما نريده، وهذا الميل يلازم الإيمان بل هو روح الإيمان ولب الإيمان، فيقول: فأي شيء يكون أعلى من أمر يتضمن أن يكون الله سبحانه أحب الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة؟

وهنا الذي أردناه في القاعدة أن المحبة كما سيأتي ملازمة للإيمان، بل هي روح الإيمان، هي أصل الإيمان.

والمحبة أصلها ليست من الأمور المحسوسة هي من الأمور القلبية، وجدان.

طيب كان هذا تعريف المحبة لغةً وشرعاً.

لكن ما معنى القاعدة التي قلناها؟ وهي التي قلنا فيها بأن محبة الله أصل الدين، طيب والمحبة فيه أو له تبعاً لمحبته، ثم الجزء الثاني، والمحبة معه تضاده وتناقضه.

هذه القاعدة تتكلم عن المحبة الدينية لذلك سنقسم المحبة الى ثلاثة أقسام أولاً حتى نستطيع أن نأخذ القسم الذي نريده من القاعدة.

المحبة تنقسم من حيث تعلقها الى ثلاثة أقسام:

أ) **القسم الأول :**

محبة دينية شرعية، وهذه تتعلق بالله تبارك وتعالى، وهي على نوعين:

1- الأولي محبة أصلية : - ده النوع الأول من الدينية الشرعية - تتعلق بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. هذا يظهر لكم تعلق القاعدة بما نريده في التوحيد

2- والثانية محبة تابعة تتعلق بمحبوبات الرب تعالى.

يعني الأولى وهي الأصلية في المحبة الدينية الشرعية أنك تتعلق بذات الله، حبك لذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم هناك محبة تابعة وأنك تحب ما يحبه الله، تحب محبوبات الله، الرسل والأنبياء والصالحين والعلماء إلى غير ذلك، وسيأتي الكلام.

هذا القسم الأول اللي هي المحبة الدينية الشرعية.

ب) القسم الثاني :

محبة دينية غير شرعية, وهي المحبة مع الله.

القسم الأول تجد نصف القاعدة الأول، اللي هو المحبة ركن الدين والمحبة له وبه، أو محبة فيه وله، هذا القسم الأول الديني الشرعي.

القسم الثاني الديني غير شرعي المحبة معه، وهذه محبة شركية أنك تحب مع الله غير الله

لكن هي أيضاً على نوعين:

1- **محبة شركية**: تقدح في أصل التوحيد وتضاد التوحيد وتناقض التوحيد، بل تذهب التوحيد بالكلية، ويخرج المرء بسببها عن الدين ويكون كافراً بالله العظيم.

2- والثاني من المحبة الدينية غير الشرعية محبة محرمة هي دون الشركية، تقدح في كمال التوحيد الواجب وتنقص من كمال الإخلاص لكنها لا تخرج من الإسلام.

ج) والقسم الثالث من أنواع المحبة: محبة طبيعية خلقها الله عز وجل في قلوب العباد وجبل العباد عليها، وهذه إذا لم تؤدي إلى الخير ولم تتسبب في شر فلا يتعلق بها لا ثواب ولا عقاب وهي على المباح، لكن إن أدت إلى خير فدخلت في المستحب، وإن أدت إلى شر إما دخلت في المحرم أو في المكروه. لكن هي محبة طبيعية جبلية.

طيب هذه أنواع المحبة سنتكلم تفصيلاً إن شاء الله أيضاً ما زلنا في القاعدة المهمة.

القاعدة التي معنا تشير إلى القسم الأول والثاني التي هي المحبة الدينية، يعنينا في القاعدة هنا المحبة الدينية سواء كانت شرعية أو غير شرعية. فالمحبة الدينية الشرعية أصلها محبة الرب سبحانه وتعالى، هو الأصل الذي تبنى عليه جميع المحاب بعد ذلك.

وهو الأساس الذي يقوم عليه دين الإسلام.

لتعلموا لماذا القاعدة هذه من أركان التوحيد أو من أساس التوحيد، لأن هي المحبة الدينية الشرعية ومحبة الله عز وجل لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله أصل كل خير في الدنيا والآخرة.

ابن تيمية رحمة الله عليه يقول: إن جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله عز وجل.

إذاً العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً، بل جميع الأعمال الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله.

وطبعا يتفاوت الناس في هذه المحبة لكي تتفاوت الأعمال، و يتفاوت الإخلاص في العمل الواحد بقدر تفاوت المحبة لله عز وجل.

قالوا إذاً فنفس محبة المرء لله أصل لعبادته، فلما كان أصل العبادة محبة المرء لله كذلك أصل الشرك الإشراك في المحبة مع الله عز وجل.

بل أعظم غاية وأجل مقام وأكبر أصل وأعلى درجة لا يحصل عليه المرء إلا بعد إدراك المحبة هذه. فكل هذا من ثمرات المحبة، كل ما يكون للمرء من مقامات أو غايات أو شيء أو أصول أو درجات عليا يدركها بعد أن يكون أدرك المحبة أولاً. لأن كل هذا ثمرة من ثمرات المحبة وتابع من توابع المحبة، كالشوق والأنس والرضا والإنابة والتوكل إلى غير ذلك.

وكمان لو كان من مقدمة المحبة كالتوبة والصبر والزهد أولاً ثم يأتي بعد ذلك يدخل في المحبة.

لذلك محبة الله عز وجل أصل الدين وأساس الملل جميعاً، لا يقوم دين ولا يصح إيمان بدون هذه المحبة، هي أصل المحبة والباقي تبع لها.

أما المحبة مع الله فأن تحب غيره سبحانه وتعالى معه محبة ذاتية، يعني تحب مع الله أحد محبة لذاته.

إما تكون هذه المحبة من نفس نوع المحبة التي تستوجب العبادة لله وفيها ذل وخضوع للمعبود وكمان تعظيم وانقياد له، هذه محبة شركية وهذه تخرج المرء من الإسلام وتوقعه في الشرك الأكبر. لا يبقى معه ذرة من الإيمان إن وصل والعياذ بالله إلى هذه المحبة الشركية، لأن بوجود هذه المحبة يزول أصل الإيمان. تلازم بين المحبة الشركية أصل الشرك هذه التي فيها محبة مع الله في الضوابط التي قلناها وبين أصل الإيمان والتوحيد.

لذلك كل من وقع في المحبة الشركية مع الله قد صرف عبادات لغير الله عز وجل، أو صرف صفات لا تكون إلا لله لا تكون لغيره.

يعني ممكن تجده يظن أن هذا يعرف من الغيب ما لا يعلمه إلا الله، فصرف أهو لمن يعبده الغيب، مش لازم إنه يذبح ونذر له في كل شيء، لا ده ممكن يعطيه صفات لا تكون إلا لله، كأنه يعرف الغيب، كأنه يستقل بالنفع والضر، وهذا كله شرك فين؟ في الربوبية.

أو يدعوه من دون الله فيذبح له ويدعوه ويتوسل إليه وغير ذلك.

فإما يعتقد فيه صفات من صفات الرب أو تميل القلب بحيث إنه يصرف له عبادة من العبادات التي لا تكون إلا لله أو العبادات لا تكون إلا لله أصلاً، أو يقع في بعض حتى العبادات القلبية، الخوف والخضوع والذل وهذا كله لا يكون إلا لله، فان صرفه لغير الله وقع في المحبة الشركية الأصلية التي يخرج بها عن الإسلام.

حتى لو كان ذلك في أولياء الله بل في رسل الله إن ظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب فقد أعطى للرسول ما لا يعطى إلا لله، وهذا الذي وقع فيه بعض المتصوفة المبتدعة الذين تكلموا في النبي صلى الله عليه وسلم وغالوا فيه حتى ألهوه كما فعلت النصارى، فكان هذا محبة شركية، وهذه المحبة الشركية التي تقدح في أصل التوحيد.

وهناك المحبة الدينية الغير شرعية اللي هي أقل من الشركية اللي هي أيضا يحب فيها غير الله، لكن هذه المحبة تؤدي إلى ترك الأوامر وتضييع واجبات، أو يرتكب منكرات، أو يحب النفس عن غيرها، أو يحب الهوى أو الشيطان، يعني يؤثر محبة النفس والهوى وغيره مما يجعله يترك فعل الواجبات أو يفعل منكرات أو يضيع الأوامر، هذه المحبة لا يزول الإيمان بها، يعني لا يكفر بها المرء، هذه دون الشركية، لكنه ينقص به كمال الإيمان الواجب، وهذه مؤشر إلى الضعف في محبة الله، وطبعا سنأتي بالاستدلال على هذه القاعدة من الآيات.

لكن احنا بنوصل التقسيمات هذه، فيبين ذلك بأن حقيقة الإلهية وحقيقة كلمة التوحيد أن المحبة الشرعية لا تكون إلا لله، ولذلك المحبة الشرعية فيها أمور تتميز عن باقي المحبات أو باقي المحاب، **يعني المحبة الدينية الشرعية تتميز بأمور عن باقي المحاب:**

1- منها قدر هذه المحبة لا نهاية له، المحبة الدينية اللي هي محبة الله أن يحب المرء الله أو يحب العبد الله عز وجل، قدر هذه المحبة لا نهاية له، مهما بلغ العبد من محبة الله الشرعية ما بلغ، فإن ما يستحقه الله عز وجل من المحبة والتعظيم لكماله وجلاله وقدره فوق ذلك بكثير،

إذاً لا حدود له. فهذا في القدر.

2- الأمر الثاني في هذه المحبة، في صفات المحبة، صفة هذه المحبة التي هي لله، الدينية الشرعية مستلزمة لصفات لا تكون إلا فيها،

مستلزمة للذل والخضوع للخوف للرجاء للطاعة الكاملة والانقياد التام لله عز وجل، وهذه لا تكون إلا في هذه المحبة.

3- ثالثاً في أن هذه المحبة يجب فيها الإفراد لله عز وجل، لا يمكن أن يفرد غير الله في هذه المحبة، ولا يمكن أن يشرك أحد من البشر في هذا النوع من المحبة مهما بلغ من الصلاح، نبياً مرسل أو حتى ملكاً مقرباً أو أي ما كان من قدره في الدنيا ما دام مخلوقاً لا يمكن أن يدخل في هذه المحبة. وجوب الإفراد لله عز وجل في هذه المحبة، وهذا الذي جعل الله عز وجل أنكر على المشركين أنهم

اتخذوا أنداداً أحبوهم كحبهم لله أو مع الله أو أحبوهم كحب - في التفسير الثاني - أهل الإيمان لله، فأنكر عليهم ذلك، وجعلها شركاً.

أما القسم الأخير في المسألة، المحبة الطبيعية ليس يعنينا في القاعدة، لكن نعرج عليها لمعرفة الفرق بين المحبة الطبيعية والمحبة الدينية الشرعية وغير الشرعية،

الثالثة وهي المحبة الطبيعية وهي المحبة الفطرية، وهي التي تلائم طبع الإنسان، جبله الله عز وجل عليها، وفيها منافع وفيها مقاصد شرعية أيضاً وفيها حكم، لكن قد يدخل فيها - في هذه المحبة الطبيعية - ما يكون محموداً وقد يدخل فيها ما يكون مذموماً، على حسب النية والقصد في هذه المحبة وما تؤول إليه، قد تؤول إلى شيء محمود فيثاب عليها المرء، و قد تؤدي إلى شيء مذموم فيستحق عليها العقاب، طب وإن لم تؤدي لا إلى مذموم ولا محمود؟ كانت من المباح التي ليس فيها ثواب ولا عقاب. بعض أهل العلم يسمون هذا النوع حتى لو وجدتوه في الكتب المحبة المشتركة، يعني ايش مشتركة؟ قالوا يشترك فيها جميع الخلق، كل الخلق يشتركون في هذه المحبة الفطرية الجبلية، سموها الطبيعية أياً كانت لكن سموها كأنها مشتركة، يشترك فيها جميع الخلق.

لذلك جعلوها القسم الأول يسموه المحبة الخاصة التي هي بين المحبة الدينية مع الله يسموها محبة خاصة، لا تكون إلا لله ولا يختص بها إلا بعض الناس، لا تكون لكل الناس، دي درجات.

وأما المحبة المشتركة فهي مقابل المحبة الخاصة، يعني هي يشترك فيها الناس كلها، كحب الغذاء الأكل والشرب، حب النساء، حب إلى غير ذلك من المتاع الدنيا التي أباح الله عز وجل، وهذه لابد أن تكون موجودة للناس، يعني لو لم يحب الطعام وتوقف لتضيع النفس وقد أمرنا بحفظ النفس بالطعام والشراب، إن لم يحب النساء ويتزوج ينقطع النسل وحفظ النسل أيضاً من مقاصد الشريعة.

فكل هذه المحبة اللي هي تسمى المشتركة، يعني كما بينا هي أنواع أيضاً، بعضهم قال ثلاثة أنواع أو بعضها زاد، لكن هو قالوا:

1- محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء، وهذه لا تستلزم لا تعظيم ولا شيء.

2- المحبة الثانية المحبة الجبلية، محبة الرفق الرحمة والشفقة كمحبة الوالد لولده والأم لابنها وغير ذلك، وهذه أيضاً لا تستلزم تعظيماً،

محبة شفقة.

3- والثالثة محبة الأنس والألفة، وهي محبة بعض الناس، مجموعات من الطلاب في مدرسة، أصحاب حرفة واحدة، جيران في منطقة، أهل مثلاً يشتركون في صنعة معينة، في علم معين، في رفقة سفر، في تجارة، هذه تسمى محبة الأنس والألفة، كمحبة الأخوة لبعضهم البعض و الأخوات بعضهم لبعض هذه أيضاً كلها ليست شركاً وليس فيها شيء هذه من المحبة المشتركة من أنواع المحبة، وقد ثبت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب العسل ويحب الشئ الحلو صلى الله عليه وسلم وكان يحب إليه الحلو البارد الشراب الحلو البارد أيضاً وكان يحب من اللحم الذراع أو الكتف وكان يحب النساء ومن نساء أحب عائشة رضي الله عنها وأرضاها وصرح بذلك وكان يحب أصحابه ومن أصحابه أحب الصديق رضي الله عنه وصرح بذلك أيضاً، فإذا هذه كلها ثبتت أنه جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بها العلماء وهذا ليس محله أصلاً لكن هذا نوع من أنواع المحبة لكن ليس محل القاعدة التي نتكلم عنها لأن ضابطنا في القاعدة أننا نريد أن نبرز أهمية المحبة الدينية وأنها ركن والمحبة الشركية وأنها تناقض أصل التوحيد أو المحبة الدينية غير الشركية التي هي غير الشرعية والتي تقدح في كمال التوحيد

طيب ملخص ما قلنا الآن أنها تقسيمات ثلاثية

1-محبة دينية شرعية على قسمين

2-محبة دينية غير شرعية على نوعين

3-محبة جبلية أو طبيعية أو مشتركة ممثلة فيها بثلاثة أنواع

لو أخذنا الدينية وهذا الذي يهمنا الآن التي سواء كانت دينية شرعية أو غير شرعية

ستجد لو أردت أن تلخصها في أربع أنواع :

1-محبة هي أصل الدين وأساس الإسلام وهي قاعدة الإيمان وهي التي تقوم عليها جميع الأعمال الإيمانية الظاهرة والباطنة

وهذا المحبة الأولى

2-الثانية محبة شركية تناقضها وهي أصل الشرك وأساس الكفر بل ما أشرك أحد في الأرض من أهل الأرض إلا وقد وقع في هذه المحبة الشركية وينهدم بهذه المحبة الإيمان

3- الثالث محبة واجبة تبعث على فعل واجبات وترك المحرمات وهذه كأنها الثانية من النوع الأول في الدين الذي هو الشرعي

4- الرابعة محبة محرمة تبعث على فعل المحرمات وترك الواجبات وهي النوع الثاني من المحبة الدينية غير الشرعية

فأصبح كأنهم أربعة اللي موجودين

طيب ما الأدلة على هذه القاعدة؟

قلنا لابد ونحن نتكلم في التوحيد ولابد لنا من أدلة

1- أولاً قول الله عز وجل (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ)

الآية هذه أشارت إلى المحبتين الأصليتين سواء أصل التوحيد أو أصل الشرك

الأولى لو قلنا محبة المؤمنين لربهم نبدأ بالإيمان يعني، لأنه قال (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ)

هل المحبة للذين آمنوا محبة شرعية تستلزم الخضوع والإلتزام والتأليه لله عز وجل وكمال الذل والطاعة؟

هذا أصل الإيمان وأصل الإسلام إن صرفت لغير الله كانت أحب الشركية

والمحبة الثانية في الآية (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ)

جعلوهم آلهة أحبوهم أي أحبوا آلهتهم كمحبة المؤمنين على تفسير لله نفس المحبة يعني جعلوا محبة الأنداد كمحبة المؤمنين لله فسووا بين المحبة، لكن هذه محبة أهل الإيمان محبة شرعية ومحبة أهل الكفر للأنداد محبة شركية لذلك الله عز وجل أنكر عليه الدليل

وفي تفسير أن أهل الكفر أحبوا مع الله ، أحبوا الله وأحبوا مع الله أنداداً جعلوا نفس المحبة التي كانت لله منهم، جعلوا نفس المحبة هذه للأنداد فسووا وأشركوا مع الله محبة أخرى

وطبعاً هذا الكلام كله في المحبة الدينية

التي هي كانت تستلزم وقوع الذل لغير الله والخضوع لغير الله والتأليه لغير الله وهذه التي تسمى المحبة الشركية

التي هي استدل بها على هذه القاعدة بأن المحبة أصل إما تكون في التوحيد وإما تكون في الشرك

2- أيضاً من الأدلة على هذه القاعدة آيات سورة الشعراء (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ، فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ، قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [الشعراء : 92-98]

تفسير نسويكم ليس كانت التسوية هنا في صرف عبادة ظاهرة لا ساووه في المحبة أحبوه كما يحب الله عز وجل عظموهم كما يعظمون الله عز وجل خضعوا لهم كما كان يكون الخضوع لله، فحكم الله عز وجل عليهم بالشرك والخلود في النار بسبب هذه المحبة الشركية

3- من الأدلة على القاعدة من قوله ذلك (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ، فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ) محمد : 26-28]

انتبهوا في الآية (ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ) فأثبت لهم ايش؟ أنهم كرهوا ما أحبوا الله عز وجل ورضوانه

فقال: (فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ) وحبوط العمل لا يكون إلا لأهل الكفر، فدل ذلك على أنهم لما كرهوا ولم يحبوا الله ورسوله أحبط الله أعمالهم

حكم عليهم بالكفر، مفهوم المخالفة أن محبة الله ورسوله أصل أصيل في ثبوت الإيمان وقبول الأعمال وأن محبة غير الله عز وجل المحبة الشركية أصل في ثبوت في حبوط الأعمال وخلود في النار

ولذلك يلحق به إن أردتم تطبيقاً كل من أبغض شيئاً من نصوص الوحي ففيه من عداوة الله ورسوله بحسب ذلك، لما من يكره آيات الله عز وجل ويكره الأحكام أو يكره ما يأتي في السنة يبغض ما نزل به الكتاب ونزل فيه السنة فهو عدو لله ورسوله، والعكس من أحب نصوص الوحي وأحب ما جاء في الكتاب وأقبل عليه ورضي بالله رباً وبالنبي صلى الله عليه وسلم رسولاً و الإسلام ديناً وقال سمعت وأطعت فهذه ولاية لله ولرسوله

لذلك ابن مسعود أصل أصلاً بديعاً جداً في هذه المسألة وهذا واقع مشاهد في زمننا قال (لا يسأل أحدكم عن نفسه غير القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله)

هذا مادار الأمر اعرض نفسك على الكتاب تأتيك هي من عند الله كتاب محكم حفظ وتقول آمنت أحببت ما فيه فأنت ولي لله ومؤمن ، وأما تقول كيف نزلت ولماذا تنزل ولا غير؟ فهذا بغض لله عز وجل

لذلك ابن تيمية يقول (من اعتقد قبح ما أمر الله به- نعوذ بالله من ذلك- أمر إيجاباً أو استحباباً أو أبغضه أو كرهه بحيث يتألم على هذا الفعل ويتأذى بالوجود ففيه من النفاق بحسب ذلك إما نفاق أكبر يخرجه من الإيمان وإما النفاق أصغر يخرجه من كمال الإيمان الواجب)

فالكل يعرض نفسه من يطلع يتكلم على ما جاء من الكتاب ومن السنة، إن اعتقد أمراً جاء في الكتاب اعتقد فيه حتى لوكان الأمرعلى الاستحباب وليس أمر وجوب اعتقد فيه شيء من الذم أو القبح أو بغضه أو تألم لأنه موجود أو يتمنى ألا يكون موجوداً ففيه من النفاق النفاق إما نفاق أكبر أو نفاق أصغر

هذا دليل ثالث

■ دليل رابع على القاعدة **(أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)** الفرقان 43

الله عز وجل ذم من اتخذ الهوى وهذه هي المحبة التي قلنا إنها محبة دينية لكن غير شركية دون الشركية التي هو يتبع هوى النفس

الشيطان بغير ذلك في أنه يترك الواجبات أنه يفعل المحرمات إلى غير ذلك التي هي دون الشرك بذلك

وإتباع هوى النفس الحب وميل النفس وده موجود هو ليس بشرك لكنه دون ذلك لكن على خطر يبين بأنه عنده نقص في كمال الإيمان الواجب لذلك وسيؤثر في محبة الله ويؤثر في التعظيم لله والخضوع لله والانقياد له لا شك في ذلك لأنه لما يقل هذا الأمر يقل الإستجابة للأوامر ويقل الخوف من الله فيفعل ما يفعل فهذا قدح لا شك في كمال الإيمان الواجب

ومن الأدلة على القاعدة

طبعا آيات سورة التوبة المشهورة جدا التي امتحن الله عز وجل فيها

(قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ [التوبة : 24]

دل هذه الآية أدلة القاعدة على من كان يحب هؤلاء الأصناف التي ذكرها الله عز وجل أكثر من لله ولرسوله وللجهاد في سبيله توعدهم الله عز وجل بالعذاب بسبب هذه المحبة لذلك الواجب على أهل الإيمان ألا يقدموا على محبة الله ورسوله شيء وعيد شديد أن الله عز وجل في هذه الآيات أن يحب المرء ماله مسكنه أهله أولاده عشيرته إخوانه أصحابه على الله ورسوله والجهاد هذا ليس بإيمان حقيقي

وهنا طبعاً المقصود هنا بالحب الذي يقصده هذا ليس الحب الجبلي

لا

المقصود في الآية هنا الحب الديني الشرعي الذي استلزم أنه لم يقدم طاعة الله ورسوله على هؤلاء بل قدم هؤلاء على طاعة الله ورسوله

أما لو كان حب طبيعي جبلي هذا لا إشكال فيه قلنا أن هذا لا يؤاخذ عليه المرء، لكن هو متى ينقلب إلى حب ديني شرعي لو قدم هؤلاء على طاعة الله ورسوله فوقع في المحبة المحرمة

هذه من الآيات على القاعدة الاستدلال

من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم عن حديث أنس رضي الله عنه (ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ :أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ.)

النبي صلى الله عليه وسلم بين ثلاثة إن كنا في المرء وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وهذا هو الإيمان الواجب الذي فرضه الله عز وجل على المؤمنين على عباده من أهل الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب **إلى الموت** يبقى هذه المحبة الدينية الشرعية وهي المحبة المتضمنة لأصل الحب ولكمال الواجب فيميل إلى الله ورسوله بقلبه أكثر مما يميل إلى سواهما

ويدخل فيها كما قال عليه وسلم (وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ) هنا هذه بقى المحبة التي تكون في الله والمحبة التي لله يعني محبتي لأي أحد غير الله لا يحبه إلا من أجل الله ويبغضه للكفر الذي فيه فهذه من لوازم محبة الله ورسوله

وهذه كما قال شراح هذا الحديث أعظم خصال الإيمان أو أعلى خصال الإيمان من وصل لها فقد كمل الإيمان عنده

كما قال النبي وجد حلاوة الإيمان، وجد طعم الايمان وكأن الإيمان المتذوق حقاً وهو يتذوق في القلوب كما يتذوق الطعام والشراب ويستمتع به فالإيمان يتذوق بل للعبادات قال النبي صلى الله عليه وسلم **(يا بلالُ أقِمِ الصلاةَ، أرِحْنا بها) (وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ)** تذوق بطعم العبادة

وهذا لمن يصل إليها لذلك ألا يحب المرء لا يحب إلا لله فالحب في الله هو الأصل ويتبع له أن يحب المرء غيره من العباد لا يحبهم إلا لله أو في الله وإذا كره يكره في الله أيضاً إذا بغض يبغض في الله

ثم الثالثة في الحديث **(وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)**

هذه علامة على محبة الله المرء يرتعد مما قد يوقعه في الكفر وفي غير ذلك هذه دلالة وعلامة على محبة الله، بعض الناس يستهين بهذه الأمور فيوقع نفسه في مصائب، لكن المرء الذي ذاق حلاوة الايمان تجده يكره الرجوع إلى الكفر كما يكره الرجوع إلى النار

كل هذه أدلة على هذه القاعدة التي تكلمنا عنها وأصلها طبعاً محبة الله ودخل فيها المحبة في الله كما بينت ومحبة ما يعين على طاعة الله واجتناب معصية الله

أصبحت المحبة النافعة ثلاثة :

1- أن تحب الله محبة الله

2-والمحبة في الله

3-والمحبة على ما يعين على طاعة الله

والمحبة الضارة ثلاثة أيضاً :

1- محبة مع الله والشركية

2-ومحبة ما يبغضه الله تعالى وللأسف الناس بتقع في هذه الآن دون أن تشعر

3- ومحبة ما تقطع محبتك عن محبة الله

طب الأولى مفهومة المحبة مع الله تكلمنا عنها في الشرك

لكن أنت أصلاً مأمور أيضاً محبة ما يبغضه الله، وتجد الناس الآن خاصة صغار السن والشباب والبنات وغير ذلك يميلون جداً خاصة لو كان المغريات التي يفعلونها ميل قلوب الشباب سواء للبعض الرياضيين والرياضة والنساء أو البنات أيضاً لبعض النساء من أهل الكفر إما يقلدونهم في فيما يفعلونهم سواء كان مباح أو محرم طبعاً هذا لا كتاب فيه حتى في المباح فتجد القلوب تميل وتحب هؤلاء وهم ليسوا يحبهم الله عز وجل بل هؤلاء مما يبغضهم الله عز وجل ولذلك هذا من المحبة المذمومة وكانت دون الشركية لكنها تقدح في كمال الإيمان الواجب لذلك أنت يجب أنك لا تحب ما يبغضه الله عز وجل أي تكره ما يبغضه الله عز وجل ويجب تربية النشء على ذلك وهذا يفرق بين العدل وبين هذه المحبة وبين القسط مع أهل الكفر والعدل وبين المحبة لهم و الولاء لهم وإن وجدنا عندهم فيه من الخير نحب الخير لكن لا نحب الشر الذي هم فيهم الفعل الذي يكون خيراً نحبه كفعل

لذلك المرء قد يكون عنده فسق وإيمان يحب فيه من الإيمان ويكره ما فيه من الفسق والمعصية ده في أهل الإسلام ، فلابد أن ينتبه لذلك ويحذر على أن الإنجراف إلى هؤلاء الذين بعض الناس تنظر إلى بعض أهل المعاصي حتى لو ليس كفر لكن أهل معاصي وأهل منكرات قدوة لهم وينظرون إليهم بنوع من الحب لهم وهذا قدح في المحبة وقدح في الإيمان لابد أن ينتبه إليه

إذا ستة أنواع

ثلاثة مدار عليها التوحيد من محبة الله والمحبة في الله ومحبة ما يعين على طاعة الله

وثلاثة عكسه المحبة مع الله شركية ومحبة ما يبغضه الله ومحبة ما تقطع محبتك لله

وهذه الصحبة بقى والأمور التي قد تؤدي بالمرء إلى أنه يقطع محبته لله هذا لابد أن أيضاً يبتعد عنها المرء

طبعاً الأولى محبة في الله أصل التوحيد

محبة في الله ومحبة ما يعين على طاعة الله تابعة لهذا الأصل الأصيل الذي كنا قد بيناه

طيب

ما فائدة هذه القاعدة؟ فائدة هذه القاعدة والتطبيقات لها

قلنا هي قاعدة عظيمة جداً بينت أصل الدين كما قال علماؤنا وأساس الملة الحنيفية وأصل التوحيد وفرقت بين أصول التوحيد وأصول الشرك

لذلك أنت لما تتبع أقوال العلماء يمكن لك أن تستخرج بعض الفوائد والتطبيقات

القاعدة أثبتت المحبة الحقيقية لله عز وجل وأن هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة ودلت عليه النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة كما بينا و لكن هي ايش أثبتته؟ وانتبهوا لهذه المسألة أن فيها خلاف يظهر عند الطوائف الآن

أثبتت أن الله عز وجل يُحِب ويُحَب، فالله عز وجل يُحِب ويُحَب حقيقة فهو يُحِب نفسه سبحانه وتعالى ويُحِب عباده المؤمنين ويُحِب جميع ما أمر به عباده مخلصين والأمر الثاني أيضاً أن أهل الإيمان يحبونه سبحانه وتعالى لأن القاعدة أثبتت المحبة في قلوب المؤمنين وفي آية المائدة 54 (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

وبعدين ليش أنا بتكلم عنها؟ ستأتي المخالفة من بعض الطوائف على الإثبات هذا، لكن نقول القاعدة أثبتت أولاً المحبة في قلوب المؤمنين لربهم وأن أصل جميع الأعمال الإيمانية لابد فيها من أصل المحبة

طب ليش هذا الضابط مهم؟ لأن بعض الفرق تجرأوا على الله عز وجل وتجاسروا على النصوص التي تكلمنا عنها، أنكروا حقيقة المحبة

أنكروا؟ نعم

أنكروا حقيقة المحبة أولها تأويلات باطلة خالفوا فيها الكتاب وفي السنة

فالناس في هذه المسألة (في محبة الله عز وجل) على ثلاثة أقوال أو ثلاثة فرق :

1- أول قول أن الله يُحِب ويُحَب

وقلت كما جاء في سورة المائدة (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ **وَيُحِبُّونَهُ**)

فالله عز وجل هو المستحق له كمال المحبة كما بينا دون سواه وهو سبحانه يحب أيضاً ما أمر به ويحب عباده المؤمنين وهذا قول أهل السنة والجماعة

أن الله يُحِب ويُحَب

2- القول الثاني قالوا أنه يستحق أن يُحَب لكنه لا يُحِب

طب هو الآيات؟ لا

المحبة هنا بمعنى أن يريد، المحبة بمعنى الإرادة، يعني نفوا عن الله أن الله يُحِب

وطبعاً هذا كله لأصل فاسد عندهم بأنهم لو قالوا أن الله يحب فهذا ميل للقلب أن يجعلوا محبة الخالق كمحبة المخلوق ففيه ميل ففيه انجراف فقالوا نبعد عن التشبيه أو التأويل كما يظنون أو التعطيل والتحريف حقيقة وده قول كثير من المتكلمين وكثير من الصوفية أيضاً قلت المتكلمين على العموم يعني عشان تأخد ما هو ده يدخل فيهم الاشاعرة لكن المتكلمين متكلمة ككل ومن وافقهم الصوفية؟ قالوا ايش؟ هو يستحق أن يُحَب لكنه لا يُحِب إلا بمعنى يريد

جعلوا المحبة إرادة

3-وقول ثالث قالوا لا يُحَب ولا يُحَب

طب كيف المحبة اللي عندنا دي كلها نتكلم عنها؟ قالوا محبة العباد له هي إرادتهم لطاعته وهذا قول الجهميه وبعض متأخري أهل الكلام

لذلك أهل الكلام ليس كلهم قولهم واحد بعضهم قالوا بالقول الثاني وبعضهم قالوا بالقول الثالث

والسلف أجمعوا أولاً على إثبات محبة الله لعباده المؤمنين أن المؤمنين يحبون الله

وأثبتوا محبة الله عز وجل لعباده لأوامره إلى غير ذلك

فأول فائدة من هذه القاعدة نثبت عقيدة أهل السنة والجماعة فإن الله يُحِب ويُحَب

القاعدة هذه فرقت بين محبة الله ومحبة غيره

فمحبة الله لا يشرك معها أحد أو لا يشترك معها أحد وهذه محبة خاصةً لله عز وجل ولابد فيها من صرف كل أنواع العبادات التوسل والإنابة والتوكل والتوبة كلها من حقوق هذه المحبة الخاصة

فيه فائدة ثالثة أيضاً بينت عظم الفارق بين محبة المؤمنين لربهم وبين محبة المشركين لأوثانهم

كما جاء في آية البقرة (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ)

قال تعالى محبة المؤمنين أشد وأقوى وأعظم من المحبة الثانية لأن الأولى فيها الغرض الصادق والإخلاص لله

والثانية عندهم أغراض فاسدة موهومة ليست بحقيقية بل هي باطلة

وفيها أن محبة المؤمن ثابتة لا تتزعزع وهذه إشارة لمن أراد أن يعرض نفسه على محبته لله، فمحبة أهل الايمان ثابتة لا تتزحزح أبداً ولا تتسخط لها ما جاءت المصائب عليه فالأيام دول أو كان ما كان من النزول أو العلو لكنه محبته لله ثابتة يقينه بالله ثابت رضاه بالله عز وجل لا يتزعزع لأنه على يقين من ربه طب ومن أين أتى؟ لأنه لا يمكن أن أتى له هذه المحبة إلا لمعرفته لأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده له في ذلك، فتزعزع الإيمان في قلبه تزعزعت المحبة فلا تتغير

أبداً مهما تغيرت الأحوال والأحداث عنده من الطمأنينة والثبات واليقين ما لا يتغير لأنه لا يختار على الله شيئاً

أما أهل الشرك متقلبة قلوبهم لأنهم على باطل محبتهم متقلبة ليس عندهم هذه الطمأنينة ولا الإستقرار لأنها محبة باطلة لمن يحبونه

من فوائد هذه القاعدة إن إحنا قسمنا المحبة الدينية لقسمين

محبة ركن وهي أصل الدين وهي محبة الله تبارك وتعالى بأسماءه وصفاته و أفعاله وأقداره وكل شيء ويدخل فيها محبة النبي صلى الله عليه وسلم محبة تابعة لازمة لمرسله، نحب النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله أرسله وهذه تكون بالتصديق بكونه رسولاً ونبياً مع إثبات أن له صفات الكمال البشري فقط كما جاء في القرآن بذلك

والمحبة القسم الثاني من الدينية قلنا محبة الكمال ومنها الكمال الواجب التي هي فرض على كل مسلم أنه يتبع الأوامر الدينية وينتهي عن المحرمات

ومنها محبة كمال مستحب وهو يأتي بالأوامر مستحبة وهي فضيلة وندب وينتهي عن عن المكروهات يعني يسارع في النوافل وينتهي عن المكروهات ويتخلق بسنن وآداب النبي صلى الله عليه وسلم

فائدة الأصل المعتبر عند الله تعالى هو المحبة الدينية الشرعية وهو التي يترتب عليها صحة الإسلام وليست المحبة الجبلية ولا الطبيعية ولا المشتركة، البعض يخلط لا الأصل والمعتبر عند الله المحبة الدينية الشرعية أما المحبة المشتركة الفطرية الجبلية لا ثواب ولا عقاب إلا إذا أدت إلى ما كان محموداً وإلا إذا أدت إلى ما كان مذموماً

وهذا الكلام لماذا مهم؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أحب عمه أبا طالب وقد ثبت ذلك وهذه محبة طبيعية لقرابته لأنه هو نصره والله جعله حافظ للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يمنع عنه قريش وغير ذلك، لكن هي محبة قرابة محبة جبلية حتى ما أحد يظن ويأتي في عقله شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تنافي المحبة الشرعية أو البغض الشرعي

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يهتدي لكن كان حريصاً على أن يهتدي، إذا كنت أنت في قلبك محبة جبلية فطرية لأحد الأقارب لأحد من العائلة أو من الناس لا تلام عليه المحبة الفطرية والجبلية لا تلام عليه فيها لكنك هتبغض ما هو عليه من معصية أو تبغض ما هو عليه من كفر وتحب له أن يكون له من أهل الهداية

هناك فائدة أخرى وهذه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم حقيقة لكن ممكن يتأسى بها أحد

هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هديه في جميع محابه سواء الدينية أو الطبيعية أنها كانت تابعة لمحبة الخالق سبحانه وتعالى وهذه حقيقة لأن النبي أثبت له كما قلنا محبات في الجبلية الطبيعية بالطعام والشراب كان يحب النساء بل يحب الزوجات بل يحب عائشة بل يحب الصديق ويحبعمر لكن كل محبة النبي صلى الله عليه وسلم الجبلية أو الطبيعية أيضاً كأنها تابعة للمحبة الدينية وهذه درجة أنك تستطيع أنك تحول هذه المحبة من جبلية أو مشتركة كما قلنا أن تكون في مرضاة الله كأنك ألحقتها بالدينية فإن محبة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الأمور تابعة لمحبة الله

بعض أهل العلم يقولوا ايش؟ كما أنك تحب النبي صلى الله عليه وسلم فأنت تحب ما أحبه النبي يعني أنت تحب أبا بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أبا بكر أشد حب الناس، محبتك

لأبي بكر لأنه كان أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحبهم إلى الله عز وجل فهو أحب إلى رسوله فأنت تحب أيضاً لمحبة الرسول له ولأن الله أحب أبا بكر، فيمكن لك بهذه أن تصل أيضاً من هذه المحبة إلى محبة دينية شرعية، بل بعضهم قالوا حتى محبته لعائشة رضي الله عنهم قالوا كأنها محبة دينية تابعة لمحبة الله عز وجل يعني لم تكن محبة هوى فقط بل إذا أحبها لصلاحها ولدينها وأخلاقها فكان حبه لها ولأبو بكر وحي من الله عز وجل فألحقوه بأنها تابعة للمحبة الدينية

وكانت هذه ثمرة أنك ممكن أنك تجعل محبتك في الأمور المشتركة تابعة للمحبة الدينية إذا تقربت بها إلى رضا الله عز وجل

من فوائد هذه القاعدة أيضاً عنها الأخيرة أن القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الشخص الواحد يجتمع فيه الكفر والإيمان والسنة والبدعة والطاعة والمعصية والفجور والبر ، فيحب على قدر ما فيه من طاعة ومحبة الله وقرب منه ويبغض على قدر ما فيه من بعد من الله واقتراف للذنوب وارتكاباً للمعاصي

وطبعاً الكفر الأكبر لا يجتمع مع الإيمان قلنا الكفر الأصغر، حتى ما يظن أحد أنه ممكن يكون كفر أكبر مع إيمان يتناقضان

لكن ممكن يجتمع شرك أصغر أو كفر أصغر الذي هو لا يخرج من الملة حتى لا يظن احد بغير ذلك

يجتمع في المرء سنة وبدعة قد طاعة ومعصية قد بر وفجور

نعم

لكن القاعدة عند أهل السنة ايش؟ يحب على قدر ما فيه من طاعة الله ومحبة

طب ما الدليل على ذلك؟ أنا أستدل بحديث عظيم بنحبه وأذكره دائماً لما بتحدث عن مواقف معينة في خاصة عدم فقه بعض الطلاب والطالبات على من يقع في الخطأ من أهل من طلاب العلم حتى مش هتقول للعلماء ومش لا ده من طلاب العلم فتنزل ينزلون عليه نزلة ويجعلون بأنه ما دام وقع في هذه المعصية أو وقعت الأخت في هذه المعصية فهي لا تستحق كل ما عليه من طاعة تقول لا القرآن ولا العلم ولا شيء وتجرد كأنها يرجمونها ويرجمون لها

والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كان هناك صحابي يسمى حمار هو يدعى حمار وكان يشرب الخمر ،وكان شرب الخمر أكثر من مرة في عهد من؟ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يؤتى به ويضرب بالجريد أو يجلد على الخمر ، في إحدى المرات كان خالد رضي الله عنه قال بئس أو لعنك الله بئس ما أكثر ما يؤتى بك والنبي واقف يسمع ويجلد

النبي ايش قال له؟ قال :لا تلعنه لا تكن عوناً للشيطان عليه -في رواية- إني أعلم أنه يحب الله ورسوله

الله أكبر

من الذي يقول؟ فإنه والله يحب الله ورسوله، الرجل بيجلد في خمرفي حد من حدود الله؟ وفي وقت الزمن النبي وبالصحابة وليس بعد هذا الزمن

بل أنه أكثر ما يؤتى به يعني الأمر متكرر ما استطاع أن يمسك نفسه فيشرب ويؤتى به والرجل خالد رضي الله عنه أو غيره أراد أن يلعنه ليس أو لعنك الله بئس ما له أكثر ما يؤتى بك

قال النبي صلى الله عليه وسلم ده مش مجرد لا تلعنه فقط بل قال إنه يحب الله ورسوله والذي شهد له بذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم فأنت لن تأتي لأحد فعل ما فعل أو أخت فعلت أو أخ وهذا جهل أقول والغريبة بيأتي أحياناً من بعض طلاب وطالبات العلم وقع في كذب ولا وقع في نميمة ولا وقع في غيبة ولا وقع ومن منا لا يعصي الله عز وجل؟ تجده يتكلم أو تجده يمسكون الأخت يعني يقتلونها كأنها فعلت منه والأخ يقتلونه وكأنه ما فعل خيراً قط والرجل هذا هو شرب الخمر أمام النبي صلى الله عليه وسلم وتكرر والنبي يثبت له حب الله ورسوله، إذاً قد يزل المرء وهذا لا يقدح في الحب طبعاً ما دام أتى ما دون كفر وشرك ، ممكن يقع في المعاصي لكن نثبت له ما عليه من خير ، أنا تكلمت في هذا الحديث وهو يتحدث عن حد من الحدود فعلينا أن نأخذ ما دون ذلك

نحن لا نتكلم فقط كده دراسة منهجية لكن التطبيق أهم ما يكون

ولو ظهر بأن أحد أهل العلم يخطئ في فتوى ولا يجتهد ولا يصيب فتجده يضرب بالضلال والمبتدع والضال وكأنه ثلاثين سنة بيدعو لدين الله عز وجل كل هذا هباءً منثوراً عندهم لأنه أخطأ في شيء أو ضال أو لم يصب في شيء سواء في هذه أو حتى بغير اجتهاد فأين نحن من هؤلاء؟ هذا هو الدين هذا هو العلم نحن علينا أن نحب على قدر ما فيه من قرب إلى الله ونبغض على قدر ما فيه من بعد من الله عز وجل، فمن ثبت إيمانه وكثرت طاعته وعبادته وجبت له المحبة والموالاة بقدر ما عنده من هذا الإيمان وإن ظلمك واعتدى عليك في نفسك أو مالك أو عرضك، نعم تبغضه فيما فعله وتحبه فيما دون ذلك.

أي ميزان هذا ميزان عظيم في الشرع، فمن تعاديه وتبغضه في معاصيه وفي ظلمه وفي جوره ولو كان محسن إليك وهذا من يقع فيه،فلو وجدت ظالم باغي معتدي ويسيء لكن هو يحسن إليك أنت ويفعل ذلك مع الناس؟ ليس لك أنك توافقه على ذلك والعكس أيضاً.

هذا هو الميزان الحقيقي ميزان العدل في الشرع الذي لابد أن نسير عليه هذا الذي أمر به الله عز وجل فمثلاً لو سارق فقير هتقطع يده ويعطى من زكاة المسلمين، ليس عليك بالاستثناءات الخاصة عام الرمادة انظر إلى العدل أنت فعلت محرم ستحاسب عليه ولو لك حق عندنا تأخذه أيضاً هذا هو العدل الذي أمر به الله عز وجل

فنقول هذا أصل عظيم أيضاً فيما كنا فيه الآن

لعل نكتفي بهذا هذه قاعدة عظيمة جداً يعني ممكن يؤلف فيها، لكننا أشرنا إلى قاعدة المحبة هذه بقدر ما نستطيع واليوم أخذنا المحبة والكفر والطاغوت

نقف عند هذا القدر وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة الرابعة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعدنا مع برنامج دراسة العقيدة وما زلنا في مرحلة تقديمية وهي مرحلة القواعد الخاصة بالتوحيد سواء كانت كما بيّنا في المحاضرات السابقة أصل التوحيد وأنواع التوحيد

نشرع اليوم بإذن الله تعالى على القواعد الخاصة بالأسماء والصفات

هذا العلم ولله الحمد علم العقيدة هذا تعليمه ونشره هو وظيفة الرسل

فالحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى

يحيون بكتاب الله الموتى ويبصّرون بكتاب الله أهل العمي، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين

لا شك أن مسألة الأسماء والصفات وهذا الباب من أعظم ما يتكلم فيه في أصول الاعتقاد

وفي بدء قرون الخيرية لم يكن لهذا الأمر أي خلاف بين السلف اختلفت المقالات فيه بعد ظهور أهل الكلام وكتب أهل الكلام فمنهم من قال بالنفي المحض ومنهم من أقر بالأسماء في الجملة ونفى الصفات ومنهم من أقر بالأسماء والصفات لكنه رد طائفة من بعض صفات وأولها وصرفها عن ظاهرها ومنهم من ذهب إلى وجوب الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله وصحيح السنة من الأسماء والصفات وأجراها على ظواهرها ونفى التكييف والتشبيه عنها وهذا أصحاب هذا القول هم الذين يلقبون بالسلف أو أهل السنة

وكما بينا من قبل بأن التوحيد على التقسيمات التي قسمها العلماء سواء كانت الثلاثية أوالثنائية توحيد أسماء وصفات وتوحيد ربوبية وتوحيد ألوهية أو توحيد العلمي الخبري وتوحيد القصد والطلب الثنائي

هذا بابه أو هذا قسم من الأسماء والصفات عظيم جداً وله أهمية عظيمة في دراسته والعلم به

أولاً هذا ركن من أركان التوحيد

أسماء الله عز وجل وصفاته أحد أركان التوحيد

فقلنا أن التوحيد هو الأمر الأعظم الذي جاء به الرسل جميعاً وهو وظيفة العلماء وطلاب العلم من بعدهم

هو أن يدعون إلى توحيد الله عز وجل وينفون الشرك عنه سبحانه وتعالى

فكان هذا من أعظم الأسباب أولاً للعلم بالباب والتفقه والإتقان في باب الأسماء والصفات

السبب الثاني أن ما هو متكرر عند أصحاب العلوم أن شرف العلم من شرف معلوم

فلو كانت العلوم مختلفة من علوم الدنيا سواء تتعلق بالفضاء أو بالبحار أو بالأرض أو بالحيوانات أو بالإنسان تستمد فضلها بفضل العلم الذي فيها

وهنا لا شك بأن أفضل العلوم على الإطلاق هو ما يعرفنا على ربنا عز وجل

ولهذا كان يقول ابن العرب في كتابه أحكام القرآن شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات فالعلم بأسمائه أشرف العلوم

فلذلك هذا سبب عظيم أن المرء يتفقه ويتدبر ويتقن هذا الباب باب الأسماء والصفات

السبب الثالث لذلك أيضاً أن العلم بهذا الباب باب الأسماء والصفات أسماء الله عز وجل وصفاته والفقه لمعاني هذه الأسماء والصفات والعمل بمقتضاها وسؤال الله عز وجل بها لابد أن يوجد في قلوب العابدين تعظيم للباري سبحانه وتعالى وتقديسه ومحبته ورجائه وخوفه والتوكل والانابة إليه بحيث يصبح الباري في قلوب الناس وفي قلوب العباد هو المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته وليس لأحد مثل هذه المكانة التي في قلوبهم وبذلك

يتحقق في قلب العبد التوحيد القلبي الذي هو أعظم أنواع التوحيد توحيد القلوب وتتحقق العبودية وتخضع القلوب لجلاله سبحانه وتعالى وتسكن النفوس لعظمته

كل هذه آثار وثمار من العلم بهذا الباب والفقه في معانيه والعمل به لأنه لا يكتفي فقط العلم بل لابد ولا الحفظ بل التفقه كما سيأتي بل العمل بمقتضى هذا الفقه الذي بل سؤال الله عز وجل لهذا الأمر أن المرء لا ينقطع سؤاله عن الله عز وجل في حياته ليل نهار وكل هذا يثبت في قلوب العبد إيماناً قوياً وتوحيداً قوياً في قلبه

من أيضاً أهمية ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أن من أحصى أسماء الله عز وجل - سيأتي معنا بقواعد تفصيلية- فله من عظيم الثواب عند الله عز وجل كما في الصحيحين (أن لله تسعا وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)

فكان طريقك إلى الجنة في معرفة أسماء الله عز وجل وصفاته والعمل بها إن أردت أن تكون من أهل الجنان

ولابد أيضاً أن نعلم بأن لله عز وجل كما سيأتي تفصيلاً صفات ذاتياً وفعلياً

وهذا الثبوت لها بهذه الصفات لا يستلزم ذلك نسبة العجز أو النقص أو عدم الكمال لله

بل صفات الله عز وجل كلها جلال وكمال ولا تشبه صفات المخلوقين بأي حال

وهو الذي قال سبحانه وتعالى **(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**

وأيضاً قد قال تعالى **(إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا)**

أثبت الله عز وجل لنفسه السمع والبصر وكذلك أثبت لمخلوقاته أو للإنسان سمعاً وبصراً لكن سمع وبصر الله عز وجل يليق بعظمته وبجلاله سبحانه وتعالى

والإنسان أيضاً سميع لكن سمع الإنسان وبصره على قدر ما يناسبه من مخلوقيته وعجزه

فلا تنفي عن الله صفة وتقول أنها من صفات المخلوقين

ولا تشبه أيضاً صفات الله عز وجل بصفات مخلوقاته

هذا لم يكن فلا يعقله عقلاً ولا يقل به أحد من قبل

لكن قد حدث كما بينا اختلاف في الناس في مسائل التوحيد وقلت أن هذا من بعد القرون الخيرية وهذا نتيجة بعدهم عن دراسة القرآن وعن دراسة أيضاً أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة وعدم أيضاً استيعابهم لأقوال السلف في مسائل التوحيد

ثم ابتليوا بعد ذلك بكتب الكلام والتي تسمى عند بعض الطوائف بكتب التوحيد يسمونها كتب الكلام كما بينا في أول المقدمة في الدراسة

سموها كتب التوحيد

و هي بعيدة كل البعد عن معرفة الله عز وجل عن طريق هدي القرآن والسنة النبوية وآثار السلف فأنت لتتأكد من ذلك ارجع إلى تفاسير السلف للقرآن ارجع مثلاً للنسائي لأبي حاتم للبغوي للطبري وابن كثير من بعدهم

انظر في تفاسير ومن إلى آخرها لا تجد فيها إلا التسليم لله ولرسوله

يعني ما تجد كلام له في كتب مثل كتب الكلام بل كل تسليم لما جاء في الأسماء والصفات

بل انظر لمن جاء من بعدهم كالبخاري في صحيحه كيف بوب أبواباً في كتاب التوحيد له دخل الصحيح في باب الصفات تتجه قال باب وكان عرشه على الماء

باب وهو رب العرش العظيم

باب تعرج الملائكة والروح إليه

إليه يصعد الكلم والعمل الصالح يرفعه

بأبواب بوبها هكذا بالآيات هذه ليثبت لنا فهمه بباب الأسماء وباب الصفات

فهذا يبين لك كيف كان المفسرين من السلف في كتبهم لتفسير القرآن يتناولون آيات الصفات وكيف أيضاً من جاء من بعدهم في السنة كالبخاري في الأحاديث التي ذكرها يبين باب الأسماء والصفات يبين لك ذلك بأن لم يكن هناك هذا محل خلاف عند السلف في هذا الباب وكان الأمر فيه مستقراً

فالأمة لم تختلف في ربها ولا في وصفه سبحانه وتعالى بصفاته العلية المقدسة التي وصف بها نفسه أو وصفه بها النبي صلى الله عليه وسلم لم تحدث في الأمة أي اختلاف إلا بعد ما ترجمت وهذه أكبر مصيبة حصلت في الأمة في هذا الأبواب ترجمة كتب اليونان ودخول الفلسفة وعلم الكلام إلى بلاد المسلمين

ما تجد عند سلف الأمة لا في الصحابة طبعاً ولا التابعين ولا تابعيهم لم تجد في كتبهم هذه الكلمات التي ظهرت بعد ذلك في كتب المبتدعة

لا تجد الحيز ولا المكان ولا الجهة ولا غير ذلك مما جاء عند كتب أهل الكلام لأن هذا لم يكن محل عندهم بل كانت الأمة أجمعت على أن ما وصف الله عز وجل به نفسه وصفه بها أو ما وصفه به النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس بربه هذا هو الذي كان مستقر ويثبتونه ولا يحيدون عنه

ثم حدث ما حدث أن خرجت بعض الفئة والطوائف منها المعتزلة حادوا عن هذا المنهج وحرفوا الآيات ولم يثبتوا الصفات وأثبتوا الأسماء بلا صفات وهذا إن رجعت للكتب لا تجد هذا كما قلت موجوداً

بل هم ردوا للأسف نقول ردوا الأحاديث الصحيحة واستشهدوا بأحاديث ضعيفة وموضوعة حتى ينتصرون لمذهبهم الباطل

لذلك ثم ظهر أشد منهم جرماً وهم الجهمية أيضاً أو يعني كانوا قبلهم وغلت الجهمية في هذا الباب جداً وأتوا بكلمات لا يمكن للمرء أن يقولها

حتى لعبد الله بن مبارك يقول إننا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نحكي كلام الجهمية

يعني دلت على ما قالوه من الشناعة في حق الله عز وجل

لذلك يجب على المسلم الذي يتبع منهج السلف في باب الأسماء والصفات أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص وأنه متفرج عن جميع الكائنات ولا يكون ذلك إلا أن يثبت ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الصفات أو أثبته له النبي صلى الله عليه وسلم من غير تحريف لا لفظي أو في المعنى ولا بنفي الكل ولا حتى بنفي البعض ولا بنفي صفة واحدة من هذه الصفات ولا يكيف هذه الصفات بتكييفات لأنه لا تشبيها لله عز وجل بصفات المخلوقين لذلك حتى تعتقد اعتقاداً صحيحاً في صفات الله عز وجل لابد لك من ثلاثة أصول

ثلاثة أصول حتى يصح اعتقادك في صفات الله عز وجل على منهج السلف :

أولاً : الأصل الأول تنزيه الله عز وجل عن النقائص وعن مشابهة صفاته من صفات المخلوقين

ويدل على ذلك من قوله **(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)**

ومن قوله تعالى **(فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ)**

وأيضاً من قوله تعالى **(وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ)**

هذا الأصل الأول

ثانياً :نرجع للأصل الثاني الإيمان بجميع صفات الله تعالى الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها وما معنى تجاوزها؟ برد بعضها أو الزيادة عليها أو صرفها عن معانيها

ما الدليل على ذلك؟ قوله تعالى **(قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ)**

(أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

فإذا أنت ليس لك أن تقول على الله بغير علم وهذا باب غيبي ولا تقولوا فيه إلا ما قاله الله عز وجل عن نفسه أو وصف به عن نفسه أو قاله النبي صلى الله عليه وسلم عنه

فهنا الأصل الثاني الإيمان بجميع صفات الله تعالى الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها برد بعضها أو الزيادة عليها أو صرفها عن معانيها

كل هذا يعتبر تجاوز في الإيمان هذا أصل لابد أن تعتقده في هذا الباب

ثالثاً :الأصل الثالث قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات

وهذا يستدل عليه من قوله تعالى (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا)

فلا أحد يسأل عن كيفية الصفة من صفات الله عز وجل

كيف يسمع؟ كيف يبصر؟ كيف يتكلم؟ كيف يستوي؟ كيف ينزل؟ كيف يضحك؟ كيف يغضب؟ وما أوتي القوم إلا لما سألوا هذه الأسئلة فلما عجزوا فوقعوا في التحريف والتأويل وغير ذلك

فهذه الثلاثة أصول من الأهمية بمكان لابد أن يعتقدها المرء في هذا الباب

وسيأتي الكلام طبعاً تفصيلياً في باب الصفات

لكن نبدأ أولاً القواعد الخاصة بأسماء الله عز وجل

يعني كل هذا الباب يبدأ في التخصيص أكثر والتفصيل لندخل في قواعد والقواعد يسيرة ولمن درس من قبل ستكون المراجعة له ولمن لم يدرس من قبل إن شاء الله يستفيد بها

فهي مجموعة من القواعد استقرأها العلماء

علماؤنا رضي الله عنهم جميعاً ونفع الله بعلومهم، القواعد خاصة بأسماء الله عز وجل, فقالوا أولاً

القاعدة الأولى : أسماء الله كلها حسنى

أي بالغة في الحسن

قال تعالى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)

والأسماء الحسنى متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ذلك لا احتمالاً ولا حتى تقديراً لأن هو الأسماء الحسنى فالحسن كامل فكانت الصفة التي يتضمنها الإسم لابد أن تكون صفة كمال أيضاً

لو قلت مثلاً الحي اسم الله عز وجل (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ)

اسم من أسماء الله الحي يتضمن صفة ما هي هذه الصفة؟ صفة الحياة

قلنا صفة الحياة لكن الحياة هنا الحياة الكاملة

ما هي الحياة الكاملة في حق الله؟ التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال

وإلا الحياة فالمخلوق حي

لكنه مسبوق بعدم ويلحقه زوال، لابد لكل مخلوق أن يموت (من أهل الأرواح)

فهو سبحانه وتعالى اسمه الحي يتضمن الحياة الكاملة

التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال؟ وهذه الحياة الكاملة بعد أن أثبتناها مستلزمة أيضاً لكمال صفات أخرى

لأنه سبحانه وتعالى هو الحي الذي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال

إذاً عنده صفات أخرى تستلزم هذه كالعلم كالقدرة كالسمع كالبصر وغيرها من الصفات نسميها مستلزمة لهذه الصفة

يعني هتثبت الأول اسم الله الحي واسم الله الحي المتضمن للحياة الكاملة

ثم يستلزم من الله عز وجل الحي أنه سميع بصير وعلم وقدرة إلى غير ذلك

أيضاً اسم الله العليم هو اسم من أسماء عز وجل

هيتضمن صفة العلم

طب العلم الكامل

يعني إيه العلم الكامل؟ علم الكتب

الوصف المتبادر للعلم الكامل أنه يعلم بكل شيء

لكن ما زال أيضاً هذا التوصيف ناقص

ما هو كل شيء؟

هو علمه الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان

فالعلم الكامل الذي لا يسبقه جهل

المخلوق لما بيعلم قبل أن يعلم هو جاهل ثم يتعلم

وأيضاً قد يتعلم العلم ثم ينساه حتى أصحاب القرآن يراجع القرآن كل يوم يتفلت منه بل هو أشد تفلتاً من باقي العلوم

لعظمه ويحتاج إلى مراجعة يومية

ولكن علم الله ولله المثل الأعلى

علم الله عز وجل لم يسبقه جهل سبحانه وتعالى حاشاه ولا يلحقه نسيان (ولا يضل ربي ولا ينسى)

قال تعالى **(قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى)**

انظر علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى

فعلمه سبحانه وتعالى أيضاً بالإضافة كما قلتم أنتم الآن واسع محيط

علم ما كان وما لم يكن وما لو كان كيف سيكون

فعلم في الماضي والمستقبل وما لم يحدث لو حدث كيف سيكون عنده علم كل ذلك

قال تعالى (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)

وقال تعالى (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

فإذاً أيضاً مثال آخر الرحمن

الرحمن اسم من أسماء الله

وكيف نثبت أن الرحمن اسم؟ من أين؟

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) أول آية في الفاتحة

يعني الرحمن هنا اسم من أسماء الله عز وجل يتضمن الرحمة الكاملة ورحمة الله عز وجل قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة التي رؤيت في السبي تبحث عن ابنها ثم أخذته فضمته إلى صدرها فالنبي صلى الله عليه وسلم قال أَتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى أَلَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا.

وهذا يبين لك أن كل ما يحدث في حياتك هنا، فالله عز وجل أكثر رحمة بك من أمك ومن أبيك ومن أي أحد والله عز وجل أرحم عباده من الأم بولدها ولذلك أنت لما يحدث لك الأمر بتلجأ إلى الله الرحمن الرحيم تعلم أن الله عز وجل يتركك بل رحمته ستشملك خاصة لو كنت من أهل الطاعة ومن أهل العبادة

والله قال أيضاً (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)

وأيضاً قال عن دعاء الملائكة للمؤمنين (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا)

فهنا الشاهد إحنا بنأتي بأمثلة فقط لأن القاعدة المقصود منها هنا أن نبين أن الإسم من دلالتك وسيأتي معنا أيضاً أن أسماء الله عز وجل كلها حسنى

ما دام قلت أن هذا اسم لله وأثبته كما سيأتي معنا كيف تثبته؟ فتعلم بأن لابد من مواصفات اسم الله أن يكونوا حسن وبالغ في الحسن

لذلك لابد لنا أن نبين

طب ما هو الضابط حتى يكون اسماً من أسماء الله

يعني ما هي ضوابط كون الإسم من أسماء الله الحسنى؟ لابد كما قال علماؤنا أن تجتمع فيه ثلاثة شروط

أو ثلاثة أمور أو ثلاثة ضوابط

1- أول شيء وهذا مهم لابد يضبط أن يكون هذا الإسم قد جاء في الكتاب والسنة

يعني نص عليه أو نص عليه في الكتاب والسنة

ونص عليه انتبهوا

نص عليه بالإسم ليس بالفعل وليس بالمصدر

نص عليه في الكتاب والسنة

ما معنى نص عليه بالإسم؟ قد يأتي الكلمات فيها أفعال مصادر كما سيأتي

فهنا لا هذا ليس اسماً

يبقى لابد أن يكون التنصيص بالإسم ليس بالفعل

يعني مثلاً يقول صنع الله

هذا فعل صحيح لكن لما نقول الله الخالق البارئ هذا اسم

إذن أولاً أن يكون ضابط الإسم أن يأتي في الكتاب والسنة اسماً

نص عليه بالإسم

2- الثاني أن يكون مما يدعى الله عز وجل به

يعني من ضوابطه أنه لأن الله عز وجل قال (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)

فقالوا إذاً يكون مما يدعى الله عز وجل به

3- الثالث هو من الأهمية بمكان ويفرق بين ما هو اسم وليس اسم أيضاً

أن يكون متضمناً لمدح كامل مطلق غير مخصوص

يتضمن لمدح ومدح كامل ليس من وجه دون وجه

ومدح مطلق لا يكون مدح مقيد كما أن البعض يقول الماكر اسم وهو ليس باسم

يمكر بالماكرين

لا يعد أن يكون اسماً ليس مطلقاً

وغير مخصوص

ونقول هذه الثلاثة لابد تضبط لكم

وهو كون الإسم جاء بالكتاب والسنة نصاً

الثاني مما يدعى الله به

الثالث أن يتضمن مدحاً كاملاً مطلقاً غير مخصوص

لذلك حسن الأسماء يرجع إلى ما اشتملت عليه من المعاني وما اشتملت عليه من الصفة

الصفة التي تكون في الإسم الذي هو الإسم الحسن

لابد أن تكون صفة دالة على كمال مطلق غير مقيد وغير مخصص

مثال على هذا الكلام

البعض يقول اسم الله القديم

لا يصح أقول هكذ بل أقول اسم القديم

لأن هو ليس باسم لله

اسم القديم

بعض يسمون الله بالقديم

وهذا الإسم لا يسمى به الله عز وجل

لماذا لا يسمى؟ تعالوا نطبقه بقى على الضوابط

قالوا لأن القديم هنا لا يدل على مدح كامل مطلق

لذلك حتى صاحب الطحاوية لما كتب في المتن قال (قديم بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء)

فما استطاع أن يأتي بقديم ويسكت

لأنه مش مطلق لأنه ليس فيه حسن في إطلاقه

فقيده فقال قديم بلا ابتداء

وهذا لو رجعت إلى الضابط الذي قلته حتى تضبطوه

قلنا مدح كامل مطلق غير مخصوص

هنا في القديم المدح ليس مطلقاً

لأنه أولاً مدح ليس بكامل وليس بمطلق فلما أراد أن يجعله مدحاً قيده فقال قديم بلا ابتداء

إذاً أصبح القديم بحاجة إلى كلام آخر

ليس هو كلمة يتضمن مدح مطلق

حتى يجعل حسناً أو وصفاً مشتملاً على مدح حق

وهذا يخرج القديم أن يكون اسماً لله عز وجل

لأننا قلنا لابد أن يكون من ضوابط الاسم أن يكون مدحاً مطلقاً كاملاً

لذلك الأسماء التي تطلق على أنها أسماء حسنى، إذا أردت أن تعرضها على الضوابط يجب أن تقول كما قلنا يجب أن تكون فيها صفات مدح وكمال

1- أولاً مدح لا يكون فيها ذم طبعاً أو بعضها مدح وبعضها ذم

بل مدح فقط

2- ثانياً كمال ومطلقة غير مختصة

فلو كانت مقيدة لا تقول إنه اسم كما قلنا في القديم

طب لو كانت مختصة بمدح في حال دون حال

فلا يجوز أيضاً أن تقول هذا اسم

لذلك البعض أيضاً يقول المريد والمريد من الإرادة

يريدون أن يسموه بالمريد

والإرادة قسمين إرادة محمودة وإرادة الخير وإرادة النفع وهذه موافقة للحكمة

والقسم الآخر إرادة الشر أو إرادة الفساد وهذه غير موافقة للحكمة

فلذلك لا يسمى الله عز وجل بالمريد،لا يكون اسماً

في فرق بين الأفعال أفعال الله عز وجل والإخبار عن الله لكن نتكلم عن الإسم كاسم لله لأن هو كما سيأتي معنا علم على ذات الله يسمى به الله عز وجل ويدعى به فلابد أن يكون فيه كمال المطلق والمدح المطلق ولا يكون فيه لا تقييد وأيضاً لا يكون المدح من حالة دون حال لأن الله قال (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) يعني بالغة في الحسن

أن يكون المدح في كل حال، لا يكون المدح في حال غير حال

لذلك لا يسمى الله عز وجل باسم المريد

لأن هذا أن الله يريد

مع أنه يطلق على الفعل ولكنه لا يطلق على الأسماء

وأيضاً من الأمثلة ختاماً لهذه القاعدة الذي فيها اختلاف عند البعض مسألة الصانع بعض يسمون الله بالصانع

وهو ليس من أسماء الله عز وجل

على نفس القاعدة اللي قالوها بالضوابط؟ قالوا الصنع

من أين أتوا بهذا الإسم؟ قالوا من قوله تعالى (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

لكن هو قالوا هذا الصنع منقسم

يعني في صنع موافق للحكمة وصنع ليس موافقاً للحكمة في العموم

وجاء في الحديث (**فإنَّ اللَّهَ صانِعٌ ما شاءَ)**

هذا هنا ممكن يستفاد من حديث لو أرادوا أن ينسبوا الإسم أن الله صانع ما شاء لكن هو لم يسمى الله عز وجل باسم الصانع،

الحقيقة أنه لا يسمى باسم الصانع هو صفة لكنه ليس من أسماء الله عز وجل

أيضاً البعض سمى -وكل هذه من عند المتكلمين- سموا الله بالقديم وسموه بالصانع والمتكلم والمريد،

أسماء جعلوها وهي ليست بأسماء لله عز وجل، فإذا الأسماء الحسنى إذا اجتمعت فيها هذه الشروط التي قلناها الثلاثة،

هذا طبعاً ممكن يعتذر للمؤلف مؤلف كتاب الطحاوية الذي قال قديم بلا ابتداء

بينا يعني فيها بأنه للتقييد في ذلك حتى يضبط المسألة، لكن الخالق غير الصانع، لماذا الخالق غير الصانع؟ أولاً الخالق بالتطبيق جاء في النص..

يعني ما تجد في الكتاب أو السنة اسم الصانع

تجد الفعل صنع، لكن الخالق تجد الإسم الخالق

لا غير (خالق كل شيء) لكن جاء اسم الخالق أيضاً جاء اسماً

قال الله تعالى (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)

فجاء اسم الخالق

الخالق فعل لا لا، جاء اسماً وأنا قلت أذكرك لابد أن تجده حتى يكون اسم يكون اسماً ليس مصدراً وليس فعلاً،

وهنا جاء الخالق اسماً لله عز وجل.

ثانياً الفارق بين الخلق فيه إبداع وتجده ممدوحاً من كل وجه، لذلك أيضاً ينطبق عليه المدح من كل وجه، لأن الخلق فيه إبداع وفيه تقدير، قلنا إن هذا ممدوح

والخلق أيضاً مراحل كما قال سبحانه وتعالى (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)

فالخالق أول المرحلة وهو كمال مع باقي المراحل

فإذا اسم الخالق يشتمل على كمال ليس فيه نقص، بخلاف الصانع؛ الصانع قالوا معلوم من جهة المعنى فيه كلفة وليس ممدوحاً من كل وجه،

أيضاً لم يأتي نصاً في الكتاب، لذلك يسمى الله بالخالق ولا يسمى بالصانع

طيب هذه القاعدة الأولى التي كانت معنا قاعدة أخرى

خاصة بأسماء الله المقترنة

ماذا يعني المقترنة؟ إذا قلنا بأن كل اسم على انفراده حسن، فلو اقترنت الأسماء يعني جاء اسم مع اسم كما جاء مثلاً الرحمن الرحيم

فيجمع الله عز وجل بين اسمين مثلاً له سبحانه وتعالى و تجدها كثيرة

فإذا قلنا بأن كل واحد، كل اسم دال على الكمال منفرد، وكل واحد يدل على الكمال الذي يقتضيه اسمه-اسم الله عز وجل-

فلما تقترن الأسماء يزيد هذا الإقتران حسناً على حسن وكمالاً على كمال؛

فلنطبق

لو قلت (ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) العزيز تقتضي صفة العزة، والحكيم صفة الحكمة فالجمع بينهما يدل على كمال على كمال

والايش؟ العزة مطلقة والحكمة مطلقة لله

لكن لما جمعت العزة والحكمة دل على أن عزة الله عز وجل مقرونة بالحكمة

فإذاً عزته لا تقتضي ظلماً ولا جوراً حاشاه ذلك ولا أفعال فيها سوء،

وهذا ممكن يأتي من المخلوق؛ ممكن يكون عزيز لكن عنده ظلم أو جور أو تعدي ،

كما قال (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ)

فما هذا سيظلم ويتعدل

فإذا العزيز الحكيم أيضاً ولو خدنا العكس الحكمة مقرونة بالعز،

فنقول حكمة الله عز وجل كاملة وتقترن بالعز

حكمة مع عز،

باختلاف لو كان عنده حكمة لكنه في ذل،

فانظر من الجانب الآخر أيضاً،

فتجد أن الأسماء إذا اقترنت لله عز وجل

فهذا يزيد المعنى فيه كمالاً وحسناً على انفراده،

طيب وهذا كثير تجده موجوداً في الكتاب، العزيز الحكيم في الكتاب تجد له معاني كثيرة

يعني ذكرت العزة متضمنة لكمال القدرة والتصرف وحكمة متضمنة لكمال الحمد والعلم

انظر إلى العزة إذا أضيفت إلى الحكمة فكانت عزة في الأصل وتضمن كمان القدرة والتصرف وحكمة متضمنة لكمال الحمد والعلم

ولابد أنك تجد الأسماء التي تأتي مقترنة لله في الآيات مناسبة مع الآيات،

يعني بعد ما تقرأ في التفسير تجد خواتيم الآية لو ذكر فيها أسماء الله عز وجل لتجد أن في ربط بينها.. بين هذه الأسماء وبين الآية،

مثل ما جاء من قوله تعالى "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "

قرأها أحد الناس" والله غفور رحيم"

فسمع بعض الأعراب.. واحد من الأعراب سمعه..

قال ليس هذا كلام الله،

ما تأتي السارق والسارقة فاقطع أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله

ويكون الله غفور رحيم

هذا ليس من كلام الله،

أتكذب بالقرآن؟ أتكذب بالقرآن؟ قال لا ولكن لا أحسنها،

فرجع فقال "عزيز حكيم" قال صدقت

إن بهذا المعنى يستقيم،

وهذه لابد أنك تراعيها دائماً وأنت تقرأ في في آيات الله عز وجل، حتى وأنت تحفظ إن أردت أن تتقن الحفظ،

لإن الذي يحفظ أحياناً يحصل له

تشويش في نهايات الآيات، يختلط عليه،

هنا إن أراد أن يتقن وهو بيحفظ ينظر للآية

سيجد السياق يدله على المعنى،

ويربطها دائماً بغفور رحيم

عزيز حكيم

وساعات حليم

وهذه مهمة جداً طبعاً في الحفظ ده

وكما قال تعالى **(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** في سورة المائدة

يعني فقال عيسى عليه السلام مغفرتك لهم مصدراً من العزة وكمال القدوة

لا ليست عن عجز عجز ولا جهل،

مناسبات كل هذه الأسماء لابد أن تجدها أيضاً،

طيب هنا مازلنا في الأسماء نتكلم عن نقطة مهمة حتى تضبط؛ هذا الذي أضيف إلى الله هو اسم ولا ليس باسم؟

هنقسم ما يضاف إلى الله عز وجل إلى أربعة أقسام

قسم يتضمن كمال الحسن وهذا يكون من أسمائه

وقسم حسناً من وجه دون وجه وهذا يخبر عنه ولا يسمى به يعني يخبر عن الله به ولا يسمى لا يكون اسماً بل يكون خبراً عن الله عز وجل وهذه بيقع فيها كثير من البعض

ينسبونها إلى الله اسماً وهي ليست باسم هو خبر لأن هو حسن من وجه دون وجه

وقسم ما كان محموداً في حال دون حال هو هذا يوصف به في الحال الذي يكون فيها محموداً لكن لا يسمى به على الاطلاق

ومثال المكر الخداع الاستهزاء الكيد

هذه أوصاف ذكرت لكن على المقابلة ذكرت في المقابل من يعمل أو يعامل بهذه الأوصاف

فهي موصوفة أو صفة محمودة لكنها من في حال هو الذي يفعل ذلك.. **(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ)**

فمن يمكر الله لما يمكر بها محمود في هذا الوصف أو في هذا الحال

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)

لكن لا يصح أن تقول أن الله ماكر

لا يصح أن تقول وتسكت

هكذا تقول أن الله ماكر وتقف على هكذا

وهذا الفرق بين أن تقول مثلاً أن الله متكلم

يجوز أن تقول أن الله متكلم على وجه الإطلاق

لكن لا يجوز أن تقول أن الله ماكر على وجه الإطلاق لابد تقيد أن الله ماكر بمن يمكر به

لأن المكر لا يكون مدحاً إلا إذا كان في مقابل مكر آخر

يتبين لك به قوة الله عز وجل وجبروته وعظمته

وأنه أقوى من أي أحد يريد أن يمكر

وكذلك في الخداع **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)** ولا يصح أن نصف الله عز وجل أنه خادع أو مخادع على وجه الإطلاق

لكن نقول خادع بمن يخادعه

وأيضا للمستهزئ

لأنه قال تعالى (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)

فهنا لا يصح أن نقول الله مستهزئ على سبيل الإطلاق

بل نقول مستهزئ بمن يستهزئ به

وكذلك الكيد (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا .وَأَكِيدُ كَيْدًا)

فكذلك الكيد هنا لا يقول إن الله ده اسمه مطلقاً بل نقول

يكيد الله عز وجل بمن يكيد بالله عز وجل

ولهذا قسم الكيان الثالث الذي هو محمود في حال دون حال فهذا يوصف به في الحال الذي يكون فيه محموداً ولا يسمى به على الإطلاق

الرابع لا يصح أن ينسب لله إطلاقاً وهذا ما تضمن نقصاً مطلقاً

لا يصح أن يضاف إلى الله

مثل الخائن والعياذ بالله

فهذا لا يمكن أن يوصف به

حتى الله عز وجل ما وصف في المقابلة نفسه بالخائن

لا يمكن وهذا لا أن ينسب الى الله عز وجل

زي كان ممكن تقول الله المتكلم؟ نعم

متكلم تصفه بالكلام

أنه متكلم لأنه لو أتيت تطبق على هذه فيه حسن

فيه هي حسن نعم لذلك فلكن ننتبه لهذه الأقسام ونسقط ما يأتينا من الفاظ عليها

القاعدة الثانية :

كل ده كان تابع للقاعدة الأولى

اللي كنا بنتكلم عنها أسماء الله حسنى أدخلنا فيها بعض النقاط وبعض المباحث الصغيرة

لكن القاعدة الثانية وهي من أهم القواعد التي نحتاج إلى أن ندخلها

أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف

هذه القاعدة لتبين لك الفرق بين أسماء الله عز وجل وبين أسماء البشر

ما الفرق؟ الفرق أن أسماء الله عز وجل أسماء وأعلام وأوصاف أيضاً لله بخلاف البشر أعلام محضة

يعني واحد يسمى مثلاً كريم

وهو من أبخل الناس

هو عبد الكريم ده علم عليه

لما تناديه تقول له تعال يا كريم

هو اسمه كريم

لكن هو عنده صفة الكرم؟ هكذا في قد يكون وقد يكون غيره من أكرم الناس واسمه كريم

طيب

إن كان كريم صفة أصلاً حتى البعض تكلم

لكن نقول يعني اسمه

فأسماء البشر أعلام فقط

أعلام محض

يعني لا يشترط أن الصفة التي في الإسم هو متصف هو الإسم فقط أنه علم

هذا ليس في حق الله

الله عز وجل أسماؤه أعلام وأوصاف

فالإسم الذي لله علم على ذات الله، يعني يسمى به تقول الرحمن

تقول الرحيم

تقول العزيز

وتقول يا رحمن يا عزيز تنادي وتدعو وتتوسل بأسماء الله عز وجل

فهي أعلام على ذات الله

يعني سمى الله عز وجل بها ينادى بها

وكذلك هي أوصاف

فهنا القاعدة بتقول أسماء الله وأوصاف

أعلام باعتبار دلالات على الذات

أن كل اسم يدل على ذات الله

لو قلت الرحمن يدل على ذات الله

الرحيم يدل على ذات الله

العليم يدل على ذات الله

الغفور وهكذا

القدير السميع البصير

طب لماذا قلنا ذلك أنها أعلام وأوصاف؟ للقرآن

دل لنا القرآن قال تعالى (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

من هو؟ الله عز وجل الغفور الرحيم

فسمي بالغفور الرحيم

يبقى هو الغفور تقول الله الغفور وتقول الله الرحيم

فأصبحت أعلام وكذلك أوصاف

لأن كل اسم فيه صفة حسن

طيب

(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ)

يعني الرحمة دلت على أن هو رحيم

متصل بالرحمة

طيب لما نقول الأسماء أعلام يعني على ماذا؟ على الذات

طيب

فنقول هي مترادفة

ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أسماء الله عز وجل مترادفة

بتدل على مسمى واحد

كلها بتدل على مسمى واحد وهو من؟ الله عز وجل

هذا معنى الترادف

يعني الرحمن أو الله

السميع والله

كل هذا ترادف

أسماء مترادفة لماذا مترادفة؟ لأنها تدل على مسمى واحد

هل في واحد يسمى بأكثر من اسم؟ يسمى بمحمد

النبي مثلاً وأحمد

صح؟ ايش؟ لا دي كنية

هل هي أسماء هنا ولا لا؟ ده معنى الترادف

يعني هو علم وله أسماء متضاربة

فهذا معنى أن أسماء الله أولاً أعلام يعني مترادفة

لأنه له أكثر من اسم

وكلها علم على ذات واحد هو الله عز وجل

فنقول هنا إذاً أسماء الله أعلام مترادفة لتدل على مسمى واحد

وأيضاً متباينة

لماذا متباينة؟ لأن كل اسم له صفة

يختلف

لها معنى

الحي غير العلي غير القدير غير السميع غير البصير

هي أسماء لمسمى واحد بترادف هنا اهو

لكن متباينة أن معنى الحليم غير معنى الحي غير معنى القدير

فأصبحت الآن هنا من وجه الأسماء مترادفة ومتباينة

مترادفة تدل على ذات واحدة على مسمى واحدة عز وجل ومتباينة لأن كل اسم له صفة تختلف متباينة بالمعنى

فهذه لابد أن كل هذا الكلام تأصيلي ليش؟

تعلموه بعدين لما تدخلوا في الفرق، تعلموا أن بعضهم ضل في هذا الباب لأنه لم يضبط هذا

فرد الأسماء كلها أو أثبتها ولم يثبت لها حتى صفات

فكأن آصبحت كلها زي بعض

سميع زي العليم زي الحي زي القديم كأنها متكررة

وهذا خطأ

فيظهر لك لاحقاً

هذا الكلام ليش؟ لكن لابد تضبطه الآن وتقول بأن أسماء الله عز وجل أعلى

كما بينا الآن أعلام مترادفة بمعنى مترادفة أنها تدل على مسمى واحد ومتابعينها لكل واحد له معنى مختلف

هو طبعاً أن هو قال أعلام وأوصاف وعرفنا الوصف فيما تدل عليه يدل عليه الإسم

ولو كانت العزة يقول فيه السمع يكون فيه البصر

وطبعاً هذه القاعدة التي وضعوها البعض

لأن بعض المبتدعة قالوا أن لو أثبتنا الصفات والأسماء يلزم من ذلك تعدد القدماء

يعني لما حتى المشركين لما سمعوا يذكر الرحمن فقالوا عندي آله آخر

الله الرحمن

فقال الله عز وجل

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) من قال يبقى الرحمن أو الله أحد

هم ظنوا أن فيه تعدد

هم،

لكن هي أسماء لله عز وجل وهي واحدة

فبينا فبقت أتوا وقالوا إيه؟ إن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء،

وهذا الكلام يرد عليه من الكتاب والسنة هذا كلام باطل ما يقبل، ويرد عليه من العقل

من الكتاب.. الله عز وجل سبحانه وتعالى وصف نفسه بأكثر من وصف

فقال تعالى (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ، فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

كلها أوصاف وصف الله عز وجل بها نفسه هنا كثيرة مع أنه واحد

سبحان الله هو الواحد الأحد

قال (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ، ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ، وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ، وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ، فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ)

إلى آخر الآيات

سمى نفسه الأعلى وأتى بصفات متعددة

فإذا تعددت الصفات الإلهية ليس بتعدد القدماء كما قالوا هؤلاء

هم،

وأما عقلاً.. العقل لا يقبل حتى قولهم ليش؟

لأن هي الصفة ذاتها مبينة

يعني هل الصفة بعيدة عن المفهوم؟ لأ ملازمة للموصوف

فكيف تتعدد؟ ما هي دي موصوف واحد

كإنها مثلاً لله المثل الاعلى للمخلوق الذي هو عنده أكثر من صفة؛ كريم

وجواد وهو واحد، ولله المثل الأعلى تعدد الصفات لا يستلزم تباين الذات فذلك لا يكون في العقل لا يقبل أن هذا معناه تعدد القدماء،

طيب

إذاً أسماء الله عز وجل أعلام وأوصاف، وبينا معنى أعلام ومعنى أوصاف، وبينا أيضاً معنى أن تكون أعلام باعتبار الدلالة على الذات وأوصاف باعتبار الدلالة على المعنى،

لو أردنا أن نطبق على ما سبق

هل الدهر اسم من أسماء عز وجل أم ليس اسماً من أسماء الله عز وجل؟

ما هو لابد يكون فيه تطبيق

أنا هذكره وأتركه الآن

لو نرد عليه الأسبوع القادم بعد أن تكونوا أنتم أجبتم

هل الدهر من أسماء الله؟

الإجابة تكون على المجموعة

طيب

خلينا نقول في أسماء الله

قاعدة ثالثة أسماء الله إن دلت أسماء الله تعالى على وصف متعدي

ماذا يعني وصف متعدي؟ والمقصود هنا متعدي مش متعدد يعني منتقل يظهر آثره على غيره، نقول هنا أسماء الله عز وجل كما قلنا هتثبت بالكتاب أو بالسنة، هناك أسماء يكون الوصف متعدي

وفيه أسماء الوصف صفة الذي فيها غير متعدية لازمة

مثال فقلنا اسم الله السميع

وأسندنا الكتاب (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

يتضمن صفة السمع

طب مقتضى صفة السمع وتعدي ذلك

أن الله عز وجل يسمع كل شيء يسمع السر والنجوى

(وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)

هذا لو كانت الصفة التي في الاسم

وتعديت

طيب لو كانت الصفة قد تكون لازمة

هل ستعمل فيها؟ هتثبت الإسم وتثبت الصفة فقط

وليس عندك مقتضى له صفة

بمعنى اسم الله الحي

اسماً لله ولا لأ ؟ الله الحي القيوم

هتتضمن إثبات صفة الحياة

فقط

فين التعدي؟ لا يوجد تعدي

لأ احنا بنتكلم الحياة حياة له بخلاف السميع والسميع سيسمع البصير يبصر

لكن الحياة صفة لازمة

إذا أحياناً يكون الصفة اللي مع الإسم صفة لازمة لا تتعدى

وطبعاً هي الأسماء التي فيها الصفات اللازمة قليلة

لكن هذه طب ايش هتفعل معها؟ عليك إثبات الاسم والصفة

لكن الصفات المتعدية تثبت الإسم والصفة والحكمة ومقتضى هذه الصفة، يعني لا يمكن أن تقول الله سميع وتقف وتقول ولا يسمع كل ما يكون في الكون

يبقى أنت لم تثبت الإسم ولا الصفة صحيحة

ولا تقول أن الله عز وجل عليم ولا يعلم

لا في صفات متعدية لابد أنك هنا مع إثبات الاسم والصفة تثبت الحكمة ومقتضاها

هناك صفات لازمة من الاسم فيكفيك فقط إثبات الاسم والصفة،

وهنا لابد أننا نعرج قبل يعني نشير الفرق بين الإسم والصفة

ما الفرق بين الإسم والصفة؟ وسيأتي طبعاً الكلام تفصيلاً بعد ذلك

لكن احنا نمهد ما الفرق بين الاسم والصفة؟ كل اسم يتضمن صفة

ولا يتنافى الاسم مع وجود الصفة

والعكس

ولا عكس دي حد فهم معناها؟ كل اسم يتضمن صفة

ولا تنافي بين الأسمية وبين الصفية

الوصف فلكل اسم صفة

والعكس

ولا عكس،

طب أنا عايز آكل

انت فهمت ولا عكس يعني آسف

يعني

ايوا

أحسنت وليس كل صفة اسم

لأن بعض الصفات لا يستقل منها أسماء

الله له صفة اليد

وصفة العين

لا كيف سنشتق منها أسماء؟ ما يشتق منها أسماء

إذا نفرق أولاً بين الاسم والصفة

أن كل اسم يتضمن صفة

لكن ليست كل صفة تكون اسماً

وهذا معناه أن يمكن اشتقاق الصفات من الأسماء

ولا يمكن اشتقاق الأسماء من الصفات

أسماء الله عز وجل هي أسماء ونعوت

وتدل على صفات كاملة لله عز وجل

وهتاني لا العلمية والوصفية

ايش العلمية؟ الاسم والصفة

فلا تنافي

لابد من الاسم يكون له صفة

ولا يكون اسماً لله بدون صفة

والاسم لابد يتضمن صفة

وتشتق صفة من الاسم

كما سيأتي معنا في ضوابط إثبات الصفات في باب الصفات إن شاء الله

احنا هنا في نفس الأسماء وبقى هنا ضوابط أسماء الأسماء

إثبات الأسماء

فإذا أسماء الله عز وجل هي أسماء ونعوت

تدل على صفات كاملة

لا تنافي بين العالمية

والوصفية

فالرحمن اسم لله

ووصف له أيضاً ولا تنافي بين الاسم وبين الوصف

يعني أنت لما تقول الرحمن فانت تقصد ذات الله عز وجل

وأما الصفة تدل على معنى قائم بالذات

هي الرحمة

آدي فارق اخر

لأن الاسم يدل على الذات مع دلالته على صفات الكمال

أما الصفة تدل على معنى قائم بالذات

لما تقول مثلاً الله يتكلم صفة بالله، لكن هو ليس لا تسميه المتكلم

مثلاً لا تسميه يد ليس له اسم باليد وللعين

الصفة تدل على معنى قائم بالذات

لو وصلت به ما في الصفة معنى قائم بالذات الله عز وجل

وهذا فرق

أما الاسم

بمعنى ايه؟ السمع صفة لكن هو الله السميع

لان عندك اسم ناس سميع

ففي صفات السمع

هي ليش الفارق ده مهم؟ لأن لما بتثبته اسم توابع ذلك أنك تستطيع أنك تدعو به الله عز وجل

لذلك العلماء يمنعوا أن تدعو الصفة

ما تقولش يا رحمة الله ارحميني هذا شرك،

لكن تقول الرحمن يا رحمن ارحمني

الصفة تدل على معنى فقط

لذلك لما تيجي تدعو، تدعو بالاسم لا تدعو الصفة نفسها

لا تدعوا الصفة أن هي التي تفعل بذلك تطلب منه

قاعدة أخرى قاعدة رابعة دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام

وهذه من أهم القواعد

والذي سيكون فيها لابد أسئلة كثيرة واختبارات فيها

هذه قاعدة دلالة أسماء الله على ذاته وصفاته بالمطابقة والتضمن والالتزام

وبالمثال يتضح المقال

يعني ايه يشتغل مطابقة؟ يعني ايش تضمن؟ يعني ايش التزام؟ طيب

وأنا ممكن أشرح الأول لُغوياً يعني ايه دلالة المطابقة؟ لكن انا اقول المثال أولا وبعدين ممكن نشرح الدلالات لو الوقت معنا،

لو قلنا الخالق اسم الله الخالق

يدل على ذات الله

وعلى صفة الخلق بالمطابقة،

يعني لما تكون الخالق تقصد به الله أن هو الخالق

أنا اقول هنا فيه

الخالق يدل على ذات الله

ويدل أيضاً على صفة الخلق مطابقة

يعني غير منفكة

لما تكون الخالق لابد أن تكون هنا تقصد الله عز وجل،

وتقصد أن هو صفة الخلق لهم

مطابق،

مطابق الشيء يعني لا ينفك عنه

مؤقتا لغاية أما نشرح الدلالة

لكن أنا هاقول الآن بالمثال

ويدل على الذات الخالق يدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن

يعني لو أردت كل الاتنين مع بعض الخالق يدل على الله وصفة الخلق هذه مطابقة

طب أردت أن تبين التضمن فتقول ان الخالق اسم لله وتقف

تقف إلى هنا ثم تقول لو عايز اقول بقى التضمن ويتضمن صفة الخلق

لما تقول صفة الخلق وحدها من غير ما تقول الخالق يبقى تقصد بها التضمن

يقصد بها ايش لو جمعت الإثنين يبقى دي المطابقة

أقول الخالق لو تكلمت وقلت الخالق يدل على ذات الله وصفة الخلق يبقى دي دلالة مطابقة

دي اسمها كده ايه؟ مطابقة ليش؟ أتيت بالاسم يدل على الذات ومعه الصفة أصبحت هذه مطابقة

لكن لو قلت أنه بيدل على الذات وحدها وسكت وقفت

أو قولت بيدل أن الخالق يتضمن صفة الخلق ووقفت يبقى هنا ده معنى التضمن

اتيت بالجزء فقط هذا معنى التضمن

ولو قلت أن الخالق يدل بأنه هو الخالق على صفة العلم والقدرة هذا معنى دلالة الالتزام يعني ايش الالتزام؟ اذا كان الله عز وجل هو الخالق وخلق كل هذا ما في الكون يبقى الخالق تضمن الخلق وهو مطابق للخالق وللخلق معا وهو يلزم من ذلك بما انه هو الخالق أنك تقول عليه صفة العلم وصفة القدرة هو فيه خالق بدون علم ما يمكن أن يخلق إلا لو علم سبحانه ولا يمكن الخلق بدون قدرة

إذا العلم والقدرة جاءت باللزوم

يعني ايش؟ لازم

يعني أنت لو رأيت واحد كده ربنا وهبه قوة وبدن

وانت رأيته كده

لما بترى حاله كده أن تقول ده يعني لازم منه كده أن ده بياكل مثلاً كل يوم دجاجه

ما هو ده مش ممكن يوصل للعب ولا الطريقة هذه من الجسم؟ اللي لازم كده أن هو بيكون بياكل كل يوم على الاقل دجاجة يعني

فنقول هنا لزوما أنه لابد أكله بهذه الطريقة ولله المثل الاعلى في ذلك انتبهوا بقى عشان نبين لك الالتزام لما نقول قول الله عز وجل قال **(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)**

لما ذكر الله عز وجل خلق السماوات والارض بسورة الطلاق وبعد ذلك قال ايش؟ لتعلموا ان الله على كل شيء قدير

وأن الله قد أحاط بكل شيء علما

فكأن اللزوم هنا ايه؟ ظهر لك اهو

الله يبين انه خالق وفيه صفة الخلق بالتضمن واسمه الخالق واللزوم هنا ايش؟ لانك لو رأيت الخلق واكيد انت لما ترى مخلوقات الله عز وجل لابد أنك تعلم بكمال قدرة الله عز وجل وأن الله أحاط بكل شيء علما

هذه تسمى الالتزام

يبقى علمت الآن

يعني ايه دلالة الأسماء؟ تكون على الذات والصفات بالمطابقة وبالتضمن وبالاتزام

مثال أيضاً للالتزام حتى لا تفوتك هنا يعني زيادة علم وإن كانت في العقيدة نحن من قوله تعالى في سورة البقرة **(فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)**

الله عز وجل قال في في الاية الآن باشروهن

فالعلماء قالوا ليش؟ إذا جوزت المباشرة إلى الفجر ما هو قال هنا إلى الفجر

من لازم ذلك أنه أن يصبح جنب

فدلت الآية على أنه من أصبح جنباً لا يبطل صومه

لأن كان فيه كلام فقهي وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول بذلك

فالعلماء قالوا ايش؟

من اصبح جنب يصح صومه لا اشكال

طب من أين؟ قالوا بدلالة اللزوم

اللزوم جت منين هنا؟ أن الله أباح المباشرة حتى الفجر

ولا يمكن أن سيباشر حتى الفجر إلا ان يؤذن الفجر وهو جنب

فقالوا هذا باللزوم

فاستنبطوا الحكم هنا من دلالة الالتزام فهذه مهمة جدا دلالة الالتزام لانها يعني بتدبر المعنى تجعله يتفقه في الأدلة وممكن يستنبط سواء حتى في باب الاسماء والصفات او في باب الفقه

لو اردنا ان نبين دلالة المطابقة لغه سريعة حتى تتعلموها

يعني أيضاً هي دلالة اللفظ على المعنى الذي وضع له

يعني لو قلت كلمة الانسان تدل على الحيوان الناطق

طبعا الحيوان مش الحيوان اللي انتم متخيلينه

بعض الناس فاهمين حيوان ناطق يعني من البهائم والانعام أعزكم الله الحيوان من الحياة

الانسان الحيوان

من الحياة اللي هي الحياة يعني هو حي؟ ويتكلم ان فيه مخلوقات حية ولا تتكلم

فارادوا ان يفرقوا بين الانسان في التعريف وغيره

فقالوا حيوان يعني حي يعني ناطق لان فيه جمادات

وطبعا النطق كلام مع عقل يفهم أيضاً

يعني هنا قالوا فإذا دلالة اللفظ على المعنى الذي وضع له دي تسمى دلالة المطابقة

لو قلت لانسان هو معناه عندي هو الحيوان

لو قلت البيت

ايش البيت؟ دلالة البيت معناها ان فيه جدار وسقف واعمدة

هذا يبقى مطابق على المعنى الذي وضع على مسمى دلالة المطابقة

ودي الدلالة الاصلية للالفاظ

هي دلالة المطابقة

اللي هي اصلا لها المعنى المباشر اللي وضع لها

لما اقول لك اللفظ فانت تعلم معنى هذا اللفظ هل تسمى دلالة ال مطابقة؟ لما اقول البيت يبقى في نظرك ما هو البيت

على طول يعني في معنى دي دلالة مطابقة

عايز اقول مثلا الذكر يبقى هو ايش؟ الرجل يبقى هو الرجل

الذكر هو الرجل

الانثى هي المرأة وهكذا او المرأة تدل على انها انثى

والرجل يدل على انه هو ذكر

هذه تسمى دلالة المطابقة

حتى يطلق باللغة ايش؟ طابق النعل النعل يعني توافق بكل شيء

يعني لانه تتبع الاثر هكذا

أيضاً

طيب ولو قلنا تطابق اللفظ والمعنى بعدم زيادة اللفظ على المعنى يعني يكون اللفظ هو للمعنى

مفيش زيادة ولا نقصان

ويسمى شيء باسمه يدل عليه لفظا ومعنى

النوع الثاني دلالة التضمن

اللي هي ايش دلالة التضمن دي

الدلالة اللفظ الوضعية التي وضعت على جزء من مسماه

يعني جزء من المعنى الموضوع له

لما لو قلت الان ارجع للمثال اللي كنا فيه لانسان عرفناه حيوان ناطق

دي دلالة مطابقة

لو قلت الإنسان حيوان فقط

يعني حي

يبقى أتيت بدلاله التضمن

ولو قلت لانسان ناطق يبقى أتيت بالتضمن

لكن لو قلت حيوان ناطق أتيت بالمطابقة

فالتضمن على جزء دلالة اللفظ

الموضوع على جزء مسمى له

لو قلت لو قلت مثلا أنا معي الكتاب هذا لو قلت رحت ماسك ورقة قلت هذا الكتاب

دي تضمن

قصدت بالكتاب الورقة

مع ان الكتاب هو مقصود به ايه؟ الحبر والاوراق والغلاف وكل شيء يسمى كتاب ده المطابقة

لكن لو مسكت الورقة وقلت هذا الكتاب ثمين جدا او هذا الكتاب عظيم

ومسكت ورقات فيه

فهناك اطلقت لفظ الكتاب على الورق

هذا تضمن على جزء منه

فهمتم هذا؟ طيب

الثالث قلنا دلالة الالتزام وهو دلالة اللفظ على خارج عن مسماه لكن لازم له لزوما ذهنيا

هي دي تعريفات لابد تأخذها كذا

دلالة اللفظ على الخارج عن مسماه لازم له لزوما ذهنية

بحيث ايش؟ يلزم من فهم معنى المطابق لما قلت انا الان مثلت انا في اية المباشرة انت فهمت اللفظ او المسألة عن خارج عن المسمى المسألة بتتكلم اصلا عن المباشرة وانت كما قلنا الان في الاية الله عز وجل هو الخالق

لكن هو اللزوم ان لابد من الخلق علم وقدرة

فهذه معنى دلالة اللفظ على خارج عن المسمى

المسمى الخالق ليس فيه لا تضمن ولا مطابقة

لكن فيه معنى لازم خارج لازم منها من اثبات الخلق انك تثبت فيه العلم

ممكن ناخد مثال سريع أيضاً السيارة

الكلمة لو العربية هي اقصد لو مطابقة هي السيارة دي كلها

اللي انت بتراها امامك

فانا رايح اركب السيارة تقصد السيارة بالكلية

جميع الاجزاء هي دلالة المطابقة

لو اردت العجل هيبقى ده تضمن

لو اردت البطارية فقط قلت السيارة عندي نايمة

زي ما بيقولوا

ويقصد ايش؟

البطارية نايمة

يبقى هنا يقصد هنا ايش؟ البطارية يبقى ده تضمن

هو قصد البطارية

ما قصدش السيارة باللكلية

هذا يسمى تضمن ويدل بالالتزام على الذي صنعها

يعني ايش؟ هركب المرسيدس

هو المرسيدس انت بتقصد من مرسيدس؟ السيارة

فدي باللزوم الشركة دي اللي بتصنع السيارات

فلو قلت المرسيدس يبقى انت تقصد اللزوم هنا في السيارة

لان لا هي السيارة ولا جزء من السيارة

لكن الذي يصنعها

فكأنه التزام

انا بس اقرب يعني مثال بذلك

أيضاً

طيب

عندنا في الفقه مثلا زي ما قلنا كتاب الفقه يدل على أن فيه باب للمياه دي دلالة تضمن ويدل على جميع أبواب الفقه دلالة مطابقة

ويدل على المؤلف الذى ألف الكتاب دلالة إلتزام

وهكذا

فهذه القاعدة مهمة جدا في لما تأتي بأي اسم تحاول تتدبر

تقول الإسم هذا اثبته الله

طب اين المطابقة فيه؟ تذكر الاسم مع الصفه

طب اريد التضمن ان تخرج الصفة فقط او تدل على الذات فقط

طب أريد الالتزام؟ تنظر في الإسم

ماذا يلتزم من معاني الاخرى؟ فتخرجها

طبعا هذا مش كده يعني خط عشوائي لأ يعني بقراءتك

فتتدرب على هذه القاعدة بذلك وتستنبط معاني مهمة قوي في الالتزام

لأن هي بتكون تابعة للمعنى الأصلي

أسماء الله عز وجل توقيفية لا مجال للعقل فيها

هذه من أهم القواعد التي عند أهل السنة والجماعة ليس في الأسماء فقط

في هذا الباب كله ان الاصل فيه التوقيف

ولما دخل العقل فيه عند المبتدعة ضلوا في هذا الباب

ومعنى اقول توقيفية أي يجب الوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة

في هذا الباب باب الأسماء والصفات

لا يزاد فيه ولا ينقص

ليش ؟ ان المسألة كلها غيب

هي ترجع الى الله عز وجل

والله غيب

غيب اقصد فيه لا نعلم صفات عز وجل الا لما الله اخبرنا عنها

ان الله عز وجل لا مثيل له

انت ممكن حتى تعلم صفات شيء انك ترى هذا الشيء او ترى مثله او احد يراه فيوصفه لك

ونحن لم نرى الله عز وجل نسأل الله ان نراه جميعا في الاخرة نتمتع بالرؤية الى وجهه الكريم سبحانه وتعالى

وهذه من اعظم النعائم التي ينتظرها المؤمن الصالح ان يرى الله عز وجل في الاخرة

ولا احد رأى الله عز وجل ووصفه لنا حتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يرى الله عز وجل يقظة في الدنيا

هذا انا اقصده على الراجح وهذا الصحيح لم يرى الله عز وجل يقظة في الدنيا

ولا نستطيع ان نراه يقظة في فيما كونه الله عزوجل وخلقنا عليه قدرتنا كبشر لا نستطيع ان نراه سبحانه وتعالى في الدنيا ولكنه في الاخرة

وليس لله مثيل ليس كمثله شيء

حتى تستطيع ان ترى من المثيل له

فتوصف هذا المثيل

طبعا من جانب المخلوقات انت الان لما بتشوف سيارة واحدة جديدة فممكن توصفها لاى احد لان هي حتى لو ما شفهاش غيرك

لكن انت رأيتها انت تستطيع توصفها

وبالتالي ما وصفه لك ممكن ان انت توصف عليه لان في مثيل له

فوالله غيب سبحانه وتعالى

كل هذا لا نستطيع ان ندركه

لذلك العقل لا يدرك هذا الباب

لا يدرك ما الذي يوصف به الله عز وجل؟ والذي يسمى به الله عز وجل

ما الذي يستحق الله عز وجل من الأسماء؟ هذا لا مجال للعقل فيه

يجب الوقوف هنا على النص

الذي قال فيه سبحانه وتعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)

وقال تعالى أيضاً (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

من القول على الله بغير علم أنك تتكلم في حق الله بأسماء الله وصفاته وليس عندك فيها دليل

هذا على القول من الله بغير بغير علم

إذاً أسماء الله عز وجل توفيقية هذا مذهب أهل السنة والجماعة

و لكن ممكن أحياناً العقل يأتي كما سيأتي معنى القياس الاولى ثم سيأتي لكنه لا يستدل به

لكن ممكن يستأنس به بعد ثبوت الأسماء أن العقل يقبله وأن العقل يبين ذلك أيضاً

إذن إثبات الأسماء والصفات لا مجال للعقل فيها

فنقول بأن أسماء الله عز وجل توقيفية كما جاء أيضاً في الحديث

حديث مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم **(لا نُحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنَيت على نفسِك)**

وهنا التسمية من الثناء

يعني الثناء على الله يكون بأسمائه

سبحانه وتعالى

فقال لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك

يعني النبي صلى الله عليه وسلم اثبت بان الثناء على الله عز وجل ثابت بما اثبت الله عز وجل على نفسه بذكر أسمائه في الكتاب أو في السنة

فالعقل لا مجال له في هذا الباب الا ان يصدق فقط ويقف عند النصوص

والبعض اضاف أيضاً في هذا الباب باب أسماء الله عز وجل

استدلوا يعني بأن أهل السنة أيضاً قالوا لا يجوز تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بأسماء لم تثبت في السنة

وهذا كأنه محل اتفاق أيضاً

فإذا قلنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز تسميته باسم لم يثبت عنه واذا من باب اولى الله عز وجل سبحانه وتعالى لا يسمى بأسماء لم تثبت له وهو الخالق سبحانه وتعالى

فهذا أيضا يستدل عليك بقوله تعالى (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ)

يعني هذا أمر لله عز وجل فادعوه بها هذا لا يكون فيه مجال للعقل ان يدخل فيه

أيضاً القاعدة الاخرى السادسة اسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين

وهذه نعتقد الكل يعلمها بان أسماء الله عز وجل غير محصورة بعدد معين

مع انه قد يشكل على البعض قول النبي صلى الله عليه وسلم **(إنَّ للهِ تسعًا وتسعين اسمًا مئةً غيرَ واحدٍ من أحصاها دخل الجنَّةَ)**

فالبعض يظن أن هذا يعتبر حصر لعدد الأسماء

هل اسماء الله محصورة؟ تسعة وتسعين اسم فقط؟ لا

ايش؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم إنَّ للهِ تسعًا وتسعين اسمًا مئةً غيرَ واحدٍ من أحصاها دخل الجنَّةَ

والبعض قال ان هذا حصر للأسماء لكن الصحيح أن أهل السنة والجماعة قالوا اسماء الله غير محصورة

ما الدليل؟ اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك نعم أيضاً قال حديث الشفاعة وهي أن في الشفاعة سيسجد عند العرش فقال فيعلمني ربي محامد لم أكن اعلمها من قبل

فالنبى صلى الله عليه وسلم يتعلم في هذا الوقت محامد والمحامد بما يحمد بها الله عز وجل ولابد فيها من أسمائه

فدل ذلك على أن الأسماء غير محصورة لله

الحديث أيضاً الذكر الذي رواه الامام احمد وغيره قال او استأثرت به في علم الغيب عندك

لما في اول الحديث اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك

فدل ذلك على أن الله قد استأثر سبحانه وتعالى في علم الغيب ما لا يمكن أحد أن يحصره من أسمائه أو يحيط به

طيب وتوجيه الحديث أن لله تسعا وتسعين اسماً

تعلموا دائما لما يأتي مخالفة في مسألة تجاوب انت وكانك ما سمعتش الطرف الاخر؟ هذا ضعف علمي

يعني لابد كده تفهموها وفي العقيدة وفي كل فروع العلم

لما يكون في مسألة فيها مخالف ويخالفك في الرأي

فانت تجيب

تجيب برأيك وبأدلتك

لكن تبقى أنك ترد على المخالف

هو عنده دليل فلابد أن توجه الدليل الذي عندك

إن لم تفعل فانت ما زلت عندك نقص في الاجابة

وعندك ضعف

البعض ايش كأنه لم يسمع الطرف الاخر؟ هواء مش موجود

وده احادية في في العلم

وهذا ما يصح

ما كان علمائنا يفعلون ذلك

انظروا الى كتب العلم

الفقه المقارن مثلا او حتى في العقيدة تجد المخالف يثبت الحق الذي معه ويرد على المخالف

ووجوه الرد كثرة بقى هذه المسألة بيتعلمها طالب العلم

لكن المهم ان يكون الترتيب اللي عندك انك ما تجيب وتترك الدليل المخالف لك هكذا لا ترد علي

فهذا ضعف في الاستدلال

فلابد نحن نرد

إحنا بنأصل في كل شيء يعني ان شاء الله مش فقط في هذا الباب

لكن تستفيد كطالب علم بانكم البعض ايش؟ يشكل عليه في مسألة يجيب هو

طب وماذا فعلت في الادلة عند المخالف؟ ما قاليش هتفعل بها

كيف توجهه؟ هو بيقول لك بكلام وانت كانك مش سامعه بتكلمه كلام تاني؟ فلابد ترد عليه

هنا لابد ماذا سنفعل في الحديث؟ إن لله تسعا وتسعون تسعا وتسعين اسماً مائة والا واحدة من أحصاها دخل الجنة

خلاص احنا بينا بادلتنا ان لله اسماء غير محصورة

لكن عندنا توجيه في الحديث لابد نوجهه

كيف سنوجه الحديث؟

أسلوب لا حصر

تمام كده؟

طب يعني من اين اتيت بهذه الاجابة؟ طب انت قلت لم يحصر

اين الدلالة من اللغة انه لم يحصر؟ يحصر من الادلة

لو جمعنا حديث الشفاعة مع الحديث ده

ما ردتيش على الحديث

لابد تردي على الحديث نفسه

انت رحت بعيد رحت جبت الادلة الاخرى اللي معك وعايزة تقولي له انا معي ادلة اخرى

لا لابد تردي اول على الدليل اللي معه

تفندى له الدليل

طب هو بيستدل به على شيء

فلابد تبين له ان الدليل ده لا يستدل به على الحصر

فتنظري في الفاظ الحديث

وتستنبطي المعنى الذي يدل تخرجي منه على ان الحديث لا يدل على الحصر

دي برضو في طريقة الرد

ما هو انت ما رديتيش على الحديث

لازم تردي على الحديث نفسه

انا ظننت ان القاعدة دي سهلة جدا والكل سيأتي بها

متكررة في كل دراسات العقيدة

احنا عايزين الرد على الحديث

طريقة الرد على الحديث هي اهم شيء بقى

لان كل حافظ الاذكار دي فيرد

طب وانا هاعمل ايه في الحديث فين؟ الرد اللغوية

ممكن

زي المسائل اللي احنا قلنا اللي هي زيد قائم

ممتاز

يبقى ده نطبقه يعني تقول ان ايش؟ ان هو الان هو اثبت عددا ولم ينفي ان مفيش غيرهم

لانك تقولي مثلا كبعض الشراح مقال انا معي الان دلوقتي الف جنيه

لو قلت معي الف جنيه

هل ده معناه ان انا ليس عندي من الالف جنيه؟ هم

ممكن يكون عندي غيرهم

او انا الان سانفق الف جنيه

هل ده معناه ان انا لا انفق غير الف جنيه؟ انا بقول لا ممكن انفق غير الف جنيه

يبقى معناه هنا لا توجيه

ايش؟ هو الكلام كله

هل الحديث يدل على الحصر ام لا يدل على الحصر؟ لا يدل على حصر يبقى لابد تقوله توجيه اول توجيه اللي قلتوه لان ده توجيه يصح أن لله تسعا وتسعين اسماً مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة

نقول ان هذا الحديث معناه ان أسماء الله عز وجل من احصى تسعة وتسعين اسم اللي هي وردت مثلا حسب ما تتبعها في الكتاب او السنة فيكن له الاجر لكن هذا ليس معناه ان هم تسعة وتسعين فقط ليس غيره

طب توجيه ثاني لو اردنا الحصر كانت لغة كما قال علماء بعض علماء اللغة لو اردت الحصر ما ما يقال هكذا انا لله تسعا وتسعين اسماً لأ يقال ان اسماء الله تسعة وتسعين اسماء تسعة وتسعون اسماً ان أسماء الله تسعا وتسعون اسماء من احصاها دخل الجنة

يبقى هنا لو اراد الحصر يقول ذلك

لكن لما تقول أن لله تسعة وتسعين اسماً هذا ليس معناه أنه ليس له غير التسعة وتسعين

فقالوا لغة ممكن الحديث انه هذا حتى تقول يعني جمعا بقى ما هو تجمع مع الأدلة الاخرى اللي موجودة عندك

لكن توجيهنا نقول ايش؟ ان هذا لو كان حصرا لا يقول بهذه اللغة بهذه الصيغة

وهذا أيضاً معناه كما قلتم الان زيد القائم

ليس معناه انه انه مافيش غير زيد قائم ممكن يكون في عمرو قائم وعبدالله قائم وغيره

احنا اثبتنا فقط القيام لزيد

لذلك انا اثبت هنا ان لو الأسماء لكن هذا ليس مع انه ليس هناك اسماء اخرى

فهذا توجيه اقرأ بقى هنا ايش؟ العمل بالاحصاء

ذكر العدد ليس دليلا على الحصر

لأ لأ ممكن يكون دليل على الحصر

لو اراد ان يحصريقول (إن اسماء الله تسعة وتسعون اسماً)

يبقى انا حصلت الان اهو العدد ممكن يكون حصر

لا لابد على اين في الحديث الذي لا رد على النت عشان كده من احسن تصحيح الاسم دخل الجنة ممكن يكون ده يدل على ما هو ما هو كلمة ايه يدل على الحصر ده الرد العام لكن من اين من الحديث توجيهات يستفاد من ذلك في هذا طبعا نختم بالاحصاء ما معنى الاحصاء؟ اللي قلناها يعني الحفظ بعضهم طبعا هي فيها كثيرة جدا

يعني حتى الاعراب بقى يعني يراجعها سامر عليها مرارا للوقت

اقوال

الاول القول الاول المراد بالاحصاء الحفظ

وده اللي قاله الخطابي في كتابه ايه؟ يبقى انه تكلم على ان المقصود بالاحصاء ان يحفظها يحفظها العبد

قال تعالى واحصى كل شيء عددا

وقال القرطبي هذا القول والبغوي أيضاً في شرح السنة قال أيضاً

والقول الثاني قال بالاحصاء الاطاقه

واستدل بقوله تعالي علي علم أن لن تحصوه ان يعني لا تستطيع ان تتركوه

فقالوا المعنى من اطاق القيام بحق هذه الاسماء والعمل بمقتضاها وهو ان يعتبر معانيها

فيلزم نفسه بواجبها

فهذا هو معنى الاحصاء

يبقى قال الرزاق وثق بان الرزق من عند الله

وان لا رزق الا منه وان المال لله

وهكذا

بكل اسم من اسماء الله عز وجل

فقال ومعنى الاحصاء؟ الاطاقه

بطاقة بحق هذه الأسماء من احصاها يعني من طاق ان يعمل بها كما ينبغي هذا الذي يدخل بها الجنة

يبقى ده قول الثاني

القول الثالث قالوا بالاحصاء الاحاطة بمعانيها

يقال مثلا عند العرب غلام ذو حصاة

او ذو عقل او ذو معرفة يعني عنده المعاني ما يقصدون الاحصاء ان يحيط بمعاني هذه الاسئلة

ورابعا معنى احصاها عرفها

قالوا لان العارف لا يكون الا مؤمنا والمؤمنا يدخل الجنة

والخامس معنى احصاها عدها

عداها معتقدا بها

ومعنى احصاها السادس يريد بها وجه الله واعظام الله

والسابع معنى احصاها عمل بها

ولو قال الحكيم يعمل بمعنى الحكيم لان كل اوامر الله فيها معاني ان يقتضي ذلك بأنه يعني يسلم لجميع ما ما قدره الله عز وجل عليه

والتاسع قالوا لا المقصود هنا ليس الاسماء

قالوا المقصود هنا حفظ القرآن

لانه يكون بحفظ القرآن مستوفية الأسماء

واحيانا في ضعف لان الأسماء مش كلها في القرآن

فيه منها اسماء في السنة

لكن هذا قول

والبعض قال من احصاها يعني تتبعها في القرآن نال هذا الاجر

لقوله تاسع

وابن عطية في بتفسيره قال احصاها عدها وحفظها ويتضمن ذلك الايمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والاعتبار بالمعاني

ادي عشرة اقوال عند العلماء في هذه المسألة يعني الراجح فيها انه المسألة ليست على الحفظ كل الحرص والفهم والعمل بمعانيها

والايمان بها والتسليم

حقيقة الحديث مسألة عظيمة جدا

مم

لذلك هذا باب عظيم

في حق الله عز وجل

يعني الحديث بعض يقول انه من احصاها فيحفظ الاسماء وانتهت المسألة

نعم

هذا حقق هذا يعني باب فنعم له الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

والتعبد بالاسماء يقتضي انك تدعو الله عز وجل بها

اولا لقوله تعالى فادعوه بها

فهي وسيلتك في الدعاء

وهذا من اركان الدعاء

انك تثني على الله عز وجل وتثني عليه باسمائه وصفاته

بعد الصلاة والصلاة على النبي وسلم سم ان اردت ان تسأل الله تسأل باسم مناسب

اردت المقدرة فتسأله بالغفور

رد الشفاء فبالشافي

رتب الرزق فبالرزق

او الرزاق

الى غير ذلك

فهنا تدعو الله عز وجل ما يناسب ذلك من من ولا تتعدى في الدعاء

فتقول يا غفور اغفر لي

مش تقول يا شديد العقاب اغفر لي

هذا تعدي هذا هكذا اصر

الامر الثاني انك انك تتدبر هذه الاسماء فتتعرض لها في عبادات

وتعلم ان الله رحمن ورحيم

فصفة بمقتضى الرحمة انك تعمل اعمال صالحا لتنال رحمة الله عز وجل

انك اذا وضعت في موضع ان ترحم الناس أيضاً كأنك تتدبر معنى الرحمة عند الله تريد ان تقدم لله رحمتك بخلقك من مخلوقات فانت الله يرحمك بها

فهذا كله حقيقة من التعبد بها لله عز وجل بهذه الاسماء

سنقف عند قاعدة الالحاد في اسماء الله ما معناها؟ كانت تقريبا والله اعلم كانت ممكن تكون هذه اخر قاعدة في باب الاسماء قبل ان ندخل في الصفات

اشكال الوقت الان نقف عندها ونكتفي بهذا القدر من القواعد

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ
وليد صالح البري
المحاضرة الخامسة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعدنا مع برنامج دراسة العقيدة، ما زلنا في القواعد الخاصة وكنا قد تكلمنا الأسبوع الماضي عن الأسماء وقواعد أسماء الله عز وجل وذكرنا بعض القواعد ووقفنا عند قاعدة وهي القاعدة التي نكمل بها الكلام اليوم إن شاء الله

القاعدة التي معنا الآن هي **الإلحاد في أسماء الله عز وجل**

كيف يكون الإلحاد في أسماء الله عز وجل؟ لأن الله عز وجل قال وبين أن هناك من يلحدون في أسمائه **(وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)**

إذاً هناك إلحاد في أسماء الله عز وجل، الإلحاد أصلاً من اللحد، واللحد فيه الميل، فاللحد يكون فيه ميل يوضع فيه الميت

فالإلحاد يعني الميل في أسماء الله تعالى أي الميل بها عما يجب فيها.

وهذا الإلحاد له أنواع :

النوع الأول: أن ينكر بعض الأسماء أو ينكر ما دل عليه الإسم من الصفة أو ينكر ما دل عليه الإسم من الأحكام مثلاً

إذا هذا النوع الأول في الإلحاد هو الإنكار أن ينكر شيئاً من الأسماء سواء ينكر الأسماء كاسم أو ينكر الصفة التي مع الإسم أو ينكر الحكم الذي قد يستنبط وهذا ما فعله ما يسمون أهل التعطيل وطبعاً رؤساء هذا الأمر هم الجهمية الذين عطلوا أسماء الله عز وجل وألحدوا فيها لم يثبتوا لا أسماء ولا صفات والمعتزلة الذين أثبتوا الأسماء لكن بلا صفات فقالوا سميع بلا سمع عليم بلا علم وغير ذلك، فهذا إلحاد لأنه لم يثبت ما دل عليه الإسم من الصفة وهذا يناقض وينافي صحة الإيمان بالله،ونحن قلنا الإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته فإن أنكر شيء يبقى ألحد في أسماء الله عز وجل، وكذلك كان هذا إلحاد فى وجوب الإيمان بالله عز وجل

النوع الثانى: أن يثبتها لكن يثبتها الأسماء على صفات تشابه المخلوقين

وهذا الطرف الآخر النقيض الذي أثبت الأسماء وأثبت لها صفات لكن لما أثبت جعل صفات تشابه صفات المخلوقين، ويسمون هؤلاء أهل التشبيه ولا يمكن أن يشبه الله عز وجل في صفاته بأحد من مخلوقاته والذي قال سبحانه وتعالى **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** والتشبيه لا يمكن أن يكون مقصوداً من النصوص لأن الخالق يفارق المخلوق بل النصوص تدل على بطلان ذلك من شبه صفات الخالق بالمخلوق كما قال بعضهم قال يد الله كيد المخلوق ما علمنا

الله خاطبنا بعقولنا وقال لله يد لله قدم ولله عين ولا نحن نعلم اليد والعين ؟ قد علمنا الله عز وجل بها والتي عندنا فوقعوا في التشبيه وهذا كفر لأنه يشبه الخالق بالمخلوق في صفاته لا شك إن هذا من البطلان فهذا من الإلحاد أيضاً

ومن الإلحاد أيضاً نوع آخر أن يسمي عز وجل بما لم يسمي به نفسه سبحانه وتعالى، وهذا وقع فيه النصارى ومشركي العرب، النصارى يعني يطلقون الأب ويريدون به الإله وهذا تسمية لم يسمي الله عز وجل نفسه بها، والفلاسفة أيضاً يسمونه في كتبه العلة الفعالة وهذا ما يصح... لماذا ما يصح ؟ هناك قاعدة قلناها من قبل أن أسماء الله عز وجل توقيفية؟ فلا يسمي الله عز وجل بما لم يسمي به نفسه فمن سمى الله عز وجل باسم لم يسمي به الله عز وجل نفسه فوقع في الإلحاد أيضاً في أسماء الله

ثم نوع آخر من الإلحاد في أسماء الله عز وجل أن يشتق من أسمائه أسماء لمعبودات له كما فعل المشركون العرب سموا بعض أصنامهم بأسماء مشتقة من أسماء فعندهم العزة من العزيز واللات من الإله ومناه من المنان، وهذا أيضاً إلحاد في أسماء الله أن يشتق من أسماء الله أسماء لمعبوداتهم الباطلة وهذا لأن أسماء الله خاصة بالله عز وجل لا يدعى بها غيره قال تعالى:**(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)** وهذا اختصاص له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والارض قال تعالى:**(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)** [طه : 8]

فكما أفرد الله نفسه بالربوبية سبحانه وتعالى و اختص بالألوهية والعبادة كذلك اختص بالأسماء فلا يسمى بها غيره على الوجه الذي يختص به الله عز وجل

مثلاً الله كريم، الكريم سبحانه وتعالى وهناك من الخلق ما يسمى كريماً أو كريم لكن قلنا من قبل أن أسماء الله أعلام وأوصاف بخلاف أسماء المخلوقين هو كريم اسمه لكنه لا يتصف بالكرم، أما الله عز وجل فاسمه علم على ذاته سبحانه ويتصف بصفة بصفة الكرام

إذا فالاشتقاق من أسماء الله أسماء للمعبودات هذا أيضاً إلحاد في أسماء الله عز وجل قال تعالى:(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

إذاً للإلحاد أنواعاً وأصناف قد بيناها ولا شك بأن الله أنكر على الذين يلحدون في أسمائه وسيعاقبون بسبب ذلك

وهناك من وقع - لم يقصد طبعاً- في الإلحاد لكنه الحق بالمبحث أو بالقاعدة هناك من سمى أسماء لله وهي ليست أسماء يعني هذا ليس من باب نقول الاشتقاق الاسمائي وغيرها لكنه يعني اجتهاد في مسألة فهم النصوص وأخطأ في إثبات الأسماء بعضهم سمى الله الطبيب والطبيب الصحيح الراجح أنه ليس باسماً لله عز وجل وقد استدل من سمى الله بالطبيب بقول عائشة رضي الله عنها قالت :مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت يدي على صدره فقالت : اذهب البأس رب الناس أنت الطبيب وأنت الشافي وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول وقتها ألحقني بالرفيق الأعلى ألحقني بالرفيق الأعلى. **طب فيه أحد يعرف وجه الدلالة من هذا الحديث؟**

على إثبات من يرى بإثبات اسم الله الطبيب؟ أقول مرة اخرى أريد الإجابة الذين سموا الله استدلوا بحديث عائشة قالوا قالت عائشة رضي الله عنها مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعت يدي على صدري فقلت اذهب البأس رب الناس أنت الطبيب وأنت الشافي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحقني بالرفيق الأعلى والحقني بالرفيق الأعلى **وجه الدلالة من الحديث على إثبات إن الطبيب اسم لا لمن أراد أن يثبت ايش؟** عشان طب ايه في الدلالة على مقالة عائشة تاني؟ هي مش هتجيبوها دلوقتي لسه ما تدرسوا الأصول.

نعم أحسنتم. إقرار سكوتي من النبي صلى الله عليه وسلم، أقر ولم ينكر، لأنه لو كان ليس من أسمائه لأنكرالنبي صلى الله عليه وسلم

سكت إقرارا ثم في الاصول هذا إقرار إن النبي سمع شيئا ولو كان منكرا وهذا في حق الله لأنكرعليها

فقالوا إذا وجه الدلالة إقرار النبى صلى الله عليه وسلم فما أنكر عليها لكن هي بتقول ولكنه ينظر إلى الرفيق الأعلى

وفي رواية اخرى عند في السنن راوي الحديث أبو رمثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم هو وأباه **(فقالَ له أبي: أَرِني هذا الَّذي بظَهْرِك، فإنِّي رَجُلٌ طَبيبٌ، قالَ: اللهُ الطَّبيبُ، بل أنت رَجُلٌ رَفيقٌ، طَبيبُها الَّذي خَلَقَها.)** فهنا قال والله الطبيب؟

فالطبيب صفة لله عز وجل وهذه الأسماء إذا اقترنت بالله عز وجل بتكون صفات

مثل الله كريم الله عزيز وهكذا، قال بعض العلماء كالبيهقى وبن حجر و نور حسن خان وابن العربي بأن الطبيب اسم لله عزوجل، لكن بالتمحيص حقيقة هل الله عز وجل اسمه الطبيب؟

لو قلنا (دخل زيد الطبيب على عمرو المريض فأجرى له جراحة ناجحة جداً لكن بعد شهر تبين أن الطبيب نسى فوطة أو مقص في بطن عمروهل هذا الطبيب يذم أم يمدح؟ هذا طبيب يذم، وآخر أجرى العملية الجراحية فنجحت نجاحاً تاماً فهذا الطبيب يمدح) إذاً الطبيب لا يمدح من كل وجه ممكن يمدح من وجه وممكن يذم من وجه، لذلك لا يصح أن يكون اسماً لله

أسماء الله عز وجل حسنى من كل الوجوه وكمالاً من كل الوجوه

قال تعالى : **(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)** فالحسن كمال من كل وجه لكن طب ماذا نفعل في هذا؟ نقول هذا خبر عن الله عز وجل نعم وقول أبو بكر عند مرض الوفاة قال لقد اطلع علي الطبيب فقال وإني فعال لما أريد

فنقول إذاً نحمل الأحاديث التي جاءت على أنه إخبار عن الله عز وجل وليس اسماً -سنبين الفرق بين الإسم والصفة والخبر سيأتي لها الكلام- فإذاً الصحيح أن الطبيب ليس باسم الله لكنه خبر عن الله عز وجل يمكن أن نخبر عن الله بأنه الطبيب كما سنخبر بأنه الموجود أو أنه شيء أو غير ذلك سيأتي معنا أو أنه قديم وإن كان بيناه الأسبوع الماضي في مسألة القديم لكنه إن اسماً في الصحيح أنه ليس باسم لماذا؟ قلنا لأنه ليس كمال من كل وجه

أيضاً البعض يسمي الله عز وجل باسم الغيور وقد قال به ابن العربي والبيهقي والحليمي، ماذا قالوا؟ استدلوا بالحديث النبي صلى الله عليه وسلم **(أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ منه، واللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي.)** وقالوا وجه الدلالة هنا في أفعل تفضيل فقال **(واللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي)** يعني اشتراك في الغيرة لكنه تليق بجلال الله عز وجل وعظمته والإنسان له غيرة لكن تليق بعجزه ونقصه

وجاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين إن النبي قال **(إِنَّ اللَّهَ يَغارُ، وغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ ما حَرَّمَ اللَّهُ.)** وقال إن الله يغار فقالوا هذا الفعل فعل لله عز وجل إذاً الله غيور، فالبعض جعل الغيور اسم لله عز وجل وهذا أيضاً فيه نظر لماذا؟ على القاعدة إن اسم الله لابد أن يكون كمالاً من كل وجه، طب هل الغيرة كمالاً من كل وجه؟ نقول لو رجل دخل على زوجته وأراد أن يرتقب شيئاً حتى فعل فعلاً أو شيء حتى يجعلها تغار نقول هذه غيرة مذمومة ليست ممدوحة، يعني هو أراد أن يستثير لتغييرعليه ففعل شيئاً غير ما يصح أن يفعله، نقول هذه غيرة مذمومة.

لكن واحد سمع أحد ينتقص من الدين أو يتكلم في النبي صلى الله عليه وسلم أو ينتقص بشيء فقام غار على الدين فقام فرد ذلك المنكر وبينه ورد عليه وغير ذلك، مثلاً ماشي في الشارع وسمع أحد والعياذ بالله يسب الدين فوقف وقال اتق الله ادخل في الإسلام هذا كفر وهذا كذا، هذه غيرة على الدين فهذه غير محمودة، إذاً الغيرة قد تكون مذمومة وقد تكون محمودة فنقول هنا إذا قلنا من وجه الكمال من وجه النقص فلا نقول أن الله يسمى بذلك لكن نقول بأن هذه من أفعال الله عز وجل أو نخبر عن الله أنه يغار وفيها تقييد ما هو ممكن الصفة تأتي من وجه ووجه كما سيأتي المقابلة يمكرون ويمكر الله، يخادعون الله وهوخادعهم ففيه صفات كمال من

وجه دون وجه هذا في الصفات لكن الأسماء لابد تكون كلها حسنى كلها كمال من كل الوجوه لذلك لا يسمى الله عز وجل بذلك ومنها الصانع وقد بينا من قبل وتكلمنا فيه

طيب هنا لابد إعند الكلام عن أسماء الله عز وجل من باب التقسيمات الأسماء العلماء اجتهدوا فأرادوا أن يبينوا تقسيمات لأسماء الله عز وجل كما بينوا تقسيمات في الصفات وسيأتي إلينا ذلك فقالوا بعض أسماء الله عز وجل تحتوي على صفات الجلال وبعضها تحتوي على صفات جمال

إذاً أسماء الله عز وجل قسموها بعضها وصف أو أسماء جلال وفيها صفات الجلال لله وبعض الأسماء يسموها أسماء جمال وفيها أوصاف وأسماء لمعاني الربوبية أو معاني الألوهية، إذاً أسماء الله عز وجل منها أسماء جلال ومنها أسماء جمال، إذن ما هو الضابط؟ نقول أسماء الجمال ما كان فيها الصفات التي فيها فتح باب المحبة من العبد لربه سبحانه وتعالى يعني تجد فيها نوع من المحبة من العبد لربه أو هي من جنس أسماء وصفات الرحمة، مثل الأسماء المأخوذ منها كالرحمن مثلاً، تجد مثلاً الجميل و صفة النور وإن كان هناك الخلاف هل النور اسم أم لا؟

الرزاق اسم فيه نوع من الرزق والإحسان للعباد، فكل معاني الرحمة التي فيها الرحمة مثلاً من الله عز وجل هذه الأسماء تجد أنها تدخل في صفات الجمال بخلاف صفات أسماء الجلال تجد ضابطها تجد فيها معنى الجبروت لله عز وجل العزة والقهر مثل العزيز القهار الجبار له معاني كثيرة جداً عظيمة كل الناس بتذهب إلى الجبار أي فيه معنى القوة والعزة، الجبار فيه جبر الخواطر وجبر القلوب ومعنى عظيم جداً يعني لو التمسه المرء يعني ويدعو به كثيراً يجد فيه تأثير قوي لكن نقول هنا الجبروت معاني الجبروت وغيرها تجد فيها أسماء تسمى أسماء الجلال كما قلنا القهار الجبار القوي المنتقم العزيز تجد معاني العزة والجبروت والقهر هذه كلها جلال تورث إجلالاً لله عز وجل تورث تعظيماً تورث خوفاً وهيبة لله عز وجل

إذاً أسماء الله عز وجل على اجتهاد بعض العلماء إما أسماء جلال أو أسماء جمال وبيان هذا الجمال فيه معنى الرحمة والمحبة وغير ذلك والجلال فيه معنى العزة والجهر والقوة والإنتقام لذلك تجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية له الدعاء المشهور الذي يقولوه دائماً الأئمة في ختام القرآن في الصلوات في الدعاء هذا الدعاء أصلاً لشيخ الإسلام ابن تيمية يعني ذكره فقال :

(صدق الله العظيم المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيماً وتكبيراً الذي نزل الفرقان على عبده) قال: متوحد في الجلال بكمال الجمال يعني جلال الله متوحد بالجبروت والعزة والقهر والإنتقام هذا الله عز وجل متوحدا بكمال الجمال يعني يجمع بين الجلال والكمال في الرحمة والعطف والمحبة إلى غير ذلك وهذه الأسماء كلها لو نظرت إليها لن تخرج عن ذلك

ماذا لو قلنا الرب المالك السيد هي أسماء لله عز وجل صحيح؟ الرزاق فيها معاني إيه؟ معاني ربوبية

أولاً هي معاني ربوبية، ومعاني الربوبية يليق بها تكون أسماء من أي نوع ولا ممكن تشترك؟ يعني جلال ولا جمال ولا ممكن تكون مشتركة ؟

ممكن تكون مشتركة. أحسنت، يعني ممكن يكون بعضها جلال وبعضها جمال لذلك هنا بقى ايش؟ ما تقف عند قاعدة وتقف لابد أن هذا باب واسع تطلبه على كل اسم وتنظر فيه لأن قد

يكون من باب الجلال و قد يكون من باب الجمال لكن التقسيم من حيث المعنى عموماً و من تتبع معاني هذه الأسماء وجدوا أنها لا تخرج من الجلال أو صفات الجمال

والله قد وصف نفسه سبحانه وتعالى وما قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : **(إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ)**

فهو جميل في ذاته بأسمائه في صفاته في أفعاله وهو أيضاً سبحانه وتعالى الذي قال عن نفسه **(ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** إذاً هو فيه الجلال وفيه الإكرام فوصف نفسه بالجلال ووصفه صلى الله عليه وسلم بالجميع أيضاً، فالله عز وجل له جمال الذات سبحانه وتعالى وله جلال الذات يعني له الجمال في الذات وله الجلال بالذات، جمال الصفات والأسماء وله جلال الأسماء والصفات أيضاً في ذلك وكل هذا موجود لغة وموجود شرعاً

شرعاً ممكن تستدل من قوله **(ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** ومن حديث **(إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ)**

ولغة المعاني كلها لا تخرج عن الجلال وعن الجمال في غالب ما يأتي من الأسماء.

طيب هذا الكلام الذي تكلمنا عنه في باب الأسماء مراجعة لمن درس من قبل ويعني تعليماً لمن يبدأ معنا في هذا الباب وسنكتفي بهذا القدر من باب في القواعد في الأسماء ونتكلم عن الصفات فنبدأ أولاً بالكلام عن تقسيم الصفات عند العلماء وقلنا لكل اسم لابد له من صفة،لأن الأسماء لابد لها من صفات فكذلك التقسيم الذي سنقوله هذا في الصفات ممكن تدركه في الأسماء، أقصد أقول أن كل اسم له صفة، ولأن كلامنا الآن عن الصفات فهي بتنقسم باعتبارات .. يعني ممكن تجد علماء يقسمون صفات باعتبار مثلاً الجلال والإكرام، والجلال والجمال، ستقصر طب باعتبار لا باعتبار إن هناك صفات تسمى صفات ذاتية، وفي صفات تسمى صفات فعلية، طيب ما الفرق بين الذاتية والفعلية؟ الصفات الذاتية أيضاً هي مراجعة كما قلت لمن درس من قبل الصفات الذاتية، الصفات الذاتية هي التي لا تنفك عن الله عز وجل، ما معنى لا تنفك ؟ ما الفرق بين لا تنفك وأنها لازمة؟ حتى الناس تفهم لا تنفك وذاتية، نقول يعني أن الله عز وجل موصوف بها دائماً ليس في حال دون حال

مثل الرحمة، لو قلتم إن الله رحيم يعني رحمة الله عز وجل، الغنى هذه من صفات الذاتية، وهو في غناه في كل الأحوال القدرة قدير ، العلم عليم، العلو علو الذات وعلو القهر وعلو القدر أو الشأن، فمعنى نقول ذاتية ولا تنفك عن الموصوف، يعني أن الله موصوف بها دائماً ليس في حال دون حال، الله سميع صفة السمع نقول ذاتية يعني الله عز وجل متصف بالسمع دائماً وأبداً ، وأن الله عز وجل بصير يبقى في كل أحواله سبحانه في كل حال هو موصوف ليس في حال دون حال.

طيب أحسنتم القسم الثاني الصفات الفعلية وهنا أيضاً انتقلت ومعناها أن الله يتصف بها سبحانه وتعالى بمشيئته يعني كيف؟ يعني ربما اتصف بها في حال وربما لم يتصف بها في حال.

السؤال هنا أليس كل الصفات تعتبر ذاتية؟ لا هيبان الفرق، أصل الصفة والله متصف بها لم يكتسبها أبداً، الصفات الفعلية نقصد بها أن الله عزوجل قد يتصف بها في حال دون حال، يعني الله عز وجل يغضب، صفة الغضب ، قال (وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ)، إذن الغضب هذا هل هو في كل الأحوال؟ لا . (يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي) إذاً يغضب في حال دون حال، قال تعالى في قال **(إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)**، أصل الصفة الله مكتسبها أصلاً الغضب، لكن هذه صفة

طب ما الفرق إذن بين الغضب والسمع؟

لا يمكن أن تقول أن الله يسمع في حال دون حال هذا يعتبر نقص، لكن نقول أن الله يغضب في حال دون حال، يغضب عندما يشاء إن شاء، يفرح بعبده لما يفعل الطاعة عندما يشاء أن يفرح، فإذاً معنى أن نقول فعلية نقصد بها ماذا؟ هنا بأنها صفة لله عز وجل ترجع للمشيئة والقدرة بأن الله اتصف بها في حال، وربما لم يتصف بها في حال آخر، وهذه عند بعض العلماء تسمى الصفات الإختيارية، وانتبهوا لهذا الباب الذي وقع فيه كثير من المبتدعة بداية من ابن كلاب الذي نفوا الصفات الإختيارية التي هي فعلية، وكثير بعده كما سيأتي إن شاء الله يعني في الدراسة مثل الأشاعرة والمترودية وقعوا في هذه المسألة وأنهم يعني ردوا كثيراً من صفات الإختيارية الفعلية بحجة مشابهة الخالق من مخلوق، لكن معنى أن نقول هنا فعلية بينا ذلك.

ما أريد أن أقوله أن البعض يقول أن الفعلية ما هي إلا ذاتية فعلية، ذاتية بأصل الصفة لله لأن الله عز وجل متصف بصفته أبداً، لم يكتسب صفة لكن عند الفعل هنا هذه التي تكون فيها الإختيار يعني هو يختار حسب القدرة والمشيئة الغضب متى والفرح متى وغير ذلك، نعم إن رحمتي سبقت غضبي، هتبين لك أن الرحمة صفة والغضب صفة فقط نعم صحيح نعم صفة فعلية إن شاء غفر وإن شاء لم يغفر، أليس الغفور هذا هو الإسم؟ نعم والمغفرة هي الصفة.. الصفة اختيارية ، طب الغضب هو أصلاً فيه اسم ولا صفة الغضب؟ نحن لم نذكر سيرة أسماء نحن نقول صفات، نحن نتكلم في الصفات و تقسيم الصفات الصفات الذاتية وفي بعض الصفات لها أسماء، نعم تشتق من الأسماء، لأنه فيه صفات تأتي تصريحاً وفيه صفات من الأفعال فنقول هنا القسم الثاني، وهي صفات الفعلية سيأتي تقسيمات أخرى إن شاء الله يعني أكثر استفاضة، نحن مازلنا ندخل بقدر ما نستطيع، لكن نريد أن نبين هنا الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

ممكن نضيف الصفات الخبرية حتى نتم يعني التقسيم هذا، والصفات الخبرية هي التي استنبطناها بعد أن أخبرنا الله عز وجل عنها، لكن لماذا سموها الخبرية هذه؟ هي ذاتية خبرية أيضاً، ممكن تقول عليها ذلك بمعنى وهي صفات كاليد كالقدم كالعين كالأصابع الأنامل، هذا عند العلماء تسمى صفات هي ذاتية، ممكن تدخل في الذاتية، لأنها أيضاً صفات لله عز وجل، لكن بعضهم قال صفة خبرية لأن لا مجال للعقل فيها، يعني أنت لا يمكن أن تثبتها بالعقل، يعني ممكن الرحمة والمغفرة تعلم أن هناك إله لابد أن يكون فيه مغفرة، وفيه سمع وفيه بصر، العقل قد يدخل وإن كان ليس إثبات لكن يتصور، لكن أنت لا يمكن تتصور الصفات الخبرية هذه وتثبتها لله إلا أن تأتيك في الكتاب أو السنة، وسموها صفات خبرية لأن الله أخبر بها عن نفسه، سبحانه وتعالى أخبر أن له يداً، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم **(كِلتا يَدَيْ رَبِّي يَمينٌ)** **(لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)**، أخبر أن لله عينان قال النبي صلى الله عليه وسلم **(رَبَّكُمْ ليسَ بأعْوَرَ)** وأثبت أن لله ساق، هذه تسمى صفات خبرية لا ضابط لكن أنا بقوله دائماً لأن بيقع فيه بعض الناس، فلابد أن ننبه بعض العلماء قالوا ضابطها عندنا عندنا من نحن؟ المخلوقين عندنا ضابطها الخبرية هذه (تسمى أبعاض وأجزاء) وانتبهوا لأن لا يأتي أحد ويقول لي لماذا أبعاض وأجزاء؟ لا يمكن أن تقول عن عضو من أجزاء الله، وجزأته هذا ما يصح،

لكن نقول **مسماها عندنا** يعني نحن بنفهمها كمخلوقين اليد بعض منا والعين بعض ولكن الله ليس كمثله شيء، لكن مسماها عندنا لابد أن تعرفوا الضابط ،فمثلاً لما قلنا إن ضابط في الذاتية التي لا تنفك عن ذات الله المقصود بها في كل حال، والفعلية يقتصر بها في حال دون حال،

الخبرية التي هي مسماها عندنا أبعاض وأجزاء لكن هي في حق الله ليست بأبعاض وأجزاء، نعم لا يجوز إثباتها إلا بالقرآن والسنة، لا العقل فيها لا بالقياس ولا بأي طريق آخر.

ما زلنا في الصفات هذا التقسيم بيناه ،طيب أيضاً القاعدة التي معنا صفات الله توقيفية قلنا أسماء الله توقيفية

ماذا تعني؟ يعني لا يمكن أن نَصِف الله عز وجل إلا بالكتاب والسنة ليس لك بحال من الأحوال أن تصف الله بصفة من نفسك؟ ولا عن الله عز وجل في أسماء أو صفات أو تخبر عنه إلا بآية أو حديث يبين لك الصفة أو الإسم، ذلك معناه أن الصفة توقيفية .. توقيفية يعني لابد لك من دليل على الصفة، لماذا باب الصفات توقيفي؟ لماذا نقول صفات الله توقيفية؟ لأن لا يمكن أتوقع الصفة، لأنه غيب.. لأن صفات الله غيبية، أنه من الغيبيات، لأن الله غيب ولا نعلم الغيب إلا إذا رأيناه أو نقل لنا عن أحد رأى الله، لأنه لم نعلم عن الله إلا عندما أخبرنا الله في كتابه، وعن ورسوله ، لأن الله غيب هل ترى الله؟ هل أحد رأى الله؟ فوصف فلان لنا؟ هل لله مثيل؟ حاشاه إذا المسألة كلها.. الله عز وجل باب الصفات غيب.. كما باب الأسماء غيب، فالله غيب بالنسبة لنا، نحن لم نرى الله لم نسمع الله لم نرى من رأى الله، ولم نكلم من كلم الله، حتى موسى عليه السلام سمع الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم سمع الله عز وجل، موسى يقال أنه لما كلم الله عاف كلام الناس شهر بعد ما رجع من كلام الله، ما استطاع أن يسمع كلام الناس، يعني ما بعد استمتع بكلام الله عز وجل وسمع الله عز وجل قالوا جلس شهراً يعاف كلام الناس كأنه لا يريد أن يسمع شئ، وهذا حق سبحانه وتعالى، فقال الله عز وجل "قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ "

يبقى إذا كان الله غيب فإذا أردت أن تعلم شيئاً عن الغيب لابد ترجع لمن؟ للكتاب والسنة إلى الله عز وجل وإلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي يبين لك، هذا الكلام قد تجدوه لماذا مهم ؟ لأن نحن بنحفظ كثير أن صفات الله توقيفية لكن لما تريد تتكلم وتضبط لازم تكون مقتنع لماذا توقيفية؟ ويبقى عندك الأمر هذا واضح هكذا كما قلنا، حتى لما تقول لأحد يخترع اسم ولا يخترع صفة هتقول له توقيف يقول لك ما معني توقيف؟ هتقف؟ أنت حافظها؟ لكن لابد تكون فاهم هذا المعنى الذي تشرحه حتى تفيد غيرك بذلك، فلذلك أنا بكرر لماذا؟ حتى ما يكون المسألة حفظ الألفاظ فقط، لابد نعلم من أصلها، إذن فصفات الله توقيفية فمن وصف الله بما لم يصف به نفسه فقد تعدى، ماذا يعني؟ أي قال على الله بغير علم ووصف الله بصفة لم يصف الله عز وجل بها نفسه أو وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى **(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)**

يبقى أنت لا يمكن لك أن تتكلم عن الله أو عن أي شيء في الغيب، وإذاً قد وقعت في قوله تعالى **(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)** أنت ليس لك علم بالله؟ أنت تتكلم عن الله، بل الله عز وجل ذم أشد الذم من تكلم على الله قال تعالى**(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**

كيف إذاً لأحد أن يتكلم في باب الأسماء وفي الصفات بغير دليل يبقى تكلم على الله بغير علم، وهذا من أشد المنكر الذي يفعله المرء، لذلك الله عز وجل أرسل الرسل ليبينوا لنا ذلك يبينوا لنا ويكلمونا عن الله قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) قال يعلمهم الكتاب والحكمة.. العلم في الكتاب والحكمة يعني قرآن وسنة، العلم.. قال الله قال الرسول.. هذا هو والعلم .

من الأدلة أيضاً على أن الصفات توقيفية قول الله عز وجل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) الذي آتاك تأخذه سواء آتاك بالفعل أو بالنهي ، طب إن لم يأتيك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الله عز وجل فلا تسميه شيء طالما لم يأتيك عنه ، وهذا الذي رد فتنة خلق القرآن كلها لما جاء الرجل للخليفة وقال وهل أو جاءه يسأل ابن أبي أمامة؟ على هذا الأمر الذي تقوله الآن قاله النبي صلى الله عليه وسلم أو قاله الصحابة فلما قال لا، قال إذا وسع كما وسعه، لماذا أنت تتكلم فيه؟ في مسألة خلق القرآن وغير ذلك إذا كان لم يتكلم فينا ده اقل شيء يبقى وسعة أمر لا تتكلم فيه أيضاً، وأيضاً قال تعالى (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) فبما أنزله الله عز وجل في كتابه أو في سنته هذا الذي يرجع إليه..

وقال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) إذا ما جاء في الكتاب وجاء في السنة هو فقط الذي يتبع في هذا الباب، ولا أحد ويقول لك إن هذا ليس فيه علم جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة نقول كذبت لأن الله قال(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) فما أحد يظن ويأتي يتقول في أمور ما علمها الصحابة، ولو قال ما علمها النبي كفر، لكن نقول كذبت لأن الله قال (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) فما أردته ستجده بالكتاب أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم أو من فهم الصحابة رضوان الله عليهم، وإذا ما لم تجده يبقى لا يسعك أن تتكلم فيه.

هذا يجعلنا ندخل في مسألة مهمة كيف نعرف الصفات؟ قلنا توقيفية .. يبقى نحن لا نستطيع أن نأتي بصفات الله عز وجل

إذن ما هي طرق معرفة الصفات؟ قلنا طريق الصفات غيب هو غيب والذي أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم أو الله عز وجل، طيب كيف تعرف صفات الله عز وجل من الكتاب والسنة؟ خلاص احنا علمنا بأن الصفات في الكتاب والسنة، طيب كيف تعلمها من الكتاب والسنة؟ هناك طرق لذلك ذكرها العلماء وهذه سنتكلم عنها الآن

أنتم قلتم كل اسم له صفة.. نشتق صفات من الأسماء هذه طريقة، والفعل هذه الطريقة الثانية أن تأتي صريحة، هذه الطريقة الثالثة طيب ممتاز.. بارك الله فيكم وهذه الطرق الثلاثة عشان نشرح.. أحسنتم..

كل اسم له صفة لكن ليس لكل صفة اسم، فيبيقى عندنا ثلاث طرق الآن

الطريق الأول: أن تعلم الصفة من الأسماء، ألم نقل بأن أسماء الله الحسنى وكل اسم لابد له من صفة؟ يبقى كل اسم ثبت أنه اسم لله عز وجل الله عز وجل سمى به نفسه لابد أن يدل على صفة من الصفات لماذا؟ لأن أسماء الله علامة على ذات الله ولابد تتضمن صفات كمان لأن الإسم لا يمكن أن يسمى اسماً لله عز وجل إلا لو هو متضمن لصفة

أول طريقة لمعرفة الصفة:

إذا جاءك اسم من أسماء الله عز وجل لابد أن يدلك على صفة، وهذا طبعاً عقيدة أهل السنة والجماعة وإلا فبعض الطوائف المبتدعة أثبتوا أسماء بلا صفات كالمعتزلة فيجعلون الأسماء خاوية من المعاني، وهذا ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة بل من أصولنا أن الإسم كما بينا لابد له من صفة

إذن أول طريقة هي اشتقاق الصفة من الإسم

الرحمن الرحيم اسمان لله أم لا؟

اسمان لله عز وجل لأنهم جاءوا في الكتاب، الإسم الأول يدل على صفة الرحمة والثاني يدل على الرحمة أيضاً لذلك لما قال (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) علمنا أن الرحمة الأولى غير الثانية

فقالوا الرحمن هي الرحمة الواسعة أو التي يختص بها الناس جميعاً مؤمن كافر ،والكافر حتى الله يرحمه بأن يرزقه الولد والزوجة والمال وغير ذلك، هذه رحمة وإن كانت في الدنيا

وقالوا الرحمن صفة ذاتية والرحيم صفة فعلية لأن لما جاءت في الكتاب جاءت مقرونة بماذا؟ بالمؤمنين (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)

فقالوا إذاً أول طريق أننا نثبت الصفة من الإسم أي نشتق الصفة من الإسم ، ولكن كيف علمنا ذلك؟ النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله عز وجل أيضاً قال

(يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِك أستغيثُ ، أَصلِحْ لي شأني كلَّه ، و لا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عَيْنٍ)

ماذا قال النبي هنا؟ **(يا حيُّ يا قيُّومُ)** هذه أسماء ثم قال **(برحمتِك أستغيثُ)** فتوسل بالرحمة وأتى بالرحمة من أين؟ من اسم الله الرحيم، فأثبت الصفة من الإسم.

فنقول هنا أيضاً من قوله تعالى (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) العليم اسم من أسماء الله

قال تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) فأثبتنا صفة العلم من اسم الله العليم، والله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، قال تعالى (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا).

إذن أول طريق لإثبات الصفة أن نشتقها من الإسم ،لكن علينا أولاً أن نثبت أن هذا اسم من الكتاب والسنة.

الطريق الثاني: قال علماؤنا لإثبات الصفة الأفعال الإختيارية، كل فعل جاء عن الله عز وجل اختياراً -يعني أفعال اختيارية- يدلك على صفة من صفات الله عز وجل سواء هذا الفعل كان مثبت عن الله أو الله نفاه عن نفسه يعني إذا ثبت الفعل هيكون ثبوتية وإذا نفى الفعل هيكون صفة منفية عن الله، قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) [الحج : 18]

(إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) يبقى الله عز وجل يختار له الإختيار سبحانه وتعالى لما يريد.

طيب هناك أفعال اختيارية؟ نعم . نأخذ منها صفات؟ نعم. قال تعالى (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) استوى هذا فعل أم لا؟ فعل. فهذا فعل الاستواء على العرش لذلك قلنا الله يستوي على العرش ،صفة الاستواء وصفنا الله بالاستواء وهي صفة فعلية غير العلو المطلق لكن هذه صفة هذا استوى أتينا بالصفة منين؟ من الفعل الاختياري

قال النبي صلى الله عليه وسلم **(يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْألُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له.)**

ما هي الصفة هنا؟ أي صفة في ينزل ربنا تبارك وتعالى صفة النزول، وقلنا إن هذه صفة أم فعل (ينزل)؟ نحن ننظر هنا الصفة أتت من أين؟ من الفعل.

الطريق الأول الصفة تأتي من الإسم

وهنا قلنا الفعل أضيف إلى الله عز وجل، فأثبتنا الفعل أثبتنا الصفة قال تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) يبقى ما هي الصفة هنا؟ المجيء. لأن من الذي جاء؟ الله عز وجل.

وأيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم **(يَضْحَكُ اللَّهُ إلى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أحَدُهُما الآخَرَ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هذا في سَبِيلِ اللَّهِ، فيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ علَى القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ.)**

ما هي الصفة هنا؟ يضحك الله، الضحك أتت من فعل صحيح؟ نعم.

وأيضاً قوله تعالى (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أي أغضبونا، وأيضاً (إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)

هذا الطريق من أفعال الله تستنبط صفة، لكن انتبه أنك استنبطت الصفة من الفعل ولم تستنبط الإسم من الفعل وهذا ما وقع فيه البعض قلناها في الأسبوع الماضي يعني لا ينفع أقول أن الله يسمى المستوي لأنه استوى صحيح؟ ولا الضاحك؟ لأنه يضحك ولا الجائي لأنه هناك صفة المجيء؟ لا.

الفعل يستنبط منه صفة لكن لا يشتق منه اسماً والأسبوع الماضي قلنا الأسماء يشتق منها صفات ولا يشتق من الصفات أسماء، فانتبهوا لأن البعض وقع في ذلك.

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ) هذه صفة المكر لله صفة مقابلة، لكن هل يسمى الله الماكر؟ لا يسمى الله الماكر.

يبقى هنا الطريق الثاني من إثبات الصفات الافعال الإختيارية.

الطريق الثالث: أن تأتي الصفة تصريحاً بالنص. ممكن تقول (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فعليماً هنا تصريح بصفة العلم. فهذا الطريق الثالث لإثبات الصفات.

علمنا ثلاث طرق لإثبات الصفة من الإسم، من الفعل، أن تأتي الصفة تصريحاً، لكن لابد أن تبين وأن تنتبه أن الصفة تستنبط من الإسم والإسم لا يستنبط من الصفة والصفة تستنبط من الفعل لكن لا يمكن أن تستنبط من الصفة اسماً وقد بينا طريقة معرفة الصفة إما عن طريق الإسم أو الفعل أو التصريح.

كل هذا واضح ، متبقي فقط نتكلم عن مسألة الأفعال والإخبار عن الله والأفعال والأسماء، باب الصفات أضيق وأوسع الأسماء والصفات وغير ذلك

هنأخذ فقط القاعدة المشهورة جدا في هذا الباب أن (باب الأسماء أضيق من باب الصفات وباب الصفات أضيق من باب الأفعال وباب الأفعال أضيق من باب الأخبار) بمعنى ممكن نقلب العبارة نقول **(باب الأخبار عن الله أوسع من باب الأفعال وباب الأفعال أوسع من باب الصفات وباب الصفات أوسع من باب الأسماء)**

بمعنى هنعيد الذي قلناه من قبل إذا ثبت في الكتاب والسنة صفة لله عز وجل لا يعني ذلك أن يسوغ لك أن تشتق منها اسماً لله بل قد يكون هناك وصف لله عز وجل، ولا يلزم أن يشتق منه اسم لماذا؟ بمعنى أنها أضيق.

يعني اعملوا دوائر ،أربع دوائر أصغر دائرة الأسماء الدائرة الأوسع الصفات الدائرة الأوسع تشملها الافعال دائرة الأوسع الإخبار عن الله.

فقلنا بأن الأسماء ما نستطيع أن نثبتها الا بالكتاب والسنة فقط، يعني تأتي تصريحاً لا نثبت الإسم من الصفة لا. لابدأن يأتينا اسما عن الله، يعني لو أتى فعل، نثبت الفعل لكن لا نستطيع أن نقول أن هذا اسم، قلنا الاستواء فعل صفة استوى لكن ليس مستوي.

فمعنى أنه ضيق يعني أني لا استطيع أن أثبت الا اسما إذا جاء اسما. أنت تعرف في اللغة التي عندك اسم وفعل وحرف هذه الأسماء والافعال وفيه مصادر وغير ذلك، فنقول أن الأسماء التي هي الإسم الذي معه، فلابد حتى يكون اسما لله أن يأتي اسما وهذا مبنية على التوقيف ليس فيه اشتقاق. ليس فيه اشتقاق للاسماء فإذا اطلق الإسم تقيدنا بأن ذلك اسم يبقى لذلك باب الأسماء أضيق، لكن الأوسع منها قليلا الصفة لماذا؟ لأن الصفة بتثبت عن طريق الإسم وعن طريق الفعل وعن طريق التصريح تأتي صفة مصرحة بها أو يأتي عن طريق الإسم فتلاقي أن باب الصفات أوسع، يعني ممكن انك تثبت الصفات بطريقة أوسع من الأسماء مش ضيقة هكذا، أما الإسم يشتمل على دلالة ذات وعلى صفة يعني قلت الرحمن ،الرحمن اسم لله دلالة على ذات

الله وموصوف بصفة الرحمة، السميع دلالة لله اسم على ذات الله وموصوف بالسمع، الحي وهكذا الصفة أوسع لأن طرقها في الاثبات أوسع وغير مقيدة بالاشتقاق من الأسماء فقط.

طيب باب الافعال أوسع من باب الصفات؟ نعم لأن وردت في الكتاب والسنة أن الله وصف نفسه بالفعل يضحك استوى جاء ينزل مثلاً هذه كلها أفعال جاءت أكثر من الصفة تصريحاً،هذه صفة تصريحا عليما العلم. فباب الافعال أوسع لماذا؟ لأن نحن قلنا أن الصفة ممكن تأخذ من الفعل.

لذلك البعض قال إن هناك أفعال لا نصف بها الله عز وجل لو قلت مثلاً يستهزأ، يخادع، يمكر هذه أفعال لها وجه كمال لأنه مقيد، وجه كمال مقيد قال (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ (15) [البقرة : 14-15]

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) فممكن تصف به لكن بتصفه بوجه مقيد **(يمكر بالماكرين، يستهزأ بمن يستهزئ)** هتأتي الفعل هنا على سبيل التقييد لا تشتق منه بل تأتي مقيد، في افعال هنا لابد تذكرها مقيدة مثل التي فيها وجه كمال ووجه ممكن يكون نقص، فأنت بتنفي النقص عن الله فبتقول له يستهزئ بالمستهزئ يمكر بالماكر يخدع بالذي يخدع، يبقى هنا الاثبات جاء على وجه التقييد.

والعلماء أجازوا انك تثبت هذه الأفعال في حق الله مقيدة لأن ليس فيها نقص لو ثبتها مقيدة، وليس فيها تعدي في المعنى لأن المراد هنا في الفعل هذا الذي انك تثبت الصفة المقيدة .

مثلاً **(إِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا)** لا يصح أنك تصف الله بالملل لأن الملل نقص، لكن الله وصف نفسه بأنه يمل من مل منه؟ وهذا على وجه الكمال، يبقى هذه الأفعال التي هي ممكن يشتق منها صفات كما بينا، تحتمل كمال ونقص، لما تكون فيها مقابلة لابد انك تثبتها على وجه التقييد لا تثبتها مطلقة، كما قلنا يمكرون ويمكر الله إن المنافقين يخادعون الله وخادعهم يستهزأ بمن استهزأ به وهذا هو الكمال عند اثبات هذه الصفات من هذه الافعال .

لكن ستجد أن باب الأفعال أوسع هنا، في افعال كلها كمال وفي افعال كمال من وجه ونقص من وجه فبتثبتها بصفة لله في هذا الوجه،لكن انتبه حتى باب الافعال مقيد بالنصوص لأن الافعال هتجيبها منين؟ من الكتاب والسنة. الافعال التي اضافها الله عز وجل لنفسه يعني انت لن تستطيع أن تأتي بفعل الا الله اثبته. لكن الفعل كان أوسع في الكتاب والسنة تجد افعال الله ذكرها اكثر من الصفات واكثر من الأسماء.

ثم يأتي الأوسع من ذلك الإخبار عن الله يعني انك تخبر عن الله، وهذه لابد فيها اولاً أن تخبر عن الله بمعنى صحيح لم يأتي النفي في الكتاب ولا السنة فيه.

يعني قال الله عز وجل (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) فأنت ممكن تخبر عن الله انه صانع. لكن انتبه البعض يسمي انه صانع اسم، لا ليس باسم، انت هنا هتخبر عن الله بأشياء لابد تكون ثبتت، وإن لم تثبت يعني لم تثبت كاسم ولا صفة ولا فعل لكن ممكن تخبر عن الله ما دام المعنى صحيح ولم ينفيه الله عن نفسه بالكتاب والسنة.

قال النبي أيضاً **(إنَّ اللَّه صانِعٌ ما شاءَ)** **(إنَّ اللهَ تعالى صانِعُ كُلِّ صانِعٍ و صَنعَتِهِ)** **أيضاً** فهنا صانع هنا من باب الاخبار ماء هذا أنك بتخبر عن الله انه صانع، منها أيضاً الشيء قال تعالى:

(قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ) بعضهم قال أن الشيء اسم، وقال النبي (لا شيءَ أغْيَرُ مِنَ اللَّهِ.) **لكن نقول هنا الصحيح إن شيء من باب الاخبار عن الله وليس اسما لماذا؟ طبق عليه قواعد الأسماء في الكمال والحسن تجد أنه لا ينطبق، لكن الله قد أثبته هنا فتقول هنا ماذا؟ ممكن تخبر عن الله بالشيء؟ نعم تخبر إن الله شيء،مثل أن الله موجود، بعضهم يقول لك موجود لا يجوز وحرام، نقول لا هو ليس باسم لكن إن أردت أن تتكلم مع ملحد أن الله موجود صحيح، فأنت بتخبر عن وجود الله عن قدم الله مثلاً عن الشيء أن الله شيء،** وهذه مهمة لماذا؟ **لأن باب الاخبار واسع ، كما قال الامام احمد له دعاء والشافعي أيضاً له كلام وهذا كله من باب الاخبار عن الله البعض ظن ان هذا من أسماء الله (يا غياث المستغيثين يا هادي الحيارى) نعم هذا الامام احمد الشافعي له أيضاً دعاء أيضاً وهذا من باب الاخبار عنا كأنه يقول انه (يا الله يا هادي المستغيثين)(يا هادي الحيارى يا الله) ولكن ليس (يا غياث) هذا اسم بل هذا من باب الاخبار عن الله عز وجل فالله هو الذي يستغيث بالمستغيثين وهو الذي يهدي الحيارى، فهذا من باب الإخبار جائز انك تخبر عن الله.**

وهذا الباب واسع ستجد فيه بعض الكلام عن العلماء، فالبعض يظن أن هذا اثبات لأسماء أو صفات منه وقلنا كيف هذا توقيفي؟ نقول لا هو كما هو نحن فيه، لكن باب الاخبار أوسع انك تخبر عن الله بمعنى إما جاء في الكتاب أو السنة أو بمعنى لم ينفى لله عز وجل لا يكون فيه ذما أو نقصا، وهذا معنى الذين قالوا من باب الاخبار أوسع هذه الابواب، اذا كان الاخبار عن الله بمعنى صحيح، وقالوا إذا ثبت جنسه في الكتاب والسنة يعني جنس هذا المعنى إذا ثبت في الكتاب والسنة لا بأس أن يخبر به عن الله عز وجل كما في الصنع أيضاً وأيضاً قالوا المريد، إن الله خالق ما شاء، وإن الله صانع ما شاء فقالوا الصانع أيضاً مثل مريد، إن الله فعال لما يريد فتقول إن الله مريد فهل هذا اسم؟ لا انت بتخبر أن الله مريد لارادته سبحان والله فعال يريد هذا من باب الاخبار كما قلنا ولا شيء اغير من الله كما بيننا في الغيرة فنخبر عن الله عز وجل هذا من باب الاخبار الذي قلنا فيه انه أوسع من باب الصفات وهو أوسع من باب الافعال الذي هي أوسع من الصفات أوسع من الأسماء، باب الاخبار لا يشتق منه صفة لله عزوجل .

أحسن الله إليكم جميعا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت استغفرك واتوب إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة السادسة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة وما زلنا في المرحلة الأولى التمهيدية خاصة بقواعد هامة وضوابط في العقيدة وفي أبوابها المختلفة، كنا قد تكلمنا من قبل عن قواعد في أصل التوحيد وفي أركانه و ثنينا الكلام بعد ذلك عن القواعد في الأسماء ثم شرعنا في قواعد في الصفات وقفنا عند آخر شيء باب الإخبار أوسع من باب الأفعال، وهذه نبدأ منها أيضاً جزء مراجعة مع تكملة.

ونقول أولاً بأن صفات الله عز وجل توقيفية قد تكلمنا أعتقد في هذه المسألة من قبل سواء في الأسماء وكذلك في الصفات، فلا يمكن أن تصف الله عز وجل إلا بالسمع، ماذا يعني بالسمع؟ يعني بما جاء فيه من الكتاب والسنة هذا معنى السمع أي من الكتاب والسنة، فليس لك بحال من الأحوال أن تصف الله عز وجل بصفة من عند نفسك أو تتكلم عن الله عز وجل في علاه وأنت لم تصلك آية أو حديث تبين لك أن هذه الصفة من صفات الله عز وجل وهذا معنى أن نقول أن الصفات توقيفية، لكن ممكن يشكل على أحد يقول قرأت أن الإمام أحمد بن حنبل وهو إمام أهل السنة والجماعة يقول (يا غياث المستغيثين) وليس هناك دليل في الكتاب أو السنة ذكر صفة من صفات الله بأنه غياث المستغيثين فكيف نقول ذلك؟

بل أزيدكم قبل الإمام أحمد شيخه وهو الإمام الشافعي رضي الله عن الأئمة جميعاً كان يقول **(الجاعل)** عن الله والجاعل ليس صفة من صفات الله عز وجل، وهذا يجعلك أنك لابد أن تدقق النظر وتفرق وهذا طبعاً الإتقان الذي نحن نرجوا أن نصل إليه، وهو أنك تتقن في مسائل العقيدة، فهناك فرق بين الصفة وبين الخبر، فقلنا أن الصفات توقيفية وباب الصفات أضيق من باب الأخبار، فإنك في الصفة لابد أن ترجع إلى الكتاب والسنة، أن تأتي لك الصفة إما تصريحاً وإما من الإسم وإما تستنبط من فعل من أفعال الله وهذه طرق معرفة الصفة، هذه مراجعة أعتقد تكلمنا فيها.

أما الخبر فهذا المقصود هنا من كلام الأئمة أنهم يخبرون عن الله أن الله عز وجل من استغاثه يجيبه الله عز وجل يخبرونا عن الله عز وجل أن هو الذي يجعل الساكن متحركاً والمتحرك ساكناً، فهذا خبر وهذا ليس صفة لله لكن يخبر عن الله عز وجل يفعل ذلك، لذلك يقال باب الأخبار أوسع من باب الصفات، **وقد ذكرنا من قبل أن الصفات توقيفية وقلنا بأنه طرق معرفة الصفة ثلاثة ما هي؟ قلنا الصفات غيب والتي أخبرنا عنها الله عز وجل أو النبي صلى الله عليه وسلم فكيف نعرف الصفة؟ ما طرق معرفة الصفة؟**

1) أن تأتي صريحة هذا الطريق الأول.
2) الطريق الثاني أن تأتي الصفة اشتقاقاً من الإسم.
3) الطريق الثالث اشتقاق الصفة من أفعال الله عز وجل من الفعل يعني أن يأتي الفعل مضافاً إلى الله فتكون الصفة، يضحك الله فيكون صفة الضحك سبحانه وتعالى.

إذن نذكر مثال للطريق الأول والثاني والثالث، **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ)** تصريحاً نعم أحسنت تصريحاً، أو الحكمة من **(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** يبقى هنا استنباط من الاسم أو اشتقاق من الاسم، **(الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)** صفة الاستواء على العرش لأن استوى هذا فعل، فنحن استنبطنا من الفعل صفة الاستواء وهكذا، **(يَنزِلُ رَبُّنا تبارك وتعالى إلى السَّماءِ الدُّنيا)** فنقول صفة النزول، **(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)** فنقول هنا نصف الله بالمجيئ.

- راجعنا مسألة طرق معرفة الصفات والفرق بينهما حتى ما يقع البعض في بعض ما يرد عن الأئمة في دعائهم فيظن أن هو بيدعو الله بغير ما ورد في الكتاب والسنة غالباً هذه تكون من باب الإخبار عن الله عز وجل، وهذا الذي تكلمنا عنه آخر محاضرة أن باب الأسماء أضيق من الصفات والصفات أضيق من الأفعال والأفعال أضيق من الإخبار والعكس بالعكس في ذلك.

إذن نفس الكلام في قواعد صفات الله عز وجل، **أهم قاعدة والتي هي أصل من أصول أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ونتكلم عنها كثيراً**

(وجوب تقديم السمع على العقل لمعرفة صفات الله عز وجل)

وجوب تقديم السمع على العقل وهذه القاعدة مهمة لأنها يُرَدُ بها على بعض الطوائف المبتدعة الذين عطلوا أو شبهوا أيضاً أو حرفوا، فأهل التعطيل جعلوا العقل وحده أصلاً عندهم، جعلوا العقل عندهم أصل، عندهم شبهة عقلية وهي التي تثبت أو تنفي الصفات عن الله عز وجل، يؤصلون الأول المسألة على العقل ثم يعرضون الكتاب والسنة على العقل فإن وافق عندهم ما جاء في الكتاب والسنة على العقل قالوا به، ونعوذ بالله من ذلك ونبرأ، وإن عارضت النصوص ما أثبتوه عقلاً ردوا تلك النصوص وطرحوها، لذلك بعضهم يقول

كل ما ورد السمع به يُنظَرُ فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به، هذا كلام باطل نحن نقوله فقط الآن -نحن لن هنتعرض للخلافيات والفرق الآن- لكن نحن نبين لماذا القاعدة جاءت عند أهل السنة؟ لترد، **قال كل** ما ورد السمع به يُنظر بدل ما يقول (نقول سمعاً وطاعة) قال يُنظر فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع فيه، انظروا يعني هو لو قبله العقل قال به لم يقبله العقل إما يرد النصوص أو يؤولها كما يقول وهذا ليس تأويلاً كما سنبين هو تحريف يعني إذا قضى العقل باستحالته عنده والنص موجود، إذن ماذا يفعل بالنص؟ لن يستطيع أن يمحو الآية أو الحديث لو ثبت صحيحاً فماذا يفعل؟ يؤول ما ورد السمع به ولذلك هم وقعوا لما وضعوا هذا الأصل أولاً وقعوا في ما وقعوا فيه بعد ذلك من مخالفة أهل السنة والجماعة إما أنهم عطلوا النصوص أو حرفوها بحجة التأويل، لذلك بعضهم يقول أحاديث التشبيه يعني يسمون أحاديث الصفات أحاديث التشبيه كأنها فيها تشبيه، قال أكثرها غير صحيحة والصحيح منها ليس بقاطع لذلك وجب التأويل، ما الذي جعلهم يقعوا في هذا الأمر بأنهم يعطلوا أو يحرفوا؟ أنهم قدموا العقل على السمع الذي جاء بالكتاب والسنة وهذا يبين لكم لماذا وقعوا في هذه الشبهات؟ ولماذا تعصبوا لهذه الأفكار عندهم؟ أنهم قدموا العقل وجعلوه أصل على السمع الذي جاء فما أجازته عقولهم قالوا به وما لم تجزه العقول لم يقولوا به ردوه أو حرفوه بمعنى التأويل عندهم، وهذه مشكلة كبيرة لأن العقل قاصر كيف يتجرأ العقل على أمر يخص الخالق سبحانه وتعالى ويفصل فيه هو ويأتيه الكلام من الخالق أو من رسول من رسل الله عز وجل يخبر عن الله فيرد ذلك ويقدم العقل الذي هو ناقص ولا يعرف عن الله شيئاً لأنه غيب ويثبت وينفي بذلك، للأسف أكثر كتب المبتدعة والطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة تجدهم يفعلون ذلك يقدمون ذلك، ولذلك كتب مثلاً الأشاعرة تجدهم يقسمون العقيدة لإلهيات ونبوات وسمعيات، باب الإلهيات لا يقبلون نصوص الكتاب والسنة وتجد عندهم شبهة عقلية مركبة مقيتة جداً إذا سمعها المرء أو قرأها يعني لا يقبلها وهي كلها متخذة من فلاسفة وملاحدة اليونان أصالةً، والباب الثاني باب السمعيات اللي فيه البعث والحشر والغيب والجنة والنار هنا يقبلوا النصوص فيها لأنها غيب بالكلية ليس فيها مجالاً للعقل، فكأن عندهم باب السمعيات مقابل لباب الإلهيات والنبوات أصالةً، وهذا للأسف وقعوا فيما قال فيه الله عز وجل: **(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)** ، كأنهم أخذوا النصوص التي جاءت في السمعيات ولم يأخذوا النصوص التي جاءت في الإلهيات والنبوات ولذلك في كلام في المستصفى للغزالي وهو من أئمة هذا الشأن وإن كان قيل أنه رجع، قال (كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال)، ما أريد أن أطيل في هذه المسألة أكثر من ذلك لكن هو قال (فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل فإما أن لا يكون متواتراً فيُعلم أنه غير صحيح وإما أن يكون متواتراً فيكون مأوّلاً أو متعارضاً)، ما معنى هذا الكلام؟ أنه أي حديث -دليل سمعي- على خلاف العقل إما يقول لو كان حديث غير متواتر فيردوه يكون غير صحيح، أو متواتر فما يستطيع يرده فإما يؤوله ويصرفه عن الظاهر له حتى لا يكون متعارضاً، وهذا كله خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة الذين قبلوا كل ما جاء عن الله وعن رسوله قالوا (سمعاً وطاعةً) سواء في الأسماء ولا في الصفات ولا في الأخبار أو في الأفعال أو في كل ما جاء وثبت في الكتاب والسنة قالوا سمعنا وأطعنا فيها.

يندرج تحت هذه القاعدة أيضاً أو معها أن الواجب في نصوص الكتاب والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لاسيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها، نكرر هذه القاعدة (الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما

نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها)، قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) سورة الشعراء:193-195، وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة يوسف (2)، وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة الزخرف 3، إذاً القرآن نزل بلسان عربي مبين واضح ظاهر قال الله عز وجل ذلك بهذه الآيات وهذا يقتضي وجوب الفهم على ما يقتضيه ظاهر اللسان، اللسان العربي معلوم والقرآن نزل باللغة العربية لقوم عرب يدل ذلك على أن ظاهر النصوص التي جاءت من الكتاب والسنة خاصة في الصفات من السهل ومن المعلوم لمن نزل عليهم ذلك أنهم يفهمونها ويعلمونها فلذلك وجب فهم هذه النصوص على الظاهر وهذا مهم جداً على الظاهر الذي جاءت به، لذلك الله عز وجل ذم اليهود لماذا ذمهم؟ على أنهم حرفوا، قال تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) البقرة (75)، إذاً كأن كل ما جاء في هذه الأمة وسمع كلام الله عز وجل ثم حرفه وهو يعلم ما فيه من حق سواء في الصفات أو غيره ففيه شبه باليهود، قال: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) النساء (46)

العقل يقول أن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره ومن المتكلم؟ الله عز وجل، وهو الذي خاطبنا باللسان العربي المبين فإذاً وجب علينا لأننا نعلم اللسان العربي هو الذي علمنا إياه أن نقبل ما تكلم به الله عز وجل أو جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم على الظاهر الذي جاء لأن لا يمكن الله عز وجل يقول كلاماً ويريد غير ظاهره إلا ليبينه لنا لو كان يريد غير الظاهر، ما دام لم يبين فإذاً هو على الظاهر الذي موجود فعلينا أن نقبل الظاهر، قال (لله يد) إذاً له يد، الله يسمع يسمع، يبصر يبصر، لله ساق لله ساق، الله يغضب ويفرح ويحب، نثبت ذلك على ظاهرها لأن الله عز وجل كلمنا بلسان عربي مبين نفهمه فلو أراد الله غير ذلك لبين لنا.

فقلنا هذه الجزئية الأولى وجوب الإيمان بما جاء بالكتاب والسنة على ظاهر المعنى وهذا يجعلنا نتكلم على مسألة التأويل الذي وقع فيه من وقع في أنهم حرفوا النصوص عن الظاهر بحجة التأويل إلى معاني أخرى، لكن هنا هل التأويل كله مذموم؟ أم هناك تأويل مقبول؟ وما معنى التأويل؟ وهل التأويل في الصفات مقبول عند أهل السنة والجماعة؟ أم لا؟

نقول أولاً لما قلنا بأن نصوص الكتاب والآيات نزلت على الصحابة أولاً فسمعوها وهم أهل العربية أهل الفصاحة كانوا أهل قريش فلما نزل قول الله عز وجل (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) وسمعها من؟ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجل الصحابة، هل ورد لنا أنه ذهب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: حاكى في نفسي ما حاكى سمعت قوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) فقال له النبي: تكلم يا أبو بكر ماذا الذي حاكى بصدرك؟ قال يا رسول الله: هي القدرة أم النعمة؟ أم ماذا؟ هل النبي صلى الله عليه وسلم يقول له :هل القدرة أم النعمة؟ هل هذا حدث؟!!! هل ورد لنا أن الصحابة لما

سمعوا هذه الآيات؟ قالوا مثل ما قال من جاء من بعدهم -بعد القرون الخيرية طبعاً- القرون التي انتشرت فيها بعد ذلك هذه البدع، أنه جاء أحد من الصحابة لما سمع آيات الصفات هذه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم هو اليد القدرة أم النعمة؟ هو الساق ما معناها؟ الأصابع ما معناها؟ هو الغضب غضب حقيقي أم إرادة الإنتقام ؟هل المحبة محبة حقيقية يا رسول الله أم هو إرادة الثواب؟ هل لما سمعوا قول الله عز وجل (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)؟ فجاء عمر للنبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله اين كان قبل أن يخلق العرش؟ مثلاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: في سحاب في دخان حتى خلق العرش وماذا فعل من العرش؟ قال استوى

قال له ومعنى استوى؟ قال له هل استولى؟ كل هذا ما حدث، سمعوا الآيات تنزل عليهم (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) فما جاءوا للنبى صلى الله عليه وسلم قالوا له والاستواء معناه ماذا؟ الاستيلاء؟ أم ماذا معناه؟ لا. آمنوا وصدقوا بما جاءت هذه النصوص على ما جاءت به وهذا هو فعل الصحابة ما سألوا عن الاستواء ما سألوا عن اليد ما سألوا عن الضحك ما سألوا عن الحب ما سألوا على ذلك بل صدقوا بما جاء، وهذا الذي يجب عليك قف كما وقفوا وسلم كما سلموا، فلذلك لما يعني سبحان الله أن يقيد الله هذا الأعرابي الذي جاء لابن أبي دؤاد في مسألة فتنه خلق القرآن، الإمام أحمد جعله الله عز وجل سبباً في درء الفتنة طبعاً هو جعله مثال على كيف تحمل وأن الامة يعني صارت خلفه، لكن الله عز وجل أرسل أعرابي أن يغلب ابن أبي دؤاد أمام الخليفة على أنه يقول له في هذه الفتنة -التي سجن فيها الإمام أحمد وغيره وقتل فيها من قتل من الصحابة من العلماء- فقال وقف أمامه هذا الأعرابي وكان المأمون وقتها هو الموجود قدام ابن أبي دؤاد فقال له ابن أبي دؤاد قال له: القول الذي تقوله أنت يعلمه الله؟ يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أم لا يعلمه؟ يعلمه أبو بكر؟ يعلمه عمر أم لا؟ قال: لا. فلما علم أنه قال: لا، ظن هو أن وقع، لأنه كيف يقول قولاً لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم؟! فهو يكفر بذلك. فقال حتى يقال له: علم لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعلمه أبو بكر ولا عمر وأنت تعلمه؟ فانتبه. لأنه الأول قال له: لا يعلمه، قال له: الذي أنت بتقول به هذا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولو يعلمه النبي سيصل، يعلمه أبو بكر سيصل، يعلمه عمر سيصل فقال أولاً : لا. فلما قال: لا. انتبه بأن هذا يكفره لأنه جهل النبي وعلم هو علم لا يعلمه النبي فقال: ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم. فقال: ارجع إلى المسألة مرة أخرى،هل ما تقوله كانوا يعلمونه، فقال: أرجع أقول يعلمونه، رجع قال يعلمونه قال: الحمد لله علموه تكلموا به أم لم يتكلموا به؟ قال: لم يتكلموا به. قال:إذاً سكتوا عنه للمصلحة ؟ قال: نعم قال: يسعك كما وسعهم فلما سكتوا لماذا لم تسكت أنت؟ وحاجه بذلك حتى إن المأمون ضحك كثيراً ورجع .

وهذه كانت المناظرة اليسيرة التي حدثت أنك أمر تتكلم فيه ما ورد أنه النبى تكلم فيه ولا صحابة ولا شيء فإذاً إما إنك تقول علمت شيئاً لايعلمه النبي فتكفر بذلك أو تقول علمه النبي لم يتكلم به هذا لو افترضنا طب هو لم يتكلم والصحابة لم يتكلموا؟ يبقى أولى بك أنك تسكت، يبقى لا لماذا تتكلم في شيء لم يتكلم عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقف على ما وقفوا عليه، هذا هو نقول معنى أنك تقر بالنصوص على ظواهرها ولا تتكلم في البواطن هذه إلا لو عندك قرائن أو أشياء الله عز وجل أراد أن يبين أن مراده غير الظاهر هذا الذي قال به، خاصة في نصوص طبعاً الأسماء والصفات التي تخص الله عز وجل.

وهذا يجعلنا نتكلم عن التأويل ما معنى التأويل؟ التأويل جاء على مراتب ثلاثة :

المرتبة الأولى: وتأويل جاء به القرآن هنا يكون بمعنى التفسير ومعناه أن يفسر لك مثلاً قول الله عز وجل (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيقول الحمد غير الشكر وإنما هو الحمد وذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم إلى غير ذلك، هذا هنا التأويل يسمى معنى التفسير، وهذا لا يعلمه إلا من أتقن في أبواب اللغة والحديث وعنده قواعد التفسير ورجع لتفسير السابقين في ذلك فألهمه الله عز وجل توفيق وسداد في التفسير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وضرب على صدره (اللَّهمَّ فَقِّهْه في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ) فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان ابن عباس حبر هذه الأمة ترجمان القرآن كما قال عنه الصحابة وكان ابن عباس يقرأ قول الله عز وجل (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الْأَلْبَابِ) [آل عمران : 7]

كان ابن عباس لما يقرأ رضي الله عنهما يقرأ هذه الآية ويقف عند (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) على قراءة الوصل يقول: أنا من الراسخين في العلم أو قال: أنا مما يعلم تأويله، وهذا ليس من التزكية بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا له بذلك وقد حدث، وهذه دلالة على أن من رزقه الله إتقان في علم من العلوم فله أن يقول ذلك وليس هذا من باب التزكية بل كما قال يوسف: (اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) لماذا؟ لأنه عنده العلم والقدرة أنه يدير هذا الأمر فيتقدم لذلك، بل بعض العلماء قالوا يؤثمون من يعلم أنه عنده قدرة على مثلاً الإفتاء أو عنده القدرة في القضاء أو عنده العلم في التفسير في الأشياء ولا يتقدم ويترك غيره، بعض أهل العلم يتكلمون في ذلك بل عليه هو أن يتقدم، فهذا دين وعلم لابد أن يبينه للناس وما دام قد علم أنه عنده الإجابات.

فهذه المرتبة الأولى أن التأويل جاء بمعنى التفسير

والمرتبة الثانية التأويل هنا يأتي بالمعنى ماذا؟ الذي تأويله الذي لا يمكن أن يعلمه إلا الله عز وجل، وهذه القراءة الثانية في قراءة القطع الوقف لن الوصل في آية آل عمران (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ ۗ) ويقف عند ذلك في قراءة الوقف هنا يقصد أن هذا التأويل الذي هو حقيقة المسألة ما يؤول إليه الأمر يعني ما هو يكون عليه حقيقة الأمر، فمثلاً الله عز وجل ذكر لنا أنهاراً في الجنة قال (فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ) فممكن أحد يقول ما هذه الأنهار؟ فهي خمرة فعلاً تطيش بالعقول؟ أم خمر غير هذه الخمر؟ وهي ألذ من الخمر الدنيا ولا تطيش بالعقول، عسل غير العسل ولبن غير اللبن؟

هذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله لذلك ابن عباس قال (كل ما كان في فواكه الدنيا غيرها في الإخرة وفي الجنة الإسم فقط مثل الإسم أما حقيقته فلا تعلم حقيقة اللبن الذي موجود في أنهار اللبن ولا حقيقة أنهار الخمر التي في الجنة وغير ذلك) وهذا هو معنى قوله (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) الراسخ في العلم في هذه الأمور ما يتكلم حقيقة هذه الأشياء التي لا يعلمها إلا الله يردها إلى الله فيقول آمنا به كل من عند ربنا.

وهنا التأويل بمعنى حقيقة الشيء عشان نقربها يعني ايه حقيقة؟ ما يؤول إليه الأمر أو هو حقيقة حدوث الشيء، هذا كما جاء من قوله تعالى (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [الأعراف : 53]

هنا (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) يعني يوم يأتي حقيقة هذا اليوم يوم القيامة فيعلمون هؤلاء الذين كذبوا أن ليس لهم شفعاء يشفعون لهم ويعلمون ما سيكون لهم لقد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وهذا الذي أيضاً مصداق لقوله تعالى (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28)) [الأنعام : 27-28]

فهنا المقصود هنا في التأويل حقيقة المسألة كما قال الله عز وجل **(أعددتُ لعبادِيَ الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَت ولا خطر على قلبِ بشَرٍ)** فهذه حقيقة الأمر أو حقيقة المسألة وهذا المعنى الثاني للتأويل لا أحد ممكن أن يعلمه إلا الله عز وجل لأنه من باب الغيب لكن عليك أن تؤمن به

المرتبة الثالثة في التأويل وهو الذي ذكر عند المتأخرين

الأولى والثانية كان موجود في كتب المتقدمين والسلف، يعني هل الثالثة التي ظهرت عند المتأخرين؟ وهذا التأويل الذي جاء عندنا في هذا الباب الذي معنا باب الأسماء والصفات وهو معنى التأويل هنا صرف اللفظ عن ظاهره الذي نحن بصدد الكلام عنه الآن هل هذا التأويل نأخذ به بالكلية؟ أم نتركه بالكلية؟ يعني مثلاً ؟ قال تعالى (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)

ظاهر اللفظ الاستواء والاستواء له معنى كما يستوي المرء على الدابة تستوي على الشيء علا واستقر وارتفع إلى غير ذلك من المعاني أو يأتي قوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) فيأتي في الأولى يقول استوى استولى صرف اللفظ عن ظاهره وهو يقول اوله بمعنى آخر هو الاستواء غير الاستيلاء أو يأتي في اليد يقول بمعنى القدرة أو النعمة مثلاً فهذا صرف اللفظ عن الظاهر

ظاهراليد يد لا نتكلم عن الكيفية لكن اليد في الذهن معلومة لما أقول لك اليد تقول في ذهنك الآن اليد بتأخذ بتعطي، يد معنى الياء مع الدال هذا المعنى لكن نحن لا نتكلم عن كيفية اليد أو شكلها أو صورتها، لكن المعنى في الذهن موجود أصالة كذلك الاستواء كذلك الضحك ضحك الله ليلاً أو عجب من فعالكما أو ضحكت الملائكة أو قد عجب الله من صنيعكم بضيفكما الليلة

فيقول هنا ماذا؟ ضحك هنا الله يقول لك لا الذي ضحكت الملائكة، طب عجب الله من صنعيكم الليلة يقول عجبت الملائكة

عن النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: **(ينزل ربُّنا جل وعلا كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا)**

قالوا: ينزل أمر ربنا، ينزل رحمة ربنا

هذا صرف اللفظ عن الظاهر، الظاهر أن الذي بينزل الله عز وجل، أن الذي عجب هو الله عز وجل والذى ضحك الله عز وجل والذى استوى الله عز وجل

(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) يد الله حقيقة فهنا هو يأتي ويأخذ هذا اللفظ على الظاهر يصرفه بمعنى آخر غير الظاهر

وهو يقول لك: لابد أفعل ذلك لماذا؟ قال: لو قلت ينزل ربنا تبارك وتعالى لا يمكن أن ينزل، طب لو قلت أن لي يد كيف يكون يد وأصابع وكف وغير ذلك؟ ولو نزل طب يمشي أم يركب أم ماذا؟ فهو ظن لأنه عرض الأول على ماذا؟ على العقل فوقع في التشبيه بين الخالق والمخلوق فرد ذلك المعنى الظاهر بمعنى آخر هو يتصوره، مع أنه لما صرف حتى اللفظ من المعنى الظاهر لمعنى آخر، وهذا المعنى الآخر أيضاً عند العبد هي النعمة والقدرة، لأن العبد عنده قدرة ونعمة؟ يبقى أنت قولت معنى آخر أيضاً مشترك فيه بين الخالق والمخلوق يبقى الأولى لك أنك كنت تقف على المعنى الظاهر الأصلي وما تنتقل عنه، لكن هم يسمون هذا تأويلاً عند المتأخرين وهذا حقيقة ليس تأويلاً هذا تحريفاً، الحق أن هذا تحريفاً وهذا ليس معنى التأويل الأول ولا الثاني هذا معنى التأويل الثالث الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره لكن الحق تقول أن تأويل المتأخرين بعضه فيه حق وبعضه فيه باطل يعني ماذا؟ يعني هو ليس كل صرف اللفظ عن ظاهره باطل لو جاءتك قرينة تصرف أو تبين لك أنك يجوز لك صرف هذا اللفظ عن ظاهره، قرينة تأتي من السياق أو قرينة خارجية فهنا يمكن أن تصرف اللفظ عن الظاهر لأن جاءتك قرينة من الشرع إما في سياق الآيات أو قرينة من الخارج أصالة أو يكون ضابط ثاني

يبقى في ضوابط في مسألة التأويل هذا حتى يكون تأويل حق وليس باطل حتى عند صرف اللفظ عن ظاهره أول شيء أن يكون في قرينة في السياق وسنبين حول أمثلة تبين القرينة في سياق الآيات يعني مثلاً لما يأتي قول الله عز وجل **(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا)**

(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ) هل المقصود منها أنك ترى ربنا؟ أي رؤية الله عز وجل؟ السياق لا يبين ذلك يعني ليس مقصود الرؤية البصرية (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) لا السياق هنا يبين لك كيف قدرة الله عز وجل جعل الظل ساكناً؟ كيف جعله مد ولو جاء جعله ساكناً؟

يبقى ترى هنا ليس مقصود بها الرؤية البصرية فيأتي واحد يقول لك: ما هو أولته صرفت اللفظ عن ظاهرة. أقول له نعم نحن أحيانا نقول بذلك لما يكون السياق في الآيات يبين لك، ينتفي أن تكون المقصود به الرؤية البصرية هل أنت ترى الله وهو بيمد الظل؟ عمر ما هيكون هذا المقصود من رؤية الله أنك ترى الله عز وجل لكن المقصود هنا أن هذه قدرة الله في كيف جعل الظل

ومنها أيضاً الآية التي يقولوها دائماً

(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) بعض العلماء السلف قالوا: لا المقصود بها الوجه، إضافة الوجه إلى الله فصفة الوجه والبعض من علماء السلف ومنهم ابن تيمية قال لا هذه ليست في الصفات أصلاً هذه الآيات جاءت في مسألة القبلة فيقصد بها وجه الله الذي هو القبلة وليس المقصود بها صفة الوجه فيأتي بعض هؤلاء فيقول أنتم وقعتم في في التأويل فنقول حتى وإن المسألة هذه خلاف بين السلف في هذه الآيات بعضهم هو ابن تيمية لم ينكر أصلاً صفة الوجه كما هم أنكروها هو أثبتها بس من آيات أخرى، لكن جاء في هذه الآية قال سياق الآيات المقدمة والملاحقة تتكلم عن الآيات في القبلة وليس المقصود بها صفة الوجه لله فحمل الآيات هنا الوجه هنا على القبلة وليس على وجه الله فصرفوا عن ظاهره نعم لكن صرفوا باجتهاد منه في هذه المسألة؟ أن من السباق واللحاق في الآيات تبين أن الموضوع يتكلم عن القبلة لكن هو بيثبت صفة الوجه من آيات أخرى . لذلك العلماء قالوا ماذا؟ مسألة التأويل التي هي صرف اللفظ عن ظاهره الذي اشتهر عند المتأخرين والتي كانت مطية أنهم يحرفوا كثير من صفات الله عز وجل أن هذا ممكن نقول به لكن بالضوابط.

الضابط الأول أن تكون قرينة في السياق أو قرينة خارجية أصالة

الضابط الثاني أن اللغة تحتمل ذلك المعنى الذي أنت هتصرف عنه الظاهر بمعنى آخر اللغة بتحتمله ، ماذا يعني تحتمله؟ يعني في معنى في اللغة مقبول لذلك

قال تعالى مثلاً (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) [الشعراء : 192-196]

قلنا الضوابط

الضابط الأول أن يكون قرينة في السياق أو قرينة خارجية

الأمر الثاني التي نحن كنا فيه الآن **اللغة**، أن هذا المعنى تحتمله اللغة، أن هذا المعنى الثاني تحتمله اللغة كما قلنا لقوله تعالى أنه قد أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فلو اللغة لا تحتمل هذا المعنى الثاني لا يمكن الأخذ به، طب ما المثال؟ لما قالوا في الاستواء الاستيلاء؟ ارجع للغة هل

وجدت في اللغة عندنا لغة العرب أن الاستواء يأتي بمعنى الاستيلاء؟ ما وجدته، إذاً هدف تحويل لفظ الاستواء إلى اللفظ الاستيلاء لم تأتي به وليس فيه أصلاً المعنى المقصود لأن فيه المنازعة، والاستيلاء وغير ذلك ليس هذا معنى الاستواء أصالة، فإذاً لو كانت اللغة لا تحتمل هذا اللفظ الذي أنت صرفت إليه لا يمكن أن يقبل بل هذا تحريف وتكذيب، لذلك بعض أهل العلم قالوا التأويل بلفظ لم يأتي به اللغة يكفر به المرء لأنه كذب على الله عز وجل في ذلك وحرف كلام الله عز وجل، لذلك قالوا في الاستواء بمعنى الاستيلاء تحريف، لكن بخلاف مثلاً لما قالوا اليد بمعنى القدرة أو النعمة، وإن كان غير مقبول في اليد لكن له أصل في اللغة، كما جاء في قصة صلح الحديبية ولما جاء عروة بن مسعود الذي هو كان كافراً جاء ليبري من الإتفاق فوقف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يتعامل معنوياً كما يقال نفسياً أراد أن يهدد فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن معك أوباش من الناس.. يعني عما قليل سيفرون عنك – الصحابة- فلما سمع أبو بكر هذا الكلام ما سكت.. ألقمه كلمات شديدة جداً يعني سبه فقال من القائل؟ قال أبو بكر " لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك " يعني كان عمل صنيع له في الجاهلية فله يد عليه مثل ما يقول لك ماذا؟ هذا له يد علي أي له فضل علي يعني فعل له نعمة أو له شيء، ففي اللغة لها أصل.. نعم، لذلك هذا فارق بين الذي يؤول بتأويل ليس له أصل في اللغة فنقول هذا تحريف، فقلت إن البعض يكفره لذلك، والبعض يؤول بمعنى له أصل في اللغة فنقول له هذا تأويل لكنه مردود عليك بهذا الباب الذي معنا، لأن اليد بمعنى اليد ويلزم من اليد أن الله عز وجل عنده القدرة، لكن هذا لازم الصفة.. الصفة هي اليد، ولازم اليد القدرة، فنسبت الصفة ولازمها لكن هم يقولون لأ ليس هناك يد. لماذا؟ لأن لو قلنا يد يبقى يد المخلوق، ولو يثبتون اللازم للقدرة فقط أو النعمة، ونحن نقول لا سنثبت اليد كما هي على الظاهر ومن لوازم يد الله عز وجل أن له القدرة وله النعمة والإعطاء وغير ذلك وهذا لا إشكال فيه عندنا، لكن نحن نقول متى قد يقبل التأويل؟ أن يكون له معنى في اللغة ولابد يكون لك كما قلنا المعنى.. هذا مقبول في اللغة، عندنا لو قلت مثلاً مثال لذلك كما قلنا صفة اليد بعضهم كما قال وأنا هشرح لك يعني بتفصيل حتى نحن عندنا طبعاً آيات جاءت في قوله تعالى " لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ " و " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" فنحن أهل السنة والجماعة ننسب صفة اليد لله عز وجل، لكن غيرنا من غير أهل السنة والجماعة لا يثبتون اليد، بعضهم قال نفى اليد أصلاً بالكلية وبعضهم قال لا هذه هي اليد هنا بمعنى القدرة وبعضهم قال لا هذه مجاز عن النعمة عن الإنعام، طيب ويشهدون كما قلت بقول للعرب لفلان علي يد انتبهوا لهذه الكلمة أنها دقيقة بيلبس على بعض الناس فيها، يقول لك لها أصل أهي في اللغة؛ لفلان علي يد فيقولون النعمة والفضل نقول نعم هذا الكلام صحيح، لما تقول في لغة العرب (لفلان علي يد) تريد النعمة، لكن هنا العرب لا تقول أبداً لو أرادت بالنعمة أن يقولوا (يد فلان علي) فما الفرق هنا ؟ الإضافة ويقولون (لفلان يد علي) هذه تقبل بمعنى النعم في لغة العرب، لكن ما العرب إن أرادوا النعمة أن يأتوها بصفة القطع للإضافة يقولون ماذا؟ (يد فلان علي) يعني يد محمد عليه لا يقولوا (يد محمد علي) وقصدوا بها النعمة لكن ممكن يكون (لمحمد يد علي)، في فارق هنا في اللغة وانتبه ما هي لغة، لأن أنتم تكلمونا لغة فهم بيردوا عليهم باللغة، فلغة العرب لما يراد النعمة تقول (لمحمد يد علي)، لكن ما تقول (يد محمد علي)، ما تقول بالقطع، وهنا الآيات التي عندنا ماذا قالت؟ الإضافة إلى الله.. (يد الله)(بيدي).. فهنا في القطع، القطع بالإضافة ما تكون بمعنى القدرة عندنا، بل المقصود بها إضافة صفة للموصوف، أن الموصوف هذا يتصف بهذه الصفة، لكن لو أردت النعمة السياق عند العرب يقولون يقول هكذا (لفلان علي يد، لخالد علي يد، لمحمد علي يد)، فانظر إلى الفارق يبقى هذا التي نقصدها بالنعمة ليست جاء فيها السياق في الآيات

ولا في الأحاديث، الأحاديث والآيات جاء فيها إضافة القطع إلى الله، صفة لموصوف، فأثبتنا بها صفة اليد فليس المقصود بها النعمة، وهذا أيضاً من؟ للعرب لكن له أصل لكن نقول هذا الأصل لا نقبله منك، أنت أخطأت في التطبيق، يعني لا يجوز إذا أردت النعمة تقول (يد محمد علي)، لا تفهم عند العرب أن (يد محمد علي) أنه له نعمة علي، لا هذا هنا عند العرب (يد محمد علي) هذه حقيقة.. لكن لو أردت أن تقول إن محمد له فضل علي أو نعمة تقول (لمحمد يد علي) انظرجاءت اليد فين بعد محمد؟ لم تجئ قبل محمد.

الفرق لغةً في الإضافة فهذا يبين لك مسألة التأويل، وقلت المثال الأول في مسألة **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**.

من ضمن المسائل التي يؤخذ بها على أهل السنة كأنهم بتقولوا لا تقولوا بالتأويل وأنتم وقعتم في التأويل، خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقلنا إن هذه ليس في التأويل عنده مع إني أنا أدين لله بقول.. من يرى بأن هذه الآيات من صفة الوجه وأن يثبت فيها صفة الوجه أيضاً مع القبلة، لكن أنا أقول أن هذا الخلاف معتبر، وأن القرين عنده قد تبيح له أنه يصرف المعنى هذا إلى معنى آخر.

ما رأيكم في قوله تعالى**(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)** ؟

قالوا هنا الأيدي بمعنى القوة، ونحن نقر بذلك، وقالوا أنتم هنا أولتم، فنحن نقول معناها القوة فيقولوا أنتم حرفتم وقلتم الأيد بمعنى القوة، ماذا ستجيبوني؟ ليس كلمة يد خمسة يد يعني؟ الأصل في اللغة؟ طب كيف الاختلاف؟ ما الفرق؟ الهمزة في أيد الهمزة.. نعم أحسنت، الهمزة في الآية هذه أصلية من الفعل (أدّ يئيد أيدا يؤود) والأيد تعنى القوة فهنا ليست المقصود هنا اليد أصلاً فالأصل مختلف في اللغة، الأصل في اللغة هنا بأيد ليس المقصود بها اليد هذا فرق أصالة ليست جمع اليد يعني وبالتالي والسماء بيناها بقوة وإنا لموسعون وهذا ليس تحريفاً بل هذا ظاهر اللفظ، هذا ظاهر أيضاً في**(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)** القوة هنا أيضاً.

ممكن واحد يسأل يقول طب ما هو ظاهر النص الذي تتكلم عنه.. ظاهر النصوص؟ الأدلة على ظاهرها طب ماذا الظاهر هذا؟ ما معنى الظاهر؟ هو الظاهر هذا بيختلف؟ من واحد لواحد وايش معنى انك تقول ظاهر قاعدين تقولوا لنا ظاهر النصوص؟ فهو القاعدة التي معنا هنا أن ظاهر النصوص ما يتبادر إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق وبما يضاف إليه الكلام، هذه قاعدة مضمونها ظاهر النصوص، ما هو ظاهر النصوص؟ ما يتبادر منها- النصوص- إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام بحسب السياق ويختلف المعنى بحسب السياق وبحسب ما يضاف إليه.

الاستواء مثلاً قلنا الاستواء عندنا في اللغة معلوم الذي هو العلو الارتفاع الصعود الاستقرار طيب، لكن هنا يختلف معنى الاستواء بحسب الإضافة، استواء الخالق غير استواء المخلوق،

أيضاً قال تعالى مثلاً في المخلوقين " لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ" وقال أيضاً (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) وقال سبحانه وتعالى في حقه (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)

طيب أولاً القاعدة بتقول ماذا؟ إن ظاهر النص مراد، يعني نحن عندنا في هذا الباب ظاهر النص مراد وإن الإيمان لابد أن يكون بظاهر النصوص لماذا؟ لأن ظاهر النصوص هو أول ما تبادر إلى الذهن وهذا الذي كلفك الله عز وجل به لما أنزل الله القرآن العربي المبين، كلفنا الإيمان بظهر النصوص ما كلفنا نبحث في معاني باطنية للآيات والأحاديث لا نعلمها لأن هذا تكليف بما لا يطيق المرء ولا يعلمه، ونحن كُلِفَنا بما نعلم وبه نطيق، فالتكليف جاء بأنك تؤمن بظاهر النصوص ولم تكلف بالغيبيات، ما هو النصوص التي جاءت في حق الله عز وجل أسماء وصفاته فيها غيبيات، فنحن لم نكلف بالغيبيات، بأن نؤمن بأشياء وراء الظاهر وهذه لا تدرك، والغيبيات أيضاً لابد من إدراكها على حقيقتها حتى تؤمن؛ فأنت هتؤمن بالظاهر الذي جاء في الآيات أو في الآحاديث، طيب ما هو الظاهر؟ عندنا بباب الأسماء والصفات مهم جدا أن ما يقع البعض فيها، أنك تثبت المعنى دون إثبات الكيفية، في باب الأسماء والصفات لله عز وجل ظاهر النصوص المقصود بها هنا أنك تثبت المعنى دون إثبات الكيفية كيف؟ كمثال أنا أقول الآن أثبت أن لله قال "لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" وجعل اليدين تثنية فأثبت أن لله يد لكن كيفية اليد لا أعلم.

إذ قال تعالى "وَغَضِبَ اللَّهُ" فلنأخذ الغضب لأن الذي يقع فيها كثير في الصفات الفعلية (غضب الله عليه) الغضب حتى هذا له معنى أو في الذهن يعني معلوم في ذهنك معنى الغضب لما قلت لك هو أكيد كلمة غضب غير كلمة فرح صحيح؟ غير كلمة حزن مثلاً نقول على اختلاف، طيب فإذا لما نقول غضب المعنى المتبادر إلى الذهن لما تسمع.. معلوم لك معنى غضب ولا أنت لا تعلم ما معنى غضب؟ تفتكر انه بيضحك؟ اكيد انت فاهم أن الغضب ليس ضحك أو ليس ابتسامة ،لكن كيفية الغضب؟ الغضب أنت لا تعلمه، فهنا معنى أننا نقول أننا بنثبت ظواهر النصوص، لما يثبت الله عز وجل لنفسه أنه قد غضب، أنا سأثبت الغضب بمعنى،وليس بمقولة أثبت الغضب يعني (غين ضاد باء) كما قال بعض الطوائف سميع.. سميع.. سين ميم عين لكن لا نعلم ما معنى السمع، لا نحن سنثبت الغضب ومعنى الغضب وهذا هو الظاهر، اهو اللي نحن بنقوله لكن كيفية الغضب لا نعلمها في حق الله عز وجل، لكن نحن عارفين كيفية الغضب في المخلوق أنه ممكن يغضب يثور صوته يعلى وجهه يتغير لونه ويحمر إلى غير ذلك لن تجد عنده فوران كل هذا في المخلوق، بالكيفية هذه والمعنى عندنا، في حق الخالق بنثبت المعنى ولا نثبت الكيفية، لأن نحن لا نعلم كيفية غضب الخالق، لكن له لوازم.. نعم، ممكن لو غضب الله عز وجل يعاقبك يجازي ينتقم هذه لوازم هذه ايه؟ لوازم.. لكن الأصل هو الغضب الغضب فنحن نسبت الغضب هذا معنى الظاهر اللي هو المعنى المتبادر إلى الذهن سنثبته اللي بيأتي في ذهننا لكن لا نثبت كيفيتها، لازم تفرقوا بين هذه وهذه لان هذا الذي بيقع فيها البعض طب كيف أثبت المعنى ولا أثبت الكيفية؟ قلنا أهو مثال بينّا في اليد وفي الغضب وفي غيرها بأن المعنى المتبادل معلوم فهذا الذي أنا أثبته، فلا تأتي وتترك المعنى؟ لا. وتقول أنا لا أثبت الغضب طب لماذا؟ لأني لو ثبت الغضب لله يبقى أنا شبهته بالمخلوق طب هنعمل ايه؟ نقول الغضب إرادة الانتقام. طب هو لما أنت قلت الغضب إرادة الانتقام أثبت ماذا؟ لم تثبت الغضب بل أثبت إرادة الانتقام، الإرادة صح؟ طب ما هو المخلوق له إرادة، يبقى أنت فررت من الغضب الذيبتقول لن أثبته لله عشان حتى لا أشبهه بالمخلوق وقلت إرادة الانتقام، طب ما هو المخلوق له إرادة؟ الله

له إرادة فأنت أيضاً هنا جعلت إرادة صفة مشتركة وهذا الإشكال الذي هو يظن أنهم فروا من تنزيه الله عز وجل على أن يشبهوه بالمخلوقات، فلا يثبتوا الصفة هذه أو أولوها أو يحرفوها، فنقول هنا لا نحن عندنا بهذه القاعدة (إثبات المعنى دون إثبات الكيفية)، ظاهر النص هو المعنى الذي دل عليه أيضاً مثال ذلك الله عز وجل قال (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ)

قال تعالى(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مثلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

طيب انتبهوا معي حتى اختم بها.. هي ممكن تكون من الأهمية بمكان

مازلنا في نفس القاعدة في ظاهر النص

انت المطالب منك بحق الله أنك تثبت الغضب هذا، تقول نعم الله يغضب الغضب معناه؟

كما قال الإمام مالك عن الاستواء.. الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، الاستواء معلوم كذلك لما أقول لك الغضب قلبك غضبك في ذهنك هي معلومة، فرح معلومة، يحب "فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " الحب معلوم ولا لا؟ ليس شيء أعجمي عنك. لذلك ان في فرق بين كلمةً حب وغضب وانتقم واسف وكره معاني مختلفة برة في العربية ونزلت بالقرآن نزل ووالله وصف به نفسه ونحن نعلم العربية لان هذه لغتنا فإذا المعنى في الذهن متبادل نحن ما نريد منك في حق الله أنك تثبت هذا المعنى، ما تجيش تتجرأ وتقول لا أنا لن هثبت الغضب طب ليه ؟ لأن أنا ما عرفش غير الغضب اللي في الدنيا بتاع المخلوق، وده لن ممكن ربنا يكون بيغضب هذا الغضب، هو أنت تعرف أصلا ذات الله ايه؟ صورة الله ايه؟ ما أنت ما تعلمهاش كذلك لا تعلم غضب الله، لكن الله أثبت أن له غضب وأثبت أن هو يحب وأنه يكره هتثبت ذلك المعنى فقط، ده مطالب منك في حق الله عز وجل، في هذا البلد طيب

هذا الظاهر الذي هو الافراد الذي بنسميها تأتي الكلمة مفردة ولها معنى ظاهر طيب فيه شيء تاني؟ المهم أن اتعرض إليه لأن ده اللي بيحصل فيه الإشكال ساعات وهو بيسموه الظاهر التركيبي الذي تفهمه من تراكيب الكلام فيه ظاهر افراد يعني كلمة واحدة، قلنا يد هذه كلمة، في ظاهر تفهمه من تركيب الكلام من الجمل من تركيب كلمة جنب كلمة جنب كلمة سيكون لها معنى، لكن لو أخذت الكلمة منفردة سيكون لها معنى آخر، لكن لما تأتي للجملة وتضع المفردات بجانب بعضها هيكون لها معنى مختلف، فالظاهر التركيبي هذا لا يفهم من جهة اللفظ بل يفهم من جهة الكلام ككل، يعني لا تستطيع أن تفهم المفردة منفردة لكن لابد تضم الكلام.

سنذكر مثال جديد قال تعالى (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ)

انتبهوا معي لو نظرت إلى كلمة (أتى الله) ووقفت هتقول لي (أتى الله) أضيفت إلى الله يبقى هذه صفة الإتيان صحيح؟ لكن هذا ليس المراد لأن لو أخذتها هكذا سنسميه الظاهر الافرادي وهذا ليس المراد هنا، فلو قرأت الجملة أو الآية (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) يبقى لابد تجمع التركيب، تركيب ماذا هنا؟ الجملة (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) لا ليس مقصود بها صفة

الإتيان هنا،هو كيف (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) ؟ لو أنت قلت صفة الإتيان وسكت، أي أن الله يأتي؟ إذن ماذا عن (بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) ؟ لا، لكن لو وضعت الكلمات معاً (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) لا يدل على صفة الإتيان للذات، لكن هنا يسمى صفة الإتيان **كان بالصفة ليس بالذات**، فالمقصود به أتى عذابه أو بقدرته (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) يعني قضى عليهم يعني استأصلهم من أسفل، وهذه دلالة على صفة القدرة والقوة لله عز وجل والعزة والجبروت.

فهنا لم نقل الإتيان! فيأتي أحدهم يقول لك أنتم وقعتم في التأويل والتحريف، قلنا لا. لأنك لابد أن تفهم في فارق بين أو خالفتم الظاهر يقول في ظاهر تركيبي لابد تنظر إلى السياق والآيات مع بعض فتفسر المعنى ومنها أيضاً قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) هنا (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ) ؟ لا نقول هنا لو أخذنا الظاهر الافرادي؟ (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ) وفيها إلى كمان متعدية بالرؤية يبقى كأنك أنت الآية فيها رؤية الله والآية وهذه الآية ليس فيها إثبات لرؤية الله بخلاف مثلاً و رؤية وجه الله عز وجل يوم القيامة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) [القيامة : 22-23]هذه مسألة أخرى، لكن نقول هنا ماذا؟ لا. ظاهر التركيبي هنا يدل على معنى لما تأتي إلى (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ) ثم تأتي إلى (كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يبقى ليس المقصود به الرؤية البصرية لله هذا هو يبين لك قدرة الله عز وجل وقوته في جعل تحريك الظل ولو جاء لجعله ساكناً يبقى (ألم تر) هنا ليست على المعنى الافرادي يبقى لابد أن تنظر إلى الظاهر التركيبي.

هذه المسألة لماذا مهمة؟ لماذا نقولها لتأسيس كل هذه قواعد أساسية لأن تأتيك بعدين لما تدخل في الخلافيات مع الفرق الذي بتتكلم في التأويل فهو يريد أن ينكر عليك أنك أنت بتقع في التأويل فتقول له **لأ هذا ليس بتأويل عندنا هذا باللغة علماء اللغة قالوا في فرق بين الظاهر الافرادي والظاهر التركيبي وأنا ما خالفت الظاهر أنا أخذت بالظاهر لكن الظاهر المركب ما أخذت (ألم تر) الرؤية وتركت باقي الآية فلابد أن أنا أفعل ذلك.**

وهذه الذي يختلف فيها العلماء أن في مجاز ولا ليس في مجاز في القرآن؟ بعضها ينسحب، لذلك مثلاً لما تأتي لقوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) فيقول لك أن هذا مجاز. طبعاً لمن لا يقول بالمجاز عندنا علماء من السلف لا يقولون بالمجاز وفي خلاف لن هندخل فيه الآن مجاز في في اللغة ومجاز في القرآن وهل فيه مجاز في اللغة؟ ولا لا؟ وهل في مجاز في القرآن أم لا؟ إلى غير ذلك من هذه الامور . وأيضاً قوله (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) البعض يقول هذا مجاز هل القرية تسأل؟نقول لا. العرب عندهم الذي لا يقول بالمجاز لما تقول اسأل القرية معلوم من لغة العرب حقيقة ليس المقصود به أنك تسأل جمادات القرية هذا معلوم من

الحقيقة وليس مجازاً إنما لغة العرب تقول لك هذا بتختصر. اللغة العربية مميزاتها أن عند العرب كانوا يختصرون في الكلمات ويريدون بها معاني متعددة لذلك النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم مع أنه يتكلم بكلمات يسيرة بمعاني متعددة فهنا عند العرب يقولون لا ده ليس بمجاز اصلا هو (واسأل القرية) المقصود به هو اصلا اهل القرية حقيقة لكن حذف المضاف وعبر عنهم بالمضاف إليه. فهذه تبين لك الفارق بين الظاهر التركيبي والظاهر الافرادي

فلما لا تأخذ احيانا بالمعنى الظاهر لمفرده لانك وضعتها في جملة فأخذت بالظاهر التركيبي هذا ليس عندنا تأويلا. بل نحن عملنا هنا بظاهر لكن سميناه ظاهر ايه؟ تركيبي وليس ظاهر افرادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة السابعة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد...

بسم الله الرحمن الرحيم

ما زلنا على موعد في برنامج دراسة العقيدة وأيضا مازلنا في المرحلة التأسيسية بقواعد متفرقة في أقسام وأنواع التوحيد أو العقيدة وكنا قد بدأنا من عدة محاضرات في القواعد وضوابط خاصة بالأسماء والصفات، توقفنا الأسبوع الماضي عند قاعدة بيناها في مسألة السلف يثبتون المعنى ويفوضون الكيفية، وإلحاقا بهذه القاعدة قاعدة أخرى على نفس المعنى المراد وهي عند العلماء يقولون" القول في الذات كالقول في الصفات" القول في الذات كالقول في الصفات ويقصد بها أننا في الذات نثبت ذات الله عز وجل ولا نعلم كيفيتها "قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ" كذلك القول يكون في الصفات، بأننا نثبت صفات الله عز وجل التي أثبتها لنفسه ونثبت فيها معنى هذه الصفة لكننا نفوض الكيفية،

وعند أهل السنة والجماعة في فارق بين تفويض المعنى وتفويض الكيفية، فنحن أهل السنة والجماعة لا نفوض المعنى بل نثبت المعنى، لكننا نفوض الكيفية كما قالت أم سلمة رضي الله عنها وهذا القول الكثير من الناس ينسبونه أصالة إلى الإمام مالك، لكن هو في الأصل أول على ما ثبت قالت به أم سلمة رضي الله عنها ثم ربيعة الرأي وهو شيخ مالك ثم مالك واشتهر كثيرا عن مالك لكنه في الأصل هو قول أم سلمة لما تكلم فقالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول،

ماذا يعني الاستواء غير مجهول؟ قلنا أي معلوم، وروايات أخرى جاء فيها الاستواء معلوم وإن كانت التي ثبتت أكثر عن أم سلمة هي الاستواء غير مجهول، قالت والكيف غير معقول، يعني إذاً الكيف مجهول وكما جاءت في روايات أخرى الكيف مجهول وهذا يبين لك منهج السلف في هذه المسألة معنى أن يقولون من غير تكييف يعني هم يفوضون الكيفية لكنهم يثبتون المعنى وهذا فارق بين أهل السنة وغيرهم من المبتدعة ومعنى تفويض الكيفية كما سيأتي معنا في أمثلة كما قال الإمام الأوزاعي وسفيان ومالك والليث قالوا أمروها بلا كيف، يعني اثبتوا الصفة مع إيماننا بأن لها كيف، لكننا لا نعلم هذا الكيف، ولا نعلم هيئة وصورة هذا الكيف لكن لابد أن يكون هناك كيف، إذا نحن نفوض الكيف، ولا نفوض المعنى ونثبت المعنى.

سنحاول اليوم نكثر من الأمثلة التدريبية حتى نثبت ما أخذناه ونطبقه بقدر ما نستطيع على صفات الله عز وجل .

وسنبدأ بالمثال الأول من قوله تعالى **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرحيم)** سنستخرج من هذا المثال أسماء أو صفات لله عز وجل فأول شيء لو نقرأ وكله يكون معه الآية، **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ)**

أنا أريد استخرج الأسماء والصفات من الآية هل ممكن أحد يساعدنا؟ أريد الأسماء والصفات في الآية نبدأ كده بترتيب الآية، طيب **الغفور الرحيم أسماء**، وصفاته؟ **صفاته رحمة الله**، ما هذه رحمة الله؟ **إضافة صفة إلى موصوف** أحسنت نعم وهذا تصريح بصفة الرحمة، **نحن خدنا تلات أنواع طرق لإثبات الصفة؛ تصريحا أو من الاسم أو من الفعل** فهذه جاءت تصريح بصفة الرحمة دي أول شيء، إضافة معاني من باب إضافة الصفة للموصوف، نعم ايه تاني؟ خلي بالك ان هذه الآية ستثبت لك الصفة من أكثر من وجه يعني ده مثال هذه الآية مثال لإثبات طرق الصفة الثلاث، ثلاث طرق أو طرائق لإثبات الصفة أول واحدة احنا قلناها تصريح ايه تاني؟ أحسنت **(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعا)** فعل يتضمن صفة المغفرة هذا الطريق الثاني، فهذا فعل يتضمن صفة المغفرة، ايه تاني؟ تضمناً الغفور والرحيم يبقى هذه الآية أثبتنا الصفة من ثلاثة طرق كنا درسناها من قبل، رحمة الله تصريح، إن الله يغفر الذنوب جميعا فعل الله عز وجل أثبتنا به صفة المغفرة، الغفور الرحيم اسم لله عز وجل أثبتنا فيه صفة الرحمة والمغفرة.

مثال آخر (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (54) وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ (55) أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (56) أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ (57) أَوۡ تَقُولَ حِينَ

تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (58) بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ)

هذا المثال أتيت به هنا للكلام عن جنب الله، أضيف الجنب إلى الله أم لا؟ جنب الله هذا مضاف إلى الله وهذا معنى الإضافة إلى الله على نوعين كنا تكلمنا عنها من قبل؛ إضافة تشريف بأن تكون للكعبة بيت الله، عيسى روح الله، ناقة الله وسقياه، هذه إضافة إلى الله إضافة أعيان تشريف شيء عين أو مباني هذه من باب التشريف والتعظيم لمن أُضيف إلى الله، لكن إضافة إلى الله لما تكون معاني بنقول صفة لموصوف مش قلنا رحمة الله أُضيفت إلي الله، فقلنا صفة الرحمة يد الله فقلنا صفة اليد صحيح؟ طيب بين إصبعين من أصابع الرحمن أُضيفت الأصابع إلى الرحمن فكانت صفة الأصابع، طب جنب الله هنا هل في جنب الله هذا مضاف إلى الله؟ هو معنى هل نقول صفة أم لا؟ أتيت بهذا المثال لأنه تذكرة لمسألة الظاهر الإفرادي والظاهر التركيبي الأسبوع الماضي، مسألة الظاهر التركيبي والظاهر الإفرادي أنا مش هعيد شرحه لأنه ده شرحناه الأسبوع الماضي لكن نحن سنطبقه هل في جنب الله أضيفت إلى الله؟ وهي معنى صفة إلى الله أم لا؟ طب هي ظاهرها ايه؟ إنها صفة الظاهر لو قلنا بالظاهر كده أن أضيف المعنى إلى الله فهو صفة صحيح؟ طيب لكن بالتدقيق والتحقيق وتطبيق القاعدة التي ذكرناها من قبل على مسألة الظاهر التركيبي ننظر إلى السياق وننظر إلى سياق الآيات التي قرأناها الآن قبل قوله تعالى(أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) الآيات التي قبلها والآيات التي بعدها، طيب الآيات التي قبلها بتقول (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ) والتي بعدها "وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم" السياق في الآيات تبين أن هنا الظاهر ليس مراد إضافة الجنب إلى الله ليس مراد به إثبات صفة لله عز وجل، بل هنا وباتفاق السلف أنهم لم يثبتوا لله صفة الجنب لم يثبتوا لله بل حتى من فسرها كابن عباس ترجمان القرآن ومجاهد قال في جنب الله أي في حق الله، طب ليه نحن الآن تركنا الظاهر أن في جنب الله أن تكون صفة الجنب لله مع أنه الظاهر بيقول بأن إضافة صفة لموصوف معنى ولابد أن تكون صفة لموصوف، قالوا لا هنا انظر إلى الظاهر التركيبي الذي قلناه من قبل، السياق، نعم السياق في أول الآيات

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) طيب اسرفوا ثم قال ايه ؟ كيف أسرفوا ؟ أسرفوا في حق الله، هو ده معنى هنا الإسراف، أسرفوا في حق الله تعالى عليهم، ثم قال (وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ) يعني استسلموا لأوامر الله عز وجل (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم) أن اتبعوا أوامر الله عز وجل وانتهوا عن النواهي، فالسياق هنا يقال عند أهل التفسير السياق محكم عند أهل اللغة وعند أهل الأصول أيضاً ليه محكم؟ ما يؤكده آخر الآيات قال تعالى لما قال(أَوْ

تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) قال الله عز وجل (بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ) فهذا يبين التفريط الذي حدث من المرء في حق الله عز وجل فإذا المقصود هنا السياق واللحاق وصف في محكم في تفسير هذه الآيات أن تكون هنا جنب الله ليست صفة من صفات الله عز وجل، بل معنا قرائن، القرينة تقول أن في جنب الله هنا أي في جانب الله، أي في شرع الله، فرط في أوامر الله ونواهيه في أحكامه، فإذاً نقول هنا جنب الله لا يمكن أن تكون صفة من صفات الله ليه؟ هنا نلخص الكلام نحن كنا بنتكلم في هذا المثال لمن أراد أن يجعله مثالا لقاعدة الظاهر التركيبي، جنب الله لا يمكن أن تكون صفة من صفات الله لأمور ثلاثة؛ أولا اتفاق السلف على أن في جنب الله المقصود فيها في حق الله أو أن الله لا يتصف بالجنب، الأمر الثاني السياق قلنا السياق من حيث السباق واللحاق يعني الآيات السابقة على الآية واللاحقة للآية تبين أن المقصود فيها التفريط في حق الله عز وجل، الأمر الثالث عشان بالمثال يتضح المقال، لو قلنا بأنها صفة طب لو أراد أن نطبق؟ هو اليد صفة أم لا؟ والعين صفة هل يمكن أن تقول فرطت في عين الله فرطت في يد الله فرطت في ساق الله لا يمكن أن تقول ذلك صحيح؟ فإذا لا يمكن أن تقول فرطت في صفة من صفات الله عز وجل، فكذلك لا يمكن أن تقول جنب هنا المقصود منه صفة، لكن المقصود هنا التفريط فيما جاء في أوامر الله إنك لم تفعل الأوامر ولم تبتعد عن النواهي هذا هو المقصود.

إذا نقول هل ممكن أحد يأتي من أهل البدع ويقول لك أنت الآن أوّلت؟ نقول له لا أرجع بقى للكلام اللي قلناه الأسبوع الماضي، أن هذا ليس تأويلا هذه ليست صفة ونحن أولناها، مش نحن كنا نهينا عن التأويل وقلنا أن اللي يقولوا الاستواء استيلاء وأن اليد القدرة والنعمة، وممكن يشكل عليك يقول لك تنهانا عن التأويل وأنت تؤول، قلنا له نحن لم نأول، هذه ليست صفة أصالة وبينا بأن في فرق بين الظاهر التركيبي والظاهر الإفرادي حتى ما أعيد مرة أخرى، ونقول ولو قلنا حتى تنزلا أن هي على الظاهر ونحن أوّلنا فنحن أوّلنا بقرينة من القرائن التي قلنا إن وجدت قرينة من القرائن تبين أو تبيح لك إنك تصرف المعنى عن ظاهره فهذا مقبول عند السلف، ما دام المعنى موجود في اللغة، وهنا اتفاق أهل اللغة على أن في جنب الله قد يأتي بمعنى في حق الله واضح؟ المثال هذا ولا أحد عنده إشكال فيه؟ السكوت علامة الرضا ماشي طيب.

نحن نريد أن نجعل اليد كالجنب والقدمين والعينين طيب هنرد عليهم نقول لهم هل اليد والعين السلف لم يثبتوها؟ ما نحن ردينا بتلات أمور، نأتي في اليد والوجه والعين أليس السلف اتفقوا على إثباتها؟ هل السياق في آيات اليد والعين تجعل أن نحن نصرفها فين بقى السياق واللحاق هنا لما يقول الله عز وجل لما خلقت بيداي؟ ما نحن هنرجع نطبق هم عايزين يجعلهم للجنب، يعني زي ما أنت أوّلت في الجنب أوّل في اليد، طب نقول لهم أين آيات التي في اليد أو في العين؟ السياق والسباق واللحاق يجعلنا نؤول عشان نطبق أصالةً فنقول هنا إذا أنتم عايزين تحملوا جنب الله إلى اليد والعين نقول لا هذا ليس بصحيح، لأن لازم يتحقق فيه الأمور التي تحققت في جنب الله عز وجل، طيب طبعاً الظاهر يحمل على الظاهر إضافة صفة للموصوف لأن آيات أخرى جاءت أدلة أخرى "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى ربها نَاظِرَةٌ" وآيات أخرى إثبات فيها الصفة نعم نحن هنا فقط ما اثبتناها لأن الآيات بتدل على أن المقصود فيها ليس الجنب كصفة لله عز وجل.

مثال آخر ثالث قال النبي صلى الله عليه عن الله عز وجل

"... ومن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقربْتُ منه ذراعًا ومن تقرَّبَ إلي ذراعًا تقربتُ منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً"

أولا استخرجوا لي الصفات من هذا الحديث

التقرب أو صفة القرب أدي أول واحدة نحن عايزين نمشي نستخرج الصفات عشان نشوف الإشكال فين، طب الهرولة؟ مع أن أنا أريد الهرولة كنت أؤخرها لأن فيها الخلاف لكن ماشي، خلينا نقول الهرولة الثانية في ايه تاني؟ الإتيان نعم يبقى أصبح فيه ثلاث صفات في الحديث القرب والإتيان والهرولة، طب السلف اتفقوا على القرب والإتيان واختلفوا في الهرولة، خلاف حتى عند السلف.

طب القرب أولا نثبتها كيف نثبت صفة القرب لله عز وجل؟ قال تعالى: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)** وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما الصحابة نزلوا معه في موطن في وادي فتفرقوا وكل واحد رفع يده بالدعاء وكانوا يجهرون بالصوت فقال **"ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا"**

إذا أثبتنا صفة القرب من أكثر من دليل منها كما قلنا قول النبي صلى الله عليه وسلم **"ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا"**

وفي رواية أيضاً **" أَربِعوا على أنفسِكم فإنَّكم لا تَدعونَ أصمَّ ولا غائبًا، إنما تَدعونَ سميعًا بصيرًا، إنَّ الذي تَدعونَ أقرَبُ إلى أحدِكم مِن عُنُقِ راحلتِه"**

إذا نحن نعتقد بأن الله عز وجل علّي بقربه لأن القرب لا ينافي العلو والله عز وجل في علوه سبحانه وتعالى، القرب لا ينافي العلو وهو علّي في قربه وقريب في علوه أيضاً، قال تعالى**(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)** وهو الظاهر هذا العلو والباطن هذا الدنو فهو قريب من كل شيء سبحانه وتعالى كما قال ابن عباس " الكون كله في يد الرحمن كحبة خردل بيد أحدكم" فلا أحد يستطيع أن يدرك عظمة الله عز وجل الكون كله السماوات والاراضين والبحار والجبال وكل شيء في يد الرحمن لا تساوي حبة خردل في يد أحدكم إذا نحن نعتقد أن الله عز وجل علي في قربه قريب في علوه **"أقربُ مَا يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهُو ساجِدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعاءَ"** إذا قرب الله حقيقي وهو فوق العرش أيضاً سبحانه وتعالى إذا صفة القرب بالاتفاق صفة ثابتة لله عز وجل، الصفة الثانية كانت الإتيان والإتيان صفة ثابتة لله عز وجل من الآيات، قال تعالى:

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)

وفي آية أخرى: **(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ)** هذه الآية مهمة ليه؟ لأنها تبين في تفصيل، تأتي الملائكة ده إتيان الملائكة، يأتي الله عز

وجل، إتيان الله عز وجل، تأتي بعض آيات ربك، إذا هناك إتيان لبعض الآيات، لكن هنا إتيان حقيقي لله؟ نعم هو إتيان حقيقي لله عز وجل لكننا كما نثبت كل صفة لله بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف كقوله تعالى **(ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** لكن نثبت الإتيان طيب أثبتنا القرب وأثبتنا الإتيان، نطبق القاعدة المشهورة جدا قلت عن أم سلمة أصلاً وانتشرت عن مالك وهي قبلها عن ربيع الرأي نقول بأن القرب في اللغة معلوم وأن الإيمان به واجب والكيف مجهول والسؤال عنه كما قال عن ايه؟ السؤال عن الكيفية، نعم أحسنت السؤال عن الكيفية هو الذي بدعة، طيب تبقى لنا صفة الهرولة.. هل صفة الهرولة صفة ثابتة لله عز وجل؟ من الحديث أتيته هرولة بعض علماء السلف قالوا لا، الهرولة ليست بصفة حتى أن هذا ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية قال أن هي ليست بصفة، لكن نقول هنا طب هل هي صفة أم ليست بصفة؟ يعني الذين قالوا ليست بصفة أوّلوا كأنهم يعني صرفوا هذا المعنى من إثبات الصفة لله عز وجل بمعنى آخر، طب نأخذ أول شاهد من الحديث ايه؟ قال ومن أتاني يمشي أتيته هرولة طيب الأصل إنك تثبت الصفة ليه؟ على القاعدة التي نقولها إنه جاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حديث قدسي كمان من أتاني يمشي أتيته هرولة فده كلام الله،

فنقول هنا عليك أن تقول سمعت وأطعت، الله قال عن نفسه أتيته هرولة إذا أثبت الصفة له، الذين قالوا لا ليست الهرولة صفة نظروا أيضاً إلى السياق، أو نقول الذين أثبتوا الصفة الأول نظروا أيضاً إلى السياق، قالوا السياق وجدت أن الله وصف نفسه بالإتيان ووصف نفسه بالقرب ووصف نفسه بالهرولة، والهرولة في اللغة معلومة هو الفرق بين العدو والمشي، هذا في اللغة التي نتكلم عنها، فنقول إذا أردنا أن نسير على القواعد التي قلناها فنحن نثبت أن لله عز وجل صفة الهرولة نقول الهرولة معلومة والإيمان به واجب والكيف مجهول **والسؤال عنه - عن الكيف - بدعة لماذا؟**

لأن الهرولة أضيفت إلى الله عز وجل فنحن نثبت هذه الصفة لكن لها لوازم وده اللي جعل بعض السلف منهم ابن تيمية أن هم جعلوا الهرولة ليست على حقيقتها وصرفوها بالسياق اللي في الآيات فنحن نقول ماذا؟ لا سنثبت صفة الهرولة لكن لازم هذه الصفة أن الله عز وجل إذا تقرب إليه العبد بقليل من الحسنات هرول إليه بكثير من الثواب وهذا هو المعنى الذي نريده يعني أن نثبت الصفة ولازم الصفة أن المقصود بأن العبد قد يفعل قليل من الحسنات لكن الله عز وجل من حبه لعبده وقبول هذه الحسنات منه فيسارع إليه أو يهرول إليه كما جاء بكثير من الثواب كذلك إذا أسرع العبد إلى الله بالتوبة أسرع الله عز وجل عليه بالقبول يعني جاء العبد تائبا فأسرع الله عز وجل بالقبول بل أسرع عليه أيضاً بالمثوبة ويبين ذلك حديث المرأة التي كانت بغي من بغايا بني إسرائيل لما كانت تسير فشربت الماء فرأت كلب يعني كاد يقتله العطش فنزلت إلى البئر فأخذت بوقها يعني الخف الذي تلبسه أو النعل فنزعت البوق فسقته قال في الحديث فغُفر لها به والفاء هنا تأتي باللغة دائماً للتعقيب مش (ثم غُفر) لها لا ده (فغُفر) لها به فجاء هنا التعقيب أو في رواية فشكر الله لها فغفر لها وهذه تبين معنى الهرولة سرعة الاستجابة من الله عز وجل بقبول هذا العمل منها والمجازاة لها أو سرعة التوبة كما تأتي في أمور أخرى فنقول هنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً اتبع السيئة الحسنة تمحها، يعني أول ما تأتي بالسيئة تسارع بالحسنة فالحسنة تمحو السيئة، لذلك جمهور من أهل السنة والجماعة قالوا نصف الله عز وجل بهذه الصفة وهي صفة الهرولة لأن الفعل أضيف إلى الله وكذلك السياق لا يأبى، انتبهوا بقى هنا الفارق بينا وبين الجنب ماذا؟ أن السياق كان يأبى لكن هنا قالوا السياق لا يأبى بل السياق يؤكد ذلك بأنه أتت بالقرب وأتى الإتيان ثم أتت الهرولة

فقالوا هنا الصفة تثبت، لكن بعض أهل العلم كما قلت كابن تيمية رحمة الله على علمائنا جميعاً قالوا السياق محكم والسياق يدل على أن المسألة ليست على الظاهر أخذ الظاهر التركيبي فقال لابد من التأويل، نرجع إن شاء الله بعد الصلاة نحاول نبين يعني وجهة نظر ابن تيمية في عدم اثبات الصفة في السياق ونكمل الأمثلة بإذن الله تعالى حتى ما نأخذها كدة يعني سريعاً.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما زلنا في صفة الهرولة وقد بينا قول أهل السنة والجماعة في ذلك، طيب نقول أن ابن تيمية رحمة الله عليه وبعض أهل العلم لم يثبتوا صفة الهرولة على أنهم رأوا بأن السياق محكم فيقولوا أن المسألة ليست على ظاهرها فلابد من التأويل هنا أو صرف اللفظ أن المقصود فيه ليست الهرولة كهرولة بل المسارعة في ثواب الله عز وجل للعبد **فقلنا لهم طب كيف؟ أين السياق الذي محكم في ذلك؟ قالوا نحن نتفق أن العبد يتقرب شبراً أو ذراعاً طب أي شبر هو؟ وأي ذراع هو؟**

فقلنا هذا ضرب مثال يعني الله عز وجل يضرب المثال بذلك، قالوا نعم هو ضرب مثال إذاً أنتم معنا تتفقون بأنه ضرب مثال وإلا لو قلت يتقرب شبراً أو يتقرب ذراعاً أي يمشي شبراً لله أو يمشي ذراعاً لله فأنت كأنك قصرت الفضل وإجابة العمل الصالح والثواب على عمل واحد وهو أن يمشي ذراعاً حقيقةً يعني أو يمشي شبراً أو على كمان العمل الذي فيه مشي وحركة طب ما هو فيه عبادات ليس فيها لا مشي ولا حركة، الصلاة مثلاً و الحج هي اللي فيها مشي وحركة والطواف مثلاً، لكن لو قلنا مثلاً الذكر، إذاً هو يريد أن يقول أن المقصود هنا أن المشي ليس بالمشي الحسي ولكنه مشي معنوي يبقى المسألة ليست على الشبر ولا على الذراع لكن هي المسألة أن هي على كل الطاعات لأن المسارعة تكون في كل الطاعات إذاً التمثيل هذا فقط مثال وأن الله ليس في حقه لا ذراع ولا في حقه شبر، لا يوجد مسافات لله عز وجل فيكون المعنى - هذا كله كلام ابن تيمية ومن معه - فيكون المعنى أنه كلما تقرب العبد بأي عبادة سواء مشي أو غير مشي سواء كان ذراعاً أو شبراً أو غير ذلك فإن الله عز وجل يسارع له بالمثوبة ويسارع له بالقبول ويسارع له بالتوبة أو يسارع له بالخيرات سواء كان الأمر دقيق أو كان الأمر عظيم، إذاً لا المسافات لا شبر ولا ذراع ولا باع فقالوا هو يريد أن يقول أن هذه المسألة كلها مسألة معنوية فقط وأننا لا نثبت الهرولة، لذلك السياق يبين أن المقصود هنا المسارعة في الجزاء وفي الثواب، ردوا عليهم أهل السنة الذين أثبتوا وكله من أهل السنة نحن نقول بس فارق أن هؤلاء جعلوا السياق صارف للفظ عن الظاهر وأن ليست الهرولة صفة ثابتة لله ولكن المقصود بها المسارعة في الثواب، قلنا لهم أن قول الله عز وجل من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قلنا نعم هذا من ضرب المثال وليس على سبيل الحصر يعني لو تقرب إلي في العبادة سواء هذه العبادة مشى فيها شبراً فإنه يتقرب إليه ذراعاً ولو تقرب ذراعاً فإن الله عز وجل يتقرب إليه باعاً وقلنا هذا نعم على سبيل المثال وليس الحصر لأن لا شك بأن العبادات القلبية أعظم من العبادات البدنية، حد يعرف ما هي العبادات القلبية؟ اديني مثال، الخشوع عبادة قلبية صحيح، الخوف من الله عبادة قلبية، التدبر (أفلا يتدبرون القرآن) عبادة قلبية أيضاً، التوكل ممكن تقول الخشية الإنابة إلى غير ذلك، نعم أحسنت، فقالوا هنا إذاً العبادات القلبية بالاتفاق أعظم عند الله من العبادات البدنية، طب وهل هناك دليل على هذه المسألة أن العبادات القلبية أعظم عند الله من العبادات البدنية؟ أنا أريحكم بمثال حديث الرجل الذي قتل مائة نفس وأن كان فيه يعني بعد ما قتل تسعة وتسعين وجاء لرجل ليس بداعية أو يعني دل على رجل صالح فقال هل لي من توبة ؟ قال توبة ايه انت قاتل تسعة وتسعين نفس فأكمل به المئة بمعنى الحديث طبعاً، ثم ذهب إلى عالم قال

ومن يمنعك من التوبة ؟ إن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً لكن اترك هذه القرية واذهب إلى قرية أخرى فما لبث أن انتوى التوبة بقلبه وأراد أن يتحرك فقُبض أو مشى بعض الطريق يقولوا يعني كما جاء في الروايات والقصة معروفة لديكم لكن هو تاب بقلبه وهناك من قال عنه صلى الله عليه وسلم قال تاب ولم يعمل خيراً قط فالتوبة بالقلب هنا يتقبلها الله عز وجل وهي أعظم يبقى العبادات القلبية أعظم من العبادات البدنية، لذلك قلنا لهم بأن السياق حقيقةً محكم وأن اثبات الصفة لا حرج فيها لأنه لا يخالف السياق لا يخالف اثبات صفة الهرولة ولكن لازم الصفة نقول نثبت الصفة لأن ظاهرها أضيفت إلى الله عز وجل ولازم هذه الصفة أن العبد إذا كان يمشي فإن الله عز وجل يأتيه هرولة وأن الله يسارع له في القبول وأن الله يسارع له في تعظيم الحسنات وهذا عندنا في أهل السنة اثبات الصفة ولازم الصفة.

في مثال اثبات الصفة ولازم الصفة تكلمنا فيه من قبل، صفة الرحمة هنا الرحمة أيضاً معك لازم الإنعام، كل الصفات الفعلية التي تكلمنا فيها من قبل كنا نثبتها ونثبت اللزوم لها حتى بعض الصفات الخبرية مش قلنا اليد نثبتها ولازم اليد القدرة والقوة وأيضاً الإعطاء والإنعام كل هذا لوازم لكن نحن نثبت أن لله يد ونثبت اللازم فهنا أيضاً اثبتنا الهرولة واثبتنا لازم ذلك، وهي مسألة خلافية لا انكار فيها فمن اثبت الصفة اثبتها ومن رأى بأن السياق هنا يجعل أن الهرولة غير ثابتة والمقصود فيها المسارعة كما قلنا في جنب الله مثلاً في حق الله فهذا لا حرج فيه، طيب مثال آخر ونتكلم عن اثبات صفة الذات والنفس، وهذه مما اختلف فيه برضه علماء أهل السنة والجماعة هل في فارق بين الذات والنفس أم الاثنين صفة واحدة ؟ بعض أهل السنة والجماعة كالإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد قال بأن صفة الذات هي صفة النفس هي نفس صفة النفس وبعض أهل السنة والجماعة فرقوا بين الذات وبين النفس.

طيب كيف نثبت صفة الذات أولاً؟ قال تعالى: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**، وقال تعالى: **(الله لا إله إلا هو الحي القيوم..)** هنا المقصود به الذات، وكما أنشد في الشعر حُبيب عندما أخذوه أن يقتلوه رضي الله عنه وقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وهنا أثبت بالشعر على ذات الإله وصفة الذات لله عز وجل ومن هنا كيف نثبتها؟ ده اللي قالها حبيب يعني صحابي كيف اثبتنا لله ذات بقول صحابي فاهمين سؤالي؟ نعم إقرار أو التقرير مش قلنا السنة صفة فعلية أن يفعلها أو صفة قولية يقولها النبي أو تقريرية يفعل أحد شيء أمام النبي أو يصل إلى علم النبي ذلك فيقره على ذلك فقلنا استدللنا بالأبيات لأنها قد وصلت وثبتت ولم ينكرها النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا إذاً اثبتناها من هذا الباب حتى تعلموا لماذا نحن أتينا بأبيات لحبيب رضي الله عنه فقلنا هنا هذه اثبات لذات الله وطبعا معلوم أن الذات ذات الله لا تشبه ذات المخلوقين بحال فلله ذات حقيقية تليق بعظمته وجلاله وكماله كما أن للمخلوق ذات تليق أيضاً بنقصه وبعجزه، وهذه تبين لك أن القاعدة يعني نأخذها كده معا سريعا وسط الكلام في **المثال (الاشتراك في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى) يعني ايه الكلام ده؟**

لله ذات وللمخلوق ذات اشتراك في الاسم أم لا؟ طب لله يد وللمخلوق يد طب المخلوق يغضب والله يغضب صحيح؟ المخلوق يحب والله يحب صحيح؟ طيب المخلوق يرحم أيضاً والله يرحم، الاشتراك في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى، إذاً رحمة الله غير رحمة المخلوق يد الله غير يد المخلوق حب الله غير حب المخلوق وإلى غير ذلك الله هذه قاعدة مهمة لأن البعض الذين أشكل عليهم لما قالوا لو قلنا لله يد فذهبت عقولهم إلى يد المخلوق فقلنا لا الاشتراك في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى، قال تعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} إذاً لله يد غير يد المخلوق فاهمني؟ تمام إذاً هذا معنى الاشتراك في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى، إذاً ممكن الاسم واحد كما قال ابن عباس قال لما جاءت آيات أن في الجنة أنهار من عسل ولبن مصفى وخمر وفواكه فقال ابن عباس ليس فيها في الجنة ما ليس في الأرض غير الاشتراك في الاسم فقط أن ده رمان وده رمان وهنا لبن وهنا لبن وهنا خمر وهنا خمر لكن المسمى مختلف أنهار الجنة ولبن الجنة وخمر الجنة غير فاكهة الجنة غير فاكهة الدنيا فهذا معنى نقول الاشتراك في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى ليش الدليل لقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

طب هذه صفة الذات هل لله نفس؟ أو صفة النفس؟ قلنا صفة النفس جاءت بآيات كثيرة أيضاً، قال تعالى: **(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...)** الآيات، **قال على نفسه طب هنا وجه اثبات الصفة ماذا؟ أنها لله، كيف نثبت أن هذه صفة لله من الآية؟ ماشي التصريح بس لو أقول وجه الدلالة نفسه؟** إضافة يبقى تقول لي الإضافة أضيفت الصفة إلى الله نفسه يعني نفس الله فهذه إضافة صفة لموصوف قال تعالى **(قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** وقوله في سورة المائدة قال عيسى: **(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)** أضاف النفس إلى الله وقال عيسى عليه السلام طيب أيضاً ما ده قول عيسى عليه السلام كيف نثبت به صفة لله؟ فاهمين السؤال؟ قول عيسى، عيسى اللي قال عن الله عز وجل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك طيب وهل نثبت من قول عيسى اثبات صفة لله؟ هذا إقرار من الله عز وجل لو كان غير ذلك لأنكر الله على عيسى صحيح، وهل الله عز وجل أنكر على غير عيسى من قبل في كلام قاله نبي من الأنبياء؟ من؟ نوح عليه السلام ماذا قال نوح؟ أنكر على نوح لما وعد الله نوح أنه ينجي أهله فنوح استشكل قال إن ابني من أهلي فقال الله عز وجل إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فصحح له الله عز وجل ذلك وما قبل منه ذلك، فنقول إذاً هنا إقرار الله عز وجل على ما قاله عيسى لو كان خطأ ما قبله الله عز وجل وأقره عليه أيضاً. وأيضا حديث الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ " هذا اثبات كلها صفة النفس، طيب يبقى هنا الصحيح الراجح أن في خلاف أيضاً بين أهل السنة والجماعة بعضهم يقول الذات والنفس واحد والصحيح نقول إن الذات صفة لله والنفس صفة لله عز وجل.

طيب مثال آخر فيه بعض الإشكاليات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ**

العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي، يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أمَا إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي "، **الإشكال فين؟ قال مرضت صحيح؟ المرض فعل أضيف إلى الله عز وجل، ايش بقى السياق؟ سياق مبين ومحكم أين السياق اللي قال؟ لما قال الله عز وجل بعد ما قال مرضت قال أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟** يبقى الإضافة إضافة تشريف مش إضافة صفة لموصوف إضافة تشريف فقط يبقى لا يصح أن تقول بأن صفة المرض هذا ما يمكن أن تضاف إلى الله عز وجل.

طيب قال النبي صلى الله عليه وسلم " يا أيُّها النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمَالِ إلى اللَّهِ ما دَامَ وإنْ قَلَّ " هنا في إشكال أيضاً هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم "أن الله لا يمل حتى تملوا", **يبقى في اثبات هنا لصفة الملل هل يوصف الله عز وجل بصفة الملل أم لا؟**

أولاً نقول بأن الصفات كما في الأسماء أسماء حسنى وصفات لابد أن تكون فيها وصف يليق بالله عز وجل، طب هل هذه مسألة مستقرة عند السلف؟ لا فيها بعض قال في السلف في ذلك، طبعاً هو اللي أثبت قال سنثبت الصفة أولاً لأن قد جاءت في السنة والتسليم عندنا أصل نسلم بما جاء عن الله وعلى مراد الله وما جاء من النبي صلى الله عليه وسلم وعلى مراد النبي صلى الله عليه وسلم في حق الله عز وجل إذاً سنثبتها على ظاهر اللفظ، لكن بعض العلماء خالفوا ولم يثبتوها كصفة منهم القسطلاني والقسطلاني هذا له شرح على صحيح البخاري عالم من العلماء، قالوا أن الله عز وجل منزه عن اثبات صفة الملل قالوا لماذا؟ قال لأن الملل يعني الاستثقال و سآمة النفس وهذا المعنى بعيد عن الله عز وجل والله منزه عن هذا، وهذا إشكال لما قال ذلك أولاً هو وقع في عدم التسليم بما جاءت به النصوص لأن النصوص جاءت بإثبات الصفة أو النص جاء، هو لما أراد أن يقول المعنى الملل الاستثقال وسآمة النفس كأنه أراد أن ينزه الله عز وجل عن ذلك، وأرادوا أن يفسروا بقى الحديث لما قال أن الله لا يمل حتى تملوا **طب كيف سنوجه السياق؟** لو قلنا أن الملل ليس صفة لله قالوا هذا على سبيل المشاكلة وانتبهوا أن بعض من يثبت الصفة يثبتها هكذا هم قالوا على سبيل المشاكلة يعني ايه على سبيل المشاكلة؟ كقوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) طب هو اللي بيفعل سيئة جزاؤه سيئة سيئة؟ يعني هل أنت لما تدفع عن نفسك الظلم فيكون أنت اللي فعلته ده سيئة؟ لا ليس صحيح لكن الله قال ذلك وقال تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) طب الاعتداء الأول اسمه اعتداء لأنه من باب التعدي والله يقول فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه يبقى جعل الاعتداء الثاني ليس مع أنه نفس اللفظ هو الاعتداء الأول مع أن الثاني هو بيدفع عن نفسه فكيف يكون اعتداءً؟ لذلك قالوا أن المقصود هنا من باب المشاكلة فقط وليس المقصود فيها الملل كملل لا يُثبت الملل في حق الله عز وجل إما القسطلاني فقال المعنى أنكم إذا مللتم أنتم وانقطعتم عن الطاعة عاملكم الله عز وجل بمعاملة الملول لم يثبت صفة الملل هو قال معناها إذا أنتم انقطعتم ومللتم عن العبادة سيعاملكم الله عز وجل معاملة الملول. وأيضا

الخطابي قال كلام قريب من ذلك وهو من علماء يعني يحسبون على أهل السنة وإن كان في عندهم بعض الأمور أيضاً في أمور العقيدة يعني تغبر إن شاء الله في بعض حسناتهم أراد أن يقول بأن اللغة تحتمل أن أنا لا أثبت ذلك معنى أن الله لا يمل حتى تملوا أنكم لو مللتم فمن سعة كرم الله عز وجل ولطفه أنه لا يمل أبداً بل يعطيكم ويغفر لكم ويجازيكم، وهذا حقيقةً الكلام وإن كان فيه يعني بعض الجودة لكنه جمهور أهل السنة والجماعة على إثبات الصفة لله عز وجل لأنها جاءت مضافة إلى الله عز وجل هذا من باب التسليم أولاً لما جاء في الحديث وقلنا أن أهل السنة يسلمون بما جاءت الآيات أو الأحاديث في إثبات صفات الله عز وجل ما دام قد ثبتت، وأيضاً قالوا طلبنا التبيين من السنة فلم نجد التبيين فيها طلبنا التبيين ما معنى الملل؟ فلم نجد إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يمل حتى تملوا فمفهوم المخالفة أن لابد نعمل بهذا السياق فالسياق محكم فإن مللتم فإن الله يمل فقلنا لابد نقف عند اللفظ ونثبته على ذلك، وأما من قالوا الملل السآمة أو الاستثقال أو غير ذلك نقول هذا في حق المخلوق نقص أما في حق الخالق فليس بنقص، النوم في حق المخلوق كمال صحيح؟ الذي لا ينام يروح للدكتور يقول له أنا مش عارف أنام يا دكتور اديني دواء ليه؟ ده كمال عند المخلوق لكن في حق الله نقص لا ينام ولا ينبغي له أن ينام فنقول إذاً هناك صفات في حق المخلوق نقص وفي حق الخالق كمال فلو قلنا بأن الملل في حق المخلوق هي نقص لكن في حق الله عز وجل كمال يليق به سبحانه وتعالى، فنقول الراجح عند أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفة لكن أثبتوها بما يليق بجلال الله عز وجل وكماله أيضاً وممكن بعضهم استأنس يعني في إثباتها إثبات هذا المعنى عند أهل السنة والجماعة بحديث أبي واقد الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد والناس معه أقبل نفر ثلاثة فأقبل اثنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وولى واحد أو ذهب واحد فقط فقال ألا أخبركم بالنفر الثلاثة؟ قال أما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم في واحد دخل لقى مكان فاضي فجلس والثاني جلس حيث انتهى القوم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه، وهذا الشاهد هنا أن بعضهم يستأنس بهذا الحديث أما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه وهنا بعضهم قال أن هذه ليست مشاكلة كجزاء سيئة بسيئة لا هنا صفة الإعراض من الله عز وجل فأثبتوا صفة الإعراض لله من هذا الحديث أيضاً وقالوا هذه لنا فيها نظائر في الشرع وكما في الملل كذلك في الإعراض فإذاً هي صفة من صفات الله عز وجل طيب

وممكن نقول تبين أن من أعرض عن الله أعرض الله عنه ومن مل عن العمل قطع الله عز وجل عليه الثواب فهذا لازم هذه الصفة.

وهذه كلها أمثلة نحن بيناها في هذا القدر من الوقت تطبيقا على بعض القواعد التي درسناها لكننا لابد نأخذ شيء جديد أيضاً اليوم إن شاء الله وسنتكلم عن قاعدة أو يعني الجملة المشهورة جدا في كل كتب الأسماء والصفات وهي مسألة عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهذه طبعاً لا يمكن أن نحن نتكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب من غير أن نبين هذه المعاني لهذه المفردات أو هذه القاعدة التي هي أصل أصيل عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب في باب إثبات صفات الله عز وجل وقلنا أن الإيمان بالنصوص التي جاءت في الصفات سواء من الكتاب أو من السنة ليس إيمانا وفق ما تشتهي الأنفس أو ما يؤدي إليه العقل وهذا الذي أوقع المبتدعة فيما وقعوا فيه بل

القاعدة عندنا أننا نؤمن بتلك النصوص التي جاءت عن الله عز وجل أو وصف الله عز وجل به نفسه أو بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وهذه الأربع كلمات لأنها لابد أن نضبطها ونعلم معناها عند أهل السنة والجماعة لأن هذا الأصل الأصيل في هذا الباب لأن هناك محرفون يقولون نؤمن بالصفات على ما جاء في الكتب أو ما جاء في الكتاب والسنة لكن هم يقولون قولا لكن في الحقيقة يحرفونها ولا يؤمنون بها على ما جاءت بل يحرفونها عن المواضع التي جاءت فيها ويخالفون أهل السنة والجماعة مع إنهم يدعون بأنهم يؤمنون بما جاء من النصوص من الكتاب والسنة في حق صفات الله عز وجل، وهناك معطلة عطلوا النصوص التي جاءت في الصفات عن المعنى اللائق به سواء سموه تأويل وبالحق أن هو تحريف وليس تأويلا ووجهوه إلى معاني أخرى خالفت ما أثبته أهل السنة والجماعة لذلك أهل السنة آمنوا بالنصوص التي جاءت في الكتاب والسنة في صفات الله عز وجل من غير تعطيل لها ولا صرفها عن ظاهر اللفظ، كما آمنوا من غير تكييف أيضاً وسوف نبين هذا الكلام تفصيلا أيضاً لكن أهل السنة يبينوا أن الإيمان لابد أن يكون من غير تكييف له لأن هناك ممثلة مجسمة قالوا ادعوا أنهم آمنوا بهذه النصوص لكنهم قد جسموا ومثلوا فقالوا يد الله كيد المخلوق وعين الله كعين المخلوق وزعموا أن هذا إيمانا لماذا؟ قالوا الله عز وجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين صحيح؟ ونحن عرب لا نفهم من القرآن إلا ما نعلمه من اللغة واللغة لما تقول يد فنحن لا نعلم إلا اليد التي خلقنا الله بها ولما يقول عين لا نعلم إلا العين التي خلقنا الله بها هذا هو عندنا في لغة العرب فلما قال يد الله علمنا أن اليد كاليد والعين كالعين وحاشاه ذلك أن نقول في حقه ذلك أصالة فهؤلاء ادعوا أنهم قد أثبتوا لكنهم مثلوا وقد جسموا أيضاً وهذا كله ضلال مبين فإذا كل هؤلاء يدعون أنهم قد آمنوا لكن هذا ليس إيمانا شرعيا الإيمان الشرعي في هذا الباب أن تؤمن بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، قواعد أربعة لابد أن نثبتها في هذا الباب وأن نؤمن بالنصوص ولا نحرفها ولا نعطلها ولا نكيفها ولا نمثلها طب ما معنى التحريف؟ نبدأ بالتحريف ما معنى التحريف أصالة؟ قلنا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل نبدأ بالتحريف.

التحريف في اللغة أصله الانحراف، الانحراف بالشيء والانحراف بالشيء عن وجهه أو عن وجهته وكانوا كما يقال ينحرف بوجهه يعني يصرف وجهه عن المقابلة عن الشخص الذي أمامه فهنا التحريف بمعنى التغيير أو بمعنى التبديل الذي نقصده هنا في هذا الباب إذا معنى التحريف هو التغيير أو التبديل طيب

و التحريف هذا له صور عندنا ممكن في الشرع كما منه إنك تحرف أو تبدل شيء من آيات الله أو من حروف القرآن كما قال الله عز وجل عن اليهود: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" قال المفسرون يحرفون الكلم عن مواضعه يعني يحرفون ما أنزل عليهم عن معانيه اللائقة يخترعون معاني ليست موجودة وسمى الله عز وجل هذا تحريفا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه فهذا تحريف في الحروف كما قال لهم: "وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ" قالوا (حنطة) غيروا من حطة لحنطة مثل الذين قال لهم الله عز وجل الرحمن على العرش استوى فقالوا استولى غيروا استوى إلى استولى أضافوا حرفا هذا تحريف، تحريف في الحروف أصالة تحريف عن المعنى اللائق به، ومعنى التحريف في نصوص الصفات أنك تغير وتبدل الألفاظ أو المعاني عن الظاهر يعني تصرف المعنى الظاهر أي معنى النص الظاهر عن المعنى اللائق به هذا التحريف، فإما يكون تحريفا في اللفظ أو تحريفا في

المعنى، تحريف باللفظ أن تأتي بزيادة أو نقصان أو حتى تغير حركة إعرابية أو بغير تحريك حركة إعرابية طب كيف؟ **قلنا الآن أربع حاجات**، تحريف في اللفظ إنك تزيد حرف، أو تنقص حرف، أو تغير حركة إعرابية، أو لا تغير حركة إعرابية، فيؤدي ذلك إلى تغيير معنى الكلمة عن المعنى المراد.

مثل زيادة الحرف قال تعالى عن اليهود كما قلت: **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)** ماذا قيل لهم؟ قال: **(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ)** فقالوا حبة في شعرة بدل ما يقولوا حطة فغيروا في اللفظ أصالةً أو قالوا حنطة وزودوا النون فزادوا حرفا كما فعلت المعتزلة والأشاعرة والجهمية لما قال الله: **(الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)** قالوا استولى زادوا حرف اللام حتى بعض أهل السلف يعني أنشد بيتا في ذلك يشبههم باليهود زادوا اللام فغيروا المعنى وفي فرق بين استوى واستولى كما في فرق بين حطة وحنطة هذا تغيير في اللفظ.

طب تغيير في الحركة الإعرابية؟ قال تعالى: **(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)** فجاء أحد الجهمية لأن طبعاً الجهمية ينفون كلام الله عندهم أن الله لا يتكلم والآية وكلم الله موسى تكليما من المتكلم في الآية؟ الله صحيح والمتكلم إليه؟ موسى أراد أن يقلبها فقال وكلم اللهَ (بنصب آخره) موسى تكليما مين اللي بيكلم الله؟ موسى اللي بيكلم الله عز وجل غير حركة إعرابية وهذا من التحريف أصالةً، فرد عليه أبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء ومن النحاة من علماء القراء والنحاة ولما قال له الجهمية أبا عمرو ألا تقرأ وكلم اللهَ موسى تكليما؟ يعني كأنه يريد أن يعني يشكل عليه فقال له وماذا تفعل بقوله تعالى: **(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)** فبهت الرجل طبعاً لكن هنا المقصود أن هنا غير حركة إعرابية لغير المعنى فهذا تحريف وممكن يكون حتى في كلم الله موسى تكليما أنه جعل موسى هو الفاعل وليس مفعولا ودي طبعاً ما فيش فيها حركة إعرابية وغير هو هنا بدون حركة إعرابية جعل موسى فاعلا وليس مفعولا لأن الحركة هنا ليس فيها حركة إعرابية نعم، هذا تغيير في اللفظ تغيير حركات أو تغيير حروف.

يدخل في تحريف الكلمة عن مواضعه أيضاً أن تأتي بلفظ غير اللفظ المراد قال تعالى: **(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)** الظاهر واضح ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فيقولون هما لا يديه مش مقصود به اليدين يقول بقدرتيَّ ما منعك أن تسجد لما خلقت بقدرتيَّ هذا تحريف من اللفظ ولا من المعنى؟ هو تحريف معنى وممكن كمان تقولوا أنه تحريف لفظ أنه جعل لفظ مكان لفظ هو طبعا لم يغير في اللفظ و لكنه أتى بمعنى للفظ آخر لأن القدرة غير اليدين القدرة لفظ واليدان لفظ آخر هو يقول هنا اليد بمعنى القدرة والقدرة هي ليست اليد المعروفة، أنا أقول لك خذ بيدك يعني خذ بقدرتك؟

اليد المعروفة في اللغة غير القدرة فهذا تحريف عند البعض من اللفظ وليس من المعنى كما قلت يعني هذا المثال الصحيح اللي نضعه في تحريف من اللفظ أنه قال بدل بيدي قال بقدرتيّ وكأنه حرف اللفظ.

هذا كان تحريف من اللفظ القسم الأول

هناك القسم الثاني التحريف من جهة المعنى وهذا بقى تحمل عليه كل ما قالوه في مسألة كل الصفات الفعلية اللي جاءت في حق الله وإن يعني النزاع كله مع المخالفين في الصفات الفعلية لله وبعض الصفات الخبرية، الصفات الفعلية يعني أن تقول المحبة الرحمة الغضب هو لا يثبتها دائما يلحقها بالإرادة يقول المحبة إرادة الثواب، الغضب إرادة الانتقام أو العقاب، يقول ذلك والرحمة إرادة الإنعام، والحب هو إرادة الثواب، فهذا كله يسمى تحريف من المعنى بيغير المعنى المقصود طبعاً البعض يسميه مجاز والبعض يسميه تأويل ولا ندخل في هذه المسألة الآن ليست محل البحث معنا نحن نبين أن هذا تحريف في المعنى في تحريف من اللفظ وتحريف معنى أيضاً يكون من المعنى ومنها أيضاً من تحريف المعنى لما الجعد بن درهم وهو من مؤسسي الجهمية لما جاء لينفي طبعاً صفة الكلام عن الله فجاء لقوله تعالى: **"وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا"** الكَلَم في اللغة له معنى يأتي بمعنى جرح وقال وكلم الله موسى تكليما يعني جرحه بأظافير الحكمة تجريحا انظر الضلال المبين والآية وكلم الله موسى تكليما ظاهرها كلاما فراح ذهب إلى اللغة أن الكلم يقول لك يقول هذا مكلوم أي مجروح أو يعني مصاب فحملها على هذا اللفظ فأراد أن يقول وكلم الله موسى تكليما قال أي جرحه بأظافير الحكمة تجريحا، يبقى المسألة ليست من جهة الكلام ده من جهة التجريح هو بيحملها على كده ما هو أصل التشكيل ما كنش موجود من قبل وهنا لم يجعلها من جهة الكلام وجعلها من جهة التجريح وهذا تحريف من جهة المعنى، المعتزلة حقيقة حرفوا أشياء كثيرة حرفوا غيبيات كمان يعني مش صفات بس فقط وأسماء أنكروا عذاب القبر وبعدين أنكروا الحوض والميزان وغير ذلك كل ده تحريف عندهم حتى في النصوص يعني ليس تحريفا فقط في الصفات، والأشاعرة دخلوا في ذلك وأنا لا أريد أفتح في باب الفرق الآن لكن نحن نبين معنى التحريف الذي نريده.

لكن هل التحريف هذا كفر؟ يعني هل كل تحريف يعد كفرا؟ أم لا؟ لا أهل السنة ما جعلوا كل التحريف كفرا لكن قالوا بأن من حرف في كل الصفات كما فعلت الجهمية مثلا فهذا كفر لأن الجهمية أنكروا كل الصفات وحرفوها بالكلية فعدوا الجهمية كفارا لأنهم حرفوا ونفوا صفات الله عز وجل بالكلية ما عندهمش غير صفة الوجود فقط الوجود لله فقط ما يثبتون غير ذلك، طيب وغير ذلك من التحريف؟ أهل السنة قالوا إن كان التحريف في بعض الصفات وكان هذا التحريف له أصل في اللغة فهنا لا يكفرون أهل السنة والجماعة من قال بهذا التحريف وأما إن كان التحريف هذا ليس له أصل في اللغة فقالوا هنا يحمل هنا هيكون تحريفا لتكذيب للقرآن أو للسنة وخاصة القرآن فهذا لا يقبلوه ويكفرون به

لذلك لماذا أهل السنة لم يكفروا الأشاعرة؟ ولا الماتريدية ولا الكلابية؟ لأنهم عندهم تحريفات في أمور لها أصول في اللغة وإن كان طبعاً وصفوه بأن هذا ضلال ولا يقبل لكن لا يكفرونهم بذلك كأنهم اعتبروه تأويل مذموم أو تحريف يعني بالمعنى الصحيح وليس تأويل تحريف لكن لا يكفر به قائله وهذا سبب لماذا أهل السنة لم يكفروا هذه الطوائف مع إنهم قد قاموا بالتحريف في بعض الصفات، لكن لو كانت الدلالة ظاهرة ولا تحتمل التأويل والنص وهنا لا يقبل ذلك ولا يمكن أن تمر هكذا طب هذا التحريف.

التعطيل قالوا قلنا ولا تعطيل، أصل التعطيل من عطل يعطل تعطيلا، التعطيل يعني خالي التعطيل في اللغة يعني الشيء الخالي يقال كما جاء في الشرع وبئر معطلة يعني ايه بئر معطلة؟ بئر خالية، ويقال في المرأة جيدها معطل يعني خاليا من الحلي هي ما عندهاش حلي فأصل التعطيل هو الإخلاء معنى **التعطيل هو الإخلاء وبئر معطلة يعني خالية من الماء طب ما معنى تعطيل النصوص؟**

حد ممكن يستشف من اللي أنا قلته الآن لما قلت التعطيل بمعنى الإخلاء فما معنى تعطيل النصوص؟ نصوص الصفات يعني إخلائها عن الوصف فلذلك يقول سميع بلا سمع بصير بلا بصر يثبت سين ميم عين فقط فهذا معناه تعطيل أنه يعطل الكلمة عن المعنى هذا في الصفات يعني خالية جعلها خالية من الوصف من المعنى **لكن التعطيل عند العلماء له ثلاثة أقسام:**

1) **تعطيل المخلوق عن خالقه** يعني إخلاء المخلوق أن يكون مخلوقا يعني ينفى أن يكون هناك ثَمّ خالق أو مخلوق اللي هو كلام الملاحدة لأن ما فيش إله، تعطيل الكون ده عن وجود خالق والكل مثل بعض، وده يسمى تعطيل المخلوق عن خالقه يعني لا يثبت إن هناك خالق هو كلام الملاحدة الآن اللي هو أو كما يعني ينتشر أنه لا خالق ومسألة الطبيعة وغير ذلك فهذا تعطيل المخلوق عن خالقه.
2) **تعطيل الخالق عن أوصافه الذي وصف بها نفسه** فتجعل كما فعلت بقي الجهمية والمعتزلة أنهم عطلوا يعني جعلوا الخالق ليس له صفات أخلوه عن صفاته، وكل ده مذموم وهو كفر مبين طبعا الإلحاد كفر إنكار الخالق وتعطيل الله عن أوصافه كأنك تعبد عدما ليس له أوصاف وهذا أيضاً كفر
3) **تعطيل الخالق عن استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له** وهذا الشرك وهذا أيضاً ضد التوحيد.

إذاً ثلاث أنواع من التعطيل أثبتها العلماء

تعطيل المخلوق عن خالقه

تعطيل الخالق عن أوصافه التي وصف بها نفسه أو وصفها بها النبي صلى الله عليه وسلم

والثالث تعطيل الخالق عن الاستحقاق للعبادة وحده لا شريك له، هناك من عبد الله وعبدوا مع الله غيره سواء أصنام سواء قبور سواء بقر سواء تماثيل سواء حتى أولياء صالحين يقولون أي شيء فهذا لم يفرد الله عز وجل في العبادة.

النوع الأول بحثه في الربوبية اللي هو الالحاد

والنوع الثاني بحثه في الأسماء والصفات

والنوع الثالث بحثه في الألوهية توحيد العبادة اللي هو التعطيل هذا.

فنقول هنا يبقى التعطيل الأول التعطيل في حق الربوبية وهذا مبحثه والثاني تعطيل في الأسماء والصفات والثالث في الألوهية،

يبقى المقصود معنا هنا ماذا سيكون؟ تعطيل في الأسماء والصفات إنك تعطل الله عن أوصافه يعني تأتيك النصوص اللي في الكتاب والسنة التي يصف الله عز وجل بها نفسه أو يصفه بها النبي صلى الله عليه وسلم فأنت تخلي هذه الأحاديث وهذه الآيات عن الصفات التي وصفها الله عز وجل بها هذا يسمى تعطيلا، إذاً المعطلة كأنهم نفوا عن الله الصفات ما هو أنت لما تجعل الوصف الآية أو الحديث بدون معنى كأنك نفيت الصفة عن الله وهذا هو معنى الجهمية أو هم المعتزلة وما يسمون ذلك أو غيرهم فهؤلاء عطلوا أو نقول نفوا عن الله عز وجل الصفات التي موجودة وهذا لا شك لأنه مردود عليهم بذلك وهذا معنى التعطيل.

طيب من غير تكييف نحن تكلمنا عنه كثير قلنا التكييف والتمثيل في تقارب وانتبهوا اللي قلناه في الأول من غير تحريف ولا تعطيل دول الجماعة اللي نفوا، طب الجماعة اللي اثبتوا؟ وقعوا في التكييف أو في التمثيل عشان تعرفوا الفرق بين الأولانيين والتانيين، يعني اللي أثبتوا قالوا لا سنثبت أن لله يد ولله قدم ولله ساق ولله أصابع والله يغضب ويفرح ويحب وغير ذلك لكن الإشكال عندهم ما وقفوا على ما وقف أهل السنة لأن ثبتنا المعنى ولم نثبت الكيفية، بل فوضنا مع قلنا بأن هناك كيفية نحن لا نعلمها لكن **ما هي الكيفية لا نعلمها؟ لكن ايش؟ نقول هم وقعوا فين هؤلاء بقي؟** التكييف أو التمثيل وهؤلاء يدخل فيهم المجسمة هو تخيل بعد ما أثبت الصفة جسّم تخيل الإله على حسب ما تخيله هو فتصوره فوقع في التكييف فكأنه يعني صنع صنما لهذا الإله وهو اللي بيصنع صنم ماذا يفعل؟ بيشكله ويجعل له صورة فهذا الذين وقعوا في التكييف أو وقعوا في التمثيل وقعوا في هذا التجسيم التصوير للإله نقول المعطل عبد عدما صح؟ المعطل اللي هو حرف أو عطل عبد عدم لأنه في الآخر هو طلع الصفات من المضمون فكأنه يعبد عدم، والمكيف والممثل عبد صنم، الأول نفى فكأنه يعبد عدم تقول له الإله يقول لك أنه لا يسمع، طب يبصر؟ لا، طب يتكلم؟ لا، طب أنت بتعبد إله إيه بقي ده؟ ما هو كده كأنك بتعبد عدم لا يسمع، ولا يبصر ولا يتكلم ولا يحب.

والعكس الثاني قال يسمع ويتكلم ويبصر لكنه صوره فكأنه عبد صنم لأن هو أنت رأيت الإله حتى تصوره؟ ما رأيته، هو حد فينا رأى الله عز وجل أو هناك من رأى الله فحكى لنا؟ لا ولا النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل، وهل لله مثيل؟ لا ليس كمثله شيء فإذاً أنت لما صورت وكيفت ومثلت فقد عبدت صنم إذاً المعطل يعبد عدم والمجسم أو المكيف أو الممثل يعبد صنما أصالةً.

فنقول هنا تكييف الشيء أن تجعل له كيفية يعني تجعل لصفات الله كيفية، أقول لك اليد تقول لي اليد كف وأصابع وتقعد تتكلم وهذه معنى الكيفية إنك جعلت لليد كيفية لكن لو قلت يد لكني لا أعلم هيئة اليد صورتها فهذا معنى من غير تكييف وهذا الذي يقوله أهل السنة الكيف مجهول أنا لا أعلمه لكن أثبته لماذا؟ لأن ليس عندي مثال لله عز وجل ولم أر الله عز وجل حتى أكيف، هذا معنى إنك تكيف الشيء، تقول الاستواء نعم الاستواء على العرش هو اللي وقع فيه الإشكالية عند الذين نفوا ايه؟ لما قلنا له الاستواء ظنوا الاستواء كما في العقول عندهم هو استواء المخلوق فنفوا الاستواء ده المعطلة وفي منهم أثبت الاستواء فجعله كاستواء المخلوق فوقع في التجسيم والتكييف وهذا ضلال وهذا ضلال أصالةً، لأن المجسمة ممكن تكون مكيفة أو ممثلة، مكيفة إنها كيفت لكن لم تجعله مثل أحد من الخلق لكن كيفت هو ممكن يكيفها ولذلك أنت في ذهنك ادفع لو جاءك الشيطان يلبس عليك إنك تقول طب اليد شكلها إيه وذهنك يشتغل لا ادفع ذلك أنت المعنى معلوم لكن التكييف اللي في الذهن هذا لا يجوز وهناك من جسم ومثل يعني هنا ايه ده مش مكيف فقط لا ده مثل جعل اليد كاليد والعين كالعين والساق كالساق وغير ذلك وهذا كله يسمى تجسيد فالمجسمة قسمين إما مجسمة مكيفة أو مجسمة ممثلة فهذا كله منهي عنه وقد جاء الشرع كما جاء في ائمة السلف جميعا وقلنا أم سلمة وغيرها لما أثبتوا الصفات في الاستواء وقالوا الاستواء معلوم والكيف مجهول لماذا معلوم الاستواء؟ يعني الارتفاع والعلو والقصد طب وهذا معلوم هو في المعنى لكن كيفية الاستواء غير معقولة؟ كيف استوى الله عز وجل؟ لا نعلم لكن أنت تعلم استواءك أنت كمخلوق؟ نعم أنت مستوي على الكرسي الآن لكن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فنقول هنا نحن نثبت الاستواء لكننا لا نثبت الكيفية نفوض هذه الكيفية لكن مع اثباتنا للمعنى.

ثم الأخيرة ولا تمثيل، تمثيل الشيء أي جعل الشيء مماثل له، هو التمثيل نوع من التكييف يعني ممكن يدخل حقيقة معه، لكن الفارق أن التمثيل أن تجعل صفات الله لها مثال معلوم لك تمثلها بمثال معلوم لك، يعني تصف يد الله بما وصفت به يد المخلوق هذا معنى التمثيل هذا معنى إنك هنا مثلت جعلت يد الله كيد المخلوق حاشاه، بخلاف لو جعلت لها كيفية ولم تلحقها بأحد فليس هذا بتمثيل وهذا يبين الفرق بين التكييف وبين التمثيل، والتمثيل أيضاً كما قلنا من فعل المجسمة وكل هذا ضلال عند أهل السنة والجماعة.

إذاً الخلاصة فيما بينا أننا نثبت النصوص التي جاءت في الأسماء والصفات من غير تحريف ومن غير تعطيل ومن غير تكييف ومن غير تمثيل، البعض طبعاً يتكلم عن التشبيه والتمثيل وهذه لا حاجة لنا أن نتكلم عنها الآن نكتفي بالتمثيل أفضل.

وكنا نحتاج أيضاً لأمثلة أخرى على الصفات لكن أنا أعطيكم ممكن واجب تبحثوا فيه، صفة الحِقو لله هل هي ثابتة أم لا؟ والكبرياء، البحث في صفة الحقو والكبرياء هل نصف الله عز وجل بهما أم لا؟ والثالثة صفة النور، هذه الثلاثة صفات لله أم لا؟ وكيف نثبتها صفة لله عز وجل؟ هي صفة أم لا؟ وكيف تثبتها؟

"انتهت المحاضرة بفضل الله"

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة

عندنا في المرحلة التأسيسية الخاصة بقواعد خاصة التوحيد وبالعقيدة شتى أنواع العقيدة

إن شاء الله نختم أو الأسبوع القادم القواعد الخاصة بباب الأسماء والصفات التي مازلنا فيها منذ عدة محاضرات، وكنا قد تكلمنا عن الأسماء وعن الصفات وبعض القواعد في ذلك .حتى نبدأ اليوم في القواعد الخاصة بهذا اليوم.

والكلام اليوم عن القياس وقاعدة أخرى وهي القدر المشترك والقدر الفارق عند أهل السنة والجماعة .

وقبل أن أدخل في القياس، نذكر ببعض الصفات وقلنا أن صفات الله عز وجل تنقسم بعدة اعتبارات، فقلنا باعتبار الثبوت والنفي وهناك صفات ثبوتية لله عز وجل وصفات سلبية هناك

صفات المقابلة التي تسمى صفات المقابلة.

والصفات الثبوتية هي التي تكلمنا عنها أيضا من قبل وقسمناها ثلاث , ثلاثة أنواع **ذاتية وفعلية وخبرية**

والذاتية التي لا تنفك عن ذات الله كالسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة لابد أن الله متصف بها أبداً

الصفات الفعلية التي هي من فعل الله عز وجل إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالحب والبغض والغضب وغيرها من التي تسمى صفات الفعل وضابطها إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل،

والصفات الخبرية كاليد الساق والعين التي هي صفات لله عز وجل مسماها عندنا أبعاض وأجزاء وهي ليست لله بعض ما، لكنها هذا مسماه عندما تسمى صفات خبرية هذه الثلاثة أنواع تندرج تحت قسم الصفات الثبوتية لله

يعني هذه الصفات التي أثبتها الله عز وجل لنفسه سواء جاء في الكتاب أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم .وهذه الصفات الثبوتية يمدح بها الله عز وجل يعني هي صفات المدح وهي كمال من كل وجه وهذا ضابط مهم أنها صفات كمال من كل وجه،

أما الصفات السلبية وهي التي يُمدح الله فيها بنفيها مع إثبات كمال الضد، **ما معنى صفات سلبية؟ يعني نفاها الله عز وجل عن نفسه**

قال تعالى **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)** ده في الظلم سبحانه وتعالى **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)** لا تأخذه سِنة لا غفلة ولا نوم , لكن لابد هذه الصفات سلبية

طب متى تكون مدح؟ أنك لما فيها تثبت لله كمال الضد، الله عز وجل قال الله لأن هو الحي القيوم

ثم قال **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)** حي وقيوم , لا يمكن هذا إثبات ,ونفى السِنة والنوم يعني غفلة والنوم

تقول **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)** نفيت الظلم عن الله , إن الله عز وجل قال**(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)**

لأن الله هو العدل , هذا يسمى صفات سلبية يعني نفاها الله عز وجل عن نفسه .

والنوع الثالث صفات على سبيل المقابلة وهذه لا مدح مطلق ولا ذم مطلق

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) يعني هو الله يمكر بالماكرين

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) لما يخدعون الله يخادعهم

هل تسمى صفات المقابلة، يعني لا يقال إن هذا ماكر مطلقاً ؟لا ولكن يمكر بالماكرين يخدع بمن يخدع

فهذه تسمى صفات المقابلة .

كنا أعطينا واجب أو تكليف ما أدري إن تمت الإجابة عليه أم لا؟ في هل صفة النور والحقوة وصفة الكبرياء..

يعني ابن عباس رضي الله عنهما يقول ايه؟ في تفسير الآية (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الله منور السماوات والأرض , جعلها مفعولا

يعني ايه؟ وإن كان كل الناس لما بتيجي تتكلم عن النور يأتي بسورة النور يعني

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لكن في آيات أخرى

طب هنا في حد أجاب؟ (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) وجه الاستدلال كيف؟ لأ ده اسم النور ده مختلف فيه أصلا

نعم ,**إضافة الصفة إلى الموصوف** (بِنُورِ رَبِّهَا) صفة لموصوف، إضافة النور الى الله .

والإضافة على نوعين؛ قلنا إضافة أعيان وإضافة معاني،

أعيان يعني ايه تقول الكعبة بيت الله، عيسى روح الله، ناقة الله،

نقول فهنا ناقة أضيفت إلي ايه؟ أعيان. الناقة عين والبيت عين وعيسى عين

صحيح؟ أليس وهذه اضافة نسميها تشريف؛ يعني لما أضيفت الكعبة إلى الله تشريف،

لكن لما نقول إضافة معاني نور ربها، غضب الله، يد الله إضافة ايه؟ صفة لموصوف.. ركزوا معايا كده؟

لكن خليني أقول إن الإضافة ممكن تكون صفة لما تكون في البشر مثلا فتقول.. رأيت وجه زيد،

وجه زيد وجه أضيف لزيد صح؟ يبقى زيد له وجه.. صفة , أو رأيت كرم زيد لما زورته

يبقى هنا زيد لما أضيف له وصفته؟ الكرم صحيح؟ ولله المثل الأعلي؛ لما يضاف إلى الله صفة هي إضافة صفة لموصوف يبقى دي من صفاته، دي بقت أثبتنا أنها صفة له، أضيفت إليه، لو عين من الأعيان يبقى الإضافة هنا التشريف له الشيء هذا لله عز وجل فهنا أضيفت(بِنُورِ رَبِّهَا) يبقى هنا هل إضافة صفة لموصوف؟ طيب

أيضاً لإثبات الحقو صفة ولا مش صفة؟ مش عارفين الحكم أصلاً؟

طيب قال النبي صلى الله عليه وسلم **" خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فأخَذَتْ بحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فقالَ له: مَهْ، قالَتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَذاكِ "**

هنا إثبات صفة الحقو و من أي باب؟ كيف أثبتناها؟ باللي انا قلته بقى من دقيقتين،

طيب هو قال إن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن الحقو هو الوسط.. وسط الشئ أخذت بحقو الرحمن .. صحيح إضافة إضافة الحقو إلى الرحمن إضافة صفة لموصوفة طيب هذا اللي أريده الآن

فأخذت بحقو الرحمن يبقى هنا أضافت.. أضاف النبي صلى الله عليه وسلم أن هي أخذت بايه؟ بصفة من صفات الله بالحق والرحمن، زي يد الله، عين الله، دي صفة خبرية عشان تبقوا فاهمين هذه الصفة الخبرية نثبتها كما هي بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل بما يليق بكرمه وجلاله ,كما تثبتون اليد والساق والعين وهذه صفة خبرية أصالة .

نجيب علي السؤال ونشرح مرة أخري .

نحن لما نتكلم في الصفات بنرجع بفهم السلف , ما ورد عن السلف أن الجنب أثبتوه، له صفة خبرية عن الله فقالوا بالسياق هكذا

لكن هنا طب الحقو هيفسر بايه؟ هناك له معنى في السياق، أنه فرطت في جنب الله وهو ما فيش تفريط في جنب الله, بعد كده قلنا ايه؟ أخذت بحقو الرحمن , يعني وطبعا الكيفية لا نعلمها

لكن ظاهر الآن له معنى أم لا؟ لكن فرطت في جنب الله

كيف الظاهر في فرطت؟ وكيف يفرط جنب الله؟

نعم

لا معنى ايه؟ أنت ما تعرفيش الرحم أن هو خلق المئة رحمة وجعل واحدة في الارض والباقي تسعة وتسعين في الجنة, ودي من مخلوقات الله عز وجل أصالة , ابتداءً ده كله هنا السياق هو أولا طبعا السلف ما فسره الجنب المصيبة الخبرية, يعني لم يأتي لنا خلاف حتى عند السلف عشان نكون إحنا نخالف ونقول

الأمر الثاني أن السياق واضح هناك أنه لا يمكن التفريط , ما فيش معنى انه كان المقصود به التفريط هنا

لكن هنا السياق يقوم ,أخذت بحقو الرحمن , يعني هذا ظاهره أنه جاء انه المعنى يستقيم ليس فيه شيء،

بل كأنه في مقام العائز حتى السياق يبين مقام العائذ

يعني وهذا الذي بيحدث حتى بين المخلوقين بعضهم وبعض مع إثبات طبعا الكمال لله عز وجل في ذلك

فالمعنى يؤيد ذلك، يؤيد المعنى الظاهر , طيب الكبرياء هتقولوه؟ ماشي , الكبرياء, حد أثبت صفة الكبرياء لله؟ يا أحمد

لا الكبرياء , ايه؟ ولا ردائي؟ ردائي ردائي , يبقى كده القرآن ابتداء من قبل السنة, ايوا ,نعم ,أنه تعال متكبر فيها اه

طب الكبرياء ردائي؟ تثبت ايه؟ أضافها قال ردائي اه الكبرياء وقال الكبرياء ردائي ,فجعل رداء له صفة مع تمشيها مع القاعدة يعني.

وأيضا حديث "جنَّتانِ مِن فضَّةٍ آنيتُهما وما فيهما وجنَّتانِ مِن ذهَبٍ آنيتُهما وما فيهما وما بَيْنَ القومِ وبَيْنَ أنْ ينظُروا إلى ربِّهم إلَّا رِداءُ الكِبْرِ على وجهِه في جنَّةِ عَدْنٍ"

فجعل رداء الكبرياء على وجهه، **(وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** دي اللي تقصديها؟ ايوة , الآية

طيب يبقى صفة الكبرياء ثابتة , صفة الكبرياء ثابتة .

طيب الآن احنا كنا في باب الصفات وبنتكلم، كما بيّنا، الآن نتكلم عن ما القياس؟ طبعا القياس هو أصالة دليل من أدلة أصول الفقه،

يعني أنا أدخل في أصول الفقه، لكن المعروف عند أهل الاصول أن أدلة المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة أو عند الفقهاء الكتاب والسنة والإجماع هو القياس، كتاب النصوص الكتاب مستدل بها السنة .

ما جاء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم سواء كانت سنة قولية أو فعلية أو تقريرية أو إجماع اهل العلم مع الصحابة ومن بعدهم أدلة، وأيضا السنة والجماعة يستدلون بأن القياس يكون دليلا، لكن القياس اللي عند الفقهاء ليس هو الذي نقصده هنا في بالك، لكن لذلك سنبين ما هو معنى القياس؟ أو أنواع القياس القياس عموما أشمل من أصول الفقه , عندنا قياس تمثيل ونوع قياس شمولي ,والثالث قياس الكأس الأولى، هذه أنواع من القياسات الثلاثة .

سنبينها ونبين ما الذي يحق في حق الله عز وجل أو يجوز أن يكون هذا القياس لله عز وجل والذي يمتنع وما سبب هذا الكلام؟ سيظهر لنا في هذا الباب، لأن الباب ضل فيه كثير من الناس، الأسبوع الماضي تكلمنا عن التعطيل والتمثيل صحيح، وقلنا بأن المعطل فرغ الأسماء والصفات من المعنى وجعلها خالية، والممثل أثبت الصفات، لكنه شبّه صفات الخالق بالمخلوق،

صحيح؟ كل هؤلاء وقعوا في قياسات باطلة،

يعني اللي جعلهم يقعوا في هذا الذي وقعوا فيه في البدع هذه والبعضها يعني أكثر بدع مكفرة وبدع مفسقة،

وقوعهم في القياس للخطأ. فأول واحد الذي مثّل الذي جعل صفات الخالق وصفات المخلوق

وقع فيما يسمى عندنا قياس التمثيل قياس التمثيل، وما هو قياس التمثيل؟ هو إلحاق فرع بأصل بحكم جامع لعلة مشتركة،

أديكم مثال في الفقه يقرب لكم اللي احنا هنتكلم عنه في العقيدة الآن،

دلوقتي أنتم سمعتم مثلا عن الربا ولا لا؟ في حديث ابن الصامت **لما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:**

"الذَّهَبُ بالذَّهَبِ، والفِضَّةُ بالفِضَّةِ، والبُرُّ بالبُرِّ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ، والتَّمرُ بالتَّمرِ، والمِلْحُ بالمِلْحِ"

"ستة أصناف قال العلماء الذي أصناف ربوية، فالعلماء قالوا التمر والبر والشعير والملح كلها مطعومات، فجاء الشرع بأنك لا تبيع كيلو تمر بكيلو تمر من وقت كيلو ونص تمر من نوع تاني؛

يعني عندك تمر مثلا سكري مع التمر مثلا برحي ما تبعش كيلو بكيلو ونص،

أو رز بسمتي كيلو كيلو ونص رز مصري ما يصح،

طيب هم قالوا الحديث ذكر ستة أصناف فقط منهم أربعة مطعومات البر والشعير والملح والتمر، نظر العلماء قالوا الأربعة دولت يجتمعوا خلينا نقول يعني كلهم مطعومات، كلهم يتاكلوا الطعام فيجوا لايه؟ الرز وكمان طعام بس ما ذكرش في الحديث , لأنه طعام , والتمر طعام , والبر طعام يبقى هنخلي الرز زي التمر البر والشعير ده فرع،

والأصل عندنا والتمر الحديث جه في الاصل دول، فألحقنا الرز بهم وادينا له نفس الحكم، فأيضاً الرز ما ينفعش أبيع كيلو رز بكيلو ونص رز من نوع تاني، اللي خلانا ندي حكم الرز ده بنسميه قياس، قسنا الأرز على والتمر والشعير

طب قسنا ها بايه؟ القياس هو إلحاق فرع بأصل في الحكم, جعلنا أن التفاضل حرام، يبقى ربا، طب يُدّخر وده يُدّخر , او ده قوت وده قوت، على حسب اختلاف الفقهاء، لكن هو ده معنى القياس اللي هو إلحاق فرع مش مذكور في الحديث ده أصل مذكور في الحديث وله حكم،

طب ليه اديته نفس الحكم الأصلي؟ لأنه مشترك معه في نفس العلة، الوصف اللي موجود في الأصل موجود في الفرع, **ده بنسميه اي؟ قياس .**

قياس طيب تعالوا بقى ننزل هنا طب احنا ايه دورنا ده في الفقه؟ كيف هنا الذي وقع الممثل فيه؟ الواقع الممثل فيه أن وجد صفات لله مذكورة ,**وصفات للايه؟ للانسان موجود،**

وقال الله عز وجل خلقني وأنا لي يد ولي عين وأنا أغضب وأفرح وأحب وانتقم وغير ذلك فهو وقع في ايه؟ مثّل صفات الخالق بصفات المخلوق

وجد في القرآن أو في السنة أن فيه الله سميع وبصير والله متكلم والله له يد وله ساق وله عين، فقال هذه صفات وأنا عندي صفات، فمَثَّلَ أي ألحق صفات الله كصفات المخلوق، فشبه صفات الخالق بصفات المخلوق، فوقع في قياس التمثيل طابق الفرع مع الأصل وحكم بالتماثل مع الأصل، جعل الأصل هو الإنسان الذي وقعه وهذه الصفات التي أنا أعرفها وأتت لي صفات عن الله، فجعل صفات الله كصفات المخلوق فوقع في التمثيل، ألحق الفرع بالأصل لوجود العلة وقال أن هذه صفات والله ذكر لي الصفات هذه وكلمني باللسان العربي المبين فأنا لا أعلم إلا ذلك فهذه الصفات معناها عندي كذا، إذاً لما أقول يد إذاً فيد الله كيد المخلوق -حاشاه ذلك لكن هذا كلامه- العين كالعين الغضب كالغضب وغير ذلك.

وهذا الكلام باطل. لماذا باطل؟ لأن الله عز وجل نفى أن يدخل سبحانه وتعالى في هذا القياس والدليل قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

يبقى هنا الله نفى أن له مثلية، يبقى أنت لما أتيت بقياس التمثيل، أنت قست خطأ قست الخالق بمخلوق وفي فارق أنت ممكن حتى ما بين المخلوقات وبعضها لا تستطيع أن تقيس، فمثلاً الإنسان له يد وحيوانات أخرى لها يد، القطة لها يد، الكلب له يد والأسد له يد، لكنك لا تستطيع أن تقيس يد القطة على يد الكلب على يد الآدمي مع إنها مخلوقات لكن اختلفت في الأجناس أو في الأنواع فإذا هو وقع في هذا القياس وهذا القياس يسمى قياس التمثيل منفي لا نستطيع أن نثبته في حق الله عز وجل، نعم الله مستوي، استوى على العرش هو قال ماذا؟ وأنا أستوي على الكرسي أنت الآن مستوي، فقال أن الله ذكر أنه مستوي على العرش وأنا أستوي على الكرسي إذاً استواء الله كاستواء المخلوق -هم يقولون ذلك أو هو وقع في ذلك- فوجه الله له وجه والإنسان له وجه فوقعوا في هذا التمثيل وماثل صفات الله أو صفات الخالق بصفات المرء وكذلك وقعوا في باقي سائر الصفات وهذا الكلام باطل لأن أوصاف البشر كما قلنا في الأصل هي مختلفة فما بالك بالخالق وأوصاف البشر أجناس وأنواع مختلفة، بل أنت بلقيس كان لها عرش صحيح؟ وسليمان كان له عرش ومع ذلك عرش بلقيس ليس كعرش سليمان، يوسف عليه السلام له وجه وكان من أجمل الرجال ووجه باقي الإنسان له وجه آخر ومع ذلك فيه فرق عظيم في أوصاف بين المخلوقين بعضهم وبعض، فيكون الفارق أولى بين أوصاف الخالق وأوصاف المخلوقين.

فإذاً استواء الله ليس كاستواء البشر ولا وجه الله كوجه البشر، بل وكل أوصاف الله عز وجل ليست كأوصاف المخلوقين، فهنا الذي وقع في التمثيل وقع في هذا القياس الباطل قياس التمثيل، ألحق أوصاف الله بأوصاف المخلوق وأعطاها نفس الهيئة ونفس الكيفية ونفس كل شيء وهذا القياس نسميه قياس التمثيل باطل لا يصح في حق الله عز وجل فهذا أول نوع ما يصح، والذي مَثَّلَ أوصاف الله عز وجل هو ظالم لنفسه. لماذا ظالم لنفسه؟

لأنه أولاً تخيل أوصاف لله عز وجل فتَقَوّل على الله بغير علم لذلك الذي مَثَّلَ أولاً هو وصف ثم بعد ذلك مَثَّلَ أيضاً، وفي الحقيقة كما قال علماؤنا (الذي يمثل هو عبد صنم) لأن الممثل هو مَثَّلَ أوصاف عن الله وهو لم يرى الله عز وجل فكأنه وصف شيئاً وعبده بعد ذلك، فكأنه عبد صنماً لأنه لا يمكن أن يتخيل أوصاف الله عز وجل.

ما زلنا في الكلام عن القياس وأنواع القياس الذي يجوز وما الذي لا يجوز في باب العقيدة؟ تكلمنا عن النوع الأول وهو قياس التمثيل هذا القياس لا يصح ومقياسه باطل في باب الأسماء والصفات، فقد يصح في باب الفقه لكنه لا يصح في باب الأسماء والصفات في حق الله عز وجل وهو تمثيل الخالق بالمخلوق في صفاته

النوع الثاني يسمى قياس الشمول :

انتبهوا لهذا القسم (قياس الشمول) ويسمى القياس العام الشامل لجميع أفراده

بمعنى العام الشامل لجميع أفراده بحيث يكون كل فرد منه داخل بمسمى ذلك اللفظ وفي معنى ذلك اللفظ أيضاً

وبالمثال يتضح المقام قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) المؤمنون اسم جمع معرف بال هذا يسمى لفظ عام

قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)

وقلنا إن زيد مؤمن له حكم الفلاح أم لا؟ وقلنا عمرو مؤمن له حكم الفلاح أم لا؟ عبدالله مؤمن له حكم الفلاح أم لا؟ فقد قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) إذاً المؤمنون لفظ عام شامل وله وصف وهو الإيمان، شامل لكل فرد نطلق عليه الإيمان فأصبح مؤمن فله حكم وهو الفلاح وهذا معنى من يقول العام الشامل لجميع أفراده بحيث كل فرد داخل فيه يأخذ هذا الحكم وأي أحد وصف بالإيمان دخل في لفظ المؤمنين أخذ حكم الفلاح الذي قال عنه الله عز وجل.

إذن يبقى ماذا هو قياس الشمول؟ هو اللفظ العام الشامل لجميع أفراده، بحيث كل واحد داخل في هذا اللفظ له نفس الحكم.

تعالوا نطبق الباب الذي معنا الآن، الحياة هذه صفة صحيح؟ كل من اتصف بالحياة يدخل تحت لفظ الحياة صحيح؟ إذن نحن لو قلنا الحياة إطلاقاً يبقى كل من كان حياً نستطيع أن نقول عنه له صفة الحياة. طب الله عز وجل حي صحيح؟ هو الحي القيوم والمخلوقات منها حي ومنها جمادات ومنها الحياة

لفظ الحياة لو قلنا صفة الحياة ده لفظ مطلق لو على التطبيق هو القياس العام الشامل إذاً الإنسان له حياة والخالق له حياة، بل الحيوان له حياة وتختلف أنواع الحياة

فلو قلنا أن لفظ هذا لفظ عام شامل يشمل الجميع دخل الخالق جل وعلا في هذا اللفظ فأصبحت حياة الخالق كحياة المخلوقين مع اختلافها. هل هذا يصح؟ هذا ممتنع لماذا ممتنع؟ لأنك لو أدخلت حياة الخالق مع حياة المخلوقين إذاً أنت سويت بين الخالق وبين المخلوقين وهناك تستطيع أن تدخله في اللفظ إلا إذا سويت قبله، كما نقول مثلاً المؤمنون دخل فيه زيد وعمرو وخالد متى نقول ذلك؟ لأن عمرو وزيد وخالد جزيئات ولهم وصف مشترك فدخلوا تحت لفظ المؤمنين.

لكن هنا هذا القياس الشامل أيضاً وإن كان صحيح فقهياً لما أقول المؤمنون دخل كل من كان مؤمناً، لكن هذا ينتفي في حق الخالق في باب الأسماء والصفات لا يمكن أن نطبق هذا القياس في باب الأسماء والصفات فنقول إن الحياة لفظ عام فحياة الله كحياة المخلوقين وكذلك باقي الصفات ستقول مثلاً الغضب وهناك غضب كل أنواع الغضب فإذاً هذا القياس الثاني يسمى قياس الشمول هذا منتفي في حق الله عز وجل

لا يصح أن يدخل الله عز وجل في هذا القياس لماذا؟ لأن أصلاً حتى أصحاب الفطر السليمة أو العقلاء يقول لك أن هذه قوانين تحكم أوصاف البشر لا يدخل الخالق مع البشر في ذلك وإن كان لله حياة نعم لكن لا يمكن أن يدخل الله عز وجل في لفظ الحياة ما يقصد به حياة المخلوقين.

إذاً قياس التمثيل وقياس الشمول لا يصح أن نطبقه في هذا الباب، هذا ممكن يسمى فقهياً مثل (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) فكل رجل قوام على المرأة

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) كل من كان من الإنس دخل في اللفظ طبعاً -هذا مقيد قليلاً- في الإنس

إذاً سواء قياس الشمول أو قياس التمثيل لا يصح، نحن ننفي الآن أن هذا القياس لا يطبق عندنا في باب الأسماء والصفات وإن كان يطبق فقهياً وله أمور في الفقه لا حرج في ذلك، لكن لأن النتيجة المترتبة على قياس التمثيل أو قياس الشمول موانع لا يصح أن يقع فيها المرء، أول شيء هو الافتراء على الله عز وجل أنك لما أدخلت الله عز وجل في هذا القياس فأنت ادعيت لله وصفاً أنك هتدخله في الحياة وفي الغضب وفي اليد وتمثل أو تجعله مقياس الشمول يدخل فأنت ادعيت وصفاً لله عز وجل لا علم لك به وزعمت أن أوصاف الله تشبه أوصاف المخلوقين وهذا من باب الافتراء على الله عز وجل فهذا أول مانع من موانع تطبيق هذا الأمر

وهذا أيضاً ينزل تحت قوله تعالى **(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** وهو القول على الله بغير علم فهذا نزل تحت القول على الله بغير علم، ومنها قوله تعالى **(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)** فإذاً أنت قلت على الله بغير علم فهذا افتراء على الله.

الأمر الثاني أنك لما قلت بذلك فقد عطلت ووقعت في التعطيل، عطلت الوصف والعلم الصحيح الذي يخص الله عز وجل الذي هو غيب الذي نحن قلناه كيفية نثبتها لكن لا نعلمها، يعني أنت لما قلت قياس التمثيل وقياس الشمول فأنت ادعيت لله وصفاً فأنت لما ادعيت هذا الوصف الباطل لله أنت نفيت وعطلت وصفه الحقيقي لأنك استبدلته، والوصف الحقيقي نحن لا نعلم هذه الكيفية لكن نثبتها، لكن أنت لما أثبت هذا القياس الباطل في حق الله عز وجل كأنك عطلت العلم الصحيح لأوصاف الحق الذي ورد في الكتاب والسنة.

وأنت هنا وقعت في التمثيل والتشبيه، لذلك العلماء يقولوا ماذا؟ (كل ممثل معطل) ما معنى ذلك؟ كل ممثل معطل هو لما مثل معناه أنه عطل الوصف الحقيقي، هو وقع في التمثيل أولاً شبه الخالق بالمخلوق نتيجة هذا التشبيه والتمثيل أدى ذلك أن يعطل عن الله المعنى الحقيقي الذي هو يصف به الله عز وجل

لذلك قال العلماء ومنهم ابن تيمية رحمة الله عليه قال كل ممثل معطل هو مثل ونتيجة تمثيله عطل، طب أيضاً ممكن تقول (كل معطل ممثل) فكيف؟ ما الذي جعله يعطل الصفات؟ لأنه مثلها في ذهنه أولاً. فهما الإثنين واقعين في ضلال، المعطل أيضاً قبل أن يعطل مثل في ذهنه أن الخالق كالمخلوق وقال لا نزه الله عن ذلك، فهو معطل في ماذا؟ يخرج الاسم واللفظ من معناه فهو ما عطل إلا أنه مثل أولاً في ذهنه ثم عطل، وكذلك الذي مثل قام بالتمثيل أولاً ثم أدى ذلك إلى التعطيل عن الوصف الحقيقي

فإذاً ممكن تقول أن (كل معطل ممثل وكل ممثل معطل) تجدوها في بعض الكتب بعض الناس يظن أن فيها خطأ، لا هي من هذا الوجه تصح ومن هذا الوجه أيضاً تصح.

من وجه آخر (من مثل هو لم يعطل لماذا؟ لأنه أثبت.) الممثل أثبت أن فيه صفة -من هذا الباب لم يعطل- ولكنه مثل الصفة، فممكن تقولي هذا عن الممثل أنه ليس بمعطل لماذا؟ لأنه بيدعي التمثيل بيدعي الإثبات يعني بيقول نعم لله يد، المعطل قال لا ليس له يد أصلاً. لكن الممثل قال

لله يد فهو من هذا الباب كأنه لم يعطل، لكن لو أخذناها من باب هل الذي أثبته هو إثبات صحيح؟ لا. هو أثبت شيء يماثل البشر فإذاً هو عطل المعنى الحقيقي. فيكون من هذا الباب تعطيل يعني هي تصح هكذا وتصح هكذا على حسب الشرح فيها والتوضيح.

إذن قلنا هذا القياس الثاني الباطل أيضاً في أنه لا يصح أن يطبق في هذا الباب باب الأسماء والصفات.

القياس الثالث هو قياس أولى وهذا هو القياس الوحيد الذي ممكن أصل في هذا الباب، نحن قلنا الأصل فيه هو التسليم لا مدخل للعقل فيه، فباب الأسماء والصفات هذا لا مدخل للعقل فيه هو كله تسليم للكتاب والسنة، ولما تسلم للكتاب والسنة يبقى لا مدخل للعقل، لأن القياس أصلاً مبني على العقل وهو يجتهد فيه المجتهد يلحق فرع بأصل ويعطيه حكم، لكن إلا القياس هذا الذي معنا (قياس الأولى) ونبينه لكم فقهياً أولاً

لما يقول الله عز وجل **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)** نهاك عن قول أف صحيح؟ طب ما بالكم إن سبّ أو شتم أو ضرب طبعاً منهي عنه من باب أولى، إذا كان النهي أنك لا تتأفف لو طلب الوالد أو الوالدة طلب، فما بالك لو أنت تعديت بالسب والشتم والضرب هذا عندهم يسمى قياس الأولى.

إذا كان الشارع نهى عن الأدنى يبقى الأعلى من ذلك ينهى عنه من باب أولى.

هذا فقه وفي المعاملات والآداب وكل شيء، لكن الذي معنا قياس الأولى في حق الله عز وجل قال تعالى **(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ)** لله المثل الأعلى فكيف يطبق هذا القياس في باب الأسماء والصفات؟ العلماء يقولوا **(إذا أثبت صفة كمال المخلوق)** أتيت عند المخلوق وأثبت له صفة كمال فقالوا (إن كانت هذه صفة الكمال يمكن أن يتصف بها الله فمن باب أولى أن تكون هذه لله) هو الخالق أعلى أم المخلوق؟ الخالق. فإذا كان الخالق جعل المخلوق سميع وبصير ومتكلم وله إرادة صحيح؟ إذن من باب أولى أن يكون الخالق سميع وبصير ومتكلم وله إرادة وقوي إلى غير ذلك. صحيح؟ هم قالوا لنا إذا لو كانت الصفة صفة كمال للمخلوق لكن في قيد بسيط لازم يتحقق ويمكن أن يتصف بها الله، لأن في صفات كمال للمخلوق لكن في حق الله تكون نقص، مثل النوم المخلوق الذي ينام أكمل ولا الذي لا ينام؟ الذي ينام صحيح؟ أنت لو لم تنم تذهب للطبيب تقول له أعطيني دواء حتى أنام.

يبقى النوم كمال في حق المخلوق لكنه في حق الله نقص **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ)** يبقى ليس كل كمال في حق المخلوق لله من باب أولى، لكن العلماء قيدوا كمال في حق المخلوق يمكن أن يصف به الله عز وجل، فلو قلت السميع لا شك أن السمع كمال فيوصف به الله عز وجل البصر كمال العلم القوة القدرة الإرادة كمال كل هذا صفة كمال إذاً فالخالق أولى بها.

كل صفة فيها الثناء هو المدح للمخلوق يمكن أن يتصف بها الله عز وجل وهي توصف لله من باب أولى، طب الذرية والنسل للمخلوق كمال أم النقص؟ كمال

هل يوصف بها الله عز وجل لماذا؟ لا هل من عقلنا نقول ذلك. **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)** إذاً النسل أو الذرية أو الولد لله عز وجل هذا نقص مع أنه كمال عند المخلوق لكنه لا يوصف به الله عز وجل.

إذاً ليس كل كمال للمخلوق يوصف به الله عز وجل لكن هذا معنى القياس الأولى يعني وجدت صفة يبقى ممكن هنا تثبت الصفة لله عز وجل من باب القياس الأولى؟ نعم طبعاً هذا القياس الأولى ليس معناه التكييف وليس معناه التمثيل ولا التشبيه، بل تثبت أصل الصفة فقط.

نقول من ضمن الأدلة التي يستأنس بها في إثبات صفات الله مع الكتاب والسنة قياس الأولى لكن بتطبيق الذي قلناه الآن، أن تكون الصفة صفة كمال للمخلوق يمكن أن يتصف بها الله عز وجل كالحياة العلم السمع البصر إلى غير ذلك.

هذا القياس الثالث الذي هو القياس الأولى هو الوحيد التي ممكن يثبت به بعض الصفات لله عز وجل وقلنا قد بين الله تعالى **(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ)** فإذا أثبتنا كمال المخلوق وكان يمكن أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به من المخلوق لأن إذا كان يمدح المخلوق ويثني عليه فالذي يستحق الحمد والمدح والثناء المطلق هو الله عز وجل من جميع الوجوه.

إلى هنا انتهينا من هذه الجزئية اتمنى تكون واضحة ندخل على مسألة أخرى تحتاج تفتح شوية في العقول

سندخل الآن على يعني قاعدة أيضاً مهمة نتدرج في القواعد من الأدنى إلى الأعلى لكن نقول القاعدة أو منطوقها (من نفى القدر المشترك فقد عطل ومن نفى القدر الفارق فقد مثل)، قبل هذه الجملة في جملة أضيفها، ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، هذه أول القاعدة معذرة، (ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل ومن نفى القدر الفارق فقد مثل).

هذه قاعدة مهمة جداً لأن السلف أو أهل السنة والجماعة والسلف في هذا الباب هم الذين أثبتوا القاعدة كما سنبين الذين خالفوا وقعوا في هذا الإشكال.

ما هو الإشكال؟ سواء القدر المشترك أو القدر الفارق، السلف يعتقدون ما من شيئين أي شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، لله يد، -نحن طبعا في باب الأسماء والصفات اللي بنتكلم عنها- وللمخلوق يد أو للإنسي يد، هذه سميت يد وهذه سميت يد صحيح؟ نقول القدر المشترك في الاسم، هنا قدر مشترك في الاسم هذا يد وهذا يد، طب في قدر فارق؟ وهو ماهية وحقيقة هذه اليد أو كيفية هذه اليد.

هذه القاعدة وإن كنا سنطبقها بين الخالق والمخلوق لكن هي أيضا بين المخلوقين وبعضهم البعض يعني كما أن للآدمي يد بل الآدمي نفسه له يدان اليد اليمنى واليد اليسرى هذه تسمى يد وهذه تسمى يد وهذا قدر مشترك، لكن في فرق بين اليمنى وبين اليسرى ففي قدر فارق، ونحن نثبت القدر المشترك ونثبت القدر الفارق، بل بين الآدمي والحيوان، تأتى بالقطة وتأتى بالآدمي هذه يد وهذه يد، صحيح هذه يد إنسان وهذه يد قطة لكن في قدر مشترك إنها يد وفي قدر فارق في حقيقة يد الإنسان تختلف عن حقيقة يد القطة وكيفيتها وصفاتها، هذا معنى أن نقول ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر فارق.

كذلك ذات الله عز وجل له ذات سبحانه وتعالى أثبتنا الذات والنفس على الخلاف، والمخلوق له ذات صحيح؟ هذه ذات وهذه ذات، في قدر مشترك الاسم أن لله ذات وللمخلوق ذات، وفي قدر فارق أن ذات الله عز وجل تفارق ذوات المخلوقين، يبقى هكذا ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك نقول ممكن في مطلق الاسم، وبينهما قدر فارق وهذا في الهيئة والكيفية، إذا قلنا إن هذا بين المخلوقين بعضهم وبعض أن بين المخلوقين بينا أن في قدر مشترك وقدر فارق، فقالوا من باب أولى أن يكون هناك في قدر مشترك وقدر فارق بين الخالق وبين المخلوق، ما فائدة هذه القاعدة؟ إنك لابد تستحضرها دائما وأهل السنة يستحضرونها في كل الأسماء والصفات، نحن نثبت مع العلم أن في قدر مشترك لأن لا يمكن أن تقول أن اليد لا أعلمها هذا هو الذى وقع فيه أهل البدع، ما الذى فعلوه؟ بعضهم جاءوا عند القدر المشترك ونفوه فقالوا الله سميع، قالوا ما نعلم شيء عن السمع نحن نقرأها هكذا سين ميم عين، يد ياء ودال، نفوا القدر المشترك بحجة أنهم عايزين ينزهوا الله، فلما نفوا القدر المشترك عطلوا، عطلوا ليه؟ لأنهم ذكروا الألفاظ بدون معاني، قال اليد لا ما نعلم عنها شيء هي بس يد، نحن نقول لك لا نحن نثبت أن في قدر مشترك الاسم ده فيه معنى نثبته فيأتي المعطل لماذا وقع؟ لأنه نفى القدر المشترك فأثبت في حق الله الأسماء والصفات بدون أي اشتراك في المعنى فوقع في التعطيل، يبقى المعطل عمل إيه؟ نفى القدر المشترك.

جاء النقيض اللي هو الممثل فهو أثبت أن في قدر مشترك، بل زاد فأتى عند القدر الفارق نفاه، السلفي يثبت القدر المشترك ويثبت القدر الفارق، هو أثبت المشترك وقال نعم يد نثبتها فيه اشتراك لكنه جه عند القدر الفارق لم يثبته وقال يد الخالق كيد المخلوق.

يبقى اللي نفى المشترك وقع في ماذا؟ التعطيل، ومن نفى القدر الفارق وقع في ماذا؟ في التمثيل.

أما أهل السنة والجماعة أثبتوا الإثنين، القدر المشترك أولا أثبتوا معنى هذه الصفات أن لها معنى في الذهن اليد والعين والساق والغضب والفرح، ونثبت القدر الفارق أن غضب الله ليس كغضب المخلوق فرح الله ليس كفرح المخلوق حب الله ليس كحب المخلوق يد الله ليس كيد المخلوق، أما من نفى أي واحد منهما إما وقع في التعطيل أو وقع في التمثيل.

فهذه القاعدة مهمة جدا أنكم تربطوها وتستحضروها وتعلموا من أين أوتى القوم الذين وقعوا في هذه البدع في هذا الباب لأنهم لما نفى القدر الفارق وقع في التمثيل كده كأنه نفذ قياس التمثيل، والذي نفى القدر المشترك وقع في التعطيل، الثاني قال سمع الله كسمع المخلوق، وهذا أتى بقياس التمثيل وهذا كله باطل، وقال استواء الله كاستواء زيد، وقال أيضا صفات الله كصفات المخلوق لماذا؟ لأنه نفى الوصف والقدر الفارق بين النوعين، إذا كنا أصلاً أثبتنا القدر الفارق بين المخلوقات، أنت بترد عليه تقول له إيه؟ تقول له أنت بين المخلوقين بعضهم وبعض **أثبتت القدر الفارق أن في فرق بين يد الخالق ويد القطة فكيف لا تفعل ذلك بين الخالق والمخلوق؟ هذا الذي نفى القدر الفارق. طيب واضحة هذه قاعدة للكل؟ نعم.**

هو طبعا قلنا من قبل أن ما يسمى تأويلا وعند أهل السنة بعضهم يسمى هذا تحريفا هو نوع من التعطيل لذلك كثير من كتب السلف لما يأتي كلام عن الأشاعرة يذكروهم في المعطلة، يعني هم في الحقيقة -وهذا كنت هختم به بس مش اليوم بيان أسماء الذين ضلوا في ذلك-، أن الأشاعرة الذين حرفوا معنى التأويل في بعض الصفات هم ينزلون تحت المعطلة، بس في تعطيل كلي وفي تعطيل جزئي لو صح اصطلاحاً أن نقول هذا الكلام، فهو نوع من التعطيل، فإذاً لو قلنا

نوع من التعطيل هو أيضا وقع في نفي القدر المشترك لكن مش بالكلية، الفارق أن المعطل بالكلية نفى القدر المشترك بالكلية فبالتالي أثبت أسماء بلا معاني وصفات بلا معنى، هم فقط حولوا المعنى لمعنى آخر وهذا جزء من التعطيل أيضا لكنه ليس بالكلية، يعني هو أثبت اليد لكن جعل لها معنى آخر، هو عنده أثبت اليد، الفارق بينه وبين المعطل الجهمي ماذا أو المعتزل؟ المعتزل قال ياء دال فقط وليس لها معنى، هو يقول لا هي لها معنى بس مش معناها الجارحة اللي بتتكلموا عنها أنتم معناها القدرة أو النعمة، وهو يقول أنا أثبت اليد ما قلتش زي المعتزل أو الجهمي ياء ودال ليس لها معنى أثبتها لفظاً حروفاً، لا هو يقول أنا أثبت لفظاً ومعنى لكن ليس المعني به المقصود الجارحة المعنى المقصود به عندي النعمة أو القدرة ده هو اللي يقول ذلك. أما احنا نقول له أنت أثبتت لازم الصفة ولم تثبت الصفة على قولنا يعني طبعا لكن هو ليس كالذي عطل بالكلية لكن هو نوع تعطيل لماذا؟ لأن عندنا التعطيل ليس فقط الإثبات بل إثبات بالمعنى الحقيقي وهو في الآخر لم يثبت المعنى الذي نحن نريده أو الذي أراده الله مش احنا أو أراده النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا نعم هو تحريف هم يسموه تأويل قلنا تحريف لكن هو نوع من التعطيل إنه في الآخر هو لم يثبت المعنى المراد، ولذلك البعض كتب السلف يجعلون الأشاعرة معطلة، وده طبعا ممكن لو تبقى وقت نبين أصل التعطيل اللي حدث من قصة جهم مع السومانية في الهند اللي هو أول من أسس التعطيل الذي سار عليه كل الطوائف بعد ذلك.

سنتكلم عن قاعدة أخرى تكلمنا عنها في أنواع التوحيد لو كنتم متذكرون في معنى لا إله إلا الله قلنا أركان لا إله إلا الله ثلاثة، حد يتذكر؟ أركان لا إله إلا الله ثلاثة:

لا إله إلا الله يبقى نفي وإثبات، أول ركن لا إله ده نفي إلا الله إثبات، نفي العبودية لأى إله آخر وإثبات الألوهية لله وحده، الركن الثاني ما فيش طالب علم ولا يعلم أركان لا إله إلا الله، الولاء والبراء هذا الركن الثاني، والركن الثالث الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، ثلاثة أركان لا إله إلا الله لابد أن تحفظوها حفظا تاما، طيب احنا كنا تكلمنا عن النفي والإثبات وهذا الذي نريده الآن في هذا الباب.

نريد أن نطبق، أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات يطبقون أيضاً نفي وإثبات، أصل احنا بنتكلم عن الإيمان بالله، والإيمان بالله هو الإيمان بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، القاعدة تكلمنا عنها في سياق المحاضرات السابقة لكن نفردها بالكلام لنبين أن الأصل عندنا في هذا الباب الجمع بين النفي والإثبات في باب الصفات وكما قلنا هو حقيقة التوحيد، لأن أي توحيد في شيء لابد أن تنفي وتثبت لو أردت أن توحد، يعني لو قلت لك الآن -بالمثال يتضح المقال-، لو قلنا ما زيد بشجاع يبقى نفينا عن زيد ماذا؟ الشجاعة، لما قلت ما زيد بشجاع نفيت عنه الشجاعة عطلت الشجاعة عنه، نأخذها بالمسميات اللي معنا ولو قلنا زيد شجاع أثبتنا الشجاعة لزيد صحيح؟ لكن لما قلنا زيد شجاع هل هذا يمنع أن عمرو يكون شجاع؟ أو عبد الله شجاع؟ ما يمنع صحيح؟ طيب لو قلنا لا شجاع إلا زيد هنا نفينا وأثبتنا لا شجاع إلا زيد يبقى أثبتنا صفة الشجاعة لزيد ونفينا المشاركة في الشجاعة لغيره معه هنا تكون أنت موحد في صفة الشجاعة لزيد يعني أنت وحدت صفة الشجاعة هذه لزيد فقط، إذاً يبين لك ماذا؟ أنت لا يمكن أن تحقق التوحيد إلا بالجمع بين النفي والإثبات عموما بقى، احنا جبنا مثال فقط تقريبي هنا تمثيل لكنك إن أردت أن تتكلم عن التوحيد لا يمكن أن تحقق التوحيد لله عز وجل إلا بالجمع بين النفي والإثبات كما هو في العبادة كذلك هنا أيضاً في باب الأسماء والصفات.

لذلك نقول بينا في أول المحاضرة الصفات الثبوتية التي أثبتها الله عز وجل لنفسه أو وصف الله عز وجل به نفسه كلها صفات كمال وقلنا أن تعدد صفات الإثبات لله عز وجل وأسماؤه في القرآن هي من تنوع الدلالات في الكمال الموصوف به الله عز وجل وكلما كثرت صفات الثبوت وأسماء في حق الله هذا كمال على كمال لذلك من تتبع القرآن واستقرأ الاستقراء بالتتبع، الاستقراء أتى من ماذا؟ ألف سين تاء نضيف عليها قرأ، استقرأ يعني قرأ، استقرأ وهي فيها شدة المطالعة لذلك الاستقراء أنك تتبع وتقرأ وتطالع وتبحث في الكتب عن شيء تبحث عنه، تقول استقرأ العلماء نصوص الشريعة فوجدوا كذا وكذا، فالاستقراء يعني ايه؟ مطالعة القرآن والسنة وجد العلماء بالاستقراء والمتابعة والمطالعة أن الصفات الثبوتية في الكتاب وفي السنة أكثر من الصفات المنفية، يعني ما أثبت الله عز وجل وصف به نفسه بالكتاب او بالسنة أكثر من الصفات التي نفى الله عز وجل عن نفسه طيب والصفات الثبوتية ضابطها أنها كلها كمال، وصفات المنفية ضابطها أنها صفات نقص لا تليق بالله عز وجل كالتعب كالظلم والعجز والنوم و السنة إلى غير ذلك فيها ما فيها من صفات نقص أو فيها مماثلة مخلوقين، لكن العلماء لما تتبعوا أيضا واستقرأوا في الكتاب والسنة وجدوا أن صفات الثبوتية جاءت مفصلة وجاء ت الصفات المنفية غالبا مجملة، تاني باستقراء الكتاب والسنة وجد العلماء بأن الصفات الثبوتية في حق الله التي هي كمال جاءت مفصلة يعني ايه مفصلة؟ يعني كثيرة، يصف نفسه بالرحمة والمغفرة والتوبة التواب سبحانه والكرم والغنى تفصيل في كل صفة،

لكن في الصفات المنفية أو الصفات التي فيها نقص وجدوا أن هي إجمالا جاءت مجملة إلا لو كان هناك سياق في الآيات يرد الله عز وجل على بعض الأقوام في قولهم كما جاء **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ4))**

وهذا للرد على من اتهم الله عز وجل بالولد أو غير ذلك، كذلك **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)** بعد أن أثبت الحي القيوم ففي هناك مناسبات لذكر هذا، الاستقراء يقول بأن الإجمال جاء في النقص نفى عن نفسه إجمالا قال: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** ينفي مماثلة المخلوقين هذه نقص، **(وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** أتى بالسميع والبصير تفصيلا، فالعلماء قالوا أن التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي هذا أبلغ في تعظيم الخالق وأكمل في التنزيه، يعني إذا أردت أنك تعظم الخالق وتنزهه فإنك تفصل في الإثبات وتجمل في النفي.

وأيضا أنت الآن لو جينا نطبق على الدنيا لو دخلت أنت على ملك من ملوك أهل الدنيا وأردت أن تمدحه ستقول له أنت كريم أنت شجاع أنت معطاء أنت مثلا رحيم بشعبك أنت متكفل بهم تقعد تمدح أنت حكيم أنت قوي وهكذا تقعد تفصل له، هذا مدح وثناء هو يسعد بذلك وهذا ليس نفاقا، يعني أنت تتكلم وهو حقا فيه فكأنك أنت بتكرمه وتحمده على ما عنده من الصفات، فأنت هنا فصلت في الإثبات أم لا؟ فصلت في الإثبات، طيب ولو قلت له أردت أن تجعله زيادة فتنفي تقول له أنت ملك لا يساميك ملك من ملوك الدنيا لا يماثلك أحد من ملوك الدنيا أجملت هنا، جيت في الإثبات قعدت تقول له أنت كريم أنت كذا أنت كذا أنت كذا وجيت عشان تنفي فتقول له ماذا؟ أنت ملك لا يماثلك أحد لا يساميك أحد في الدنيا أجملت في النفي أم لا؟ يبقى نفيت عنه

أن أحد يماثله وأثبت له متعدد فين؟ في الصفات، هذا مدح وكمال صحيح؟ يبقى احنا هنا عملنا ايه معه؟ أثبتنا مدح بتفصيل وفي النفي أجملنا.

طيب اعكس بقي لو دخلت عليه تريد أن تمدحه وقلت له أنت لست ببخيل ده أنت مش جبان ده أنت ما بتقتلش الناس ده انت ما بتاكلش أموالهم ده أنت ما بتجوعهمش هو هيظن بيك ايه؟ أنت قعدت تفصل له في النفي عنه يعني تقول له أنت مش بخيل أنت ما بتهربش أنت ما بتظلمش أنت ما بتاكلش أموال الناس أنت مش بتفقر الناس قاعد أنت تنفي هو يظن أنك بتلاعب به أنك بتلمز عليه هياخدك يطير لك رأسك على طول، فهم قالوا هنا ماذا؟ أن هذا يدل على استهزاء أو عدم احترام صحيح؟ لأنه فصل في النفي عنه ولم يفصل في الإثبات.

فهنا قال ولله المثل الأعلى، لذلك الله عز وجل في كتابه أثبت مفصلا صفات كثيرة له ونفى عن نفسه إجمالاً، إذاً أهل السنة والجماعة لما يريدون أن يتكلموا عن الله عز وجل يزيد في الإثبات المفصل ويجمل عند نفي النقص عن الله عز وجل هذه طريقة قرآنية لو صح التعبير أصالةً وهذا أيضا هو الذي يرتضيه علماء اللغة وعلماء الكلام وعرف الناس، لماذا أنا كل التفصيل ده بتكلم عنهم؟ لأنك أنت لما تنظر للمخالف لنا تجد كتب هؤلاء الطوائف الأخرى لما يجوا يتكلموا عن الله يعكسوا، يفصلوا في النفي، تمسك الصفحة تقول لك ليس بجوهر ليس بجسم ليس بحيز ليس له جهة لا داخل ولا خارج العالم قاعد يقول ليس ليس ليس، انظر بقى الفارق بين أهل السنة الذين اتبعوا طريقة القرآن في الإثبات المفصل والنفي المجمل وطريقة المبتدعة في كتب العقيدة عنده تجده يفصل في النفي ولا يفصل في الإثبات، هو عنده شبهة، حقاً عنده شبهة وشبهة يعني ترد عليها، قال أنا عندي دليل في إن أنا أفصل في النفي ولا أفصل في الإثبات، قالوا النفي عن الله مقدم عن الإثبات لله، هم يقولون ذلك، تاني يقول ننفي عن الله النقائص يُقدم عن الإثبات المفصل، قالوا من أين لكم؟ قالوا من قوله تعالى ألم يقل: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ؟ قالوا قدم ليس كمثله شيء الأول أم لا؟ ثم قال وهو السميع البصير، قدم النفي على الإثبات فقالوا إذاً لما قدم النفي علمنا أن النفي هو اللي يقدم فاستفضنا في النفي، والإثبات يأتي بعده، قلنا وهي شبهة عندهم وسنرد عليها، لكن هذا الكلام الذي قالوه الرد بين وجهين:

الوجه الأول أن هناك مناسبة لهذه الآية وغيرها، أن لما جاء النبي عليه الصلاة والسلام ونزلت رسالة الإسلام كان عند أهل الجاهلية نسبة أسماء وصفات لله عز وجل باطلة، كان عندهم المناة والعزة واللات ويوحلون في الأسماء، ولهم عقيدة داخلية غير صافية للإسلام عندهم شرك أصالةً، وجاءت رسالة الإسلام أولاً أن ينقي القلوب ويخليها من الشرك اللي موجود، أنت لما تدعو أحد الآن عنده معصية وذنب أول شيء بتكلمه فين؟ في الشيء اللي فيه الذنب والمعصية عايز تخلي قلبه يخلع منها ثم تزكي القلب بعد ذلك بطاعة تقول له تعالى نفعل كذا وكذا يعني بترشده الأول إنه يمتنع عن النقائص اللي عنده ثم تبين له الفضائل.

حتى أنت لوعايز دلوقتي تيجي في البيت ده أو القاعة اللي احنا فيها دي ونعيد تصميمها أو نعيد تشطيبها مش أول شيء بنشيل الحاجات القديمة؟ بنشيل الستاير ونكسر الأرضيات ونشيل الكلام ده كله نخرجه برة وبعدين نبتدي نجيب بقي سيراميك جديد وندهن هذا هو، أولاً جاء الشرع الإسلام أراد أن يعالج قلوب المشركين فأراد أن يخلي قلوبهم من النقائص التي كانوا ينسبوها لله عز وجل فأول شيء نفى الله عز وجل ليس كمثله شيء يعني كل ما كنتم تقولونه من قبل في حقه هذا لابد أن يزال ادي تخلية ثم التحلية وهو السميع البصير، فالمبدأ هو ليس تقديم النفي عن الإثبات لأهمية النفي عن الإثبات لا، بدليل أن الله عز وجل في القرآن عدد الإثبات المفصل

وكان في النفي يجمل، فالذكر هنا النفي قبل الإثبات هذا من ذكر التخلية قبل التحلية، وهذه طريقة متبعة في التربية وفي الدعوة بأنك تخلي القلوب أولاً من النقائص ومن الذنوب ثم تحليها بعد ذلك بالطاعات، فإذاً هذا هو المقصود من قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، بل لو نظرت لـ(ليس كمثله شيء) هو مجمل ولا مفصل؟ مجمل، والتفصيل جاء فين؟ في الإثبات صحيح؟ يبقى إذاً حتى في الآية الله عز وجل لما أراد أن ينفي نفى مجملاً (ليس كمثله شيء) ولما أراد أن يثبت لنفسه اثبت مفصلاً، إذاً هذه هي الطريقة الصحيحة عند أهل السنة والجماعة لأنهم يثبتون نفي واثبات أولاً في باب الصفات ويثبتون تفصيلاً وينفون اجمالاً.

طيب كيف نطبق ذلك في باب الأسماء والصفات؟ اللي هو النفي والإثبات؟ الله عز وجل بينه لنا من قوله تعالى أولاً: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ)، انظر إلى هذه الآية في سورة الحشر كم عدد الله عز وجل أسماء له مفصلة؟ تضمنت هذه الآيات خمسة عشر اسم لله عز وجل تفصيلاً، تفصيلاً لله عز وجل، أيضاً وآيات في الحج سبع آيات في الحج تختتم كلها أو ختامها بأسماء الله عز وجل، (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) إلى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)، كلها آيات تجد فيها اثباتات مفصلة لله عز وجل أيضاً.

طب النفي المجمل ورد كم مرة في القرآن؟ أكثر من مرة، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، قوله تعالى: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)، قوله تعالى: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فانظر هنا هو نفي مجمل جاء في أكثر من موضع لكن جاء في الإجمال.

فإذاً طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون صفات الله عز وجل اثباتاً مفصلاً وينفون نفياً مجملاً، كما جاء أيضاً: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) **مفصل أم مجمل؟ مجمل صحيح**

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) هذا نفي أم اثبات؟ **نفي**

طب (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) **اثبات مفصل صحيح**

طيب إذاً هنا في أيضاً إضافة لهذه القاعدة حتى وأنت يعني تطبق هذا الباب أو هذه القاعدة في الأسماء والصفات إنك لما يأتي صفات فيها النفي قلنا بنثبت فيها كمال الضد وهذا تطبيق للقاعدة قالوا اثبات نفي واثبات، طيب لما تأتي الصفات فيها نفي حتى توحد الله في هذه الأسماء والصفات بتنفي مع اثبات كمال الضد، مش قلنا قال تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) إذا

أردت أن تنفي عن الله الظلم ماذا تقول؟ تقول ننفي عن الله الظلم لكمال عدله، هو مش احنا قلنا اثبات ونفي عشان توحد في هذا الباب تأتي في الصفات التي فيها النفي تثبت معها كمال الضد.

طيب وقلنا الله قال: **(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)** فلو قلت إن الله عز وجل لا ينام كما قال عليه الصلاة والسلام (ولا ينبغي له أن ينام) لماذا؟ تثبت كمال الضد، ما هو كمال الضد؟ لكمال قيومته وحياته، هذا نفي واثبات هذا تطبيق، أنا بتكلم إنك كيف تطبق أيضاً الإثبات والنفي عند ذكر الصفات لو كانت صفات سلبية هتنفي وتثبت كمال الضد أيضاً لأن ذكر النفي فقط بدون كمال الضد نقص، ده النقص عند اللغة، حتى عند علماء اللغة، الشاعر الذي أراد أن يكتب أو وصف بعض القبائل فقال:

(قُبيّلة لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل)**

ده مش منقبة ده هو بيهجوهم بس بطريقة أهل الشعر، هو لو كان يريد كان لابد أن يأتي بإثبات لهم لكن لما يقولوه نفياً بدون إثبات فكأنه لضعفهم هم لا يقدرون لعدم قوتهم على ذلك هم ضعفاء، ولا يظلمون لأن عندهم كان الظلم ده جبروت وقوة اللي يقدر يظلم عنده جبروت، فهو كأنه ينكر عليهم أن هم لا يظلمون لماذا؟ لأن هم ضعف عجزة، قبيلة تعبانة كما يقال كده يعني، لا يستطيعون، ما عندهمش قدرة إن يغدروا ولا عندهم قدرة إن يظلموا، فهو يقصد بهذا الكلام ظاهره كأنه يمدح ولكن هو ليس بمدح عندهم لماذا؟ لأنه تركه نفياً فقط ولم يأت به إثباتاً وهذا في اللغة معروف عند الشعراء أيضاً، فلذلك لما أراد يأتي بالكمال قال:

(ألا لا يجهلن أحدٌ علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا)** يعني ايه؟ ما حدش بقي يجهل علينا عشان ما نورهوش الجهل اللي بحق ده بيبين ايه هنا؟ قوة، موجود إنه ممكن يأتي بذلك.

فهذا إن كان في اللغة بأنه النفي عندما يأتي لابد أن يأتي معه كمال الإثبات في الضد فكذلك في الكتاب وفي السنة ومن باب أولى في حق الله عز وجل لأنك تطبق الطريقة التي جاءت في القرآن كما جاءت من قوله تعالى: **(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)**، فنفى الله عز وجل عن نفسه السنة والغفلة والنعاس وأن يأخذه النوم لإثباته لكمال الحياة وكمال القيومية أيضاً.

أيضاً **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ ...)** انظر في آخر الآية ماذا قال: **(...إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)** ما توقف إن الله ما كان ليعجزه من شيء في السماوات والأرض، ثم آخر الآية ختمها إن الله كان عليما قديراً، لأن العجز نقص هو نفى عن نفسه العجز لتمام العلم وتمام القدرة.

هذا معنى القاعدة التي تكلم عنها أهل السنة والجماعة كانوا يثبتون إثباتاً مفصلاً وينفون نفياً مجملاً وإذا نفى يثبت مع النفي لو كان النفي فيه تنزيه عن الله لابد يثبت معه هذا من تمام ذلك، وكل هذه أصل أصيل عندنا.

طب هناخد هذه نختم بيها هي بسيطة جدا، (الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات)، وهذه حقيقةً قاعدة ثابتة بالسمع وثابتة بالعقل وبالحس.

أما بالسمع قال الله تعالى عن نفسه: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)

وقال في سورة الإنسان: **(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)**

جعل الله للإنسان أثبت له السمع والبصر وأثبت الله عز وجل لنفسه السمع والبصر.

وأيضاً أثبت الله عز وجل لنفسه علماً وأثبت للإنسان علماً قال تعالى **(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ)**، وقال عن الإنسان أيضاً **(فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ)** فأثبت العلم للإنسان.

كل هذه صفات مشتركة أم لا؟ مشتركة العلم هنا والسمع والبصر، لكن ليس علم الإنسان كعلم الله وليس سمع الإنسان كسمع الله عز وجل أيضاً، هذه معنى القاعدة أولاً أو دليل القاعدة من الكتاب.

من العقل معلوم كما بينا من قبل وهذا تأكيداً لما ذكرناه أن المعاني والأوصاف تتغير وتتميز وتختلف باختلاف النوع أو الجنس، وكما أن الأشياء مختلفة في الذات كذلك الأشياء مختلفة في الصفات وفي المعاني، الأشياء تختلف في الذوات، ذات الإنسان غير ذات الحيوان وذات الخالق غير ذات المخلوق، كما أن الذات تختلف فالأوصاف والمعاني تختلف، فالعقل يقول بأن كما أن الذوات مختلفة ذوات المخلوقين بعضهم وبعض وكذلك الذات بين الخالق والمخلوق، فكذلك الصفات والمعاني مختلفة، العقل هنا يقول ذلك أم لا؟ نقول نعم، إذاً كل صفة تضاف إلى نوعها تليق بها كما هو، الصفة اللي تليق بالإنسان غير الصفة اللي تليق بالحيوان غير الصفة التي تليق بالله عز وجل هذا من باب العقل.

من باب الحِس نقول الفيل أو الزرافة لها جسم صحيح؟ والقطة لها جسم، والذبابة لها جسم صحيح؟ طيب

هذه لها جسم ولها قوة وهذه لها جسم ولها قوة تختلف أم لا؟ تختلف، ده بالحس، أنت بتجد هل الفيل زي الزرافة زي الكلب زي القطة زي الثعلب زي البعوضة زي الذبابة؟ هذه مختلفة مع إن الإثنين لهم جسم صحيح؟ لهم جسم، إذاً الاشتراك في الاسم لا يستلزم التماثل ولا حتى الاشتراك في الصفة لا يستلزم التماثل في الحقيقة، هذا من باب الحِس ومن باب العقل ومن باب السمع وهذه آخر القواعد الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات.

لعلنا بينا قدر ما نستطيع أهم القواعد في هذا الباب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة التاسعة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم على موعد مع محاضرة جديدة من محاضرات برنامج دراسة العقيدة، مازلنا في المرحلة التمهيدية لقواعد الضوابط الخاصة في التوحيد وأقسامه، اليوم إن شاء الله نختم الكلام عن باب الأسماء والصفات والقواعد التي كنا تكلمنا عنها في هذا الباب، في هذه المحاضرة إن شاء الله نبين كيفية اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذه النصوص التي جاءت في باب الأسماء والصفات وكيفية وقوع المخالف عن أهل السنة والجماعة في البدعة في هذا الباب وقد يكون في التكفير أيضاً عند الغلاة منهم وما الذي أدى إلى وقوعهم في ذلك مع بيان تقسيما عاما لهذه الفرق أو تقسيما مجملا مع بيان الفروقات البسيطة بينهما .

فنبدأ بإذن الله تعالى..

في بيان كيف معتقد أهل السنة والجماعة في الله عز وجل في أسمائه وصفاته وكيف أن هذا الاعتقاد هو الاعتقاد الحق الصحيح، قد قال الله عز وجل (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فالعبد لا يكون عبدا حقا إلا بخضوع تام وتسليم لله عز وجل فالعبادة لها ركنان أهم هذه الأركان التسليم لله والخضوع والإذعان والانقياد التام لله عز وجل، قال تعالى (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي استسلمت لله عز وجل وهذا هو الأصل الأصيل، وقد أناط الله عز وجل الإيمان بتمام الانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) وقال تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، وقد قال الله عز وجل (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" وقال تعالى" فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

قال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً (كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى)، وقال تعالى (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) فأناط الله عز وجل الهداية بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وطاعة النبي كما معلوم من طاعة الله عز وجل، فمن حاد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو حاد عن تبيين النبي صلى الله عليه وسلم فهو غير مهتدي، وقد ضل الطريق وقد حاد عن الشرع القويم، فنحن عباد لله عز وجل فلابد لنا من الإيمان التام الكامل والانقياد الكامل لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك كان الأصل الأصيل عند السلف الإيمان التام بما أنزل الله عز وجل، وهنا قلنا (بما) و(ما) هنا من الأسماء المبهمة يعني (بكل ما) جاءت بمعنى كل أو العموم فالأصل الأصيل عند السلف أن تقول الإيمان التام بكل ما أنزل الله عز وجل، فدخل بذلك أول الأشياء وأهمها وهو باب الأسماء والصفات، لأنه يتكلم عن الله عز وجل أسماء لله سبحانه وتعالى وصفات لله عز وجل، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) فالإيمان بالله يستلزم لزوما الإيمان لله وده الانقياد، فالإيمان بالله أيضاً هو التصديق يكون باستقرار القلب على ذلك والإيمان لله والانقياد والاستسلام والاتباع ذلك وصف الله عز وجل المؤمنين حق الإيمان بأنهم (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) كل ما جاء من عند الله آمنا به هذا هو معنى الانقياد التام والانصياع والاستسلام الكامل، وهذا ليس فقط في ما فهموا بل في المجمل وفي المبين، يعني يؤمنون بكل ما أنزله الله عز وجل سواء كان مجملا أو كان مبينا،

مع أننا نقول أن كل الكتاب بين وهذا هو الحق لقوله تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) فإذا كل ما في القرآن بين لو كان ظاهر الآيات غير مراد ما كان القرآن شفاء ورحمة سيكون عذابا ويكون القارئ للقرآن في حيرة من أمره يقول هذه الآيات ليست على ظاهرها فكيف تُأوّل؟ كيف أُبيّن؟ أسأل من؟ وهذا يخالف ما جاء في قوله تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) ومن الذي يدكر ويقول أن القرآن غير ميسر وغير مُبيَّن أو أن ظاهره غير مراد؟، لا أحد يستطيع أن يقول ذلك والله قال(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) فأول طريق لنا أن الله قد بين لنا القرآن أنزله وبينه قال تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)،

لذلك سفيان ابن عيينة وهو من أساطين أهل العلم لما كان يُسأل عن الصفات صفات الله عز وجل قال "قراءته تفسيره لا كيف ولا مثل" يعني مجرد أنك تقرأ هو القراءة تفسير لها لا فيها لا كيف ولا مثل، ومع ذلك نقول هب أن الأمر قد ضاق على بعض أهل العلم أو على الأغرار من طلاب العلم فأراد أن يطلب التبيين، ما وضح له شيئا أو بعض الأشياء أو الآيات لم تتضح له من أين سيطلب التبيين؟ سيطلب التبيين من المبين الأول وهو من؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم والحق أن الرسول مبين وغير مبين قال تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) لكن بيان النبي صلى الله عليه وسلم ليس من عنده، بل هو من عند الله عز وجل قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) فالنبي صلى الله عليه وسلم ناقل لهذا البيان والذي بيّن في الأصل هو الله عز وجل لقوله تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ، لكن هو سبحانه وتعالى قال ايه؟ (لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (17) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ) إذا البيان من الله عز وجل ولكنه أعلمه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر الله النبي أن يبين للناس، فالبيان أصالة من الله، إذا القرآن كله مبين الله أنزله وهو الذي بينه سبحانه وتعالى ومع ذلك نقول إذا استشكل الأمر كانوا يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبين لهم، وقد قال الله عز وجل (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ) **وقال النبي صلى الله عليه وسلم:** (إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس)،

فإذا من أُغمض عليه شيء أو أُجبل عليه شيء في هذا الباب أو في غيره يرجع للرسول صلى الله عليه وسلم فيأخذ من السنة، طب إن لم يجد الرسول أو ما استطاع أن يجد في السنة ذلك يرجع لأهل العلم بنص قول الله عز وجل **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ)**

فإذا الرجوع هنا سيكون للعلماء، طيب لو قلنا أولا القرآن مبين من الله، ثم إن أُشكل فالنبي بين صلى الله عليه وسلم، ثم إن لم يوجد النبي ولم نجد سنرجع إلى العلماء أول العلماء في ذلك من؟ الصحابة رضوان الله عليهم **قال عليه الصلاة والسلام "فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ"** فأول من بين بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم الخلفاء الأربعة ثم بعدهم الصحابة رضوان الله عليهم لأن الله قد عدلهم سبحانه وتعالى **وقد عدلهم النبي صلى الله عليه وسلم قال (النجومُ أمنَةٌ للسماءِ ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتَى السماءَ ما توعَدُ ، وأنا أمنَةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابِي ما يوعدونَ ، وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتِي ، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ)**

نقول أُمرنا بالرجوع بعد ذلك إلى العلماء وأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم الرجوع إلى الصحابة **لأنهم الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: (خيرُ القرونِ قرْني, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ الَّذين يلونَهم)، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم في رواية: (يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ)** ولم يذكر الرابعة، إذا إن لم نجد في الصحابة نذهب إلى التابعين وإن لم نجد في التابعين نذهب إلى تابعي التابعين، فإن قال قائل لم نجد في تابعي التابعين ستقول في بعض المسائل فُتح باب الاجتهاد لأهل العلم في ذلك وفي أبواب كأبواب العقيدة وغير ذلك لا يمكن أنك لن تجد في القرون الخيرية هذه المسألة وإلا إن لم تجدها في القرون الخيرية فلا تبحث عنها بعد ذلك، أنا أتكلم عن مسائل العقيدة المستقرة، لأن فهم العقيدة جاء من الكتاب ومن السنة ومن فهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابعي التابعين وهذه القرون الخيرية التي أثنى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، أما في المسائل الفقهية والنوازل المعاصرة وغير ذلك ففتح باب الاجتهاد في ذلك، لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن الكلام كله لابد يُرجع فيه إلى أن أولا القرآن مبين وأن الله بيّنه ثم أبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ببيان هذا البيان الذي جاء من عند الله، فإن أشكل النبي صلى الله عليه وسلم وجهنا إلى الصحابة ثم التابعين ثم تابعي التابعين، وسكت بعد ذلك يبقى لو أردت مسائل العقيدة وعقيدة السلف هترجع إلى القرون الخيرية الثلاثة أن وجدت ما كان عليه هؤلاء الأفذاذ أصحاب هذه القرون اعلم أن هذا المستقر عند السلف، لذلك ما جاء عالم من علماء هذه القرون الخيرية في هذا الباب إلا ما وقف عند التسليم لما جاء في الكتاب والسنة، الإمام أحمد قال" نصف الله بما وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نعدوا ذلك" انظر الإمام أحمد رجع إلى الكتاب والسنة، الإمام مالك هو مؤصل هذه المسألة في جملته الشهيرة التي أصلها عن أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها ثم عن ربيعة الرأي وهو شيخ الإمام مالك أيضاً قال" الاستواء في اللغة معلوم والإيمان به واجب والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة" فالعلماء لم يشتغلوا بكيفية الاستواء هم يعلمون معنى الاستواء المعنى معلوم أما الكيف مجهول ولو قلنا لماذا؟ لأن هذا غيب فلا أحد يعلم عن الله عز وجل لأنه غيب في الكيفية هذه، ولكننا نؤمن بما جاء بأن الله مستوي على عرشه سبحانه وتعالى لأن هذا كلام الله ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من

الله قيلا، لذلك الأئمة كانوا يؤمنون بما جاء، الشافعي، قلنا الإمام أحمد، والإمام مالك، الشافعي يقول" آمنت بالله وبما جاء عن الله وعلى مراد الله وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم" فإذا انظر للأئمة الثلاثة الكبار الإمام مالك ثم الشافعي ثم أحمد بالترتيب الزمني هذه عقيدتهم وهي عقيدة السلف لذلك يرد به على من يقولون بأن الأئمة ليست لهم هذه العقيدة، وينسبون الأئمة إلى كلامهم الباطل، أحد الطواف التي سنتكلم عنها إن شاء الله، هؤلاء الأئمة رجعوا إلى الكتاب وإلى السنة وإلى ما كان عليه السلف الصالح والصحابة .

فإذا نريد أن نبين طب من أين أوتي القوم؟ إذا كنا بنقول الأمر يسير.. النبي صلى الله عليه وسلم بينه والله بينه لنا القرآن جاء بآيات الأسماء والصفات ظاهرة المعنى وضحها الله عز وجل ومبينة والنبي قد بينها والصحابة علموها والتابعين وتابعي التابعين من أين أوتي هؤلاء القوم الذين تكلموا في غير عقيدة السلف؟ أول شيء أوتي به وارجعوا لأول الكلام في المقدمة أن ليس عندهم تسليم لله عز وجل لو أنا رجعت للإشكال عندهم أنهم لا يثبتون الصفات الخبرية عن الله أو في الصفات الفعلية لا يثبتونها أيضاً عن الله عز وجل، هنا لم يسلموا وقلنا أول شيء أنك عبدا لله فلابد أن تسلم وانظر إلى تمام التسليم في حديث أبي رزين رضي الله عنه لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال" يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: (نَعَمْ)، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا " هل اعترض أبو رزين؟ ما اعترض، أو قال كيف يضحك إذا لو ضحك له لسان وله شفتان وله ابتسامة عريضة وغير ذلك ما تكلم أبو رزين في ذلك.. سلم لقوله صلى الله عليه وسلم أيضحك ربنا يا رسول الله؟ قال نعم لكنه انتقل.. ولو قال أعوذ بالله كيف تقولون إن الله يضحك ولو كان يضحك يبقى له فم وله لسان وله فتحة وجوف وجسم إلى ما قاله هؤلاء الضلال في هذه المسألة. لكن هو سلم، بل بعد ما سلم انتقل إلى الأهم قال إذا لن نعدم خيرا من رب يضحك، علم أن الله يضحك فإذا كان الله يضحك لعباده يبقى سيرضى عنهم قال إذا لن نعدم خير من رب يضحك، انتقل إلى الثمرة التعبد بهذه الصفة أثبتها وسلمها كما قال له النبي صلى الله عليه وسلم وما أشكل عليه شيء ما قال كلمة يضحك مش واضحة هي ما معناها؟ إرادة الثواب ولا معناها كذا؟ ولا معناها المعنى المذموم ولا معناه إن أنا أجسم؟ لا، قيلت الكلمة له سلم للنبي صلى الله عليه وسلم وفهم المعنى وده يدل لك على أن المعاني كانت واضحة مبينة عندهم ما كان عندهم الإشكالية ولا الخراب الذي أتى في عقول هؤلاء القوم الذين كل ما يقرأون عن صفة من صفات الله يمثلونها فأرادوا أن يشبهونها أو يعطلونها لا، هو ما قال، علم وآمن قال إذا لن نعدم خيرا من رب يضحك، ما قال الضحك انفعال في القلب وتغير في المزاج والدم يتدفق أكثر ثم دخل في هذه الأمور التي هي تخص الخلق ولا تخص الخالق.

إذا أول شيء القوم لم يسلّموا بما جاء في هذا الباب، ثانيا العطب الثاني يبقى أول شيء أنه لم يسلم.. والأصل التسليم في هذه النصوص التي تأتيك عن الله عز وجل، الأمر الثاني أنهم لما لم يسلموا، أرادوا أن يطلبوا التبيين فوقع في عطب آخر جرهم أنهم لما أرادوا أن يطلبوا التبيين ما طلبوا التبيين كما أمر الله عز وجل مِن مَن؟ من الرسول صلى الله عليه وسلم أومن الصحابة أو من التابعين أو تابعي التابعين لا طلبوا التبين من عقولهم، لما أرادوا أن يطلبوا التبيين لما أشكل عليهم.. وهو ليس بأشكال لكن أشكل عليهم فطلبوا التبيين من من؟ من العقول اعتمدوا على العقل في التبيين في هذه الصفات أو في هذا الباب تحديدا ولما اعتمدوا على العقل ضلوا وأضلوا **قالوا جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخر)** قالوا النزول ما نعلم إلا نزول الكرسي، المرء يكون على الكرسي فينزل من على الكرسي، فقالوا لا نعوذ بالله أن يكون مثل ذلك، فما يثبتون النزول،

يقولوا ينزل الأمر ينزل الرحمة، من الذي جعلهم يقولون ذلك؟ العقل لأنهم جعلوا النزول لله كنزول المخلوق، قالوا الاستواء يبقى محتاج إلى الكرسي كما أن المرء يستوي على الكرسي فيحتاج إليه فقالوا لا العقل يرفض ذلك فرفضوا ذلك، قالوا المشي والهرولة إلى غير ذلك عرضوا هذه الأمور على العقول، وقالوا اليد لو قلنا باليد جارحة وغير ذلك فنقول القدرة أو النعمة فهم أرادوا التبيين من من؟ لم يذهبوا إلى المعين الأصلي في التبيين، بل ذهبوا إلى عقولهم، فلما ذهبوا إلى عقولهم وقعوا في هذا الضلال، واضطروا إلى أن يكيفوا وأدخلوا العقول في التبيين فأخطأوا الطريق الثاني، الطريق الأول أنهم ما سلموا الطريق الثاني لما طلبوا التبيين طلبوا التبين من العقول فوقعوا في التكييف فوقعوا إما في التعطيل كما سنبين أو وقعوا في التشبيه الذي هو التمثيل، وهذا كله نتيجة أن هم طلبوا التبين من العقل فأخطأوا في ذلك، فإذا القوم لما أخطأوا في ثلاثة؛ عدم التسليم ثم أخطأوا في التبيين ثم أخطأوا في الإحالة أيضا، بدل أن يحيلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة وإلى السلف أحالوا إلى العقل، والفرق بين أهل السنة والجماعة وبين هؤلاء هذا على العموم من أهل السنة سلموا أولا ثم طلبوا التبيين من المبين الأول وهو الكتاب والسنة، فإن لم يجدوا أحالوا إلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين فكانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة وكانوا على عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم، أما هؤلاء فما فعلوا ذلك، قلنا ما سلموا أصالة ثم ما طلبوا التبيين من الكتاب أو السنة ثم لما أحالوا لم يحيلوا إلى المعين الثاني بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحالوا إلى العقول فوقعوا في عدم التسليم ثم طلب التبيين الخطأ ثم الإحالة الخطأ في ذلك فوقعوا فيما وقعوا فيه من الضلال في هذا الاعتقاد.

هذه كانت مقدمة لنبين أصل المخالفة من أين أتت؟ ندخل إن شاء الله الآن على الكلام عن تقسيم هؤلاء الذين خالفوا تقسيما أوليا، وكنا قد أشرنا إليه الأسبوع الماضي تقريبا لكننا سنبينه بشيء من التفصيل.

الذين زاغوا عن سبيل النبي صلى الله عليه وسلم وسبيل السلف في هذا الباب باب الأسماء والصفات هم في المجمل قسمان؛ قسم الممثلة وقسم المعطلة وكل منهما غلا في جانب وقصر في جانب، الممثلة غلوا في ايه؟ حد يعرف غلوا في أي جانب؟ الممثلة غلوا في جانب الإثبات وقصروا في جانب النفي، لأن هم ممثلة أثبتوا مع التمثيل فكل شيء كانوا بيثبتوه ويمثلوا الخالق بالمخلوق وفي النفي ما نفوش شيء أو يعني قصروا في هذا، طب المعطلة؟ غلوا في جانب النفي وقصروا في جانب الإثبات فكل واحد خرج عن الوسط أو الاعتدال في الجانبين، هذا أول شيء في التقسيم سنقسم ممثلة ومعطلة، وقلنا الممثلة غلوا في الإثبات وقصروا في النفي والنقيض أن المعطلة غلوا في النفي وقصروا في الإثبات.

- **سنبدأ الكلام عن القسم الأول وهم الممثلة**، طريقة الممثلة أنهم أثبتوا لله عز وجل الصفات لكنهم أثبتوها على وجه يماثل صفات المخلوقين فقالوا لله وجه ويدان وعينان كوجوهنا وأيدينا وأعيننا شبهتهم في ذلك أنهم قالوا بأن الله عز وجل خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل فقالوا ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهدا فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد، قالوا هكذا إذا خاطبنا الله عز وجل عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم لنا في الشاهد حتى نفهمه ونعقله و المذهب هذا أو هذا الكلام مردود عليهم باطل سواء عقلا أو سمعا قبل ذلك يعني من الكتاب ومن السنة أو عقلا أو من الحس، فمن السمع قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ

الْأَمْثَالَ)، فالآية الأولى نفى أن يكون لله مماثل مع إثبات أن فيه سمع وبصر يعني ليس كمثله شيء وهو السميع البصير أثبت السمع والبصر لكن نفى المماثلة، والآية الثانية نهى الله عز وجل أن تضرب له الأمثال، فالآية الأولى نفي والآية الثانية نهي فدل ذلك على أن التمثيل قد نفاه الله عز وجل وقد نهى عنه أيضاً، أما من العقل يدل على بطلان كلامهم عقلا حتى لأن التمثيل هو طبعاً كلامنا عن التمثيل نقول أولا من وجوه هناك تباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود وهذا هم يقرون به لأن الخالق له ذات والمخلوق له ذات فهناك تباين في وجود الخالق كمان ووجود المخلوق فقلنا لهم التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود يستلزم التباين في الصفات ما هو كل صفة تليق بموصوفها فإذا كانت ذات الخالق سبحانه وتعالى تتباين عن ذات المخلوق فكذلك الأوصاف والمعاني تتقيد بالموصوف فما نسب إلى الله أو أضيف إلى الله كان له معنى وله كيفية وله وصف وما أضيف إلى المخلوق له معنى وكيفية وله وصف فكما أن التباين في الذات كذلك التباين في الصفات فالعقل يقول ذلك، كذلك عقلا كلامكم باطل لماذا؟ المماثلة بين الخالق والمخلوق تستلزم وتؤدي إلى نقص الخالق سبحانه لأنك لما تمثل الكامل بالناقص تجعله ناقص هو المخلوق ناقص وأنت بتقول الله كامل فلما تشبه الكامل بالناقص ده حتى بين أهل الدنيا لما تيجي تشبه واحد بواحد تقول له أنت شبهتني بفلان؟ هو أنا زيه؟ هو أنت ترى مثلا إنك أعلى منه أكاديميا مثلا ولا تربويا ولا ماديا ولا شيء ينتقص المخلوق أن يشبه بمن هو ليس مثله فما بالك ولله المثل الأعلى؟ فالتباين الفرق هذا لو قلت بالمماثلة يستلزم أنك تنسب النقص للخالق سبحانه وتعالى فالعقل يقول بأن المماثلة غير واقعة أصلا ولا تصح عقلا، الأشد من ذلك عقلا لو قلت بالمماثلة بين الخالق والمخلوق هذا يقتضي بطلان العبودية أصلا لأن لا يخضع عاقل لأحد إلا على وجه أنه يعظمه تعظيما مطلق لأنه أعلى منه فكيف نحن نعبد الله ونكون عبادا لله ونحن نمثله بالمخلوقين؟ فالعقل هنا يقول إنها تنتفي العبودية لماذا يعبد أصلا؟ ما هو ليس أعظم منه في شيء، فهذا رد عليهم عقلا أن هذا الكلام عقلا ما يصح، طب من باب الحس والمشاهدة قلنا إذا كنا قد رأينا في المخلوقات وشاهدنا بأنفسنا بعقولنا وبأعيننا أن هناك مخلوقات تشترك في الأسماء والصفات في اللفظ وتتباين في الحقيقة، يعني في باب المخلوقات يقول له الحس أن وجدنا أن مخلوقات تشترك في الأسماء والصفات في اللفظ وتتباين في الحقيقة، قلنا الجسم مثلا الفيل له جسم وله قوة -القوة صفة- والبعوضة لها جسم ولها قوة أيضاً والذبابة لها جسم ولها قوة والنمر له جسم وله قوة التباين بين الأجسام وبين القوة في كل واحد من هذه الحيوانات ظاهر جدا واضح فإذا كان التباين بين المخلوقات مع أن دي لها جسم وده له جسم ودي لها صفة القوة ودي صفة القوة إذا كان التباين بين المخلوقات واضح وظاهر كان التباين بين الخالق والمخلوق من باب أولى ده الذي قلناه من قبل في قياس الأولى، بل أصلا ده التباين بين الخالق والمخلوق واجب والتماثل ممتنع، طيب إذا رددنا على شبهتهم الباطلة من الشرع أو من السمع ومن العقل ومن الحس هم ما زالوا يقولون طيب قالوا الله خاطبنا بلسان عربي بما نعقل يعني ونفهم قال تعالى: **(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** وقال تعالى: **(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)** وقال: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)** ، طيب الله عز وجل أنزل ذلك لتعقل لكن هل ترك لك العقل في هذا الباب؟ لا جعل البيان من النبي صلى الله عليه وسلم ومنه سبحانه وتعالى لو ترك البيان للعقل لما حصل البيان الذي تقوم به الحجة على الناس كل واحد يترك له بعقله يعني هو يبين لنفسه فما يكون هناك إقامة حجة والله عز وجل يقول:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) إذاً الذي يبين لك الرسول صلى الله عليه وسلم ليس عقلك وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يبين لنا هذا التمثيل الذي تتكلم عنه، تبقى قالوا إذا خاطبنا على الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد يعني قالوا لو كلمتنا عن شيء في الغيب فاحنا يجب علينا أن نحمله على المعلوم في الشاهد لابد أن نرد على هذه الشبهة أيضاً كما رددنا على السابق، نقول أن ما أخبر الله عز وجل به عن نفسه إنما أخبر به مضافا إلى نفسه سبحانه وتعالى المقدسة فيكون لائقا به لا مماثلا لمخلوقاته يعني لا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله عز وجل أو لم يقدر الله حق قدره أو لم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق، يبقى الله أضاف إلى نفسه وأنت النفس هذه لم تراها فكيف تجعل نفس الخالق كنفس المخلوق فتقيس هنا الغائب على الشاهد؟ ثم أيضاً لابد أن تكون هذه المماثلة التي قلتها لا يمكن أن تكون مرادا لله عز وجل لأن المماثلة تستلزم نقص الخالق كما قلنا ولو اعتقدت نقص الخالق تكفر ولا يمكن الله يريد لعباده الكفر ولا الضلال يعني لا يمكن أن يكون الله عز وجل لما أخبرنا عن نفسه وهو غائب يريد منك أن تظن المماثلة أو تعتقد المماثلة لأنك إذا اعتقدت المماثلة ستعتقد النقصان لله وإذا اعتقدت النقصان لله كفرت بذلك

ووقعت في الضلال والله عز وجل يقول: " وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ" بل قال تعالى: (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا) يعني يبين لكم حتى لا تضلوا فكيف يكون هذا الاعتقاد عندك الذي سيؤدي إلى ضلال وإلى كفر مرادا لله إذا هذا لا يمكن أن يكون مرادا لله عز وجل وقلنا أن هذا القياس الغائب على الشاهد قياس باطل لأنه قياس تمثيلي وقد بيننا في القياس ارجعوا لمسألة القياس فهذا كان أصل اعتقادهم حتى لا ندخل في التفريعات لأن ما يهمنا الآن أن نتكلم في تطبيقاتهم نحن ندرس فقط الأصول التي ضلوا فيها وكيف ضلوا وكيف نرد على هذه الأصول ردا عاما إجماليا وأيضا مفصلا لكننا ونردهم إلى اعتقاد أهل السنة والجماعة في ذلك هذا القسم الأول وهو قسم الممثلة.

- **سنتكلم عن القسم الثاني وهو قسم المعطلة**، وقسم المعطلة حتى قبل أن ادخل فيه لأن هذا فيه غالب الفرق لأن ده النقيض، الممثلة على طرف الذين قلنا أثبتوا ومثلوا المعطلة جم نفوا والمعطلة درجات منهم من نفى بالكلية ومنهم من أثبت بعض الصفات ونفى الباقي لكن لابد أن نبين قصة كده أصل التعطيل من أين جاء؟ ما الذي أدى إلى وجود التعطيل في هذه الطوائف؟ طبعاً أول من عطل هو الجهم بن صفوان وهو الذي نسب إليه بعد ذلك طائفة الجهمية، جهم بن صفوان هو أول من قال بالتعطيل وسبب ذلك أنه كان تواجد مع طائفة في الهند تسمى السومانية، هؤلاء السومانية في الهند هم يسموهم الطوائف التناسخية الذين يقولون بتناسخ الأرواح هم لا يؤمنون بوجود إله لا يقولون بأن الله رب للكون ولا هناك خالق وليس هناك إله معبودا لهم فأراد جهم أن يردهم إلى الحق أراد أن يجعلهم يسلموا يوحدوا طبعاً هم لا يؤمنون بالقرآن ولا بكتاب فأنت لن تستطيع أن تأتي له بالقرآن وتفتحه وتقول له اقرأ كلام الله هو أصلا لا يؤمن إن فيه إله وبالتالي الكلام ولا القرآن سيفيدهم ودي مهمة قوي أنك تعلم عندما تتناقش مع أحد مخالف إنك ترده إلى شيء هو بيقول به أو متفق عليه مش تتكلم معه على شيء هو أصلا لا يثبته عشان تستطيع أنك تأتي به إلى الحق، فهو جهم جلس يفكر كيف يعني اتكلم مع هؤلاء الناس واجعلهم يؤمنوا أو يوحدوا فاحتج عليهم بدليل عقلي ودي كانت الطامة الكبرى التي هو وقع فيها بعد ذلك وأوقع الناس كلها الذين جاءوا من بعده أن هو قال لهم أليس الأجسام التي عندكم الآن لها أعراض؟ الجسم له جوهر وله عرض، جوهر الذي هو العين نفسه الجسم،

ثم الأعراض التي تأتي على هذا الجسد يعني يشعر بالبرودة يشعر بالحرارة يشعر بالمرض بالصحة بضوء الشمس بالليل دي أعراض كلها بالجوع بالعطش، فقال هذه أعراض تصيب المرء أي الجسم الموجود عندكم ولا يمكن أن الأعراض تقوم بنفسها يعني هو العرض هيقوم بنفسه؟ هيخلق نفسه بنفسه؟ وفي نفس الوقت الأعراض دي نحن لا نراها يعني أنت ممكن ترى الجبل، الجبل عين أهو لكن المشي إلى الجبل المشي نفسه صفة المشي أنت بتراها؟ لا تراها البرودة أنت بترى صفة البرودة؟ صفة الحرارة تراها؟ لا تراها صحيح؟ لكن ترى جبل ترى وادي ترى جسم حيوان وغير ذلك، فقال هذه الأعراض التي لا نراها لكن نشعر بها موجودة التي ليست لها هيئة اللون مثلا الألوان التي تراها الآن موجودة، فأنت عرض موجود لكنك لا تراه، النزول والارتفاع إلى غير ذلك، فقال هذه المعاني التي أنتم تشعرون بها لا يمكن أن تقوم بنفسها يعني مش اللون اللي بيجيب نفسه الحرارة ما بتجيبش نفسها المشي ما بيجبش نفسه لابد أن يقوم بها أحد، قالوا له نعم صحيح قال وأكيد أن الجسم الذي يحتاج إلى هذه الأعراض لا يمكن أن هو الذي يوجدها إذا كان الجسم يحتاج إليها يحتاج للبرودة يحتاج للحرارة للجوع للعطش للأكل للطعام فدي أعراض إذاً الجسم اللي هو يحتاج لا يمكن أن هو يخلق ما يحتاج ده هو محتاج أصلا لها فإذاً لابد أن الأعراض دي أحد خلقها في الجسم، قالوا إذاً صحيح هو لابد الأعراض دي يكون في حد أوجدها، قال إذا كان الأعراض دي الجسم لا يستطيع أن يوجدها لنفسه فكذلك هو لا يستطيع أن يوجد نفسه يبقى لابد أن الجسم ده هناك من أوجده قالوا نعم، يبقى الجسم ده هناك من أوجده والأعراض دي لا يمكن للجسم لأنه يحتاج إليها إنه يوجدها يبقى هناك من أوجد هذه الأعراض، حدوث الأعراض هذه ودي أعراض متحادثة بتحدث فلابد لها من محدِث، فقال لهم ما دام الجسم محتاج إليها يبقى الجسم مش مستقل بإيجاد نفسه ومحتاج إلى غيره إذا كان في أصل الوجود لا يمكن أن يوجد نفسه وكذلك فهذه الأعراض هو لا يستطيع أن يوجدها إذاً لابد من موجد فقالوا سلمنا لك نعم حلول الأعراض في الجسد لابد لها من موجد والجسد لابد له من موجد، هم كانوا يقولوا بالتناسخ من قبل قالوا آمنا إن فيه إله، إن لابد يكون فيه إله؟ قالوا نعم سلمنا لك يا جهم هناك إله، طيب لما هو بين لهم استدل لهم بهذا الدليل العقلي الذي نسميه حدوث الأعراض بيسموها حدوث الأعراض ليه أو حلول الأعراض؟ لأنه استدل لهم أن ما دام في أعراض تأتي والجسم لا يستطيع أن يوجدها لابد لها من موجد فإذاً لابد من وجود إله، فبعد أن سلموا له قالوا يا جهم إذاً فيه إله صف لنا إلهك، طيب فهو الآن وقف جهم فتح القرآن وجد صفات موجودة في القرآن لله عز وجل كل ما يمر على صفة يتذكر الدليل الذي هو جعلهم يؤمنون به وهو حدوث الأعراض طب ما هو في يد لله وفي سمع وفي البصر وفي غضب وفي محبة، فقال لو قلت لهم الإله يغضب ويحب ويسمع ويبصر ويتكلم سيقولون لي أعراض، وهذه الأعراض صفات لله يبقى أعراض سيستدلون عليه بأن الأعراض دي حلت أو حدثت للإله إذاً من أوجد هذه الأعراض؟ لابد لها من موجد فيرجع عليه الدليل بالبطلان، سيقولون له طب من أوجد الأعراض في إلهك؟ يبقى لابد لها من موجد يبقى يرجعوا للأول مرة أخرى فوقع في المسألة ما استطاع أن يحيد عن الدليل الذي الزمهم به وكان دليل أصلا خطأ أنه لما أراد أن يدعوهم كان عنده أدلة عقلية أخرى يثبت لهم أن فيه إله للكون كثيرة جدا لكن هو وقع في هذا الإشكال فلما وقع ما استطاع أن يخرج إلا أن ينفي هذه الصفات لله وأثبت صفة الوجود فقط أن لابد الإله موجود طب كل بقى الصفات الموجودة في الكتاب هذه؟ قالوا لا دي مخلوقات لله الله خلق السمع في مثلا في الحيوان في الآدمي خلق الكلام خلق الغضب فأصبحت كل ما كان صفاتا له في الكتاب جعلها مخلوقات لله وليست صفة لازمة لله فرارا أنه لو اثبتها صفة ستكون عرضا فيؤدي إلى حلول الأعراض إذاً لابد له من موجد إذاً للإله سيكون له موجد فيعود على دليله بالبطلان معه فأدى ذلك إلى أنه نفى الصفات وعطل الصفات وهذا

الدليل يسمى دليل حدوث الأعراض أو حلول الأعراض، الإشكال أن لو كان جهم وقف عند جماعة السومانية وانتهى الأمر لكان الأمر خلاص ضل جهم هو فقط، لكن الإشكال أن كل من أتى من بعد جهم من الطوائف التي سنبينها لأن في طائفة بقى اسمها الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان سنبينها ثم جاءوا من بعدهم المعتزلة وجاؤوا من بعد المعتزلة الكُلّابية والأشاعرة والماتريدية كل هؤلاء كل ما جاء من بعدهم من هذه الطوائف سلموا لجهم بهذا الدليل، يعني انظر المعتزلة قالوا لجهم دليل حدوث الأعراض صحيح العقل يقول به طب وبعدين فلما أصلوا هذا الدليل كل الحكاية اختلفوا بقى الجهمية نفت كل الأسماء والصفات وأثبتوا الوجود فقط، انتبهوا أهم حاجة في المسألة كلها أن كل هذه الطوائف ما نقضت دليل جهم بل مشيت على هذا الدليل وأقرت أن هذا الدليل صحيح فاضطروا بعد ذلك لأن تأتي المعتزلة تقول لا بس نحن سنثبت الأسماء لأن الأسماء كلفظ موجودة الله قال: " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ" لكن المعنى غير موجود ونثبت ثلاثة صفات فقط سنبينها العلم وغيرها والإرادة وغيره، ثم يأتي من بعدهم طائفة أخرى كالأشاعرة يقولوا أيضاً الدليل العقلي هذا صحيح لكن نحن سنثبت سبع صفات على ما سنبين، ويأتي الماتريدية أضافوا صفة التكوين صفة ثامنة، كل هؤلاء هم في الأصل رجعوا واثبتوا دليل جهم حدوث الأعراض فعطلوا، الفارق أن في من عطل بالكلية كما سنبين وهناك من عطل بعض الصفات وأثبت بعض الصفات ولما اثبتها لم يثبتها بدليل شرعي بل اثبتها بدليل عقلي، لكن لابد تعلموا هذه أصل قصة جهم بن صفوان وأصل التعطيل لما حدث لذلك تجد في كتب العقيدة يسمون كل هذه الطوائف معطلة يعني حتى الأشاعرة الذين يثبتون الصفات الذاتية لكن ينكرون أو يحرفون الصفات الخبرية والصفات الفعلية عند أهل السنة والجماعة وكتب المتقدمين هم يسمونهم معطلة أيضاً لأنه في فرق بس أنه في عطل بالكلية وفي عطل تعطيل جزئي لكن هم كلهم ساروا على نفس الأصل الذي أصله جهم بالتعطيل إنهم نفوا هذه الأسماء والصفات، فهذه القصة تبين لك أصل ظهور التعطيل بداية من جهم إلى الطوائف الأخرى التي ظلت إلى يومنا هذا موجودة، طب من هم بقى المعطلة؟ هم أنكروا ما سمى الله عز وجل تعالى به نفسه ووصف به نفسه هذا معنى التعطيل لكن إما إنكارا كليا أو إنكارا جزئيا وهم انقسموا عند بعض التقسيمات إلى أربع طوائف، الطائفة الأولى نبدأ بالمتأخرين وهو الأهم عندنا لأن هم الذين يناطحون أهل السنة والجماعة ويحاولون أن يبثوا هذا الاعتقاد وينسبون لأنفسهم أنهم هم أهل السنة والجماعة وإن لم ينسبوا لأنفسهم ذلك قالوا نحن وأهل الحديث والماتريدية كلنا أهل السنة والجماعة، كأن أهل السنة والجماعة ثلاثة طوائف: أشاعرة، وسموا أهل السنة وهو نحن بأهل الحديث، والماتريدية -وبالمناسبة الماتريدية هم الذين في تركيا هم مذهبهم هناك الماتريدية ومن البلاد التي حولهم في ذلك- وهذا الكلام طبعاً خطأ والترويج إليه ليس بصحيح أن أهل السنة والجماعة هم الطوائف الثلاثة بل الأشاعرة والماتريدية ومثلهم هم طائفة من طوائف المعطلة طريقتهم أنهم أثبتوا لله أسماء أنا أخذ من الآخر من الأشاعرة وبرجع للجهمية الذي ابتدينا بهم في الكلام لأن هم عطلوا بالكلية فأنا أريد أن يعني آخذ الأهم الآن وسنأخذ يعني من متأخر للأول لكن أنا بينت خلاص قصة جهم وكيف وقع في التعطيل بالكلية

أما الذين عطلوا جزئياً أو حرفوا جزئياً هم الأشاعرة والماتريدية أثبتوا لله أسماء وبعض الصفات وردوا ما أمكنهم رده من بعض الصفات إما رد النصوص أو حرفوها بدواعي التأويل عندهم يعني هم أثبتوا بعض الأسماء وأثبتوا لله أسماء أثبتوها لله الأسماء وبعض الصفات فقط فأثبتوا لله من الصفات سبعة (الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام) طيب لماذا؟ أولاً قالوا لا نثبت إلا هذه الصفات السبع مع إثباتنا للأسماء قالوا لأننا إذا أثبتنا باقي الصفات هيستلزم ذلك وقوعنا في التشبيه أو التمثيل طب والذي أثبتوه؟ قالوا لا الذي أثبتناه

وانتبهوا حتى تعرفوا العوار جاي منين؟ أنا ما استفيض في أصول الفرق لكن أبين لكم الأصول التي وقعوا فيها

قالوا ما أثبتنا من هذه الصفات السبع إلا لأن العقل دل عليه ، رجع للعقل الذي أصله جهم لما أراد أن يستدل لهم بحدوث الأعراض يعني ايش دل عليه العقل؟ قالوا إيجاد المخلوقات يدل على القدرة لابد إن الإله عنده قدرة أنه يوجد مخلوقات يبقى لابد من صفة القدرة

تخصيص بعض المخلوقات عن البعض يدل على الإرادة، أراد الله أن هذا رجل وهذه إمرأة هذا حيوان كذا وهذا حيوان كذا فإذاً تخصيص بعض المخلوقات يدل على أن هناك ارادة يبقى نثبت صفة الإرادة

إحكام هذا الخلق بهذه الطريقة يدل على العلم فلابد للإله أن يكون له صفة العلم

فالقدرة والإرادة والعلم تدل على الحياة لا يمكن أن يكون إله إلا حي والحي لابد أن يتصف بسمع وبصر وكلام وإلا يكون ناقص وأصبح أن هذه الصفات كمال وإلا لو قلت لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر صفات عجز ونقص ولا يمكن أن تكون في الإله، يبقى أثبتوا السبع الصفات كيف؟ قالوا عقلاً ولماذا نقول عقلاً؟ هم لم يثبتوا تسليماً للسمع بالكتاب والسنة كما أهل السنة يقولون. لا إثبات هذه الصفات السبع من باب العقل فقط أنه إله فلابد له من قوة لأنه بيخلق ويخصص المخلوقات إرادة والإحكام يستدعي العلم ولابد أن يكون حياً والحي لابد أن يتصف بالسمع والبصر والكلام، فأثبتوا هذه السبع صفات لكنهم أثبتوها من العقل فلابد أن نرد وسنرد أيضاً إجمالاً.

أنا فقط أفتح لكم أبواب هؤلاء حتى تعلموا الفارق بين عقيدة أهل السنة والجماعة وغيرهم وليس المراد الدخول في تفاصيل الرد على المخالف لكن سنقول أننا نحن سريعاً الرد من وجوه

رجعتم أنتم إلى العقل والرجوع إلى العقل يخالف ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة التي قلناها في بداية المحاضرة قال أحمد ومالك والشافعي كيف آمنوا على مراد الله بما جاء عن الله وآمنت بمراد النبي صلى الله عليه وسلم وجاء عن النبي وسلم فالكل رجع وسلم إلى ما جاء في الكتاب والسنة وكذلك فعل الصحابة وتابعي التابعين فأثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ونفوا عن الله ما نفاه عن نفسه وعن ونفاه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال الامام احمد نصف الله بما وصف به نفسه ولا نتعدى القرآن والحديث

يبقى أول شئ أنهم ذهبوا للعقل وما سلموا بما جاء في السمع.

الأمر الثاني وكنا قد بيناه في الأقيسة أن الرجوع في هذا الباب إلى العقل مخالف للعقل أصلاً، لأن العقل بيقول أن هذه امور غيبية والعقل ليس له فيها مدخل ولا مجال لانها امور غيبية والامور الغيبية تتلقى عن طريق السمع ولا تأتي عن طريق العقل لأن العقل لا يمكن أن يدرك تفاصيل هذه الامور الغيبية ما يجوز وما يمتنع في حق الله لا يمكن يعلمه احد إلا بالرجوع به إلى السمع وهذا وقعتم انتم فيه وذهبتم إلى العقل

الثالث أن الرجوع إلى العقل لابد سيستلزم الاختلاف والتناقض، كل واحد عندنا له عقل نحن تركنا المسألة الآن أن كل واحد عندكم يأتي يتكلم بما يريد ما هو كل واحد ليه عقل العالم الفلاني عنده عقل والعالم عنده عقل والعالم عنده عقل فتركنا هذا الباب الذي هو باب أسماء الله وصفاته إلى العقل وانتم رجعتوه إلى العقل في الإثبات والنفي

أنتم الآن أثبتم سبعة جاءت الماتريدية صفة التكوين ثمانية والمعتزلة قبلكم أثبتوا ثلاثة، جهم أثبت قبلكم واحدة فقط وهي الوجود فكل واحد على عقله يثبت وينفي

لذلك كلام الجملة البديعة التي قالها الامام مالك بن أنس: (أو كلما جاءنا رجل اجدل من رجل تركنا كتاب ربنا أو تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء) فلا يمكن أن يكون هذا الباب يترك لعقول الناس يتحكمون فيه ويقولون فيه وهذا الذي حدث الآن اختلاف الطوائف عندهم في التعطيل لاختلاف العقول عندهم لكن لا تجد عند أهل السنة اختلاف في الطوائف ما تجد عند أهل السنة طوائف في هذه المسألة هو ايمان واحد تسليم واحد تصديق واحد

نقول أن هذا الرجوع سيستلزم الاختلاف والتناقض كما بينا، أيضاً من الرد عليهم انتم لما أثبتم بعض الصفات ونفيتم البعض أو حرفتم أو أولتم، قلتم أننا صرفنا النصوص هذه التي هي الصفات عن ظاهرها لأن العقل يوجب ذلك قلنا لهم الذي أوجبه عليكم العقل في النفي هذا يوجب عليكم في الإثبات يعني انتم لو نفيتم اليد والعين والضحك ورحتم وأثبتم السمع والبصر بحجة أن غير مراد لله عز وجل أن يكون له يد حقيقية المراد به القوة طب لماذا؟ قالوا لو أثبتنا اليد يستلزم التشبيه طب انتم ما قلتوه بعقلكم ما تطبقوه على ما أثبتوه انتم نفيتم اليد عن الله ونفيتم العين ونفيتم الغضب لأن هذا تشبيه طب ما انتم أثبتم السمع والبصر والكلام والمخلوق عنده سمع وبصر وكلام وعنده ارادة وعنده قوة وعنده حياة وعنده علم فالسبع هؤلاء أيضاً كما هم موجودين في الخالق موجودين في المخلوق فالذي جعلكم انكم أثبتم هذه الصفات مع لم تشبهوا فلماذا لم تثبتوا باقي هذه الصفات بعقلكم أيضاً تنزلا مع أن تشبيهكم ما الذي جعلكم أثبتم سبعة بالعقل بعدم التشبيه باقي الصفات مع عدم التشبيه ما هذه الصفات وهذه الصفات؟ القول في بعض الصفات كالقول في الباقي كما قلتم في ذلك السبعة واثبتوهم لله لماذا لعقلكم أيضاً حتى لم يجركم على أن تثبتوا باقي الصفات ما هو في سمع للمخلوق لماذا لم تظنون؟ لأن سمع كسمع الخالق وقد وقعتم في التشبيه وهذا يبين عوار هذا الاستدلال من جانب

المراد الآن أنك تعلم اين أنت واين هم؟ أولاً تضبط ما عندك وتعلم كيف ضلوا ثم تنتبه ألا تكون أنت مثلهم أو هم يلبسوا عليك أنك الكل واحد لا في مفارقة بينك وبينهم هناك مفارقة موجودة بهذا الباب على الاقل وإن كان أصلاً فيه مفارقة في أصول اخرى عندهم نحن نتكلم في هذا الباب الذي معنا

ليست الطوائف كلها على درجة واحدة بعض أهل السنة بعض العلماء في طوائف كفروهم يعني هم قالوا بكفريات تكذيب للقرآن وفي طوائف لأ هم من من أهل الاسلام لكن عندهم عوار في هذا الباب ونقول أن من أهل الاسلام فهو من أهل الاسلام وان كان عندهم مخالفة **يعني الأشاعرة** التي تركناهم الآن هم من أهل الاسلام عند أهل السنة والجماعة هم على العموم مسلمين ليس لها علاقة أن بعض منهم ضلوا لكن نقول هم من أهل الاسلام لكنهم ليسوا على عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب بخلاف مثلاً الجهمية كما سيأتي وغلاة الجهمية كفار لأن هم نفوا كل شيء في القرآن من أسماء وصفات وليس عندهم تأويل حتى مسوغ أو حتى ممكن يعذر به وإلا في كلام قالوا الأشاعرة وغيرهم كلام ما يقبل لكن لأن لهم بعض التأويل وإن كان باطلاً فأهل السنة والجماعة ما كفروهم لذلك وإلا هناك كلام لو أخذ تفصيلاً ممكن يكفر به المرء إذا قاله، لكن أنا بتكلم على عموم الطائفة الآن.

الطائفة الثانية وهي المعتزلة ومن سار على قولهم من أهل الكلام طب ايه طريقة المعتزلة؟ أثبتوا لله عز وجل الأسماء دون صفات يعني قالوا الله عز وجل قال (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) فأثبتوا لله عز وجل أسماء دون صفات لكنهم هل أثبتوا الأسماء بمعاني؟ لا قالوا أسماء الله أعلام محضة .ماذا يعني أعلام محضة؟ بل بعضهم يقول مترادفة يعني العليم هو القدير هو السميع هو البصير شيء واحد ولكن اختلاف ألفاظ، مبدئيا أثبتوا أن فيه أسماء لأنه قالوا الأسماء موجودة في القرآن السميع والبصير والعليم والله سمى بها نفسه لكن هل هم جعلوا للإسم معنى؟ لا قالوا أعلام محضة

يعني أنت الآن مثلاً واحد اسمه كريم لكن هل هو يشترط أن يكون هو كريم متصف بالكرم؟ هذا اسمه علم محض يعني اسمه كريم، هم قالوا الله عز وجل أسماؤه هكذا أعلام محضة سميع الاسم الكريم العليم القدير لكن هل فيه صفة العلم والقدرة والسمع؟ لا قالوا نحن نثبت أعلام .طب لماذا قالوا ذلك؟ لأن القرآن أثبتها، ونحن أثبتنا ذلك وقالوا إنها مترادفة يعني معنى تكون مترادفة يعني مثل بعض ليس هناك فرق يعني العليم القدير والسميع والبصير أنا سميت واحد (محمد حمادة ميدو) كل هذه أسماء سميتها له سواء أنت بتدلعه كما يقال أو شئ كل هذه أسماء واحدة له

فقلنا الآن هم قالوا أعلام محضة وبعضهم قال إنها مترادفة و بعض طوائفه قالوا هي ليست مترادفة بل متباينة لكن عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع إذن هم أثبتوا ألفاظ ولم يثبتوا معاني. طب ما هي شبهتكم؟ -طبعاً هذا تعطيل أنه عطل المعنى- شبهتهم أنهم اعتقدوا لو أثبتوا الصفات هيستلزم التشبيه قالوا ماذا؟ لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم والأجسام متماثلة فمعنى ذلك أن الصفات متماثلة ومتشابهة وهو كلام سنرد عليه قلنا أن عز وجل سمى نفسه بأسمائه ووصف نفسه بصفات . قلنا لهم إذا كان إثبات الصفات هيستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك ما هو أنتم أثبتوا أسماء ولم تثبتوا الصفات قلتم لو أثبتنا الصفات هيستلزم التشبيه ما هو إثبات الأسماء كصفات الذي جعلكم تثبتوا الأسماء ولا تثبتوا الصفات قلنا لهم هذا تناقض إما تثبتوا الجميع فتوافقوا السلف أنهم أثبتوا أسماء وصفات وإما تنفوا الجميع يا معتزلة فتوافقوا الجهمية والباطنية فتكون نفيتم كل شيء لكن تثبتوا البعض وتنفوا البعض هذا عوار وتناقض ليس له أي عقل حتى يقوم به فضلاً عن السمع.

الثاني أن الله عز وجل أثبت لنفسه هذه الأسماء وقال (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)

طب لما يقول الله الأسماء الحسنى هو هذا الحسن فين في اللفظ؟ بل حسن في المعنى. ماذا يعني حسن؟ ليس الحسن في اللفظ سين ميم عين أو كريم أو عليم أو قدير الحسن في معنى هذا الاسم ولما قال لك (فَادْعُوهُ بِهَا) أنت بتدعو الله الكريم بيرزقك أو رزاق ليرزقك الغني ليغنيك الغفور ليغفر لك الرحيم ليرحمك فتدعو به بمعنى في الإسم تريده من الله عز وجل أن يرزقك إياه أو يعني يعاملك به فلو كانت أعلام محضة لم تكن فيها حسن ولا يمكن الدعاء به لأن ماذا الفائدة في الدعاء بها لو كانت هي ليست لها معنى فأنتم الآن خالفتم ظاهر القرآن والمعنى الذي جاء في الآية

ثالثا أن الله عز وجل اثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً ونفى المماثلة قال (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) وكما قلنا **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** فدل ذلك على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل ولو كان يستلزم التمثيل على قولكم لكان كلام الله متناقضاً وحاشاه ذلك

الرابع وهو الاهم عقلا يرد عليهم أيضاً أو يعني اننا على كلامكم تعبدون إلها ليس له صفات فالمعتزلة أثبتوا أسماء ولم يثبتوا الصفات وحتى الأسماء الذي أثبتوها لفظاً فقط هي ليست عندهم معاني خالص عطلوا المعنى وحتى مع أن قولهم أن نحن سنثبت أسماء لكنها لا إثبات بلا معنى

فنقول كيف لمن لم يتصف بصفات الكمال يصح أن يكون ربا أو الها بل ابراهيم عليه السلام لما اراد أن يعيب على قومه الذين عبدوا من دون الله قال لابيه **(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا)** سورة مريم فإبراهيم يعاتب وينكر على ابيه أنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر هذه دلالة على منقصة ام لا؟ لأنه فكيف أنتم تقولون للإله؟ لا يتصف بصفات هذا تنقيص بل الله عز وجل عاب على على الآلهة التي كانت تعبد على قوم ابراهيم انهم لا يسمعون ولا يبصرون

كذلك طالما أثبتم أن هناك إله بل كل موجود حتى كل موجود لابد له من صفة صحيح . لا يمكن أن يكون هناك وجود لذات مجردة عن الصفات لا يمكن انتم لو رأيتم بين المخلوقين هل يمكن أن تكون هناك ذات موجودة مجردة على الصفات لابد لها من صفات وكذلك الله عز وجل هو الخالق الواجد الوجود لابد أن يكون متصفاً بصفات فأنتم الآن نفيتم عن الخالق ذلك وأثبتم للمخلوق وهذا تنقيص لله عز وجل.

أخيراً قلتم أن الأسماء مترادفة لا معنى لها أو أعلام محضة لا تدل إلا على ذات الله عز وجل فقط. قلنا هذا قول باطل يخالف ما دلت عليه دلالات الكتاب والسنة ،تتبع آيات الله عز وجل تجد الله عز وجل يسمي نفسه سبحانه وتعالى بأكثر من اسم في آية واحدة بل أحيانا كثيرة ما يختم الآيات باسمين وعدد الأسماء كما في آية الحشر **(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ)** وكل اسم له معنى خاص ولو كانت هذه الأسماء أعلام محضة لكان ذكرها بهذه الطريقة لغوا يعني ليس له فائدة ولماذا الله عز وجل يعدد كل هذه الأسماء في في آية واحدة؟ وفي كثير من الآيات يختمها العليم البصير أو السميع البصير أو الحليم أو العليم القدير وغير ذلك فلو كان التكرار هذه الأسماء هذه أعلام محضة.

ماذا تعني أعلام محضة؟ اسم علم محض أي لا يشترط أن يتصف بصفة الكرم هذا معنى قالوا أعلام محضة يعني أسماء فقط تدل على الذات، مثلاً أنا سميتك كريم وأنت ينادونك كريم فلان الجسم هذا اسمه كريم لما يحبوا ينادوا له هو كريم يا سعيد يا محمد ممكن تكون أنت ليس محمد أصلاً كثير الحمد يعني، فهذه أعلام هى تدل؟ هم قالوا يدل على الذات ما هي أعلام محضة تدل على الذات فقط لكن ليس لها معنى هذا معنى أعلام محضه وبعدين قالوا مترادفة يعني كلها مثل بعض يعني تناديني يا كريم أو تناديني يا محمد أو يا أحمد هاجي لك لأن هذه كلها أسماء والله عز وجل جعل لنا الأسماء لكن هي ليست تحتمل معنى ليس لها معنى هذا معنى أعلام محض فلذلك قلنا تكرار هذه الأسماء هم بيقولون ذلك لو كانت أعلام محضة لماذا يكررها الله عز وجل؟ لو كان هذا لغو لأن الآيات ما نزلت إلا لمعاني هذه الأسماء يعني تدل على المعنى فمعنى كلام فلان أنه اصبح هذا ذكر هذه الأسماء له

طيب هم قالوا شيء آخر قالوا لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم وهذه من ضمن الشبه قالوا لو أثبتنا صفات يبقى لابد أن يكون جسم قلنا هذا الكلام المقدمة خطأ لا نوافقكم عليها من قال أن كل ما يتصف بصفات لابد أن يكون جسم هذا خطأ بنقول ليل طويل فين الجسم لليل واتصف بالصفات ولا لا؟ نهار قصير الشتاء ليل طويل ونهار قصير والصيف نهار طويل وليل قصير برد شديد حر خفيف مثلا طب هذه ليس صفات؟ هل لها جسم؟ لا ليس لها جسم

إذا مقدمتكم أن كل من له صفات لابد أن يكون له جسم خطأ، ومع ذلك نحن لا نثبت ولا ننفي لله جسم هذا لا نعلمه لكن نحن نبين أن لم يأتي في شيء نحن ليس لنا أن نقول ذلك لكن نحن تنازلاً مع المخالف نقول ليس معنى وجود صفات أنه لابد أن تتصف بالجسم لكن نحن لا نتكلم لا إثبات ولا نفيا الجسم عن لله عز وجل ثم قالوا الأجسام متماثلة لو أثبتنا صفات يبقى الجسم الأجسام متماثلة يبقى أثبتنا التمثيل لله قلنا هذا كلام باطل أيضاً مقدمة باطلة لأن تفاوت الاجسام ظاهر لسنا نحتاج نتكلم عنه تفاوت الأجسام بين الإنسان وبين حتى الحيوانات أو الآدمي والحيوانات واضح جداً ،فهذا الكلام مردود عليه.

طيب هذا كان الطائفة الثانية التي عطلت لكن لماذا عطلت ؟ لأنها أثبتت الإسم بلا معنى وعطلت الصفات بالكلية، الفارق بينها وبين الاشاعرة والماتردية أن الاشاعرة أثبتت الأسماء وقالت الأسماء لها معنى أثبتوا الأسماء لكن أثبتوا في الصفات فقط السبع وكل الصفات الأخرى هم جعلوها للإرادة ما أثبتوها حرفوها وأنا لم أحب أن أدخل في التفاصيل لكن أردت فقط أن أبين لكم من هم .

الطائفة الثالثة وهم غلاة الجهمية والباطنية والقرامطه طائفة تسمى القرامطة أيضاً فعلوا ماذا ؟ هم سموهم غلاة الجهمية أو ممكن تسموهم الجهمية لأن في غلاة الجهمية

الرابعة هما غلاة الجهمية هم أنكروا الأسماء والصفات الذي هو أصل كلام جهم الذي قلناه في القصة الذي قلناها أنكروا الأسماء والصفات لكن لما يأتوا يتكلموا عن الله يصفون الله بالنفي نفي مجرد عن الإثبات

مره أخرى هم لا يثبتون لا أسماء ولا صفات طيب بماذا يصفون الله ؟

يصفون الله عز وجل بالنفي أولاً يقولون أن الله هو الموجود المطلق، موجود مطلق شرط إطلاق هذا يعني موجود مطلق بدون تقييد بصفات أو شيء لكن ما يقولون هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قدير كل هذه ما يقولونها على سبيل التقييد يقولون الإله موجود مطلقاً طب وهذه الأسماء الموجودة في الكتاب؟ قالوا لا هذه أسماء لمخلوقاته. يعني هو خلق الوجود في المخلوقات والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر كل هذه قالوا لماذا؟ إثبات الصفات هذه لله يستلزم تشبيهه هو بالموجود من المخلوقات وهذه شبهتهم اعتقدوا أن إثبات الأسماء والصفات سيستلزم أولاً التشبيه انتبهوا وهذه قلناها من قبل لا زادوا عليها التعدد تعدد الآلهة لو أن الإله سميع يبقى فيه إله سميع طب بصير يبقى تعدد قدير تعدد فإذاً كل اسم وصفة يتعدد فقالوا هذا معناه تعدد الإله وهذا كفر فلابد أننا نمنع هذه التسميات حتى لا تتعدد الآلهة وقالوا أيضاً لو أثبتنا صفات متغيرة للموصوف هيستلزم ذلك التعدد يبقى هم قالوا إثبات الأسماء والصفات يستلزم التشبيه وهذا بيناه حتى لا نكرر ويقال يستلزم التعدد أيضاً هم اعتقدوا ذلك طيب ولما أتوا يثبتوا بقى أثبتوا أسماء وصفات لكن نفوا عن الله يعني وصفوا الله بالنفي سنرد عليهم بقليل من الردود الأخرى أن الله عز وجل وصف نفسه بذلك وسمى نفسه قد بينا من قبل لكن الإشكال عندكم أنكم قلتم بالنفي ولم تقولوا بالإثبات وهذه الزيادة في الرد قلتم بالنفي ولم تقولوا بالإثبات

يعني أنكرتم الإثبات وأقررتم بالنفي فكأنكم وقعتم في من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب لأن الإثنين في القرآن وفي السنة النفي والإثبات موجودين عن الله فأنتم قلتم بالنفي ولم تقروا بالإثبات فمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب كأنه كفر بالكتاب كله أن الله عز وجل أنكر قال :(ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٨٥]

وأيضاً قال سبحانه في سوره النساء: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٥٠]

يبقى أنتم الآن لما قلتم بذلك وقعتم في التناقض

الأمر الثاني هم قالوا الله موجود وجود مطلق، والوجود المطلق هذا شيء في الذهن ليس موجود في الإحساس يعني ليس موجود في الخارج المحسوس يحدث كيف؟ ليس هناك حاجة اسمها الوجود المطلق هذا شيء أنت في ذهنك لكن لابد في الخارج المحسوس أن لابد أن يكون الوجود هذا مضاف له صفات وتقييدات ففي الحقيقة الملموس ليس هناك حاجة اسمها في الخارج المحسوس يعني ليس هناك شيء اسمه الوجود المطلق فأنت لما قلت وجود مطلق فقط كأنك نفيت وجود الله حقيقة هذا غاية التعطيل لما أنت قلت هو وجود مطلق هذا ليس له وجود في الخارج فيبقى كأنك عطلت الله عز وجل ثم لما قالوا إثبات الصفات المتغايرة يستلزم التعدد قلنا هذا باطل من حيث العقل والمحسوس يعني لا يلزم قلت انظر للإنسان المخلوق الآن ليس عنده صفات متعددة هو بيسمع ويبصر ويتكلم وله يد وعين صحيح؟ وله صفات هل تعدد صفاته أدت لتعدد المخلوق؟ لا لم يتعدد يبقى هذا الكلام لا يقبله لا العقل ولا الحس

فالعقل لا يقبل أن تعدد الصفة معناه تعدد الذات

والحس نفسه وجدنا في المخلوقين أو المخلوق الواحد عنده تعدد صفات ولم يتعدد ذاته، إذاً هذا الكلام باطل عقلاً وحساص لا يقبله أحد طيب قلنا لهم أخيراً في هذا الباب ما أنكرتموه هو أقوى في الدلالة على ما أثبتموه لأن وصف الإثبات لله لو تذكرتم في كلامنا المحاضرات السابقة أن وصف الإثبات لله في زيادة مدح وكمال فوصف الله عز وجل بصفات الإثبات أدل على الكمال من وصفه بصفات النفى لأن الإثبات أمر وجودي يقتضي تنوع الكمالات في حق الله عز وجل والنفي أمر عدمي لا يقتضي كمالاً إلا إذا تضمن مع النفى إثبات وأنتم لا تقولون إلا بنفي فقط تنفون عن الله تقولون ليس بجوهر وليس بعرض ليس ليس فقلنا هذا حتى عقلاً ما يستقيم

ثم الطائفة الرابعة نختم بها الكلام وهى غلاة الفلاسفة وغلاة الجهمية والباطنية والقرامطة
دخل الفلاسفة هنا معهم هؤلاء أنكروا في حق الله الإثبات والنفى يعني نفوا الوجود ونفوا العدم لم يثبتوا لا وجوداً ولا عدم لا حياة ولا موتاً لا علماً ولا جهلاً قالوا لا موجود ولا معدوم انتبهوا؟ لا موجود ولا معدوم لا حي ولا ميت لا عالم ولا جاهل كل هذا يعني لا إثبات ولا نفي والشبهة قالوا لو أثبتنا شبهناه بالموجودات ولو نفينا شبهناه بالمعدومات لا يمكن تجد ضلالاً أكثر من ذلك ،هنقول أيضاً سمى الله عز وجل نفسه ووصف نفسه وهذا التسمية والوصف لا يستلزم التشبيه الإشتراك في الإسم والصفة، لا يستلزم الإشتراك في المسمى. ثانياً علينا بضرورة العقل والحس وأن الموجود لابد له من موجد فكيف تقولون لا حي ولا ميت لا عالم ولا جاهل لا وجود ولا عدم من أوجد هذه الكائنات وهذه المخلوقات لابد لها من موجد وواجب الوجود قال تعالى : (أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ) [سُورَةُ الطُّورِ: ٣٥]

كلامكم هذا سيؤدي أنكم لا وجود ولا عدم يعني لا إله طب المخلوقات الموجودة في الكون كيف وجدت؟ وقد قال تعالى:

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) [الطور : 35]

فلابد يتعين أن في خالق في الكون في واجب الوجود وهو الله عز وجل لكن الوجود نوعان واجب الوجود ومحدث الوجود، محدث الوجود هو المخلوقات وواجب الوجود الذي هو الوجوب الأزلي الوجود هذا الله عز وجل فوجود الخالق واجب أزلي ممتنع الحدوث وممتنع الزوال أيضاً ووجود المخلوق حادث بعد عدم قابل للزوال وهذا فارق مهم جدا إثباته وبالتالي ليس هناك مماثلة ولا مشابهة بين الخالق وبين المخلوق، أخيراً أنتم لا أثبتم ولا نفيتم هذا ما معناه؟ نفي النقيض يعني لا أثبتم ولا نفيتم فهذا يؤدي إلى نفي النقيضين معا وهذا ممتنع هذا ليس موجود عقلا النقيضين لا يمكن اجتماعهم ولا يمكن ارتفاعهم طبعاً يعنى في موت وحياة وهم نقيضين لا يمكن يجتمع الموت مع الحياة ولا ممكن أن يرتفع الموت و الحياة الأثنين يرتفعوا لابد في واحد موجود هو دلوقتي في ليل ونهار في حاجة غيرهم أما يكون في ليل وأما يكون في نهار لا يمكن الليل والنهار معاً ولا يمكن يرتفع ليل ونهار لا يكونوا موجودين ليس هناك تالت فأنتم أنكرتم الإثبات والنفي وهذا يستلزم النقيضين معاً وهذا ممتنع بل أنتم هكذا كأنكم شبهتم الله بالممتنعات هذا شيء ممتنع مستحيل وهذا حقيقة هو عين الكفر هذا كفر صريح بما جاء في الكتاب والسنة

طيب إذاً خلاصة الكلام فهذه الطوائف الأربعة :

- أن كل هذه الطوائف الأربعة تسمى المعطلة أو ما قلنا من قبل القسم الأول الممثلة أو المشبهة كلهم خالفوا أهل السنة والجماعة خالفوا الطريق بالتأصيل

- كلهم عطلوا النصوص حتى المشبه لو قلنا المشبه عطل لوتذكروا الإسبوع الماضي قلنا هو شبه فعطل المعنى حقيقي لما شبه فكل معطل وكل مشبه وأيضاً المعطل ما عطل إلا ما شبه أولاً فمن وجه هو مشبه ومن وجه ومعطل وهو في الآخر هم عطلوا النصوص التي جاءت

- ثالثاً حرفوا النصوص إلى معاني أخرى وقعوا فيها وأدى ذلك إلى تعطيل صفات الله عز وجل عن ما جاءت فيه النصوص وكذلك كل هذه طرقهم تجد عندهم تناقض هم لما قالوا شيء تناقضوا في شيء آخر يعني لما حتى الذي أثبت صفة واحدة الوجود طب ما هو في

وجود للمخلوق ووجود للخالق فممكن يستلزم التشبيه عندك لماذا أثبتم؟ هو جهل وبالتالي تناقض والمعتزلة تناقضت والاشاعرة تناقضت فكل واحد فيهم كان عنده تناقض في ذلك اما أهل السنة والجماعة فصاروا على ما فصلنا في أول المحاضرة أنهم سلموا ثم طلبوا البيان من السنة من النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحالوا على من أحال لهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة والتابعين فسلم الإعتقاد لهم وكانوا على اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد السلف الصالح وهذا يعني خلاصة الكلام حقيقة في هذا الباب ختمنا به يعني ممكن جمعنا ما استطعنا شتات الأصول عند المخالف وبين التأصيل عند أهل السنة والجماعة حتى تكون تأسيساً فقط طبعاً لمن أراد بعد ذلك في مراحل أخرى أن يتوسع في هذا الباب يكون عندنا الأصل الذي ممكن عليه نقف عند هذا القدر

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة العاشرة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم إن شاء الله ندخل في مجموعة من القواعد الخاصة بتوحيد العبادة،

كنا قد تكلمنا في المحاضرات السابقة عن القواعد الخاصة بأنواع التوحيد وأصل التوحيد وقواعد خاصة بالأسماء والصفات.

اليوم إن شاء الله ندخل في مجموعة من القواعد الخاصة بتوحيد العبادة.

كنا قد فصلنا من قبل أنواع التوحيد عند العلماء على سبيل الاستقرار، وقلنا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية أو ما يسمى أيضا توحيد القصد والطلب توحيد العبادة، وهذه أهم أقسام التوحيد هو الذي أرسل الله عز وجل به الرسل وأنزل به الرسالات ودعوة الناس إلى إفراد الله عز وجل بالعبادة.

لذلك القاعدة الأولى لابد أن تكون.. وهذا منطوق القاعدة: العبادة لا تسمى عبادة في حكم الشرع إلا مع التوحيد.

قلنا من قبل إن العبادة تشمل الاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وإن العبادات متضمنة للذل والمحبة للمعبود وهو الله عز وجل، وإذاً لا تكن العبادة عبادة شرعية ولا عبادة نافعة... لذلك لابد أن العبادة حتى تكون عبادة في مسمى الشرع أو علم الشرع لابد لها من التوحيد، هو التوحيد في نفسه عبادة أصلاً، بل هو أعظم العبادات التي تتقرب بها إلى الله عز وجل.

فالتوحيد ركن في جميع العبادات، لا ينفك عن أية عبادة وإلا خرجت عن كونها عبادة لله عز وجل وأخرجت فاعلها عن كونه عابد لله عز وجل، لابد أن يُفرَد الله عز وجل بالعبادة فمن لم يفرده بالعبادة لم يعبده.

القاعدة نصت على أن العبادة لا تسمى عبادة بحكم الشرع إلا مع التوحيد، يعني إلا مع توحيد الله عز وجل، بمعنى لا تصح عبادة مع الشرك، ولا يوصف أحد بأنه عابد لله عز وجل إلا من حقق التوحيد وأفرد الله تعالى بالعبادة فمن عبده وأشرك معه غيره فليس عابداً لله وليس عبداً لله أيضاً، لذلك تجد بعض السلف يفسرون العبادة بالتوحيد، كأنهم فسروا العبادة بأعظم مقصود فيها وهو التوحيد، فالتجرد من الشرك لابد في فعل العبادة أيا كانت العبادة، فلا يكون العبد آتيا بعبادة الله عز وجل إذا لم يوحد في العبادة، بل سيكون مشركاً، وحتى يكون موحداً أو مؤدياً للعبادة عليه أن يفرد الله بالعبادة ويتجرد من الشرك، أي يعبده وحده سبحانه دون غيره.

لكن هل معنى الذي عبد مع الله أحداً لا يسمى أو أشرك في العبادة ليس فاعلاً للعبادة؟ المعنى اللغوي فاعله يعني من صلى وصلى لغير الله أو صام صام لغير الله حجاً لغير الله، في اللغة تسمى عابدة..

لغة.. لكنها في الشرع ليس هي لغة عابدة، لأن العبادة في اللغة تذلل وهو قد تذلل وخضع أيا كان خضع للإيمان وتذلل، لكن المقصود هنا نحن ما نبحث عنه هو العبادة الشرعية العبادة التي أقرها الشارع فهذه فعلاً لا تسمى عبادة، في الشرع لا تسمى عبادة طيب هذا منطوق القاعدة.

القاعدة من أين أتت؟ يعني الأدلة التي تدل على أن العبادة لا تسمى عبادة بالحكم الشرعي إلا مع التوحيد؟ معلوم أن النصوص الشرعية جاءت أنه لا اعتبار للأعمال والعبادات في ميزان الشرع بدون توحيده سبحانه وتعالى، وأن من عبد الله وكان متلبساً بشرك مع العبادة فهذه العبادة هباءً منثوراً، لا تساوي عند الله شيئاً، ليه لا تساوي؟ لأنها خارجة عن كونها عبادة لله، لفقدها أعظم أركانها وهو التوحيد، أو أعظم شروطها وهو توحيد الله عز وجل وإفراده، قال تعالى **(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ)** ولا تسمى لهم عبادة وعمارة لهم، فصفة أهل التوحيد ليست فيهم لم يقبلها الله عز وجل

وقال تعالى أيضاً في سورة الزمر **(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)**

أي الله عز وجل أبطل أعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، حتى لو أعمال صالحة لا يعتد بها بسبب الشرك والأعمال الصالحة هذه عبادات ومع ذلك بسبب شركهم لم يعتد بها، بل ذهبت أدراج

الرياح، وأيضاً الله عز وجل من ضمن الأدلة نفى عن المشركين العبادة ونفى أن يكونوا من العابدين، قال تعالى في سورة الكافرون "وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ"، نفى عنهم إيه؟ أنهم يكونوا عابدين لما يعبده النبي صلى الله عليه وسلم وهي عبادة الله مع أنهم يعبدون الله هم كانوا يعبدون الله ويعبدون مع الله، بل أحياناً كانوا يخلصوا في الدعاء في الشدة

"إذا ركبوا في الفلك مخلصين له الدين"

لكن لما كانت هذه العبادة مشوبة بالشرك العظيم الذي كان هم واقعون فيه كانت فاقدة لأعظم أركانها التوحيد، فالله عز وجل نفى عنهم هذه العبادة، يعني الذي بتفعلوه هذا ليس عبادة عندنا ولا أنتم أصلاً يطلق عليكم لفظ العباد لماذا؟ الشرك الذي وقعوا فيه

(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) فأرادوا الشفاعة والتقرب إلى الله لكن لوجود الشرك نفى الله عز وجل عنهم العبادة وعن وصف العابدين،

وأيضاً من قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)

وهذا لأنهم أحبوا مع الله عز وجل أحبوا غير الله من نفس الدعوة إلى محبة الله والمحبة الشركية، فالله عز وجل وصفهم بأنهم سيكونون في أشد العذاب وأن هذه المحبة محبة شركية ولم يقبلها الله عز وجل منه لإشراكهم في العبادة مع الله عز وجل، وهنا أيضاً من قوله تعالى في سورة الزمر(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)

قال الله عز وجل على لسان النبي، قال حاكياً عن نبيه استنكر النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين أن يأمرونه أن يعبد إلههم، استنكر غيباً يأمروه أن يعبد غير الله عز وجل مع أنهم هم لم يتركوا منه، انتبهوا، أهل الشرك لما جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا نعبد إلهك وقت وأنت تعبد إلهنا وقت، ما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك إلهه طلبوا أن يعبد مع إلههم إلهه، فماذا قال النبي؟ الله عز وجل قال أن أعبد غير الله سمى عبادة غير الله مع الله كأنها ليست بعبادة لله أصلاً، يعني سيترك عبادة الله بالكلية لا أعبد مع الله لأن العبادة المطلقة لا تتحقق إلا بترك الشرك مطلقاً، وهنا هذا دليل يبين لك بأنه من أشرك في العبادة فإنه لم يحقق العبادة الحقيقية الشرعية، ومن أكثر الأدلة أيضاً على ذلك تبين آية البقرة (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ

يعني إلهك وإله آبائك

ثم قالوا إِلَٰهًا وَاحِدًا

إذا هو إلهك ثم أكدوا ذلك قالوا إِلَٰهًا وَاحِدًا من الذي ستعبده؟ إله يعقوب، الذي هو الله عز وجل وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ثم قالوا إلها واحداً، وصفوه أولاً وصفوا الإله الذي هو إله يعقوب ثم أكدوا هذا الوصف بالتكرير، البدل قالوا الهاً واحداً يعني نعبد إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فجمعوا بين خبرين بأمرين يعبدون إلهه وأنهم أيضاً يعبدون إلهاً واحداً، فمن عبد إلهين المفهوم لم يكن عابداً، مفهوم الدليل ماذا؟ إن هم أقروا أولاً أنهم عبدوا إلهاً.. ثم قالوا إلهاً واحداً إذاً المفهوم هنا أن من عبد إلهين لا يكون عابداً لله عز وجل.

طيب هل أهل العلم تكلموا في هذه القاعدة وقالوا بها؟ نعم.. أكثر من واحد من علماء أهل السنة قالوا بذلك.. **طبعاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال** "فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة."

قال أيضاً الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمة الله عليه قال في شرحه لمعنى تفسيره (لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ) قال لعدم إخلاصكم في العبادة، فعبادتكم له المقترنة في الشرك لا تسمى عبادة، وكرر أي ضعف في الآية في السورة ليدل ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل،

(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ (1) لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ (2) وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (3) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ (4) وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (5) لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ)

وقال وكرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً له ولهذا ميز بين الفريقين وفصل بين الطائفتين فقال **(لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ)** وهذا تقرير للقاعدة أيضاً من كلام الشيخ عبدالرحمن السعدي.

إذاً لو كانت العبادة فاسدة شرعاً خرجت عن حقيقتها الشرعية لفقدها أعظم الأركان وهو التوحيد في العبادة وهنا لا يطلق عليها عبادة شرعا، وإن كانت هي في صورة العبادة وبعضهم يطلق عليها لغة لكنها في الشرع لا تكون.

طيب ما فوائد هذه القاعدة؟ ما فائدة هذه القاعدة التي تكلمنا عنها؟ كيف تشعر بالفائدة فيها؟ بعض أو بناء على هذه القاعدة بعض أهل العلم عرف العبادة بأنها التوحيد، وهذه ليست فقط كمان من أهل العلم هذه جاءت من الصحابي الجليل عبدالله ابن عباس رضي الله عنهم لما جاء قول الله عز وجل في تفسيرنا **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) هنا ابن عباس قال اي وحدوا ربكم الذي خلقكم فجعل العبادة بمعنى التوحيد.**

وهنا لذلك تجد كثير من السلف كتبهم أو الكتب المتقدمين وغيرهم يعني يعرف بعض أهل العلم العبادة بأنها التوحيد. لذلك الطَبري في شرحه قال والذي أراد ابن عباس بقوله **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)** أي أفردوه بالطاعة والعبادة دون سائر خلقه.

إذاً هنا تعلم بأنك إذا قلت بأن العبادة هي التوحيد.. فهذه لك سلف في ذلك على أنهم عرفوا العبادة بأعظم شيء فيها ووجود التوحيد، ولك سلف في تفسير ابن عباس، وأيضاً من قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

قال الإمام البخاري رحمة الله عليه ما أي ما خلقت أهل السعادة من الفريقين إلا ليوحدون فجعل العبادة توحيداً من طريقين الإنس والجن، الجن مأمورة بالعبادة كالإنسان.

وأيضاً محمد بن عبد الوهاب قال بتعريف كتاب التوحيد" إن العبادة هي التوحيد قال والخصومة كانت فيه، لأن الخصومة من الأنبياء وأقوامهم كانت في ذلك"

طب هذا أول شيء يبقى بالتعريف الفائدة أنك ممكن تعرف العبادة التوحيد.

الأمر الثاني هو الأهم، المقصود بها العبادة عدم إطلاق العبادة على من تلبس بالشرك، عدم إطلاق العبادة على من تلبس بالشرك بدون تقييد، إذاً كنت تطلق عليه لابد تقيد، لو قلت مع التقييد لا إشكال، لكن إنك توصفه بأنه عابد أو أن هذا الفعل عبادة مطلقاً، هذا لا يصح، يعني ممكن تقول يعبد الله وغيره، لكن ما تقول أنه يعبد الله وتقف مطلقاً وهو يشرك، لابد لو أردت أنك تصفه وكان شرك لابد أن تقول إنه تقيد فتقول يعبد الله وغيره، أو يعبده مشركاً به، مثلاً لا يقال يعبد مطلقاً وتقف لذلك بعض العلماء قالوا المعطل وطبعاً نحن أخذنا التعطيل لا يعبد شيئاً هذا أشر من المشرك، المشرك بيعبد ويشرك أشر.. أنا لم أقل إن فيه خير أشر وأما المعطل لا يعبد أصلاً فهذا أشر منه، فلذلك لا تصف أحد بالعبادة المطلقة المقبولة إلا لو كانت خالية من الشرك، وهذه من أهم فوائد القاعدة أنك وإن أردت أنك توصفه بعبادة يفعلها تقول له يعبد لكن يشرك مع الله، يعبد الله في كذا ويشرك معه في غيره، ومنها أيضاً عدم وصف الكافر أو المشرك بأنه عابد لله وإن وصفته تصفه مع التقييد أنه متلبس بالشرك أيضاً، يعني لا يصلح أن تطلق على المشرك أنه عابد لا يصلح، لا يصلح ذلك، ومنها.. نعم الكافر الأصلي نحن نتكلم في الشرك المتلبس مع الكفر، يعني واحد مسلم آسف شرك أو شرك متلبس مع إدعاء الإسلام فهو يعني مشرك موحد، ومشرك ونقول هنا لا ما تاخدش عليهم مش موحد عابد وبيشرك، فلا تقول عليه عابد أو أنه موحد لا يصح إلا لو قلت إنه بيعبد الله وغيره معه، بيعبد الله ويعبد القبور، يعبد الله ويعبد الأولياء، مثلاً وهكذا بالفعل أيضاً، لأن المشرك بيعبد الله ويعبد غيره كما قال تعالى عن أهل الكهف

(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ)

قال الله عز وجل عنهم ايه؟ (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) يعني وهم أصل أهل الكهف (وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) يعني ليس فيه عبادة إلا لله فقط فدل ذلك على أنه ما يعبد مع الله شيء ليس بعابد، وقال تعالى أيضاً عن قول المشركين عن معبودتهم

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)

وصفه الله عز وجل بماذا؟ بـ (كَاذِبٌ كَفَّارٌ) مع أنهم قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) ، يعني عبدوا الله وعبدوا الآلهة ليقربوهم لله، الله عز وجل وصفهم في آخر الآية بكَاذِبٌ كَفَّارٌ لأنهم عبدوا مع غيره فلم يكن لهم وصف العبادة فيه بذلك.

وأيضاً من قوله تعالى(وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)

قال القرطبي فيها فإن زعمتم أنكم تعبدونه فأنتم كاذبون، لأنكم تعبدونه مشركين، انظر كلام العلماء.. تعبدونه مشركين لابد هنا لو قلتم تعبدونه ما يطلقها لا، يقيدها، تعبدونه مشركين، يعني لابد وهذه مهم جداً أنك تصف بها من يفعل الشرك مع العبادة أو تثق به فاعل الشرك مع العبادة سواء في الفعل أو في الفعل لقوله تعالى (وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)

هذه القاعدة الاولى سنبدأ إن شاء الله بعد الصلاة قاعدة ثانية وهي مناط العبادة غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع عبادة واحدة دون الآخر. نقف وإن شاء الله بعد الصلاة نكمل بإذن الله تعالى.

ما هو الشرك أنه يعبد الله ومعه غيره، هذا الشرك، فيه فرق بين الشرك والكفر، الكفر نواة خلاص هذا ما يعبد الله أصلاً ويعبد غيره هذا كفر لكن عبد الله وأشرك معه غيره فأصبح هذا شرك، كل مشرك كافر وليس كل كافر مشرك، الكفر أعم قد يكون بالشرك وقد يكون بالقول أو الفعل..

أحسن الله إليكم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

نرجع لقواعد توحيد العبادة، انتهينا من القاعدة الأولى.

ندخل في القاعدة الثانية عنوانها: **مناط العبادة غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد دون الآخر** وهذه القاعدة معلومة ومشهورة جدا، أن مناط العبادة لابد فيها من اجتماع غاية الحب مع غاية الذل.

نقول العبادة أولا تأتي في معاني متعددة في اللغة، تأتي بمعنى الخضوع، الذل، الانقياد والاستسلام، الطاعة، التعبد والتمسك، القوة والصلابة، كل هذه معاني للعبادة في اللغة.

أما معناها في الشرع فقد تنوعت تعاريف العلماء للعبادة وهذا التنويع بحسب الاعتبار الذي اعتبره المعرف، يعني بعضهم نظر إلى أصل العبادة فعرفها على بما يوافق أصل العبادة وأساس العبادة أو الذي تبنى عليه، والبعض عرف العبادة بالشروط والأركان ما هي شروط

العبادة وأركانها فتجد التعريف يوافق الشروط والأركان، والبعض عرف العبادة بالنظر لأفراد العبادة يعني عرفها بفرد من أفرادها، سنذكر بعض تعاريف العبادة عند العلماء ولا تخرج عن واحد من هذه الاعتبارات.

يعني سعيد بن جبير رحمه الله قال: (العبادة هي الطاعة) العبادة قال: (هي الطاعة) ثم قال: (من أطاع الله فيما أمره وفيما نهاه فقد أتم عبادة الله ومن أطاع الشيطان في دينه وعمله فقد عبد الشيطان) فجعل العبادة على مسمى الطاعة واستدل بقوله تعالى: **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)** ، فقال إنما كانت عبادتهم للشيطان الطاعة لأن الشيطان لم يتمثل لهم في صورة فقال لهم اعبدوني لا هم أطاعوا الشيطان فيما وسوس لهم به أو فيما قال لهم به منهم اتخذوا أوثاناً، اتخذوا شمساً، قمراً، بشراً، ملِكاً، ملَكاً، فهذه كلها أطاعوا الشيطان في ذلك فكانت هذه عبادة للشيطان.

الطبري لما عرف العبادة قال: (الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة) انظر هنا **سعيد بن جبير قال العبادة هي الطاعة الطبري قال الخضوع لله بالطاعة فيها معنى الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة.**

والإمام السمعاني قال أيضا: (العبادة هي الطاعة مع التذلل والخضوع).

وأهل العلم لما تتبعوا ذكر العبادة في القرآن قالوا جاءت على وجهين: الأول جاءت بمعنى التوحيد والثاني جاءت بمعنى الطاعة يعني العبادة جاءت بمعنى التوحيد في بعض آيات استقراءً وجاءت بمعنى الطاعة في آيات أخرى، كما نقل ابن الجوزي فقال أن ذكر أهل التفسير أن العبادة في القرآن على وجهين أحدهما التوحيد وذلك استدل بعدة آيات منها قوله تعالى: **(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)** اعبدوا الله يعني وحدوا الله، **(اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)** يعني وحدوا الله ما لكم من إله غيره، **(وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)** يعني وكانوا لنا موحدين أصالة، **(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ)** يعني وحدوا الله واتقوه، كل هذه العبادة جاءت بمعنى التوحيد.

والثاني أن تأتي بمعنى الطاعة كما قال تعالى في القصص: (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) يعني ما كانوا هنا يطيعوننا في ذلك هذه معنى الطاعة يقدمون الطاعة لهم، وقال تعالى في ياسين: **(أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)** وبينا معنى عبادة الشيطان يعني طاعة الشيطان، **(أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ)** هنا بمعنى الطاعة يعني كانوا يطيعونكم.

فإذاً لو تتبعت الآيات في القرآن تجد أن العبادة إما تأتي بمعنى التوحيد أو بمعنى الطاعة.

ابن تيمية رحمة الله عليه أيضا لما عرف العبادة وله أكثر من تعريف حقيقةً منها تعريف قال: (العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته) وهذا تعريف سنحتاجه في القاعدة

التي معنا لأن سنتكلم فيها عن الذل والحب والخضوع، فهو قال العبادة تتضمن حتى هو قال تتضمن كمال الحب ونهايته مع كمال الذل ونهايته.

وقال في معنى العبادة التعريف الشهير لابد أن كل طالب علم يحفظه (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) طيب هذا التعريف مهم جدا لابد يحفظ، من النوادر أنك تجد عند أهل العلم أن يعرف تعريفا ويتلقاه كثير من العلماء والناس بالقبول يعني لابد أن التعريفات دائما لما أحد يعرف شيء تجد فيه نقد التعريف يعني ينقده يعني يقول لك التعريف ده مش جامع مش مانع ناقص في الحد شيء، لكن في تعريف العبادة هذا تجد كثير من علماء أهل السنة والجماعة ارتضوا هذا التعريف للعبادة وتجدهم ينقلونه كثيرا فلعل الله وفق شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا التعريف لأنه تعريف مناسب جدا لمعنى العبادة **(اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)** وطبعا قلنا أن لهم تعريفات أخرى من اعتبارات أخرى.

لذلك ابن القيم يقول: (العبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع)

وابن كثير قال: (أن العبادة في الشرع عبارة عن ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف) انتبه بقي المحبة والخضوع والخوف أضاف هنا شيء.

وهذا كلها تعاريف متنوعة لمسألة العبادة لكن هو اللي يقوم عليها العبادة والتي تحتاج إليها في هذه القاعدة أن العبادة لابد لها من خضوع وذل مع محبة وهذا مصدر معنى تعبد لابد من معنى التعبد أنه خضع وذل مع الحب وهذه معنى العبادة.

أما الذي نريد أن نبينه هنا في هذه القاعدة أن المحبة ركن في العبادة الشرعية، ولماذا نحن نقولها؟ لأن أهل اللغة لم يذكروا المحبة في تعريفاتهم، أهل اللغة في تعريف العبادة ما ذكروا المحبة، ولكن هذا ليس تقصيراً منهم، في اللغة لم يذكروا في تعريف العبادة المحبة لكن في الشرع وأنت تعرف العبادة لابد أن تذكر المحبة وأصل العبادة هو المحبة، والشرك أيضا كما أن أصل العبادة المحبة فأصل الشرك المحبة، **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)** ، فأصل العبادة المحبة وأصل الشرك أيضا المحبة.

لذلك تجد إبراهيم عليه السلام نفى المحبة والتي هي روح العبادة عن الكوكب السماوي لما نظر له لما قال: **(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)** ، يعني هو لا يعبد هو أصلا لا يحبه هو يقصد بها بعد ذلك أنه لا يعبد الذي يأفل لكن أتى بأعظم شيء في العبادة وهي المحبة فقال لا أحب الآفلين، فهي أصل الأعمال التي تقرب الى الله هي المحبة، ولا يقبل عمل من الأعمال بدونها، لذلك الله عز وجل حكم على من لم يحبوا الله ولم يحبوا الشرع ولم يحبوا العبادة حكم عليهم بالكفر وحبوط العمل قال تعالى: **(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)** ، وقال أيضا في سورة محمد: **(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)** لما نفى عنهم المحبة ووصفهم بأنهم كرهوا ما أنزل الله عز وجل من الأوامر والنواهي والدين فوصفهم بالكفر وبحبوط العمل

أبطل الله عز وجل ثواب الأعمال كلها التي عملوها لأنها عملت في غير رضاه وفي غير محبته.

لذلك كل من عرّف العبادة الشرعية لو أراد أن يذكر التعريف باعتبار الأصل، مش قلنا في تعريف باعتبار الأصل واعتبار الشروط والأركان؟ هنا لو ذكر التعريف باعتبار الأصل لابد يذكر المحبة، يعني من عرّف العبادة باعتبار أصل العبادة لابد أن يذكر المحبة مع الخضوع والتذلل والخوف، لا يمكن أن يعرّف العبادة ويذكرها بدون ذكر المحبة مع التذلل والخضوع والخوف، وهي أصل الإيمان حقيقةً، ومقام المحبة لا يتحقق إلا إذا تحقق في القلب الخوف والرجاء، يعني لا يتحقق مقام المحبة في القلب إلا إذا تحقق -قل بقى معه قبله- خوف ورجاء وخضوع وتذلل لله عز وجل.

لذلك ابن القيم يقول: (وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب) انظر ذل وخضوع لمحبوب يبقى في هناك محبوب ويُذل له ويُخضع له، إذاً معنى ذلك أن القاعدة تقول أن العبادة تُبنى على ركنين أساسيين: هما محبة المعبود والذل والخضوع له، لا تقوم عبادة إلا بهذين الركنين لابد بل هي لا تسمى عبادة أصلا إذا خلت من إحدى الركنين العظيمين أو الركيزتين العظيمتين وهو محبة الله عز وجل والذل والخضوع له وكلاهما لا يحصل تمامه إلا بالآخر يعني لا يكون حب بدون ذل للمعبود وهو الله عز وجل ولا ينفع ذل بدون حب للمعبود أو محبة للمعبود، فمن استحكم الذل مع المحبة صارت عبوديته لله عز وجل بحق، ولا يمكن أن تستحكم المحبة مع الذل إلا للخالق فقط يعني هذه لا تكون لمخلوق لذلك لماذا قلنا المحبة هنا عبادة؟ أو العبادة هنا لابد تكون لله؟ لأن العبادة عبارة عن محبة بكمالها مع ذل وخضوع بكماله حتى تكون عبادة فلابد الاثنين حتى تكون عبادة، وتمام المحبة مع تمام الذل والخضوع لا يكون إلا للخالق لا يمكن يكون لمخلوق لذلك وجب إفراد الخالق بذلك، وعلى قدر المحبة والذل تكون درجة الحب للمحبوب فهذا معنى العبادة، وقال كما قال علماؤنا أصل الإيمان في القلب هو محبة المعبود، وكذلك محبته لا تكون إلا بمعرفته والعلم به حتى تصل للمحبة لابد أن تسبقها العلم والمعرفة بالله عز وجل بالمعبود بالمحبوب فلابد من العلم مع المحبة، بل العلم يؤدي الى المحبة العلم والمعرفة تؤدي إلى هذه المحبة، لذلك من عرف معبوده تمام المعرفة وعلمه تمام العلم استلزم ذلك محبته والذل والخضوع له، انظر الترتيب كيف يأتي ويستلزم أيضا مع المحبة الخوف والرجاء منه والذل والخضوع له، الحاصل هنا يصل لك إلى أن العبادة الشرعية لابد أن تتضمن الحب والخوف والرجاء وإلا كانت عبادة باطلة غير مقبولة عند الله عز وجل، بل لا تكون عبادة شرعية، هي لا تكون في مسمى العبادة الشرعية التي اجتمعت فيها المحبة مع الخوف والرجاء.

وبعضهم قال إنه عند اقتراب الأجل يقدم الرجاء وعند صغر السن أو الشباب يقدم الخوف، ولابد في الآخر إنه يجمع بين الثلاثة.

قلنا الدلالة على ذلك بأن المحبة عبادة أيضا من قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)** دل ذلك على أن التشريك في المحبة منافي لأصل التوحيد ومن حقق المحبة فقد حقق أصل التوحيد والعبادة فكل من عبد الله تعالى فمحبته هي أصل هذه العبادة، ومن اتخذ ندا مع الله عز وجل فهذا يدل على أن محبته

ليست كاملة لله عز وجل ولذلك الله عز وجل حكم عليهم بالكفر وهنا الكفر كان ليس بالسجود لصنم أو لا، ده للمحبة أحبوا مع الله ما لا يكون إلا لله لأنهم وقعوا في المحبة الشركية.

وليدل على أن المحبة أصل لكل عبادة أيضا أن إبراهيم عليه السلام نفى هذه المحبة عن نفسه للشمس وللقمر وللكواكب في الآيات الثلاثة التي جاءت **(قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)** بل أنكر على قومه أنهم كانوا يحبون هذه وعبدوا هذه الكواكب والشمس والقمر فدل حتى أن شرك عبادة قوم إبراهيم كان أصل شركهم في المحبة إنهم أحبوا هذه الاشياء من دون الله عز وجل أو مع الله.

لذلك الله عز وجل قال: **(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)** فكل من هوى شيئا وأحبه ووقع فيه من نوع المحبة التي لا تكون إلا لله فهذا قد وقع في الشرك.

ولابد أن نعلم أن محبة الله عز وجل ورجائه وخوفه متلازم، هذه الثلاثة متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر، فالقلب متى تحقق المحبة له لله عز وجل يقتضي ويستوجب له الرجاء والخوف من المعبود، من أحب شيئا طمع في حصوله وقربه وخاف من فقده وبعده، أنت انظر هنا المسألة مش الخوف من العقاب لا، ده أنا هربطلك بين المحبة والخوف والرجاء، أنت لو أحببت من أحب شيئا طمع في حصوله والقرب منه ومن أحب شيئا أيضا خاف من فقده وبعده يعني لا تنظروا فقط لمسألة رجاء الجنة والخوف من النار هذا صحيح، لا أنا أقول لك أنت لو تخللت المحبة حقا للمعبود لله عز وجل فيكون أنت تريد أن تكون بقربه وتريد أن تكون في معيته، وكذلك تخشى أن تفقده وتخشى أن تبعد عنه فيكون ذلك يعني نبراساً لك ودافعاً لأن تزيد من المحبة.

كل ما يحب حد حتى بين المخلوقين يبقى عايز يبقى معاه، الرجل لما يحب الزوجة والزوجة تحب زوجها تجدهما ما يفترقان يريدون يذهبوا ويأتوا مع بعض ويخرجوا ويتكلموا، الصاحب لما يحب صاحبه يريد أن يكون معه أغلب الوقت ولما يتركوا بعض يتواصلوا لأن فيه حب موجود فيه ألفة وود موجود، ولله المثل الأعلى فمن أحب الله هو نفسه يحب أن يكون بقرب من الله عز وجل والقرب من الله بأنه يبادر في طاعة ومعرفة ويأنس مع الله يدعو الله يستغفر الله يقوم الليل يتكلم مع ربه يدخل في الصلاة فهو يناجي الله فهذا حب مع رجاء يحب هذا القرب ويخاف إنه يبعد عنه ويخاف أن الله عز وجل يتركه أو لا يكون في معيته فيستمر، فنقول لذلك محبة الله عز وجل ورجائه وخوفه متلازماً لا ينفك أحدها عن الآخر فإن من أحب شيئا طمع في حصوله وقربه وخاف من فقده وبعده، الذي أحب الله طمع في قربه وإحسانه ونعيمه، هنا بقى الأثر تحبه وتريد أن تكون قريب منه فتحب إحسانه وتحب نعائمه عليك وتخاف من بعده وعقابه وغضبه عليك أيضاً.

لذلك فيه كلام نفيس للشيخ حافظ الحكمي بكتاب معارج القبول من أمتع الكتب قال: (اعلم أنه لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، لذلك قال من قال من السلف من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري أي خارجي، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد) هذا كلام الحكمي حافظ الحكمي رحمة الله عليه في المعارج.

وهذا تحقيقاً عند كل علماء أهل السنة والجماعة هذه القاعدة -قاعدة اجتماع المحبة مع الخوف والرجاء-.

فوائد هذه القاعدة وكيف تطبقها؟

أولا أنك تستيقن بأن المحبة مع الذل والخضوع لله أصل العبادة، فلا تصح عبادة ظاهرة ولا باطنة بغير المحبة والخضوع، فلا تسمى عبادة، لذلك قررت هذه القاعدة أصول التعبد لله عز وجل، هذه قاعدة تقرر لك أصول التعبد لله تبارك وتعالى التي لابد أن يسير بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى وهي المحبة والخوف والرجاء، المحبة تستوجب الذل، إنك إذا أحببت الله عز وجل لابد أن تذل له، وتستوجب الخوف وتستوجب الرجاء لا تنفع محبة بدون خوف ورجاء ولا ينفع كل من الرجاء بدون خوف ومحبة، وهكذا الثلاثة يعني كما أنهم مثلوها بالطائر الذي يطير في السماء المحبة هو رأس الطائر وجناحيه الخوف والرجاء فلا يستقر السير ولا الطيران إلا بوجود الرأس مع الجناحين، لابد هكذا جناحين عندك مع الرأس، وهذا الذي لما قام عليه أهل السلوك كما يُقال أو العارفين -العلماء والأولياء وغير ذلك والمحبين لله عز وجل- ومن قبلهم الأنبياء قال: **(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)** الآية جمعت من المقامات الثلاثة، ابتغاء الوسيلة هو التقرب إلى الله بالحب وفعل ما يحب، ثم قال ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فجمعت الآية بين الثلاثة الرأس المحبة والجناحين هما الخوف والرجاء.

هذه القاعدة أيضا تبين لك أن كل من ادعى أنه يعبد الله عز وجل بدون واحدة من الثلاثة مردود عليه، يعني لو ادعى أنه يعبد الله بالمحبة فقط أو بالخوف منه فقط أو بالرجاء منه فقط فهذا كله مردود عليه.

مرة أخرى قال وهب بن منبه قال حكيم من الحكماء (إني لأستحي من الله أن أعبده رجاء ثواب الجنة فقط فأكون كأجير السوء إذا أعطي عمل وإذا لم يعطى لم يعمل وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار فقط فأكون كالعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل وأنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره) وقال الإمام ابن رجب في شرحه لهذا الأثر -هو يريد يشرح كلام وهم- يعني يريد أن يذم من قال بالعبادة أن العبادة على وجه الرجاء فقط ويريد أن يذم من على العبادة على وجه الخوف فقط قال ثم ذكر ابن رجب نفس الكلام الذي قاله الحكمي طبعاً ابن رجب قبله قال

(كان السلف يقولون من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجي ومن عبد بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن) طب لماذا نحن بنقول هذا الكلام ؟ حتى نركز على المسألة هذه لأن يخرج علينا ويردد كلاماً في مسألة العبادة كما يقول من قال ويرددون **(ما عبدتك شوقا إلى جنتك ولا خوفاً من نارك إنما عبدتك شوقاً إلى رؤيتك أو حباً لذاتك)** وهذه بعض أرباب العبادة والسلوك الذين يَدَّعُون الوصول يقولون هذا الكلام كأنهم ينفون عن أنفسهم أنهم يحبون الله عز وجل طمعاً في الجنة أو خوفاً من ناره لكن يحبون الله لذاته وشوقاً لرؤيته وهذا منهج باطل وكلام باطل لا

يصح بل هو منحرف والإشكال عند هؤلاء أن هم جعلوا مفهوم الجنة عندهم الشرع خطأ أصلاً قصروا في المفهوم عندهم أن الجنة ملذاتها على المأكل والمشرب والملبس والتمتع بالمخلوقات والنكاح فلما ظنوا أن الجنة هكذا أرادوا أن يدفعوا هذا عن أنفسهم وأنهم يريدون الله يعني كأنهم لا يريدون الجنة بما فيها من نعيم ظنوا إن نعيم الجنة هوالمخلوقات فقط وان النار طبعاً معلوم عذابهم فأرادوا أن يجعلوا كأن عبادتهم هي لله لذاته فقط وهذا خطأ في مفهوم الجنة عندهم لأن الخالق نفسه سبحانه وتعالى هو من نعيم الجنة رؤيته ومحبته والقرب منه هو من مفهوم الجنة ما هي الجنة فقط ليس أكل وشرب وثمار وأنهار وغير ذلك لا. بل من الجنة أيضاً قربك من الخالق ورؤية الخالق والإستئناس به سبحانه وتعالى فهم لما ظنوا الجنة مخلوقات التي هي أشياء مخلوقة للتمتع كده. أرادوا أن ينزهوا أنفسهم وأرادوا أن يجعلون العبادة لله لا وهذا قلت قصر في مفهوم للجنة

لذلك ابن تيمية قال هذا الكلام أيضاً في ردهم على ذلك قال لا لتعلم حتى يزول الإشتباه والإشكال عند من قال ما عبدتك شوقاً إلى جنتك ولا خوفك من نارك وإنما عبدتك شوقاً إلى رؤيتك قال إن القائل لهذا ومن تابعه على ذلك ظن أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع وما في ذلك التمتع بالمخلوقات وقلنا هذا أصل الذي ظنوه فهم ظنوا أن مسمى الجنة والآخرة لا يدخل فيه إلا التمتع بالمخلوقات وهذا الكلام خطأ قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة : 111] التحقيق أن الجنة هي دار جامعة لكل أنواع النعائم وأعلى انواع النعائم النظر إلى وجه الله عز وجل نسأل الله عز وجل أن يرينا وجهه جميعاً في الجنة وأن نكون بالقرب منه لذلك أهل النار حجبوا عن ذلك (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) حجبوا عن الله بدخولهم النار وكان أعظم خسرانهم في النار أنهم حجبوا عن الله وليس نعيم الجنة فقط الذي هو يظن هؤلاء أنه هو المأكل والمشرب بل أعظم الخسران أن حجبوا عن ربهم فلا يرون الله عز وجل رؤية نعيم ولا رؤية تمتع ولا استمتاع بنعائمه لذلك قلنا بأن هؤلاء عقيدة عندهم في هذه المسألة خطأ وهذا يخالف ما كان عليه الأنبياء والسلف الصالح

لأن ما هو آثار هذه المسألة ؟ كأنه يقول لك أن أصحاب هؤلاء القول يتركون دعاء الله عز وجل فلا يسألونه لا جنة ولا يستعيذون به من بل يعبدونه لذاته فقط انظر إلى لازم قولهم وآثار هذا القول أن هو لا يعبده لدخول الجنة بالشوق للجنة ولا الخوف من النار هو يعبده لذاته يبقى هو أصلاً لما يأتي يدعو. سيدعو بماذا؟ يعني هو في الحياة الدنيا لما هيدعو. هيدعو بماذا؟ طب أنت لماذا نقول هذا الكلام؟ لماذا ستدعوا أصلاً بأمور الآخرة؟ يبقى معنى آثار هذه العقيدة الخربة أنه لا يسألون الجنة ولا يستعيذون من النار بل يعبدونه لذاته وما يستحق من الكمال والجلال هل هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل هذا الذي فعله الصحابة رضوان الله عليهم؟ قال الله عز وجل عنه (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) من الذي كانوا؟

الانبياء والرسل. هو زكريا أصلاً لما دعا الله عز وجل عليه السلام . دعا بماذا؟ دعا بالولد ثم بين الله عز وجل استجبنا لهذا الدعاء أصلحنا له زوجه وأعطاه يحيى عليه السلام ثم بين أنهم كانوا يدعوننا رغباً ورهباً قال تعالى (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) يبقى الله عز وجل أخبر على أفضل الخلق عنده والرسل أنهم كانوا يعملون بالرغب والرهب وكانوا يرجون الرحمة ويرجون الجنة ويخافون عذابهم طب انظر إلى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كم من دعاء في السنة؟ وفيه الدعاء كله بالخير والإستعاذة من الشر قال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهمَّ إنِّي أسألُك من الخيرِ كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علِمتُ منه وما لم أعلمْ ، وأعوذُ بك من الشرِّ كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علِمتُ منه وما لم أعلمْ) أيضاً (اللهمَّ إنِّي أسألُك من خيرِ ما سألَك به عبدُك ونبيُّك ، وأعوذُ بك من شرِّ ما عاذ به عبدُك ونبيُّك . اللهمَّ إنِّي أسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ ، وأعوذُ بك من النارِ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ ، وأسألُك أنْ تجعلَ كلَّ قضاءٍ قضيتَه لي خيرًا) يبقى النبي صلى الله عليه وسلم كان بيسأل الخير أهو وسؤال الخير هذا عبادة ويستعيذ من الشر ويسأل الجنة يعني سأل الجنة أم لم يسأل الجنة؟ يبقى أنتم منين من الرسل؟ إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الجنة ويستعيذ من النار وبيسأل الجنة لماذا؟ أليس طمعاً في الجنة وشوقاً لها؟ ويستعيذ من النار؟ وهذا طلب الجنة والإستعاذة من النار يعارض محبة الله عز وجل لا يعارض محبة الله عز وجل فلذلك هذا الفكر وهذا الترديد لهذا الكلام ليس من العقيدة الصحيحة عند أهل السنة والجماعة طيب هذه القاعدة التي يعني أجملنا ما استطعنا من القول وهي أن مدار العبادة على المحبة والخوف والرجاء غاية الذل والخضوع مع غاية المحبة قبل أن أدخل في القاعدة الثالثة نختم بها اليوم هي القاعدة الثالثة صلاح الأعمال بصلاح النيات وكل عمل تابع لنية عامله وقصده القاعدة الثالثة وهي قاعدة هامة جداً صلاح الأعمال بصلاح النيات وكل عمل تابع لنية عامله وقصده طيب ماذا معنى النية أولاً؟ نشرح النية النية مشتقة من نوى من الفعل الثلاثي نوى هوقصد عزم النية عزم القلب وتوجهه وقصده إلى الشيء حقيقة النية ترجع للإرادة الإرادة أصل النية يعني لو أن الإرادة حتى لما الإرادة تنظر إليها في لغة وشرعاً تشمل فرعيات يعني ممكن الإرادة متنوعة العزم من الإرادة الهم العزم على الشيء الهم بالشيء من الإرادة النية من الإرادة الشهوة من الإرادة القصد من الإرادة الإختيار من الإرادة القضاء والقدر من الإرادة أيضاً المشيئة من الإرادة العناية من الإرادة كل هذه ألفاظ عشر تقريباً ذكرها العلماء كلها ترجع أصلها لكلمة الإرادة لذلك القرافي لما أراد أن يعرف النية قال (وأما النية فهي إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلى بعض ما يقبله لا بنفس الفعل من حيث هو الفعل) يعني ايه الكلام هذا؟ في فرق بين أنك تقف ثم تقول الله اكبر تقرأ وتركع وتسجد هذا قصد الفعل أنت لما قمت وكبرت قصدت هذا الفعل الذي هو فعل اسمه ماذا؟ الصلاة فكأنه هذا يفرق بين قصد فعل الصلاة وبين قصد ذلك أن تكون قربة لله عز وجل وبين أن تكون فرضاً وبين أن تكون نفلاً فالفعل هذا ؟ أما النية إرادة تتعلق بإمالة الفعل يعني أنت أتت عندك إرادة أنك تقوم وتفعل أنك ترفع يدك تكبر وستقرأ وتركع وتسجد هذا من حيث الفعل لكن من حيث القبول هنا أنك تحتاج إلى قصد أن هذه قربة لله عز وجل أو أن هذه فريضة أو نافلة أو ضحى أو قيام ليل وهكذا هو أراد أن يفرق بين إرادة القصد الفعل وإرادة المقصود من هذا الفعل وكلها في معنى النية لكن هو تفريق بين درجات من درجات النية ترجع لماذا؟ للإرادة هو يريد أن يقول لك أن النية ترجع إلى الإرادة حتى نقرب أكثر نقول النية أيضاً تميز الفعل عن بعض رتب هذا الفعل دعنا نقول النية هي إرادة متوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه

الله أنا قمت لأصلي لله يبقى عندي إرادة الآن لأفعل هذا الفعل ومتوجه به إلى الله عز وجل وممكن نقول هي إرادة متوجهة نحو الفعل ابتغاء وجه الله وامتثالاً لحكمه وممكن تقولها تعريف آخر قصد العبادة والتقرب إلى الله في إيجاد الفعل يعني الفعل ما أوجدته قصدت به العبادة والتقرب إلى الله القرطبي يفسرها لنا بتفسير بسيط قال (حقيقة النية قصد التقرب إلى الآمر بفعل ما أمر به على الوجه المطلوب) وممكن تقول كما تعريف البيغوتي أيضاً قال (عزم القلب على فعل العبادة تقرباً إلى الله تعالى) ليدخل أولاً في النية للفعل وكمان إخلاصها للمفعول له هو الله عز وجل يعني هنجمع بين الأمرين أنك قصدت بها العبادة وأفردتها أيضاً كما سيأتي معنا في النية على ركنين لابد تكون إطلاق النية عند العلماء أولاً يقصد بها العبادة في العقيدة عندنا وعلى مرتبتين تميز بين العبادة وبين العادة أو تميز بين عبادة وعبادة يعني أنا قمت الآن من النوم قبل الفجر وقلت أنا همتنع عن الطعام والشراب الدكتور قال لي لابد تخفف الوزن فأنا أتوقف عن الطعام والشراب الصيام المتقطع من الساعة الرابعة ونصف لمدة خمسة عشر ساعة حتى الساعة ثمانية أنا امتنعت عن الطعام والشراب من الفجر من أربعة لثمانية لصيام متقطع وما انتويت فيه أن أصوم لله لكن امتنعت عن الأكل والشرب هذا يسمى صيام؟ مع أني ممتنع عن الأكل والشرب إذ لم تكن نيتي أن هذا صوم لله مع أن هي نفس الفعل لا أكل ولا اشرب طب لو قلت اليوم الخميس أو يوم الاإنين أو يوم القمرية فأنا اصوم لله إنما هي سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ونفس الفعل إمساك عن الطعام والشراب الذي فرق بينه هنا ماذا؟ النية فالنية ميزت لي بين العبادة وبين العادة طبعاً تظهر قوي في الصوم لان الصورة واحدة في الصوم أيضاً كان علي أيام قضاء في رمضان مرض مثلاً أو شيء وأريد أن أقضي وفي نفس الوقت جاء شهر الله محرم وفيه سنة إكثار من الصوم أولاً أنا عندي وأريد أن أصوم هل النية ستكون لقضاء رمضان؟ أو النية نفل بشهر محرم ما الذي يفصلني؟ النية أنا سأصوم فيميز لي عبادة عن عبادة لو انتويت أن هذا من قضاء رمضان يبقى هذا من قضاء رمضان لو انتويت أن هذا صيام نفل مطلق لمحرم شهر الله محرم أو يوم خميس أو اثنين يبقى أصبح هنا بذلك يبقى اللي يميز لي؟ النية أيضاً إذاً النية تميز بين عبادة عن عبادة وتميز العبادة عن العادة هذا المعنى الأول في النية في قصد العبادة العبادة نفسها التي تفعلها الثاني قصد المعبود وهذا الأهم هنا النية تميز المعبود المستحق للعبادة وأنا لما رحت ذبحت الخروف دخل علي أحد الناس الأكابر الأماجد رحت جايب الخروف وذبحه على الباب هل أنا ذبحت لله شكراً ومن باب إطعام الضيف فيكون هذا الذبح لله ولا أنا ذبحت لقدومه وأمامه من باب تعظيمه؟ أنا بذبح أمامه الذبيحة كما يحدث عندما يأتي زائر من الملوك والرؤساء والقوم من القبائل أول ما ينزل المكان يقوم ذابحين على طول أمامه قد يكون الذبح من باب إكرام له سيذبح ويطعم الناس وغير ذلك وقد يكون الذبح لقدومه وتعظيماً له الفارق أن لو الأولى الذبح لله والثانية الذبح لمخلوق وهذا شرك ما الذي يفرق؟ النية يبقى هنا النية بقصد المعبود أنا اقصد بهذه العبادة من؟ لو كانت لله فهي عبادة وإن كانت لغير الله فهي شرك يبقى العبادة هنا تميز لي قصد المعبود فأصبحت النية تميز بقصد العبادة عادة ولا عبادة ولا عادة ولا عبادة فرض ولا نفل والثاني قصد النية تبقى ايه؟ قصد المعبود المستحق للعبادة وهذان ركنان العبادة ركنين عبادة نية قصد العبادة ونية قصد المعبود لابد أن يكون واضحة وصريحة كان ابن تيمية يقول أصل النية المعهودة في العبادات تشتمل على أمرين على قصد العبادة وقصد المعبود وقصد المعبود هو الأصل لماذا هو الأصل؟ ليه قصد المعبود هو الأصل؟ لأن هذه هتنقلب لشرك لأن الأصل العبادة لا تكون إلا لله وهذا هو الأصل قال تعالى **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ)** فكان هو الأصل الأهم والمقصد الأهم هو إخلاص العبادة لله و هذا الذي بنتكلم عنه كله هو التوحيد وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي هو ركن ركين من أركان الإسلام حديث عمر رضي الله عنه

وأرضاه **(فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ.)** هذا الثاني يبين ماذا؟ قصد العبادة الأول يبين قصد المعبود أو الثاني أيضاً أنا آسف الحديث أيضاً لبريد قصد المعبود أن هو يحتمل من تفسير وتفسير لأ هذا يبين قصد المعبود لأنه قال من كانت هجرته إلى الله ورسوله فجعل الهجرة لمن؟ لله وللرسول ومن كانت الهجرة لغير ذلك فهو على ما هاجر عليه أول ركن القصد لمن؟ للمعبود وهذا هو الركن الأصيل كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وأما قصد العبادة فهو العمل الخالص من أراد الله والدار الآخرة فهذا هو القصد الخالص في العبادة يعني هو يصلي لله يريد بهذه الصلاة وهذه العبادة الله والدار الآخرة يريد الحج ويريد الصوم ويريد الصلاة لله عز وجل طاعة لله عز وجل ثم في كتب الفقه بيأتي التفسير في النية عن طريق التمييز بين العبادات والعادات وغير ذلك ولكن محلها هنا التفصيل فيها لكن نحن نريد أن نقول أن النية تمييز معبود عن معبود وتمييز عبادة عن عبادة تمييز معبود عن معبود يبقى هو إفراد للعبادة لله وتمييز عبادة عن عبادة يعني هل عبادة فرض ولا نفل؟ أو عادة وعبادة؟ هو لما قلنا بأن النية عبادة حتى تفهم القاعدة بقى أكثر أن القاعدة تقول كل هذا نحن كنا بنتكلم في مفهوم النية في تعريف النية هو أن القاعدة أذكركم صلاح الاعمال وصلاح النيات وكل عمل تابع لنية عامله وقصده وقلنا النية أصلها الإرادة صحيح طيب نقول ما من حركة هذا الكون إلا بإرادة ومحبة ما في شيء يتحرك ويكون، جميع الأعمال التي تصدر من الحي المتحرك لابد أن تصدر بإرادة سواء كانت صالحة أو فاسدة فلا يمكن لعمل أن يوجد بدون نية لذلك بعض الناس يقول لك أنا عملت عمل لكن لم أنتوي به قلت له لا يوجد حاجة اسمها هكذا لا يمكن أنك تفعل شيء بدون نية حتى أنت لما خلعت النظارة الآن كان هناك نية أنت اردت أن تخلع النظارة لا يمكن الحي أن يفعل شيء فيه حركة يعني في هذا الكون الا بإرادة ومحبة لا لازم المحبة لشيء يعني أنا أردت وحببت أن أفعل ذلك أن أخلع هذا أو أن أسير أو أن أرجع أو أن أتكلم أو غير ذلك فالإنسان متحرك بالإرادة وكل مريد لابد له من مراد والذي يجب هو أن تكون مرادك بهذه الحركات هو الله عز وجل قلنا أن كل متحرك كل حي لابد له من حركة وكل حركة لابد لها من إرادة وكل إرادة لابد أن يكون لها من نية فالمسألة عندنا الذي نريدها في القاعدة هنا أن كل حركة بتقوم بها لابد لها من إرادة وكل إرادة لابد لها من نية المقصود بحركاتك أن تكون لله كلها يعني المقصود أنك تسعى لصلاح النفس وسعادتها وتزكية النفوس وغير ذلك وأنك كل حركاتك تكون فيما ينفع ليس فيما يضر تكون في الصالح وليست في مفسدة لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ كل عمل لابد له من نية سواء كان العمل هذا شرعي أو عبادة عادة أو شيء ثاني لكنه لابد له من نية لأن لابد له من إرادة وكل عمل في هذا العالم حسب نية الصاحب (صاحب العمل) وليس للعامل إلا ما نواه وما قصده وما أحبه وما أراده هذا ليس فيها تخصيص هذا على الإطلاق كل الأعمال لابد لها من ذلك لكن الفرق أن الناس تكلموا بقى عن النية الشرعية التي هي المأمور بها وأنا جالس هكذا الآن ليس مأمور بشيء الشرع لم يأمرني هو بشيء لكن لما يأتي وقت الآذان دخل وقت الظهر أنت مأمور الآن بصلاة الظهر وقت العصر أنت لو جاء رمضان مأمور بأنك تصوم أيضاً وهم هنا تكلموا عن النية في الأوامر الشرعية لذلك فأرادوا أن يبينوا أن الأعمال الشرعية لابد لها من نية طبعاً أنت قمت بالعمل لكن لابد أنك تخصص النية أنا قمت بهذا العمل الصوم لله ليس إمساك عن طعام وشراب لإنقاص الوزن مثلاً أو غير ذلك لذلك قال ابن تيمية (وكل الأعمال إن لم تكن لأجله فيكون هو المعبود المقصود المحدود لذاته وإلا كانت أعمالاً فاسدة) يعني إن لم تكن أعمالك الشرعية بل ممكن تقلب المباح إلى شرعي يعني أنت ممكن تنام هو النوم هذا مباح صحيح؟ وكذلك الاكل والشرب؟ فأنت المهم المباح ممكن تنتوي به طاعة حتى بعض السلف بيحتسب

النوم كما يحتسب القيام يحتسب نعم نومته من الليل كقيامه لأنه بيعتبر أن النوم هذا بتعينه بعد ذلك على الطاعة فهو ممكن تقلب المباح هنا بالنية لكن هو الشاهد؟ لا يمكن أن تكون الأعمال التي هي الشرعية لأن في مباح وفي واجبات وأوامر لابد حتى تحكم بالصحة أو الفساد لابد تكون النية فيها صحيحة ولا تكون النية هي فيها فاسدة لذلك لا يصلح شيء من الأعمال قط إلا لو كانت لله قال تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) هنا لم يقل لعدمتا لا بل فسدت ولم تعدم أي أنه موجود لكن فسد لذلك العالم كله يفسد، بل أعمالك كلها تفسد إن لم تراعي فيها هذه النية لله عزوجل والفارق أن النية قد تكون صحيحة وقد تكون فاسدة.

وعلى ذلك العمل إما يكون صحيحا وإما يكون فاسدا، فالذي يرجح لك بين هذا وهذا هو النية والقصد والباعث على ذلك، الذي يبين لك العمل صالح أم العمل فاسد، فدل ذلك على أن صلاح الأعمال وفسادها باعتبار نياتها، وأيضاً ليس باعتبار النية فقط بل باعتبار النية وباعتبار الذات يعني هو أصلا فيه أعمال بذاتها تكون فاسده فمثلاً واحد بيسجد للصنم العمل هذا أصلا ده مش في النية ده ذات العمل هذا فاسد، لكن الذبح أصل العمل فيه مشروع هنا لو كان لله كان صالحا لو كان لغير الله فكان فاسدا، إذاً صلاح الأعمال وفسادها إما باعتبار ذات العمل أو باعتبار نية العمل أو باعتبار مقصدك من العمل أحياناً، يعني أنت ممكن تكون الصدقة في أصلها مشروع وأنت تصدقت لله لكن مقصدك مثلا أنك تصدقت بعشرة عشان ربنا يديك مية، فهنا لو لم يأتي نص بالشرع أن مقتضى هذا العمل له آثار في الدنيا -غير الآخرة طبعا الآخرة لا حرج عليك فيها- لكن في الدنيا فيكون في إشكال عندك في هذا أيضاً هذا ليس لله.

كما أقول دايما إن الأخت التي تقول دائما أنا أتصدق حتى أسمع دعاء الفقيرة لي، بتبسط جدا لما أروح أديها الفلوس مش عايزة منها حاجة إلا إني بسمعها تدعيلى وأنا ماشية، قلت لها خطأ مين قال لك أن ده صح؟ وهي مبسوطة أن هي مش عايزة حاجة منها غير الدعوة دي عشان هي مسكينة يعني وفقيرة فهي لما تدعي لها تبقى طلعت بالدعوة، قلت لها هذا خطأ أيضاً في الصدقة اللي بتفعليها

قال تعالى: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا) [سُورَةُ الإِنسَانِ: ٩]

أنتِ تتصدقي لله الله عز وجل هو الذي يثيبك مش تنتظري منها الدعوة مقابل هذه الصدقة هذا أيضا ما يصح.

لذلك إما يكون العمل صالح في ذاته أو فاسد في ذاته أو باعتبار النية أو باعتبار المقصد أصالةً، وهنا طبعا نحن نتكلم عن المنظور الشرعي للأعمال وأدخل فيها كل العبادات يعني عايز تتكلم عن الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، العمرة، الأضحية، الهدي، العقيقة، الكفارة، الجهاد، الصدقات، قضاء حوائج الناس، قضاء حوائج المسلمين أيضا لابد تنتبه للنوايا التي فيها، عيادة المريض، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا، لابد أن تنظر إلى النية حتى يصلح هذا العمل أنت لماذا تأمر بالمعروف؟ لكي يقال لك داعية وشيخ بتصدع بكلمة الحق أو بتسجل التسجيلات وتطلع بها للناس تبين لهم وتدعوهم أم لماذا؟ أم أنت تفعلها لله عز وجل وتريد هداية الخلق لكن ليس علوا ولا سمعة ولا كثرة معرفة، النهي عن المنكر ممكن من باب التكبر على الناس وأنك أنت لا تفعله وهم يفعلونه أو الازدراء منهم أم أنت تفعله لأنك تريد حقا توقفهم عن هذه المعاصي والمنكرات وتريد أن تردهم إلى الحق؟

كل هذه أمور يحكمها في ذلك النية ولابد أن يعلم أن أحيانا الذي يفعل الخير يدخل إليه الشيطان أصل الشيطان يأتي للناس درجات، في واحد أصلا هو واقع خرب فهذا بالنسبة له الشيطان ماذا يفعل معه؟ كبيره لو حب يتوضأ ويصلى يقول له اقعد يا عم اقعد اتفرج على الماتش ولا اتفرج على المسلسل ولا اتفرج على حاجة وبعدين تصلي، وفي بقي واحد درجته أعلى فيه واحد أصلا بيصلي وبيقوم الليل فمش هيجي له يقول له اتفرج على الماتش لا ده هيجي له يدخل له في العبادة اللي بيفعلها يعني لو هو بيقضي حوائج الناس أو بيعلم الناس أو بيقرأ قرآن أو هو حتى بيصلى هيجي له الشيطان فيما يفعله هو من عبادة ليخرجه من عبادة الله يخرجه في شيء من العبادة ينقصه أو يخرجه منها بالكلية فالشيطان يتعامل مع كل واحد على حسب حالته فبعض الملتزمين أو بعض الناس اللي عندهم قدر قد يغفل عن مدخل الشيطان إليه هو يظن أن مدخله أنه هي يعني طول ما باعد عن النظر للنساء وسماع الموسيقى وأنه مثلا يبعد عن أمور معينة ظاهرة له فهو يظن أنه في مأمن، وقد ينسحب من الشيطان ولا يدري في أمور أخرى هو يفعلها ويظن أنه على طاعة فيها، يجعل نواياه في العبادة الرياء السمعة الغيبة أمور أخرى، ما هو الشيطان لا يترك العبد هو في حرب معك إلى يوم القيامة، وجاهل ومغبون اللي يظن أن الشيطان يتوقف أو أن الجن تتوقف أو الشياطين تتوقف عن أذية الإنس في شيء، طبعا أنا بتكلم عن الشياطين تحديدا لأن الجن فيه مسلم وفيه غير مسلم لكن أنا أتكلم عن الشيطان، فهنا لابد أن ينتبه كل واحد في درجته وفي أموره حتى العالم قد يأتيه،

ألم يأتي للإمام أحمد في قصة من القصص عند الموت؟ عند الاحتضار وجاءه الشيطان انظر يا أحمد ماذا فعلت بي وكذا وكذا أراد أن يبين له أنه -الإمام أحمد- انتصر عليه لكن ما استطاع الشيطان أن يدخل للإمام أحمد فالإمام أحمد انتبه وهو على سكرات الموت قال اخسأ فما زلت في الدنيا يعني هو جاي له في النهاية عايز يحسسه أن هو خلاص قد سيطر على الشيطان في حياته وأنه من أعلم أهل الأرض وأنه كذا وكذا أراد أن يأتيه من هذا المدخل والإمام بتوفيق الله عز وجل وسداده له علم أن هذا من مداخل الشيطان فرده، حتى في سكرات الموت وفي الاحتضار ممكن يأتيك يريد أن يحبط لك بعض الأعمال وبعض العبادات فأنت في حرب لابد أن تنتبه لذلك وكل واحد لابد أن ينظر لما يفعله من خير ويزيد في إخلاصه وفي نيته لهذا الخير ولو وجد نفسه على معصية لابد ينتقل إلى الطاعة.

طب هذا في الأوامر، هل المحرمات تفتقر إلى نية؟ نحن قلنا في الأوامر كل ما تفعله من عبادات وأوامر لابد لها من نية طب في المحرمات؟ لما تنتهي عن شرب الخمر تنتهي عن الفحشاء تنتهي عن الربا تنتهي عن الكذب هل هذه المحرمات تفتقر إلى نية أم لا؟

في الترك أنا أقول الأصل أن المحرمات لا تفتقر إلى نية يعني باعتبار الترك انتبهوا، يعني واحنا قاعدين دلوقتي هل كل واحد فينا مستحضر كل المحرمات بيقول أنا بنتوي ترك الزنا والربا والخمر والموسيقى والمعازف وكذا والكذب والغيبة ويظل يعدد؟ مش ممكن وأنت قاعد تنتوي كل هذا، لكن أنت تارك الآن ولا لأ؟ أنت تارك الآن، إذاً ترك المحرمات لا يفتقر إلى نية يعني مجرد تركها يخرج العبد من عهدة التكليف انا ما دام تاركها أنا مش مكلف بها لا أفعلها لكن متى تفتقر إلى نية؟ إذا أردت الثواب إذا أردت الثواب وتحصيل الثواب فهنا تحتاج فيها إلى النية، يعني إن تركت المحرم ابتغاء وجه الله عز وجل وقصد لطاعته ونيلا لمرضاته وتحصيلا لثوابه هذا يثاب على هذه النية القلبية، يعني ممكن تقول الآن أنت في حاجة للمال قلت لا يمكن أذهب وأخد قرض ربوي أنت تحدث نفسك ما حدش جه قال لك الربا محرم، أنا احتمل الجوع والعطش حتى أولادي لكن لا اخذ الربا، أنت تركت الربا الآن وتركته بنية لله،

تؤجر؟ نعم تؤجر انظر إلى فضل الله وكرمه والله لو علمنا كم الله عز وجل واسع الكرم معنا تأخذ حسنات فقط بالنية، أنت الآن حاسس بأنك أنت متضايق شوية مهموم أو يعني عايز تروح عن نفسك طب ايه اللي كان بيروح عن نفسي زمان قبل ما التزم؟ سماع الموسيقى والمعازف، لا أنا لا يمكن أسمع الآن موسيقى ولا معازف، حتى لو أنا عندي شوية اكتئاب أو شيء أقول لا هذا محرم أنا أروح أشوف أي شيء مباح ثاني أفعله ولا أفعل الحرام مش هقول لك اسمع قرآن عشان يجي يقول لي يا شيخ ايه علاقة القرآن؟ ما تسمعش قرآن لكن ماذا افعل؟ لا أسمع الحرام هنا تركت الآن سماع المحرم بنية لأن ما أعود إلى سماع المعازف والموسيقى مرة أخرى، أخذت أجر؟ نعم أخذت أجر على ذلك. لذلك إن أردت الثواب في ترك المحرم استحضر النية في ذلك،

قال ابن القيم: (كل ترك لا يكون عبادة ولا يثاب عليه إلا بالنية).

طيب لذلك العلماء يقولون لك ماذا؟ ترك المحرمات لا يكون عبادة يثاب عليها إلا بما يقترن بها من أعمال قلبية مثل البغض لها، إذن أول حاجة البغض لها تركها من أجل الله عز وجل تعظيما لجلال الله وشعائره يعني لو أنت بغضتها بقلبك أخذت عليها أجر، أعوذ بالله من الربا أعوذ بالله من الزنا أعوذ بالله من الصور المحرمة أعوذ بالله من كذا أعوذ بالله من الكذب والنميمة والغيبة فأنت كل هذا ترك لمحرمات تبغضها بقلبك تأخذ عليها أجور لذلك إحنا قلنا رضا القلب عن المنكر مصيبة حتى لو لم تزيله بيدك ولا بلسانك لكن قلبك يرضى عن المنكر مصيبة، مصيبة كبيرة، لأنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)، يعني بعد القلب ما فيش لو انت ما أنكرتش بقلبك بل رضيت، لذلك لابد أن تستحضروا هذا يا شباب المنكرات حواليكم والفتن موجودة وممكن تاخدوا أجور ببغضكم وكرهكم بقلوبكم لهذا المنكر حتى وإن لم تستطيعوا أن تفعلوا شيئا، لكن هو البغض ده شيء، البغض في القلب وكره هذه المنكرات شيء، وعدم رضاكم عنها شيء، حتى وإن لم تستطيعوا أن تزيلوا لا باليد ولا باللسان وتؤجرون على ذلك.

إذا الترك ثلاثة أقسام: قسم يثاب عليه، وقسم يعاقب عليه، وقسم لا يثاب ولا يعاقب عليه.

القسم الذي يثاب عليه أن يترك العالم بالتحريم -أنها محرمات- ويتركها لله عز وجل مع قدرته عليها خلي بالك قدرته دي مهمة لماذا؟ لأن ممكن واحد أصلا مش قادر على المنكر في فرق بين واحد قادر وواحد غير قادر، مثال يقول له الآن لو رحت البنك هيدوك قرض بمئة ألف جنيه قادر أن يأخذ وتركه لله فده قادر مع الترك، بخلاف الذي لا يقدر، وهنا فارق في المسألة، وطبعا هذه تبين لك تفاوت الأجور في ذلك، فقالوا القسم اللي يثاب عليه أن يترك المحرمات العالم بتحريمها وإلا لو أنت تارك الآن ما إحنا تاركين أهو مش مستحضرين كل المحرمات فبالتالي لا نؤجر عن كل المحرمات وأحنا قاعدين في كل ثانية يبقى لابد العالم بالتحريم وتاركها قصدا هذا القسم الذى يثاب عليه.

طب القسم اللي يعاقب عليه؟ أنواع، كترك من يتركها لغير الله لا لله، يعني الآن أنت جالس في مجلس ناس كبار أخوة ولا أخوات، معلمات، نساء، رجال، وجاءت سيرة الربا مثلا والناس الآن تحتاج إلى مال ومعاملات ربوية والبنوك ودايع البنوك وكذا وكذا، وانت سامع الناس كلها بتقول لا محدش فينا بيحط في البنوك فأنت طبعاً قاعد في وسط الناس وعندك أموال، فإيه رأيك يا فلان؟ لا وأنا كمان مش ممكن أحط في الودائع لأن البنوك دي حرام لكن أنت قلتها ليس لله لم تتركها لله أنت قلتها عشان أنت ما ينفعش تكون في وسط الناس أو يقال عنك إنك تفعل ذلك

يبقى أنت تركت لله أم تركت خوفا من الناس يقولوا عليك كذا وكذا وكذا؟ أنت هنا هذا الترك تعاقب عليه لماذا؟ لأنك تركت لغير الله، كما أنك لما بتفعل المفروض تفعل لله فلو فعلت لغير الله يكون هنا المقصد فيه ليس لله فتعاقب عليه، كذلك الترك إن تركت هذا الفعل خوفا مثلا من عالم من أب من رئيس من أي شيء تترك خوفا ليس لله قالوا هنا تعاقب لأنك فعلت هذا الترك لغير الله، ما هو الترك فعل خلوا بالكم كوني أترك المحرم كأني فعلت العكس فالترك فعل فكأني لما تركت لغير الله كأنى فعلت لغير الله فجاء من هنا العقاب لأن الترك والامتناع من أفعال القلب، فإذا أنت عبدت بقلبك يعني اذا تركت بقلبك لغير الله كأنك عبدت به غير الله فاستحققت العقوبة، هو أنت لما يقدم لك خمر والعياذ بالله أمامك ثم تترك فلا تمد يدك لتشربها هذا الترك يعد فعلا، ما أنت لو أخذتها فعل ولما تركتها فعل فالترك هنا هو فعل، قال تعالى: **(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(79))** [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٧٨]، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ذمهم الله لأنهم لا ينكرون على بعضهم البعض فالله عز وجل سمى هذا الترك فعلا، فدل ذلك على أن الترك فعل فأنت إذا لم تترك لله كأنك فعلت لغير الله، فلما تركت بقلبك لغير الله كأنك فعلت بقلبك لغير الله فكأنك عبدت غير الله.

النوع الثالث لا يثاب ولا يعاقب عليه اللي هو ترك ما لا يخطر على البال أنا الآن في أشياء كثيرة تاركها لا أعاقب ولا أثاب عليها لأن هو ترك ما لا يخطر على قلبه لا محبة ولا كرها في أشياء كثيرة أنت تاركها الآن لا محبة ولا كرها حتى ممكن لا تعلمها كمان أصالة فهذا لا يثاب ولا يعاقب.

طب أنا أريد أن أطرح إشكال، ممكن أحد يقول طب كيف يعاقب على ترك المعصية حياء من الخلق؟ واحد أراد أن يبقي على جاهه فترك المعصية حياء من الخلق أو خوفا أن يتسلطوا عليه هل يعاقب على ذلك؟ يعني هو ترك المعصية حياء من الخلق هل هو هنا يعاقب على ذلك؟ يبقى هو لا يعاقب على ترك المعصية حياء لا هو بيعاقب على تقربه إلى الناس بالترك يبقى العقاب فين؟ هيعاقب عشان ترك حياء؟

مع أن سيدنا عثمان يقول: (يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) يعني ممكن الناس تدع بالسلطان ما لا يزعهم بالقرآن لو سمعوا الآيات صلي صلي صلي وهو تارك الصلاة ما فيش لكن لو جه السلطان الحاكم هتصلي يا إما هتضرب؟ هيروح يصلي ويقفل المحل ويصلي ولذلك عثمان رضي عنه قال: (يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن) السلطان له قوة، ربنا جعل له يعني ولاية في الأرض، وكالة في تطبيق الحدود، فممكن يخافوا من السلطان ويكون حق، لكن هنا المسألة قالوا العلماء لماذا إحنا بنقول يعاقب؟ قالوا يعاقب لأنه تقرب بهذا الترك إلى الناس فمن هنا جاء العقاب مش في تركه حياء لا، هنا المسألة عقائديا أنه تقرب بهذا الترك ليس إلى الله لكن إلى الناس فصرف هذا الترك اللي هو فعل إلى الناس لذلك وقع هنا في العقاب بسبب ذلك، لذلك بعض الناس تقع حياء في أشياء تتركها ولا تعلم أن هذا يعني هو واقع في شيء كبير ليس بصغير أنه تقرب بهذا الترك للناس وليس إلى الله عز وجل.

لذلك القرطبي يقول الترك للسيئة لا يكتب حسنة إلا إذا كان خوفا من الله أو حياء من الله.

- طيب أدلة القاعدة: قوله تعالى:

(وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) [سُورَةُ البَيِّنَةِ: ٥

لذلك إن العبادة الخالية من إخلاص النية لم يأمر الله عز وجل بها عباده، بل أمر بالعبادة المتضمنة للإخلاص وهذه الآية صريحة في ذلك.

قال تعالى: (إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ) [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٢]

وقال تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) [سورة الزُّمَرِ: 11]

وقال تعالى: (فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ) [سُورَةُ غَافِرٍ: ١٤]

وأيضا من الآيات التي تدل على أن العمل المعتبر المقبول عند الله ما كان لوجه الله وابتغاء مرضاته في الدنيا وفي الآخرة

قال تعالى: (وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا) [سُورَةُ الكَهۡفِ: ٢٨]

قال تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ) [سُورَةُ هُودٍ: ١٥]

قال مجاهد في التفسير من عمل عملاً لا يريد به الله عز وجل سواء كان صلاة أو صدقة أو غير ذلك.

-أما من السنة حديث عمر رضي الله عنه وأرضاه الحديث المشهور:

(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) هذا النص في القاعدة، هذا الحديث نصاً في هذه القاعدة لأنه أتى بمعنى القاعدة أصالة لأن لكل عامل من الأجر والثواب وصحة العمل حسب النية التي نواها وهذا عمدة في هذه القاعدة.

طبعا هذه القاعدة من منطوقها تكلم فيها علماء كثر وذكروها في كتبهم منهم ابن تيمية قال: (صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادته

ونياتها، ولهذا كان من أجمع الكلام قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)

وكذلك قال ابن القيم قريب من هذا الكلام، وقال الإمام ابن رجب في شرحه لحديث إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى قال الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة وإن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة وقد تكون نيته مباحة فيكون العمل مباح فلا يحصل له لا ثواب ولا عقاب، وهذا كله يبين لك معنى القاعدة.

-سنختم بفوائد القاعدة:

قلنا إن هذه القاعدة عظيمة جدا لماذا عظم هذه القاعدة؟ لأن لا يخلو باب من أبواب الشريعة، بل الحركة في الكون كلها ترجع للإرادة والنية فما بالك بالأوامر الشرعية؟ فلن تجد باب من أبواب الشريعة إلا وله حظ في هذه القاعدة وهي مسألة المقاصد والنيات، فالنية أصل الشريعة وهي عماد الأعمال، هي رأس الأمر وهي عموده وهي أساسه أيضا، الأساس الذي يبنى عليه كل شيء هو النية، وهي روح العمل أصالة، لذلك هناك قاعدة مشهورة جدا القواعد الخمس الفقهية (الأمور بمقاصدها)، كنا شرحناها في القواعد قاعدة عظيمة وهي قاعدة الأمور بمقاصدها، أن كل أمر لابد يرجع فيه إلى المقصود والنية.

لكن هنا في القاعدة فيها فوائد، ما هي الفوائد؟

الفائدة الأولى التلازم والارتباط الحاصل بين صلاح الظاهر وصلاح الباطن لأن قلنا النية محلها القلب ومع ذلك قلنا إن العمل يصلح ويفسد بالنية ففيه ارتباط بين الظاهر والباطن لابد من ارتباط فلا اعتبار بالظاهر إلا بتحقق الصلاح في الباطن والعكس بالعكس، ويدل ذلك على أهمية أعمال القلوب لأن هي الأصل اللي بيقام عليه الأعمال، لو قلنا النية محلها القلب والنية هي أصل كل عمل إذا أعمال القلوب من أهم الأعمال.

لذلك الناس للأسف بتجتهد جدا في معالجة الأعمال الظاهرة، أول ما يلتزم حد من الإخوة أو أخت أو حتى الطفل وهو صغير تجد أبوه على طول ياخده معاه المسجد عشان يقف ويعمل حركات الصلاة حتى ممكن يكون صغير ما يستطيع، أنا ما قلتش لا يذهب به إلى المسجد لكن هو بيهتم قوي بأن يأخذه المسجد وحفظ كم أية من القرآن، لكن هو لم يهتم بقلبه، أنت قاعد تاخد الظاهر له توديه المسجد معاك، البنت تلبس فيها الخمار وهي صغيرة، تلبس شوية كذا، نحفظ قرآن، لكن تأتي لقلبه ما الذي سيصده عن فعل المعاصي والمنكرات؟ القلب، كيف تهتم بقلبه؟ تشحنه إيمانياً، كما بتعرفه الصلاة تعرفه من هو الله عز وجل، وده أهم شيء أنه يعلم في السن الصغير أنه يعرف من هو الله ويعرف اسماءه وصفاته تحببه في الله، تعلمه من هو الخالق بقدر سنه باعتبارات السن لكن تربطه دايما بالخالق، وجود الإله، بنعمه التي ينزلها بكذا بكذا، أيضا بعقابه فهو دائما لما يكون في صلة مع إن في إله أعماله كلها سترتبط مع هذا الإله خوفا ورجاء ومحبة، فهو قلبه اللي هيدفعه إلى الاهتمام بالأعمال الظاهرة بعد ذلك، لكن إحنا للأسف بنهتم بالظاهر ونترك الباطن فنجد أن بعد فترة عايزين نشحن فيهم وهو أول اما يبتدي القلب يكون مكلف والشيطان يبتدي يجي له يبتدي يلاعبه، ما هو في سن هو صغير وهيكبر فخلاص بقي لو ما كنش في القلب شيء فأنت اقعد انفخ زي ما تنفخ لأن المحرك القلب فلو جبته وجريته بالسلاسل عشان ينزل المسجد مش هينزل، ولو قال لك أنا صليت مش هيكون صلى كمان ويقفل على نفسه الأوضة ومايصليش، ما الذي سيحركه؟ يحركه القلب وهذا الذي لابد أن

يُتعهد، حتى الذي يدخل في الدين جديدا أو يلتزم أو يكون يعني غير مسلم لابد أن القلب هو الذي سيدفعك لكل ذلك وايمانيات القلب ومعرفة الإله وغير ذلك، وهذا من أهم الأمور التي بنغفل عنها في التربية أصالة.

فنقول الفائدة التلازم والارتباط بين صلاح الظاهر وصلاح الباطن، قال تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ: ٣١-٣٢]،

وقال في السعداء الذين امنوا وعملوا الصالحات، الإيمان مع العمل الصالح لابد تلازم، صدق وصلى،

كذب وتولى، لابد فيه ارتباط بين الأعمال القلبية والأعمال الظاهرة، لذلك الكلام في النية مرتبط جدا بأعمال القلوب ومعرفة المراتب فيها.

الفائدة الثانية وهي مهمة بأن الأعمال يحكم عليها بالصحة والفساد بحسب إما ذات العمل نفسه هو ذاته صحيح أم لا؟ يعني واحد راح يطوف حول القبر ذات العمل ده أصلا صحيح؟ لا، طيب أو بسبب النية تكون بنيتك أو بالمقصد، وهذا لابد أن يتعهده المرء، الأعمال يحكم عليها بالصحة والفساد إما بذاتها، أو بنياتها، أو بمقاصدها، لأن المحرم سواء في نفسه محرم أو يؤدي إلى محرم فالوسيلة التي تؤدي إلى محرم هي محرمة أيضا.

أيضا من الحديث من القاعدة الفائدة الثالثة أن الأعمال تكون فاسدة إذا كانت نيتها فاسدة ولو كانت الأعمال في أصلها صحيحة أو جائزة أو مباحة، يعني ممكن يكون العمل في الأصل جائز ومباح لكن بالنية انتقل من الإباحة والجواز إلى الفساد والتحريم ومن أهم هذه الأعمال الحيل اللي هي الحيل اللي يحتالوا بها كما فعلت اليهود وكانوا يحتالون على الشرع وبعض الناس يحتالون الآن في المعاملات وغير ذلك، النكاح المحلل هذا احتيال على الشرع وفي الأصل هو النكاح حلال لكنه النية فيه أنه مؤقت وأنه يحلل غيره فأصبح هنا العمل الأصل النكاح مشروع لكنه بالنية هنا فسد، لأنه أراد به تحايل على الشرع، فالنية روح العمل ولبه وقوامه والعامل تابع لها.

أخيرا لابد من اجتماع العمل الظاهر مع النية فلا يغني عمل بلا نية ولا تغني نية ليس معها عمل، طبعا هذه سيأتي إن شاء الله في باب لما نتكلم عن الإيمان وقواعد الإيمان، لابد حتى يكون المرء مؤمنا من نية وعمل، فلا بد هنا من ارتباط، لا يكفي النية بدون عمل، كالذي يضرب على قلبه ويقول لك أنا مؤمن وهو لا يفعل شيء، أو عمل بدون نية، الأعمال هذه بدون نية ليس لها قيمة عند الله عز وجل، إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، ولابد من العمل.

طبعا كان ممكن نتكلم في مسألة العزم والهم وغير ذلك لكن الوقت هنا نكتفي بهذا القدر في هذه القاعدة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة الحادية عشرة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج خلاصة العقيدة في المستوى تمهيدي، المستوى الأول في قواعد في التوحيد

اليوم إن شاء الله نأخذ بإذن الله تعالى قاعدتين في القواعد المتعلقة بتحقيق توحيد العبادة.

القاعدة الأولى :التي معنا **(قاعدة توحيد الربوبية هو أصل توحيد الألوهية)**

ودليله الأكبر مرة أخرى سنتكلم عن تحقيق توحيد العبادة كيف نحقق توحيد العبادة؟ هذه القاعدة وهي تبين من المعنى أن توحيد الربوبية هو أصل توحيد الألوهية ودليله الأكبر،

طيب في كلمات جديدة علينا في القواعد ما معنى أصل؟ وهذه الكلمة تجدها كثير في مع طلاب العلم مع العلماء في الكتب أيا كان كانت الكتب الخاصة بالعقيدة أو بالفقه، فتجد كلمة الأصل يتكلمون الأصل.. الأصل في اللغة.. أصل الشيء ويجمع على أصول يقول قعد أو يقال قعد في أصل الجبل يعني أسفل الجبل، أصل الحائط أو قلع الشجرة وهو أسفله وهو كما له تعبيرات متعددة عند أهل العلم الشرعي لذلك يقول في تعريفه هو عبارة عن ما يبنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره، مثلاً أساس البيت يقول لك صون البيت الذي هي الأعمدة أو الأساس بيبقى تحت يرفع عليه البيت بعد ذلك أدواراً متعددة متكررة، أصل الشجرة الجذع ثم يأتي عليه الفروع والثمار **وهو الأصل (هو ما يبنى عليه غيره وهو لا يبنى على غيره)،**

لذلك لو تدبرنا معنى الأصل في الناحية الشرعية الأصل هو ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره ويطلق الأصل عندنا على ويراد به أكثر من شيء يعني يقال الأصل في المسألة قول الله عز وجل كذا أو قول النبي صلى الله عليه وسلم كذا، الأصل هنا يأتي بمعنى الدليل. نجد العلماء يقولون ايه؟ وهذه المسألة حكمها كذا والأصل فيها قول الله عز وجل "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" دلالة على حكم الصلاة الواجبة فهنا لما قال الأصل يقصد به الدليل أيا كان الدليل هذا من الكتاب أو من السنة أو الإجماع أو غير ذلك لأن الدليل معناه ما يستدل به أو هو المرشد ويراد به الإرشاد، فالدليل هو ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن، فهو دل كما قال البعض المراد بما يستقل بنفسه بالدلالة على المراد، بعض العلماء يطلقون الأصل ويراد به الدليل أو يقال به الأصل كذا ويراد به قاعدة فقهية ليس آية أو كتاب؟ ليس آية أو حديث يقال مثلاً في مسألة يقول لك هو الأصل (لا ضرر ولا ضرار) على أن هناك قاعدة فقهية طبعاً هي منبثقة من حديث فيه نظر لكن القاعدة الفقهية القاعدة الخمس الكبرى (لا ضرر ولا ضرار) أو الأمور بمقاصدها ولكن والأصل في ذلك الأمور بمقاصدها ويقصد هنا القاعدة الفقهية كل هذا بمعنى كلمة الأصل التي تأتي لذلك وقالوا هنا ايه؟ توحيد الربوبية هو أصل توحيد الألوهية، كأن معنى القاعدة أن الإقرار بتوحيد الربوبية وكون الله عز وجل هو المدبر الخالق المالك هو الأصل الذي يثمر توحيد الألوهية ويتوصل به إلى توحيد العبادة، لأن هو الأصل الذي يبنى عليه توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتفرع عن هذا الأصل أو مصدره توحيد الربوبية، فلا يثبت توحيد العبادة ولا يقوم ولا يصح بدون إثبات أصله وهو الإقرار بالرب تعالى، ومعرفته وأسمائه وصفاته وكونه هو المالك المدبر العالم بكل شيء المحيط بجميع ما بالكون، بل هو توحيد الربوبية هو الدليل.. قلنا الأصل يأتي بمعنى الدليل.. هو الدليل هو الحبل الذي يوصل به إلى توحيد الألوهية فالذي يخلق ويرزق يملك ويدبر وله الأسماء الحسنى والصفات العلى.. حري أن يعبد وأن يفرد بالخضوع والذل والمحبة والرغبة والرهبة والخشوع والإنابة والتوكل والصبر إلى غير ذلك من العبادات.

تلقائي بقى وكلام بديع في المسألة يبين لك الربط بهذه القاعدة يقول فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية ثم يرقى صاعداً إلى توحيد الإلوهية فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع والعطاء والمنع والهداية والضلال والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره، وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها وأنه لا موفق إلا من وفقه الله وأعانه ولا مخذولاً إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه نعوذ بالله من ذلك قال ابن القيم "وإن أصح القلوب وأسلمها وأوقاها وأشدها وألينها من اتخذه وحده إلهاً ومعبوداً إذا فكان أحب إليه من كل من سواه وأخوف عنده من كل ما، وأرجى له من

كل ما سواه، فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب، فتنساق المحاب تبعا لها كما ينساق الجيش تبعا للسلطان، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات فتنساق المخاوف كلها تبعا لخوفه، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء فينساق كل رجاء تبعا لرجائه" انتهى كلامه رحمة الله عليه ويبين في أول جملة أن يثبت قدم العبد في توحيد الربوبية أولاً ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الإلوهية فانظروا أصل الإلوهية التي هي أصلا الله عز وجل أرسل الرسالة وأنزل الرسالات وأرسل الرسل للتوحيد في الإلوهية والعبادة، أصلها أن المرء يثبت في توحيد الربوبية وكلما ثبت في الربوبية ارتقى منه بعد إلى الإلوهية لذلك يقولون علامة توحيد الإلوهية في القلب والباب الذي دخل إليه منه هو توحيد الربوبية، يعني باب توحيد الألوهية أصلاً هو توحيد الربوبية الذي الباب الذي يسير منه المرء إلى توحيد الإلوهية، لابد أن يدخل من باب توحيد الربوبية لأن أول ما يتعلق القلب به هو توحيد ربوبية الله عز وجل؛ بأنه النافع الضار بأنه هو الملك المدبر المحيط بكل شيء، ثم يرتقي بعد ذلك في القلب إلى توحيد الإلوهية فلا يمكن أن يتحقق العبادة إلا بتحقيق الربوبية، وهذا كله يبين لك أن التوحيد متكامل كامل ما يأتي يمكن أحد أن يحقق جزءاً منه ويترك جزءاً هو كل متكامل، المفتاح الذي يفتح به القلوب لتحقيق توحيد الإلوهية هو توحيد الربوبية، ولذلك توحيد الربوبية حقيقة هو لا يحتاج إلى دليل فإنه مركوز في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، طبعاً دلالة الربوبية تجدها من الفطرة والحس والمشاهدة والتفكر، لكن الفطرة مجبولة على توحيد الربوبية بل المرء لو نظر إلى كيف هو نفسه خرج إلى الدنيا لكان يكفي ذلك في توحيد الربوبية.. كان نطفة خرجت من الصلب والترائب ثم استقرت في هذه النطفة قرار مكين في ظلمات ثلاثة انقطع عنها تدبر الأبوين وأي خلق من سائر الخلائق ما يستطيعون يفعلون فيها شيء، لو موضوع على لوح أو طبق واجتمع كل الحكماء والعلماء أن يصوروا منها شيء لا يستطيعوا أن يقدروا أن يصوروا منها شيء أويخرجوا منها شيء والله عز وجل يخرج منها الجنين ثم بعد ذلك المولود، من موت إلى حياة انتقلت النطفة من حال إلى حال.. من تدبر فقط ذلك يكون علم توحيد الربوبية واستقر في قلبه ربوبية الله فانتقل بعد ذلك إلى توحيد الإلوهية اذا علم عقلاً أن هناك رب أوجده كيف يليق أن يعبد غير الذي أوجده؟ لو تفكر فقط وتدبر ازداد يقينا وتوحيدا بربوبية الله لكن الله عز وجل هو الموفق سبحانه وتعالى إذاً البعض يقول توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل الأصل في فطرة الخلائق عليه، والأصل هذا في حد ذاته دليل هو نفسه وتوحيد الربوبية دليل ودليل على توحيد العبادة.

بعد ذلك.. **أدلة هذه القاعدة من أين استقى العلماء هذه القاعدة وأدلتها؟**

-**أولاً استدلال على هذه القاعدة تجده في القرآن** من إلزام الله عز وجل المشركين بتوحيد الله في عبادتهم كيف ألزمهم؟ بناءًا على إقرارهم بتوحيد الربوبية وهذا تكرر كثير جداً في القرآن أن إقرار العبد بتوحيد الربوبية أكبر دليل على تقرير إفراده بتوحيد العبادة ولو لم يكن هذا الإقرار دليلاً على هذا لم يكن الله عز وجل يحتج بها، وكيف نحن استخرجنا أن الله احتج على المشركين بإقرارهم بالربوبية فألزمهم بتوحيد الإلوهية، فدل ذلك على أن الإقرار بالربوبية هو الموصل الإلوهية، لذلك الله عز وجل بيّن إقرارهم بذلك فأصبح هذا الإقرار دليلا على إلزامهم بتوحيد الإلوهية قال تعالى :

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ "

وأيضا من قوله تعالى:

" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" وقوله" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ"

آيات كثيرة يبين فيها الله عز وجل إقرار المشركين بتوحيد الربوبية ثم يوبخهم الله عز وجل محتجاً عليهم بعدم تحقيقهم الإلوهية مع إقرارهم بالربوبية لذلك كثير من العلماء يكتبون في هذه المسألة يقولون كما

ابن القيم يقول" هذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلوهية والعبادة"- يعني احتج عليهم بإقرارهم بتحديد الربوبية على ما انكروه بالاله من توحيد الإلوهية والعبادة- كما قال: **"فإذا كان ربنا وحده ومالكنا وإلهنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا إليه ولا معبود لنا غيرك"** إلى أن قال يعني أكمل الكلام في ذلك، فهذه طريقة قرآنية استدل بها العلماء على الربط بأن الله عز وجل لما وبخ المشركين على إقرارهم بالربوبية وعدم التزامهم الإلوهية دل ذلك على أن توحيد الربوبية هو الأصل الذي يكون دليلاً لتوحيد الإلوهية.

-ثانياً دليل على هذه القاعدة النظر في أن تحقيق الألوهية بدون تحقيق الربوبية لا يتصور، إذا لم تثبت أن الله عز وجل رباً موجودا خالقا مدبرا مالكا نافعا ضارا مميتاً محييا وقادراً، يعلم السر وأخفى، يراك في كل حال وحين، ويعلم ما تسر وما تعلن.. فكيف تعبده؟ فالنظر الصحيح يثبت لك القاعدة أصلاً بدون توحيد ،فلا نستطيع أن نقول أن من وحد الألوهية أن يكون قد وحد من غير أن يكون أقر بتوحيد الربوبية، دل ذلك على أن توحيد الربوبية هو الأصل الذي يقوم عليه توحيد العبادة، هي الدرجة الأولى في سلم التعبد، لماذا بنركز هذه القاعدة ؟ بنركز عليها لأن البعض بيهمل جدا توحيد الربوبية ،نعم المسألة بالفطرة والمشاهدة والحس تقول أن مركوز فيها الربوبية لكن أيضاً هذا التوحيد يتفاضل فيقين الناس في أن الله يعلم كل شيء ومدبر كل شيء وأن الله هو النافع الضار هو الذي يتوكل عليه، هذه كلها درجات التوحيد الربوبية هي التي تؤدي للمرء إلى توحيد الألوهية، هذا أول الطريق أصالة لذلك دائما نقول إن أردت أن تدعو الناس أو تعلم الصغار أو تدعو الناس للهداية اربطهم الأول بالخالق بالإله بالرب حتى يستشعروا من هو الإله وذلك يكون بأسمائه بصفاته بربوبيته وصفاته في الربوبية وغير ذلك، هنا هو سيقوم ويبادر بتوحيد الإلوهية لكن الذي بيحدث العكس أنت تريد أن يحقق الألوهية وهو لم يحقق الربوبية حقيقة.. وبالتالي يصعب لأن الموصل للألوهية هو الربوبية، فالشغل الشاغل لابد أن يكون بتزكية هذا الأصل الذي منه تسير ومنه إلى الألوهية بعد ذلك بل يكون أسهل ما يكون إذا حقق المرء الدرجة الأولى في السلم في توحيد الربوبية وأتقنها أنه سيسير إلى الألوهية ولذلك في كلام من الخطورة بما كان يحصل اليوم على من يرتكب المعاصي والذنوب وتأثير ذلك على على التوحيد والشرك، فهنا قالوا إن توحيد الألوهية بدون تحقيق الربوبية لا يتصور.

-ثالثاً دليل الفطرة على هذه القاعدة التي فطر الله عز وجل عليها الخلق، أن الله فطر عباده على فطرة تضمنت الإقرار به ومعرفته، كما تضمنت محبته والذل له وتوحيده أيضاً، انتبه الآن عندنا فطرة دلت على الإقرار ومعرفة بالله عز وجل وكذلك تضمنت المحبة والذل له وتوحيده، لكن الإقرار والمعرفة سابق عن المحبة والتوحيد لابد الأول من الإقرار والمعرفة وهذه التي في الفطرة التي فطرها الله عليها الناس يعني هو الإقرار الأول والمعرفة يكون يسبق الفعل

والمحبة والذل والخضوع، والإقرار والمعرفة هو الأصل يأتي بعدهم المحبة والذل والخضوع والتوحيد والإقرار بالمعرفة هو توحيد الربوبية فالفطرة دلت على هذه القاعدة أيضاً.

لذلك ابن تيمية يقول:" ومن المعلوم أن وجود حب الله وخشيته والرغبة إليه وتألهه في القلب فرع وجود الإقرار به" انظر كل هذا فرع وجود الإقرار به، **"وهذا الثاني-(الذي هو الإقرار به)** - مستلزم للأول- الذي هو توحيد العبادة –" يبين لك العلاقة التي دايما بنتكلم عنها من أنواع التوحيد ، "فإذا كان هذا يكون ضروري في القلب فوجود الإقرار سابقاً عليه اللازم له أولى أن يكون ضروريا"، يعني إذا كان المحبة والذل والخضوع لازم في القلب، فالذي يسبق عليه لابد أن يكون لازماً أيضاً وهو الإقرار بربوبية الله عز وجل، فإن ثبوت الملزوم لا يكون إلا مع ثبوت اللازم والملزوم هو حب الله خشيته الرغبة إليه الرجاء منه وتألّه واللازم هو الإقرار به والمعرفة به سبحانه وتعالى فإذا ثبت الملزوم ثبت اللازم، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، ومن هنا الربط بين الاثنين. يعني هو يريد أن يقول أن العباد مفطورون على العلم بربوبية الله قبل علمهم بالألوهية لأن فقرهم وحاجتهم إلى الربوبية سابق لفقرهم وحاجتهم إلى الألوهية، الربوبية من حيث الضر والنفع والملك والتدبير والعلم سابق لتقديمك أنت للفعل إنك تصلي وتصوم، الشرائع جاءت أصلاً بعد ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم وحد الأول لهم توحيد الربوبية ثم نزلت الشرائع بعد ذلك تفصيلاً بتوحيد الألوهية.

هذه القاعدة كررها كثير من أهل العلم في كلامهم تكلمنا عنه هو أن توحيد الربوبية هو الأصل وهو المقدمة والواسطة والأساس الذي يأتي بعده في توحيد العبادة وقد نقلنا بعض الكلام لابن القيم وابن تيمية وذكرنا الأدلة في ذلك.

نريد الآن نبين فوائد هذه القاعدة والتطبيقات لها:

-أولاً هذه قاعدة دلت على أهمية توحيد الربوبية، وأن له مكانة عظيمة جداً، وهو أصل وأساس لتوحيد العبادة، طبعاً لا تخفى مكانة توحيد العبادة في الإسلام فهو أصلا الذي أرسل الله عز وجل بسببه الرسالات أو أنزل الرسل فإذا كان هذا له مكان فكيف بأصله وأساسه وتوحيد الربوبية؟ وقلنا لا يكمل توحيد الألوهية ويتحقق في القلب من دون تحقيق الربوبية، أبو حيان يقول "التوحيد هو الأصل والعبادة فرعه" لذلك العلماء استفادوا من هذه القاعدة بعد إخراجها من استقراء لآيات في القرآن كما بيناها، فأخرجوا قاعدة القرآنية بنوها على استقراء القرآن وما ثبت من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وعدم إنكارهم لها وأنهم قالوا لم ينكر أحد من البشرية توحيد الربوبية إلا على سبيل العناد فقط والاستكبار وإلا ومستيقن ,

كما قال الله عن موسى قال لفرعون :(**لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ**) الاستفهامات الواقعة في القرآن في الربوبية استفهامات تقرير وليست استفهامات إنكار هذه القاعدة التي استخرجوها من بعده، قالوا الاستفهامات التي جاءت " **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ** "، " **فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ**"، إلى آخر الآيات التي بيناها التي فيها الاستفهامات قالوا هذه استفهامات كلها تقرير في توحيد الربوبية كلها جاءت على سبيل التقرير وليست على سبيل الإنكار يعني الله عز وجل ما سألها لما يقول سبحانه وتعالى: " **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن**

تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ " [سورة النمل 60] أإله مع الله الأصل هنا قالوا هذا استفهام تقريري ليس استنكار ليس انكار لأنهم كانوا مقرين فكأنه يقر عليهم الله عز وجل فقالوا كل الاستفهامات التي جاءت في توحيد الربوبية في القرآن المقصود بها استفهام تقريري وليس استفهام استنكاري، يعني ليس معنى هل مع الله إله كما يظن البعض أنه هذا، لا هذا هو المقصود هنا أنه هذا استفهام تقرير وليس إنكار،

**لذلك الشنقيطي يقول أيضاً: (كل الاسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يراد منها أنهم إذا اقروا رتب عليهم التوبيخ والانكار على ذلك الإقرار لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية)، "قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ(10) " [سورة إبراهيم 10]، وغيرها، "قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا" [سورة الأنعام 164]، إلى آخر الآيات، بعض العلماء قالوا الاستفهام انكاري البعض قال ذلك لكن الصحيح بالاستقراء في توحيد الربوبية وقول من قال بأن الاستفهام هنا متعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام انكاري لأنهم لم يكن ينكرون الربوبية هم كانوا يقرون أصلاً فبالتالي الله عز وجل لما أتى بهذه الربوبيات التي هي ما يتعلق بالربوبية هو يستفهم عليهم اقراراً يقرهم على ما أقروا به هم وليس ينكر عليهم أن هم اقروا بذلك طبعاً، إذا هذه فائدة من هذه القاعدة.

-الفائدة الأخرى والفارق بين المتكلمة وبين السلف في استعمال هذه القاعدة، هو أن طبعاً نحن قلنا بأهمية توحيد الربوبية لكن نحن أخذناها مطية أو ليس مطية صح الكلمة؟ دليل على استلزام الألوهية، المتكلمة أصحاب أهل الكلام يقررون الوحدانية من جهة الربوبية فقط يعني جعلوا التوحيد بالربوبية، نعم نحن نعظم الربوبية نقول هي الأصل لكن لا بد من وجود الإلهية حتى يكتمل توحيد المرء هم جعلوا التوحيد في الربوبية، وهذا فارق بين المتكلمة وبين ما الرسل أصلاً ليس هنقول السلف الرسل لما دعوا دعوا إلى الربوبية من جهة الألوهية يعني الله عز وجل لما كان يقرر عليهم الربوبية ليلزمهم بالإلهية فكان توحيد الربوبية دليل إلى توحيد الألوهية، وهذا فعل الرسل والسلف من بعدهم، أما المتكلمة فكانوا يقررون الوحدانية من جهة الربوبية، و تجد في معاصريهم أن كل كلامهم في التوحيد عن الربوبية فقط ولا تجد حتى لهم مؤلفات -هذه الفرق والطوائف في توحيد العبادة أو ما يتكلمون عنها بل ينكرون على من يتكلم عنها وطبعا بتؤدي بقى إلى أمور أخرى في الشركيات والبدع وغير ذلك، كل همهم في التوحيد إفراد التوحيد عندهم هو الربوبية وهذا فارق، مع تعظيمنا نحن للربوبية ونقول هي أصل لكن انتبه قلنا أصل يؤدي إلى الإلهية ما وقفنا وقلنا أصل وسكتنا لا جعلنا الربوبية طريق الإلهية أما المتكلمة يقررون الوحدانية من جهة الربوبية فقط، لذلك كثير من المتصوفة وأرباب الأحوال يتوجهون إلى الله من جهة الربوبية فقط لماذا؟ الباطل بقى يأتيهم الباطل من جهة الربوبية ويدعون طبعاً بقى الكشف والوجد وغير ذلك، والله عز وجل قد ذم ذلك بل هو القرآن ذم المشركين على أنهم يقولون بالربوبية ولا يقولون بالإلهية فكأنك أنت توافقهم في هذه المسألة أصالةً.

--طيب هذه قاعدة الأولى التي كانت معنا اليوم، سندخل بعد أن شاء الله الصلاة إلى القاعدة الثانية وهي: (تحقيق التوحيد يتضمن تحقيق أصله وكماله الواجب وكماله المستحب وبحسب

ذلك يتفاضل المؤمنون) هذه قاعدة ستكون القاعدة الثانية في القواعد المتعلقة بتحقيق التوحيد إن شاء الله نفرد الكلام فيها بعد الانتهاء من الصلاة.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ما زلنا في قواعد خاصة بتحقيق التوحيد ندخل في

القاعدة الثانية وهي: (تحقيق التوحيد يتضمن تحقيق أصله وكماله الواجب وكماله المستحب)، طيب بعض المفردات نبين ما معنى التحقيق في التوحيد؟ المعنى اللغوي للتحقيق أو معنى مادة حقق مصدر الفعل الثلاثي حقق، التحقيق يرجع إلى الإحكام والثبات والصحة واليقين، كل هذه معاني ومرادفات بمعنى حقق أحكم أثبت الصحة اليقين يقول حققت الأمر أي تحققت وتيقنت أو صرت منه على يقين هي لو رجعت ترجع لمعنى الإحكام كل المعاني في التحقيق ترجع لمعنى الإحكام والإحكام يعني اتقان الشيء ومنعه من الفساد فإذاً المقصود يقال حققت هذه المسألة ماذا يعني تحقيق المسألة؟ تصحيح المسألة اتقان هذه المسألة تثبيتها يعني يكون المحقق على يقين من حكمها، تأتي بمعنى التثبيت التصحيح لكن في أيضاً اليقين من الحكم الاتقان الإحكام

ابن القيم يقول: (التحقيق هو تفعيل من حقق الشيء تحقيقا فهو مصدر فعله حقق الشيء أي أثبته وخلصه من غيره) وهذه مهمة جدا، كل معاني التحقيق الذي يعني تأتي في معنى لفظ التحقيق هيكون فيها تثبيت للأصل وللفرع يعني حصول التمام والكمال إحكام الشيء اتقانه أي حدوث تمامه كماله ولو جينا نطبق على ما نريده معنا في العقيدة في التوحيد يبقى لابد فيه حتى يكون بتمامه وكماله لابد من تثبيت الأصل والفرع يعني لذلك تجد في لفظ القاعدة تحقيق التوحيد يتضمن تحقيقه أصله وكماله الواجب وكماله المستحب لأن تحقيق الشيء كما قلنا اتقانه الإحكام فيه وهذا لا يتم إلا بالمعرفة والعلم واليقين والإحكام هو المبالغة في الاتقان ثم كما قال ابن القيم وتخليصه يعني تخليصه من الشوائب أو الشيء الذي قد ينقص أو يعارض الأصل أو يعارض الكمال أو يعارض التمام وفي فرق بين الكمال والتمام سنبينه يمكن اسأل فيه، يبقى هنا التحقيق لابد إثبات أصل ثم اتمام الأصل ثم اكمال الأصل أو كمال الأصل، تاني التحقيق يكون بإثبات الأصل الأصول مع الفروع اثباتها ثم اثبات أيضاً التمام تمام الأصل طبعاً ثم دي ليس مقصود بها الترتيب يعني ثم كمال الأصل أيضاً إثبات كمال الأصل، وهذا يبين لك أن هناك فارق بين تتميم (التمام) والكمال، لذلك تحقيق التوحيد يكون أو لابد حتى تتكلم عن تحقيق التوحيد لابد تتكلم عن تثبيت الأصل وتتميم الناقص من الأصل هنا يظهر بقى معنى التتميم ،وتكميل التام ، مرة أخرى لتحقق التوحيد تثبت الأصل ثم تتمم الناقص من هذا الأصل اسمه تتميم يبقى تتميم جاي معناه ايه؟ الشيء الناقص أنت بتتمه لو معك كوب في حد وضعت فيه مثلاً مقدار معين ثم لو قال لك اتم ما في الكوب يبقى هتزيد الجزء الناقص هذا حتى تتمه هذا اسمه إتمام، الحد الأعلى والحد الأدنى أنت لو بديت بالحد الأدنى فيه عندك شرطة حطيت فيها سائل ثم قال لك أتم يبقى تتم إلى الحد الأعلى يبقى أنت هنا بتعمل ايه؟ بتتم الناقص من الأصل ثم تكميل التام بعد ذلك، يبقى يبين لك أن التتميم بيكون في الشيء ناقص والتكميل لا يكون إلا بعد اتمام الشيء لأنه زيادة عن التام وده الفرق بين التمام والكمال، يقول لك تاني الفرق بين التتميم والتكميل، التتميم يرد على الناقص فيتمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله يزيده يعني، إذا الكمال أمر زائد عن التتميم، التمام هيكمل نقصان الأصل عندك نقصان زي ما سيأتي معنا الآن بتأتي بالأوامر والواجبات مثلاً ممكن تنقص شيء منها من الأصل فتتمه إنك تأتي بجميع الأوامر وجميع النواهي ليس كل الناس بتأتي بالأوامر والنواهي إذا أتوا بالأصل لكن ناقص طب تتمه بإنك تأتي بكل الأوامر وتنتهي عن كل النواهي هذا التتميم لأنه عندك نقص وهو واجب ويبين لك أن التمام يجبر نقصان الأصل فهو واجب لذلك في القاعدة لو رجعتم لتعريف القاعدة أو لبيان القاعدة تحقيق التوحيد يتضمن تحقيق أصله ثم قال كمال الواجب ثم

كماله المستحب طيب يبقى إذا التمام بيقابل نقصان الأصل والكمال ممكن يطابق نقصان الوصف يعني أنت عايز أعلى وصف ما لوش علاقة بالأصل الكمال الأصل لابد حتى يأتي كاملا تتمه لكن لو أردت الزائد عن التمام هذا هو الكمال

قال تعالى: "فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ" [سورة البقرة 196] لم يقل تامة لم يقل عشرة تامة لأن الكامل أحسن من التام الكامل

يأتي بعد تتميم الشيء فتأتي تكمله، والتمام هو قال عشرة كاملة لماذا؟ لأن التمام من العدد عُرف ثلاثة وسبعة هذا تمام خلاص معروف العدد جاء فيه التمام ربنا أخبرنا الثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتم أصبح هذا التمام التي عليك، لكن قال تلك عشرة كاملة بعد ذلك لماذا؟ لأن يريد أن يكون التجويد في الصفة الصيام يأتي على أفضل صفة لكن العدد خلاص انتهى ليس هتنقص لو كانت تسعة هتبقى ناقصة ليس تامة فما قال تامة لماذا؟ لأن العدد تم بالفعل ثلاثة وسبعة فقال كاملة ليبين المسألة على الوصف الزيادة في الصوم يعني في كيفية الصوم وأداء الصوم وغير ذلك.

طيب يبقى هنا بينا معنى كلمة تحقيق وهذه طبعاً لماذا أطلت فيها؟ ليبين لك أن تحقيق الشيء يستدعي منك إنك تثبت أصله ثم تتم الناقص فيه ثم إن أردت تكمل الزائد وهذا تكون كدة أنت حققت الشيء على أكمل وجه هكذا، طب ما معنى القاعدة؟ القاعدة تدل على ماذا؟ أن المؤمنين يتفاضلون تفاضلاً عظيماً عند الله عز وجل بحسب درجاتهم لتحقيق التوحيد فمنهم من بلغ الغاية في ذلك وهم الأنبياء والرسل، بل أولي العزم من الرسل، بل إبراهيم والنبي صلى الله عليه وسلم هم أفضل أولي العزم من الرسل وأفضلهم على الإطلاق هو النبي صلى الله عليه وسلم، هؤلاء هم الذين حققوا الغاية في التوحيد ومنهم من حققوا تحقيقا لا يصل به إلى مرتبة الرسل كأهل العلم وأهل الصلاح وأهل التقى والطاعة، قال عنهم الله عز وجل: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" وصفهم بالخشية فهؤلاء حققوا التوحيد لكن على درجة أقل أو رتبة نقول من رتبة الرسل، ومنهم من قصر في تحقيقه فصار ناقصاً مذموماً بسبب تقصيره في تحقيق التوحيد فالقاعدة أولاً تبين لك أصلاً على أن تفاضل المؤمنين والصالحين من الأنبياء وغيرهم في تحقيق التوحيد، وكثير من العلماء تكلموا

ابن تيمية يقول: (والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتداء السعادة في الآخرة ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص الدين كله لله)،

كذلك الشيخ حافظ الحكمي في معارج القبول رحمة الله على الجميع قال: (والمقصود أن بيان أن الناس متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم متفاضلون فيه بحسب ذلك فأفضلهم وأعلاهم أولي العزم من الرسل وأدناهم المخلصون من أهل التوحيد وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله خالقهم ورازقهم).

طيب هذه القاعدة دلت على أن التوحيد على أمور ثلاثة أو **تحقيق التوحيد يتضمن أمور ثلاثة** :

الأول تثبيت أصل التوحيد وهو إفراد الله عز وجل بجميع ما يختص به سواء في الربوبية الألوهية أسماء وصفات يعتقد بأنه الخالق لأن لا خالق ولا نافع ولا ضار إلا الله وأنه لا يستقل شيء من دونه سبحانه وتعالى لا يستقل المرء بشيء من دونه لا يستطيع أن يحدث شيئاً لم

يقدره الله عز وجل إلى آخر ما ذلك من اثبات توحيد الربوبية والإلهية والأسماء والصفات، إذا قام العبد بتحقيق جميع أنواع التوحيد وابتعد عن كل ناقض أو مفسد فقد أتى بتحقيق أصل التوحيد الأمر الأول أصل التوحيد التي رتب عليه الله عز وجل قبول الأعمال والجزاء بالحسنى

لأن الله قال (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ) فإذاً أصل التوحيد هو الذي قَبِلَهُ الله عز وجل وما دون الأصل لا يقبل. إذن ما هو الأصل؟ إنه يحقق أنواع التوحيد الثلاثة التي قلناها أسماء وصفات الربوبية وألوهية والعلماء يقولون لا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان المخرج عن الكفر والشرك وهو الذي هو شرط لكل عمل صالح.

يبقى الأمر الأول تثبيت أصل التوحيد، نحن بنتكلم عن تحقيق التوحيد كيف يكون؟ أول شيء تثبيت أصل التوحيد **ثاني شيء تحقيق التمام** يعني تتميم ذلك الأصل يعني ايه؟ هذا يسمى الكمال الواجب سميناه واجب ليه؟ لأن معنى أنه واجب إن لم تفعله تقع في الإثم يعني واجب عليك والمقصود هنا ماذا؟ بأنك أثبت أصل التوحيد تضيف عليه حتى يكون تاماً تاماً أقول تاماً أو كاملاً واجباً تخلصه مما حرمه الله عز وجل ماذا يعني تخلصه مما حرم الله؟ من الشرك الاصغر لأن طبعاً الأكبر خلاص هيبقى قصر في أصل التوحيد، الشرك الاصغر البدعة غير مكفرة التفريط في الواجبات وفعل المعاصي **كل هذه في الأمر الثاني وهو تحقيق التمام (يبقى أول شيء تثبيت أصل التوحيد الذي هو إتيان بأنواع التوحيد الثلاثة التي بيناها هذا الأصل الذي يبنى عليه إنك الآن على الإسلام) (ثم يأتي الثاني تحقيق التمام وهو أنك تخلصه هذا الأصل من الشوائب التي هي الشرك الأصغر الرياء البدع غير المكفرة المعاصي تفريط في واجبات لا تفعلها كل هذا يحقق لك الكمال الواجب أو التتميم للأصل).**

-النوع الأول ممكن تقول عليه وهذا الذي يمنع المرء من الخلود في النار هذا الأول والنوع الثاني هو الذي يحرم صاحبه على النار لأنه أتى بالتتميم فأصبح تاماً فهذا يحرم صاحبه على النار،

الثالث تحقيق كمال التوحيد وهذا الكمال المستحب، ماذا يعني هذا الكمال المستحب؟ تخلصه من الأمور المكروهة والإجتهاد في تحصيل الطاعات والقربات النوافل وغيرها وتخليص القلب من الإلتفات والتوجه إلى غير الله يعني يكون متوجه بكليته إلى الله عز وجل محبة وخوفاً وتوكلاً ودعاءاً وإخلاصاً وإذلالا ورهبة وإنابة إلى غير ذلك، فلا يكون في قلبه أدنى شيء لغير الله عز وجل ولا أدنى إرادة إلا ما حرمه الله عز وجل ولا أدنى كراهة لما أمره الله عز وجل **ولذلك البعض يقول يعبر عن ذلك (ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس)** وهذه أعلى المراتب.

فأصبح عندنا ثلاثة أمور لتحقيق التوحيد الأول تثبيت أصل التوحيد قلنا بإفراده بجميع ما يختص به الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. الثاني وهذا الذي نقوله يمنع صاحبه من الخلود في النار مع أصل التوحيد والثاني تحقيق التمام وتحقيق التمام -الكمال الواجب يعني- تخليصه مما حرمه الله من الشرك الأصغر الرياء المعاصي عدم فعل واجبات بدع غير مكفرة مفسقة فقط وتحقيق هذا الأمر يحرم صاحبه على النار والثالث كمال التوحيد هو الكمال المستحب يخلصه من الأمور المكروهة ويخلصه حتى ما يكون عنده إرادة لقلبه لما حرمه الله ما تأتيه هذه الإرادة وينجذب بالكلية إلى الله عز وجل بكل أموره ويزيد من فعل المستحبات والطاعات إلى غير ذلك وهذا الذي ترتفع درجاته في الجنة يعني تفاضل الدرجات سيكون بهذا الكمال المستحب يكون تفاضل الدرجات في الجنة لذلك أعلاهم الرسل والأنبياء وأولي العزم من الرسل ثم بعد ذلك ما دون ذلك منهم.

حتى نبين بتفصيل زيادة في الطاعات في الثلاثة أمور نقول بأن هذه تظهر لك في الأعمال الفرق بين الأعمال تبين لك الفرق بين الثلاثة مراتب هناك أعمال تضاد تحقيق التوحيد سواء ما ينافي الأصل أو ما ينافي الكمال بالنوعية الذي نحن قلناه الكمال واجب وفي أعمال تنافي الأصل وفي أعمال تنافي كمال الواجب وأعمال تنافي مستحب، أعمال تنافي الأصل الذي هي الخاصة بلا اله إلا الله التي هي كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافي بالكلية الأصل الأول مثل دعاء الاموات الملائكة الجن والقبور الذبح لغير الله النجوم النذر السجود لغير الله كل هذه الأعمال تنافي الأمر الأول أصل التوحيد. هل ينافي التوحيد بالكلية؟ ويضاد معنى لا اله إلا الله أيضاً ممكن يدخل هناك استحلال ما حرم الله استحل المسكرات استحل الربا -استحلال ليس وقع فيها- بل استحلال الزنا يقول ما في شيء اسمه الزنا ليس محرم الربا ليس محرم الخمر حلال هذا استحلال نعوذ بالله من ذلك أو انكر معلومة بالدين بالضرورة وقال ليس هناك صلاة، الصلاة هذه ليست واجبة يعني والصوم ليس واجب - المجمع عليه- بر الوالدين ليس واجب وهذا مجمع عليه النطق بشهادتين ليس بواجب مجمع كل هذا عليه ينافي أصل التوحيد أما الأعمال والأقوال التي تنافي كمال التوحيد الواجب وتنقص - لأبين لكم الفرق بين التمام والكما- كثيرة جداً الشرك الاصغر والرياء الحلف بغير الله قول ما شاء الله وشاء فلان كما جاء كل المعاصي يقع فيها المرء هتنقصه من الكمال الواجب يعني تنقص في تمام التوحيد انتبهوا تمامه وليس كماله أي تضعف التوحيد والايمان و

-كما قال حديث أبي ذر رضي الله عنه وارضاه **(أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليه ثَوْبٌ أبْيَضُ، وهو نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقالَ: ما مِن عَبْدٍ قَالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ علَى ذلكَ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلْتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلْتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ علَى رَغْمِ أنْفِ أبِي ذَرٍّ وكانَ أبو ذَرٍّ إذَا حَدَّثَ بهذا قالَ: وإنْ رَغِمَ أنْفُ أبِي ذَرٍّ)**

فقال ابن عباس رضي الله عنهما **(يرتفع لمن عنه كالظل فوق رأسه لما يفعل هذه الكبائر ثم بعد أن يتوب ويرجع يرجع الإيمان إليه درجات)** لكن هذا يدل على أنه نزل من الإيمان إلى الإسلام فهذه كل المعاصي هذه تضعف الإيمان التوحيد تنافي الكمال لأنك لابد أن يحذر المرء لا يستهين حتى بالصغائر كما سيأتي في كلام من اهمية المكان سنختم به في هذه القاعدة لابد أن يحذر من جميع ما ينافي التوحيد والايمان - هذا في الأصل - أو ينقص الثواب فهذا يجعله ينقص

طيب كل هذا كان معنى القاعدة،

الدلالة على هذه القاعدة الذي نحن تكلمنا عنها أن تحقيق التوحيد يتضمن اثبات الأصل التوحيد وكماله الواجب وكماله المستحب وهذه ثمرة القاعدة كما سيأتي هو تفاضل المؤمنين وتفاضل المؤمنين جاء من

قوله تعالى **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)** **الله عز وجل قسم المؤمنين إلى ثلاثة** أصناف وبين فيه -خلاف عند بعض السلف في صنف منهم أو يقصد به الإيمان ولا الكفر- قسم المؤمنين في الآية ثلاثة اقسام لكن الصحيح أن الآية تختص بالمؤمنين لأن كلهم وعدهم الجنة الله عز وجل وهذا الفارق بحسب تحقيق التوحيد، وهذا هو الذي جعل

العلماء يتكلمون أن أصل التوحيد وكمال الواجب وكمال المستحب نظروا لقوله تعالى في سورة فاطر (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) فقالوا:

الأول تفاضل الناس بحسب التوحيد والإيمان فالاول هو الظالم لنفسه بالمعاصي والاصرار عليها

والثاني القائم بالواجبات مقتصد، مقتصد يعني قام بالواجبات وانتهى عن المحرمات وسابق بالخيرات حريص على الخيرات والطاعات الزيادة الكمال المستحب التارك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، الخلاف كان في ما بين العلماء على الظالم لنفسه بعض العلماء قالوا إن الظالم لنفسه المقصود به هو أيضاً من أهل الإسلام مسلم لكنه مفرط بترك بعض الأوامر أو فعل المحرمات والمقتصد اتفقوا عليه لأن بعض أهل العلم قالوا لا الظالم لنفسه هو الكافر بعض العلماء كما ذكر

ذلك الحافظ الحكمي في معارج القبول قال (إن بعض السلف قالوا بأن الظالم أرادوا به التفسير على أنه هو الكافر) والصحيح هو قول الجمهور في ذلك على أن الثلاثة من أهل الإسلام والثلاثة وعدوا الجنة لكن الفارق أن الظالم نفسه هو المفرط الذي ترك بعض الاوامر وفعل بعض المعاصي والمقتصد الذي ادى الواجبات وترك المحرمات والسابق بالخيرات الذي هو متقرب إلى الله عز وجل بعد الفرائض بالنوافل وغير ذلك.

نقول أن هذه الآية كان دليلاً للعلماء في بيانهم على مسألة أن تحقيق التوحيد يكون بتثبيت الأصل مع كمال الواجب وكمال المستحب على التفاوت في الدرجات والصحيح نقول أن الثلاثة هما من أهل الإسلام الدرجات الثلاثة لكن الفرق أن الظالم لنفسه مستحق للوعيد واقع في الوعيد متوعد بالعذاب لكنه لا يخرج عن الإيمان والإسلام ولا يخرج عن التوحيد أصالة في ذلك.

-طيب أيضاً مما يدل على هذه القاعدة وتفاوت الناس في الإيمان أن الثمرة على مسألة تحقيق أصل التوحيد وتثبيته وكمال الواجب والمستحب أولاً أنك تعلم أن فيه فروقات أن فيه أشياء تخرج المرء والعياذ بالله من الإسلام إن لم يحقق الأولى تثبيت أصل التوحيد والثانية والثالثة تبقيه على الإسلام مع التفاوت، يحقق الأولى فلم يحقق الثانية والثالثة يبقيه على الإسلام لكنه مع التفاوت في الدرجات، وهذه مهمة جداً تعلم لماذا هذه الدرجات الثلاثة؟

--لكن دلالة أيضاً القاعدة من السنة:

من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مرَّ رجلٌ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقالَ ما تقولُ في هذا فقال حريٌّ إن خَطبَ أن يُنكحَ وإن شَفعَ أن يُشفَّعَ وإن قالَ أن يُسمَعَ قالَ ثم سكتَ فمرَّ رجلٌ من فقراءِ المُسلِمينَ فقالَ ما تقول في هذا فقال هذا حريٌّ إن خطبَ أن لا يُنكَحَ وإن شَفعَ أن لا يُشفَّعَ وإن قالَ أن لا يسمَعَ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هذا خيرٌ من مِلْءِ الأرضِ مثلَ هذا) وقال خير من ملء الارض دل ذلك على التفاوت هو ما قال أن الثاني ليس فيه خير لكن قال هذا أخير من هذا من ملء الأرض من مثل هذا، فدل ذلك على أن في تفاوت بين الناس وطبعاً هذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة سيأتي في قواعد الإيمان إن شاء الله مسألة أن الإيمان يزيد وينقص وتفاضل الناس في الإيمان، لكن بنتكلم هنا على تحقيق التوحيد وهذا الذي يهمنا الآن لأن هناك تفاوت وتباين في تحقيق التوحيد بين الناس بين من حقق الأصل ثم تمم الأصل ثم كمل هذا الأصل.

طيب هذه من ادلة القاعدة أما الكلام عليها حقيقة من العلماء كثير من العلماء تكلموا عن هذه القاعدة وبينوا بأن حقيقة التوحيد هو تحقيقه لابد له من إثبات الأصل ثم الكمال الواجب والكمال المستحب تكلم ابن رجب بذلك وابن القيم وابن تيمية ومن المتأخرين الشيخ السعدي وغير ذلك من العلماء وتكلموا في مسألة تفاوت هذا التحقيق.

(ذلك يعني مضموني كلامهم نقوله بدون حتى النقل فيه أن تحقيق الشهادتين لا اله إلا الله يتضمن امورا ثلاثة أو تحقيق التوحيد أول شيء ترك الشرك بأنواعه أن اردت تلخص ما قلناه حتى تحقق التوحيد ترك الشرك بأنواعه الأكبر والاصغر والخفي أيضاً الثاني ترك البدع بأنواعه مكفرة ومفسقة الثالث ترك المعاصي بأنواعه)،

لذلك الناس تقرأ ليل نهار آيات وأحاديث التوحيد وعدم الموت على الشرك ولا يعلمون عظم ذلك وعليهم أن يحققوا هذا الأمر تحقيقاً ويجاهدوا فيه، لما تنظر إلى كلام العلماء لما تكون تحقيق التوحيد يبقى ترك الشرك بأنواعه ترك البدع بأنواعها ترك المعاصي بأنواعها، فيكون تحقيق التوحيد على درجة واجبة ودرجة مستحبة. الواجبة التي قلناها الآن أن وجب عليك ترك الشرك بأنواعه أنه مذموم ويجب عليك ترك البدع بأنواعها وسيأتي الكلام عن قواعد البدع إن شاء الله أيضاً لأنها مذمومة ويجب عليك ترك المعاصي بأنواعها لأن الله عز وجل قد نهاك عن ذلك فأصبح هذه الدرجة درجة تحقيق التوحيد الواجبة، والدرجة المستحبة هي التي يتفاضل فيها الناس بعد ذلك أيضاً وقلنا هذه بها يتوجه القلب إلى الله عز وجل في النوافل وغيرها من الطاعات وأعمال الخير إلى غير ذلك حتى يصل إلى منتهى ذلك بترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس وهذا كله في أعمال القلوب وفي اللسان وفي الجوارح، كل هذا يطبق في كل ذلك في القلب أيضاً وفي الجوارح وبأعمال اللسان.

طيب فائدة هذه القاعدة وتطبيقاتها:

أولاً تبين لك هذه القاعدة أن أعظم الناس تحقيقاً للتوحيد هم من؟ الأنبياء والرسل ولكن لتعلم قدر هؤلاء عند الله عز وجل وأنه في مكانة غير باقي الخلق وأفضل الأنبياء والرسل في ذلك أولي العزم كما بينا وفي مقدمة أولي العزم الخليلان محمد وابراهيم عليهما السلام ثم الناس يتفاوتون بعد ذلك حتى من أهل العلم والفضل والصلاح إلى بين مقل وبين مكثر وحسب ما يقوم في القلب من التحقيق ثم يتبع القلب الأعمال بعد ذلك فهنا أول فائدة معرفة ومراتب الناس ولابد طبعاً أن يعظم الناس أو يعرفون قدر الأنبياء والرسل جميعاً لأنهم هم الذين تقدموا في هذا تحقيق التوحيد

الفائدة الثانية وهو أن المحققين لكمال التوحيد لا تبقى معهم ذنوبهم يحفظهم الله عز وجل ويصرف عنهم المعاصي والذنوب

سؤال؟

هل هم يقعوا في الذنوب؟ نعم لابد يقعوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن كل منا لابد يقع لكن الفارق ماذا؟ إن وقعوا سارعوا في التوبة والانابة لماذا؟ لأنهم بلغوا من محبة الله عز وجل الشيء العظيم بحيث لا يبقى في قلوبهم محبوب سوى الله عز وجل وسوى ما يحبه الله فإن حتى وقعوا لأن الشيطان لابد يأتي ويزل ستجده يسارع في التوبة والانابة إلى الله عز وجل وهذا لا يكون إلا بالاخلاص قال تعالى:

في سورة يوسف { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ } [سُورَةُ يُوسُفَ: ٢٤]

انظر الله عز وجل يبين ماذا؟ صرف عن يوسف عليه السلام السوء والفحشاء لأنه من عباد الله المخلصين فكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله يجد قلبه مملوءاً بتأليه الله عز وجل والله يكافئه على ذلك أن يصرف عنه المعاصي والذنوب

فأنت ممكن تقع في أشياء وأكيد ستقع لكن تسارع في التوبة وفي أشياء يصرفها عنك الله بإخلاصك في قلبك كما فعل مع يوسف عليه السلام هذا يرجع إلى ماذا؟ إلى ما فى القلب لذلك نقول أن أعمال القلوب أهم لأن أنت نعم لك إرادة لكن الله عز وجل هو الذي يقدر كل شيء فلما يرى من قلبك إخلاص يصرف عنك السوء والفحشاء وأنت لا تعلم به وفتن أنت لا تعلمها لكن هذه هتحتاج إلى قلب مخلص لله عز وجل حقاً كما قال تعالى:{ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ }[سُورَةُ الحِجْرِ: ٤٢]

وقال تعالى:{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) }[سُورَةُ صٓ: ٨٢-٨٣]

انظر ما يستطيع يتسلط الشيطان على صاحب القلب المخلص ولذلك عليك لما تريد أن تتوقف عن المعصية عليك أن تتعهد قلبك الأول أخلص لله بأنك تريد أن تقف وأخلص لله عز وجل ستجد الله عز وجل يصرف عنك والشيطان ممكن ما يستطيع أن يأتيك بكثرة الإخلاص وعلو في قلبك فما يستطيع أن يتعهدك الشيطان كما قال الشيطان نفسه "إلاعبادك منهم المخلصين"

قال النبي صلى الله عليه وسلم :من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار

وكلام ابن القيم عظيم جدا في هذه المسألة لا يمكن أن نتركه قال: **(ولكن ينبغي انتبهوا أن يعلم ارتباط إيمان القلوب بأعمال الجوارح وتعلقها بها وإلا لم يفهم مراد الرسول صلى الله عليه وسلم ويقع الخلط والتخليط فاعلم أن هذا النفي العام للشرك في قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا }**[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤٨]

واعلم أن النفي العام للشرك ألا يشرك بالله شيئاً البته وهذا لا يصدر من مصر على معصية أبدا -انتبهوا لكلمة مصر- ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفوا له التوحيد حتى لا يشرك بالله شيئاً هذا من أعظم المحال ولا يلتفت إلى جدلى (هو هنا ينكر على جدلي)

لاحظ له من أعمال القلوب بل قلبه كالحجر أو أقسى يقول وما المانع؟ وما وجه إلاحاله؟ ولو فرض ذلك واقعاً لم يلزم منه محال لذلك

قال: دع هذا القلب المفتون بجدله وجهله ثم قال وأعلم أن هناك ارتباط بين الإصرار على المعصية وبين عدم قدرة المرء بعدم تحقيق التوحيد قال : **(اعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله ورجائه لغير الله وحبه لغير الله وذله لغير الله وتوكله على غير الله ما يصير به منغمساً ببحار الشرك والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه وإن كان له عقل فإن ذل المعصية لابد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفاً من غير الله تعالى)** هذا هو الرابط لأنك لما أتيت بالمعصية لابد أن يورث في القلب خوفاً من غير الله في هذه الأوقات فأنت لم تخاف الله عز وجل وقت فعل المعصية أنت لو كنت تخاف الله ما فعلتها فحدث في هذا الوقت كما قال يرتفع الإيمان كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(لا يزني الزانى حين يزنى وهو مؤمن) إذن وقت الزنا ارتفع الإيمان لأن هنا فقد ايه؟ الخوف من الله الخوف من غضب الله حب الله لو كان يحب الله عز وجل حقا ما فعل ذلك لأنه يعلم أن الله لا يحب ذلك فهو يريد أن يقول أن وقت فعل المعصية **(فيورثه خوفاً من غير الله تعالى وذلك شرك ويورثوا محبة لغير الله واستعانة بغيره في الأسباب التي توصله إلى غرضه فيكون عمله لا بالله ولا لله وقال وهذه حقيقة الشرك)**

هو يبين لك الربط بأن من أصر على المعصية لا يمكن أن يقول أن توحيده خالص بل لابد أنه ما استطاع أن يتخلص من الشرك **فقال (واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله)**

أنت لما تصر على المعصية هيوجب لك خوف القلب من غير الله لأنك لو بتخاف الله لن تعملها يبقى أنت في الأوقات الذي بتفعل فيها المعاصي ينقص الخوف من الله

ملحوظه

المعاصي ليس كلها خلوات المعاصي كونك تفعل معاملة باطلة حرام إنك تكذب إنك تغتاب تنم إنك تأكل مال حرام كل هذه معاصى يعني ما تظن المسألة كلها إن المعاصي فى الخلوات فقط

لا هو يتكلم عن أعم من ذلك فيقول (واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله ورجائه لغير الله وحبه لغير الله وذله لغير الله وتوكله على غير الله ما يصير بهم منغمساً في بحار الشرك والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه إن كان له عقل فإن ذل المعصية لابد أن يقوم بالقلب فيورث القلب خوفاً من غير الله تعالى)

خلاص أصبح لا يخاف ربنا الربا عنده ليس فيه مشكلة ربنا بيقول له محرما حرب من الله ورسوله وليس خائف من المحاربة وتجده يأكل أموال الناس إلى غير ذلك **(وذلك يورثه خوفاً من غير الله تعالى وذلك شرك)**

ويورثه محبة لغير الله يعني ممكن من كثرة ما يحب الأشياء التي يفعل فيها المعصية تنقلب المحبة عنده محبة لا يستطيع أن يفارقها فأصبح محبة عبادة **(فيورثه محبة لغير الله واستعانة بغيره في الأسباب)** من كثرة ما وقع في المعصية في الاستعانة بغير الله والقلب تعلق بهؤلاء

وقع في الاستعانة بغيره في الاسباب التي توصله إلى غرضه **(فيكون عمله لا بالله ولا لله)** يعني لا إخلاصا لله ولا حتى استعان بالله فقال **(فهذا حقيقة الشرك)**

قال نعم قد يكون معه توحيد أبي جهل وعبادة الأصنام وهو توحيد الربوبية انتبه لأن بعض المبتدعة الذي يركزوا على الربوبية فقط وهو الإعتراف بأنه لا خالق إلا الله ولو أنجا هذا التوحيد وحده لأنجا عباد الاصنام والشأن في توحيد الإلهية الذي هو الفارق بين المشركين والموحدين

وهذا ختاماً لكلام ابن القيم في هذه المسألة وهذه من أهم المسائل هنا إشكال

ماهو ؟

أن بعض الناس يقول ليس هناك مشكلة هو بيعمل المعصية بس هو معه التوحيد

الرد :
من قال لك أن هذا لم ينقص في توحيده؟
انا اتكلم عن الإصرار وليس الكلام على من فعل المعصية وسارع في التوبة والانابة فهذا من فضل الله عليه أن هو اصلاً عنده توحيدا وعنده تحقيق للتوحيد فمن تحقيق التوحيد بأنك إما يعصمك الله من الفحشاء والمعاصي أو إذا وقعت فيها فتسارع في التوبه والانابة هذا لا إشكال فيه لكن الإشكال في من يصر على المعصية المسألة كلها أن الإصرار على المعصية ستنقص من توحيدك لابد أن تعلم ذلك وأيضاً حتى لا يقع المرء في اليأس إن عصيت بادر بالتوبة وبادر بالمغفرة وبادر بالحسنات تجبر لك النقائص لكن الإشكال كل الاشكال في الإصرار على المعصية هذا هو الإشكال لكن من يفعل المعصية فيتوب فيرجع يفعلها فيتوب فيرجع يفعلها هذه غير المستمر على المعصية وانا استدل على الفارق من حديث الرجل الذي كان يسمى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حمار صحابي وكان كثرة ما يشرب الخمر ويؤتى يجلد فلما جلده في مرة فقال خالد أو غيره ما أكثر ما يؤتى بك لعنك الله **فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** **(لا تلعنه ولا تعين الشيطان عليه والله إني أعلم أنه يحب الله ورسوله)**طب كيف بيحب الله ورسوله وكثير مايؤتى به للجلد؟ نقول أنه لابد أن يكون أنه فعل ثم تاب ثم فعل ثم تاب الذي كان **في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول:**

(أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رب يغفر الذنب ويأخذ بالذنب فاشهدوا إني قد غفرت له) فهذا المقصود هنا وليس الإصرار أنه يفعل فيتوب ويفعل ويتوب لأن خلاص التائب من الذنب كما من لا ذنب له لكن لا شك أن هذا عنده ضعف لكن ليس هذا المقصود من الكلام لابن القيم في مسألة الإصرار الذي هو مصر على المعصية الذي لا يريد أن يتركها

ويريد أن يقول ابن القيم أن يقول أن الإصرار على المعصية سيؤدي بعد ذلك إلى أنه قد يستقر في قلبك إنك لا تخاف من الله عز وجل وتخاف من غيره وتفعل المنكر خوفاً من الغير أو إنك لا تحب الله فتحب غير الله فتفعل لهذا الذي تحبه أشياء لا يرضاها الله عز وجل و هكذا نحن نتكلم عن الموحد الآن الذي هو بيفعل الإصرار على المعصية الذي يقدح في التوحيد وهذا الإصرار يمكث في القلب حتى يؤدي به إلى وقوع في الشرك وهو في الغالب كلها ستكون في أعمال القلوب هنا ليس في الظاهر

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك واتوب اليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

علي موعد اليوم مع برنامج دراسة العقيدة في المستوى الخاص بالقواعد التأسيسية والتأصيلية وكنا قد دخلنا في القواعد الخاصة بتوحيد العبادة كمسمى عام وأخذنا قواعد خاصة بأنواع التوحيد وقواعد خاصة أيضاً بهذا القسم وما زلنا في القواعد الخاصة تندرج تحت توحيد العبادة، وإن كانت قواعد اليوم بتتكلم عن قواعد خاصة بالبدع أو رد البدع.

والمقصد في اعتبار قواعد البدع قلنا أن العبادة تقوم على الأصلين؛ الأصل الأول هو الإخلاص لله عزوجل وتوحيد القصد لله عزوجل في العبادة، و الأصل الثاني وهو السنة أي المتابعة فالعبادة يكون فيها اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم أو كما جاءت في الكتاب أو في السنة.

فإذا كنا تكلمنا من قبل عن القواعد الخاصة بمسألة توحيد العبادة لله ومسألة توحيد القصد والإخلاص فكان بالمناسبة أن نتكلم أيضاً عن إذا أردت أن تكون عبادة على الصحيح، لابد أن نتكلم عن أمر المتابعة، وضد المتابعة أو ضد السنة هنا ستكون أمر البدعة. وكان من المناسبة أن نتكلم عن بعض القواعد الخاصة ورد البدع.

القاعدة الأولى وطالما بنتكلم عن توحيد العبادة فلابد أن نتكلم عن قاعدة أن العبادات توقيفية، وكنا قد شرحنا معنى العبادة من قبل تعريف العبادة، نعم.. العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة و هذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، هناك تعريف آخر للعبادة؟ الأسبوع الماضي لما قلنا أن توحيد العبادة لابد لها من ركنين أو أن العبادة لا تسير إلا بجناحين غاية الذل والخضوع مع غاية الحب، لكن ما معنى العبادة توقيفية؟ كلمة توقيفية مشتقة من الفعل **"وقف"** وهو و-ق-ف والفعل وقف هذا الفعل فقط يعني على حسب ما يأتي في سياق اللغوي يأتي فيه المعنى هو أصلا مادته مادة تمركز الشيء، يعني نقول مثلاً وقف فلان على سوء صنعه، يقول أي اطلع عليه هنا وقف فلان على سوء صنع فلان مثلاً يعني اطلع على هذا السوء أو نقول مثلاً وقف القارئ على الكلمة وقوفاً، فهنا كإنه عنده علم بمواقع الوقوف في الكلام، أو يقول وقف الأمر على حضور فلان هنا وقف يأتي بمعنى علق الحكم على حضوره مثلاً، أو نقول وقف الدار في سبيل الله ووقف هنا معنى الحبس، يعني جعل بيع لهذه الدار أو يستخدمها الذين همت عليهم ويقال توقف عن كذا واحد يقول لها توقف عن الكذب يعني امتنع وكف عن فعل كذا، هنا التوقف جاء بمعنى ايه؟ الامتناع والكف أيضاً، طيب إذا هنا لو لاحظنا كل هذه المعاني كأن هو قصدنا أن نجعلها في الشرع عندنا أيضاً توقف عليه تثبت، طيب فتجد أن التوقيفية نسبة إلى التوقف أو إلى التوقيف، أي أن العبادة مبنية على الوقف والمنع والحبس والمكث والانتظار حتى يجيء النص الشرعي من الله تبارك وتعالى، يبقى معنى توقيفية ايه؟ الكثير يسمع أن العبادة توقيفية طب يعني ايه توقيفية؟ أي عبادة موقوفة، محبوسة، ممنوعة، منتظر فيها حتى يجيء النص الشرعي بالإذن في الفعل من الله عزوجل وهذا معنى كلمة العبادة توقيفية. وهذه قلنا قاعدة مهمة جداً تدل على احدى الاصول العظيمة من أصول الإسلام قلنا وهي إفراد الله بالعبادة وأنك تفرد الله بالعبادة دون أن تعبد غيره ولابد إذا أن تعبد الله مخلصا ووفق ما أراد الله، وفق ما شرع الله عزوجل لك هذا معنى توحيد العبادة وفق ما أنزله في الكتاب أو السنة، لذلك العبادات مبناها على الاتباع والشرع لا على الهوى والابتداع

العبادة مبنية على الشرع والإتباع يعني العبادة لابد أن تأتي في الشرع أولاً وأيضاً أنك تتبع الشرع في كيفية العبادة أي هيئة العبادة تصلي خمس صلوات ليس تصلي ستة بل خمس صلوات لا تصلي صلاة سادسة، الظهر أربعة لا تصلي خمسة الطواف سبع لا تطوف ثمانية مثلاً وهكذا السعي بين الصفا والمروة سبع لا تسع ولا عشرة، الصيام من الفجر إلى غروب الشمس.. أنت لا تصوم من بعد الفجر أو لا تصوم إلى العشاء مثلاً، مسألة الوصال مسألة أخرى بنتكلم عن الصيام المفروض لأن في هيئة إذا العبادة مبنية على الشرع والإتباع لا على الهوى والابتداع.

قلنا أن الإسلام مبني على أصلين؛ تعبد الله وحده لا شريك له، والثاني أن تعبده بما شرعه الله عزوجل على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أو على ما جاء به النبي، إذا الحاصل أن العبادة ممنوعة محظورة موقوفة محبوسة حتى يأتي الإذن من الله عزوجل، لماذا؟ لأن الله هو الخالق هو المطلوب بالعبادة فإن لم يأمرك بعبادة ليس لك أنك من شرع من نفسك، وليس لك أنك تدعو الناس إلى عبادة لأن الله عزوجل حتى لو كانت لله، يعني حتى لو أنت أردت بالعبادة التقرب إلى الله، الله عزوجل أمرك إلا تتقرب إليه إلا بما هو شرعه هو لك سبحانه وتعالى، والعلة في ذلك شرعاً سنبين وأيضاً عقلا لأنك إذا تركت مسألة العبادة للعقول وللهوى كل واحد هيبتدع عبادة، واحد عايز يصلي خمس صلوات واحد يصلي عشرة، واحد يزيد، يقول لك لا واحد

يقول لك أنا مش قادر أصلي اتنين، واحد يصوم شهر واحد يصوم نصف شهر واحد يصوم مع رمضان شهر آخر، واحد يزكي كما يريد ويخرج المال يعتبره زكاة

فلو تركت العبادة للعقول واختراع العقول والقياسات كل واحد سيخترع عبادة، وأصبح الآن كل واحد والعقول البشر تتفاوت والهوى يتفاوت، أيضاً لا يكون هناك لا حصر للعبادة ولا للوقت ولا للكيفية ولا للشروط ولا شيء وهذا ضياع للناس، فكيف يحاسب الله عزوجل عباده على التقصير في شيء هم ابتدعوه هم فعلوه فالعقول لا تقبل أصلاً بأن تكون العبادة على الهوي والابتداع وليست مبنية على الشرع والإتباع، لذلك الشرع أوقف العبادات على النصوص لا يمكن أنك تفعل عبادة بدون نص في الكتاب أو السنة. تحتاج للختم.. الختم هذا أن يأتيك على العبادة دليل من الكتاب ومن السنة حتى تكون العبادة صحيحة وحتى تقبل وحتى يكون لك الثواب والأجر وإلا أنت معرض نفسك للعقاب أصالة، الله عزوجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا" يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يدعو إلى الله من تلقاء نفسه؟ لا (وداعياً إلى الله بإذنه) أي بأمره، إذا حتى النبي صلى الله عليه وسلم ما استطاع أن يخترع في العبادة، الله عزوجل أمره كيف يدعو؟ وما هي العبادات؟ فكان النبي صلى الله عليه وسلم مبلغًا عن الله عزوجل في أمر العبادة أصالة. وما كانوا يستطيعون يفعلون عبادة إلا أن يأتي شرع.

انظر لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة فجاءه عمر قال يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى، النبي ما صلى لكن نزل قول الله عزوجل "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" فصلى النبي صلى الله عليه وسلم في المقام ثم كانت السنة إلى قيام الساعة بعد كل الطواف لك ركعتين سنة خلف المقام.

ما يمكن أن يفعل عبادة وغير ذلك، و قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم لولا احتجبت نسائك يا رسول الله، فاحتجبن لما نزلت آية الحجاب وأمر الله عزوجل، فكان الأمر كله.. العبادة لابد أن يأتي بها نص من الكتاب أو من السنة، حتى النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ويبلغ أمور العبادة، لم تكن متروكة لأحد أن يشرّع عبادة ويفعلها، "وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا"

هذه القاعدة العظيمة لها أدلة (قاعدة العبادات توقيفية) لها أدلة من الكتاب ولها أدلة من السنة

أولاً من الكتاب الله عزوجل جاء في أكثر من آية بأمر لرسوله بالإستقامة استقامة في الدين قال تعالى"فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" الاستقامة كلمة جامعة تتعلق بالعقيدة في القلب بالأقوال بالأفعال بالأعمال والله عزوجل يأمر النبي" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ" إذن استقم في تبليغ الشرائع في دعوة الناس كما أمرت رجعها لأمر الله عزوجل، فكان كل عمل النبي صلى الله عليه وسلم لتبليغ الوحي وبيان الشرائع بأمر من الله عزوجل وقال "وَمَن تَابَ مَعَكَ" نُقِل الأمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه لابد له أن يستقم كما أمر الله والاستقامة هي الدين وفيها العبادة والتشريعات كما جاء لابد أن تكون مرجعها إلى الله عزوجل.

ثم قال تعالى أيضاً في آية أخرى وهذا دليل على الآية الاولى دليل على أن العبادة توقيفية بأمر من الله " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" هنا يبين الله عزوجل بأنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإتباع الشريعة التي أنزلها إليه قال "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" إذا المسألة ليست هوى، مش كل يوم واحد يصحى يدّعي نفسه أنه ولي ولا عالم ولا عارف ويخترع عبادة يخترع ذكر أو بيخترع الطريقة أويخترع شيء، و الله عزوجل يؤمر النبي قال" ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ" لأن الله فأنزل هذه الشريعة هذه الأوامر وأمره فاتبعها لا تتبع غيرها "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"

وقال تعالى أيضاً عن نبيه "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ أن أَتَّبِعُ إلا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إلا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" وهذه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم يتبع ما أُمر به " وَمَا أَنَا إلا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" فكان ينسب له النذارة والبشارة صلى الله عليه وسلم دل ذلك جميع ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وجميع ما نهى عنه كان بأمر من الله عزوجل. وهذا معنى العبادة يعني ايه توقيفية.. أنها ترجع إلى الله عزوجل

وأيضاً بقوله تعالى" قُلْ أن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " يعني كل شيء الصلاة والنسك والحياة والممات لله رب العالمين لا شريك له "وبذلك أمرت" وهذه من أقوى الأدلة على هذه القاعدة، أن العبادات التوقيفية يعني رجع الصلاة والنسك والحياة والممات كلها إلى أمر الله عزوجل، فدل ذلك على أنه لا يصلح شيء من العبادات إلا لو كانت بأمر من الله عزوجل. هذا من الكتاب..

من السنة حديث مشهور جداً تعرفوه كلكم.. ليس فيه حديث لم يتكلم عن البدع والسنة، انما هذا الحديث لابد أن نذكره حديث عائشة رضي الله عنها " **مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ** " وهو أصل من أصول الاستدلال على هذه القاعدة ونحن نتكلم هنا عن البدعة تحديداً وهو الإحداث أي يحدث في الدين ما ليس فيه، بعض الناس غير فاهمين يظن أن الإحداث في العادات هذه تكون بدعة، فيقول طب هو النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبس كذا و لم يلبس كذا ولم يكن عنده تكييف ولم يكن عنده تليفون سيارة .هذه ليست من الدين؟ هذه ليست بدعة؟ البدع تكون في الدين ليس في العادات أصالة، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من "أحدث في أمرنا" يعني في ديننا في شرعنا ما ليس منه فهو رد،أي عبادة تخالف الشرع فهي مردودة مرجوعة عليه.

وطبعاً حديث خطبة الحاجة لما كان قال الرسول خطبة الحاجة " **أن أفضلَ الهدي هديُ محمدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ** " وكل بدعة ضلالة وهذا هو

الصحيح أن البدع كلها ضلالات ليس هناك بدعة حسنة أو بدعة سيئة هذا الصحيح فكل بدعة ضلالة لا يخرج منها شيء

إذا الأصل في العبادة أنها مبنية على الأمر وعلى الطلب هذا الدليل الثاني من السنة.

ودليل ثالث من السنة حديث عمر بن الخطاب لما طاف بالبيت وذهب إلى الحجر الأسود فقبله وقال قولته الشهيرة **" وَاللَّهِ، إِنِّي لأُقَبِّلُكَ، وإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَأَنَّكَ لا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُكَ "** لذلك المسألة طبعاً هذه بتبقى من الشبهات عند البعض، الذين انتكست الفطر عندهم أو يكيدون بأهل الإسلام، يقول لكم أنتم بتطوفوا حوالين حجر، وبتقبلوا حجر، لكن هنا عمر يبين نعم أنت حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسولنا يقبلك ما قبلتك رجع المسألة لايه؟ الاتباع. لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبله فقبله لذلك العبادة مبنية على التوقيف نص صريح من عمر رضي الله عنه وارضاه ما كان ليقبل للحجر لولا أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبله فقبله ودل ذلك على العبادة توقيفية الذي بيروح بقى يمسح ويتمسح ويتبرك من مقام ابراهيم أو يقعد يمسح في بلاط الأرض بييجي عند القماش بتاع الكعبة يقعد يمسح وشه من أين أتيت بذلك؟ هل أنت رأيت الرسول يفعل ذلك؟ العبادة توقيفية؟ فعمر ما قَبّل الحجر إلا لما رأي رسولنا يقبل الحجر فإذا عمر رضي الله عنه وأرضاه أوقف هذا الفعل والتقبيل على رؤيته للرسول يفعله وهذا أن دل، دل على أنك لا يمكن أن تأتي بعبادة إلا أن ثبتت في شرع بدليل.

طيب هل هذه القاعدة قال بها أهل العلم؟ هل قال بها جل أهل العلم؟ كثير من أهل العلم قالوا بهذه القاعدة.. ابن تيمية يقول " أن العبادة مبناها علي الإذن من الشارع" وأيضاً قال "العبادة مبنية على التوقيف والإتباع لا عن الهوى والابتداع" ابن كثير رحمة الله عليهما جميعاً يقول "وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء" يعني باب العبادة لابد فيه بالنص من الكتاب والسنة ليست بالقياس ولا الهوى أصالة وكثير من العلماء منهم من يقول أيضاً العبادة توقيفية، فلا يقال هذه العبادة مشروعة إلا بدليل من الكتاب والسنة والإجماع.

لذلك من أمثلة ذلك مسألة تخصيص الأعياد، الأصل بالأعياد أنها توقيفية، هذا مثال كده فرعي يبين هذا، اتخاذ الأعياد.. هل العيد عبادة؟ العيد عبادة.. طب ما الدليل على أن العيد عبادة؟ ممكن يقول لك العيد هذا من العادات.. يقول العيد عادة، لماذا تحجرواسع الناس بتحتفل، والعيد عادة، وما دام المسألة عادة يبقى مفتوح الباب.. نحتفل بعيد الفطر وعيد الأضحى، عيد الميلاد، عيد الزواج، عيد الربيع، عيد الأم، عيد الأب، عيد اليتيم، العيد الوطني وكل الأعياد، احنا الأعياد طول العام وأجازات بقى وما حدش بينزل الشغل نستمتع احنا بالأعياد، كيف نرد عليه؟ كيف نقول أن هذا لا يجوز في شرعنا؟ نعم.. أحسنت أولاً السياق هكذا.. قل هل نوافقك أن العيد عبادة ولا عادة؟ لا نوافقك أن العيد عادة لكن العيد أصبح عبادة في الشرع وحديث النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة وجد أهل المدينة يحتفلون في يومين "فقال ما هذان اليومان؟ قالوا يومان كنا نحتفل بهما من الجاهلية، قال قد أبدلكما الله بخير منهما يوم الفطر ويوم النحر" بيّن "أبدلكما الله" إذا هي شرع، نص، يبقى أصبحت أمر من الله عزوجل أنك تستبدل أعياد الجاهلية بعيدين يومين، والله طبعاً في يوم الجمعة عيد أسبوعي جاء فيه أيضاً، فأصبحت الأعياد من الشرع وما دامت من الشرع يبقى عبادة وما دامت عبادة نطبق القاعدة الأصل فيها المنع والحبس إلا بدليل فإن لم يأتي دليل على وجود أعياد أخرى عشان يعني هو لو سموه يوم مش هيبقى عيد؟ وهو لازم نرجع للمعنى بالمعاني مش باللفظ أن العيد هو ما يعود

ويتكرر فلو كان العيد هذا أسبوعي الجمعة عيد أسبوعي أو شهري أو سنوي المهم أنك تخصص يوما يوم وتعود عليه كل عام أو كل شهر أو كل أسبوع تفعل فيه أو تخصه بشيء، هذا يسمى عيد، من العود هو أصلا العيد من العود من التكرار، فأصبح الآن أن كل هذه الأيام التي تخصص لها أصبح هذا من العيد، ولا دلالة على الاحتفال بهذه الايام حتى احتفال المولد النبوي، وكلنا نعظم نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن ونصلي عليه ونسلم عليهما ونتبع هديه كل وقت وحين وهذه من أعظم الاحتفال به، لكن أيضاً حتى هذا اليوم فالسبب كان موجوداً في وقت النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ الصحابة كانوا ما يتركون شيئاً يفعله الرسول حتى النخامة حتى العرق حتى الدم كانوا يتقاتلون عليه، يعني أعظم الناس توقيرا وتعظيما وحبا للرسول و لو تجرأ أحد وقال أنه يدانيهم هذا يعني ما أريد أن يعني هذا يقال له ما يقال لأن الصحابة لا يقارنهم أحد في ذلك ومع ذلك ما كانوا يحتفلون بيوم للنبي صلى الله عليه وسلم، يوم مولده ولا جتى بعد ما توفي النبي صلى الله عليه وسلم هل احتفل أبو بكر وعمر وعثمان و علي بذلك؟ فالسبب كان موجوداً و المقتضي موجود سبب التعظيم والمقتضي موجود والمنع منتفي لا يوجد مانع أن يحتفلوا والنبي صلى عليه وسلم موجود بين أظهرهم وبعد وفاته ولم يفعلوا، لم يفعل أحد هذا الأمر حتى دخلوا علينا في مصر هنا الدولة الفاطمية الشيعية أرادوا أن يشيعوا مصر، فادخلوا ما أدخلوا فيها المنكرات، وبقي من زمانها ونقول أن هذه أيضاً مسألة توقيفية لأنه احتفال يوم، حتى يوم الاحتفال الذي بيتكلموا عنه فيه أصلا خلاف أصالة. حكم اتخاذ الأعياد هذا أيضاً يخالف ما جاء به الشرع لأن العبادة توقيفية

مازلنا في قاعدة العبادات التوقيفية وقفنا عند فوائد هذه القاعدة وكيفية التطبيق وطبعا من أهم فوائد هذه القاعدة أن أهل العلم

ومسائل نستفاد منها في إبطال كثير من البدع والضلالات، فلما يقولوا بأن العبادة توقيفية قالوا أن شرط التوقيف الذي ورد في القاعدة هذه كيف يكون؟ طبعاً إما يكون في عبادة أصلا جديدة أو في أمور زائدة على أصل العبادة، يعني توقيف عبادة جديدة هذا مفهوم يعني أوضح الصور أنه ينشئ عبادة جديدة ليست موجودة بل هذه قد ممكن تقدح بعد ذلك في التوحيد أصالة لأنه شرع مع الله عزوجل، لكن قالوا أيضاً القاعدة هذه يدخل فيها الأمور الزائدة على أصل العبادة لابد أن تراعى حتى لا تدخل في البدع، حتى تكون العبادة صحيحة ومقبولة لابد كما قلنا من الاذن الشرعي، وحتى تكون عبادة شرعية يتقرب بها إلى الله عزوجل لابد لها من أمور:

أولاً السبب، فإذا تعبد العبد لله عزوجل بعبادة مقرونة بسبب غير شرعي فهي بدعة مردودة عليه، مثل احياء ليلة السابع والعشرين من رجب مثلاً يتهجد بحجة أنها ليلة الإسراء والمعراج، ليلة النصف من شعبان تخصيصها بتهجد وبصلاة أيضاً، نقول له الآن أنت فعلت عبادة، التهجد أو الصلاة مشروعة كعبادة لكن الإشكال عندك في السبب، السبب الذي قمت به في هذه العبادة سبب شرعي أم غير شرعي؟ سبب غير شرعي لأنه لم يأتي دليل على احياء ليلة السابع والعشرين أو احياء ليلة الخامس عشر النصف من شعبان، بل جاء النهي عن احياء ليلة الجمعة خاصة قال صلى الله عليه وسلم: (لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَام مِن بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بصِيَام مِن بَيْنِ الأيَّام، إلا أن يَكونَ في صَوْم يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ) مع أن يوم الجمعة يوم معظم عند الله عزوجل ويوم من أفضل أيام العام عند الله عزوجل يوم الجمعة عيد أسبوعي للمسلمين وفيه صلاة الجمعة وفيه السنة انظر كيف جاء الشرع يثبت ويمنع، يثبت أن من أفضل العبادات في هذا اليوم كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلة الجمعة، ويمنع مع أن اليوم فضل اهو نفس اليوم والليلة يمنع أن تخص ليلة الجمعة بقيام ليل أن يجتمع الناس للقيام أو حتى لو كان لا يقوم الليل فيأتي يوم الجمعة مخصوص أو ليلة الجمعة ليقوم

الليل تعظيما لهذه الليلة، فجاء الشرع فرق بين ما يجوز وما لا يجوز في نفس اليوم الذي فيه الفضل لأن البعض يظن أن ما دام اليوم فيه فضل أفعل ما أريد من عبادة، جاء حديث في النصف من شعبان وإن كان أغلبها ضعيف لكن حتى لو قلنا حديث المشرك والمشاحن لكن لم يأتي حديث بتخصيصها بعبادة مثلاً أو شيء تهجد، وكذلك في ليلة سبعة وعشرين أصلا هي سبعة وعشرين هذا في خلاف أن هو يكون الإسراء المعراج ولا لأ من ناحية التاريخ فأيضاً الذي يقوم بإحيائها ويتعبد فيها ويتهجد وإن كان ظاهر العبادة أنها مشروعة قيام ليل لكن السبب غير مشروع، هذا أمر في التطبيق. أمر آخر جنس العبادة، لابد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان إلى الله عزوجل بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، يعني واحد جه يوم عيد الأضحى قال لك أنا هدبح فرخة هدبح حمامة هدبح بطة دي الأضحية زي الذي بيطلع على الناس يقول لهم ليس في الشرع حاجة بتقول أن الأضحية من الأنعام فقط، فيتقرب إلى الله عزوجل بذبح دجاجة بديك بحمام بأرنب أو يأتي بفرس الفرس يؤكل على فكرة، ويذبح فرس في الأضحية، ممكن تذبح الفرس لتأكله تذبح الأرنب لتأكله الديك الدجاجة، لكن تذبحها تقرباً إلى الله جنس العبادة هذا لم يشرع، يبقى لابد أيضاً عندما تتقرب بعبادة لابد أن يكون جنسها مشروعاً عند الله عزوجل. الأمر الثالث القدر، قدر العبادة، قلنا الآن واحد جه قال خمس صلوات أنا أطيق أكثر من ذلك خمسة بس فأنا أزيد صلاة سادسة اجعل كده بعد العشاء ما بين العشاء والفجر وقت طويل ننصفه كده بصلاة سادسة نجعلها صلاة، فهذا زاد في القدر المفروض لأن الله عزوجل فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة هذا منصوص عليه في السنة وممكن إلماحاً من الكتاب بعض الآيات " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ أن قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " فجاء هنا ثلاث صلوات وآيات أخرى جاءت بالصلاة الرابعة والخامسة والسنة جاءت تصريحا طبعاً في حديث ابن عمر خمس صلوات في اليوم والليلة، فهو زاد صلاة يعني هذا في قدر الصلوات، أو قال احنا بنصوم تلاتين يوم هنزود إلى خمستاشر يوم من شوال يبقى معنا شهر ونص، الحسنة بعشرة أمثالها فهذه بدعة زاد في القدر الصحيح، هذا الامر الثالث أن القدر يجب أن يكون مشروعاً. الرابع الكيفية في العبادة، ومثال ذلك واحد يتوضأ فقال بسم الله راح نازل على رجله الأول وغسل رجله ثم رجع قال أخلص من الذي تحت الأول عشان أبقى فوق براحتي ما انزلش بعد كدة وبعدين راح على وجهه وايديه وبعد كده جاب رأسه أو العكس، فهنا هذه كيفية منصوص عليها شرعا طبعاً نحن نقول ذلك لأن الترتيب واجب، وإلا هو يقول لك ما أنا عملت كل الذي أنت عايزه خلاص أنا عملت رجلي وايديا وشعري وكله ورأسي، نقول لا الترتيب واجب من الفرائض على هذا القول، فإذاً الكيفية لابد أيضاً تراعى في العبادة وإلا لو فعل العبادة بغير الكيفية المشروعة يكون وقع في البدعة أصالةً، أو يقول لنا أنا هصوم بس لغاية العصر مقدرتي هكذا، فهذه أيضاً في الكيفية. الخامس الزمان، الزمان لو فعل العبادة في غير زمانها، يعني دخل أيام ذو الحجة قال أنا لسه هستنى العيد أنا هبكر ربنا عايز الأضحية من بدري وأطعم الناس وفي أول ذي الحجة وراح مضحي وقال أنا أسارع وسارعوا وسابقوا، هنا الزمان هذا محدد، الله عزوجل لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ذبح قبل الصلاة وقال إني اشتم رائحة كان ذبح وطبخ فقال أنا يا رسول الله قال ذبحت قبل الصلاة؟ قال نعم أردت أن أطعم أهلي وأكون أول من قدم فقال شاتك شاة لحم يعني مش أضحية، من ذبح قبل الصلاة فشاته شاة لحم، **(قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، فإنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا جَذَعَةً هي أحَبُّ إلَيَّ مِن شَاتَيْنِ، أفَتَجْزِي عَنِّي؟ قالَ: نَعَمْ، ولَنْ تَجْزِيَ عن أحَدٍ بَعْدَكَ)** الحديث له طبعاً مسائل أخرى بس احنا نريد الآن أنه قدم الأضحية قبل الوقت فما اجزأته طبعاً هو جاهلا فما عنفه الرسول صلى الله علسه وسلم لكن قال له شاتك شاة لحم يعني صدقة لكن ليست أضحية لكن من تقصد فعل ذلك فأتى ببدعة لأن الزمان لو كان في العبادة زمان لابد أن يأتي به، هو واحد ممكن قبل زوال الشمس يقول أنا هصلي الساعة حداشر الظهر أبكر؟ هذه بدعة لأن الصلاة لها زمان محدد لابد تصلي من الزوال لوقت الظل بمثليه للعصر، فإذاً هنا خالف الشرع في الزمان فأصبحت هذه أيضاً بدعة. السادس المكان، قال لك في العشر الآواخر

من رمضان المسجد زحمة وأنا ما بحبش الزحمة فعمل خيمة في السطح وقال لك انا هعتكف، أو نزل الجنينة أو خد أوضة من الأوض وطلع العيال كلهم منها وقال لهم أنا معتكف في الأوضة دي، طب أنت المكان هذا لابد يكون مشروعاً أنت أتيت بمكان غير مشروع، الله عزوجل يقول: "وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ" أضاف الاعتكاف إلى المساجد ولا يصح الاعتكاف في غير المسجد، طبعاً النساء تحب جداً المثال هذا عايزة تعتكف في غرفتها مع أن هي صلاتها في غرفتها أفضل من اعتكافها في المسجد كصلاة، لكن إذا أرادت تعتكف ففي المسجد، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ورد عنهن بعد موته صلى الله عليه وسلم وقبل موته لما ارادوا كل واحدة فيهم لما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعتكف فأرادت وضع الخباء لها فدخل لقى هذا لعائشة وهذا لحفصة ووو.. فَقَالَ :آلْبِرَّ يُرِدْنَ؟ فأمر بفك كل ذلك وما اعتكف هو في هذا العام واعتكف في شوال يعني ما اعتكف في رمضان واعتكف في شوال لكن ورد أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت تعتكف بعد موته في المسجد، فالشاهد أن النساء لها أن تعتكف في المسجد هذا اعتكافها، لكن هي تريد تعتكف في البيت ما يصح، لو جاءت السنة في مكان فمن فعلها في غير المكان تكون بدعة، كما يقول أنا لسة هسافر لمكة وأطوف حوالين الكعبة؟ احنا نعدي كده مسجد سيدي فلان وفي مقام الست فلانة وهنخش نعدي كده سبع مرات يبقى خلاص أنا احج هنا، زي الذي عايزين يحجوا في المشاهد والأضرحة فالبعض يقول له أنت هنا أفضل لك من إنك تروح هناك هذا مقام فلان هنا، فهذه من أشد البدع، بل هذه ممكن الشرك يدخل فيها كمان، لكن بنتكلم أن المكان من الأمور التي لابد من إقامة العبادة فيها أن دل المكان عليها، وإلا لو لم يكن المكان شرط خلاص. هذه أمور العبادة موقوفة عليها، موقوفة على الإذن الشرعي في هذه الأمور الستة أصالة، لابد أن تراعى ذلك فمن خالف ذلك وقع في البدعة سواء بدعة بقى في الجنس في الزمان في السبب في القدر في الكيفية في المكان إلى ما بينا. فهذه أولاً من أهم فوائد هذه القاعدة أنك تضبط أهل العلم ضبطوا في هذه القاعدة الأمور هذه حتى يستطيع أن يحكم على هذا الفعل إنه عبادة أم بدعة. الأمر الثاني وده مهم جداً ودقيق في الفهم، احنا قلنا أن العبادة موقوفة على الإذن الشرعي والإذن من من؟ من صاحب الشريعة، لا يكفي دخول العبادة تحت دليل ونص عام بل لابد من دليل خاص لهذه العبادة وهذه مسألة مهمة جداً لأن هذه المسائل الذي بيدخل فيها المبتدعة، عشان اقربها العبادة لابد لها من دليل خاص يخصها، يعني ما ينفعش يقول الله عزوجل:

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ " عندي دليل عام للعبادة فأنا خلاص ربنا أمرني بالعبادة، أو " وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا " خلينا نقول " وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا " فجاء الأصل العام في الذكر، فواحد يقول لك والله جاء دليل عام في الذكر فنذكر كما نريد نتجمع بقى حلق ونهز في رؤوسنا ونقعد نقول هُو هُو هُو ونقعد نعد 500 ألف مرة ونقعد نضرب، ما هو يقول لك أنا عندي دليل، و فعلاً لما قابل شيخي أحد المشهورين وكانت المناظرة معروف جداً أنه يطلع من هؤلاء وكان يبرر الطواف حول القبر يقول أن الطواف جاء طوافا فلو طوفنا هنا أو هنا أو حوالين المسجد مش لازم القبر حتى المسجد أي مسجد الطواف عبادة ممكن أنشئها في أي مكان طبعاً هذا دليل عام لكن جاء دليل خاص على أن الطواف حول الكعبة فهل تستدل بالدليل العام فتطوف في أي مكان؟ تستدل بدليل عامل للذكر؟ وتذكر بكيفية وبهيئة لم ترد؟ لذلك هم العلماء استنبطوا أن العبادة توقيفية مش مجرد انشاء العبادة ولا الأمور الستة كمان الذي قولناها لا قالوا بأنك تحتاج إلى دليل خاص لهذه العبادة، دليل خاص لصوم رمضان دليل خاص لصوم عرفة دليل خاص لصوم يوم عاشوراء دليل خاص لقيام الليل دليل خاص لصلاة الضحى ثم دليل خاص لمطلق الصلاة في غير أوقات النهي مثلاً، هذه أدلة خاصة مع إنك عندك مشروعية " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ " لكن حتى تصلي صلاة في وقت محدد مخصص إذا أردت أو لها فضل لابد

لك من دليل خاص، وهذه مسألة من الأهمية بمكان لأن البعض يتعلق بالأدلة العامة فينشئ عبادات تحت دليل عام والأصل نقول أن معنى أن العبادة توقيفية لابد من دليل خاص بهذه العبادة سواء خاص في القدر في الزمان في المكان في الجنس إلى غير ذلك، هذه من المسائل التي استنبطها العلماء أو طبقوها تحت هذه القاعدة، يعني عدم الاكتفاء بالدليل العام على جواز التعبد بأمور محدثة، إذا أردت أن تحدث عبادة فلا تستدل بها بأمر عام لابد تأتينا بدليل خاص على أن هذه العبادة تصح أنك تفعلها في هذا الوقت أو في هذا المكان أو في هذا الزمان أو في أي شيء، وهذا مهم جداً التقييد هذا أو حتى بهذه الهيئة، وأبين لكم حديث أبي موسى الأشعري مع عبدالله بن مسعود لما ذهب إلى بيته ينتظره حتى يخرج "كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ ، فَإِذَا خَرَجَ ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إليه جميعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إلا خَيْرًا ، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: أن عِشْتَ فَسَتَرَاهُ ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً ، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً ، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ ؟ ، قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شيئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أو انْتِظَارَ أَمْرِكَ ، قَالَ : " أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أن يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أن لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ " ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: " مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ " قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ ، قَالَ: " فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ ، فَأَنَا ضَامِنٌ أن لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ " ، قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إلا الْخَيْرَ. قَالَ: " وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أن قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ " ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ "، الشاهد أن الهيئة والكيفية هذه أنكرها أبو موسى رضي الله عنه وأرضاه ولما جاء عبد الله بن مسعود أنكر عليهم ذلك مع أن أصل الذكر موجود وأدلة الذكر وقالوا ما أردنا إلا الخير، لكن أنكر عليهم أنه وجد أن هذه الهيئة ليست هيئة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يبين لك بأنك لابد لك في العبادة من دليل خاص حتى تفعلها ولا يكتفى بالأدلة العامة في ذلك. يعني احنا بنقول " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ " لما نيجي نستدل على إقامة الصلاة نقول قوله تعالى " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ " ما هو دليل عام أو مجمل على وجوب الصلاة ونستدل به لكن احنا لما نيجي نستدل بقى بالخمس صلوات بنأتي بالأدلة الذي فيها الخمس صلوات لما نيجي نستدل بكيفية الصلاة نقول قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صلّوا كما رأيتموني أصلّي) وقام على المنبر فصلى فبين للناس، فهنا بنستدل عند الشيء الخاص بدليله الخاص، يعني دلوقتي أنت تريد تذكر بهيئة معينة هتقول لي " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا" وده ذكر وأنا بذكر أقول لك هذا دليل عام ماشي أنا معك أن الذكر أنك تقول سبحان الله والحمد لله الله أكبر هذا نقوله لكن الهيئة الذي بنقول بيها الآن دي هل عندك فيها دليل خاص؟ لابد لو أتيت بهيئة جديدة يبقى تأتي لنا بدليل في العبادة أنا أتكلم في العبادات، أردت أنك تخصص يوم بصوم هتقول الصوم النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَن صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ، بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) جميل ممتاز صم كما تريد النبي صلى الله عليه وسلم بيّن اثنين وخميس بيّن ثلاث أيام من كل شهر الأيام القمرية صوم يوم وافطار يوم لكن تأتي تقول لنا يوم الأربعاء تصوم كل أربعاء تخصيصا للأربعاء أو

تخصيصا للثلاثاء أين الدليل على تخصيص الثلاثاء؟ جاء نعم دليل على الاثنين والخميس وجاء نهي عن الجمعة لذلك هو لماذا نهي عن الجمعة؟ حتى لا يعظم يوم الجمعة بصوم والله عزوجل أراد أن يبين لك كما قلت نهاك عن صوم يوم الجمعة حتى لا يعظم مع أن هو أصلا معظم يعني هو له قدر لكن هو فيه صلاة الجمعة فيه الصلاة على النبي فيه ساعة استجابة هذا الذي لك ولكن لا تفرده بصوم لماذا؟ الشرع أراد ذلك فأردت أنت أن تخص بقي عبادة معينة تحدثها هنا لابد لها من دليل خاص ما يكفيك الدليل العام لتستدل به لأن هذا الباب الذي دخل منه كثير من المبتدعة، أنت هتمنعنا من الاحتفال بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ ما احنا بنحب النبي صلى الله عليه وسلم " وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ" وهذا من التعزير والتوقير والنصرة وغير ذلك فمعانا أصل عام بحب النبي صلى الله عليه وسلم فيجي يستدل بالأصل يقول لك احتفل بيوم مولده نقول لا لا يكفيك الأصل العام لابد في حالة إحداث العبادة في هذا التخصيص لابد لك من دليل خاص، لكن احنا لا نبطل طبعاً الأصول العامة ونقول نحن نحب النبي في كل عام وفي كل وقت وفي كل زمان ونصلي عليه ونتبع هديه هذا من الأصل العام الذي نحن فيه لكن عندما نخصص ننشئ عبادة جديدة باحتفال مثلاً أو بصوم أو بصلاة هنا لابد تأكيدا من دليل خاص وهذه مهمة لماذا؟ ترجع لأن العبادة توقيفية أيضاً. بيان لماذا ذم العلماء مسألة أنه يحدث هذه العبادة، لأنهم جعلوا هذا من التشريع من دون الله، قال تعالى: " أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " انتبهوا من الدين لذلك المسألة كلها عن الدين، فإذا من تقرب إلى الله عزوجل بعمل لم يشرعه الله عزوجل أو يشرعه النبي صلى الله عليه وسلم فعمله هذا باطل مردود عليه، انتبه بقى صور أخرى من البدع الذي بيفعلونها المبتدعة والصوفية هو يريد أن يتعبد إلى الله مش في الذكر بقى والحلق لا يتعبد إلى الله بالتقرب إليه بالرقص مش لازم الرقص الذي في دماغك يعني الرقص هم بيقفوا ويقعدوا يطوحوا ويرقصوا ويجيبوا حد ويلبس الحاجات الذي بيعملوها دي ويرقص وبيبقوا تجاوزوا في ذلك وهو كأنه مثل ما قال الله عزوجل عن كفار قريش: " وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً " هم أرادوا يصلوا وكان هؤلاء أيضاً يتقربون إلى الله عزوجل وهذا تقرب طبعاً مردود عليهم، سماع بقى الملاهي والرقص والاحتفالات وكشف الرؤوس والنساء كذا وكذا وهذا ما يجوز، بل أنا أقول لك عشان أبين لك كيف العلماء يضبطون هذه المسألة أيضاً: ما كان قربة في عبادة إذا فعلته في عبادة أخرى ليس فيها نص فليس بقربة، تاني ما كان قربة في عبادة لا يكون قربة في عبادة أخرى مطلقاً، أنا آتيك بالدليل أفضل عشان أقربه، (عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :بَيْنَما النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَخطُبُ إذ رأى رَجُلًا قائِمًا في الشَّمسِ، فسَألَ عنه، فقالوا: هذا أبو إسرائيلَ نذَرَ أنْ يَقومَ ولا يَقعُدَ، ولا يَستَظِلَّ، ويَصومَ ولا يَتَكلَّمَ، فقال: مُروهُ فلْيَقعُدْ، ولْيَستَظِلَّ، ولْيَتكلَّمْ، ولْيُتِمَّ صَومَهُ.) أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعد ويستظل وترك الصوم، القيام عبادة في الصلاة لما تقف في الصلاة "وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ" القيام عبادة قربة في الصلاة فهو أراد أن يأخذ القيام ويتقرب به إلى الله يفضل واقف والصوم قربة وأراد أن يصوم فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ قربة في عبادة وضعها في غير محلها أمره أن يجلس يقعد وأيضاً أن يبرز إلى الشمس يعني يستظل وترك له الصوم، فهنا العلماء قالوا ليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقا، وهذا البعض يقع فيه بعض المتصوفة هو فاهم أن من التصوف والتعبد إنه ما يستحماش مثلاً طول عمره، لا يتنظف أو يفضل قاعد في الشمس في السطح طول اليوم مثلاً وغير ذلك من الأمور، وهذه النبي صلى الله عليه وسلم أنكرها على الرجل يبقى المسألة هنا ماذا؟ أن لو كان قربة في عبادة حتى تفعلها في عبادة أخرى لابد لك من دليل

أيضاً، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ترك له الصوم لأن الصوم ليس به إشكال وأمره أن يقعد ويستظل. منها أيضاً الصوم عبادة لكن يصوم يوم العيد عيد الفطر أو يوم الأضحى أو أيام التشريق والصوم منهي عنه فيصوم في هذا الوقت مع أن الصوم عبادة في وقت لكن في هذا الوقت ليس بعبادة فالبعض أيضاً يخطئ، هذه من فوائد القاعدة بأنك تقول بأنه ليس ما كان قربة في عبادة يصح أن يكون في عبادة أخرى مطلقاً لكن لابد هنا من الدليل منها أيضاً مسألة الأذكار ويبين لك ذلك حديث البراء بن عازب لما النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبين لك أن الأذكار عبادة توقيفية وادي مسألة بقى ايه؟ لأنها انتشرت كل شوية تلاقي رسالة نازلة لك الشيخ الفلاني -يعني من شيوخ لهم قدر مثلاً توفي أو شيخ -كان بيدعو بهذا الدعاء وينزل لك الدعاء حتى شيخ الإسلام ابن تيمية نقلوا عنه أشياء من كتبه أنه كان بيدعو بها مثلاً ويضعها رسائل ويرسلها لك والذكر هذا الذي بدأ به ابن تيمية حتى ولا فلان ولا فلان ولا فلان هو يدعو به لنفسه، في أذكار جاءت في السنة وهي توقيفية وفي أدعية أنت بينك وبين ربك ادعو كما شئت فالأذكار التي جاءت في السنة لا يجوز تغييرها. ** **فلما جاء بحديث براء بن عازب لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلمهم الحديث فقال له ورسولك الذي أرسلت؟ قال له لا بل ونبيك الذي أرسلت قال له اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا ونبيك الذي أرسلت لأن الذكر نفسه قال فيه ونبيك فالبراء بن عازب لما أراد أن يكرر الذكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال ورسولك الذي أرسلت قال لا ونبيك الذي أرسلت** **

النووي في ذلك قال في كتاب الأذكار قال فإن في غيرك أن ألفاظ الأذكار لابد أن يحافظ عليها كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن هذا الذكر توقيفي فالنبي صلى الله عليه وسلم ما قَبِلَ مع أنه رسولك ونبيك يعني المسألة أحياناً بين الرسول والنبي عموم وخصوص أو ممكن يكون في ترابط في بعض لكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لهم أن هذه الكلمة التي نزل فيها الذكر؟ فدل ذلك على أذكار توقيفية تستنبط من كده أن ما ورد في السنة لا تغيره تقول كما نزل من صح منه تقوله ومن ضعف منه تبين وغير ذلك لكن هل لأحد أن ينشأ ذكراً ويعممه ويقول للناس اتبعوني فيه؟ حتى ابن تيمية الذي ورد عنه بعض الأذكار*** أن هذا لا يصح نقل الأذكار عن بعض أن هو مثلاً في بعض يقول لك قلت في سفر حدث معي كذا فرددت آية كذا ففرج الله عني فهو استعمل القرآن وتأوله وحدث هذا خير لكن هل تقول بقى سنة أن ابن تيمية كان في سفر فقال ذلك فحدث كذا أو أنه كذا ..من أراد أن يفعل هذا فليفعل لكن أنه في الآخر تأول القرآن أو دعا بدعاء وجد فيه قبول عند الله عزوجل لكن أن يؤخذ ذلك ويجعل أنه سنة هذا خطأ أو حتى ينشر أكثر مما ينشر أدعية النبي صلى الله عليه وسلم وهذه كثير ما بتجدها الآن بييجي وقت المواسم يبدأوا يطلعوا لك الرسائل الخاصة بابن تيمية قال الإمام الفلاني قال، وهذه كلها مفسدة عظيمة جداً تعلق الناس بذكر غير ذكر الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم يتركوا السنة وطبعاً ناهيك بقى عن بعض الكلمات أحياناً بتكون فيها لو لم يكن من علماء أهل السنة والجماعة لا فيها مخالفات أصالة فهم فلذلك العلماء قالوا أن الأذكار هنا توقيفية أيضاً لابد يلتزم بها الناس ولا يصح أن أحد يدعو الناس إلى ذكر ما أو يبين أو يعني ينشروا على ذلك بل يقتصر على اللفظ الوارد أيضاً، حتى أنه ليس لأحد يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنونة ويجعلها عبادة راتبة يواظب عليها الناس كما يواظبون على الصلوات الخمس بل هو ابتداع دين لم يأذن به الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً حتى لا يظن أحد خطأ بل إننا بنقول ادعو بما شئت بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة وهذا الإشكال اقتطاف بعض الأدعية التي وردت في بعض الكتب للعلماء وجعلها

إرسالها هذا فيه نظر لأن أصبح الناس من الجهل بمكان يخلط عليهم قول من هذا ولا سنة ولا غير سنة فضلاً أنه يكون فيه مخالفات عند بعض هؤلاء.

طيب القاعدة هذه من فوائدها فرقت لنا بين العادات وبين العبادات، وهذه مسألة مهمة كما بينا في أول الكلام قلنا أن القاعدة على العبادات أن العبادات توقيفية ولذلك فيه فارق بين العادات والعبادات، العادات البيع والشراء تبيع وتشتري تؤجر تفعل ما شئت هذه كلها معاملات ما دام لم تفعل فيه شيئاً منعه الشرع والأصل فيه الإباحة أما العبادات الأصل فيها التوقيق والأمر من الله عزوجل والأصل في العبادة الحرمة كما بينا قد تصل بالعبادة إلى الفساد والبطلان حتى يأتيك الدليل والأصل في المعاملات الحل والعادات الحل على ما تعارف عليه الناس وكان من عادة الناس إلا أن في يأتي الشرع ما يمنع كما أتت نصوص تمنع مثلاً بيع الربا وبيع الغرر وبيع الضرر وبيع النجاسات والخمر والميتة أو الخنزير أو النهي عن الكذب طبعاً والغيبة والنميمة إلى غير ذلك من الأمور فنقول هنا القاعدة فرقت بين ما كان عادة وما كان عبادة كلامنا كله في العبادات التي هي ضدها هنا البدع وأما في العادات فالأصل فيها كما قلت أنه الجواز أو العفو كما يقال، أصل في العادات العفو والأصل في العبادات التوقيف.

طيب هذا الكلام في هذه القاعدة يعني انتهينا منها وبإيجاز حقيقة لأن هذه طبعاً نقود الباب التي نريد فيه من التأصيل وإلا مسألة البدع وأنواعها والأمور فيها كثيرة يعني نحن لا ندرس البدع كبدع نحن بندرس أن العبادة على التوقيف وهذا الباب الذي نأخذه من هذه القاعدة وإلا الكلام في البدع فيه كتب وفيه محاضرات أخرى يستفاض فيها في حينها .

هنمر على قاعدة نحاول إننا نأخذها بقدر يسير يعني ما نتوسع فيها نأخذ القدر الذي نريده وهي تتعرض لأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وهذه المسألة اصلا أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم فعل أصولي يعني يتعرض لها علماء الاصول، ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ما حكمه؟ هل كل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عبادة؟ لابد من التأسي به والقاعدة اعتبار ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم عبادة موقوف على قصده بالتعبد

يبقى بنتكلم عن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم هل كل فعله النبي صلى الله عليه وسلم يعد عبادة ؟ ولنا أن نتأسى به ونفعله أم المسألة فيها تفصيل. لماذا نحن قلنا الكلام هذا؟ قلنا لأنه المستقر في العقول وطبائع البشر ومن فطرت عليه الجبلة أن الناس تتأسى بافعال العظماء، يعني الناس لما ترى حد له قدر وكيان وهيبة بتتأسى بافعاله وتتبعه في ذلك وتحاول أن تقلده في هذا الامر ولا شك أن اعظم هؤلاء على الاطلاق هم الانبياء والرسل الذي انزلهم الله عزوجل وارسلهم وانزل الرسالات وارسلهم إلى الناس واعظم هؤلاء هو النبي صلى الله عليه وسلم بل جاءت الادلة على طاعة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم **(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)** وغير ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو اعظم قدوة وهو يتأسى به في الاتباع

وهو خير متبوع بل جعل إتباعه والسير على منهجه اعظم الطاعات واعظم وافضل القرب يتقرب به المرء أن يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويسير على ما كان يفعله بل أرجى الاعمال التي يتقرب بها إلى الله عزوجل ما كان فيها موافقة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم بل أن الله عزوجل جعل من اعظم خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أن الله فرض طاعته واتباعه على العالم فرضا مطلقا بل اوجب على الناس التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم قولا واعتقادا وفعلا وتركا بلا قيد وبلا شرط وهذا لا يكون إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا استثناء يعني فرق الله

عزوجل بين النبي وبين اولو العلم (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) جعل طاعة مطلقة للنبي صلى الله عليه وسلم وطبعا طاعة مطلقة لله عزوجل وأولي الامر مقيدة أو اولي العلم مقيدة طاعتهم بما كان في طاعة الله عزوجل لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال مطلقا، الله عزوجل فرض طاعته واتباعه على العالم قلت فرضا مطلقا قولا واعتقادا وفعلا وتركا بلا قيود ولا استثناء قال تعالى {مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر : 7] وهذا عام كل ما اتاكم الرسول خذوه وكل ما نهاكم عنه النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن تنتهوا عنه عموم بلا تخصيص قال تعالى أيضاً (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) كما قال بعض السلف أن قوم ادعوا محبة الله فابتلاهم بهذه الاية يعني أن كنتم بتحبوا الله عزوجل فاتبعوني يحببكم الله فجعل علامة محبة الله أن تتبع النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) نعم نحن امرنا بالاتباع والنبي رسول بل هو افضل الرسل لكن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً بشر يعني لو طبيعة بشرية وليست كما النصارى فعلت مع عيسى ولا نقول بذلك بل نبرأ من ذلك، النبي صلى الله عليه وسلم بشر له طبيعة بشرية أو له جبلة انسانية أيضاً فطره الله عزوجل عليها كما فطر باقي الخلق وسائر البشرإذاً له خصائص يأكل ويشرب ينام يلبس يمشي يجلس يتعطر يتطيب يجوع يعطش يأتي النساء إلى غير ذلك يركب الدابة يمرض يموت صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي، له خصائص البشر

وهنا يأتي التساؤل الذي معنا في القاعدة هل مع وجوب الاقتداء ووجوب المتابعة ووجوب الطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم هل هذا الوجوب مطلقا؟ انا قلت نعم مطلقا من وجه لكن لابد أن نبين هنا سنفرق لكم المطلق هذا ما كان في التعبد ما شرع للتعبد وجب علينا مطلقا إتباع للنبي صلى الله عليه وسلم سواء كان بقى واجبا أو مستحبا أو غير ذلك وما نهانا عنه وجب علينا الانتهاء عنه كان محرما ومكروها هذا في جانب التعبد، يعني كل افعاله الصادرة صلى الله عليه وسلم في التعبد هذا الذي وجب فيه الاتباع الذي امرنا بذلك، لكن هو عندنا أفعال أخرى سواء تعبدية أو جبلية أو عادية هذه الافعال كيف نتعامل معها؟ وأيضاً أحياناً يفعلها اتفاقا يعني بقصد اتفاقا أي يفعلها بقصد وأحياناً يفعلها بغير قصد، طيب متى يكون فعل هذا عبادة شرعية؟ فتكون الامة متعبدة إلى الله عزوجل باتباعه في ذلك ويكون فيها الثواب والعقاب، هذه المسألة تكلم عليها اهل الاصول تكلموا في مسألة أفعال النبي صلى الله عليه وسلم طبعاً احنا لن نأخذ المسألة من هذا الباب لأنه ليس نحتاج إليه في الدورة هذه لكن هذه مسألة اصولية لكن هو قسموا أفعال النبي صلى الله عليه وسلم احنا نريد نأخذ الجزء الذي يهمنا في التوحيد في مسألة البدعة والتعبد.

فهم لما تكلموا عن الافعال تكلموا عن الافعال النبي صلى الله عليه وسلم والانواع والاحوال والتقاسيم، مجمل الكلام ألخصه قالوا فعل النبي صلى الله عليه وسلم إما فعل متعلق بغيره يعني هو بيفعل شيء للغير هو فعل متعدي يفعل شيء متعدد أو قاصر عليه واول شيء لو اكتب كده تشجير فعلاً متعدي أو قاصر عليه وفعله القاصر اما يصدر عن الجبلة داعي الجبلة طبيعة بشرية أو جبلة أو اتباعا لعادة أو لتقديره فيه منفعة أو دفع مضرة أو هو تابع للشرع كل هذه انواع للافعال طب فعله التابع للشرع هذا الذي نريده اما معجز أو غير معجز يعني فيه معجزات أو غير معجز طب نوعية الغير معجز وفعله الغير المعجز اما انه يفعله لأنه مطلوب منه خاصة هو يبقى هذا فعل غير معجز لكن خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذه من خصائص النبوة أو هو مشترك بيننا وبينه وهذا الذي نريده والمشترك بيننا وبينه اما يعلم انه متعلق بوحي معين يفعله النبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا المجمل مثل **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** **(صلُّوا كما رأيتُموني أصلِّي)** فيصلي أو مشكل أو لمجرد امتثال الامر الالهي في ذلك الوحي أو لا نعلم تعلقه بذلك هل هو بوحي أو من غير وحي؟

فهذه كلها اقسام ذكرها العلماء بداية من التشجير حتى ما اكرره مرة أخرى لأن الذي نريده فيه أن نفرق بين الفعل العادي أو الجبلي أو الطبيعي الذي هو من الطبيعة الذي لا يدل إلا على الاباحة فقط هذا لن نتعرض إليه والفعل أيضاً الذي فعله من باب الاعجاز معجز للنبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا يعني خاص لا قدوة لنا لا نقتدي به في معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم أو فعل خص به كزواجه من تسعة كوصاله وصاله في الصوم ونهى الصحابة عن الوصال هذه أفعال خاصة به هذه أيضاً لن نتعرض إليها. إذاً ما الذي نريده؟ الفعل البياني الامتثالي الذي نقتدي به وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بقصد التعبد إلى الله عزوجل هذا الذي نريده، بقصد التعبد وليس خاص به وليس معجزاً فإذاً هذا اشترك فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع الأمة، يبقى هو القاعدة بتقول ايه؟ أن المرجع باعتبار كون الفعل الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم عبادة هو تضمنه بقصد التعبد. وهذا الذي نريده هنا يبقى هننظر لافعال النبي صلى الله عليه وسلم أن فعلها بقصد التعبد هذا هو الذي نريده في وجه الاتباع والذي نؤجر عليه والذي لنا فيه الاجر والثواب بفعله وقد يكون لنا العقاب في تركه إذا كانت المسألة على الاوامر والنواهي، إذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على وجه العبادة والتقرب إلى الله كان حق في هذه الامة وما فعله بحكم الجبلة والعادة الدنيوية لم يقصد به تعبدا ولا تشريعا للامة فلا يدخل في حكم العبادة. إذا المسألة ترجع لايش؟ إلى النية في القصد والقرائن فلو وجدت أن هذا الفعل دفاعا عن النبي وسلم صلى صام مثلاً جاهد في سبيل امر بالمعروف ونهي عن المنكر إلى غير ذلك من هذه الافعال التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان فعلها بقصد التعبد فهي عبادة ويتأسى بها الامة، لكن كان يحب اكل الكتف من الشاة كان يحب الدباء كان يحب الطيب كان يحب النساء صلى الله عليه وسلم، نعم الطيب من الجبلة صحيح وفيه ادلة بالتطيب لكن نتكلم هو كان يحبه واحنا سنأتي بجانب اخر أن هناك الافعال التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة كانوا يحبون أن يفعلونها ليست على سبيل التعبد ولكن على سبيل المتابعة من شدة حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتابعونه وكان ابن عمر أكثر ما كان يفعل ذلك وإن كان الصحابة بعضهم انكر عليه هذا الامر يعني شدة وزيادة كان ما يترك موطن نزل النبي صلى الله عليه وسلم إلا ينزل فيه وأنس رضي الله عنه قال لما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء في القصعة أحببت الدباء(القرع)، فانظر احبه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويتتبعه يأكله، أحبه لذلك مع أنه هذا فعل جبلي عادة النبي صلى الله عليه وسلم يحب نوعاً من الطعام ولم يرضى أن يأكل من الضب لما وضع الضب أمامه فصاحت إحدى زوجات النبي

صلى الله عليه وسلم قالت اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بما يأكل فقال ما هذا؟ قال ضب فرفع يده وكان معه خالد بن الوليد رضي الله عنه بجانبه فنظر خالد للنبي صلى الله عليه وسلم قال كل إنه ليس بحرام ولكنه لم يكن بأرض قومي فإني أعافه يعني مش واخد عليه مش بيبقى موجود في أرض قومه فلم يأكل فخلاص علم خالد أنه ليس بمحرم نزل على القصعة والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ويتعجب كيف خالد؟ يعني هتك القصعة نزل عليها أكل بس هو نظرا لما وجد رفع يده هذا فعل لعله تحريم وقال لا كل ثم بين له أنه يعافيه لم يكن بأرض قومه يعني الجبلة والعادة عنده لا يحب أن يأكله فنزل خالد أكله رضي الله عنه

والمقصود هنا ايش؟ إن التعبد يكون بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به في فعله وتركه -لو ترك شيئاً أيضاً- موقوف على نيته وقصده من الفعل وهذه هي القاعدة التي يعني نريد أن نبين معناها في ذلك

طيب ممكن نستدل على هذه القاعدة؟ بالآية قول الله عزوجل (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)طب ما وجه الدلالة من الآية؟ كيف نستدل بها على القاعدة ؟ أن التعبد إلى الله بظاهر

الفعل النبوي انتبه أن التعبد إلى الله بظاهر الفعل النبوي الذي لم يقصد به النبي صلى الله عليه وسلم التعبد ولا نيل القربى من الله يعتبر من المشاقة للرسول وعدم المتابعة، إذ المتابعة لابد فيها من الإتيان بظاهر الفعل مع الموافقة في القصد والنية، تاني العبادة هتبقى حتى يكون الفعل صحيح لابد تأتي بالظاهر مع القصد يعني ستكون متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم بأن تأتي بما فعله النبي مع قصد النبي، صلى يبقى أنت وأقام للصلاة قام للصوم قام للصدقة للجهاد فتأتي بالظاهر مع القصد. فالآية بتقول ايش؟ إنه من يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى يعني جاءك الهدى من النبي صلى الله عليه وسلم أو جاء من الله عزوجل ويتبع غيرسبيل المؤمنين يقصد هنا انك لابد حتى تتعبد حتى لا تكون مشاقاة للرسول صلى الله عليه وسلم

جاءت في الآية لابد أن تلتزم بالظاهر بالتعبد و بالباطن فالظاهر في الفعل الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وبالباطن بالقصد والنية وإلا يكون هذا مشاقاه لله عزوجل وللنبي صلى الله عليه وسلم، يعني لو تعبد إلى الله بشيء جبلى لم يقصد به النبي صلى الله عليه وسلم يعني يقول أنا أتعبد إلى الله بأكل القرع ماهو القرع ؟الدباء هذا فعله النبي صلى الله عليه وسلم جبلة فلا يجوز أن تتعبد إلى الله بذلك، تقول أنا أتعبد إلى الله بأكل الدباء أو اتعبد إلى الله بترك الضب، النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك أكل الضب عبادة وما أكل الدباء عبادة هذا خطأ لأن هنا العبادة فعلاً أو تركا مع الظاهر لابد من القصد وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لم يكن للعبادة بل كان جبلة، لكن ممكن تقول أنا اتعبد إلى الله بحب النبي صلى الله عليه وسلم فأفعل ما كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم لكن ليس فعل أكل الدباء وترك الضب هو نفسه عبادة فهمتم الفارق؟

استدل بحديث المعرور بن سويد قال خرجنا مع عمر رضي الله عنه وأرضاه كانوا في الحج وكان تقريبا آخر حجة لعمر رضي الله عنه قبل مقتله فقرأ بنا في الفجر قوله تعالى :(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ) [سُورَةُ الفِيلِ: ١] وقرأ فى الركعة الثانية لايلاف قريش

قال فلما قضى حجه ورجع في طريق الحج رأى الناس يبتدرون يعني ايه؟ يجروا كده في مكان يبتدرونه قال ما هذا؟ عمر سأل رضي الله عنه وأرضاه قال ما هذا؟ قالوا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني كان في طريقه فصلى فيه فالناس علموا أن النبي كان يصلي في هذا المسجد فابتدروا هذا المسجد فقال عمر رضى الله عنه (هكذا هلك أهل الكتاب) عمر لما رأوا يفعلون ذلك قال (هكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بيع) البيع هو المكان الذى كانوا يصلون فيه قال عمر (من عرضت له الصلاة منكم فليصلي وما لم تعرض له الصلاة فلا يصلي) وهذا كلام ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ما الشاهد هنا؟ أن عمر أنكر عليهم لماذا أنكر عليهم؟ مع أنه سأل أنتم ليه متسارعون لهذا المكان لتصلوا؟ قالوا مكان صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم لو كان هذا المكان معظم كمسجد لبينه الشرع لكن الشرع بين أن المساجد المعظمة ثلاثة والرابع قباء فيه أجر الصلاة فيه يعني بقدر عمرة(من صلى ركعتين)الحديث (لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا ومسجد بيت المقدس) فإذاً كون النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه وقف فصلى في مكان لم يفعله تعبداً جاء وقت الصلاة فصلى كما نزل في الحج في كتيبة لما دخل مكة جلس في كتيبة أربع ايام هل كل واحد هينزل الحج هيروح يجلس في كتيبة تباعاً؟ لا. النبي صلى الله عليه وسلم كان أقرب له في المدينة فنزل أياً كان وليس من سنن الحج أنك تنزل فيما نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف حتى على عرفة قال وقفت هنا وعرفه كلها موقف حتى لا يظن الناس بأن هذا الموقف هو سنة واتباع، إذن عمر يقول لهم ايه؟ هنا أنتم عظمتم شيء لم يعظم فهكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً وهذا خطأ ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم فعله تقصدا لقلنا أنه يقصد هذا المكان فصلى فيه فأراد أن يجعل له خصوصية وهذا لم يحدث، الذي حدث أنه كان يمر فصلى فيه في طريقه فاذا أنت لست لك تأتي بهذا المكان وتقصد الصلاة فيه لماذا؟ لأن هنا الفعل لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم على وجه التعبد لأنها عبادة إذن النزول في هذا المكان لم يكن عبادة لكن الصلاة عبادة طبعاً النزول في هذا المكان ليس بعبادة إذا فعله ليس بقصد التعبد فليس لك أن تتعبد به وهنا أنكر عمر عليهم ذلك

لذلك نقول قاعدة لماذا نحن نفرق بين ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بقصد التعبد فهو قربة وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ليس بقصد التعبد فهذا لا يكون اتخاذه قربة ؟بل قد يؤدى إلى الابتداع أنك تخص هذا المكان بصلاة فكل مرة أنت معدي هتقف في هذا المكان تصلي أنت هنا خصصت هذا المكان بصلاة

فاكرين الأمور الستة الذي تكلمنا عنها في القاعدة الأولى أن جعلت المكان هذا مخصص فوقعت هنا في البدعة لذلك هذا من الأدلة على هذه القاعدة ولكن لو جاءك الدليل أن النبي تقصد ذلك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الحج في المشعر الحرام كانت قريش في الحج تنتظر عند المشعر الحرام كما جاء في قوله تعالى :(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ) (سُورَةُ البَقَرَةِ:)١٩٨ فكانت قريش تقف حتى تشرق الشمس ثم ينفروا إلى منى في الجاهلية فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخالفهم فعجل بالفجر صلاها بعد الأذان مباشرة ودعا حتى عند الاصفرار نفر إلى منى ولم ينتظر حتى الشروق ليخالف ما كان يفعله أهل الجاهلية فاصبح هذا الفعل في هذا المكان هذا الفعل سنة إنك

تفعلها هكذا لأنه قصد ذلك، أيضاً كانت قريش تعظم نفسها عن باقي العرب وكانت تطلع إلى عرفة يوم العاشر وتجعل باقي العرب يحجون إلى عرفة يوم التاسع يعني يجعلون خصوصية فالنبي صلى الله عليه وسلم لما حج خرج على عرفه التاسع حتى قالوا ما ترك شيء إلا خالفنا فيه هذا وهذا أصبح مقصود هنا، إذا الفعل جاء فيه قصد التعبد في زمان أو مكان هذا الذي فيه قصد التقرب أما إن فعله ليس تقرباً إلى الله عزوجل فهذا ليس فيه قصد التقرب فلا يكون فيه إتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا المقصود متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به المعتبر شرعاً بالاقتداء به وموافقة في صورة العمل الظاهر مع المشاركة له في القصد والنيه اما موافقة الظاهر بدون المشاركة في النية فليست من المتابعة ولا التأسى والعكس أيضاً أن النية بعدم الموافقة في الظاهر ليست هذه المتابعة وليست من التأسي لابد من الإثنين معاً،كما قال الشاطبي (التأسي إيقاع الفعل على الوجه الذي فعله)

طيب من الأهمية في هذه القاعدة إحنا بنركز لماذا نفرق بين الأفعال الجبلية والعبادة ونشدد على أن الأفعال الجبلية والعادة ليست من العبادة لأن الثمرة ستكون ماذا؟ التقرب إلى الله بفعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي فعله بدافع الجبلة والعادة ولم يفعله تعبداً سيؤدي إلى تبديل الشريعة وإحداث في الشريعة ما ليس منها فتكون أدخلت في الشريعة عبادات ليست عبادات وهذا يؤدي إلى تبديل الشريعة لذلك العلماء حرصوا على التفرقة ليش؟ حتى لا تتبدل الشريعة فيكون هذا من باب تبديل الشريعة واعتقاد ما ليس بعبادة أنه عبادة وما ليس بسنة أنه سنة وكذلك كما في الفعل في الترك فما تركه النبي صلى الله عليه وسلم على وجه العادة والعبادة أو العرف هذا أيضاً يعامل نفس المعاملة لذلك نقول لماذا اشتد العلماء في هذه المسألة حتى لا يؤدي ذلك إلى تخليط بين أفعال العبادة وأفعال العادة فيؤدي إلى اختلاط الشريعة بذلك.

سؤال من الطالب عن العمامة؟ إجابة الشيخ العمامة من هيئة اللباس من الجبلة لا مش عبادة والشعر أيضاً مش عبادة من الأفعال الجبلية لكن في هيئة للشعر قال صلى الله عليه وسلم: (احلِقْهُ كلَّهُ أو دعْهُ كلَّهُ) يعني جاء هذه سنة أخرى لكن سنه النبى صلى الله عليه وسلم في شعره هذه فعل جبلى له أو عادة فيه ليس عبادة لنا كالأكل والشرب واللباس وغير ذلك.

فوائد القاعدة :

أول شيء عدم شرعية العبادة في الأماكن والأزمان التي تعبد فيها النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يتقصد تلك الأماكن ولا لم يتقصد تلك الأزمنة ولا تلك الأماكن يعني إذا حصلت له هذه العبادة بحكم الاتفاق أن يوافق نزوله مكان معين أو بزمان معين لكن انا أسألكم سؤال: جاء في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الله يوم الإثنين فلم يستجيب له ثم دعا الله يوم الثلاثاء فلم يستجاب له فدعا الله يوم الأربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له دعا بأمر وقال الصحابي فما زلت اتحرى هذا الوقت في الدعاء يوم الأربعاء ما بين الظهر والعصر، طيب النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الإثنين ما استجيب له دعا الثلاثاء ما استجيب دعا الأربعاء استجيب له وحُدِدَ الوقت ما بين الظهر والعصر لذلك من السنة أن في هذا وقت استجابة سؤال؟ الاربعاء من الظهر والعصر ما الذي جعلنا نقول بسنية الدعاء يوم الأربعاء ؟ ولم نقل بأن المسألة موافقة فقط لحديث عن جابر رضي الله قال : (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا في مسجدِ الفتح ثلاثًا يومَ الاثنينِ ويومَ الثلاثاءِ ويومَ الأربعاءِ، فاستُجيبَ لهُ يومَ الأربعاءِ بينَ الصلاتَينِ فعُرِفَ البِشرُ في وجهِهِ، قال جابرٌ : فلم ينزلْ بي أمرٌ مهمٌّ غليظٌ إلا توخَّيتُ تلكَ الساعةَ فأدعو فيها فأعرفُ الإجابةَ) أن الذي جعلنا نرجح أن المسألة هذه ليست موافقة هكذا، تحري جابر بعد ذلك

أن يفعل فعلمنا أن الصحابي فهم بأن هذا الوقت مقصود طبعاً المسألة ليست في مسجد الفتح المسألة في الزمان فقط لأن الذكر للفتح هذا وصف فقط لكن هو تحرى الزمان بعد ذلك فعلمنا بأن الصحابي هو الراوى للحديث وعندنا قاعدة حديثية (أن الراوي أعلم بما روى) احفظوها القاعدة (هو الذي روى هو الذي فسر) وتفسير الراوي مقدم على غيره الصحابي الذي روى الحديث تفسيره يقدم وكمان أيضاً فعله موافق لتفسيره فليس عندنا خلاف، أنا أردت بالمسألة هذه أبين أن المسألة لابد فيها أيضاً من تمحيص النظر والنظر في الأدلة لكن عندنا أصل الآن بأنه لو كانت وفاقاً أو اتفاقاً وليس تقصداً يبقى هذا لا يكون هنا عبادة قربى لكن لما الصحابي روى الحديث وحدد الساعة وقال (أتحرى هذه الساعة فأعرف الإجابة) علمنا أن هناك في فضل في هذه المسألة وليس هناك مخالف للصحابي في ذلك وقلنا بأن هذه من أوقات الإستجابة التي قد يغفل عنها البعض فيها.

فاإا القاعدة هنا تبين عدم شرعية العبادة بالاماكن والأزمنة التي تعبد فيها النبى صلى الله عليه وسلم إن لم يتقصد تلك الأماكن طيب هذه فائدة.

الفائدة الثانية أن العبادة لا تكون عبادة إلا بقصد المعبود والتعبد إليه وطلب القربى والثواب منها وهذا طبعاً لا يكون إلا لله عزوجل.

كانت هذه آخر القاعده كان في قاعدة أخرى لكن لا يستطيع الوقت أن ندخل فيها لكن إحنا أخذنا اليوم قاعدتان أسأل الله عزوجل أن يكون فيهم الإفادة فقبل أن نختم لو في اسئلة لكل الحضور، سؤال من طالب هل ترك النبي صلى الله عليه وسلم يعد تشريعاً؟ فمن أتى بشيء تركه صلى الله عليه وسلم يعد بدعة؟ لا دي طبعاً فيها تفصيل وهذا تتعب المبتدعة الصوفية وغيره، أولاً الترك كالفعل فنعم فيه تفصيل إن ترك شيئاً والسبب موجود أو المقتضي موجود والمانع منتفي وترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفعل دل ذلك على أن الترك هذا مقصود فلا يجوز لأحد أن يفعله فالترك فيه تفصيل لكن ممكن يترك أشياء لم يكن المقتضى لها موجود، يعني مثلاً ترك جمع القرآن في زمانه صلى الله عليه وسلم لماذا تركه؟ المقتضي لم يكن موجود ليش؟ لأن هناك مانع؟ نعم وهو نزول الوحي الوحي كان بينزل نزل الوحي وانتهى وبعد ذلك توفي النبى صلى الله عليه وسلم طبعاً يأتي أحد يقول اهو جمع القرآن بدعة وهو صحيح أبو بكر لما قيل له اجمع قال لك كيف أفعل شيء لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم؟ وهذا يبين لك أن الصحابة كانوا ينظرون لفعل النبي ما فعله يفعلون وما ترك لا يفعلون لكن لما قيل لأبو بكر المصلحة بتقول كذا وكذا في أول الجمع لأن الجمع الأول كان في زمن أبو بكر ثم الجمع الثاني في زمن عثمان رضي الله عنه لما حدثت فتوحات مختلفة الاعاجم بالعرب وحصل الاختلاف في القراءات فأراد أن ينفع الناس لكن هنا كان ايش؟ المقتضي مش موجود أو قد يكون فيه مانع فلازم نفصل بالمسألة هذا لسؤال درس لوحده وطبعاً بنشرحه في الاصول وفي غيره طبعاً هو باب السنة والبدع لكن الدراسة هنا لم يكن فيها تأصيل هذا انا لم اشير إليه لكن هنا نقول الضابط أن يكون (المقتضى موجود والمانع منتفي والنبي صلى الله عليه وسلم تركه ولم يفعل فهذا لا يصح لأحد أن يأتي بعد ذلك ويفعل) لكن لو كان المقتضي لم يكن موجود وقتها أو كان فيه مانع والمانع زال بعد ذلك كما مثلاً عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا أن قومك قريب عهد لهدمت الكعبة وبنيت على اصول إبراهيم، خشى النبى صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك في هذا الوقت كان لسه أهل مكة داخلين في الإسلام بعد الفتح خشي أن يحدث ردة أو القلوب تتغير لما تشوف الكعبة مهدومة ويبنيه من جديد يعني هذا بيغير كل ما كان سابقاً ومع ذلك جاء ابن الزبير وبناها على قواعد إبراهيم طب هو ايه الذي منعه في الأول؟ كان في مانع والمقتضي كان موجود أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يجعلها على قواعد إبراهيم لكن كان فيه مانع فما فعل جاء بعد كده الصحابة وفعلوا أو ابن الزبير وإن كان في خلاف هل

الذي فعله ابن الزبير كان صائبا أم لا؟ لأنه رجع بعد كده الحجاج ونقضها ورجعها مرة أخرى المهم ماذا؟ المنع انتفى ففعلوا، فهي المسألة لابد ترجع لهذا الأصل هذا الأصل في المسألة طبعاً تفصيلا له كلام كثير (ليس كل ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم ويفعله من بعده يكون بدعة) لأن هناك أمور كما بينت كجمع القرآن وغيره يعني أنه على حسب التفصيل الذي بيننا.

طيب نعم سؤال طالب؟ يعني أنت تقصد أنك تريد أن تجعل بعض الأعمال المباحة أن تتقرب بها إلى الله أو تجعل نيتك فيها مساعدة فتنقلب من المباح إلى مستحب أو واجب على حسب الفعل؟ يعني أنت مثلاً طبيب، الشافعي يقول لو كنت أمر أحد أن يعمل شيئاً أو يتعلم شيئاً من علوم الدنيا لأمرته بالطب، فكان العلماء يرون أن الطب أعظم الأعمال التي يتقرب بها لأن الله عزوجل بيجعل الطبيب سبب في أنه يكون سبب في الشفاء ويعالج الناس طبعاً الاطباء لابد يكون عندهم هذه الاستحضار فممكن الطبيب هذا بيطلع سنين من عمره في الدراسة سنوات طويلة إن استحضر في علاجه للناس طبعاً معناه أنه يخلي الكشف بخمسة جنيه بس ليس خمسمائة جنيه وإنه لا يتاجر بل أحيانا يكشف علي الناس يعني مجانا وفى دكاترة بيفعلوا ذلك اقصد أن هو ممكن يتقرب بهذا العمل إلى الله عزوجل وياخد عليه أجور لكن طبعاً هذا يحتاج لقصد ونية وفعل لأن عمله هذا فيه شفاء فهو سبب شرعي، لكن هناك بعض الناس عندهم إشكالية أنهم فاهمين أن أعمال الدنيا عبادة يقول لك العمل عبادة يعني المهندس والمدرس عملهم عباده، لا نقول هذه أجور مباحة دي أفعال بتفعلها أنت فهناك فرق بين تعلم العلم الشرعي وعلوم الدنيا الفضل الذي جه كله في القرآن في علوم الشرع والعلماء المقصود بهم علماء الشرع نعم ليس علم الدنيا هذا الذي يتعبد به إلى الله عزوجل ولكن علم الدنيا هو وسيلة ،وسيلة مثلاً لكسب الرزق وسيلة لكسب المال وسيلة ممكن تتقرب بها إلى الله إن كنت اخلصت وأن كنت أمينا وكنت مثلاً تراعي الله عزوجل في أمور في عملك فتؤجر عليها، لكن علوم الدنيا هي للدنيا هي وسيلة فقط أنك ممكن تصل بها إلى أجور في الاخرة لكن علوم الشريعة هي المقصد.

كان بعض السلف يقول (إنى أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي) يعني بينام بنية أنه بيقوم لله لكن إشكال بعض الناس بتمارس بالدنيا وهو قعد ليل نهار يشتغل ويقول بحتسب الشغل هذا الرد لأ ما هو أنت مطالب بفرائض ومطالب بمستحقات ومطالب وبعبادات أخرى قال تعالى : وما خلقت الجن والانس إلا ليعملون لا ليعبدون مش يكتسبون المال مش يسهرون الليل في كذا لا للعبادة لكن طبعاً المقصد له وسائل طب تحتاج إنك لكي تعبد الله؟ ممكن يكون لك وسيلة رزق ووسيلة كذ وكذا غير وسائل أخرى تعينك على العبادة لكن المقصد هو العبادة ليس أن احصل الأموال للدنيا مش المقصد أن أنا أجيب الذرية فقط مش المقصد أن أنا اتزوج النساء فقط هذا مباح لكن المقصد هو العبادة، الوسائل هذه التي تعينك على العبادة لا حرج بل هي مطلوبة لكن لا يتحول الوسيلة لمقصد، فهذه الاشكالية الذي عند البعض حتى الجهاد نفسه هو وسيلة لحفظ الدين الجهاد نفسه ليس مقصدا الجهاد وسيلة لنشر الدين وحفظ الدين، فبالتالي الذي يجاهد سيجاهد للمقصد الإشكال الذي بعض الناس يحولون الوسائل لمقاصد وهذا من الخطأ الشرعي القاعدة التي إحنا وقفنا عندها دي كانت تخص (الوسائل لها أحكام المقاصد) وهذه دورها في مسألة العقيدة لأنها قاعدة عامة جداً مهم جداً تضبط ما هي المقاصد وما هي الوسائل؟ والتركيز يكون على المقصد وما يؤدي إليه، بعض الناس بقى تركت المقاصد واشتغلت في الوسائل فقط مثال إحنا في العلم الشرعي عندنا علوم بيسموها علوم الآلة هذه وسيلة تتعلم مصطلح حديث أو أصول فقه أو اللغة، مثال تجد مثلاً أخ دخل في اللغة قعد عشر سنين في اللغة يا حبيبي اللغة دي وسيلة لغة العرب وسيلة لو أنت طالب علم ومتقن هتبقى هتتعلم اللغة تكون وسيلة لك مع أصول الفقه والقواعد الفقهية والمصطلح الحديث في ضبط الفقه وأمور أخرى. فأنت لما تقعد في الوسيلة دي عشر سنين يبقى أنت خلاص تريد تبقى في اللغة خلاص خليك عالم لغة لكن ما تتكلمش عن العلم الشرعي انت بتستخدمه كوسيلة لفهم

كتاب الله وسنة رسوله والمصطلح يقعد في المصطلح الحديث ست سنين سبع سنين يخلص كل كتب المصطلح ولا يفقه شيء في الفقه ولا حكم آية واحدة ولا حكم مسألة واحدة في الفقه يقول لك اسألني بس في الحديث هذا كذا ولا كذا قلت ماشي أنت في بابك متخصص لكن أنت لست بطالب علم شرعي يعني لن تفيد إلا في هذا الباب. ففى بعض الأخوة بتنشغل جداً بعلوم الوسائل وتترك علوم المقاصد الذي هو العقيدة أصلا والفقه وتعليم الناس ومقاصد الشريعة وغير ذلك مع أن المقصد وسيلة شرعية مش هقول لك غير الشرعية لكن هو هنا الفقيه هو الذى يفهم ما هي المقاصد؟ ما هي الوسائل؟ ويركز على المقاصد ويستفيد بالوسائل لتحديد المقاصد هذا هو المهم أصالة.

أحسن الله إليك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا اله إلا انت استغفرك واتوب اليك جزاكم الله خيراً السلام عليكم

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة الثالثة عشرة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

موعدنا مع برنامج دراسة العقيدة وما زلنا في المرحلة التأسيسية في ذكر قواعد في فروع أو في أبواب العقيدة المتعددة، كنا قد بدأنا قواعد في أركان التوحيد وأنواعه وأقسامه وتوحيد الألوهية وقواعد في الأسماء والصفات ثم دخلنا في قواعد توحيد العبادة، من ضمنها كنا قد بدأنا الاسبوع الماضي قواعد في البدع، أخذنا قاعدتين في البدع وتبقى معنا قاعدة نختم بها الكلام عن قواعد البدع حتى ندخل بعدها قواعد (ما يضاد توحيد العبادة وهو الشرك).

وقد تبقى معنا في القواعد الخاصة بالبدع قاعدة عظيمة جداً وإذاً من أهم القواعد ليست في هذا الباب فقط بل في الشريعة بالكلية، وهي قاعدة "الوسائل لها أحكام المقاصد" وكما قلت هذه القاعدة تجد لها تطبيقات في كل أمور الدين والشريعة ، واعتنى العلماء أشد العناية بها لأنها من استقراء مما جاء في الشريعة من الآيات والأحاديث، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد في الشرع، فالشريعة جاءت بأن هناك مقاصد شرعية فرضها الله عز وجل من هذا الدين ومن هذه الشريعة طبعاً، أعظم هذه المقاصد هو حفظ الدين وحفظ النفس التي خلقها الله عز وجل، وحفظ المال وحفظ العرض أو النسب أو النسل كل هذه مقاصد الشريعة، من مقاصد الشريعة تحقيق العدل بين العباد، من المقاصد الشريعة عبادة الله عز وجل "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" والشرع جعل لهذه المقاصد وسائل يتوصل إليها سواء كانت في العبادات أو في غيرها، المرء حتى يصل إلى المقصد الذي يريده الله عز وجل، وحتى لو كان المقصد دنيوياً؛ شاب يريد أن يكون طبيباً كيف يكون طبيباً؟ لابد أنه يدرس اثني عشر سنة في المدارس ثم يدخل كلية الطب فيدرس، فإن أراد أن يتخصص يكون جراحاً أو طبيب عيون فلابد أن يتخصص ويكون عنده دراسات حتى يصل إلى المقصد أن يكون طبيباً جراحاً مثلاً، مهندساً أو أي شئ وإن كان مقصداً دنيوياً لكن له من وسائل تحققه، فأي مقصد سواء كان مقصداً في مقاصد الدنيا أو كان مقصد من مقاصد الآخرة، المرء إذا أراد رضا الله عز وجل لابد أن يأتي بالوسائل التي تحقق رضا الله عز وجل عنه إذا أراد أن يحبه الله عز وجل وهذا مقصد يأتي بالوسائل التي تحقق هذا المقصد.

والفائدة كما سيأتي معنا في هذه القاعدة، ما فائدة هذه القاعدة في هذا الباب الذي معنا؟ نحن قلنا بأن حفظ الدين مقصد، وتوحيد العبادة مقصد، إذاً لابد لنا من معرفة الوسائل التي تحقق العبادة وهي الوسائل الشرعية ورد الوسائل التي تأتي بنقيض توحيد العبادة وهي البدعة مثلاً فنمنعها ، فيكون هناك ارتباط بين قاعدة (الوسائل لها أحكام المقاصد) وقاعدة (سد الذرائع) وهي قاعدة عظيمة جداً أيضاً فالعلماء جعلوها دليلاً من أدلة اصول الفقه عند المالكية وإن كان بعض المذاهب لا يعدوها دليلاً لكن يعملون بها وإن لم يكن لك دليل وهي قاعدة سد الذرائع فتجد ارتباط بين الوسائل وأحكام المقاصد وسد الذرائع خاصة في باب البدع الذي نحن بصدده.

(الوسائل لها أحكام المقاصد) نحتاج نبين ما معنى الوسيلة؟ الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الشيء، وقيل هي المنزلة عند الملك، وهي الدرجة، وهي القربى، وتتبع على وسائل. والمقاصد ما معنى المقصد في اللغة؟ له أكثر من معنى.. هو مادة قصد.. مقاصد مادة الفعل قصد يأتي بمعنى الاعتماد أو الأَمّ ليست الأُم التي هي الوالدة ولكن بفتح الهمزة أو الأَمُّ بتشديد الميم مع الضم ، أم شيء أي قصد الشيء يقول قصده أو قصد إليه إذا أَمَّه يعني ما يتوجه إليه، يقول صلى فتأم القبلة يعني توجه إلى القبلة، يكون هنا تأتي بمعنى الاعتماد أو التوجه وقد يأتي القصد معنى الاستقامة قول الله عز وجل "وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ " وهنا قصد السبيل يعني الطريق المستقيم من الله عز وجل الذي لا اعوجاج فيه، وقد يأتي القصد بمعنى السهولة سهل كقوله تعالى " لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا

مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" هنا يقصد لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً يعني سفراً سهلاً قريباً كل هذه معاني في اللغة بمعنى القصد.

طيب ما معنى الوسائل والمقاصد في الاصطلاح الشرعي؟ ما معناها المقصود بها؟ أهل العلم تكلموا في هذه القاعدة وبينوا الارتباط الوثيق بين الوسائل وبين المقاصد، وأن العلاقة ظاهرة بينهم، فالوسائل هي الطرق الموصلة إلى المصالح والمفاسد، كثير من أهل العلم يعتبرون المقصد في الشرع هي المصلحة والمفسدة، يعني المقصد يقصد به المصالح والمفاسد فإذا المعنى الوسائل لها أحكام المقاصد، إذاً الوسائل هي الطرق الموصلة التي يتقرب بها إلى جلب المصالح أو دفع المفاسد هذا معنى الوسائل لها أحكام المقاصد، كما أن المقاصد عندهم هي المصالح والمفاسد التي اعتمدها الشرع وتوجه إلى الاعتبار والمراعاة فيها، فهنا هو يقصد بأن المقاصد هي المصلحة أو المفسدة التي اعتمدها الشرع أي تحقيق المصالح أو دفع المفاسد، فعل الطاعات أو اجتناب المحرمات، فإذاً الوسائل هنا هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد ، يبقى ايه هو الوسيلة؟ يبقى هي الأفعال التي توصل بها إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة.

يبقى معنى القاعدة (الوسائل لها أحكام المقاصد) يبقى هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المصالح ودفع المفاسد.

آدي معنى الوسائل لها أحكام المقاصد، الفعل الذي أفعله الذي يترتب عليه تحقيق لو كان المقصد هذا مصلحة أو الفعل هذا يترتب عليه إن أنا أدفع مفسدة موجودة.

وممكن نقول بطريقة أخرى هي الطرق المفضية إلى المصالح والمفاسد معنى القاعدة كده، طيب هذه معنى هذه مفردات القاعدة بطريقة مبسطة.

معنى القاعدة نريد أن نبين أمراً، الله عز وجل أنزل قرآناً كريماً وبعث رسولاً عظيماً وجاء بشريعة سمحاء وشريعة كاملة لا نقص فيها ولا قصور فيها، والشريعة هذه قد بنيت على حكم على معاني على غايات، لابد أن نفهم أن كل شيء في هذه الشريعة له حكمة وله غاية من الله عز وجل وله معنى، وأن الشريعة ما أسست إلا على مصالح العباد، ما أسس الله عز وجل أو أنزل هذه الشريعة إلا على مصالح العباد في المعاش في الدنيا وفي المعاد في الاخرة، فإذا ما من أمر من الأمور المتعلقة بحاجة العباد في عبادته أو معاملته أو جميع أمورهم إلا ستجد فيها حكمة، لابد تجد فيها حكمة وغاية ومعنى، لأنها نزلت من لدن حكيم خبير، فإذاً معنى ذلك أن كل الأحكام الشرعية لابد لها من مقاصد ولابد لها من حكم ولابد لها من معاني، وقد حرصت الشريعة على تبيين المقاصد بقدر كبير، وقد نص الشرع أحياناً على المقصد، يعني بين المقصد تصريحاً كما قال الله عز وجل مثلاً " إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ" .علماء المقاصد يقول لك إن المقصد الأساسي للصلاة هو ذكر الله، أنك تذكر الله وذكر الله يأتيك بمنافع قلبية، وأخروية عظيمة، ثم مقصد تابع وهو أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالمقصد الأصلي هو الذي تقصده في الصلاة وهو ذكر الله عز وجل تعظيمه والثناء عليه والحمد لله والتقرب والتذلل والخضوع، ثم يأتي مقصد تابع للصلاة وهو أن الصلاة تنهاك عن الفحشاء والمنكر، كل كام ساعة بتقوم لله تتوضأ وتتطهر وتقف بين يدي الله فحتى لو أذنبت

فستأتي تستغفر وتتوب وتذكر الله فلما تقف بين يدي الله خمس صلوات في اليوم على مدار اليوم تجد أن هذه الصلاة لو صليتها بطريقة فيها الخشوع والتقرب إلى الله تخرج منها وأنت في صلة حتى تأتيك الصلاة الأخرى فتجد الصلاة تنهاك عن الفحشاء وعن المنكر، لذلك من وساوس الشيطان الذي يأتي لبعض الناس ويجعله لا يصلي أنه يقول له إنك تقوم بفعل المنكر أو فعل شيء من المنكرات فيأتي يقول له أنت ازاي وأنت بتفعل الكلام هذا تقف قدام ربنا تصلي.. نعم هذه وساس عظيمة جداً عند كثير من الناس، فأنت بعد الذي فعلته هذا الآن.. تقف أمام ربنا وتصلي؟ هذا لا ينفع، فتجده ييئس المرء أنه يقف أمام الله يصلي بعد ما فعل المنكر وهذا خداع من الشيطان له، لأن الشيطان يعلم أن هذا الذي فعل المنكر لو قام وتوضأ وصلى وذكر الله سيرجع الإيمان لقلبه فيخاف من الله ويخشى فيتوقف عن فعل المنكر، وهو لا يريدك أن تفعل ذلك، فهو كأنه يقول لك (أنت ازاي هتقف كده؟ انتظر بقى لما تبطل الذي بتعمله ده وبعد كده تقوم تصلي بقى وأنت بتقابل ربنا نضيف) وهذا من تدليس الشياطين على الناس، الشباب والشابات من كثرة ما يفعلون من المعاصي أحياناً يجد أنه ليس قادر يقف قدام ربنا يصلي.. يترك الصلاة وهذا تدرج من الشيطان لهم.

الشاهد بأن أحكام الشريعة لها مقاصد وإما تأتي المقاصد هذه نصاً يبينها الشرع أو يستنبطها العلماء ويجتهدون فيها ليخرجوها، فإذا كان هذا المقصد واجباً كانت الوسيلة التي يتوقف عليها هذا المقصد واجبة، أنت الآن وجب عليك الصلاة حتى تصلي لابد أن تتطهر، فلو قلنا بأن الوضوء وسيلة إذن الوضوء واجب لأنه وسيلة لتحقيق المقصد، لو قلنا بأنك لابد لكي تصلي ستنزل إلى المسجد يبقى الذهاب إلى المسجد وسيلة لتحقيق هذا المقصد، فإذاً وجب عليك الذهاب -بفرض يعني وجوب صلاة الجماعة على الكلام الموجود- وكذلك العكس.. إن كان المقصد هذا حراماً وهو مثلاً حرمة كبيرة الزنا.. فإذاً الوسائل التي ستؤدي إلى هذا المقصد والذي هو الوقوع في الزنا يبقى حرام أيضاً.. الوسائل كالخلوة.. وسيلة حرام، الاختلاط المحرم حرام، النظرة حرام، السماع حرام، الملامسة حرام كل هذه وسيلة إلى مقصد محرم فأصبحت الوسيلة محرمة.

كذلك لو كان المقصد مندوباً ستكون الوسائل له مندوبة،ولو كان مكروهاً ستكون الوسائل له مكروهة، ولو كان مباحاً على حسب ذلك.

فإذا كما قال علماؤنا لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت الطرق والأسباب تابعة لهذا المقصد، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع فيها بحسب ما تفضي إلى الغاية والارتباط بها،

وسائل الطاعة والقربات في المحبة والإذن فيها بحسب أيضاً ما تفضي إلى هذه الغاية، لذلك إذا حرم الرب عز وجل شيئاً وله طرق ووسائل تؤدي إليه، فمعناه أن الشرع قد حرم هذه الطرق والوسائل، إذا الله عز وجل أوجب طاعة أو عبادة فكأن الله عز وجل أوجب الوسائل التي تؤدي إلى هذه العبادة.

لذلك نقول الآن أنت كُلفت فأصبح عليك تكاليف شرعية (أوامر) فوجب عليك أن تتعلم ما لا يسع المسلم جهله؛ فلابد لك أن تتعلم كيفية الصلاة، كيفية الطهارة لها، وكيفية أدائها، تتعلم الصوم لما يأتي صوم رمضان، تتعلم لو عندك مال كيف تزكي، لو استطعت أن تحج كيف تحج، والأعظم من ذلك تعلم معنى الشهادتين التوحيد لأنك ستسأل عن ذلك أصالة وتعلم ما

يضاد التوحيد من الشرك وهذه أمور لا يسع المسلم جهله، على الأقل نقول عموميات أنك لابد أن توحد الله عز وجل ولا تشرك معه أحداً.

فهذه القاعدة كما قلنا من أعظم القواعد في هذا الباب في توحيد العبادة لأنك إذا أُمرت بعبادة فلابد تعلم الوسائل التي تحقق هذه العبادة وأيضاً لابد أن تعلم الوسائل التي تمنعك من الوقوع في البدع في هذه العبادة، فهنا القاعدة تبين لك مدى الارتباط بين مقاصد الأمور وبين الوسائل.

أدلة القاعدة :

يعني هذه القاعدة من أين استدل بها العلماء؟ وقلت هي قاعدة عظيمة عامة لها أدلة عديدة من الكتاب والسنة لكن كالعادة في كل قاعدة لابد أن نبين الأدلة عليها، نقول من أدلة ذلك قول الله عز وجل " مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" طب هذه آيات التوبة، ماذا استدل منها العلماء؟ أن الله عز وجل كتب لهؤلاء ثواب الظمأ والنصب والسير والتعب وهذه ليست مقصودة منهم هم ما ذهبوا للجهاد لهذا، يعني ليس مقصوداً من خروجهم لا لظمأ ولا لنصب ولا لسير ولا لتعب، لكن المقصود كان لهم الجهاد، ووسائل الجهاد هذه الأمور، فحصل لهم تبعاً للجهاد الذي فرضه الله عليهم، لأن الجهاد مقصد وإن كان هو مقصد فهو يعتبر أيضاً وسيلة، فهو باعتبار المقصد باعتبار أن أنت فرض عليك الجهاد وستقابل العدو أو تفتح الديار فهو هنا مقصد وإلا فهو أيضاً وسيلة لحفظ الدين وإعلاء كلمة لا إله إلا الله، يعني هو من باب مقصد ومن باب وسيلة، معنا في المثال أن الجهاد الذي خرجوا إليه كان مقصدهم هو الجهاد، وسيلة هذا الجهاد التعب والنصب والسير والجهد، والله عز وجل جعل الوسيلة عبادة فأثابهم عليها، انظر الذي حدث لهم من تعب ونصب جاء لهم بالثواب مع أنها وسيلة لمقصد الجهاد، فالله اعتبر الوسيلة كأنها عبادة فجعل الوسيلة كالمقصد، فهنا لذلك يقولون (الوسائل لها أحكام المقاصد) لما أعطاهم الأجر على هذه الأفعال التي هي وسيلة للجهاد، هم ما خرجوا إلا للجهاد لكن لما أثبت الله عز وجل أن هذا التعب والنصب والسير أخذوا عليه أجر مع أنه وسيلة علمنا بأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

أنا أتكلم عن الدليل على القاعدة، لماذا اعتبرنا الوسيلة كالمقصد ولها الأجر أو لها المنع لو كان المقصد محرم فالوسيلة محرمة؟

هذا أول دليل على ذلك من قصد طاعة الله، وهذا يدعمه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما قالت للنبي صلى الله عليه وسلم (هل على النساءِ جهادٌ؟ قال : نعم . جهادٌ لا قتالَ فيه : الحجُّ والعمرةُ) ثم قال (لَى قَدْرِ نَصَبِكِ) وفي رواية على تعبك أو على قدر مشقتك أو على قدر نفقتك، وهذه وسائل كلها لتحقيق الحج التعب والنصب ودفع المال جعل لها الأجر مرتبط بقدر ذلك مع إن المقصد هو الحج، فلما جعل الوسائل لها أجور علمنا بأن الوسائل لها أحكام المقاصد عند الله عز وجل، فما كان قصده طاعة الله قيامه وقعوده ومشيته وحركاته لذلك أنت تمشي إلى المسجد

فتأخذ أجور مع إن المفروض عليك هو الصلاة لكن خطوة وخطوة بتأخذ عليها أجور، وهي وسيلة أيضاً تأخذ عليها أجور، كذلك الذي يسير في معصية والعياذ بالله .

الدليل الثاني في القاعدة من قوله تعالى في سورة النور "وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ"

نهى الله عز وجل عن الضرب بالأرجل لماذا؟ لأنه هيستلزم خروج صوت الخلخال والذي يؤدي إلى استدعاء الميل وتحريك الشهوة وإثارتها، فمنعت النساء من الخروج بهذا (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ) حتى لا يخرج ذلك ويؤدي إلى فتنة الرجال مع أنه وسيلة. لماذا منعت الوسيلة ؟ للمقصد المحرم وإثارة الفتنة والشهوات.

وأيضاً دليل آخر قول الله عز وجل " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا" قالوا الخضوع بالقول واللين الأصل أنه مباح، المرأة أصلاً صوتها فيه خضوع ولين وهذا شيء ممدوح في المرأة، أن تكون بهذا الأمر غير الرجل، لكن لما كانت هذه وسيلة إلى المحرم إن حدث هذا الخضوع واللين مع الرجل قد يؤدي إلى الفتنة والإثارة وغير ذلك، منعت المرأة عند التحدث مع الأجانب بالخضوع واللين في القول لماذا؟ لأنه أصبح وسيلة لمحرم، فانظر كانت مباحة ومنعت في حالة معينة لأنها ستؤدي إلى المحرم فأخذت الوسيلة حكم المقصد.

هنا أيضاً ما جاء في السنة عن حديث ثابت ابن الضحاك (أتى رجلٌ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ إنِّي نذرتُ أن أنحرَ إبلًا ببُوانةَ قالَ هل كانَ فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهليَّةِ يعبدُ قالوا لا قالَ فهل كانَ فيها عيدٌ من أعيادِهم قالوا لا قالَ أوفِ بنذرِك فإنَّهُ لا نذر في معصيةِ اللَّهِ ولا فيما لا يملِك ابنُ آدمَ)

قالوا هنا النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يتأكد لأن فيه منع من عبادة الله في أماكن الشرك التي كانت سابقة، حتى وإن لم تقصد، نعم حتى لا تتشابه مع الكفار في عباداتهم السابقة وجاء الشرع بالأمر بمخالفتهم والنهي عن اتفاقهم ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم سأله بالرغم أنه يريد أن ينحر إبل ونذر يعني طاعة، لكنه سأله أولاً لأنه قد يمنعه من النحر في هذا المكان والوفاء بالنذر إن كان هذا يؤدي إلى الوقوع في مشابهة الكفار في عبادتهم ولذلك سأله هذا السؤال.

إذاً انتبهوا معنا حتى نورد هذه معنا في القاعدة (الوسائل المفضية إلى الشرك تُمنَع وإن لم تكن شركاً، لكن هي تفضي وتؤدي إلى الوقوع في الشرك وكذلك الوسائل التي ستؤدي إلى وقوعك في البدع ستمنع)، فمن باب أولى كمان المقصد وهو إن كان المقصد بدعة لابد أن يمنع وهذه مناسبة القاعدة لهذا الباب الذي معنا.

فائدة هذه القاعدة قد بيناها أثناء الشرح لأنه تستطيع أن تطبق هذه القاعدة على المستجدات، لما يكون عندك الآن قاعدة تقول أن (الوسائل لها أحكام المقاصد) والزمان يتغير، فالآن في زماننا هواتف وغيرها والمعاملات كذلك يعني في ناس تقول لك البنوك لم تكن موجودة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، نعم لم يكن هناك البنوك لكن نحن نعلم كان في بنيامين، فلا

يلزم يكون عنده بنك حتى يكون له هذا الحكم الذي بقوله، لكن الشرع نزل بأحكام فأنت الآن لما يكون عندك الآن تدبر وتعلم هذه الأحكام ويستجد فتنظر في الأعمال والمعاملات الموجودة الآن على النت مثلاً تجد ميسر، يقول لك أدخل الاسم اشترك في رسالة كذا، ادفع رسالة كذا تدخل في السحب الفلاني في برنامج الفلاني أو مسابقة كذا يمكن تكسب مليون وأنت شغال قاعد تشحن كل شوية بخمسة جنيه وعشرة جنيه وهذا هو الميسر، طب ما هي وسيلة جديدة في زمان جديد بمقصد قديم في الشرع موجود وهو النهي عن الغرر والنهي عن الميسر والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل سميها ما تسميها،

مثل ابن عباس لما قال " دراهم بدراهم بينهما حريرة " يعني يضحكوا على الناس، يعني أنت تقول سيارة بسيارة وسيارة مرابحة ولا مشاركة لكن في الآخر هي مال بمال رايح جاي فهذا قرض ربوي. أو كما قال **"ليشرَبَنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمرَ يُسمُّونها بغيرِ اسمِها"** فسموا الخمر مشروبات روحية.

المصيبة الأكبر أخبرني بها أحد أمس بدون تحديد تطبيقات معينة ولا أماكن أنهم أصبحوا بيسموا العمرة الآن "تجربة روحية" انظر للكلمة الجديدة في بعض الأماكن، هتلاقيها ممكن تبدأ تنتشر انتبهوا لذلك هم يسمونها "تجربة روحية" هو يريد أن يزيل كلمة العمرة هذه بعد ذلك ويجعلها تجارب روحية مثلها مثل أي عبادات أخرى وثنية بوذية أي شيء، تجربة روحية وهذه مكتوبة في بعض التطبيقات أصبح مصطلح يريد أن يستخدمه ليغير لفظ العمرة، الله عز وجل يقول "وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ بِلَّهِ" هذا لفظ أصلاً منصوص عليه في القرآن، كيف نسميه تجربة روحية!!!.

فأنت لما تعلم هذه القواعد، وتعلم كيف نطبقها ،تستطيع أن كلما تغير من مستجدات في الزمان والمكان تلحقها فتقول لا أنا أمنع هذا أو هذه مباحة، لو كانت هذه واجبة يبقى الوسيلة لها واجبة، وكانت هذه كذا يبقى هكذا، لماذا العلماء لما يأتوا مثلاً في الفقه يقولوا لو انقطعت المياه أي غير موجودة ومعك ثمن أنك تشتري مياه لابد عليك أنك تدفع ثمن المياه وتشتريها وتتوضأ بها لماذا؟ لأن الوضوء وسيلة للصلاة، والمياه حتى لو ليست عندك لكن معك المال إنك تشتريها وجب عليك شراؤها. (الوسائل تلها أحكام المقاصد) ويقول إلا لو وجد ماء بسعر أضعاف أضعافه ليس يجب عليك ولك أن تترك الماء وتتيمم وتحافظ على مالك كل هذا فقه عند العلماء نظروا للوسائل والمقاصد وطبقوا القاعدة.فمن أهم فوائد هذه القاعدة لك أن لما تعلمها وتضبطها تستطيع أنك تسقطها على المستجدات التي بتأتي.

لكن تطبيق هذه القاعدة لابد لك من أن تعلم شئ، لابد تعلم حقيقة الوسائل وحقيقة المقاصد وهذا من أصعب العلوم مقاصد الشريعة أعلى درجات العلوم تحتاج لمجتهد، لأهل اجتهاد وعلماء تعلم ما هي الوسائل؟ حقيقة الوسيلة وحقيقة المقصد؟ وكيف تفرق بين الوسائل والمقاصد؟ لأن الأصل في الشرع هو إرادة المقاصد لا إرادة الوسائل،لذلك تجد بعض العلماء يقولوا هذا تحريم مقاصد وهذا تحريم وسائل لماذا؟ تحريم المقاصد أنت لا يمكن أن تأتي به إلا عند الضرورة كأكل الميتة،فليس المقصد إنك أنت لا تأكل الميتة لكن لو هتموت لابد أن تأكل، وتحريم المقاصد لابد له من ضرورة، تحريم الوسائل ممكن يباح عند الحاجة، الحرير مثلاً محرم على الرجال، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أباح لعبد الرحمن بن عوف والزبير يلبسوا في وقت الحرب ملابس حرير لأن عندهم حكة فأباح لهم ذلك، لأن تحريم الحرير تحريم وسيلة وليس تحريم مقصد، وسيلة للتنعم للرجال فلما احتاج إليه جاء التيسير.هنا تفهم لماذا؟ لما تعرف دلوقتي لأن هذا تحريم وسيلة وهذا تحريم مقصد، فلابد هنا تطبق بقى، هنا ممكن في

الضرورة مثلاً، لكن عدم معرفتك هتلخبط الدنيا لن تكون عارف المقصد من الوسيلة تقعد بقى أنت تايه؟ تقول هذا يجوز هذا ضرورة هذا ضرورة .فين الضرورة وفين الحاجة؟ فلابد أنك أنت هتطبق القاعدة تعلم حقيقة الوسائل وتعلم حقيقة المقاصد.

الحج مقصد والسفر إليه وسيلة، إعزاز الدين وحفظه مقصد والجهاد إليه وسيلة، وهكذا الزنا تحريمه مقصد لاختلاط الأنساب، وتحريم الخلوة والنظرة وسيلة، صلاة العيدين مقصد مندوب والمشي إليه وسيلة أيضاً وهكذا. أكل الطيبات مقصد مباح والاكتساب له إنك تكتسب هذه الطيبات وسيلة مباحة أيضاً. فعندك على حسب الأنواع مقاصد وسائل الأحكام الخمسة (الواجبة والمحرمة والمكروهة والمباحة والمندوبة)، الله عز وجل لم يجعل المقاصد في مرتبة الوسائل لأ بل جعل المقاصد أعلى وفرق بينهما.

لذلك أيضاً من الأشياء التي قلناها إن بعض الإخوة في طلب العلم لا يفرقوا بين الوسائل والمقاصد، المقصد في طلبك للعلم أولاً العقيدة كيف تعبد الله وتوحد الله؟ ثم الأحكام الفرعية أو العملية هي الفقه. في علوم تخدم هذه العلوم الأصلية، أنت لابد أن تعلم كطالب علم مقصدي أكون فقيهاً عالماً بديني موحداً وعندي فقه وأعلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم هذه مقاصد في العلوم الشرعية، تخدمك إنك تتعلم اللغة أصول الفقه القواعد مصطلح الحديث تقرأ في السيرة تقرأ في التاريخ الإسلامي لكن هذه علوم مساعدة، فمن أراد المقصد لابد أن ينظر إلى إتقان العقيدة إتقان الفقه إتقان سنة النبي صلى الله عليه وسلم والوسائل هذه حواليها، بعض الطلبة يغرهم ذلك للأسف، يقصد المقاصد وتجده قاعد عايش ليل نهار في كتب اللغة فقط أو في التاريخ الإسلامي فقط. ماشي هذا خير، لن نقول لك شيء، لكن هذا لا يوصلك للمقصد لابد أن تأخذ بقدر كل علم ما تحتاجه لتصل إلى المقصد، لكن لو كنت ترجو طلب العلم في الفقه تبدأ أنك تكون متقن في العقيدة ولابد أن تأخذ الوسائل التي تبلغك للمقصد. البعض يقول ماذا؟ يترك المقاصد وقاعد ليل نهار شغال مثلاً في مادة فرعية لا يدرس غيرها لمدة عشرين سنة يبقى أنت لن تصل إلى المقصد.

ما زلنا في ختام قاعدة (الوسائل لها أحكام المقاصد)، بينا فائدة هذه القاعدة على الإجمال يعني في كل فروع الدين، لكن ما نحتاج أن نبينه مناسبتها لهذا الباب الذي معنا أو القواعد التي أدرجناها في القواعد المتعلقة بالبدع.

تأتي فائدة هذه القاعدة من أنه لاشك إن من أعظم مقاصد الدين وأفرض واجباته هو عبادة الله عز وجل وحده كما شرع الله عز وجل والحفاظ على الشريعة بعدم الزيادة أو النقصان هذه من أعظم مقاصد الدين أيضاً، ومنع الإحداث والتعبد لله تعالى بالبدع هذه من أعظم مقاصد الدين.

فالقاعدة نصت على أن الوسائل لها أحكام المقاصد فكل وسيلة أدت إلى تثبيت هذا المقصد الذي قولناه الآن الذي هو من أعظم مقاصد الدين وأفرض الواجبات أنك تحافظ على الشريعة بعدم الزيادة ولا النقصان منها في شيء وتحافظ على الشريعة بعدم الإحداث فيها والتعبد بغير ما شرعه الله، فكل وسيلة تؤدي إلى تثبيت هذا المقصود العظيم كان تحصيلها والقيام بها واجب على أهل الإسلام وعلى العكس بالعكس وكل وسيلة تؤدي إلى عدم حصول هذا المقصد يجب منعها والتوقف عنها وعدم فعلها، والبدع من أعظم الوسائل التي يتم بها تبديل الدين.

انظر من أين لها القاعدة تدخل، فالبدع من أعظم الوسائل التي يتم بها تبديل الدين وتحريفه وإدخال ما ليس منه فيه وفتح باب للتعبد بغير ما شرع الله عز وجل فهو ذريعة عظيمة ووسيلة إلى إضاعة المقصود الأصلي وهو الحفاظ على الشريعة من الزيادة والنقصان، فأصبح إنكار

البدع وردها وتحريمها وعقوبة المبتدع من أعظم الوسائل إلى تحقيق هذا المقصد الأكبر والغاية السامية وهو الحفاظ على الدين وعبادة الله عز وجل وفق ما شرعه، فانظروا لماذا القاعدة هنا تأتي معنا في باب البدع؟ لأن هذا أعظم التطبيقات على أعظم المقاصد وهو حفظ الدين، فكان هذا من فوائد تطبيق هذه القاعدة.

طيب هذا كان مجمل القاعدة ونختم بها القواعد الخاصة بالبدع وندخل بعد ذلك على القواعد المتعلقة بما يضاد توحيد العبادة، نحن هكذا أخذنا مجموعة من القواعد في هذا الأسبوع والأسابيع الماضية في القواعد المتعلقة بتوحيد العبادة، نحتاج نأخذ القواعد التي تتعلق بما يضاد توحيد العبادة وهي القواعد المتعلقة أولاً بالشرك وتعريف الشرك وحقيقة الشرك فنحتاج أن نتكلم الآن إن شاء الله عن القواعد المتعلقة بتعريف الشرك وحقيقة الشرك.

القاعدة الأولى التي معنا الآن هي (التشبيه هو أصل عبادة الأوثان عند أكثر المشركين)

نتكلم الآن عن القواعد المتعلقة بالشرك.

ما معنى التشبيه؟ التشبيه طبعاً تكلم فيه علماء في اللغة وفي الأدب والبلاغة وغير ذلك ، فمن هذا الباب ممكن أن نقول بأن التشبيه تشبيهان:

تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما يعني قل مثلاً تشبه ماء النيل كماء الفرات، أو حمرة الخد كحمرة الوردة هذا تشبيه، أو تقول مثلاً الزبرجد (نوع من الأحجار) مثل الزمرد جسم بجسم نفس الأجسام، يعني أما قلت جوهر (ماء النيل كماء الفرات) أو وصف (حمرة الخد كحمرة الورد) أو تشبه جسم بجسم هذا نوع أول يسمى (تشبيه شيئين متفقين) هما متفقين لكن بتشبههم في شيء ظاهر فيه الإتفاق.

وتشبيه ثاني تشبيه شيئين مختلفين، مختلفين بالذات، ذاتهم مختلفة لكن يجمعهما معنى واحد مشترك، يقول لك حاتم الطائي كالغمام مثلاً وعنترة كالضرغام (الأسد)، الذات غير الذات أصلاً لكن شبهوا شيئين مختلفين جمعهما شيئاً واحد الشجاعة مثلاً في عنترة والضرغام.

طيب ما معنى التشبيه الذي نحن نريده في الاصطلاح بقي في الشريعة؟ عند أهل السنة والجماعة لما يذكرون التشبيه يقصدون به هنا تشبيه الخالق بالمخلوق أو تشبيه المخلوق بالخالق إما لصفة جامعة بينهما سواء كان بالذات أو في الصفات أو في الأفعال أو في الحقوق، يبقي هنا التشبيه لما يذكر عند أهل السنة يقصد به تشبيه الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق بصفة جامعة بينهما الصفة هذه تكون إما في الذات أو في الصفات أو في الأفعال أو في الحقوق، وطبعاً هذا نقول يُقصد به ليس بنقره وهو هذا كله مذموم لا يصح، لكن نحن نقول معنى التشبيه باصطلاح أهل السنة هو تشبيه الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق بصفة جامعة بينهما، وبعضهم وقع في تشبيه الذات بالذات أو تشبيه الصفات أو تشبيه الأفعال أو التشبيه في الحقوق، والصحيح طبعاً عند أهل السنة والجماعة أن التشبيه الذي يجب نفيه عن الرب سبحانه وتعالى هو اتصافه بشيء من خصائص المخلوقين، كما أن المخلوق لا يتصف بشيء من خصائص الله عز وجل، وأيضاً لابد أن ينفى إثبات شيء للعبد يماثل فيه الرب، يعني هذا كله تشبيه منفي عند أهل السنة والجماعة ولكن وقع فيه من وقع من المشركين أو المبتدعة، ذلك التشبيه على نوعين الخالق بالمخلوق بحيث يجعل المخلوق هو الأصل ويقاس به الخالق أو العكس تشبيه المخلوق بالخالق بحيث يجعل الخالق هو الأصل ويقاس عليه المخلوق، والإثنان مذموم والإثنان خروج

من الدين أصالة والإثنان شرك برب العالمين، وهذا هو أصل نوعي التشبيه الذي وقع فيه المشركين بكل أنواعهم، تشبيه خالق بمخلوق وهذا للأسف تجد كل كتب أهل الكلام يتكلمون فيه، يريدون أن ينفوا تشبيه الخالق بالمخلوق فنفوا الصفات كالمعتزلة والجهمية إلى غير ذلك ومن جاءوا من بعدهم.

والنوع الثاني تشبيه المخلوق بالخالق وهذا وقع فيه الصوفية والمبتدعة والقبوريين وغير ذلك عباد المشايخ وعباد الشمس وعزير والقمر والأصنام والملائكة والعجل والبقر والجن، كل ذلك وقعوا في تشبيه المخلوق بالخالق، وهؤلاء الذين أرسل الله عز وجل لهم الرسل لدعوتهم.

إذاً التشبيه أنا أكرر نوعين:

- تشبيه المخلوق بالخالق

- وتشبيه الخالق بالمخلوق

تشبيه المخلوق بالخالق، كيف يكون ؟ أنك تثبت شيء للمخلوق مما يختص به الخالق سواء أفعال أو حقوق أو صفات وهو على ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول** كفعل من أشرك في الربوبية زعم أن مع الله خالق

- **والثاني** كفعل المشركين مع الأصنام زعموا أنها لها حق في الألوهية، فبالتالي ذبحوا لها وسجدوا عندها ونذروا لها فعبدوها مع الله عز وجل

- **والثالث** كفعل الغلاة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، لما قال المتنبي: (فكن كما شئت يا من لا شبيه له وكيف شئت فما خلق يدانيك).

وهذا كله ثلاث أنواع من تشبيه المخلوق بالخالق إما في الصفات وإما في الحقوق وإما في الأفعال.

النوع الثاني تشبيه الخالق بالمخلوق وهو أن يثبت لله عز وجل في ذاته أو صفاته من الخصائص ما يثبت للمخلوق، يعني يثبت لله في ذاته أو في صفة من صفاته ما يثبت للمخلوق فيقول كالقائل إن يد الله عز وجل مثل أيدي المخلوقين واستوائه على العرش كاستواء المخلوقين، وهؤلاء المشبهة الذين كنا سميناهم مشبهة في قواعد الأسماء والصفات وهذا النوع الثاني، والاثنين كما قلت مذموم عند أهل السنة والاثنين كفر عند أهل السنة والجماعة، والتشبيه المذموم عند أهل السنة والجماعة بنوعيه يقعوا بالقول وبالاعتقاد وبالفعل، سواء كان قولاً أو اعتقاداً أو فعلاً، فمن شبه الله بلسانه أو اعتقد التشبيه بقلبه أو فعل فعلاً بجوارحه فيستلزم التشبيه هذا إلى وقوعه في تشبيه الخالق بالمخلوق أو تشبيه المخلوق بالخالق.

طيب هذا كله كان تعريف بمعنى التشبيه الذي نقصده في القاعدة، ما معنى القاعدة ماذا تقول؟ أن التشبيه أصل عبادة الأوثان عند أكثر المشركين، تقول بأن التشبيه الواقع من المشركين الذين أشركوا مع الله عز وجل في العبادة كلهم غالباً إما وقعوا في تشبيه الخالق بالمخلوق أو تشبيه المخلوق بالخالق، فأصبح التشبيه أصلاً للشرك انتبهوا التشبيه هو الذي أصل الشرك، التشبيه أصل لعبادة الأوثان وعبادة الأصنام، يعني أصبح التشبيه هو حقيقة وموجبة وعلة لازمة للشرك لا ينفك عن الشرك أو من أشرك أو من عبد غير الله إلا أن يكون وقع في التشبيه سواء وقع في التشبيه بين المخلوق والخالق أو بين الخالق والمخلوق، فمن صرف الدعاء لغير الله فقد شبه ذلك الغير بالله فلو دعا صاحب القبر أو الشيخ فقد شبه الغير هذا بالله، أعطاه أخص ما

يستحقه الله عز وجل من التضرع والخضوع إليه، كذلك وقعوا في العكس شبهوا الله عز وجل بخلقه عندما جعلوا له وسائط يتقربون بها إلى الله.

طب كيف هذا؟ كيف وقعوا في تشبيه الله بخلقه؟ في كونه لا يتوصل إليه إلا بالوسائط فرفعوا حوائجهم إلى الله عن طريق هؤلاء الوسائط فوقعوا في تشبيه الخالق بالمخلوق لماذا؟ لأنهم ظنوا بأن الله كملوك الدنيا الملك والرئيس وصاحب الشيء في الدنيا حتى تصل له تحتاج حد يوصلك إليه بابه مغلق وتحتاج وسائط ووسائل ترفع إليه الحاجة، فهم لما فعلوا ذلك وأتوا بالأصنام لتكون وسائط لهم شبهوا الخالق بالمخلوق ظنوا بأن الله عز وجل (وحاشاه ذلك) كملوك الدنيا فوقعوا في التشبيه، فلا يخلو المشرك من أحد المشبهين إما تشبيه الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق وقد يجمع الشركين معاً.

والفرق بين تشبيه صفات المخلوق بالخالق وصفات الخالق بالمخلوق أن في تشبيه صفات المخلوق بالخالق تعظيماً للمخلوق أنت لما تأتي بمخلوق وتعطيه صفات للخالق تبقى أنت رفعت المخلوق لمنزلة الخالق يبقى عظمته جعلت له ألوهية كما فعلوا بعضهم يفعل مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا وفعلوا مع علي رضي الله عنه ما فعلوه وطبعاً فعل النصارى مع عيسى عليه السلام وصلى الله على نبينا صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن علي، فهنا رفعه لمقام الألوهية وهذا من أعظم الإشراك لما تأتي بمخلوق وتعطيه صفات للخالق يبقى رفعته لمقام الألوهية وهذا أعظم الشرك.

طب والثاني؟ الذي هو يشبه صفات الخالق بالمخلوق، حط من قدر الخالق وتنقيص له سبحانه وتعالى وهو أيضاً شديد في الكفر وفي الشناعة، فالنوعين فيهم ما فيهم من الشناعة والفظاعة وسوء الأدب والكفر مع الله عز وجل.

فإذاً المشبهة هم الذين يشبهون المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم في الخضوع والحلف والسجود والدعاء وغير ذلك، منهم يقول ليس لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، يقع فيها كثير من الناس، وهذا من الله ومنك، وأنا في حسب الله وحسبك، كل هذه ألفاظ فيها تشبيه بين الخالق والمخلوق، ما شاء الله وشئت كما قال والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (أجعَلتَني للهِ نِدًّا) أثبت الندية، وهذا هو أصل التشبيه أصالة، وهذا قدح في خصائص الإلهية الكاملة التي لا تكون إلا لله عز وجل، ومنها أيضاً العبادات القلبية من أعطى حبه حب العبادة لغير الله فأحب شيخاً أو عالماً أو حتى قريباً له أو خضع له فقد شبهه بالله عز وجل بذلك، أو سجد له وهذه من خصائص الالوهية أيضاً، التوكل عليه كما قلنا أو الخوف منه الخوف الشركي سيأتي معنا خوف السر هذا له قاعدة أيضاً، كل هذا من التشبيه الشنيع الذي قد وقع من المشركين ويؤدي فيه المرء إلى الخروج من الإسلام أو لم يدخل أصلاً في الاسلام لو كان لم يسلم.

قال تعالى: " قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ " يبين لك بأن الله أنكر عليهم أنهم ليس لهم شراكة مع الله عز وجل في شيء وليس لله عز وجل ظهير منهم، لا الله يحتاج إليهم ولا أن يكون له ظهير من هؤلاء الذين يتبعونهم من دون الله وهم ليس لهم نصيب أو شرك في خلقه في السماوات والأرض وغير ذلك، وهذا إنكار طبعاً من الله عز وجل على هؤلاء على هذا الاعتقاد الفاسد نفى عنهم ذلك.

طب ما أدلة هذه القاعدة؟ كالعادة نقول إن لابد لكل قاعدة من أدلة، أدلة كثيرة جداً حقيقة وأنا سأكتفي ببعض الأدلة، منها قوله تعالى في سورة الإخلاص يبين لك ما نحن نتكلم فيه من نفي التشبيه فنريد أدلة على نفي التشبيه أنتم ممكن تستخرجوها أصلاً، منها قوله تعالى: " وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ " أي ليس له لا شبيه ولا نظير ولا مساوي.

وأيضا في سورة مريم: " هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا " أيضاً فليس له لا عدل ولا شبيه.

وأيضاً " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " نفى المثلية، فكل هذه آيات تنفي المثلية السمية الكفؤ أن يكون له كفواً أيضاً، فلا يجوز أن يكون شيء من صفات الله عز وجل مماثلاً لشيء من صفات المخلوقين، ولا يجوز أن يكون المخلوق كفئاً أو مساوياً أو مماثلاً أو مشابهاً في شيء من صفات الله عز وجل، وهذا أصل دين الله عز وجل، دين الإسلام أن نعبد الله عز وجل وحده ولا نجعل له من خلقه نداً " فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا " ولا نجعل له كفواً ولا نجعل له سميا، فنقول أن هذه أدلة كثيرة على هذه القاعدة.

طيب ما فوائد هذه القاعدة؟ التي بتتكلم عن التشبيه، دلت القاعدة على أن التشبيه بنوعيه تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الخالق بالمخلوق يستلزم الشرك بالله عز وجل وعبادة الأوثان وأن التشبيه هو الأصل، يعني التشبيه هو الأصل ثم يأتي الشرك ملازم لذلك، وأصبح التشبيه هو الأصل الذي تأدى ولزم منه الشرك بالله سبحانه وتعالى كما قال ابن تيمية، كذلك الأعمال المحرمة التي تورث مفاسد كشرب الخمر الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة والبغضاء فهذه المفاسد الناشئة من هذا العمل فرع لازم للأصل ففسادها يدل على فساد الأصل، وهكذا كل أصل فهو علة لفرعه وموجب له، وكل هذا يبين أن التشبيه هو الأصل والشرك فرع لهذا الأصل، الوقوع في التشبيه أولاً أدى بعد ذلك إلى حدوث الشرك.

فمن فوائد هذه القاعدة أن التشبيه والتمثيل المذموم بين الله وخلقه هو تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق، انتبهوا هذا المذموم، هو فيه تشبيه ثاني ليس مذموم؟ نحن قلنا التشبيه هو ماذا؟ هو وصف الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق، طيب لكن هناك ذكر في القرآن وفي السنة وهو وصف الله عز وجل لنفسه ووصف النبي صلى الله عليه وسلم لربه وهذا هو المحمود يبقى فيه فرق بين الوصف هذا والوصف هذا

ثاني قلنا المعلوم أن التشبيه والتمثيل المذموم بين الله وخلقه هو وصف الله عز وجل -وصف أهو- بصفات المخلوقين أو وصف المخلوقين بصفات الله عز وجل، مدار هذا على الوصف هذا المذموم بخلاف وصف الله عز وجل بنفسه أو وصف النبي صلى الله عليه وسلم لله هذا الوصف ليس مذموم بل هذا هو المحمود الذي يدلك على معرفة الله عز وجل، فليس في ذلك أدنى ولا تمثيل بل هذا أصل الإيمان وأصل الإسلام وهو معرفة أوصاف الله عز وجل وصفاته وأسمائه وأفعاله وغير ذلك، وهذا هو منهج القرآن الإثبات في القرآن لو قلنا من قبل في القواعد الأولى أن القرآن جاء بإثبات صفات الله عز وجل على التفصيل وجاء أن النبي يثبت صفات الله على التفصيل.

فأصبح وصف الله لنفسه سبحانه وتعالى ووصف النبي له هذا هو الوصف المحمود، وأما وصف الخالق بالمخلوق ووصف المخلوق بالخالق هذا هو التشبيه المذموم الذي هو أصل الشرك كما بينا.

كما قال ابن القيم حقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق، و نقول للأسف تشبيه الخالق بالمخلوق انشغل فيه أهل الكلام حتى أنهم وصلوا إلى رد وتعطيل الصفات، بحجة أنهم لا يشبهوا الخالق بالمخلوق وانشغلوا فيه كثيراً وتركوا تشبيه المخلوق بالخالق وهذا هو الأعظم لأن ليس هذا توحيد العبادة هذا الذي نزل فيه الرسالات -يعني الأعظم في الإنكار أقول- لأن الله عز وجل لما أنزل الرسالات وأرسل الرسل أرسلهم لدعوة الناس إلى التوحيد وعدم الشرك كانوا يقدمون للمخلوقين ما لا يقدم إلا لله فكان فيه تشبيه المخلوق بالخالق، وهذا غفل عنه أهل الكلام وسار على نهجهم بعض الطوائف المبتدعة إلى يومنا هذا فتجد لا يتكلم في توحيد العبادة ولا في الشرك في العبادة وكلامه كله فين؟ يدفع فقط تشبيه الخالق بالمخلوق وهذا الكلام كان مستقراً أصلاً عند السلف ما كان فيه كلام مثل هذا بل عند الكفار ما كانوا يتكلمون في مسألة تشبيه الخالق بالمخلوق، لكن الإشكال عندهم كان في كفرهم مع أصنامهم وعبادتهم بتشبيه المخلوق بالخالق وهذا الذي اهتم به أهل السنة والجماعة والذي أصلاً نزل به الرسالة على النبي صلى الله عليه وسلم ولابد أن تعرف الفارق بين ما نزه الله عز وجل سبحانه نفسه عنه وذم به المشركين وبين ما ينفيه الجهمية المعطلة ومن على شاكلتهم من صفات الكمال ويزعمون أن القرآن قد جاء بذلك، بل القرآن مملوء بإبطال أن يكون في المخلوقات شيء يشابه الله عز وجل أو يماثله وهذا الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة.

الفائدة العظيمة أن تشبيه المخلوق بالخالق بشيء من خصائصه أو وصف الخالق بصفات المخلوقين كفر بواح وشركاً صريحاً لا نصيب لصاحبه من الإسلام ولا دين له لأن هذه المسألة معلومة بالفطرة أصلاً كيف يساوي بين الخالق والمخلوق؟ . نحن بنتكلم عن الإجمال وإلا التعيين في أشياء يحتاج لبيان لرفع الذي هو يفعله بعض الأفعال الشركية في توحيد العبادة الذي قلنا لها على حسب إن كان يعلمها أو يجهلها، نحن نتكلم على أن أصل تشبيه الخالق بالمخلوق أو تشبيه المخلوق بالخالق هذا كفراً بواحاً وشركاً صريحاً لا نصيب لصاحبه في إسلام ولا دين لأن فيه تنقيص لله عز وجل وفيه رفع للمخلوق فوق منزلته. تعرفوا لماذا المعنى هذا تنقيص لله ؟ هذا كفر وفيه رفع المخلوق إلى منزلة الخالق وهذا كفر أيضاً تآليه للمخلوق وهنا انتقاله ومساواته بالله العلي العظيم والثانية تنقيص الخالق.

طب هذه كانت القاعدة الثانية التي معنا اليوم

هل هناك أسئلة؟

سؤال غير مسموع من طالب

شوف لو قصدت بالإعتماد على الخلق التوكل لأن في بعض أهل العلم أراد أن يفرق بين الإعتماد والتوكل، لكن الصحيح إن هو المعنى فيها واحد، **لكن بعضهم تجد في بعض الكلام لكن في التوكل ما ليس فيه سنة**

العبادات القلبية في التوكل لابد فيها من إفرادها لله عز وجل بخلاف المشيئة، الله عز وجل أثبت لك مشيئة ولله مشيئة والنبي صلى الله عليه وسلم قال له (قل ما شاء الله وحده) في لفظ وفي لفظ آخر قال (قل ما شاء الله ثم شئت) وبعض العلماء قالوا مراتب والأولى طبعاً إنك تفرد المشيئة لله وحده هذا من باب التنزيه لكن يصح أن تقول (ثم) لأن الله جعل لك مشيئة، لكن هل أنت لك توكل على نفسك؟ لا يمكن ولا لمخلوق، وأصبح التوكل لابد أن يكون لله، لكن هو بيصححه العبارة يقول ماذا؟ (توكلنا على الله ثم وكلناك في فعل هذا الأمر) وليس أن تقول (توكلنا عليك) يعني نحن نريدك تشتري لنا شيء قل (نحن توكلنا على الله ووكلناك إنك تذهب تقضي لنا هذه

المصلحة) من باب الوكالة عننا فقط، لكن التوكل لا يكون إلا لله ،التوكل هو الاعتماد على الله عز وجل .

سؤال :- هل يقصد بالتشبيه التشبيه الكامل أم ماذا؟ أقصد مثلاً إننا نقصد بعض من صفات الله فنقول هذا رجل رحيم بما حوله أو كريم هذه من صفات الله عز وجل هذا تشبيه؟

الجواب:- لا ليس هذا المقصود طبعاً لأن نحن بيناها في الأسماء والصفات، في صفات مشتركة لكن حتى هذه الصفات المشتركة المخلوق تخصه على قدره وحاله، فالخالق سميع والمخلوق سميع وهو بصير وبصير، لكن ليس السمع كالسمع والبصر كالبصر ورحيم كما قلت **(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)** النبي صلى الله عليه وسلم كان رحيماً وهو مخلوق، إثبات الصفات هذه التي أثبتها الله عز وجل للمخلوقين بما يليق بالمخلوقين ليس تشبيهاً.

التشبيه أنه يجعل هذه الصفات كصفات الله عزوجل، أي شبه المخلوق بصفات لا تكون إلا لله، يعني غالباً يكون في الدعاء مثلاً يدعوه يأمره يطلب منه المغفرة يطلب منه الجنة وهذه الأمور التي هي صفات خاصة بالله عز وجل فجعلها هذا المشرك أو المبتدع جعلها للمخلوق مع الله عز وجل، وأما الصفات المشتركة فكله إثبات وكل واحد بما يليق به، ليس فيه شيء.

سؤال :-

ما يضاف إلى الله عزوجل أربع أقسام، منها قسم حسن من وجه دون وجه وهذا يخبر به عن الله ولا يسمى به، فلماذا قلنا يخبر به عن الله ولم نقل يوصف به الله ؟ كما قلنا في القسم الثالث الذي هو كمال في حال دون حال قلنا يوصف به الله في الكمال ولم نقل يخبر به عن الله؟

الجواب:- لأن إثبات الصفة لها ثلاث طرق، إثبات الصفة قلنا إما تأتي تصريحاً أوتأتي من الفعل أوتأتي من الإسم فتكون صفة، أما الخبر غير الصفة، فلم نقل يوصف به لأنها لم تأتي من الاسم أو من الفعل أو جاءت تصريحاً. ومن ضوابطها الفرق يعني حال دون حال إن جاءت مقيدة. فلما جاءت مقيدة قلنا بها صفة مقيدة لكن إذا لم تأتي مقيدة فجاءت في حالات يكون فيها كمال وحالات لا يكون فيها كمال قلنا إنها من باب الإخبار أيضاً وليس من باب الصفات.

سؤال:-

من أقسام الصفات الصفات الذاتية. ذكرنا أمثلة فقلنا الغني العلم العلو علو الذات علو القهر علو القدر. هل يعتبر علو الذات من قسم الصفات الفعلية؟

الجواب: لأ طبعاً. العلو المقيد هو الاستواء، صفة الاستواء هذه هي العلو المقيد، علو لكن على العرش. لكن ماذا يعني علو صفة فعلية؟ يعني إن شاء على وإن شاء لم يعلى هذا خطأ. لا تأتي في الصفات الفعلية فلابد علو الذات صفة ذاتية علو مطلق. لكن في مطلق ومقيد، مطلق علو باعتبار أنه فوق السماوات سبحانه وتعالى، مقيد الذي هو الاستواء على العرش، لكن الإثنين في علو، فرق إن هذا علو مطلق لكن الإثنين ذات.

لما نقول فعلية يبقى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وهذا لا يكون في العلو، وإلا من يقول هذا الكلام هيكون مثل من يقول بكلام أنه في كل مكان، وهذا الخطأ الذي بيقع فيه البعض، الاستواء علو مقيد الاستواء على العرش هذا الذي فيه فعل. الخلاف بقى لبعض السلف إن هو ينزل إلى السماء الدنيا ويكون علي العرش أم لا؟ هذا الذي اسمه علو استواء علو صفة فعل الذي هو علو

مقيد، مقيد بالعرش فقط، لكن غير العرش هو في علو مطلق علو ذات مطلق، العرش هذا لكن استوائه على العرش لكن العلو الذاتي الذي هو العلو المطلق لله عز وجل، وإلا بعد كده لو لم نقل علو مطلق يبقى هو في كل مكان في الدنيا!!!!

من طرق إثبات العلو هو الاستواء والبعض بيظن إن كل ما نقول ما الدلالة على العلو؟ لا يقول لك إلا (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) هذا علو مقيد. لكن أين كل أدلة العلو المطلق لله عزوجل؟ (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ) (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) كل العروج والصعود هذا علو مطلق علو ذات لله عز وجل.

سؤال:- من طرق استنباط الصفات الفعلية أن نستنبطها من الفعل، فذكرنا من صفات الله الغضب (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) وقلنا آسفونا بمعنى أغضبونا. هل يمكن الصفات صفة المعنى؟

الجواب:- لا لا لا لو أنا قلت ذلك. (آسَفُونَا) تثبتيها باللفظ ولازم معنى تاني مرادف. لكن نحن نثبت الصفة بلفظها نعم، فإثبات صفة الغضب لله من (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)، أما (فَلَمَّا آسَفُونَا) هو من معاني الغضب لكن نحن نثبت الغضب من (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) ونتقيد نعم باللفظ، لو أنا ذكرتها ممكن استئناساً فقط لكن أصل إثبات صفة الغضب من قوله تعالى (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) لذلك إثبات الصفة باللفظ.

سؤال:-الطريق الثالث لإثبات الصفة أن تأتي صريحة بالنص، بالنسبة لصفة العلم نحن ضربنا مثل بقوله تعالى (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) قلنا (عليماً) صفة أليس الدليل يكون الآية (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ)؟

الجواب:- نعم كلامك صحيح لأن قد يكون وهم مني لو أنا قلتها هكذا وأتيت بالآية (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) وهي المفروض (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) هذا هو الصحيح نعم.

سؤال: التلازم

الجواب: لو قلنا إن التلازم للعقل، إن كل ما أثبته الشرع لابد أن يكون موافقاً للعقل هذا التلازم من طرف واحد، بمعنى كل ما جاء به الشرع لابد أن يكون موافقاً له للعقل، لكن ممكن العقل يستنبط أمور لا توافق الشرع وهذا تلازم من طرف واحد. لو قلنا مثلاً للتوضيح بمعنى لو قلنا إن ما ثبت بالشرع لابد أن يقبله العقل، لأن الله عز وجل هو الذي خلق العقول وهو الذي قدرها وما أثبته بالشرع لابد أن يقبله العقل. العقل موافق للنقل الصريح، لكن أنا بتكلم إن كل ما أثبته الشرع لابد أن العقل يستطيع أن يقبله، لكن ليس بالضرورة إن كل ما يثبته العقل يوافق عليه الشرع وهنا التلازم من طرف واحد.

أمثلة أخرى لهذا التلازم من طرف واحد، أخت في نقاش مع واحدة في مسألة تنكر على الأخت تقول لها (أن القانون لو قال أن هذا الموضوع مثلاً لا يجوز، إذن لا أحد يأتي ويفتي بفتوى شرعية تخالف هذا القانون) فقلنا هذا ضلال مبين، لأن العكس هو المفترض، القانون هو الذي يعرض على الشرع لأن الشرع قال به فالقانون يقول لكن لو القانون جاء مخالفاً للشرع لا يعمل به ولابد يعمل بالشرع فهذا الذي يحضرني الآن من التلازم، أي لو قلنا نفي الثاني يستلزم نفي الأول، لكن لا يستلزم وجود الثاني وجود الأول.

سؤال من طالب:- عن حديث الصراط للنبي صلى الله عليه وسلم، قال هل بينكم وبينه علامة؟ قالوا نعم (يَكْشِفُ رَبُّنا عن ساقِهِ، فَيَسْجُدُ له كُلُّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ). هنا في الحديث إثبات صفه الساق لأنها مضافة إلى الله عز وجل. لكن كيف تستدل من الآية؟ قال (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) والساق لم تضاف إلى الله عز وجل في الآية. فبالتالي كيف ستستدل بها عن أنها صفة لله؟ أنت حتى تثبت الصفة أصلاً عندك ثلاث قواعد لإثبات الصفة:- تأتي تصريحاً أو تأتي مضافة إلى الله كقوله تعالى (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أو كإضافة الغضب إلى الله (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) جاء بالضمير.

أما (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) ما قيل لمن الساق؟ هم قالوا يوم يكشف عن عذاب الله ممكن شدة الهول والوطيس وهذا يحتمل في اللغة، إذاً الآية ليست دليلاً على إثبات صفة الساق إلى الله، لكن لما جاء الحديث (يُكْشفُ عن ساقِهِ) هنا تم إضافة الساق إلى الله عز وجل فقلنا بإثبات صفه الساق.

القاعدة التي معنا الآن قاعدة (الخوف الشركي أن يخاف العبد من غير الله أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته.)

نحن بنتكلم عن قواعد خاصة بما يضاد توحيد العبادة، فالخوف الشركي أن يخاف العبد من غير الله أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره.

سؤال ما معنى أصلاً الخوف ؟ وما معنى الخوف الشرعي ؟ هو في اللغة يقول حالة نفسية ملازمة للنفس -هذا الخوف عموماً- لكن الخوف الشرعي هو يضاف للشرع خوف شرعي قال حالة نفسية مناسبة للنفس المؤمنة سببها أمران

أحدهما معرفة العبد انتبهوا معرفة العبد وعلمه بوعد الله ووعيده وجزائه وعقابه ده أول شيء.

الثاني ثمرة العلم بقدرة الله وعظمته وعزته وجلاله وأنه الفعال لما يريد وأنه المحرك للقلب المصرف له كيف يشاء.

يبقى إذاً الخوف الشرعي هذا محمود لأن قلنا خوف شرعي يعني من الله، متى يتأتى لك هذا الخوف؟ أو كيف؟ بأمرين أولاً معرفة العبد وعلمه بوعد الله ووعيده وجزاءه وعقابه تعلم الله عز وجل بأسماءه وصفاته وتعلم بوعد الله وعيد الله جزاء الله عقاب الله هذا كله واحد.

الثاني أن يأتي إلى قلبك ثمرة هذا العلم، وثمرة العلم بقدرة الله عز وجل وعظمته وعزته وجلاله كما قلنا أنه فعال لما يريد وهو المحرك للقلوب الثمرة هذه لما تأتي في القلب هذا العلم بقدرة الله تأتيك الحالة النفسية والخوف الشرعي تلازمك وكلما ازداد الأمر الأول والثاني عند المرء كلما ازداد المرء من خوفه الشرعي من الله عز وجل فكان حريصاً على إرضاء الله عز وجل وكان يخاف أن يقع في عقاب الله عز وجل.

كيف يتأتى هذا الخوف؟ كل الناس تريد ذلك، وهذه هي المشكلة الحالة الذي نحن عايشين فيها كلنا أو مشكلة النفس التي بين جنبيك الآن كيف تمتنع عن فعل المحرمات؟ كيف تحب أن تفعل الطاعات؟ يقول لك قلبي غير قادر ، غير قادر أن أصلي غير قادر أن أقرأ قرآن غير قادر أن أحضر دروس علم غير قادر أن أفعل كذا أو غير قادر أن أبطل المحرمات لماذا؟ هيكون مداره على الخوف الشرعي.

طب كيف تصل لهذا الخوف الشرعي المناسب الذي موجود عند الأنبياء والصديقين والصالحين والعلماء قال تعالى إنما { إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢] كيف ذلك؟

أولاً بالمعرفة أنك تعرف عن الله عز وجل وتستيقن بعقابه وجزائه ووعده ووعيده

ثانياً هذا العلم الذي عندك ثمرته ستأتي إلى قلبك وأنك مستيقن بقدرة الله وعظمته وأن القلوب بين اصبعي الرحمن يقلبها كيفما شاء وأن الله عز وجل يثبت قلبك، كل هذه التي تكون الثمرة تزيد عندك جداً الخوف الشرعي، فمن أراد أن يستزيد عنده الخوف الشرعي عليه طبعاً بالأول والثاني، والأول هو المؤدي إلى الثاني لأن الأول هو يكون بالعلم والمعرفة والاعتقاد الجد، فيه ارتباط هنا بين الخوف والعلم والمعرفة القلبية لذلك الله عز وجل وصف العلماء بالخشية لماذا ؟ لأن كل ما ازداد المرء علماً ومعرفة بقلبه زاد الخوف من الله عز وجل وهذا هو المحرك لذلك نحن دائماً وأبداً، سنظل نقول الخطأ الذي وقع فيه ووقعنا فيه جميعاً في السنوات الماضية عند بداية التزام أولادنا وأحبائنا وغير ذلك اذهب على الكُتَّاب اجعله يحفظ القرآن كله في شهرين ثلاثة وهو لا يعرف شيء عن ربه .هذا خطأ لابد أن تعرفه من هو الله عز وجل؟ أسماءه وصفاته وكيف يحب الله عز وجل؟ ويعلم نعم الله التي تأتيه كل يوم، وتربط هذا الطالب والنشأ الصغير بالله عز وجل يعرف من هو الله حقاً ثم لما يدخل هذا العلم في اعتقاده تجده هو الذي سيبادر سيخاف بعد ذلك هو الذي سيستيقظ ليصلي هو الذي سيسمع الآذان وينزل لأنه علم من هو الله عز وجل وكيف العلاقة بينه وبين ربه؟ وهذه أصل التربية التي لابد أننا نتكلم فيها مع الناس حتى غير الملتزمين وتريد أن تدعوه إلى الهداية وعنده معاصي ظاهرة، طريقه هو القلب أن يعرف من هو الإله حقاً ويعلم يقين الوعد والوعيد والجزاء والعقاب إلى غير ذلك فهنا ارتباط الخوف بالعلم والمعرفة هم الأصل المحركين لهذا الخوف.

لا يتصور عن مؤمن أن ينفك عنه خوف من الله عز وجل لا يتصور أن ينفك عن المؤمن الخوف من الله عز وجل حتى لو ضعف ينزل الخوف ثم يرجع مرة أخرى يكون في ضعف خوف حسب ضعف الإيمان وضعف المعرفة، لكن كلما يزداد الإيمان يزداد الخوف من الله عز وجل هذه المعرفة هي أهم شيء، لذلك نحن نقول تعلم العقيدة مهم جداً غير حتى الفقه فأنت في الفقه ترفع عن نفسك الجهل في أمور المعاملات والعبادات، لكن العقيدة هي الأصل لأن هي التي تجعل القلب حي وهي التي تمنعك من الوقوع أصلاً في الخطأ فلو أنت بتخاف من الله لن

تقدم على معاملة قبل أن تسأل ، لو أنت تخاف من الله لا يمكن أن تذهب لتعمل العبادة قبل أن تتأكد من شرعيتها، فالخوف هو المحرك لذلك وهذا يكون بالعلم وتعلم العقيدة.

فليس تعلم القواعد التي نتعلمها ليس الهدف منها أن نسردها سرداً، لا الهدف هو ملامستها للقلب واستحضارها لك وزيادة الإيمان نحن نتعلمها منهجية علمية لكن الأصل كله نحن بنعالج قلوبنا، لا تظنوا أننا ندرس هذه القواعد فقط لأن نحن يبقى درسنا علم اسمه العقيدة ونمتحن فيها ويبقى عندنا قواعد عارفينها لا والله، بل نحن نريد بهذه القواعد تدخل في قلوبنا نستحضرها ليل نهار فيزداد إيماننا ثم نعلمها للناس أيضاً لكن الأصل هو أنك أنت بتربي قلبك وتتعاهده بدراسه العقيدة بذلك والكتب تلو الكتب ليثبت في قلبك هذا الاعتقاد فهذه المعرفة هي التي تحجز العبد عن مقارفته للمعاصي وتدفعه إلى فعل الطاعة، لذلك لما تجد الإيمان نزل عندك وبدأت يعني فيه نوع من التبسط والنزول إلى المباحات والتوسع أو للمعاصي ومن منا لا يفعل، تعلم أن الخوف عندك نزل لكن لو ذكرت ذلك لأصحاب الإيمان والقلوب أول ما تذكره بالله تجده يرتعد ويرجع ممكن يقع لكن أول ما تذكره بالله عز وجل أو تذكر المرأة بالله أوتذكر الرجل أو الشاب بالله تجده يرجع هذا قلبه حي لكن قد يغفل أحياناً وهذه هي أسباب دعوة الناس لذلك العلم وهو الخوف الشرعي، لذلك العلم والمعرفة أصل الخوف القلبي عبادة الخوف أصلاً هي موردها القلب ثم يظهر ذلك على الجوارح إنك تمتنع لا تذهب الى أماكن المنكرات لا يجوز أسمع المنكرات لا يجوز أتعامل بالمحرمات لا يجوز أفرط في الطاعات والواجبات لا يمكنني أسمع الآذان ولا أنتفض أقوم لو نائماً سمعت الله أكبر أنتفض من مقامي وأتوضأ للصلاة هذا قلب يخاف من الله عز وجل.

لذلك ابن القيم يقول انتبهوا هذه الجملة مهمة جداً يقول في معنى الخوف الشرعي (حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه) لماذا هذا الكلام؟ عجيب! يرحمه الله حد الخوف أولاً ما حجزك عن معاصي الله إذن ما هو حد الخوف ؟ أنه يحجزك عن المعاصي هكذا يبقى أنت وصلت لأنه جاء الخوف حدك حجبك عن معاصي الله هذا محمود قال: فما زاد عن ذلك فهو غير محتاج إليها لماذا؟ حد يعلم لماذا قال ابن تيمية (فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه) إجابة طالب لأنه يؤدي إلى القنوط من رحمة الله احسنت .وهذا بيأتي لأصحاب الوساوس يزيد الخوف عندهم فيؤدي إلى القنوط، يأتي الشيطان يقول له أنت فعلت المنكر هذا دلوقتي والمعصية هذه كيف هتقف بين يدي الله تصلي؟ فبدل ما يكون الخوف يمنعه من المعصية جعل الخوف زاد أنه يمنعه حتى يقنط من مغفرة الله له فلا يقف يصلي، لذلك ابن القيم يقول لك (حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله ما زاد عن ذلك فهو غير محتاج إليه) أصلاً بل هو قد ينقلب للقنوط لذلك ابن القيم يقول ماذا؟ (الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط) وهذا يحدث لأصحاب الوساوس أنه ييأس ويقنط لأنه بالغ في الخوف، لذلك بعض الناس في العبادة يكون في عبادة وربنا مَنَّ عليه بالعبادة وانتهي من عمرة أو حج أو غير ذلك، يبكي بكاء شديد على أنه خائف وهو راجع أنه لا يقبل وزاد عنده هذا البكاء بصورة هستيرية يعني أصبح يخاف؟ نعم كلنا نخاف ألا تقبل العبادة. لكن زاد هذا الخوف، لكن أنت ربنا أكرمك بالعبادة خلاص وأديت العبادة كما يريدها مثلاً النبي صلى الله عليه وسلم أو بالسنة فأحسن الظن بالله لكن الشيطان يجيك هنا يقول لك ايه؟ مين قال لك أن الله قبلك هو عايز ييأسك ويقنطك؟ فيقول له مين قال لك إنك صليت التراويح وأن التراويح هذه صح؟ ولا القرآن الذي أنت قرأته في رمضان ولا كذا؟ لا هذا خوف غير محمود نعم عندك قدر إنك تخاف أن تقع في المعصية أو أنك لا تفعل العبادة لكن عندما تفعل العبادة استبشر واحسن الظن بالله (أنا عند ظن عبدي بي) أن الله قبلك ما أوقفك

بهذه الصلاة وما أرسلك إلى الحج والعمرة إلا ليقبلك فهنا لابد نفارق هذا الكلام بديع جداً (الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط).

ما مناسبة الباب في الشرك ؟ لابد أن نبين أن أهل العلم قسموا الخوف لأقسام

القسم الأول : الخوف الاعتقادي

وهو خوف التأله والتعبد والتعظيم وهذا يعرف عند أهل العلم بخوف السر وهذا مصيبة وهو اعتقاد قدرة المخوف منه ومشيئة مستقلة له يفعل كما يشاء وهذه من لوازم الإلهية فلو كانت لله كان لا إشكال لكن هذا خوف السر أنك تخاف من أحد في سرك من شيخ أو من صاحب قبر من سلطان من قوي من عظيم خوف تأله وتعبد وتعظيم واعتقاد إنك تعتقد قدرة في هذا المخوف منه وأن له مشيئة مستقلة يفعل كما يريد بك، وهذه لا تكون إلا من لوازم الإلهية وهذا هينتج عنه طاعة في الباطن وخضوع وخوف وإتباع لهذا الذي تخاف منه تخاف من معصيته فتفعل ما يأمرك به تلجأ إليه عند الخوف خلاص بقى عندك في السر خوف اعتقادي أن هذا هو الذي سيفعل لك كل شيء إما مصلحة أو إما يدفع عنك مفسدة وإما يصيبك بمكروه أو غير ذلك. فمن خاف من مخلوق أن يميته أو يحييه أو يقطع رزقه أو يعطي ما لا يكون إلا من الله عز وجل هذا خوف شركي مخرج من من الملة والعياذ بالله.

وهذا هو المناسب في القاعدة معنا الآن وهو الخوف الشركي هذا الذي هو خوف السر أو خوف الاعتقاد.

يلحق به عند بعض أهل العلم الخوف من غير الله المتعلق بالآخرة كيف هذا؟ الخوف من غير الله المتعلق بالآخرة بعض الناس حبهم لشيوخهم وعلمائهم مثلاً وأبائهم أو صالحيهم مثال من الشيخ كنت أرى الأخ عنده من الخلل لأنه ما تعلم أنه كان يذهب للدروس أو للمناسبات عند الشيخ قال لعله يكون شفيعي لي عندالله يوم القيامة أو ليشفع لي عند الله يوم القيامة أو يعرفني أجعله من الصالحين فيتذكرني يوم القيامة، فهو لا يذهب يذهب لله لذلك قال (يخاف العبد من غيره ألا ينفعه في الآخرة) ادي التكملة لخوف الشرك الذي هي قالوا فيه ماذا؟ أن يعتقد الخوف من غير الله فيما يتعلق بالآخرة فقالوا يخاف العبد من غير الله سبحانه وتعالى ألا ينفعه بالاخرة فلأجل رغبته في نفعه له في الدار الاخرة وأن يشفع له عند الله وأن يقربه في دار الجزاء لمنزلته وأن يبعده عن عذاب جهنم خاف منه وصرف له عبادة عظيمة، خاف منه فتلاقيه يذهب ويقدم فقط يكون لي شغفيعا خوفاً ألا يشفع له ويتخلى عنه يوم القيامة فهذا خوف أيضاً من أنواع الخوف الشركي ممكن يقع فيه الناس بدون أن يشعر.

القسم الثاني: وهو خوف الوعيد الذي توعده الله عز وجل به العصاة قال فيه تعالى: { **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ** } [سُورَةُ الرَّحْمَٰن: ٤٦]{ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** } [سُورَةُ الإِنسَانِ: ١٠]{ **وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ** } [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ١٤] هذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان أنك تخاف من وعيد الله عز وجل لأصحاب المعاصى ويكون محموداً إذا لم تقع في القنوط وإذا لم تقع في اليأس من

روح الله وتماديت بفعل المنكرات ظناً منك انك لا مغفرة لك لكن يكون محموداً إذا سكن القلب به واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله عز وجل والرجاء من ثواب الله.

القسم الثالث: الخوف العملي وهو الخوف من غير الله المؤدي إلى ترك الواجب أو فعل محرم.

الخوف العملى خوف من غير الله مؤدي إلى ترك الواجب أو فعل محرم بدافع الهوى والشهوة، هذا الخوف ينافي كمال التوحيد الواجب طب ما معنى هذا الكلام ؟ أمثلة من الشيخ هذا متحقق في في أماكن كتيرة، رجل في العمل ما أو طالب في الجامعة والظهر أذن والدكتور فاتح المحاضرة إلى العصر والطالب والطالبة جالسين في المحاضرة خايفين يستأذنوا من الدكتور يقوموا يصلوا الظهر.

مثال آخر الرجل في عمله قاعد في وسط الشركة وخائف يستأذن من المدير يطلع يصلي لكن ممكن يستأذن يروح يأكل لأنه عارف إن لو قال له أصلي يتقال عليه بقى ده رجل بيصلي مثلاً فهذا خوف من غير الله مؤدي إلى ترك الواجب بل ممكن يروح يقعد في عزومة يقعد على الترابيزة ويأكل ينزلوا الخمور أنت ما بتشربش ازاي!! لازم تشرب مجموعة مع بعض فتلاقيه يشرب خوفاً منهم أو يتعزم عليه بسجاير يتعزم عليه المخدرات يتعزم عليه شي محرم تجده يخاف أن يحفلوا عليه و هو في وسط المجموعة هذه من الشركة أو الاخت تذهب لمكان وتكون محرجة مثلاً ودخلت مكان ولقيت أن فيه منكر موجود ليس عارفة تمشي أو ألزموها بفعل شيء نحن في حفلة ومش عارف ايه وكده على أشياء ممكن فكل هذا خوف من غير الله يؤدي إلى إما ترك واجب أو لفعل محرم نتيجة الهوى أو الشهوة أو غير ذلك.

وهذا قالوا في حكم الشرك أصلاً وهذا ينقص من كمال التوحيد الواجب وهذا طبعاً ترك الواجب وفعل محرم خوفاً من ذم الناس أو خوفاً من ترك المدح، ليس هيمدحوه لوماعملش كده،و هو طبعاً تقديم لخوف الناس على خوف الله ولكنه ليس اعتقاداً يسموه خوف عملي مثل الذي يترك الجهاد أو يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر خائف من الناس هذه مشكلة لذلك. نعم نحن معنا درجات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن على الأقل بقلبك لكن ممكن إنك أنت أحياناً تكون تستطيع بسهولة جداً ترى أمراً منكر وتمتنع خوفاً من الناس وهذا الخوف العملي قال تعالى: { إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ } [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ١٧٥] هذا خوف الشيطان فالشيطان يجعل العبد يخاف من غير الله والله نهى عن ذلك بل هو الشيطان يخوفك نفسه يعني هو يأتيك ويخوفك وأنت تشعر يعني بالخوف أو شيء يخوفوك حتى ما تفعل ذلك أو تمتنع عن ذلك وأنا أعلم بعض الناس الذي يصاب لهذه المسائل يأتيهم الشياطين أو الجن يعني يظهرون بطريقة يخوفوهم فتجده ارتجف و يقف عن الصلاة أو لا يقرأ القرآن لأنه لو قرأ القرآن يعني بيتعبهم ذلك فهذه من تخويف الشيطان لكنه لو اعتقد في قلبه أن الله هو القادر على هؤلاء كلهم لا يخاف من شيء.

في حديث أبى سعيد الخدري قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمرا لله عليه فيه مقالا فلا يقول به فيلقى الله وقد أضاع ذلك فيقول ما منعك فيقول خشيت الناس ويقول أنا كنت أحق أن تخشى)

القسم الرابع: الخوف الطبيعي الجبلي المشترك بين كل البشر.

يعني أنت لو لقيت الأسد الآن هتخاف فهذا خوف جبلى ما تقولش أنت جبان لا يعني ما هو برضه (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) لو رأيت الثعبان الكبرى مثلاً فأنت ستخاف موسى عليه السلام في الآيات قال ماذا؟ (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) لأنهم قالوا له إن الناس يأتمرون بك ليقتلوك، الشاهد أثبت له الخوف خوف جبلى وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم ارتجف لما نزل عليه الوحي في أول مرة وجاء لخديجة مرتجفاً أثبت له الخوف خوف طبيعي يعني مشترك بين كل البشر وهذا لا ينقص فيه الإيمان، الخلاصه إذاً أصبح عندنا الخوف الاعتقادي هذا الذي فيه الشرك. الخوف العملي هذا شرك أصغر ويقدح في تمام التوحيد.

والخوف الجبلى رجل معه المسدس وأنت خائف يقتلك واقف ده خوف جبلى لكن لو اعتقدت أن هو الذي بيقتلك هو الذي بيده أن يقتلك بمشيئة مستقلة وليس الله عز وجل هذا هو الخوف الشركي لكنك تخاف من القتل هذا ليس فيه شيء هذا خوف جبلى قال تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٦ هذا شيء يكرهه جبلة ليس فيها الخوف الشركي.

القسم الخامس: الخوف الوهمي خيالي لا حقيقة له ولا أساس له في الواقع.

وهذا طبعاً بيأتي للنفس الضعيفة كده تتخيل أشياءو أوهام وتخاف منها وهذا الذي فيه الجبن والخور يعني واحد بيخاف من قطة مثلاً معلش يعني ممكن النساء تخاف من القطة لكن الرجل لا يخاف من القطة وهناك رجل يخاف مثلاً من عصفور هذا فيه خور.

القاعدة أن الخوف عبادة لله عز وجل وأن الخوف من أفضل مقامات الدين وقد أثنى الله عز وجل في أكثر من موطن على الأنبياء والرسل والملائكة ومدحهم بخوفه من الله عز وجل قال تعالى:{ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [سُورَةُ النَّحْلِ: ٥٠] { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ } [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٢٨]اهو أثبت لهم ذلك وغير ذلك من السور و الآيات أن الله عز وجل أثبت إن أفضل الخلق من الأنبياء والرسل والصديقين أنهم يخافون الله عز وجل خوف العبادة وهذا مكانة عظيمة وجليلة

عندهم هذا الضابط مهم جداً لأن هذه القاعدة التي بيناها ضابط وحد للخوف الشركي ونفرق بها بين الخوف الشرعي والخوف العملي والخوف المتوهم والخوف الجبلي إذاً هنا لو تلبس عليك أمور لابد أن تخرج الخوف الشركي لأن هذا الذي فيه اعتقاد استقلال المشيئة تخاف من أحد وتعتقد وتستقل أنه هو بيده يفعل فيك كما يريد يقتلك يحييك يميتك يرزقك يعينك يعطيك كذا يمنع عنك كذا هذا خوف شركى وهذا خوف في الاعتقاد وهذا هو الذي نريده معنا في القاعدة لأنه هو الذي أدى ببعض الناس أن يتبعون السحرة و المشعوذين أو الأولياء لهم كما خافوا

أيضاً من الأصنام والاوثان فقدموا لهم أيضاً النذر والذبح وغير ذلك وخافوا من الجن أيضاً و الكهنة وكل ذلك يوقعه في الخوف الشركي لاعتقاده أنه له استقلال في ذلك.

الأمر هنا الشرك هيأتي منين؟ بأنه جعل لمخلوق من لوازم الربوبية التي لا تكون إلا لله وصرف للمخلوق من لوازم الألوهية. لما اعتقد فيه أن فيه قدرة ونفع وضر وهذه من لوازم الربوبية فماذا حدث اوقعه فين؟ في الربوبية ولما صرف له العبادة فيسجد له أو ينذر له أو يذبح له أو كذا وقع في شرك الألوهية وقع الشرك في الاتنين خوف الشركي سيؤدي إلى شرك في الربوبيه يؤدي لشرك في الإلهية الأدلة القاعدة قال تعالى: { أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ } [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٦]

وهذه طبعاً نصوص على مسألة القاعدة ومنها أيضاً سورة الانعام{ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٨ قول إبراهيم عليه السلام لما قال لقومه (أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ) يعني إبراهيم عليه السلام هو طبعاً أصل الملة الحنيفية، قال لا يقع بي أي شيء يخوفني من جهة آلهتكم أبداً إلا أن يشاء ربي شيئاً

المسألة كلها رجعها لله عز وجل فنفى هذا الخوف عنهم بل هم الذين يخافون من الله عز وجل وهذه من الأدلة على القاعدة.

خلاصة وتطبيقات هذه القاعدة أن الخوف الشركي الذي بيناه في هذه القاعدة هو خوف العبادة وهو الخوف الذي لا يصح مع الإيمان، هذا الخوف الشركي لا يجتمع الإيمان إلا بإخلاص و الخوف لله عز وجل والخوف منه هو سبحانه والخوف الشركي لا يجتمع مع الإيمان في ذلك لأنه من الشرك الأكبر، لكن ممكن يجتمع الخوف العملي معه لأن قلنا هذا من الشرك الأصغر الذي هو ينافى كمال للتوحيد الواجب ذلك هذه قاعدة بينت الضابط لما يكون شركاً في حالة الخوف من غير الله عز وجل وهو اعتقاد القدرة التامة الغيبية والمشيئة النافذة المستقلة في المخوف منه، لو اعتقدت في ذلك تكون وقعت في الشرك إما يتصرف هو في الكون استقلالاً أو مع الله كما يقولون الأقطاب الذي عنده وكل قطب له هدف وله شيء معين، سينسحب هذا الضابط هذا على كثير من العبادات القلبية الرجاء والمحبة والتوكل وكل العبادات فمن رجى غير الله وتوكل على غير الله اعتقد فيه القدرة على جلب المصلحة ودفع المضرة وقع في الخوف الشركي.

أيضاً الفائدة الأخرى الخوف من الجن أن يصيب الإنس بشيء من الأذى. سؤال هل الجن ممكن يؤذي؟ نعم لكن أنك تخاف من الجن أن تصيبك في أذى محسوس مشاهد وتعتقد قدرته المستقلة على ذلك هذا خوف شركى لكن هم نعم ممكن يأذون لكن لا يأذون إلا بإذن من الله ويكون هذا من الله عز وجل إما ابتلاء أو تكفيراً للذنوب أو امتحاناً واختباراً لكن لو اعتقدت بأن الجن يستقلون بذلك هذا خوف شركي، وهذه مسألة مهمة لأن بعض الناس وصل بهم الخوف من الجن إلى أنهم وصلوا بأنهم خلاص أطاعوهم وهذا إشكال المخافة منه لدرجة أنه أصبح يطيعه وهذا وقع فيه لأنه لا يعتقد الآن أن الله هو الذي له المشيئة والقدرة بل اعتقد أن الجن

قادر على أن يفعل ما يريد، هم لهم قدرة نعم تختلف عن قدرة الإنس لكنه لا يفعل شيء بغير إذن من الله عز وجل ومشيئة من عزة وجل فقدرة الله فوق قدرة هؤلاء.

وهذا يعني آخر الكلام وطبعا ممكن نختم بحديث ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يوماً :

(يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ)

هذا آخر الكلام في هذه القاعدة العظيمة كنت اكتفينا بذلك اليوم إن شاء الله جزاكم الله خيراً

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

ومازلنا في القواعد الخاصة بتوحيد العبادة ودخلنا في المحاضرة السابقة في قواعد خاصة عن (ما يضاد التوحيد العبادة وهو الشرك)،

فأخذنا قاعدتين.. أخذنا قاعدتين أو ثلاثة أعتقد..

نكمل القواعد الخاصة بالشرك اليوم إن شاء الله

اليوم إذاً نتكلم عن قاعدة أولى وهي بمعنى:

"السؤال والطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك"

وهذه قاعدة هامة جداً وقيدناها بالسؤال والطلب، الدعاء كما هو معلوم في الشرع على قسمين؛ دعاء عبادة ودعاء مسألة، دعاء العبادة الذي هو فيه الذكر والثناء على الله عز وجل، أن المرء يدعو الله ويحمده ويثني عليه بأسمائه وصفاته، أو تأتي بالأذكار التي جاءت في السنة أو الآيات التي جاءت بالقرآن فيها الدعاء كل هذا تعبداً لله عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام "الدعاء هو العبادة"

ودعاء المسألة هو أن المرء يدعو الله عز وجل يسأله أمراً من أمور الدنيا أمراً من أمور الآخرة إلى غير ذلك، وهذا هو الذي نريده معنا في القاعدة (دعاء المسألة)، لأن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، أو متلازم مع دعاء العبادة، المرء حتى يسأل الله عز وجل سيقدم دعاء العبادة من الثناء والحمد والشكر وذكر أوصاف الله عز وجل ثم يدخل في دعاء المسألة بعد ذلك، فتجد دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة أو متلازم له، تجد عدم انفكاك بين النوعين. قال تعالى " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أو أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ"

الدعاء المقصود به دعاء المسألة وهو ظاهر بأنهم كانوا في حال شدة وكرب ، وطلبوا أن يكشف عنهم هذه الشدة والكرب وفي نفس الوقت هو دعاء عبادة لأنه قال في الآية (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) بل إياه تعبدون بل إياه تسألون بل إياه تطلبون، وهنا الآية فيها الاستعانة، وفيها الدعاء والطلب والسؤال من الله عز وجل.

وهذا الدعاء ظاهر الآية لأنه في حالة الشدة والكرب فكان فيه سؤال من الله لرفع الشدة والكرب، لذلك غالباً ما يطلق على الدعاء ويراد به الدعاء مسألة، وهو كما قلنا متضمن لدعاء العبادة.

طب ما معنى هذه القاعدة؟ القاعدة بتنص على ضابط مهم جداً وهو يخص مسألة الطلب والسؤال والدعاء

أنه (إن طلب المرء وسأل ودعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا هو شرك أكبر مخرج من الملة)، إذا توجه العبد بهذا السؤال بهذا الطلب لغير الله سبحانه وتعالى سواء لنبي أو لملك أو لصالح أو لجني إلى غير ذلك من الأجناس في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فهذا يكون شركاً أكبر.

إذاً العلماء يقولون أن العبد له لا شك طلبات وله سؤال وله أشياء يطلبها، فإن كان مطلوب العبد من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى كمثلاً أن يطلب شفاء مريضه يذهب يطلب الشفاء من الطبيب يطلب الشفاء من الولي من الشيخ من العالم أو يطلب العافية له ولأهله من أحد من الناسأو يطلب رفع البلاء في الدنيا والآخرة من أحد من المخلوقين أو يطلب الإنتصار على العدو من أحد من المخلوقين يطلب حتى هداية القلب أن يطلب هداية قلبه من غير الله عز وجل من عالم من شيخ يقول له (اهدي لي قلبي) أو يطلب غفران الذنوب كما يفعل النصارى يذهبون إلى الكنائس والقسيسين والأحبار يطلبون منهم أن يغفروا لهم ذنوبهم أو يطلب دخول الجنة من أحد أو النجاة من النار أو أن يصلح له قلبه أو يحسن له خلقه. كل هذه الأمور لا يجوز أن تطلب إلا من الله عز وجل ، لا يجوز أن يطلبها المرء لا من نبي حتى ولا من ملك

ولا من جن ولا من عالم ولا من ولي سواء كان حياً أو ميتاً . لا يقول لهم (اغفر لي ذنبي انصرني على عدوي اشفي لي مريضي عافني عافي أهلي) فمن سأل مخلوقاً شيئاً من ذلك فهو مشرك به وقد اتخذ مع الله نداً، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا يقتل، وهذا أيضاً يقول علماؤنا مثل دين النصارى كثيرة عند النصارى يفعلون ذلك كانوا يذهبون إلى الكنائس ويطلبون من القساوسة ذلك.

لكن حقيقة لابد أن نفرق بين ما هو جائز في الطلب وبينما هو محرم وبينما هو شرك.. حتى يستقيم المعنى، لابد أن نفرق في أنواع الطلب والسؤال، حتى تعلم الضابط الذي يكون فيه السؤال إذا وقع لغير الله كان دعاء وكان عبادة للمسئول، وصار شركاً بالله العظيم. يبقى لابد أن نأتي بتقسيمات بالطلب وبالسؤال..

وقد وردت النصوص تبين أن السؤال لا يكون إلا لله وحده كما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم" فإذا سألتَ فاسألِ الله " وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بايع جماعة أن لا يسألون الناس شيئاً

حتى كان بعض العلماء حتى بعض السلف قيل أن أبو بكر وبعض السلف كان إذا وقع منه السيف الذي يقاتل ويجاهد أو السوط الذي يضرب به الدابة وقع منه فما يسأل أحد يناوله إياه، انظر من شدة حرصهم على عدم السؤال إلا لله عز وجل.

لذلك بعض أهل العلم يقول كما نقل عن النووي رحمه الله قال في هذا الحديث " فإذا سألتَ فاسألِ اللهَ " قال بعض أهل العلم تمسكوا بعموم هذا الحديث..

ماذا العموم يعني؟ في كل الأسئلة لا تسأل إلا الله، لا تسأل أحد من المخلوقين

قالوا لماذا؟ قالوا النبي قال" **فاسألِ اللهَ** " قال عموم بكل أنواع السؤال فحملوه على عمومه على قول النووي، وفيه كما جاء في رواية أخرى أنه بايع جماعة من أصحابه أن لا يسألون الناس حتي على التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالاً وإن كان حقيراً وهذا آخر كلام النووي

وطبعاً سنفصل أن في سؤال يكون شركاً وفي سؤال قد يكون محرماً وفي سؤال قد يكون جائزاً

لكن هو المقصود أن عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس " **فإذا سألتَ فاسألِ اللهَ** " ومبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه إلا يسألوا الناس (شيئاً)، حتى فيما يقدر عليه الناس فكانوا يتنزهون عن سؤال الناس شيء، حتى لو واحد ممكن ما يقول لصاحبه ناولني هذا الشيء

وجاءت أحاديث كثيرة تحرم سؤال الناس، يسأله المال، يسأله شيء، من غير ضرورة من باب التكثر يعني بالمال أو استشراف النفس له، هو لا يحتاج إلى مال تجده يسأل الناس كما هم موجودين في الشوارع وغيرهم بعضهم جعلها حرفة وبعض الناس أيضاً ممكن يكون عنده مالاً لكن يحب أن يسأل الناس أن يعطوه يأخذ عطايا وهدايا وأموال يتكثر الناس، هذا سؤال للناس وجاءت أحاديث بالنهي عن ذلك

كما جاءت أحاديث النهي عن الاسترقاء والاسترقاء فيه الطلب، الذين يدخلون الجنة من دون حساب ولا عذاب قال النبي صلى الله عليه وسلم **" الَّذينَ لاَ يسترقونَ ولاَ يكتَوونَ، ولا يَتطيَّرونَ وعلى ربِّهم يتوَكَّلونَ"**

مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم من أجل اتصافهم بهذه الصفات وفيها أنهم لا يسترقون يعني لا يطلبون الرقية وهي طلب، نوع من الطلب وسؤال الناس، وجنس من الدعاء دعاء المسألة.

الله عز وجل لم يأمر قط بسؤال الناس شيئاً،أقول (لم يأمر) بسؤال من خلقه شيئاً لا أحياء ولا أمواتاً، لذلك لا أحد يدعي أن الله أمر بذلك

الله لم يأمر أن المرء يسأل الناس قط. قال ابن تيمية في ذلك رحمه الله "وأما نفس سؤال الناس فسؤاله في الأصل محرم بالنصوص المحرمة وإنما يباح عند الضرورة" ويبين لك أن الأصل هو عدم سؤال الناس ويباح لك عندما تحتاج إلى ذلك ضرورة أو حاجة، ولا شك أن ترك سؤال مخلوق اعتياضاً بسؤال الخالق أفضل على الإطلاق لا شك بذلك. أن يتعود المرء أن لا يسأل إلا الله عز وجل بل حتى قال في الأمور الدنيوية، أصل سؤال الخلق الحاجات الدنيوية التي لا يجب عليهم فعلها ليس واجباً على السائل، ولا مستحباً بل المأمور به سؤال الله عز وجل والرغبة إليه والتوكل عليه، وسؤال الخلق في الأصل محرم لكن أبيح للضرورة، وتركه توكلاً على الله أفضل قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم"فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب" الرغبة إلى الله عز وجل لا إلى غيره سبحانه وتعالى. وقال تعالى "وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ" لم يأمرهم أن يقولوا إنا إلى الله ورسوله راغبون، فالرغبة لا تكون إلا لله وحده سبحانه وتعالى،وهذا أصل ما جاء به الرسل، فالرسل لما جاءت نهت عن دعاء غير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله وفيما لا تدعو إليه حاجة ولا ضرورة

**** لذلك قسم العلماء السؤال إلى أقسام :**

قال قسم هو الأول ومن باب سؤال الانسان حقاً له عند المسئول كأن يكون لك دين مثلاً عند إنسان فتطلبه منه هذا قسم أول لك حقوق فتسأل الحق هذا.. هذا قسم

الثاني ما جرت العادة بالتسامح فيه على نية المكافأة يعني مثلاً أنت الآن تجلس في مجلس العلم تقول أحتاج قلم فتقول لأخيك أو الأخت تقول لأختها ناوليني قلمك أو أريد قلمك أو ورقة أو ناولني الكتاب لكي اقرأ فيه. قالوا هذا يعني جرت العادة بالتسامح فيه.

والقسم الثالث سؤال الإنسان ما ليس له بحق ولا جرت العادة بالتسامح به على نية المكافأة،وقالوا كمن يجد مثلاً عنده مال هو عنده حد الكفاف وعنده مال لكن يذهب لأحد يقول له اعطني دينار اعطني الف جنيه يسأل الناس وهو ليس له حق فيه وليس بما جرت به العادة على التسامح هذا القسم الثالث.

هذه أقسام ثلاثة قالوا الأول لا يسمى استعانة ولا يلزمه التذلل لأن هذا حقه بيطالب المرء بحقه لي عندك دين لي كتاب عندك لي حقوق فيطالبه به فهذا لا يسمى استعانة ولا يلزمه تذلل ولا خضوع لأنه يطالب بحقه.

الثاني هو يسمى استعانة الذي هو مما جرت به الناس لكنه ليس فيه معنى لا تذلل ولا خضوع لأنه أمر يسير وهين جرت العرف على أن الناس تعطي لبعضها هذه الأمور.

أما الثالث هو الذي فيه التذلل والخضوع فالقسم الثالث الذي بيسأل الناس ما ليس له بحق ولا جرت العادة بالتسامح فيه فلا شك أن هذه فيه نوع من التذلل والخضوع .

وبعض العلماء قسموا السؤال تقسيمات أخرى قالوا القسم الأول وهو الجائز وهو أن تدعو مخلوقاً لأمر من الأمور يمكن أن يدركها فهذه يعني تدعوا أحد ممكن يساعدك في شيء.

مثلاً وقفت بك السيارة الكاوتش نام أو شيء تريد أحد يساعدك أو المرأة معها أغراض كثيرة فطلبت المساعدة من أخت لها في الشارع أن تحمل عنها أو غير ذلك فيما يقدر عليه.. عندنا ضابط في مسألة الاستعانة دائماً في هذه الأمور (حي حاضر قادر) أن يكون من الأحياء والحاضر أي موجود ليس بغائب وأن يكون قادراً على ذلك. فهذا جائز عند التقسيمات العلماء قالوا جائز واستندوا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث قال (وإذا دَعاكَ فأَجِبْه) يعني في جزء من الحديث يقول النبي صل الله عليه وسلم (وإذا دَعاكَ) يعني دعاك (فأَجِبْه) فهذا دلالة على أنك إذا طُلِبَ منك شيء فأجب، فإذاً أصل الدعاء جائز لكن بشرط أن يكون من الأمور التي يمكن أن يدركها المخلوق لديه ويفعلها أي عنده القدرة على ذلك..

القسم الثاني قالوا أن تدعو مخلوقاً مطلقاً يعني سواء كان حياً أو ميتاً فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذه المصيبة الكبرى هذا هو الشرك الأكبر تدعو مخلوقاً مطلقاً سواء كان حياً أو ميتاً فيما لا يقدر عليه إلا الله هذا شركاً أكبر.. لماذا هو شرك أكبر؟ هو شرك لأنه جعله نداً لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا هو سبب أننا قولنا أنه شرك لأنه طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله فجعله نداً لله فوقع هنا في الشرك بذلك... يقول (اجعل ما في بطني ذكراً) طب هذه الجملة كان يقول بها العلماء ولكنها الآن تغيرت..

لما تقول المرأة (اجعل ما في بطني ذكراً) أو يذهب الشخص للولي يقول له (اجعل ما في بطن امرأتي ذكراً)، البعض الآن لما بيتكلم عن تطور الطب في ما يسمى بتحديد نوع الجنين، فيختلط على البعض هل هذا مشروع أم غير مشروع؟ نقول هو كل شيء بقدر من الله وهذه تأتي بالقاعدة التي ستكون الثانية معنا اليوم (مسألة الأسباب واعتقاده بالسبب) ما نقول هذا غير الذي أنا أقوله (هو بيذهب للولي يقول له اجعله ذكراً) كأنه يجعله هكذا ذكراً يعني (كن فيكون) وهذا طبعاً شرك، بخلاف لو ذهب واستحدث طبياً أمور معينة قد تساعد في أن يكون ذكراً، كما كان من قبل لا أحد يعرف نوع الجنين أصلاً ثم ظهر السونار والتصوير فكان من قبل ما يعرف نوع الجنين والبعض توقف طب هذا قلنا هو من الذي أباح لنا ذلك؟ ووفقنا إلى الإختراع هو الله عز وجل، ومن هنا مسألة كما ستأتي في القاعدة الثانية إن ظن أو لو اعتقد بأن هذا الطبيب فعلاً بيحدد النوع هذا هو الإشكال هنا يقع في الشرك، بل سنبين لو قال للطبيب اشفيني أو اتفق معه على البرء مقابل المال قال يعني أدفع لك كذا بشرط أنك يكون الشفاء هذا يقع في الشرك لأن الطبيب لا يشفي فإن اشترط عليه ذلك مقابل المال فهذا يقع في دعاء أو سؤال المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فنقول هذا القسم الثاني الذي هو شرك أكبر.

الثالث بعضهم قال إنك تدعو مخلوقاً ميتاً يعني حتى يبينوا مسألة المقبور مخلوقاً ميتاً تدعوه وهو لا يجيبك شيئاً فقالوا هذا أيضاً شركاً أكبر لأنه ما دعاه إلا أنه اعتقد أن له تصرف خفياً في هذا الكون من هنا جاء الشرك، لما راح الحي فدعا الميت ما دعاه إلا أنه اعتقد أن له تصرفاً خفياً في هذا الكون فوقع في الشرك والميت لا يستطيع فعل شئ طب هذه القاعدة لها أدله من الشرع وهو أن (التوجه بالطلب والسؤال لغير الله فيما لا يقدر

عليه إلا الله شرك) كما قلنا.. طيب أولاً نفندها من أين وقع الشرك؟ قلنا وقع شرك ربوبية وكمان أيضاً سيكون شرك ألوهيه..

شرك الربوبية لأنه صرف لهذا المخلوق بعض صفات الربوبية الذي توجه إليه بالسؤال والطلب، ظن فيه العلم المطلق ظن فيه البصر المطلق السمع المطلق القدرة المطلقة وكل هذه الصفات لربوبية الله عز وجل..فلما دعاه واعتقد فيه ذلك فقد أشرك في الربوبية وهذا الاعتقاد من أعظم الشرك و أقبح الكفر بالله العظيم قال تعالى ((وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ وهم عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ)) وبعد أن فصل في قول عبادة الأصنام في الآيات التي قبلها وأن ليست لهم القدرة على الخلق ولا الفعل ولا الإيجاد قال أنها جمادات لا تستجيب ولا تسمع دعاء الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين فإذا لم تكن تعلم وليس عندها قدرة فكيف تدعى من دون الله عز وجل...

و كثر في الأمة وإلى الآن موجود، انظر إلى الناس التي تذهب إلى المقامات والقبور يقول (يا سيدي فلان أغثني) قد أكثروا من دعاء الناس أحياءً وأمواتاً وهذا ليس توسلاً مباحاً كما يلبس على الناس بل هؤلاء عدهم العلماء شركاً لأنه بيدعو غائباً ولا يعلم شيئًا بل بيصرف له أحياناً عبادات من نذراً وذبحاً وغير ذلك ويطلب منه جلب الخير ودفع أذى وكل هذا لن يستطيع هذا الميت أن يأتيه به، فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو هذا هو الشرك والكفر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً..طب هذا شرك في الربوبية قد بيناه من قبل، طب أيضاً السؤال والطلب في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله هذه عبادة لأننا قلنا الدعاء عبادة والدعاء إما عبادة أو سؤال فلو سأل غير الله فقد دعا وعبد غير الله وهذه من خصائص ألوهية الله فوقع هنا في شرك الألوهية إذاً وقع في هذه المسأله في شرك الربوبية و شرك الألوهية..

قلنا دلاله على ذلك ما جاء بحديث النعمان بن بشير عن النبي صل الله عليه وسلم قال (الدعاءُ هو العِبادةُ)، وتوحيد العبادة من لوازم توحيد الألوهية فمن دعا غير الله فقد عبد غير الله فقد وقع في الشرك في الألوهية.. وقال تعالى ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))

فجعل الدعاء لله فقط والإستجابة من الله فقط، فبين أن السؤال والطلب عبادة لله تعالى ولما كانت عبادة وقولنا من قبل معنى العبادة فيها التذلل والخضوع والافتقار ولابد أن تكون إلى الله فمن قدمها لغير الله فقد تذلل وخضع وتضرع إلى غير الله عز وجل..فالسؤال هو دعاء الله عز وجل هو الرغبة إلى الله عز وجل قال النبي صل الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة ((مَن لَم يَسألِ اللهَ يَغضَبْ عَلَيهِ)) انظر الله يغضب إذا لم يسأله أحد وأنت تنظر إلى البشر إن أكثرت عليه السؤال يغضب منك، فكيف تترك الله عز وجل الذي يغضب إن لم يسأل بل يحب أن يسأله المرء ويتذلل إليه ويطلب منه ويلح على الله عز وجل..الله يحب ذلك ويرضى عن ذلك ويغضب على من لم يفعل ذلك

قال ابن تيمية رحمه الله (يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، يَا مَنْ لَا تُغْلِطُهُ المَسَائِلُ، يَا مَنْ لَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ المُلِحِّينَ) بل يحب من يدعوه ويتضرع إليه ويغضب على من لا يدعوه.

نرجع لبرنامج دراسة العقيدة وقاعدة أن (السؤال والطلب لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك)، قلنا هذه القاعدة لها فوائد وتطبيقات، القاعدة بينت الضابط الذي يبين فيه السؤال والطلب الذي يكون شرك أكبر مخرج من الملة وهو السؤال والطلب من غير الله فيما لا يقدر

عليه إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا الضابط أكرره لأن هناك ضابط آخر ورد في بعض الكتب أو عند بعض أقوال أهل العلم وإن كان صحيحاً لكنه ليس تاماً منضبطاً، يقولون بأن دعاء المخلوق وسؤاله ما لا يقدر عليه ذلك المخلوق المعين هذا هو الشرك الأكبر، تاني يقولون دعاء المخلوق وسؤاله ما لا يقدر عليه ذلك المخلوق المعين، طب ما الفرق بين هذا وبين ما نقول أن السؤال والطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى هو من الشرك الأكبر؟ الضابط الثاني قالوا دعاء المخلوق وسؤاله ما لا يقدر عليه ذلك المخلوق المعين، هو الضابط صحيح لكنه ليس دقيقاً وليس تاماً لأن من الممكن أن يدعو ويسأل أحد مخلوق حياً شيئاً وهو يظن قدرته عليه لكنه في واقع الحال لا يستطيع فعل شيء من هذا المطلوب منه فلا يكون هنا من سأله ودعاه في هذه الحالة مشركاً شركاً أكبر، لأن كون هذا الفعل هو كمخلوق يقدر عليه في العموم لكن حالة هذا المخلوق لا يستطيع، يعني واحد بيغرق واستغاث برجل أن ينقذه من الغرق والرجل هذا وجده أصم لا يسمع فهل استغاثة هذا الرجل بالمخلوق هذا هو يقدر أو لا يقدر؟ يقدر لكنه مُنع من هذا الفعل لأنه أصم فهل هذه الاستغاثة لو قلنا على الضابط تعتبر دعاء المخلوق وسؤاله ما لا يقدر عليه ذلك المخلوق المعين؟، هذا بعض العلماء يقولون بهذا الضابط قلنا هو ليس بدقيق، لو واحد بيغرق واستغاث بأحد والثاني لا يستطيع السباحة فلن يستطيع أن ينقذه لكن هذا الفعل مقدور عند الخلق أم غير مقدور؟ مقدور، لكن هذا المعين ليس عنده القدرة على السباحة فلا يستطيع أن ينقذه، لذلك الضابط الأول هو الأدق، وهو ما لا يقدر عليه إلا الله مطلقاً، هذا لا يمكن أن يفعله مخلوق بحال، لكن ليس الضابط على أنه دعاء المخلوق وسؤاله ما لا يقدر عليه ذلك المخلوق المعين، فاهمين الفارق ولا لا؟.

طيب لأن بعض أهل العلم يقول الاستغاثة شرك أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، هو نفس الضابط الثاني أي نفس التركيبة كما يقال، نقول لا. هو فيه ثمة أشياء قد يكون المخلوق في ظاهر الأمر قادر عليها لكن في الحقيقة هو لا يقدر عليها، كما قلنا في مسألة أن واحد بيغرق واستغاث بأحد ولا يستطيع هذا الرجل أن يساعده لأنه لم يتعلم السباحة فلا يكون هذا شركاً أكبر لأن هذا من الذي يقدر عليه المخلوق عموماً أنه ينقذ أحد من الغرق، (الاستغاثة بغير الله شركاً أكبر إذا كان قد استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله)، يبقى هذا هو الضابط أو التركيبة الصحيحة لهذا الضابط، أما إذا استغاث به في ما يقدر عليه غير الله من المخلوقين لكن هذا المخلوق المعين لم يقدر على هذا الشيء المعين لا يكون شركاً أكبر لأنه لم يعتقد في المخلوق شيئاً لا يصلح إلا لله، لماذا ليس شرك؟ لأنه لم يعتقد في المخلوق شيئاً لا يصلح إلا لله، لا بل هو اعتقد في المخلوق شيئاً يمكن أن يصلح للمخلوق إلا إذا علم أنه لا يستطيع له ذلك، ممكن تقيد هذه يعني إذا علم أن الذي أمامه لا يستطيع أن يفعل له هذا الأمر ومع ذلك استغاث به أو سأله فيه نظر هنا، على حسب بقى اعتقاده فيه سيكون، يعني كمثل طفل عنده سنتين والثاني بيغرق فبينادي على الطفل ينقذه، طب هو كيف سينقذك الطفل أصلاً؟ وهذا الطفل لا يقدر، هو صحيح عموم المخلوق يقدر لكن هذا أنت ظاهر لك أن هذا لا يمكن أن ينقذك كيف ينقذك أصالة؟ كلٌ بقى على حسب الاعتقاد فيها. كيف على حسب الاعتقاد فيه؟ لو اعتقد فيه أنه عنده كرامات ولا عنده معجزات هيبقى إشكال طبعاً، لكنه لو لم يعتقد ولكنه سأله مع إنه يرى الظاهر له بأن هذا لن يستطيع أن يساعده ممكن تنزل في الشرك الأصغر لأنه استخدم وسيلة لم يشرعها الله عز وجل، لكن لا تكون شركاً أكبر والله أعلم، لكن خلينا نضبط الضابط الذي هو أنه (استغاث بما لا يقدر عليه إلا الله هذا هو الشرك الأكبر)، طب هذه الأولى في مسألة ضابط القاعدة هذه.

الفائدة الأخرى للقاعدة هذه لما علمنا بأنه لا يُسأل ولا يُدعى ولا يُستغاث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ولا يُستغاث به ولا يُستعان به ولا يُسأل منه ولا يُطلب منه فيما لا يقدر عليه إلا الله وإلا سيكون شركاً أكبر. فمن تطبيقات هذه القاعدة حرمة التوجه بالدعاء والسؤال للأموات في قبورهم لأنهم لا يقدرون على قضاء الحاجات وكشف الملمات وتفريج الكربات حتى في الدنيا ما كانوا يستطيعونه عاجزون عنه شرعاً وعقلاً بل ليس في مقدورهم وهذا كل الأموات حتى رسولنا صلى الله عليه وسلم مع إن له المكانة العظيمة العالية عند ربه وأنه سيد ولد آدم وصاحب المقام المحمود وحامل لواء الحمد يوم القيامة وأعطاه الله عز وجل ما أعطاه من المزايا في الدنيا وفي الآخرة وكونه حياً في قبره حياة برزخية وهي أفضل من حياة الشهداء ولا شك في ذلك، كل هذه الفضائل والمنن من الله عز وجل له لا يجوز دعاءه ولا سؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة، بل ما كان يستطيع أن يفعله في الدنيا لا يُطلب منه بعد موته صلى الله عليه وسلم، وأوضح ما يكون ما حدث من عمر في الاستسقاء في المدينة لما أجدب المطر وأرادوا أن يستسقوا فقالوا (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فيُسْقَوْنَ)، والنبي صلى الله عليه وسلم في قبره على بعد أمتار من منبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة في المسجد، لو كانوا أرادوا أن يستسقون ويطلبون لذهبوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه، ولكنهم يعلمون بأن النبي قد مات وإن كان حي في قبره حياة برزخية ، لكنه لا يُسأل ما كان يُسأله في الدنيا لا يُسأله الآن في قبره.

" أصابَ النَّاسَ سَنةٌ علَى عَهدِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فبَينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يخطُبُ علَى المنبَرِ يومَ الجمُعةِ فقامَ أعرابيٌّ ، فقالَ : يا رسولَ اللَّهِ هلَكَ المالُ وجاعَ العيالُ فادعُ اللَّهَ لَنا فرفعَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يدَيهِ وما نَرى في السَّماءِ قَزَعةً والَّذي نَفسي بيدِه ما وضعَها حتَّى ثارَ سَحابٌ أمثالُ الجبالِ ثمَّ لم ينزِلْ عن مِنبرِه حتَّى رأيتُ المطرَ يتحادرُ علَى لِحيتِه فمُطِرنا يوم ذلِكَ ومنَ الغدِ والَّذي يليهِ حتَّى الجُمعةِ الأُخرى فقامَ ذلِك الأعرابيُّ أو قالَ غيرُه فقالَ يا رسولَ اللَّهِ تَهدَّمَ البِناءُ وغرِقَ المالُ فادعُ اللَّهَ لنا فرفَعَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يدَيهِ فقالَ اللَّهمَّ حوالَينا ولا علَينا فما يُشيرُ بيدِه إلى ناحيةٍ منَ السَّحابِ إلا انفَرجَت حتَّى صارَتِ المدينةُ مثلَ الجَوبَةِ وسالَ الوادي ولم يَجئْ أحَدٌ من ناحيةٍ إلا أخبرَ بالجَودِ "

فهذا كان في حياته أن يدعو الله عز وجل فالله عز وجل يستجيب له أما بعد موته ما ذهب الصحابة ولا عمر ولا من معه إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه الاستسقاء والمطر أن يدعو الله لهم أن ينزل المطر وما يسألونه أنه هو الذي يمطر عليهم لا طبعاً حاشاهم أن يظنوا ذلك، لكن حتى ما كانوا يطلبونه في الدنيا لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ما طلبوه منه، فإذا كان هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم فما بالك بمن دون ذلك؟

قال ابن تيمية: (وكذلك الأنبياء والصالحون وإن كانوا أحياء في قبورهم وإن قدر أنهم يدعون للأحياء وإن وردت به آثار، يعني حتى لو قلنا بأنهم يعيشون حياة برزخية)، ولما يقول البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم كل ما واحد يصلي عليه يرد الله له روحه ويبلغه الملك فقالوا ليس ببعيد أن النبي حي، قلنا حي حياة برزخية تنازلاً هو حياة برزخية كالشهداء، طيب وإن وردت آثار بأنهم يدعون للأحياء لكن ليس لأحد أن يطلب منهم ذلك كما قال ابن تيمية ولم يفعل ذلك أحد من السلف، واستدللت بفعل عمر والصحابة في الاستسقاء كان الأولى بهم أن يذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه أن يدعو لهم الله عز وجل، قالوا إن هذا دليل على الشرك وجاء الشرع بسد كل وسائل الشرك ذريعة للتعظيم والشرك والعبادات من دون الله عز

وجل، بخلاف لو طلبت منه في حياته لا يؤدي إلى الشرك، يعني لو ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وطلبت منه أن يدعو الله كما حدث فلا شيء في ذلك، لو ذهبت إلى أحد العلماء أو أحد الصالحين على ما سيأتي معنا في أنواع السؤال أن تسأله أن يدعو الله مثلاً لك أو شيء فهذا لا يفضي إلى الشرك، لكنه بعد موته فهذا ليس له أن يفعل ذلك فسؤاله هنا يفضي إلى الشرك وجاء الشرع بمنع ذلك، لأنه بعد الموت انقطع كل شيء إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه

كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

طيب هذه الفائدة الأخرى الثانية في مسألة حرمة التوجه إلى الأموات وسؤالهم بالدعاء والسؤال.

الفائدة الثالثة أيضاً من هذه القاعدة: حرمة سؤال الهداية من غيره سبحانه وتعالى، أي هداية هل هداية التوفيق أم هداية البيان؟ هداية التوفيق والسداد. لأن هداية البيان مقدور للبشر كالأنبياء والعلماء هداية البيان لأن الله كلف الرسل بذلك أن يبلغوا الناس وأن يبينوا للناس العلم والهدى، فنقول أما سؤال هداية التوفيق والسداد يحرم عليك أن تسألها من غير الله عز وجل، بل من اعتقد في مخلوق القدرة على إيجاد الهداية بقلوب الخلق أو سألها من غيره سبحانه وتعالى معتقداً قدرته على ذلك وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله، هذه مسألة مهمة جداً بعض الناس ينجرف فيعتقد من شدة تعلقه بشيخ أو بداعية أو بعالم أو شيء أن هذا هو الذي يهدي الناس، فيرسل أبناءه وبناته ويبالغ جداً حتى يعتقد أن الهداية من عنده وهذه مصيبة من اعتقد ذلك فقد وقع في الشرك الأكبر، لأن إيجاد الهداية في القلوب هداية التوفيق ليست إلا لله عز وجل، بخلاف هداية البيان والإيضاح والتبليغ هذه للأنبياء والرسل وأولو العلم وأهل العلم.

قال الله عز وجل: **"إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ"** إذاً هداية التوفيق والسداد من الله عز وجل، وقد حدثت جلية مع النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبو طالب لما أراد أن يدعوه إلى الإسلام ومات على الكفر فحزن صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ"، وقال: "إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ"، حتى لو أنت حريص كل الحرص أنت عليك البلاغ، طيب " وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " هذه هداية البيان هذه للبشر أن يبين، كل منا ممكن أن يبين ويهدي إلى الصراط المستقيم بالعلم والدعوة وإلى غير ذلك، لكن التوفيق والسداد ليست إلا لله عزوجل،إن القلوبَ بين إصبعين من أصابعِ اللهِ يقلِّبُها كيف يشاءُ ، لذلك دائماً المرء يكثر من دعاء (اللهم ثبت قلبي على دينك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك)، فحصول الهدى في القلب لا يقدر عليه أحد بإتفاق المسلمين، لا أحد يستطيع أن يهدي القلوب ولا أحد يستطيع أن يخلق الهدى في القلوب غير الله عز وجل، لكن الأسباب العبد يقدر عليها نعم، أسباب الهداية ممكن الدعوة البيئة التعليم النصح تجنب المحرمات والمنكرات، الأسباب يقدر عليها العبد؟ نعم يقدر عليها العبد، لكن وقوع الهدى نفسه وإيجاده في القلوب ليست إلا لله عز وجل، طب هذه الفائدة الثالثة.

الفائدة الرابعة: سؤال أهل العلم لا يدخل في السؤال المحرم الممنوع، بل قد يكون سؤالهم فرض واجب حتمي على المرء إن أراد أن يتعلم أمراً أو يستفتي في مسألة.

قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"، هذا واجب وللأسف الناس الآن ما تسأل إلا بعد الوقوع في الخطأ، يروح يعمل المعاملة وبعد أن يعمل المعاملة يا شيخ المعاملة هذه صح ولا خطأ؟ طب ما أنت واقع في الربا!!! أين كنت قبل الوقوع في ذلك الأمر؟ يتزوج ونكتشف أن العقد باطل، ثيب زوجت نفسها بغير إذن وليّها، وعقود بقي كثيرة، النكاح والطلاق نفسه والمعاملات، أين أنت؟ تذهب إلى الحج ما تعلم شيئاً قبل أن يذهب، يقع في مخالفات وهذا خطأ، لابد أنك قبل أن تفعل العبادة أو المعاملة تسأل أهل العلم وتتعلم، كما تعلمت من الصغر كيف تتطهر ثم كيف تتوضأ ثم كيف تصلي، وتعلمت كيف تصوم، لا بد تتعلم أيضاً لو عندك مال كيف تزكي، كيف تحج، كيف تعتمر، كيف تتزوج، كيف تطلق، كيف تبيع وتشتري، كيف تهب، وهكذا كل هذه الأمور لابد الرجوع وسؤال أهل العلم فيها، لأن الله افترض عليك واجبات ونهى عنك محرمات فلابد أن تعلمها وتعلم كيف تأتي بالواجبات وتنتهي عن المحرمات، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وبيان ذلك لابد أن ترجع فيه لسؤال أهل العلم، فسؤال أهل العلم ليس فيه خضوع وليس فيه مذلة وليس فيه تذلل، بل هو تعظيم لأهل العلم وهو تعظيم لله، لأن تعظيم أهل العلم من تعظيمك لله عز وجل وللنبي صلى الله عليه وسلم والتوقير والتقدير، لأن العلماء ورثة الأنبياء وهم يحملون علم الكتاب والسنة فتعظيمك لهؤلاء تبجيلاً لهم ورفع مكانتهم، هي المكانة التي أنزلها الله عز وجل لهم ورفعها، " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"

فنقول هذا السؤال (سؤال أهل العلم) ليس من السؤال الممنوع أو المحرم، بل النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أنكر - والحديث به ضعف – (خرَجْنا في سفَرٍ فأصابَ رجلًا منَّا حجَرٌ فشجَّهُ في رأسِهِ ثمَّ احتَلَمَ فسألَ أصحابَهُ فقالَ هل تَجِدونَ لي رخصةً في التَّيمُّمِ فَقالوا ما نجِدُ لَكَ رُخصةً وأنتَ تقدرُ علَى الماءِ فاغتسَلَ فماتَ فلمَّا قدِمنا علَى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أُخْبِرَ بذلِكَ فقالَ قَتلوهُ قتلَهُمُ اللَّهُ إلا سألوا إذْ لَم يعلَموا فإنَّما شفاءُ العيِّ السُّؤالُ إنَّما كانَ يَكْفيهِ أن يتيمَّمَ ويعصرَ - أو يعصبَ شَكَّ موسَى - علَى جرحِهِ خرقةً ثمَّ يمسحَ عليها ويغسِلَ سائرَ جسدِهِ)، قلت الحديث فيه كلام نستأنس به فالنبي أنكر عليهم بل ممكن يكونوا سبباً في قتل الرجل.

وهناك أشياء لا تسأل عنها، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ" وهي غلطات المسائل والمجادلات وغير ذلك المرء يترفع ولا يكثر من السؤال فيها، أو ما لم يقع كما قال علماؤنا هذا الأمر لم يقع، لما يقع تسأل عنه لا تفترض، فسؤال أهل العلم خارج عن هذه المسألة كما قلت.

كذلك قالوا سؤال السلطان الحاكم شيئاً من أمور الدنيا جائز إن كان للسائل حق في بيت مال المسلمين، هناك بيت مال المسلمين فيه حقوق لعامة المسلمين فإذا جاء أحد يسأل الحاكم أو السلطان حقاً له من بيت المال فهذا جائز ليس فيه نوع محرم أو ممنوع، لأنه يسأل حق له وليس فيه تذلل ولا خضوع، هو يسأل من حقه في بيت المال.

فائدة خامسة

طلب الإعانة والاستغاثة المقيدة جائزة من غير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير، يعني إنك تستغيث وتستعين بأحد، قلنا ضابطه عند العلماء دائما كنا نتكلم في توحيد العبادة (حي حاضر قادر) تستغيث بحي حتى يخرج الميت، بحاضر يعني ليس بغائب حتى لا تستغيث بالجن والملائكة لأنهم غائبين هم ليسوا من أهل الحضور لا نشاهدهم، وقادر أي فيما يستطيع.

فمثلاً أنت الآن هنا بتغرق وتتصل بواحد قاعد في أمريكا وتقول له تعالى أغثني أنقذني من الموت وهو في أمريكا!!! طب هيجي لك كيف؟ فلابد من الحي الحاضر القادر هذا لطلب الإعانة والاستغاثة المقيدة جائزة من غير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير.

وقوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، هنا المقصود منها الاستعانة المطلقة لا المقيدة، نعم العبادة والاستعانة بالله، لكن هناك طلب إعانة واستغاثة مقيدة من المخلوق فيما يقدر عليه، وهذه لا تنافي قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" التي هي الاستعانة والاعانة المطلقة التي لا تكون إلا لله.

من تطبيقات القاعدة أيضاً: من سأل الطبيب البرء من مرضه معتقداً قدرته على ذلك كان واقعاً في الشرك لماذا؟ لأنه سأله شيء لا يقدر عليه إلا الله، طب ممكن بعض الناس تقع في ذلك، البرء والشفاء من عند الله لكن الله شرع أسباباً الطبيب المعالج هذا سبب، الدواء الناجح سبب، كل هذه أسباب تصل بقدرة الله عز وجل إلى الشفاء، لكن حقيقة خلق البرء وإيجاد الشفاء هي من الله عز وجل، ليست لا من الطبيب ولا من الدواء، فمن اتفق مع الطبيب يقول له (أعطيك كذا مقابل إنك تشفيني) هذا شرك لأنه اعتقد أن الشفاء من الطبيب.

ابن حزم يقول: (لا تجوز مشارطة الطبيب على البرء أصلاً لأنه بيد الله تعالى لا بيد أحد ، وإنما الطبيب معالج ومقو للطبيعة بما يقابل الداء ، ولا يعرف كمية قوة الدواء من كمية قوة الداء ، فالبرء لا يقدر عليه إلا الله تعالى).

تبقى لنا في الطلب فائدة وأخيرة: (طلب الدعاء ممن يظن فيه الخير والصلاح جائز وهي مسألة خلافية)

لكن طلب الدعاء ممن ظن فيه الخير والصلاح جائز، ولا يدخل في سؤال المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى لماذا طيب؟ قال لأنه لم يطلب منه سوى الدعاء، يعني لو قال (ادعو الله لي أن يشفيني الله، ادعو الله لي أن يفرج عني الكرب والهم مثلاً)، هو لما طلب من المخلوق ذلك طلب منه الدعاء وليس طلب من المخلوق أن يشفيه أو يرفع عنه الهم أو الكروبات، فطلب منه شيء مقدور أم لا؟ مقدور أن المخلوق يرفع يده ويدعو الله، أما تحقيق المطلوب هذا واستجابة الدعاء هذه لله ليست من المخلوق، لذلك بعض أهل العلم قالوا بجواز ذلك وإن البعض استحب وقال طبعاً يعني لها تفصيلات لكن نحن بنضع القواعد فقط والتفصيلات تأتي في شروحات الكتب، لكن نقول أن هذا جائز عند غالب أهل العلم لأنه لا يدخل في سؤال المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، يعني هذا من جنس الأسباب العادية ممكن تقول ذلك، إذا كان رجل معروفاً بالصلاح وإجابة الدعاء فطُلب منه الدعاء أو أُمر به فدعا الله فاستجيب له ليس هو الفاعل للإستجابة بل الله عز وجل هو الذي استجاب، لكن هو له الدعاء فقط وهذا يقدر عليه المرء.

طيب هذا آخر الكلام في هذه القاعدة.

معنا قاعدة أخرى: الاعتقاد في الأسباب بذاتها شرك في الربوبية والألوهية

ما معنى الأسباب؟ الأسباب جمع سبب في اللغة هو الحبل، الشيء الذي يوصل إلى الشيء، يقال الطريق الموصل إلى الشيء سبباً، الباب يسمى سبب تدخل منه إلى شيء، باب الحجرة سبب لدخول الحجرة باب البيت أو الدار سبب لدخول شيء، يعني هو ما يوصل إلى المقصود، بل قد سمى الله عز وجل وصل الناس بعضهم ببعض أسباباً، قال تعالى: "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ" يعني الواصلات التي كانت بينهم في الدنيا.

وجاء في سورة الكهف "فَأَتْبَعَ سَبَبًا" أي طريقاً.

وأيضاً عن فرعون: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ " الآيات، وأسباب السماوات يعني أبواب السماوات، فكل هذه معاني في اللغة للسبب.

معنى القاعدة هنا والقاعدة هذه مهمة جداً لأن الاعتقاد في الأسباب بذاتها شرك في الألوهية والربوبية **وهي مسألة الاعتقاد في السبب،** وهذه كثير من الناس يحتاجون إلى تقويم إيمانهم وقلوبهم في مسألة التعامل مع الأسباب، مسألة الاعتقاد في الأسباب وكونها مؤثرة في المسببات، كون السبب مؤثر في المسبب بذاته مستقلاً بدون قدرة الله ومشيئته أو حتى مع المشاركة مع الله عز وجل بالقدرة والتأثير، القاعدة هذه نصت على أن هذا (الاعتقاد أن الأسباب مؤثرة بذاتها هذا شرك، أو مشاركة مع الله في التأثير أيضاً هذا شرك، وشرك في الربوبية والألوهية) كما سنبين، بل شرك أكبر يبطل الإيمان الذي في قلب العبد، طب لماذا هو شرك في الربوبية وشرك في الألوهية؟ شرك في الربوبية لأنه اعتقد أن هناك ثم مشارك مع الله في الخلق والإيجاد والتأثير وهذه من لوازم الربوبية، الخالق هو الله والموجد هو الله والمؤثر هو الله، بل هو شرك في أخص صفات الربوبية، الرب من أخص صفاته أن له الخلق والأمر الإيجاد له والتأثير له سبحانه وتعالى، فمن اعتقد أن للسبب تأثيراً مستقلاً لذاته أو حتى مشارك مع الله عز وجل، فأولاً وقع في شرك الربوبية ثم وقع في شرك الألوهية لأن كما هو معلوم أن الشرك في الربوبية مستلزم للشرك الإلهية لماذا ؟ لما اعتقد تأثير الأسباب في ذاتها.

فالأسباب هذه ممكن تكون مخلوقات، يعني الطبيب مثلاً قلنا سبب، اعتقد في الجن تأثيره اعتقد في أسباب مادية، لما اعتقد في تأثير الأسباب بذاتها وأن لها قدرة ومشيئة خاصة لابد سيصرف لها شيء من العبادة القلبية على الأقل وليست الظاهرية حتى، طبعاً الظاهرية ممكن تبقى واضحة في أن يصرف للجن أنه يسجد له بيعبده وبيقدم له شيء بل حتى لو ما يكن الجن حتى لو الطبيب أو الرئيس في العمل **هو لا يعلم أن من الذي يقدر الأرزاق يعني يقسمها في الدنيا فلابد سيصرف له شيئاً** من العبادة القلبية من التوكل شرك خوف شرك فوض الأمر له في هذه الاسباب حيأتي خوف رجاء محبة كل هذه من العبادات القلبية، سيؤدي إذا اعتقد أن السبب هذا مؤثر بذاته أو مشارك وهذا قلنا الربوبية سيؤدي ذلك أن القلب لابد سيصرف له شيء من العبادات القلبية وإن لم يتطور الأمر فيصرف له شيء من العبادات الظاهرية أيضاً.

سؤال من طالب

أليس المذاكرة سبب في النجاح؟

الجواب:- نعم سبب، لكن لو اعتقدت أن مذاكرتك هي التي نجحتك، أنت قعدت تذاكر واعتقدت أن العشر ساعات مذاكرة في اليوم هي التي نجحتك؟ فهذا اعتقاد في السبب.

أنت ذاكرت لكن التوفيق والتسديد الذي جاءك من الله ليس من المذاكرة، بدليل أن في ناس بتذاكر ولا توفق في الامتحان، أدى ما عليه لكن لم يكتب له التوفيق في هذا الامتحان .

طب خليك معي إلي النهاية طيب لابد أن أبين أن الله عز وجل خلق هذا العالم وجعل له سنناً كونية لا تتغير ولا تتبدل إلى أن يشاء الله عز وجل

قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

من هذه السنن الكونية انتبهوا أن الله جعل لكل شيء سبباً وربط بين المسببات والأسباب، وبين النتائج والمقدمات، لكنه هو الله سبحانه وتعالى خالق الأسباب والمسببات، فهو خالق للسبب وجعله مؤثراً ومنتجاً للمسبب، وإن كان السبب لوحده لا يوجب المسبب بل لابد أن يضم الله عز وجل إليه أمور أخرى وأن يدفع عنه آفات أخرى وأنه أيضاً قد يخلق المسبب بدون سبب يعني هو خالق للسبب والمسبب والارتباط بينهما ومقدمات ونتائج،إن تذاكر تنجح كما قلت، إن أخذت الدواء يكتب الله لك الشفاء مثلاً (تَداووا، عبادَ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ لم ينزل داء إلا أنزلَ لَهُ شفاءً)

ففي ربط هنا بين السبب والمسبب له، فيه ربط ولكن قد يخرج الله عز وجل مسببات بدون سبب بمشيئته سبحانه وتعالى وإرادته، لذلك فلابد تعتقد أنه ليس في الكون ما يستقل بإحداث شيء إلا مشيئة الله عز وجل وقدرته ، هو سبحانه وتعالى الوحيد الذي يستقل بإحداث الأشياء بخلق أسبابها وقد يحدثها بغير أسباب وهذه لا تكون إلا لله ومشيئة الله عز وجل.

بل الأسباب المخلوقة كمثلاً النار بتحرق والشمس تشرق نور والطعام يشبع والشراب يروي، كل هذه الأمور سبب لكن لا تظن بأن الحادث لك في الإشباع والإرواء هو الطعام والشراب فقط لا بل ينضم إليه سبب آخر، بل قد يدفع عنك موانع أخرى بعض الناس ممكن تأكل ولا تشبع؟ وناس أخرى تأكل قليل وتشبع، يبقى ليست المسألة في الأكل والطعام فقط بل في موانع أخرى قد يجعلها الله عزوجل تمنعك من الشبع مع أنك أكلت، وقد يرفع عنك الموانع فبمجرد أن تأكل تشبع، تغير هذا لا يكون إلا من الله عز وجل، فإذاً المسببات متوقفة على أسباب وقد يكون أيضاً انتفاء موانع تمنع من الأثر فيها، ما هو شروط وانتفاء موانع وهذا كله لا يكون إلا من الله ليس لمخلوق أن يفعل شيء من ذلك.

والأسباب التي جعلها الله عز وجل تنتج المسببات قد تكون أسباب كونية وقد تكون أسباب شرعية

الأسباب الشرعية دل الشرع عليها الله عز وجل أخبرنا بها جعلها أسباب وأعظم سبب للأسباب الشرعية الموصلة إلى رضوان الله عز وجل وجنته هو الإيمان به سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به والتوكل عليه والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته والإيمان بالقرآن وأنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود، أعظم الأسباب التي ينال بها العبد رحمة الله ورضوانه هذا الذي بيناه الآن كل هذه أسباب شرعية .

أما في الأمور الكونية فهناك نعم أسباب كونية بينها الله عز وجل، جعل الماء منبت للزرع سبب كوني. ما الذي يجعل الماء العذب هو الذي يرويك والماء المالح لا يرويك؟ تشرب من البحر ما ترتوي؟ تشرب من النهر العذب ترتوي. قال تعالى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا) وأيضاً (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6))

فجعل نزول الماء سبباً لإنبات الزرع، وجعل الولد مسبب عن النكاح بين الزوج والزوجة ، الجماع يؤدي إلى الولد، وجعل النار سبباً للإحراق كل هذه أسباب كونية. جعل للماء خاصية إطفاء النار سبحانه وتعالى يعني النار تحرق والماء الذي يطفئ النار كل هذه أسباب كونية ومن قبلها بينا الأسباب الشرعية وكلها من الله عز وجل هو الخالق للأسباب ولتأثيرتها ولنتائجها.

خلاصة الأمر أن من الأسباب ما ينتج مسبب كوناً ومنها ما لا ينتجه، فإذا كان ينتج المسبب كوناً وهذا طبعاً حسب العادة والعرف ينظر بعد ذلك في إباحته الشرعية، فإن أباحته الشريعة أصبح سبباً شرعياً وقدرياً وإذا لم تبحه كان سبباً كونياً فقط.

يعني مثلاً التداوي بالمحرمات، هو ممكن يتداوى بها؟ نعم ممكن يتداوى بها. فالله خلق لها تأثيرها كسبب كوناً لكن لم يأذن بها شرعاً، فممكن تجد أن طبعاً تفصيل في هذه المسألة لكنه يبين لنا المثال أن سبب قد يكون كوناً ينتج عنه مسبب لكن يأتي الشرع ويمنعه لأنه قد يكون فيه ضرر تمثل تداوي بالنجاسات، تداوي بالخمر إلى غير ذلك من المحرمات فمنعه الشرع فلم يعد سبباً شرعياً قد يكون سبباً كونياً

قال تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)

الله عز وجل أثبت أن فيها منافع لكن الإثم أكثر فمنع شرعاً، لكن كوناً ممكن تجد أن يكون هذا مسبب لكن يأتي الشرع ويمنعه ، فأصبح سبباً كونياً لكن جاء الشرع منعه فلم يعد سبباً شرعياً، وممكن يكون كوناً فيأتي الشرع يبيحه فينتقل من سبب كوني إلى سبب شرعي، مثل باقي الأمور يتداوى بها غير المحرمات هي أصلاً كوناً وأصبحت سبباً شرعياً

البعض يتكلم في مسألة الاستحالة وهي مسألة أخرى، استحالة يعني المادة تستحيل من مادة لمادة أخرى فأصبحت مادة أخرى، ولو استحالة كاملة هل نقبلها؟ ويعد انتقالها إلى مادة أخرى هل بتجوز أم لا؟ هذه مسألة خلافية من العلماء والراجح أنه لم يتحقق حتى عند المدققين من الصيادلة إلى الآن هم مختلفين إن في حاجة اسمها (استحالة كاملة). الاستحالة الكاملة هذه لم تثبت ولذلك يوافق قول الجمهور من الشافعية والحنابلة وغيرهم وأنه لا يوجد استحالة كاملة فيظل الأمر على نجاسته ويمنع استخدامه، فكل ما كان من مشتقات الخنزير لا يستخدم.

نعم الخمر لو تركت بنفسها وصارت خلاً خلاص، هذه جاء الشرع بها أي تستخدم ولو حولت حتى تحويل على قول عدم نجاسة الخمر يقول بجوازها، لكن لو قالوا بنجاسة الخمر فيكون الخل نجس، لكن هل هي تستحل؟ نعم تستحل إذا استحلت بنفسها لأن الشرع بين ذلك، فالخمر واستحالته إلى الخل أو تخللت بنفسها نقول يعني إلى الخل فهذا يجوز.

هكذا بينا الأسباب الكونية والشرعية ومع أنها أسباب لكنها تأثيرها ناقص لا يمكن أن يحدث المسبب بها وحده بل لابد من مؤثر تام وهو الله عز وجل بإرادته الكونية القدرية ومشيئته النافذة حتى يؤثر هذا السبب في المسبب.

إذاً هنا ما هو الاعتقاد الذي في القاعدة ؟ الواجب على كل مؤمن أن يعتقد أن الأسباب غير فاعلة بأنفسها وإنما الفاعل فيها مسببها سبحانه وتعالى، لكن جرت العادة في خلقه بمقتضى العوائد **المتضردة** وقد يخرقها الله عز وجل إذا شاء، إن مثلاً لو أخذت دواء البنادول يذهب الصداع، إن شربت دواء كذا وجع البطن يذهب.

النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه رجل اشتكي أخوه الوجع قال اسقه عسل فقال رجع للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما زال الرجل يشتكي قال اسقه عسل فرجع في الثالثة فقال صدق الله وكذبت بطن أخيك فبرء بعد ذلك.

فنقول بأنك مستيقن نعم، لكن بعض الناس للأسف هذه المسألة أيضاً عندهم إشكال، في أسباب شرعية بينها الله لنا الدواء مثلاً للتداوي لكن قد تتخلف فممكن تأخذ الدواء تأخذ العسل تأخذ حبة البركة تأخذ زيت الزيتون ممكن إنه يناسبك فتشفى وممكن أنك لا تشفى به، لكن هل هذا يقدح في أن هو مشفي؟ لا. يظل السبب سبباً شرعياً أو مادياً ويتحول إلى شرعياً لكنه قد يقتضي الأمر أنه يتخلف السبب عن تأثيره نعم.

سيدنا خالد شرب السم لما تكلم مع الرجل شرب السم واستيقن قال بسم الله ويعلم أن قد تأثير السم قد يتخلف وقد تخلف يقيناً بالله عز وجل أنه لن يصيبه شيء إلا بإذن الله، أبو مسلم الخولاني صحيح الذي ألقي في النار كإبراهيم عليه السلام ولم يصبه شيئاً فقد وضعوه في النار ليحترق، الله عز وجل فعل معه كما فعل مع إبراهيم وقال للنار كوني برداً وسلاماً، تخلفت النار على الإحراق.

فقد يتخلف السبب عن تأثيره؟ نعم. ليبين لك أن الله عز وجل هو المؤثر في ذلك ولابد أن تعتقد ذلك، لكن نقول جرت العادة نعم **المرتبطة** تقول نعم لكن قد تفعل السبب ولا يؤثر.

لذلك القاعدة نصت على أن من اعتقد هنا متى يقع في هذه المخالفة والشرك؟ من اعتقد في فاعلية الأسباب وتأثيرها بذاتها بدون مشيئة الله وقدرته كان مشركاً الشرك الأكبر السالب للإيمان بالكلية وكان كحال عباد الأصنام وعباد القبور الذين يعتقدون بأن الأصنام والقبور تنفع وتضر استقلالاً، وهذا عام بجميع الأسباب الكونية أو الشرعية لذلك مهم جداً ضبط هذه المسألة.

مرة أخرى من اعتقد في فاعلية الأسباب تظن لا ما خلاص خد الدواء الفلاني انتهت المسألة يقول لك أن كلها كام ساعة وتشوف هيجرى له ايه؟ هتلاقيه ماشي زي الحصان .هو معتقد اعتقاداً في فاعلية الأسباب أن هنا بتؤثر بذاتها أصالة، لا. هو مثلاً هيعمل العملية الفلانية وهيرجع يخس ويبقى ممتاز والموضوع منتهي، أو هو بس يروح لفلان هيخلص له المسألة وهيعدي من الموضوع الذي هو فيه هيخلصها له، في أي معاملة كانت ، يعتقد أن هذا السبب مؤثر لذاته ويركن إلى ذلك، هذا اعتقاد خطير جداً يصل به المرء إلى الشرك الأكبر، أما من تعاطى الأسباب بدون اعتقاد فيها وأنها لا تؤثر بذاتها لكن اعتمد عليها -انتبهوا الفارق- اعتمد عليها واطمأن لها بدون التفات إلى خالقها وخالق أثرها كان واقعاً الشرك الخفي وهو الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الملة.

ما هو الفرق بين الأول والثاني؟ الأول هو معتقد في فعالية السبب وأنه مؤثر بذاته، الطبيعة مثلاً فيقول لك الطبيعة وأصحاب الطبيعة والفلاسفة والذين دخلوا في الالحاد بعد ذلك، أن المسألة واحد زائد واحد يساوي اثنين كما يقال طالما فعلت كذا لابد أن سيحدث كذا، هذا معتقد

في فاعلية السبب وتأثيره بذاته هو شرك الأكبر، بخلاف الذي يعلم أن السبب من الله ولم يعتقد في السبب وأن السبب لا يؤثر بذلك لكنه اطمأن ومال إليه.

الذي بيحدث عند بعض الناس يقولون مثلاً أنا لما بتعب ما بروحش غير للدكتور الفلاني ما بروحش لغيره، هذا هو الذي أنا هبقى أطمئن له، طبعاً المسألة ممكن يضبطها لكن ممكن يميل القلب أصبح أنه اطمأن قوي للطبيب هذا أو هي اطمأنت الأخت للطبيبة الفلانية من كثرة ما يزكون فيها أو تعاملت معها سنين أو الدكتور هذا طبيب أطفال شاطر فكل أولاد العيلة بيروحوا له ما تودوش بره هو هذا الدكتور، ممكن تقول نعم لو كان هو لخبرته لكن المشكلة لو اطمأن القلب لهذا السبب هنا هتقع في الشرك الخفي الذي هو شرك أصغر.

وأما من تعاطى ما ليس سبباً كونياً ولا شرعياً واعتقده سبباً مع عدم الدليل على سببيته لا كوناً ولا شرعاً ولا عرفاً كان واقعاً في شرك الأصغر. يعني هو اخترع سبباً يعني مثلاً ممكن تقول أن واحد مريض فراح اخترع شئ بيتداوى به، هذا الشيء لا شرعاً ذكر ولا مجرب حتى عند الاطباء، مثل ما بنقول هكذا الاختراعات في العلاج لا سبب مادي ولا سبب شرعي أصالة، لا يوجد عليه دليل كوناً فيكون سبب كوني ولا حتى سبب شرعي ولا عرفاً واقعاً، وأنت اتخذته سبب أو بعض الناس يقول لك لما تكون أنت تعبان وعايز تفك عن نفسك مش عارف اعمل رياضة معينة إنه هيعمل تمارين معينة هتلاقي نفسك الهم راح من عندك، طب هل هذا سبب كوني!! طبعاً ربنا بيقول (**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) فممكن الواحد لو عنده في قلبه شيء ربنا قال بذكر الله تقرأ قرآن تستغفر تتوب لكن أنت من أين أتيت الآن بأسباب وأن هذا سبب تطمئن به القلوب؟ هذا لا سبب شرعاً ولا كوناً ولا عرفاً ولا عادة وكأنك أخذت سبباً تنصح به الناس يفعلونه لا سبب كوني ولا شرعي ولا مجرب ولا معروف أصالة ليس هناك دليل عليه ، قالوا هذا واقع في الشرك الأصغر لماذا طيب واقع في الشرك الأصغر؟ تكلموا فيها قالوا لماذا؟ لأنه شارك الله عز وجل في الحكم لهذا الشيء بالسبب، أي أنه جعل السبب هذا حكماً على هذا الشيء مع أن الله لم يجعله سبباً (**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**) ولكن الحق أنه ليس بأكبر هو شرك أصغر من هذا الباب.

فإذاً هذه مسألة مهمة جداً أنك ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الاعتماد على الأسباب، تقطع الاعتماد على الأسباب واعتقاد كونها مؤثرة بذاتها، وهذا المقام يسهل لك التوكل هذا معنى التوكل الذي نبحث عنه جميعاً كيف نصل إليه؟ أنك ترى الأمور كلها من الله تعالى ورؤية تقطع الاعتماد على الأسباب واعتقاد مؤثرة بذاتها.

نعم بتذاكر لكن لا تظن أن المذاكرة لوحدها هي التي ستجعلك تأتي بأعلى الدرجات، ستحضر المجالس لكن لا تظن أن التوفيق الذي يأتيك في قلبك والهداية هي من حضورك، فقط هي سبب لكن أن تعتقد بأن الهادي حقاً المعلم لك حقاً الذي سيبلغك حفظ القرآن والعلم الشرعي والإتقان والعمل هو الله، أنت تنزل كل يوم للعمل والرزق وهذا ليس بسهل لكن أنت سبب فقط لكن الرزق يأتيك من الله عز وجل، وهكذا تعيش حياتك كلها كل ساعة وكل لحظة سواء كانت من أمور الدنيا والآخرة بأسباب، فإنك إن رأيت أن الأمور كلها من الله رؤية تقطع لك الاعتماد على السبب أو تعتقد السبب كونه مؤثر وإن تحقق لك ذلك سيأتيك ثمرة التوكل، هذا هو التوكل وتترك شكاية الخلق وتترك لوم الناس وستجد الرضا عن الله عز وجل والتسليم لحكمه وهذا هو المقصود من القاعدة.

أدلة القاعدة التي تبين ذلك وتثبت تأثير الأسباب وإنتاجها للمسببات

قال تعالى { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(54) } [الأعراف : 54]، فخص الخلق به سبحانه دون سواه، إذاً لا محدث ولا خالق ولا موجد إلا الله تعالى كل ما في الوجود من المخلوقات ومن أفعال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة مخلوقة لله عز وجل هو المتفرد بالخلق والإيجاد والإبداع والتصوير ، قال تعالى (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) كل شيء خلقه الله عز وجل حتى الأسباب والمسببات فهي داخلة في كل شئ .

يبقى أول شيء إثبات القاعدة (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) كل الخلق وآية الأنعام أيضاً (**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ**) دخل فيها الأسباب والمسببات إذاً هي من الله عز وجل .إذاً الاعتماد على الأسباب شركاً في الالهية والربوبية.

ومن الاستدلال على هذه القاعدة حديث زيد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح والحديبية على أثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب.

استدل العلماء على هذه القاعدة قالوا (من قال مطرنا بفضل الله ورحمته) هذا إيمان بالله لأنه يعلم أن الذي يمطر هو الله عز وجل وأن الذي يعطي هو الله عز وجل وأما من قال (مطرنا بنوء كذا وكذا) الذي هو السبب لو قلنا أصالة، كان بعض أهل الشرك يظنون أن المطر بينزل بسبب النوء الفلاني فهذا كفر لأن الأنواء لها وقت وهذه أوقات في السنة فقط والوقت مخلوق، ربنا الذي بيخلقه لا يملك لنفسه شيئاً فلا يمطر ولا يصنع شيئاً ولذلك من قال مطرنا بنوء كذا فكان يقول مطرنا بالوقت والوقت مخلوق فاستند إلي السبب وجعله مؤثراً في نزول المطر ووقع في الشرك قال النبي (كافر بالله ومؤمن بالكوكب) ومن قال مطرنا بفضل الله ورحمته هذا الذي نسب الأمر وأرجعه إلى الله سبحانه وتعالى فهذا هو الذي مؤمن بالله وكافر بالكوكب، لأنه كما قال العلماء أنه ظن بأن الكوكب هو الفاعل المدبر لذلك قال مؤمن بالكوكب وكافر بي وهذا كان يفعله بعض الجاهلية.

وهذا دليل آخر لهذه القاعدة، طب هذه القاعدة مسطرة في كثير من العلماء يعني كثير من العلماء تكلموا عن هذه القاعدة ابن القيم مثلاً يتكلم عن حقيقة الشرك المتعلق بالأسباب فيقول (فالإلتفات إلى الأسباب دربان أحدهما شرك والآخر عبودية وتوحيد، فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود فهو معرض عن المسبب لها ويجعل نظره والتفاته مقصوراً عليها) هذا كلام ابن القيم يحقق ما نقوله في القاعدة أيضاً. وأيضاً ابن تيمية يقولها (الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ويقول إذا تضمن هذا الالتفات اعتقاد التأثير الذاتي للأسباب بدون مشيئة الله كان شركاً في الربوبية مخرجاً عن ملة الإسلام) نحن قلنا أول القاعدة بتقول أن الالتفات والإعتماد على الأسباب لذاتها شركاً في الربوبية والالهية فقال (كان شركاً في الربوبية مخرجاً عن ملة الاسلام مستلزماً للشرك في الألوهية كما سبق تقريره لأنه لابد من حصول الاعتقاد والخوف والرجاء على هذه الأسباب وهي عبادة قلبية لا يجوز صرفها إلا لله عز وجل لذلك وقع في شرك الألوهية) . الإمام الشاطبي يقول أيضاً (فالالتفات إلى

المسببات بالأسباب له ثلاثة مراتب أحدها أن يدخل فيها على أنه فاعل للمسبب أو موجد له وهذا شرك أو مضاه له والعياذ بالله والسبب غير فاعل بنفسه).

طيب القاعدة الآن وضحت. طب ما فوائد هذه القاعدة والتطبيقات؟ نختم بها الكلام ، نقول هذا الحكم الذي في القاعدة حكم عام **مضطرد** لجميع الكائنات هو ليس خاصاً بالأسباب المؤثرة فقط، بل من اعتقد في أي مخلوق كائناً ما كان أنه يفعل بذاته ويوجد الشيء بنفسه ومشيئته استقلالاً بدون إرادة الله ومشيئته وقدرته فقد أشرك شركاً أكبر مخرج عن الملة، حتى لو كان الفعل هذا من مقدور للبشر يعني حتى لو أنت تعلم أن الفعل هذا مقدور للبشر يعني ممكن واحد يحمل الطوب لأعلى أو يبني بناء هذا الذي هو أي واحد ممكن يفعله فهو فعل مقدور للبشر لكنك لو اعتقدت أن هذا المخلوق يفعل هذا البناء أو يصنع هذه السيارة أو يرسم هذا الرسم أو يفعل هذا الشيء بنفسه استقلالاً ومشيئته استقلالاً فهذا كفر وشرك أكبر ، حتى لو كان المخلوق يفعلها فنحن لسنا بنتكلم عن الأشياء التي لا يفعلها إلا الله كخلق السماوات والارض وخلق الآدمين والإنسان وخلق كذا، لا بل حتى التي يقدر عليها المخلوق إن اعتقدت بأي مخلوق أينما كان أنه يفعل بذاته ويوجد الشيء بنفسه بدون إرادة الله ومشيئته هذا شرك مخرج عن الملة .

طيب إذا كان هذا نقوله وهذا هو التطبيق على المخلوق، طب ما حال من يعتقد بأصحاب القبور أنه يفعل وينفع ويضر ويعتقد أنه يشفي ويرزق الولد والمال ويعطي الصحة ويرفع البلاء سواء في الأمور في الدنيا بل يدخله الجنة ويجعله معه فيها إن كان هو أصلاً يدخلها أو يغفر الذنوب أو يستر العيوب أو يهدي القلوب كل هذه اعتقدها في مقبور من باب أولى تكون شركاً أكبر.

هذه أول فائدة من القاعدة الثانية فيها رد على الفلاسفة والطبائعيين، من هم الفلاسفة والطبائعيين؟ الذين يعتقدون في الأسباب، يعتقدون في الأسباب فقط، تجد الرجل الذي هو مظنة الإلحاد بعد ذلك، لما تجلس معه تجده كل شيء يرجعه للطبيعة والفلاسفة عندهم ذلك، أهل الإلحاد من الطبائعيين أولاً يعتقدون في الأسباب إنه لا يمكن تجريدها عن آثارها ونتيجتها، يعني يقول لك لا يمكن لابد النار تحرق، الشمس لابد تشرق، ولو حطيت الحديد لابد أن يحصل به كذا، لا يجردون الأسباب عن الآثار والنتائج، ليست عندهم الأسباب مربوبة ومسخرة لا هي عندهم فاعلة منتجة بذاتها، الفلاسفة والطبائعيين وهؤلاء يجعلون الأسباب فاعلة ومنتجة بذاتها ليست مسخرة ومربوبة لذلك لا تتخلف عندهم أبداً، فهذه القاعدة ترد على هؤلاء فهم يقولون لا تعطيل في الطبيعة ليست عندهم الطبيعة مربوبة أو مقهورة أو لها مسخر يسخرها كيفما يشاء، لا هم ليس عندهم هذا الاعتقاد، بل يرون أن الطبيعة متصرفة مدبرة مستقلة.

هذه من القواعد المهمة التي قد يقع فيها المرء أو يقع فيها أهل الشرك، بسبب اعتقادهم في الأسباب فيعتقد فيها أنها مستقلة بذاتها فهذا شرك كما قلنا في الربوبية وشرك في الألوهية.

نقف عند هذا القدر.

سؤال من طالبه: هناك من يقول إن الإعصار الموجود الآن في بعض الدول، الماسونية هي التي تفعله ليس بقدرة الله عز وجل

إجابه الشيخ: هل لو قلنا أنهم ممكن يفعلوا ذلك؟ هل تأثير ذلك سيكون استقلالاً منهم؟ أم لابد من الله عز وجل؟ الإجابة من الله. يبقى المسألة كلها كلام لأنهم هم ممكن يكونوا بيفعلوا طول عمرهم أشياء كثيرة لا نعلمها يكيدون بها الإسلام، لكن الله يبطل منها ما يبطله ويقدر أن يمضي منه ما يشاء، ونحن لا نعلم شيء فهذا الكلام لا فائدة منه فهم يظنون يعني أن الماسونية هي التي هتنزل المطر وهتعمل الإعصار نقول لهم هذا لا يكون إلا بمشيئة الله نعم هم ممكن

يكونوا بيفعلوا أشياء تضر بالمسلمين فهذا لا يستبعد ذلك لا إشكال لكن هذا الكلام لا فائدة منه بدلاً من أن يردوا الناس إلى الله عز وجل فنسبوا المسألة للصهيونية والماسونية والصحيح أنه لابد لما تأتي هذه الآيات يشعر الإنسان بالرهبة والخوف من الله، النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لما كانت تتغير السماء قالت عائشة كان يخرج ويدخل ويخرج ويدخل فقال ما يدريني لعل هذا ما أصاب قوم هود ولا قوم عاد. فقد قال تعالى { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [سُورَةُ الأَحْقَافِ: ٢٤] نعم وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما يرى تغير ولما يحدث الكسوف قال فافزعوا إلى الصلاة واستغفروا. لماذا؟ لأنها آية من آيات الله لم يقل الروم ولا الفرس الذين عملوا كده ولا مش عارف مين لا المرء لما يرى هذه الآيات الكونية بتحدث لابد أن يرجع الأمر إلى قدرة الله في ذلك أيا كان البشر بقى الذي فعلوا ما فعلوا فالذي يقدر قيام الإعصار هو الله عز وجل فعلينا ألا نصرف الناس عن ذلك. هذه المواقع هذه توجيه بدل ما يذكروا الناس بالله هو عايز يخلي الناس تفكر في شيء تاني نظرية المؤامرة أو عموماً أنه بدل ما يرجع الناس عندما يشاهدوا الإعصار والزلازل فيرجعوا إلى ربهم فيردوا المظالم و يخافوا على أنفسهم أن يموتوا في لحظة وساعة فهو لا يريد حتى توبة الناس فيصرفهم فيقول انظر إلى فلان الذي بيعمل فيك كذا وكذا فالناس تنشغل وتنسى الأصل الذي رأيناه لهؤلاء الناس في دقائق وساعات معدودات، فبدل الناس ما تعتبر وتعود وترجع يصرفوهم عن ذلك فهذا كله يعني للأسف إلهاء للناس، وعلى الإخوة والأخوات أن يذكروا الناس بالرجوع إلى الله عز وجل يذكروهم بهذا الكلام.

سؤال من طالب: هل السبعين ألف هم الذين لا يسألون الناس شيئاً حتى لو أمر بسيط؟

الإجابة: لا السبعين ألف جاءوا في حديث آخر الحديث الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولايتطيرون مش لا يطلبون الناس شيئاً السبعين ألف هولاء في أربع أمور أخرى ليس في ما جرى التسامح فيه. أما في ما جرى التسامح فيه مثلاً لو عرض عليه أحد أن يؤدي له خدمة ليقبلها؟ لا حرج قلنا ما فيه تسامح لا إشكال في ذلك هذه في باب الأفضلية قالوا إن هم كانوا يأخذوا بالأفضلية بعدم سؤال الناس شيئاً فمن فعل ذلك فليس له علاقة بالسبعين ألف.

سؤال آخر: مش فاهم الخوف الشركي يلحق به خوف الصالحين في الآخرة. كيف يبقى في زيارة أحد الصالحين ليطلب شفاعته في الآخرة؟

قلنا الخوف الشركي هنا أن المرء يصل به الأمر بأنه من شدة تعلقه بشيخه أنه يداوم على الحضور عنده خوفاً ألا يكون شفيعاً له في الآخرة هذا الضابط الذي قلناه أنه يذهب خوفاً ألا يشفع له في الآخرة عندما الله يمن عليه مثلاً بالجنة فيشفع له لأنه من طلبته أصبح خوفه من ذلك يجعله يذهب له ويجلس معه ويداوم معه لهذا الأمر، هذا الذي قلنا أن فيه خوف شركي.

سؤال آخر: البعض يترك الأخذ بالأسباب حتى يكون تام التوكل هل هذا صحيح أم تواكل؟

هي مسألة التداوي تكلم فيها العلماء التداوي تحديداً هل التداوي واجب أم مستحب؟ فله حالات بعضهم قال ترك التداوي مع اليقين بالهلاك بعضهم منعوه يعني يعلم أنه لو لم يأخذ هذا الشيء سيهلك وتركه عمداً بعضهم قالوا أن هذا ممكن ينزل بقتل النفس وإن ترك التداوي بدون اليقين أن هذا مرجي أو مهلك يعني لا يريد أن يتداوى فهذا محل خلاف بين العلماء بعضهم قال يجوز ليس فيه شيء وقد استأنسوا بفعل أبو بكر في حالة وفاته (قالوا نطلب لك الطبيب قال قد رآني الطبيب) وبفعل عمر رضي الله عنه لما طعن سقوه لبناً فخرج من بطنه فعلموا أنه خلاص بغلبة الظن فتركوه يعني ما قدموا له دواء حتى توفي رضي الله عنه، مسألة التداوي تحديداً لأن فيها

أدلة فيها أحاديث استخدام التداوي وأحاديث لترك التداوي، العلماء تكلموا بذلك لم يؤثموا من ترك التداوي يعني من لم يرى بأن هو يتداوى قالوا إن قدر على التحمل لا يأثم. الدليل المرأة أَتَتِ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَالَتْ :إِنِّي أُصْرَعُ، وإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ :إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ :إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لي أَلَّا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. كان الشيطان يجعلها تتكشف لأنه كان بيصرعها فدعا الله عز وجل لها ألا تتكشف فصبرت على ذلك قال لها إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت دخلت الجنة فقال العلماء هنا أن ممكن يصبر المرء على المرض ولا يتداوى رغبة في ما عند الله عز وجل، من أراد أن يأخذ العلو ويترك التداوى له ذلك وأما من أخذ بالأسباب وتداوى فله ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: تَداووا عبادَ اللهِ فإنَّ اللهَ لمْ يُنزلْ داءً إلا وقدْ انزلَ لهُ دواءً

فمسألة التداوي فيها الخلاف الذي ذكرته بين العلماء لكن بعضهم قال إن تيقن أن النفس ستذهب إن لم يأخذ هذا الدواء بعضهم قالوا أن هذا لا يجوز وهذا كله فيه قتل نفس إذا كان متيقن بذلك و قالوا بأن لو تيقن بأنه خلاص ميت فلا داعي لأخذ الدواء فله ألا يأخذ الدواء كما فعل مع عمر أو أبو بكر أن هذا حال الاحتضار ولم يطلب الطبيب فلا إنكار عليه في ذلك لأنه يعني غلبة الظن أنه يحتضر.

سؤال من طالب: لو رجل كان في مرض الموت ورفض أن يعمل عملية؟

الاجابه له ذلك كما بينت على ترك التداوي لو رفض وقال لا أتداوى لا أفعل هذه العملية العلماء لم يؤثمونه في ذلك والدليل فعل عمر وفعل أبو بكر إلى غير ذلك فالبعض لا يؤثمهم بذلك، لكن لو تيقنت بأن هذا الشيء إذا لم أخذه سأموت هو هذا الذي فيه الإشكال لكن غير ذلك المسألة ترجع للمريض إن أراد أن يتداوى أو لا يتداوى لا إنكار عليه أخذ بالسبب وتداوى أو قال لا أتداوى سأكتفي بالذكر بالقرآن والله يذهب عني فلا إنكار عليه الاثنين محل خلاف عند العلماء. الإشكال الأكبر هو فقط أنه لو تيقنا أنه إن ترك هذا الدواء قد تهلك النفس لأن الله عز وجل أمر في المخمصة بأكل الميتة خشية الهلاك للنفس لذلك البعض قال لو لم يأكل ومات يأثم لأن حفظ النفس من مقاصد الشريعة فلو تيقنا أن هذا الشيء هو سبب لنجاته ورفضه هنا فيه الإشكال عند البعض بعضهم يقول أن هذا يأثم بذلك والبعض يقول لا أيضاً.

سؤال من طالب: هل طلب الرقية بينافى التوكل؟

الإجابة: لا لكن هو فقط في مسألة الحديث السبعين ألف يكون فيه علو للدرجات لكن طلب الرقية لا ينافي التوكل لأنه من الأسباب كما نحن قلنا الأسباب الشرعية و الرقية من الأسباب الشرعية فطلب الرقية لا ينافي التوكل لكن هناك درجات علو التوكل لكن لا ينافي التوكل فالرقية سبب شرعي. الرجل الذي لدغ وكان الصحابة في سفرة فلما أرادوا أن يضيفوهم رفضوا ثم لدغ سيد القبيلة فقالوا هل عندكم من راقى؟ طلبوا له الرقية فقالوا عندنا لكن اضربوا لنا سهماً فرقى بالفاتحة ولما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ضحك وقال ما أدراك أنها رقية والرجل برئ فلو كان طلب الرقية لا يجوز من هؤلاء ما وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا أخذ منهم شيء فهي جائزة لكن يعني هي المسألة كلها في حديث السبيعين ألف.

سؤال: ماهى الأشياء التي يكره السؤال عنها هذه عشان **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)**

كما قلنا الأشياء هذه الإحتمالات اغاليط المسائل كان الصحابة يكرهون، كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يأتي أحد فيسأل عن شيء فيحرم بسبب سؤاله. طبعاً خلاص هذه المسألة توقفت لأن الوحي اكتمل لكن قال العلماء بعد ذلك أن يسأل عن أشياء لم تحدث يريد أن يسأل عنها وهذا حدث كان ابن عباس أو ابن عمر لما يسأل عن المسألة قال: حدثت؟ قالوا: لا قال: عندما تحدث نتكلم فيها أو في معنى ذلك،وكثير من العلماء كان يأتيه الرجل يقول له أرأيت لو حدث كذا أرأيت كذا أو كذا فكانوا ينهون السائل ما يسأل إلا عن أشياء قد حدثت فيسأل عنها إلا لو كان من باب الدراسة الفقهية كما الفقهاء يفعلون يعني يتفقهون في المسائل يعني يتابعون مسائل كثيرة يفترضونها ليعطونها أحكاماً من باب تعليم الناس، أما الاسئلة التي لا تسأل عنها أنك انت في عادات ما تسألش عنها يعني أنت في بلد مسلمة الآن وقاعد بتأكل في المطعم فتسال الرجل هل أنت ذابح شرعي أم لا؟ أنت لماذا تسأل ما أنت في بلد مسلمة وقاعد في بلد الإسلام والراجل قدامك مسلم أنت ليه بتسأل أصلاً؟ ليه تضيق على نفسك أمور أنت ربنا ما ألزمك بها،

مثال كان عمر رضى الله عنه ماشي مع رجل فنزل ماء من المزراب عليه في الطريق المزراب هو شيء هو بيتحط في السطوح أو في البلكونات الذي بينزل منه الماء أثناء المطر يتصرف منها فالرجل التفت إلى صاحب المزراب قال له هل الماء طاهر أم لا؟ قال عمر: يا صاحب المزراب لا تجبه. أنت بتسأل عن الماء هل هو طاهر أم لا؟ الأصل في الماء الطهارة والمية نازلة من جوة يعني يبين له أن التعمق هذا ممكن مشكلة ويؤدي إلى فتح باب للوساوس لذلك لابد أن ينتهي المرء عن ذلك.

نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

جزاكم الله خيرا

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا موعد مع برنامج دراسة العقيدة والمرحلة التمهيدية التأصيلية في القواعد الخاصة بأنواع التوحيد أو قواعد التوحيد التي نقول يعني اتفق عليها العلماء في علم العقيدة، كما ابتدأنا هذا البرنامج وصلنا إلى القواعد الخاصة بالشرك وقد تكلمنا الأسبوع الماضي عن بعض القواعد الخاصة بالشرك .

اليوم نتكلم عن قاعدة أو ما تسمى هذه القاعدة باسم (الشفاعة ملك لله تعالى وطلبها ورجاؤها من غير الله أو" بغير إذنه شرك").

هذه قاعدة تحتمل جملتين أو تحتوي على جملتين:هما .

أولاً:- كما من العادة بنبين مفردات القاعدة ثم نبين معنى القاعدة، ثم نبين الأدلة على هذه القاعدة، ثم نبين تطبيق هذه القاعدة .

هذا الذي نسير عليه في القاعدة دائماً والقواعد من قبل .

فمعنى الشفاعة الشفاعة مشتقة من الأصل اللغوي شفع والشفع هو ضد الوتر والوتر هو الإفراد فيكون الشفع والزوجية أو الزوج فالشفع ما شفع غيره وجعله زوجاً يعني فيه معنى الضم انضم فرد إلى فرد فكان شفعاً أو كان زوجاً وهذا المعنى في اللغة أيضاً كأن المشفوع له كان فرداً، فجاء الشفيع معه يشفع فسميت هذه الشفاعة للانضمام بعد أن كان فرداً يريد أن يطلب شيء جاء شفيع معه يطلب له أيضاً فأصبح ذلك زوجاً أو شفعاً .

وهذا المعنى في الشفاعة اللغوية هو معناه أيضاً في الشفاعة بمعنى في الشرع يعني في الكتاب والسنة فبعضهم عرف الشفاعة هو كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره و أيضاً شفع إليه بمعنى طلب إليه، وقال بعضهم الشفاعة هي التجاوز عن الذنوب والجرائم وبعض أهل اللغة بل بعض العلماء فسر قول وجل "مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" قالوا هنا الشفاعة بمعنى الدعاء **وهذا تعريف لابن تيمية رحمة الله** عليه أيضاً ذكر في تصانيفه أن في تعريف الشفاعة قال الشفاعة هي الدعاء،

والطبري رحمة الله عليه لما تكلم عن الشفاعة قال (مصدر من قول الرجل شفع لي فلان إلى فلان شفاعة وهي طلبه إليه قضاء حاجته) لذلك يسمى الشفيع والمشفوع له أو الشافع والمشفوع له الاثنين، والشفيع كما جاء في الشفاعة جاءت قلنا في أحد التعاريف هي بمعنى الدعاء، وإن كانت هي أخص من الدعاء الدعاء أعم من الشفاعة .

حقيقة الشفاعة هي دعاء الشافع لربه تبارك وتعالى للمشفوع له لينال الخير والأجر والنعيم ويوقى الشر والعذاب وهذه معنى حقيقة الشفاعة في الشرع، لكن قلت إن الشفاعة أخص من الدعاء لماذا الشفاعة أخص من الدعاء؟ لأن الدعاء قد يصدر من شخص واحد يطلب شيئا، أو هذا الشخص يطلب شيئا لنفسه أو يطلب شيئا لغيره، من غير طلب المدعو له لهذا الأمر، هنا الدعاء يكون أعم يعني ممكن المرء يدعو لنفسه يدعو لغيره والغير هذا لم يطلب منه هذا الدعاء بل قد لا يعلم أن هذا الشخص يدعو له هذا الدعاء أعم، أما الشفاعة فيكون فيها طلب حيث يأتي المشفوع له يطلب من هذا الشافع أو الشفيع أن يدعو له الله عز وجل يشفع له إما يأتي بخير أو يدفع عنه شر، وهنا اشتركت الشفاعة مع الدعاء في الطلب، لكن اختلفت واختصت أن الشفاعة لابد لها من طلب الغير لغيره، أن يشفع له أو يدعو له أو يطلب له من الله عز وجل طيب هذا معنى كلمة الشفاعة لكن ما معنى القاعدة؟ قلنا القاعدة تحتوي على جملتين الجملة الأولى الشفاعة ملك لله تعالى هذه جملة أولى الثانية طلب الشفاعة وطلبها ورجاؤها من غير الله أو بغير إذن شرك .

يبقى لابد نتكلم أولاً عن أن الشفاعة ملك لله أن مالك الشفاعة هو الله تعالى هذا معنى القاعدة الأولى لما نقول إن مالك الشفاعة لله فلا يمكن لمخلوق على الإطلاق ده ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا صالح ولا جن ولا إنس أن يكون له حق في الشفاعة بل الحق كله لله لأن الشفاعة ملكاً لله فالحق لله الخالص الذي لا يشترك معه مخلوق بحال .

وبالتالي فالأصل في الاستشفاع هو طلب الشفاعة أن يكون من مالكها وهو الرب تعالى أو ممن أذن الله عز وجل أن يستشفع به فمن طلبها من غير الله أو من غير إذن من رضي الله عز وجل

أن يشفع أو يكون شفيعاً وقع في الشرك هذا معنى القاعدة أولاً إثبات أن الشفاعة ملك لله فإذا كانت ملك لله فلا تطلب الشفاعة إلا من الله من مالكها لأن الأصل في الاستشفاع.

1 أماني.

هو طلب الشفاعة أن يكون من المالك والمالك هو الله عز وجل فمن طلبها من غير الله أو من غير ما أذن له فقد وقع في الشرك هذه معنى القاعدة لأن القاعدة بتقرر أولاً أن ملكية الشفاعة لله والشفاعة لله إستقلالاً يعني المخلوقات ليس لها ملك للشفاعة الإطلاق فلما كانت الشفاعة ملكاً لله فلا تطلب إلا من مالكها أو ممن أذن المالك لأحد من دونه أن يشفع وحتى هذا الإذن كما سنبين ليس معناه أنه تملك الشفاعة كما قال بعض المبتدعة لا بل ما زالت الشفاعة ملكاً لله وكون الله أذن لبعض مخلوقاته أن يشفع، فهذا ليس معناه أن الملكية انتقلت بل هي الملكية لله جميعاً .

لماذا بنركز على مسأله الملكية؟ لأن ما دامت الشفاعة ملكاً لله فلا تطلب إلا من الله فإن طلبت من غير الله **وبغير إذن من أذن الله له** فقد وقع في الشرك .

ابن تيمية يقول في هذه المسألة (المخلوق لا يملك شيئاً يشارك فيه الخالق كما قال تعالى ((وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) قال أن هذا عام مطلق فإن أحداً ممن يدعي من دونه أي من دون الله لا يملك الشفاعة بحال ولكن الله إذا أذن لهم شفعوا من غير أن يكون ذلك مملوكاً لهم) هذا كلامه رحمة الله عليه .

مازلنا في القاعدة الشفاعة ملك لله تعالى معنى هذا أن الاستشفاع أو طلب الشفاعة على أحوال ثلاثة:- .

الحالة الأولى: وهو طلب الشفاعة في الدنيا للحي الحاضر القادر وتكون الشفاعة فيما أباحه الله عز وجل لا فيما حرمه، قال تعالى ((مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ)) إذاً في شفاعة حسنة وشفاعة سيئة، الشفاعة الحسنة التي أجازها الله .

فمن طلب الشفاعة في الدنيا الحالة الأولى من حي حاضر قادر على أداء الشفاعة تُقبل الشفاعة في ذلك لو كان لهذا الشفيع أو الشافع مكانة ومنزلة، وهذه الشفاعة شاملة جائزة لأمور الدنيا وأمور الآخرة وقد يكون المشفوع له هوالله عز وجل أو يكون غيره أحد المخلوقين لكنه فيما أباحه الله عز وجل هذه الحالة الأولى جائزة .

الحالة الثانية: طلب الشفاعة في الدنيا من الميت أو من الحي الغائب سواء كان موضوع الشفاعة يتعلق بأمر دنيوي أو بأمر أخروي وهذه هي الشفاعة الشركية وهذه هي شفاعة المشركين وقد أبطلها القرآن ونفاها من غير موضع ولم يثبت عن أحد من الصحابة ولا من تابعيهم أو تابعي تابعيهم أو أحد من سلف هذه الأمة أنه دعا ميتاً أو غائباً أو طلب منه الشفاعة، لأنه من البداهة ومن المعلوم أن طلب الشفاعة من أحد يلزم علم الشافع بهذه الشفاعة ثم أداؤها، فالميت أو الغائب إذا استشفع فإنه لا يعلم بهذه الشفاعة ولا يستطيع أداؤها بحكم أنه ميت أو أنه غائب، إذاً الشفاعة باطلة من الأساس وهذه هي الشفاعة الشركية التي جاءت في الكتاب والسنة بإبطالها .

الحالة الثالثة: طلب الشفاعة يوم القيامة ويعرض دربين أحدهما شفاعة مثبتة وهي شفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين والشهداء وهي جائزة ونافعة إذا تحققت فيها الشروط التي جاء بها الشرع وهو رضا الله عز وجل عن الشافع أن يشفع وللمشفوع له أيضاً يعني الرضا للإثنين الشافع والمشفوع له وهذا الصحيح وإذنه للشافع أن يشفع **بخلاف لمن اقتصر الإذن على الشافع فقط والرضا على المشفوع له يعني الإذن عن الشافع والمشفوع له** قال ((يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)) أصبح أذن للشافع ورضي للإثنين للشافع وللمشفوع له فإذاً هذه الشفاعة المثبتة التي أثبتها الله عز وجل بالشروط التي تكلمنا فيها والثانية الشفاعة المنفية يوم القيامة التي قد يتخلف عنها شرط من شروط الشفاعة المثبتة وهذا النوع من الشفاعة غير واقع أصلاً يعني هو شيء تخيله المشركون في أذهانهم المنكوسة وإلا من يستطيع أن يتجرأ في هذا اليوم العصيب أن يتقدم ويتكلم ويخاطب رب العزة بدون إذنه سبحانه وتعالى؟ .

قال: "إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا"، إذاً جملة القول في الحالات الثلاثة التي ذكرناها، إما أن تكون الشفاعة دنيوية يطلبها المستشفع في الدنيا وإما أن تكون أخروية تطلب في الآخرة فكما قلنا القاعدة بتقول إن الشفاعة ملكاً لله مطلقاً في الدنيا والآخرة، وأما طلبها من غير الله أو من غير ما أذن به الله تكون شركاً، هذه في الحالة الثانية التي تكلمنا عنها .

إذاً الحالة الأولى جائزة، أن الله أذن لو أمر دنيوي أراد أحد أن يشفع في من أذن له الله عز وجل، يشفع مخلوق لمخلوق، واحد الآن عنده كرب وضيق عليه دين فجاء لفلان له وجاهة عند فلان قال اشفع لي يوقف علي الدين ويؤخر علي السداد أو غير ذلك، أو اشفع لي مثلاً إن أنا أستطيع أن أذهب لعمرة أو لحج عند من يقبلون ذلك فيأخذوني بذلك، فهذه شفاعة دنيوية وأخروية يعني فيها أمر دنيوي وأمر أخروي من طاعة أو غير ذلك أو شفاعة في الآخرة وهي للأنبياء والشهداء والصالحين وغير ذلك هذه كلها أذن الله عز وجل فيها بشروط، إما تكون من مخلوق فيما يقدر عليه حي وحاضر فهذه جائزة .

الثانية هي التي فيها القاعدة عندنا، الشفاعة الشركية التي تُطلب من الميت أو من الغائب، حي غائب أو من الميت، فقالوا هذه التي لم يأذن الله عز وجل بها، نلخصها كما قلنا، لأن من طلب الشفاعة من أحد فلابد أن يكون قد علم بهذه الشفاعة وقادر على أن يفعلها، والميت والحي الغائب ليس عنده علم بهذه الشفاعة ولا قادر على أداء هذه الشفاعة .

ثم الحالة الثالثة قد بيناها، أن الشفاعة مثبتة في الآخرة بشروط قد بينها الله عز وجل .

إذاً حاصل التحقيق في هذه المسألة أن الشفاعة كالاستغاثة فهي محض حق لله عز وجل، ولا خلاف بين أهل الحق في ذلك، بل ولا نزاع عندهم على هذا الحمل أن الشفاعة كالاستغاثة حق لله عز وجل فلو قلنا أنها حق لله فمثلها مثل الاستغاثة وغيرها من العبادات التي لا تصرف إلا لله عز وجل فكان الاستشفاع بالأموات مخالف لما جاء به الدليل ومخالف لما استقر عند علماء أهل السنة والجماعة، لأن أيضاً الاستعانة بالحاضر لها شروط فأنت لكي تستعين أو تستغيث بأحد لا بد أن يكون حياً وحاضراً وقادراً، كما أنك لا تستطيع أن تستغيث أو تستعين بميت أو بغائب، وكل هذا أيضاً منهي عنه ومفصل في كتب التوحيد .

إذاً معنى القاعدة بيناها، أن الشفاعة ملكاً لله فلا تطلب إلا من الله، فمن طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وفيما لم يأذن به الله وقع في الشرك .

طب كيف نستدل على هذه القاعدة؟ أو من أين استدل العلماء عليها؟ استدلوا عليها بأمرين: .

أدلة خاصة أولاً بإثبات استقلالية الشفاعة لله، يعني حتى تستدل على القاعدة الجملة الأولى أن الشفاعة ملك لله فلابد تأتي بأدلة عامة أو خاصة لإثبات أن الشفاعة ملكاً لله أولاً، ثانياً أنك تأتي بأدلة تبين أن طلب الشفاعة من غير الله مباشرة أو من غير ما أذن له الله يكون وقع في الشرك حتى تستدل للقاعدة لابد من تحقق الأمرين بالأدلة، الأدلة أولاً أن الشفاعة تثبتها ملكاً لله، ثم تأتي بأدلة على أن من صرف هذه الشفاعة لغير الله أو لغير من أذن له الله قد وقع في الشرك .

طب ما القسم الأول؟ الأدلة التي تبين أن الشفاعة ملكاً لله عز وجل تأتي بأدلة عامة وأدلة خاصة.

أدله عامة أن كل ما في الكون هو ملك لله عز وجل قال تعالى: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" كل ما في السماوات والأرض ملكا لله .

" وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" .

وقال تعالى: " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

وقال تعالي: " الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا " .

كل هذه أدلة عامة تبين عموم ملكية الله عز وجل .

ثم نأتي بأدلة تصرح بملك الله عز وجل التام للشفاعة وأنه لا يشرك أحد فيها،قال تعالى: " أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44)".

أصبح هنا دليل خاص "قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا" .

فبين الله عز وجل أن هؤلاء الذين يدعون من دون الله يشفعون عندهم لا يملكون مثقال ذرة ولا شفاعة، وأن الشفاعة جميعها خالصة لله عز وجل، فلو كانت الشفاعة جميعها لله فلا تُطلب الشفاعة إلا من الله عز وجل أو مِن مَن أذن له .

بعض المبتدعة في هذا الباب أرادوا أن يشوشوا فقالوا قد ملَّك الله عز وجل الشفاعة للمؤمنين، ألم يأذن الله عز وجل للرسل والأنبياء والملائكة والصالحين والشهداء والأولياء أن يشفعوا؟ فقالوا قد ملَّكها الله لهم فإذاً لو ملَّكها لهم يبقى أنت تطلب منهم الشفاعة، وهذا خطأ، لأن الشفاعة كلها لله، والأنبياء والصالحون يشفعون عندما يأذن الله عز وجل لهم لكن ليس معنى أنه أذن لهم أنه ملَّكهم الشفاعة، فلا تمليك لهؤلاء، حتى لو أذن الله عز وجل يظل الملك كله لله والله يأذن بشروط .

ودل على ذلك أيضاً من قوله: **" قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ"**

فدلت هذه الآية على أن الشفاعة كلها لله وقطعت هذه الآيات من ادعوا بأن الشفاعة ملكها الله عز وجل لبعض مخلوقاته، وهذا كما قال بعض علماؤنا هذه الآية قطعت أصول الشفاعة الشركية لأن الله عز وجل نفى أن يكون لهم شيء استقلالاً أو أنهم يشاركونه أو أنهم يعاونوه فليس لهم كل ذلك .

هذه الأنواع الثلاثة فيسلم لك بأن الشفاعة لله عز وجل .

قال ابن تيمية: (إن غير الله لا يستقل بشيء البتة، فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء) .

ولذلك لا يستطيع الملك، ولا النبي ولا الرسول ولا الصالح ولا الشهيد أن يشفع إلا بإذن من الله عز وجل، فدل ذلك على ملك الشفاعة لله استقلالاً، وهذا الكلام مستقر عند كثير من العلماء ومنقول في كتبهم، بينا نقل لابن تيمية، الشيخ حافظ الحكمي في المعارج رحمة الله عليه قال: (والمقصود أن الشفاعة ملك لله ولا تُسأل إلا منه كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن له بالشفاعة) وكلام كثير عند العلماء في هذه المسألة .

القاعدة تقول: الشفاعة ملك لله فمن طلبها أو رجاها من غير الله أو من غير من أذن له الله فهو شرك .

ما فائدة هذه القاعدة وتطبيقاتها؟ هي لها عدة فوائد.

أول فائدة إثبات مسألة الشفاعة الشرعية في الآخرة، لأن هذه محل اختلاف ليس عند أهل السنة والجماعة، بل عند الطوائف أهل البدع فالبعض أنكر الشفاعة بالكلية في الآخرة وهم المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة والحق أن الشفاعة ثابتة في الآخرة وأن الله قد أثبتها وأثبت أن هناك شفاعة للأنبياء وشفاعة للملائكة والصالحين والشهداء وهي خاصة بكل من مات على التوحيد والإيمان وإن كان حتى مقترفاً لكبائر الذنوب، طبعاً المعتزلة نفت الشفاعة للعصاة من المؤمنين حتى ندقق، نفت الشفاعة لمن كان من أهل الكبائر من القبلة، لذلك البعض يقول أن الناس عموماً **في الشفاعة اختلفوا على ثلاثة أقوال:.**

المشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم جعلوا الشفاعة لمن يعظمونهم عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة الأنبياء لأهل الكبائر طبعاً وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر وشفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً في أهل الإسلام فدلت القاعدة هنا على ثبوت الشفاعة الشرعية في الآخرة خلافاً لمن أنكر ذلك على التفصيل التي بيناها .

الفائدة الثانية دلت القاعدة على أن من طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا هو أو من غير إذنه شرك بالله تعالى أين بقى الشرك هنا؟ الشرك هنا جاء وهذا الذي نريد أن نبينها لأنه تضمن سؤال غير الله لما قولنا الشفاعة في أول التعريف طلب أنه بيطلب من أحد أن يشفع له عند الملك طب هذه فيها طلب فيها سؤال وهذه عبادة فتضمن سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فجاء الشرك من هنا وفيه أيضاً الإقبال على من طلب منه الشفاعة والرغبة والرهبة وهذا كله سيؤدي إلى إعراض عن الله وعن قصد الله وعن إرادة وجه الله عز وجل لأنه سيتحول إلى الشفيع في ذلك فكان هذا المنحى أو المدخل في الشرك .

لذلك بعض أهل العلم يقول إنما حكم الله سبحانه وتعالى بالشرك على من عبد الشفعاء أو دعا الشفعاء انتبهوا يا جماعة لأن هذه شبهة مهمة جداً لابد أن نحن نستفيد من القاعدة فيها؟ بعض الذين يجوزون الشفاعة للأموات والغائب يقول لك في فارق بين عبادة الشفعاء وبين طلب الدعاء منهم أو إن أنا أدعوه فقال العبادة نحن معكم إنها شرك لكن الدعوة فقط أو الدعاء فقط منهم هذا ليس بشرك وهذه شبهة باطلة هو يريد أن يفرق بين أنك تعبده قل طبعاً العبادة شرك وأنك تدعوه فقالوا أن الله حكم بالشرك على من عبد الشفعاء عبد الميت عبد المقبور عبد الولي عبد الغائب هذا الذي شرك وأما من دعاهم للشفاعة فقط هو لم يعبدهم فإذا لا يكون شرك كيف الرد؟ قلنا مجرد اتخاذ الشفعاء هو ملزم بالشرك والشرك لازم لهم يعني ما هذا الكلام؟ نقول الشرع جاء يقرر أن المشركين قد اتخذوا شفعاء من دون الله والله سمى ذلك عبادة إذاً هو دعائهم كان عبادة أولاً الله سمى هذه فيه عبادة الذي فعلوه قال (فكانت تلك عبادتُهم إيَّاهُم) اهو كما جاء في السنة قال (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) فسمى الله أن ذلك عبادة وهم سموا ذلك عبادة وكذلك نقول لهم أنت تقول أن الدعاء غير العبادة يعني دعواهم ليس بشرك وعبادتهم هي الشرك طب ما الدعاء هو العبادة.

النبي قال: **(الدُّعاءُ هو العِبادةُ).**

ما هو قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة فأصبح الدعاء عبادة فلو قلت أنك بتدعوهم فقط ولا تقدم لهم يعني نذر ولا ذبح ولا سجود ولا صلاة لكن بتدعوهم فالدعاء نفسه أنك تدعوهم هو عبادة فإذاً الدعاء قالوا عبادة فإذا دعوهم للشفاعة فقد عبدوهم وهم قد أشركوا بذلك لذلك كما قال الشنقيطي في أضواء البيان (أن طلب الشفاعة من غير الله واتخاذ الشفعاء بقصد القربى إلى الله هو أصل شرك المشركين) أصل شرك المشركين أن هم كانوا يتخذوا الشفعاء ويقصدون بها القربى إلى الله عز وجل فقال الشنقيطي أيضاً (ادعاء الشفعاء واتخاذ المعبودات من دون الله وسائط من أصول كفر الكفار) هذا هو أصل الكفر الذي كان موجود في الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتخذوهم هؤلاء شفعاء عند الله عز وجل .

فسواء كانت المسألة عبادة بتقديم أفعال أو دعاء فقط فالدعاء من العبادة فينزل منزلة العبادة فيكون تقديمها لغير الله كأنك أشركت مع الله .

القاعدة أيضاً من الفوائد تبين أن الشفاعة لا تطلب إلا من المالك ولا تطلب من غير المالك بغير إذن من المالك بل وانتبهوا هذه الفائدة مهمة أذن الله عز وجل في حياة الانبياء أن يشفعوا وأذن الله عز وجل يوم القيامة للأنبياء والرسل والصالحين والشهداء أن يشفعوا لكن لم يأذن الله عز وجل أن يأذن للملائكة ولا للأنبياء في الدنيا أن يشفعوا بعد موتهم أو في حالة غيابهم يعني إذا كان النبي في حالة حياته يشفع لم يأذن الله للنبي وهو ميت أن يشفع .

لذلك نحن بنقول القاعدة ليست فقط الشفاعة مما يطلبها مالكها بل يضاف عليها لا تطلب ممن لا يملكها إلا بالإذن والله قد أذن في حالات محددة لأوليائه أو لبعض مخلوقاته أن يشفعوا في حالات ومنع في حالات فأنت تطلب من نبيه في حياته تطلبها من الله أن يشفع لك النبي يوم القيامة لكن لم يأذن الله عز وجل لك ولا للنبي أن يشفع في قبره ولا للملائكة في الحياة.

قبل يوم القيامة ان تشفع لذلك لم يشرع دعاء الملائكة ولم يشرع دعاء من مات من الأنبياء والصالحين ولا أن نطلب منهم الدعاء والشفاعة وإن كانوا هم يشفعون يوم القيامة لكن في حالة الدنيا في هذه الحالة لا يمكن الطلب لماذا قالوا هذا ؟قالوا لوجهين أن ما أمرهم به الله سيفعلون يعني الله أمر الملائكة أن يشفعون يوم القيامة فيشفعون أمر الأنبياء يشفعون فيشفعون وإن لم يطلب منهم لم يفعلوا إذاً لا فائدة من طلبك لهم في الدنيا ذلك للأنبياء ولغيرهم لأن الله عز وجل لم يطلب منهم ذلك لأنهم لا يفعلون شيئاً من أنفسهم لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الرسل ولا الصالحين بل يفعلون بأمر من الله عز وجل فأنت إن طلبت هذا الطلب الذي تطلبه في الدنيا لا فائدة منه لأن الله لم يأمرهم بذلك والوجه الثاني في المنع أنك إذا طلبت منهم ذلك في هذه الحالة التي هي النبي ميت أو الرسول ميت أو حتى الولي أو الصالح أو غير ذلك في هذه الحالة سيؤدي ذلك إلى الشرك لأنك كما قلت ستعظمه وتقدمه وتلجأ إليه فهذه لا شك مفسدة لأنها ستؤدي إلى الشرك فلو قدر أن هناك فيها مصلحة لكانت هذه المفسدة أعظم من المصلحة لأن المفاسد التي تؤدي إلى الشرك لا يمكن أن يقابلها مصلحة تكون أعلى منها .

ولذلك دل ذلك من القاعدة أن من يأتي ويضع شبهة يقول الله عز وجل قد أعطى للنبي الشفاعة وأنا أطلبها ممن أعطاه الله فقد أعطى للنبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع نقول الله عز وجل أعطى الشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ونهاك عن هذا نعم هو أعطاه الشفاعة لكن نهاك قال تعالى (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) فإن كنت تدعو الله أن يشفع فيك نبيك أو نبيك فيك فأطعه بقوله وان المساجد وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احد إذاً لا يصح أنك تدعو مع الله أحداً وتطلب الشفاعة منه لأن أيضاً هيقول أن الله أعطى الشفاعة للملائكة وأعطى الشفاعة للأولياء وأعطى الشفاعة للشهداء فيقول أطلبها منهم، فيقول لا لماذا؟ لأنه الآن غير موجود ميت ما يستطيع أن يشفع لك فإن رجعت إلى كتاب الله بعدم جواز طلب الشفاعة من هؤلاء و أيضاً يرجع لكتاب الله بعدم جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم واطلبها ممن أعطاه الله عز وجل في حالها وفي وقتها .

آخر الفوائد أن إذا كان الله عز وجل قد وضع شروطاً للشافع أن يأذن للشافع ويرضى عن الشافع والمشفوع له والله عز وجل لا يرضى إلا بالتوحيد ولا يرضى إلا بإخلاص الدين له، فمن كان واقعاً في الشرك فلا يمكن أن يؤذن له بالشفاعة بلغ ما بلغ الشفيع من المكانة والمنزلة فليس له أن يكونوا له حق الشفاعة لأن أصل الشفاعة لابد أن تكون معها أصل التوحيد والتوحيد الخالص قال تعالى عن الكافرين **(فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)**

وقال تعالى (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) فالشفاعة المنفية هي الشفاعة للكفار والشفاعة لغيرهم بدون إذن رب السماوات والأرض، إذاً لا يمكن أن تكون الشفاعة لأهل الكفر لابد أن تكون إلى أهل التوحيد لأن كما قال ابن تيمية (الشفاعة والدعاء انتفاع العبد به موقوف على شروط وموانع فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم) في مانع لأنه مات على الكفر فلا تنفعه هذه الشفاعة ولو كان حتى الشفيع.

.4

أعظم الشفعاء جاهاً، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أُذِن له فقط لما أراد أن يستغفر لأبي طالب وقبله إبراهيم عليه السلام لما جاء في سورة التوبة { وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ}.

[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١١٤]

وقال الله عز وجل في سورة التوبة {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ}[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١١٣] الآيات .

فنهى الله عز وجل إبراهيم عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفروا للمشركين وهذا دليل على أن الشفاعة لأهل الكفر لن تنالهم إذا ماتوا على الكفر إلا ما استثنى الله عز وجل فجعل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه بتقليل درجته في النار، أو دركاته في النار فقط، وشفاعته لأهل الموقف من الكبائر .

هذه آخر الفوائد المستنبطة من القاعدة .

هل أحد عنده أسئلة .

صوت الطالب غير واضح.

إجابة الشيخ.

الشفاعة المطلقة لله فعلاً دنيا وآخرة لكنه سبحانه أذن لبعض مخلوقاته أن يشفعوا في أمور الدنيا بينهم وبين بعض، لذلك قلنا فيما يقدر عليه، هذه ليست عبادة، لأن الله عز وجل أذن للمرء أن يشفع لأخيه، نحن نتكلم عن الشفاعة التي هي العبادة أي الطلب الذي ما يقدر عليها ولا يقدر عليه المخلوق فكلها لا تكون إلا لله، ولو قلنا بأن الله أذن لبعض مخلوقاته، في إذنين اثنين: في إذن في الدنيا وفي إذن في الآخرة، فالإذن في الدنيا هذه ما بين المخلوق والمخلوق لا تعد عبادة، لكن قلنا الشفاعة لله التي هي الشفاعة المقصود بها الطلب والسؤال والتي فيها الرغبة والرهبة والخضوع هذه هي العبادة، قال تعالى.

{ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَة يَكُن لَّهُۥ نَصِيب مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَة سَيِّئَة يَكُن لَّهُۥ كِفْل مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْء مُّقِيتا }[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٨٥] هذا بين المخلوق والمخلوق وهذه مباحة .

كنا تكلمنا من قبل على من يذهب إلى العلماء فقط ليكون شفيعاً له في الآخرة سواء كان من علماء من الصالحين من الشهداء فيكون شفيعاً له في الآخرة في قاعدة أخرى في نفس النوايا مسألة أن البعض يذهب إلى العلماء والأولياء والشيوخ فقط بنية أن يكون شفيعاً له في الآخرة قلنا إن هذا خطأ، يعني هو يرتاده ويذهب عنده حتى يكون من تبعه يقول حتى تصبني شفاعته في الآخرة ما أراد بذلك وجه الله عز وجل .

وهذه تراجع من المحاضرة السابقة .

لكن هنا نعم له أن يشفع له في أمر دنيوي أو أمر أخروي له ذلك سواء كان في الدنيا يعني يشفع له في طاعة مثلاً أنه يفتح له مثلاً يشفع له أن يحضر مجالس العلم أن يحفظ القرآن أو يفعل طاعة كأن يعتكف في مكان .

سؤال من طالب.

هل طلب الدعاء من الغير جائز؟.

الإجابة.

طلب الدعاء على الصحيح يجوز لغيره لكن هذا غير الشفاعة هذا أعم من الشفاعة ، لأنك أنت في الدعاء أنت تدعو له أما الشفاعة تتوسط عند الغير، يعني في شافع ومشفوع له وفيه الذي يُشفع عنده، إما يكون الله عز وجل فأنت تشفع عند الله الذي هو مالك الشفاعة أو لو كان من أمور الدنيا فعند أحد من المخلوقين ملك أو رئيس .

تعقيب من الشيخ.

الإذن للشافع هو الرضا عن الإثنين عن الشافع والمشفوع له .

قال تعالى{ يَوْمَئِذ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلا }[سُورَةُ طه: ١٠٩] ومن أذن له بالشفاعة ورضي للاثنين على كلام ابن تيمية لأن البعض قال الإذن فقط للشافع والرضا للمشفوع له والصحيح أن الرضا للاثنين المقصود هنا رضا الله عن المشفوع والشفيع .

سؤال.

هل يجوز دعاء الله اللهم شفع فينا نبيك؟.

الإجابة.

نعم يجوز أن تدعو الله عز وجل أن يشفع فيك النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة اللهم شفع النبي صلى الله عليه وسلم لأن عندنا نصوص بذلك .

تعقيب للشيخ على بعض أسئلة للطلبة .

أنت لو فعلت شفاعة لأحد وأردت بذلك وجه الله فأنت تفعل خير فهذه عبادة لأن ربنا أمر بها هذا ليس فيه خلاف لأنك تفعلها لله لكي تنال الأجر من الله فأنت تتقرب بها إلى الله لكن أن تكون الذي بتطلب منهم الشفاعة ترغب إليه وتنظر إليه وتطمع فيما عنده هنا جعلته إلهاً .

فهنا كأنك صرفت أنت بطلبك ذلك عبادة إلى غير الله فكان الشرك لذلك هم قيدوها قالوا الشفاعة لله فمن طلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أو بغير إذن من الله فقد وقع في الشرك فعلى حسب أنت بتطلب منه ماذا؟ بتقول له اشفع لي حتى أدخل الجنة؟ يعني هو الذي هيدخلك الجنة؟ ولا حتى تغفر ذنوبي؟ فهذا لا يقدر عليه إلا الله لكن لما تقول أنى ادعو الله أن يشفع فيّ النبي صلى الله عليه وسلم هذا جائز .

تعقيب للشيخ علي أسئلة بعض الطلبة.

لا يجوز التخليط بين الشفاعة والطلب، أنت بتخلط بين الشفاعة ، نحن اتكلمنا فيه أيضاً الاسبوع الماضي ومسألة الوسائل ومتى يكون الوسيلة تنقلب ويكون فيها شرك؟ أنك تعتقد فيها . نحن كلامنا اليوم عن الشفاعة فقط الشفاعة نعم لو دخلت في الأسباب وأن الطبيب أنت بتطلب منه تعتقد أن هو الذي بيشفي أو تحول نيتك أن ليس هناك غير الطبيب هذا دخلنا بقى بأن الوسائل قد تنقلب هنا يكون فيها شرك بنتكلم هنا على مسألة الشفاعة التي فيها ثلاث أطراف (شافع ومشفوع له ومشفوع عنده) هذه هي المقصود بها لان هذه تحدث عند الأموات بتحدث عند المقبورين يطلبون الشفاعة منهم .

القاعدة عشان ترد به على المخالف أنه هو أراد أن يفرق بين عبادة الشفيع والدعاء فقط فرجعنا أن العبادة هي الشرك وهذه المسألة المهمة في هذه النقطة أنك تبين له لا حتى الدعاء لأنه عبادة هو شرك إن دعوت الميت وطلبت منه الشفاعة فأنت كأنك بتقول إن هو يعلم بحالك وأنه يستطيع وهو ميت لا يستطيع فطلبت منه ما لا يقدر عليه فهنا أهم نقطة في المسألة في التطبيق هذه .

سؤال .

هل الشفاعة من الأصدقاء والنبي والأعمال يوم القيامة سيخرج من النار أشخاص بدون قضاء مدة التعذيب لهم فيخرجوا قبل هذا؟.

على حسب ما يأذن الله لو أذن الله عز وجل وقال أخرجوا من النار فتذهب الملائكة يخرجون والأنبياء والرسل نعم. فإذا أذن الله بذلك سيخرج الناس وقد أذن الله أن يخرجوا بهذا الوقت من النار .

الله عز وجل جعل البعض في الآخرة شفعاء نحن بنتكلم على الآخرة الشفاعة المثبتة في الآخرة أن ممكن يشفع لك بعض الناس في الآخرة يشفعون لك فأنت بتطلب من الله أصلاً في جميع الأحوال إما أن الله عز وجل يغفر لك ويرفع درجاتك أو تطلب من الله أن يشفع فيك النبي أما أن الله عز وجل يغفر لك ويرفع درجاتك أو أنك تطلب من الله أن يكون النبي شفيعاً لك أثبتها الله عز وجل فأنت بتفعل ما أثبت الله عز وجل وإلا الأصل طبعاً إنك تجعل الطلب كله منه .

نكتفي بهذا القدر .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مازلنا في القواعد الخاصة بالشرك وندخل مباشرة في قاعدة اليوم التي معنا..

(كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة)

الدعاء في عرف الشرع ينقسم إلى قسمين: دعاء العبادة ودعاء المسألة، ودعاء العبادة هو العبادة نفسه، هو الذي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى طالباً رضوانه وطالباً الجنة وأن يبعده عن النار وما يقربه إليها أو ما يقرب إليها، لذلك دعاء العبادة يدخل فيه جميع ما يتعبد به المرء إلى الله عز وجل؛ فيدخل في دعاء العبادة الصلاة النذر الطواف ومنه الدعاء أو طلب إلى الله عز وجل سؤال الله والطلب منه سبحانه وتعالى.

ثم النوع الثاني من الدعاء وهو دعاء المسألة، أن يسأل الله ويطلب منه تحقيق أمر من أمور الدنيا أو الآخرة.

خلاص قلنا بأن دعاء ينقسم في الشرع عندنا لدعاء العبادة ودعاء المسألة، وكما قال علماؤنا منهم الإمام أبو العز الحنفي قال: " وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي علموا قربه منهم وتمكنهم من سؤاله، وعلموا علمه ورحمته وقدرته فدعوه دعاء العبادة في حال ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء يشمل جميع العبادة والاستعانة ".

ستفهمون إن شاء الله القاعدة والهدف منها أن تعلموا بعض التطبيقات لكن الأول نؤسس على مسألة..

القاعدة هذه تقول إن أي دعاء جاء الأمر به في القرآن أو في السنة أو نهينا عن دعاء غير الله نقصد به نوعين من الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة، فإذاً الأمر بالدعاء يشمل الإثنين والنهي عن دعاء غير الله يشمل الإثنين؛ يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، ودعاء المسألة كما هو معلوم هو دعاءه سبحانه وتعالى في جلب المنفعة ودفع المضرة، وأيضاً دعاء العبادة

كما قال العلماء : (هو عبادة الله تعالى بأنواع العبادات من الصلاة والذبح والنذر والصيام والحج طمعاً ورغباً لله عز وجل يرجو رحمته ويخاف عذابه)

حتى وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال أو طلب، فالعابد يريد الجنة ويهرب من النار وهو في ذلك سائل راغب راهب، يرغب في حصول مراده ويزهد في فواته، وهو سائل أيضاً لما يطلبه امتثال الأمر بفعل العبادة ، يعني هو بيتعبد إلى الله عز وجل بهذه الأنواع، وفي نفسها أيضاً هو سائل لما يُطلب منه امتثال الأمر في العبادة

قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فتفسير العلماء في الآية ادْعُونِي: اعبدوني وامتثلوا لأمري أستجب لكم وسلوني أعطكم، ليبين لك الربط بين دعاء العبادة ودعاء المسألة، لكن هنا يبين أن دعاء العبادة أعم من دعاء المسألة لأن دعاء العبادة يراد به التقرب إلى الله عز وجل وكيف ذلك؟ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي في كل أنواع العبادات، ويدخل الطلب والسؤال داخل دعاء العبادة، إذاً دعاء العبادة أعم من دعاء المسألة والطلب. طيب ما الدلالة على أن دعاء العبادة أعم من دعاء المسألة؟ أو ما الدلالة أصلاً أن في فارق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة؟

الفارق جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الثلث الأخير حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال" **يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟**) الأولى من يدعوني فاستجب له والثاني من يسألني فأعطيه " إذن في فرق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة لأن الله فرّق بين ذلك في الحديث، فأنت إذا أردت بدعائك المعبود نفسه كان هذا دعاء عبادة، وإذا كان قصدك بدعائك تحصيل أمر ونيل مطلوب من المعبود فإن هذا الدعاء دعاء مسألة.

ابن تيمية رحمة الله عليه في هذه القاعدة يقول "ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة"

القاعدة أصلاً مستنبطة من كلام العلماء وهي أصلها كلام ابن تيمية (ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به، فيكون الله هو المراد، ودعاء المسألة يكون الله هو المراد منه، كما في قول المصلي: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]، فالعبادة إرادته والاستعانة وسيلة إلى العبادة، فالعبادة إرادة المقصود، وإرادة الاستعانة إرادة الوسيلة إلى المقصود)

ويقول أيضًا ابن تيمية: (إن الدعاء قصد المدعو والتوجه إليه إما على وجه المسألة أو على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه وإرادته، سواء طلب لذاته أو للأمر منه)

الكلام الأول الذي قاله ابن تيمية الذي هو استنبط منها القاعدة يريد أن يقول (ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة). لذلك لو كنت أردت المعبود نفسه فهذا دعاء العبادة وإن أردت شيئاً من المعبود فهذا دعاء المسألة.

فالأولى دعاء الله نفسه

والثانية يكون المراد من الله عز وجل وهو دعاء المسألة، وهذا يبين لك العلاقة بين دعاء العبادة ودعاء المسألة أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ومتضمن له أيضاً من جهة أخرى، فإنه من رضي بالله رباً ومعبوداً وكان خاضعاً ذليلاً راجياً محباً قائماً وساجداً لزمه أن يسأل ربه في كل ما يحتاجه من أمور دينه وأمور الدنيا، يسأله القبول والثواب لما يقوم به من العبادة يعني يعبد ويسأله قبول العبادة وهذا ليس فيه مسألة في الدنيا ولا طلب وهو أيضاً متضمن لدعاء المسألة بلسان الحال، لأن العابد المعظم لربه في حقيقة الحال هو سائل من ربه الرضا والمثوبة، العابد المعظم لربه أو لمعبوده في حقيقة الحال هو سائل وطالب منه الرضا والمثوبة، كذلك العكس دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة يعني بعض أفراد دعاء العبادة داخل في دعاء المسألة، لأن الداعي بدعاء المسألة هو عابد لله أولاً بسؤاله هو ما طلب من الله إلا لأنه عابد لله ما طلب من الله السؤال إلا لأنه أصالة هو يعبد الله وهو خاضع لله وذليل لله عز وجل فلما سأله كان ذلك دلالة أو استلزم بذلك عبادته لله أولاً، لذلك بعض العلماء يقولوا دعاء العبادة ودعاء المسألة من الألفاظ المشتركة إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، يعني إذا اجتمعت في الذكر افترقت في المعنى وإذا افترقت في الذكر اجتمعت في المعنى، وقالوا لا يُتصور الانفكاك بينهما أصالة.

لذلك ابن تيمية يقول أيضاً (لفظ الدعاء والدعوة قال يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة) وهذا أيضاً يبين لك سبب تسمية القاعدة قال (اعلم أن لفظ الدعاء والعبادة يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال فكل عابد سائل وكل سائل عابد فأحد الاسمين قال رحمه الله يتناول الآخر عند تجرده عنه وإذا جُمع بينهما فيراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ونفع المضرة ويراد بالعابد من يطلب ذلك امتثالاً لأمر الله عز وجل، وإذا لم تكن هناك صيغة سؤال ولا طلب لا يُتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من الرغبة والرهبة والخوف والطمع).

طيب لابد أن نبين أن هذا التقسيم ليس تقسيم تضادي يعني كما بينا العلاقة بين دعاء العبادة ودعاء المسألة ليس بينهما تضاد لأن هما متوافقان ليس هناك تباين بينهما يعني لا يقصد به معنى واحد لا، بل إذا جاء الأمر بالدعاء يقصد به المعنيين العبادة والمسألة إلا أن يأتي قرائن كما قال علماؤنا يقصد بها أن هذا للعبادة فقط أو هذا للسؤال فقط لكن هو المعنى يصح للإثنين إلا لو جاء في السياق في الآيات والأحاديث تبين ذلك، وبعض العلماء قسموا الدعاء إلى قسمين

دعاء عبادة ودعاء عادة، في حاجة اسمها دعاء عادة؟ نعم في بعض العلماء قالوا دعاء العبادة ودعاء العادة وهذه مهمة يعني ممكن نستنبط منها إشكال سأقوله في آخر القاعدة.

متى يكون دعاء عادة؟ دعاء العادة ما يطلبه الناس بعضهم من بعض مما يقدرون عليه بالأسباب هذا دعاء العادة، ودعاء العبادة طلب ما وراء الأسباب الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، بعض العلماء قسموه هكذا سيفيدك لما نأتي لمسألة دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وبعضهم يسموه نداء وليس دعاء، هذه من ضمن الشبهات للمبتدعة في مسألة دعاء الأموات هذه، يقول إنه ينادي فقط، سنبينها وهذه من أهم الفوائد التي نرجو إليها من هذه القاعدة أصلاً. نحن نقصد أن دعاء العادة أنك تسأل المخلوق شيئاً يستطيع أن يؤديه لك هذا سؤال أيضاً دعاء لكن دعاء عادة. دعاء العبادة لا يكون إلا فيما لا يقدر عليه إلا الله وهو ما وراء الأسباب.

معنى قاعدة: القاعدة هنا تتكلم عن أن جميع ما ورد في القرآن من الأمر بدعاء الله وحده أو النهي عن دعاء غيره يصح أن تفسره بدعاء العبادة ودعاء المسألة في آن واحد، لأن كون النوعين عبادة لله عز وجل، فالعبادة يحبها الله ويأمر بها وينهى أن تُصرف لغيره فإذا جاء الأمر بدعاء الله عز وجل وحده أو النهي عن دعاء غيره لا تحمله على نوع دون الآخر، لماذا لا تحمله؟ لأن كل النوعين أرادهم الله عز وجل ويحبهم الله سواء أن الدعاء يكون عبادة لله فقط أو يكون فيه المسألة والطلب فهذا أيضًا يحبه الله أن يكون له ويمنع أن يسأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قال تعالى: " **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** " وهذه صيغة عموم " **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** "

وأيضًا من قوله تعالى: " **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** "

وأيضا قال تعالى: " **فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ** " كل هذه الآيات يشمل فيها الدعاء الاثنين دعاء العبادة ودعاء المسألة ولا يجب أن يُفصل بينهما، بل يُفسّر الدعاء هنا سواء في الأمر أو النهي على الاثنين سواء العبادة أو المسألة.

يقول الإمام ابن رجب: اعلم أن أصل الدعاء في اللغة الطلب وهو استدعاء لما يطلبه الداعي ويؤثر حصوله، فتارة يكون الدعاء للسؤال من الله والابتهال إليه كقول الداعي اللهم اغفر لي اللهم ارحمني، وتارة يكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره وما يجب للعبد أن يفعله وهذا هو حقيقة الإيمان.

يعني انظر ابن رجب يبين لك أن الدعاء الاثنين، الدعاء أصله في اللغة الطلب، والطلب هذا إما أنك تدعو تسأل الله عز وجل فتقول اللهم اغفر لي اللهم ارحمني، وإما أن تأتي بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب وهي أنك تعبد الله تصلي له تذكر له تتصدق، وهذا هو حقيقة الايمان، فالاثنين لا ينفكان في الدعاء.

والدلالة على هذه القاعدة من قوله صلى الله عليه وسلم: (**الدعاء هو العبادة**) حديث النعمان بن بشير، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"

هذا يبين لك أن نوعي الدعاء عبادة، وإذا كان نوعي الدعاء عبادة يبقى إذا جاءك الأمر بهما أو النهي عن دون الله فيهما دل ذلك على أنه متفرع عن كونه عبادة لأن الله عز وجل لا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه، فليس لك إذا أتى الأمر بدعاء الله أو النهي عن دعاء غيره أن تحمل هذا الأمر أو النهي على أحد نوعي العبادة وتقول لا هذه الأدلة للعبادة فقط النهي عن عبادة غير الله اللي هو تصرف له العبادة مش تسأل.

طب ايه علاقة ده باللي احنا بنتكلم عنه في الشرك؟ سيأتيك أن بعد ذلك المشرك أو المبتدع أراد أن يفرق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فيصرف النصوص التي جاءت في الأوامر وفي النواهي عن دعاء العبادة ويجعل دعاء المسألة خارجها، فيبيح لنفسه أن يسأل غير الله، يسأل المقبور يسأل الميت يسأل الولي يسأل يسأل يسأل فيما لا يقدر عليه إلا الله بحجة أن الأدلة التي جاءت في الأوامر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله يقصد بها دعاء العبادة، لذلك تجد هنا القاعدة دخلت في الشرك ليقول لك أن أي دعاء يأتي في الشرع أو نهي عن دعاء غير الله لابد تحمله على الاثنين دعاء عبادة أو دعاء مسألة ولا فرق بينهما للتلازم بينهما في ذلك أصالةً.

الأدلة قلنا هذه الآية: " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ".

قال الإمام الطبري في التفسير: قال ربكم اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون ما تعبدون من دون الأصنام استجب لكم يعني أستجيب لدعائكم فأعفو عنكم وأرحمكم.

إذًا لا انفكاك في الحقيقة بين دعاء المسألة ودعاء العبادة إما بالتضمن أو باللزوم.

طب ما فائدة هذه القاعدة؟ أو تطبيقات هذه القاعدة؟

أولا: شمول الأدلة التي ورد فيها النهي عن دعاء غير الله عز وجل، أن هذا يشمل النهي عن جميع صرف العبادات لغير الله، وهذا أيضا طبعا دخل فيها النهي عن السجود والذبح والنذر والرجاء والمحبة والخضوع لغير الله عز وجل، كل هذا يدخل فيه.

ثانيا: أن لفظ الدعاء الشرعي الوارد في القرآن قلنا شمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، وقالوا أن هذا ليس من باب استعمال اللفظ المشترك، بل هذا من اللفظ المتواطئ.

وأنا مش هشرح المشترك والمتواطئ الآن لأن شرحناه من قبل في الأصول وهذا ليس مقامه، لكن المتواطئ يعني أن هذا اللفظ له في الحقيقة أكثر من معنى، غير المشترك ممكن يكون له معنيان متضادان، لكن المتواطئ المقصود به أن اللفظ له أكثر من حقيقة ويستعمل مع المعنيين معا، وهذه الألفاظ المتواطئة، يعني ممكن تقول عمرو إنسان وزيد إنسان وكريم إنسان كل هؤلاء لهم نفس حقيقة الإنسان وإن اختلفت الأفراد.

فهنا لفظ الدعاء الشرعي يطلق على دعاء العبادة ودعاء المسألة من باب الألفاظ المتواطئة التي وضعت لمعنى واحد صادق على جميع الأفراد.

معنى اللفظ المتواطئ معنى واحد صادق على جميع الأفراد، تقول عمرو إنسان هو إنسان ومحمد إنسان زيد إنسان، كذلك الدعاء يذكر على دعاء العبادة يذكر على دعاء المسألة، أفراد لهذا الدعاء وليست لفظ مشترك قسيم يعني لماذا؟ قلنا لأن لو قلت مشترك سيقول لك لابد تحمله على واحد من الإثنين ونحن نقول أن القاعدة أن لو جاء الأمر بالدعاء يحمل الاثنين المسألة ودعاء العبادة، فلو قلت مشترك كأنه يحمل واحد دون الآخر لكن نقول له لفظ متواطئ يعني يطلق على جميع الأفراد ليس هناك تناقض بينهم، كما أنت تقول إن عمرو إنسان وزيد إنسان ومحمد إنسان ويظل لفظ الإنسان ينطبق عليهم، فكذلك الدعاء، دعاء المسألة هو دعاء ودعاء العبادة هو دعاء في الأعم إذًا الاثنين لهما معنى حقيقة.

طيب هذه القاعدة الأهم فيها وهي المسألة التي معنا الآن أنها فيها رد على من أجاز الطلب والسؤال من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، هو في أحد ممكن يجيز ذلك؟ نعم في بعض الذين أرادوا أن يجيزوا السؤال لغير الله وأجازوا بقي السؤال للميت والمقبور أو حتى من الجن والملائكة ومن الغائبين إلى غير ذلك، فجاءت القاعدة هذه تريد الرد أنه لا فرق بين دعاء العبادة ودعاء الطلب.

طب هم كيف أرادوا أن يبرروا ما يفعلونه بطلانا؟ قالوا أولا الأدلة التي جاءت - ودي فائدة القاعدة - عن دعاء غيره سبحانه وتعالى يقصد بها (عبادته) دعاء العبادة ولا يقصد به دعاء الطلب والسؤال والشفاعة، فهم قالوا اللي نُهينا عنه هو دعاء العبادة يعني لا يسجد له لا ينذر له لا يذبح له هذا دعاء عبادة نعم لا يكون إلا لله، لكن دعاء الطلب والسؤال والشفاعة وهم سموه نداء الأموات أو نداء الغائبين هذا خارج عن هذه الأدلة، لذلك أنا قلت لماذا نحن بنبين هذه القاعدة وصفًا؟ حتى نرد على هذه الشبهة الذي أراد ان يحمل نصوص الدعاء على دعاء العبادة فقط وأخرج دعاء المسألة والطلب أو الشفاعة كمان من النهي الوارد عن دعاء غير الله عز وجل في ذلك.

لذلك قالوا ومنها النداء، أراد أن يقول لك إن النداء أنت لما تنادي على أحد الآن هو أنت كده تعبده؟ لما تقول له يا محمد اعطني كذا يا أحمد اعطني كذا أو تنادي عليه، قالوا النداء هو نداء، والنداء ليس بعبادة أو بدعاء إذًا يجوز أن نناديهم.

وهنا الرد يكون أولا: وهذا قول علماء أهل السنة وكنا بيناه في أول القاعدة بس قبل ما ننتقل للرد على النداء، أن علماء أهل السنة كما بينا في معنى القاعدة والأدلة ما زال أهل العلم يستدلون بالآيات التي فيها الأمر بدعاء الله والنهي عن دعاء غيره على المنع من مسألة المخلوق ودعائه بما لا يقدر عليه إلا الله، يعني المسألة عند العلماء منصوص عليها ومعلومة بأن النهي عن نوعي الدعاء، فلو صرف لغير الله من سائر الخلق لكان معبودا به، والداعي عابد للمدعو ومستعين به ومتوكل عليه، ولا تقول هو ليس بعابد ولا مستعين، لأن هم يقولون لا أنا لما بطلب من الميت أنا أناديه فقط ولا أعبده أنتم لماذا جعلتم المناداة عبادة؟ هم يقولون ذلك، لا تسميه عابد سميه أنه ينادي كما تنادي أحد ولا خطأ، يريد أن يقول أن المناداة ليس فيها شيء.

طيب القاعدة التي أردنا أن نرد بها على من يرى بأنه لما يقال له أنت تدعو غير الله عز وجل تدعو الميت أو تدعو غائب فيما لا يقدر عليه إلا الله فيقول أنا هنا لا أدعي، فهو هنا يريد أن

يحمله على دعاء العبادة فقط كالذبح والنذر وغير ذلك فيقول أنا لا أذبح ولا أنذر ولا أسجد له ولا شيء ولا أطلب منه أمور الربوبية لله عز وجل ولكن هذا نداء وليس كل من نادى غيره يكون قد كفر بذلك لأن النداء موجود فنقول هنا الكلام هو أراد أن يحمل الدعاء الذي جاء على العبادة ويخرج دعاء المسألة ثم يقول لك وهذا مجرد نداء والنداء ليس فيه شيء، نقول ليست العلة عندنا في التكفير ليست العلة وجود النداء لا العلة عندنا وجود النداء مشتملاً على عبادة لكن وجود النداء خالياً من العبادة فهذا ليس فيه إشكال عندنا يعني ليست المسألة مدارها على النداء لأن النداء ممكن يأتي ويقصد به العبادة وممكن يأتي النداء ولا يقصد به العبادة، فإذا نظرنا هنا نرى هل النداء قُصد به العبادة؟ أم لم يُقصد به العبادة؟

طب ما الدلالة على هذا الكلام؟ وجدنا في القرآن أن الله عز وجل ذكر النداء كما نادى به بعض الأنبياء، ذكره مرة بصيغة النداء وذكره مرة بصيغة الدعاء وكان هذا النداء وهذا الدعاء من باب العبادة،

- كما قال تعالى عن نوح عليه السلام أولاً قال تعالى { فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ } [سُورَةُ القَمَرِ: ١٠]
- وفي آية أخرى { وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ } [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٧٦] في الأول قال دعا و الثانية قال نادى وسماهم في موضع دعاء وفى موضع نداء.

- وزكريا عليه السلام " إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا "
- وفي موضع آل عمران: " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ "
- وأيضاً {وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٨٧] الآيات في الأنبياء

وقال في آية أخرى دعوة ذي النون أنه دعا وهو في بطن الحوت، إذًا جاء في الأنبياء في أكثر من موطن مرة يكون نداء ومرة يكون دعاء، فإذا المنادى قد يحمل على أنه عبادة إذا كان المقصود منها سؤال الله عز وجل وهذه تسمى عبادة، وقد لا يكون النداء عبادة إذا لم يقصد منه إلا محض النداء كما في اللغة.

إذاً ننظر في الكلام إن قصدت بأنه مجرد نداء ليس فيه طلب ولا سؤال ولا احتياج إلى المدعو فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا لا يكون عبادة، فليس كل نداء معناه أنه ليس عبادة وليس كل نداء معناه العبادة، فلابد ننظر هنا إن كان المقصد من ندائك لهذا النبي أو هذا المخلوق أنك تناديه فيما لا يقدر عليه إلا الله فأصبح عبادة فوقعت في النهي، وأما إن كان النداء لأحد كما تنادي يا زيد أعطني القلم أعطني الشيء فهذا النداء ليس فيه عبادة هذا سؤال العادة الذي تكلمنا عنه الذي هو طلب من المخلوق فيما يقدر عليه.

إذاً المسألة لا يشتبه عليكم أولاً هو تأصيله أراد أن يخرج الدعاء يجعله فقط للعبادة ولا يجعله من دعاء المسألة، فيحمل كل الأدلة التي جاءت على دعاء العبادة ويخرج دعاء المسألة من الأمر والنهي، ثم يحتج بأنه على سبيل النداء والنداء ليس فيه شيء، قلنا العلة ليست في النداء، نحن سننظر في ندائك أنا أكرر إن كان النداء على سبيل العبادة والسؤال والطلب فيُحمل محمل العبادة كما فعل زكريا ونوح وذا النون عليهم صلوات الله وسلامه، فيكون هذا من باب العبادة لأن سماه الله دعاء في موطن وسماه نداء في موطن فأصبح الدعاء ينزل تحت أحكام الدعاء ويحرم عليك لو دعوت غير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله فيكون هذا من باب الشرك المراد عندنا في القاعدة، وأما إن كان نداؤك مجرد نداء فيما هو غير دعاء العبادة فهذا لا إشكال فيه ليس عندنا فيه تعارض معك في هذه المسألة.

وهذا يبين لك الدعاء والنداء لأن الدعاء في الأصل بمعنى النداء.

نختم بقول بعض الصحابة لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فسكت صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٨٦]

سمى الله عز وجل وأقرهم على (فنناديه) فإذاً النداء قد يكون عبادة إذا قصد به الطلب من الله عز وجل.

وهذا ختام للقاعدة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة السابعة عشرة

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

علي موعد مع برنامج دراسة العقيدة المرحلة التأسيسية لدراسة القواعد..

ما زلنا في القواعد الخاصة بالشرك .

القاعدة اليوم التي سنتكلم عنها عن الشرك الأصغر وهي تسمى قاعدة:

" الشرك الأصغر وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر في الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة "

هذه القاعدة من الأهمية بمكان حتى تضبط لطالب العلم الفرق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر أو تضع له ضابطاً محدداً في الشرك الأصغر، وقلت لماذا أهميته بالمكان، البعض يطلق عليه الشرك الأصغر وليس الأكبر ويقع في المحظور بأن يوصف بعض الأفعال أو الأقوال أو الأمور أو الإرادات شركاً أكبر وهي تكون في حقيقتها من الشرك الأصغر. وفرق كبير بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر. على أنه معلوم بأن الشرك الأكبر مخرج من الملة وأن صاحبه مخلد في نار جهنم إذا مات على ذلك. وأما الشرك الأصغر فمع عظمه على أنه نوع من الشرك.. لكن ليس صاحبه بخارج من الملة ولا مخلد في جهنم.

هذه القاعدة قلت من الأهمية يعني كان البعض بيخطئ في توصيف بعض أنواع الشرك. ويؤدي ذلك إلى إطلاق الحكم بغير صحيح. وقصدت في مسمى القاعدة أن أقول :

(الشرك الأصغر ووسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر).. ولم أقل كل وسيلة وسأبين لماذا؟ لأنه ليست كل وسيلة إلى الشرك الأكبر تسمى شركاً أصغر وهذه من الأمور التي قد حدث فيها الخلاف بين العلماء ووقع بعضهم في تصور بعض المسائل بما أنها وسيلة للشرك الأكبر فيطلق عليها شركاً أصغر مباشرة.. قد تكون الوسيلة للشرك الأكبر شركاً أصغر. وقد تكون الوسيلة إلى الشرك الأكبر محرمة وليست شركاً أصغر وهذا سنضبطه عند تعريفنا للشرك الأصغر كيف نضبطه؟ ما الحد له؟

لذلك قصدت أن أقول إن الشرك الأصغر وسيلة فقط ولم أقل كل وسيلة.. . وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي قد تصل لرتبة العبادة .

إذاً القاعدة كأنها تريد أن تبين لنا أن الشرك الأصغر أولاً وسيلة وذريعة وطريقاً إلى الشرك الأكبر

إذن أول شيء في القاعدة أن الشرك الأصغر وسيلة وذريعة وطريقة للشرك الأكبر، ثانياً أن الشرك الأصغر يتنوع قد يكون في الإرادات قد يكون في الأقوال قد يكون في الأفعال؛ الإرادات تكون في القلوب وأعمال القلوب أما الأقوال في اللسان والأفعال في الجوارح أيضاً، الثالث في الضوابط ألا تصل تلك الإرادات والأفعال إلى رتبة عبادة غيره سبحانه وتعالى. يعني المقصود أن الإرادات والأقوال والأفعال المختصة بالله عز وجل إذا صرفت للمخلوق أو صرف بعضها للمخلوق هذا نوع من الشرك، لكن ليست كصرفها كلها لغير الله عز وجل إذاً ستكون وصلت لمرحلة العبادة فستكون شركاً أكبر. لكن إذا كانت دون العبادة لهذا المخلوق فتنزل من الشرك الأكبر إلى الشرك الأصغر.

لذلك أعيد مرة أخرى هذه الضوابط التي هي في القاعدة حتى نضبط القاعدة.. . أن وسيلة الشرك الأصغر وسيلة وذريعة وطريق إلى الشرك الأكبر، الثاني أنه متنوع في الإرادات والأقوال والأفعال. الثالث وهذا المهم أيضاً ألا تصل تلك الإرادات والأقوال والأفعال إلى رتبة عبادة غير الله عز وجل.. وإلا ستنتقل إلى الشرك الأكبر. وهذه محاولة اجتهادية لضبط الشرك الأصغر، لأن بتجد كثير من العلماء لما بيعرفوا الشرك الأصغر يعرفوه بالمثال... يقول لك مثلاً الشرك الأصغر مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، كالرياء والنفاق مثلاً.. لذلك تجد أيضاً كلام ابن القيم وغيره يقول لك الشرك الأصغر كيسير الرياء، التصنع للمخلوق، عدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة، فله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب، ويتبع ذلك الشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، وأنا في حسب الله وحسبك ونحو ذلك.

. وقد يكون هذا شركاً أكبر كل الذي قلناه بحسب القائل والمقصد.. هذا كله شرك أصغر لأن جاءت فيه النصوص أنه شرك أصغر. جاءت النصوص الشريعة مثل النبي صلى الله عليه وسلم لما قال أخوف ما أخاف عليكم من الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله ما الشرك الأصغر قال يسير الرياء. . وقال من حلف بغير الله فقد أشرك. ولا تحلفوا بآبائكم. وقول الرجل لما قال ما شاء الله وشئت قال أجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده.

كل هذه النصوص جاءت في الشرع تبين أن هذه الأفعال أو هذه الأقوال أو هذه الإرادات، يسير الرياء طبعاً هذه مسألة قلبية لأنه بيفعل العمل لله وأيضاً يراه الناس ويثني عليه أو يتقدم له بذلك، فدل ذلك على أن في النصوص أن الشرك قد يأتي في الإرادات في الأفعال في الأقوال. لكنه ما دام لم يصل على حسب القائل والمقصد يعني بمعنى من حلف بغير الله فقد أشرك شركاً أصغر. لماذا بنقول ذلك؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك. لكن لو كان بيحلف بغير الله معظماً لهذا المخلوق به تعظيماً في قلبه وخوفاً ورجاء فقد جعله نداً مع الله فقد يكون شركاً أكبر.مع أنه في الأصل أن الحلف بغير الله شرك أصغر. لو قاله باللسان هكذا وله كفارة لكن لو اعتقد فيه ذلك التعظيم فارتفع إلى الشرك الأكبر.

كذلك الرياء، يسير الرياء شرك أصغر ممكن الرياء كله للعمل وإن كان هذا غير متصور أن يكون كل عمله لغير الله فهذا شرك أكبر.

فضابط في الشرك الأصغر أن يكون دون العبادة بالكلية لغير الله، وهنا تجد أن العلماء لما أرادوا أن يعرفوه حاولوا يعرفوه بالمثال يعني نحن بنحاول نصل لضوابط الشرك الأصغر وهذه ميزة القاعدة وقلت أن أهمية القاعدة حتى نضبط الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر، وبين أيضاً المحرم الذي لا يعد شركاً. لأن هذا وقع فيه وسأبين بعض المسائل في ختام الكلام على اختلاف العلماء في هذه النقطة. لذلك بعض العلماء لما أرادوا أن يقولوا الشرك الأصغر قالوا هو ما ثبتت به النصوص من الكتاب والسنة تسميته شركاً. يعني أول شيء قالوا الذي ثبت في النصوص من الكتاب والسنة أنه شرك أصغر سميناه شرك أصغر، وأنه ليس من جنس الشرك الأكبر. يعني أول شيء كأنه وضعه ضابطاً حتى نقول أنه شرك أصغر لابد تثبت في النصوص من الكتاب والسنة بالتصريح بأنه شرك أصغر وليس شرك أكبر مثل الرياء في بعض الأعمال والحلف بغير الله كما قلت، قول ما شاء الله وشئت.

بعض العلماء أرادوا أن يعرفوا الشرك الأصغر، قالوا كل عمل قولي أو فعلي أو قلبي أطلق الشرع عليه وصف الشرك ولكنه لا يخرج من الملة، يبقى أيضاً هناك قرين أن هذا التعريف الذي هو كل ما جاء الشرع به أن هذا الفعل أو القول شرك لكنه ليس يخرج من الملة فقالوا هذا شرك أصغر.

والبعض عمم القاعدة التي قلتها، لكن قال كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاءت النصوص تسميته شركاً. هذه الجملة الأخيرة مهمة لأن لو لم نقول الجملة الأخيرة هنقع في إشكالية أن كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة إليه سنسميه شركاً أصغر وهذا ليس حقيقةً ليس صحيحاً، يعني فيه نظر لكن لابد أن تضيف إليه لو أردت أن تقول وجاءت النصوص بتسميته شركاً. لأن سيأتي أن هناك أعمال بدع محرمة قد تؤدي إلى الشرك الأكبر لكن هي ليست شركاً أصغر هي محرمة.

وبعضهم قال أن الشرك الأصغر تسوية غير الله بالله في هيئة العمل وقول اللسان، فهيئة العمل كالرياء، وباللسان كما الشرك في أقوال اللسان بالألفاظ التي فيها تسوية من الله(ما شاء الله وشئت، مثلاً اللهم اغفر لي إن شئت إلى غير ذلك .)

كل هذه محاولات من العلماء لتعريف أو ضبط الشرك الأصغر، لذلك ممكن نلخصها مرة أخرى كل ما قلناها سابقاً. لو قلنا بأن الشرك الأصغر كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاءت النصوص فيه بتسميته شركاً.

يبقى أول شيء جاءت به النصوص وتسميته شركاً، ويبين لك أنه لم يرد في هذه النصوص أنه شرك أكبر. أنه يشمل على تسوية غير الله مع الله لكن لا تبلغ درجة العبادة بل الاشتراك فقط أصالة. وكونه وسيلة وذريعة يتطرق بها إلى الشرك الأكبر، وبعضهم قال أيضاً من ضوابطه كل ما يتعلق بغير الله سواء عن طريق المحبة أو الخوف أو الرجاء أو التوكل والاعتماد، بحيث لا يصل هذا التعلق إلى الشرك المخرج من الملة وهذه زيادة يعني الضابط قلناه، هو تعرض فيه للأعمال القلبية يعني أراد أن يبين أن هناك من الأعمال القلبية التي قد تكون شركاً أصغر وليس شرك أكبر. يعني قد يكون تعلق شركي تعلق بغير الله من المحبة يحب غير الله خوف رجاء توكل والاعتماد. لكن لا يصل إلى حد التعلق الشركي المخرج من الملة. وهذه فيها نظر البعض ينازع بأن العبادات القلبية بعضهم يقول أن هي الأصل فيها أن لازم تكون لله ولو دخل فيها التشريك قد يؤدي إلى الشرك الأكبر. لكنه يريد أن يبين أن ضابطها أيضاً كما قلنا في الأقوال اللسان والجوارح وأيضاً هو يكون في الإرادات. وهي المستنبطة ممكن نقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أن الرياء يسير إلى الرياء شرك أصغر. ويسير الرياء في القلب، فأرادوا أن يقولوا أن هناك من أعمال القلوب ممكن أن تدخل في الشرك الأصغر ما دامت لم تصل إلى التعلق الشركي المخرج من الملة.

كل الضوابط هذه جيدة التي قلناها تصح أن تكون ضوابط لتحديد الشرك الأصغر. لكن الضابط الذي وضعه البعض هو كونه وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر. نقول لابد أن نقيده يعني ليست كل وسيلة لأن لو قلت أن كل وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر تكون شركاً أصغر ، يبقى أدخلت البدع أدخلت المحرمات و لذلك هتجد فيه خلاف عند بعض العلماء في وصف بعض البدع، هي بدع بعضهم أدخلوها في باب الشرك، يعني مدح الأنبياء مدح الصالحين مثلاً بناء الأضرحة والقباب على القبور، تحري الدعاء والعبادة عند القبور. انتبهوا تحري الدعاء والعبادة عند القبر وليس دعاء المقبور، البعض جعل هذه الأشياء من الشرك الأصغر على أنها وسيلة للشرك الأكبر. فكأنه أراد بالتعريف أن يجعل كل وسيلة إلى الشرك الأكبر يجعلها شرك أصغر. وبعض العلماء قالوا لا. بعض هذه الأمور هي محرمة ليست شركاً أصغر هي من البدع نعم ومن المحرمات نعم ووسيلة للشرك نعم وأسباب للشرك لكن ليست شركاً أصغر. وهذا نشأ الخلاف بين بعض العلماء في وصف بعض الأشياء التي قلتها الآن، أن بعضهم قال اعتبرها من الشرك الأصغر وبعض اعتبرها محرمة وليست في الشرك الأصغر بناء على إيه؟ حتى تفهموا المسألة هذه، على أن بعضهم جعل كل وسيلة إلى الشرك الأكبر ألحقها بالشرك الأصغر و كل ما يجد المسألة وسيلة للشرك الأكبر يلحقها بالشرك الأصغر ما دام لم تصل للعبادة. و بعض العلماء قد فصل قال لا. لا نوافق أن كل وسيلة للشرك الأكبر تعتبر شرك أصغر بل بعضها يكون شرك أصغر إذا جاءت النصوص بذلك، وبعضها قد يكون محرم من باب البدع. وهذا التفصيل أنا أرى أنه أصوب والله أعلم في ذلك على أنه نعم وضعنا ضوابط للشرك الأصغر، لكنه لابد أيضاً ألا تعمم هذه الضوابط، علماء كثر قالوا له بهذا، الذي يعني

يحتاج لاجتهاد حتى يضبط أنها شركاً أصغر وليست بدعة أو ليست محرماً فقط من المعاصي. يعني أن يقول لو تضمنت مثلاً تسوية بين الخالق والمخلوق؟ ممكن أن تلحقها بالشرك الأصغر، طبعاً لم تكن تسوية بالكلية كما في الشرك الأكبر. أو استلزمت تعلق قلبي بغير الله عز وجل مثلاً فممكن يدخلها في الشرك الأصغر مثلاً، أو اقترن بالفعل أو القول تشريكاً أو تنديداً مثلاً جعله نداً فهو يجعلها من الشرك الأصغر شريطة ألا يصل إلى حد العبادة أو الاعتقاد المؤدي إلى الشرك الأكبر. لكن هذا لا يمنع أن نقول أن الشرك الاصغر هو وسيلة للشرك الأكبر. لكن مرة أخرى ليست كل وسيلة وسبب للشرك الأكبر نسميه شرك أصغر. لكن حقيقة هناك بعض العلماء أدخلوا هذه الأفعال والمنكرات في الشرك الأكبر. وظهر كلام الشيخ ابن تيمية رحمة الله عليه أنه أدخلها في الشرك الأصغر من باب أن من فعل هذه الأعمال قد دخل في طاعة الإنسان لهواه أو طاعته للشيطان فأصبح كأنه عبداً لهواه أو عبداً للشيطان، لذلك تكلم في مسألة دعاء الله عند القبور وجعل أن هذا لم يشرع ومن فعله فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله عز وجل، ولذلك هو رأى بأن عبادة الله عند القبر وتحري الدعاء عند القبر نوع من الشرك الأصغر، بل هو اعتبر في بعض الأمور جميع المعاصي والذنوب داخلة في عموم الإشراك بطاعة الشيطان وأنها شعبة من شعب الشرك أو الكفر ولو كانت ليس يقصد بها العبادة الكلية فتكون في الشرك الأصغر وسماها هذه من عبادات الشيطان، واستدل بقوله تعالى في آية سورة الحجر: "إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" فقال لم يخلص من الشيطان إلا المخلص لله عز وجل فقط، كما قال:

" إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ" الآيات، فمن أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك.

كل هذا كنا في بيان معنى القاعدة وأشرت إلى النقطة التي اختلف فيها بعض العلماء وأشرت إلى كلام ابن تيمية في مسألة ضبط بعض الأعمال التي قد أحيانا تجد بعض الطلاب يختلفون في المسائل هذه فيكون هناك من قال إنها شرك أصغر وهناك من قال إنها محرمة وقد مثلت ببعض هذه الأمور لكن علمنا منشأ الخلاف من أين وأنا أكرر لأني أشعر أن التكرار مهم جداً في هذه المحاضرات الخاصة بالقواعد تحديداً حتى يستقيم الأمر عند الحضور لأن ضابطها هنا ،هل كل وسيلة تؤدي إلى الشرك الأكبر نعتبرها من الشرك الأصغر؟ الصحيح لا، نعم الشرك الأصغر هو وسيلة للأكبر لكن ليس كل وسيلة، قد تكون الوسيلة شركاً أصغر وقد تكون الوسيلة محرمة أو كبيرة، كيف نعلمها؟ نرجع للأدلة والنصوص إن جاء فيها التصريح أنها شرك أصغر قلنا إنها شرك أصغر، وإن لم يكن ننظر لبعض الضوابط التي وضعها العلماء التي قلتها من قبل، هل فيها اشتراك تسوية؟ هل فيها ندية؟ هل فيها كذا وكذا؟ قد يلحقوها بالشرك الأصغر وقد تكون فقط هي من الأعمال المحرمة التي لا يجوز فعلها لكن لم تدخل إلى مسألة الشرك.

طب ما الدلالة على هذه القاعدة؟ أدلة هذه القاعدة التي تكلمنا عنها:

يعني نحن نفرق بين الشرك الأصغر والأكبر، نحن لماذا نبين الشرك الأصغر؟ قلت حتى لا يقع أحد خطأ في أنه كل ما يراه شركاً يجعله شركاً أكبر وهذا يخرج المرء من الملة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا**

رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم يومَ القِيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهم اذْهَبوا إلى الذين كنتُم تُراؤون في الدُّنيا، فانظُروا هل تَجِدون عِندَهُم جزاءً؟!)

هذا الحديث يبين -في إحدى الروايات طبعاً له- على أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بوجود الشرك الأصغر ومنه مثّل لنا الرياء وهذا تمثيل يعني نوع من أنواع الشرك الأصغر الرياء، لذلك قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، هو طبعا هنا عليكم يتكلم مع من؟ مع الصحابة مع المسلمين، فيتكلم على أهل التوحيد يعني النبي صلى الله عليه وسلم يخاف على أهل التوحيد من الوقوع في الشرك الأصغر لماذا؟ لأنه سيؤدي بهم بعد ذلك إلى الشرك الأكبر، هو هنا قال لهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون به في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟ يعني كأن يطلب الله عز وجل يوم القيامة من هؤلاء أن يذهبوا إلى ما كانوا يراؤون في الدنيا ويعظمونهم ويطلبون ويظنون أن الانتفاع سيأتي منهم، فيذهبوا ليطلبوا منهم الجزاء.

طيب هذا أول حديث يبين مسألة تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بما يسمى الشرك الأصغر، أيضاً استقراء النصوص التي جاءت في الشرك الأصغر وأنه وجدنا بأن النصوص التي جاءت في بيان الشرك الأصغر لم تصل فيها إلى الشرك الأكبر لكن وجدوا أن هناك تشابه واتفاق في الظاهر بين حالة الشرك الأكبر والأصغر في بعض الأمور لذلك قد يشتبه على البعض أنه لا يفرق بينهما، لذلك جاء وهذا قد يجر البعض لعدم الضبط العلمي وهوى الناس على حسب بقى ميولهم فتجده أنه على طول مبالغ في التكفير وفي إطلاق الشرك الأكبر على الأمور وعلى النقيض بعض الناس أيضاً تجده يرى الشرك الأكبر أمامه صراحة ولا يتكلم عنه، الضبط كل الضبط في الوسط لضبط الأمور، أنك تعلم حتى لا تقع في هذا المستنقع الذي قد يؤدي بك إلى الهاوية سواء بإلحاق كل الشرك الأصغر بالأكبر أو بمنع أصلاً وجود الشرك الأكبر بالكلية وجعله غير ذلك، فلذلك كان هذا يعني استقراء من العلماء لوضع شيئاً للتفرقة حتى لا يؤدي ذلك إلى الجنوح على الحق بذلك.

أيضاً جاءت النصوص أدلة القاعدة على بيان أن الشرك الأصغر قد يكون في الإرادات في الأقوال في الأفعال وبينا الأمثلة في أول المقدمة كالرياء هذه من الإرادات، الحلف هذا من الأقوال أيضاً سواء قول اللسان أو قول الجوارح، فإذا جلت النصوص التي جاءت في الشرك الأصغر على تنوعه في هذه الأمور الثلاثة التي جاءت في القاعدة لم ندلل على متن القاعدة من أين يأتي بذلك أيضاً

ما هو يعني لو قلنا ما شاء الله وشئت مثلاً الذي لبس الواهنة التي هي الخيط يعني، المهم أن هذه من الأفعال التي ممكن تحمل أحياناً على الشرك الأصغر في بعض الحالات مثلا كالخرز والعين الزرقاء والكف وهذه الأشياء أيضاً.

قالوا والتي لم تبلغ رتبة العبادة القيد لم تبلغ رتبة العبادة لماذا؟ لأن لو وصلت رتبة العبادة سيكون اعتقاداً شركياً ويخرج من الملة، يعني حتى الذي يحلف بغير الله لو اعتقد في المحلوف به تعظيماً له كتعظيم الرب أو المحبة التي فيها نوع من الشرك وأحبه محبة فيها الخضوع والإذعان والقبول والتسليم له انتقلت من شرك أصغر لأكبر، لذلك قال لم تبلغ رتبة العبادة قيدنا إن حتى يكون شركاً أصغر أنه لم يبلغ رتبة العبادة، لكن هو فيه نوع تسوية؟ نعم فيه نوع ندية؟ نعم، لكن لم يبلغ هذه المسألة.

طيب ما الفائدة من هذه القاعدة؟

قلنا فيها فوائد لكن أعظم فائدة ضبط مسائل الشرك المتشابهة، لما تضع هذه الضوابط معك فتستطيع أن تضبط مسائل الشرك المتشابهة وتفرق بين ما هو من قبيل الشرك الأكبر وما هو من قبيل الشرك الأصغر سواء في الإرادات في الأقوال في الأفعال.

هو طبعاً التفريق هيبقى أكثر وضوحاً في مسألة الاعتقادات لأن هذا الذي يكون خفياً عليك، أما في الظاهر فهناك أفعال في ظاهرها شرك أصغر يعني غالبها وفي بعض الأقوال والأفعال تكون ظاهرها أيضاً شرك أكبر، لكن هنا القاعدة تفيد في أمر آخر أنها تحذرك من الوقوع في الشرك الأصغر لماذا؟ لأنه طريقاً وباباً إلى الشرك الأكبر لذلك البعض يتهاون يظن أن الحلف بغير الله شيء يسير أو أن ما شاء الله وشئت أو غير ذلك وهذا خطأ، بل من كان على الشرك الأصغر عظيم، الشرك الأصغر أعظم عند الله من الكبائر وهذا الذي لا يعرفه كثير من الناس، الشرك الأصغر أعظم من الكبائر الموجودة،

ويدل ذلك حديث محمود بن لبيد لما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر).

سيدخل في هذه القاعدة أشياء بقى أمثلة تعليق التمائم، لبس الحلقة الخيط، لو أراد بها رفع بلاء أو دفع ضر أو غير ذلك، طبعاً هذا بداية نقول شرك أصغر لأنه اتخذ سبباً لم يشرعه الله لكن لو اعتقد فيه انتقل من الشرك الأصغر للأكبر، انظر الفارق يعني هو ممكن يظن أن مثلاً التميمة ولا الخيط يعني سبب للشفاء لكن لو اعتقد أن هي التي بتشفي، انتقل من الشرك الأصغر للشرك الأكبر يعني جعله مؤثر بنفسه مستقل بنفسه وهذه طبعاً لا تكون إلا لله عز وجل خصائص الرب سبحانه وتعالى هو جعل التأثير المستقل أيضاً، مع أن هي أصالة هي من الشرك الأصغر ويبين لك لماذا؟ حتى لا يحدث الذريعة بعد ذلك.

أيضاً يدخل فيها إرادة الإنسان بعمله الدنيا وهو بيعمل عمل لله لكنه يريد به ثواب الدنيا وهذا تشريك، هو بيعمل عمل لكن يريد ثواب الدنيا قلبه متعلق مثلاً بالمال بالبنين، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: (تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ).

فهذه أمور أنه قد يشرّك المرء بين بعض العبادات يريد بها الآخرة ويريد بها الدنيا، طبعاً هذه لها تفصيل تكلمنا عنه إلا لو كانت العبادة أصلاً جاء فيها نص شرعي بأن الإنسان له أجر في الدنيا على هذا العمل وله أجر في الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم مثلاً: (مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِه ، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه) صلة الأرحام عبادة لكن جعل الله عز وجل لها ثواباً في الدنيا مع ثواب الآخرة أيضاً، فالذي يعمل العبادة طمعاً في ثواب الدنيا لأن الناس درجات، فهناك من يعمل العبادة طمعاً في الآخرة ويريد في الدنيا، ومنهم من يعمل العبادة طمعاً في ثواب الدنيا ولا هم له في الآخرة هذا الذي يعمل العبادة طمعاً في ثواب الدنيا ولا هم له في الآخرة كان فيه من الشرك الأصغر بحسب تعلقه، أما لو كانت إرادته الدنيا بالكلية فهذا فيه شرك أكبر والعياذ بالله، لأنه كل عمله وتعلقه للدنيا وليس لله خالص، الفارق أنه لو كان يعمل العبادة لله يبقى هو النية لله لكن طامع في ثواب الدنيا لا يريد ثواب الآخرة **"مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ"**

فنقول إنه من كان يعمل العبادة لله طمعاً في ثواب الدنيا ولا هم له في الآخرة كان له من الشرك الأصغر فيها إن أراد الأجر في الدنيا في ذلك، يعني تعلق القلب كان بإرادته للدنيا، أما من كانت إرادته للدنيا أصلاً وقصداً ما بيعملها لله أصلاً ولكن من أجل الدنيا فقط ولم يتحرك القلب إرادةً لله فهذا ليس له في الآخرة من نصيب وهذا العمل كله حقيقة العلماء قالوا يصعب جدا أن يكون من مسلم ، لأنه هذا دلالة على ضعف شديد جداً في الإيمان إن كل أعماله لا يريد بها الله ولا الدار الآخرة يريد بها أمور الدنيا فقط بل هذا لا يكون إلا في الكافر، يعني يصعب جدا إنك تجد المسلم أنه يصل لهذه إلا لو كان قد خرج من الإسلام والعياذ بالله.

هذه أمثلة كلها في مسألة بعض أنواع الشرك الأصغر وأشرنا لبعضها أيضاً مثل الرياء كما بينا وأيضاً الحلف بغير الله عز وجل إلى كل هذه الأمور وبعض الألفاظ ما شاء الله وشئت ولولا الله وفلان، كل هذه المسألة جاءت فيها التفصيل طبعاً في الكتب نحن نحاول أن نثبت القاعدة فقط فيما نحتاج إليه.

أيضاً يدخل فيها الأمور القلبية؟ نعم قد يدخل فيها بعض الإرادات الخوف من غير الله المؤدي إلى ترك الطاعة وفعل المعصية ، هذه أيضاً من الشرك الأصغر، الذي هو الخوف من غير الله المؤدي لترك الطاعة وفعل المعصية، وهذه مشكلة إنك ممكن يصل بك الخوف من غير الله فيؤدي بك أنك لا تفعل الطاعة أو بالعكس تفعل معصية، وهذه ممكن تجدها في بعض الأزمنة وبعض الأحوال وبعض الأمكنة، يظل المرء من كثرة خوفه من غير الله فتجد أنه يترك واجبات وطاعات أو يفعل المعاصي والعياذ بالله هذه قد تنزل من أنواع الشرك الأصغر.

أقول لك مثال يعني لو قلنا رجل مثلاً يرى بأن قد قلنا الراجح وجوب اللحية، طيب من حلق اللحية خوفاً من أحد، ترك طاعة واجبة، أنا قلت أهو ضبطتها بأن الحكم الوجوب حتى لا يأتي أحد يقول لي لأ ما هو فيه خلاف، أنا بتكلم على أمثلة الآن فأنت تركت طاعة الآن مثلاً خوفاً من أحد، ارتفع الخوف عندك من غير الله عز وجل أدى إلى أنك تركت طاعة واجبة، لا تقول لي إكراه لم يضع السكينة على رأسك حتى يقول لك احلقها، أو يؤدي إلى فعل معصية بعض الناس من كثرة خوفهم يجيب علبة السجائر يضعها في جيبه وهو لا يشرب سجائر، لكن من خوفه من غير الله أراد أن يظهر بأنه ليس ملتزم، فيجيب علبة السجائر يضعها في جيبه هذا فعل معصية، وقيس عليها أمور من أنواع الشرك الأصغر وصل به الخوف من غير الله أدى إلى ترك طاعة وفعل معصية، الخوف أنا بقول بابه في الخوف أنه خاف ففعل ذلك، لكن لو فعلها بطريقة أخرى بقى نحن بنضبط الأمثلة الآن هنا، هذه ليست فتاوى على فكرة، نحن بنجيب أمثلة على القاعدة ما أحد يأخذ هذا الكلام يسقطه فتاوى بمعنى أحكام شرعية يعني نحن بنصدرها أحياناً في الدراسة نأتي بأمثلة لنبين ما نريده الآن، لكن إن أردت أن تستوفي مسألة معينة هذه مسألة أخرى حتى يبقى واضح لكل الذي يسمع، نحن بنتكلم الآن على أمثلة لهذه المسائل، فوقع خوفاً في قلبك أدى إلى ترك طاعة أو فعل معصية، واحد مثلاً خائف من أحد فلا يصلي، أو خائفة من أحد فتنزل بدون حجاب تفعل المعصية ظناً إن هي هكذا يعني ليس هيبقى عليها شيء مثلاً، كل هذه قد تكون نوع من أنواع الإرادة التي هو عمل من الأعمال القلبية التي قد تكون من الشرك الأصغر.

لا وممكن يبقى عاصي وهو لم يفعل هكذا لا يريد يربي اللحية ومخالف لأمر الله فهذا وقع في معصية،هذا ليس شرك أصغر عشان نبين الفرق لذلك أنا قلت نحن لا نصدر حكم حتى لا أحد يظن إن كل واحد حلق لحيته يكون هذا عنده شرك أصغر. أو كل واحد يضع علبة سجائر في

جيبه يبقى عنده شرك أصغر. لا هو فعلها لماذا؟ لأنه تعاظم الخوف عنده من غير الله فأدى إلى فعل ذلك.

تعقيب من الشيخ علي سؤال طالب

ما تقوله هو افتراض لا يكون في الحالة الذي ذكرتها

نحن قلنا القاعدة إذا حلف بغير الله فقد أشرك شرك أصغر، لكن لو حلف بغير الله تعظيماً للمحلوف به، إذاً في قلبه مستقر هذا التعظيم خلاص هذا وقع في الشرك الأكبر..

سؤال من طالب:

ا الفرق بين أن ألبس التميمة وأجعلها سبب؟ أو إن أنا أعتقد فيها بتنتقل من السبب إلى الإعتقاد فيكون أكبر

إجابة الشيخ :

مثال آخر أنت ترى أن في طبيب ما فأنت بتروح دائماً للطبيب هذا فقط. تقول ما أذهب إلى غيره. وتعلق قلبك بأن الطبيب هذا هو أمهر الأطباء وأن هو السبب الذي ماشي. تعلقك به هو تحديداً هكذا قد يصل إلى الشرك الأصغر. لكن لو قلت أن ليس هناك حد بيشفي غيره وأن الشفاء كله من عنده انتقلت من الشرك الأصغر للشرك الأكبر. أنا بشرح لك الفرق بين متى يكون الشرك أصغر ومتى يكون أكبر وهذا ليس معناها أنك أنت لو وثقت بطبيب لأنه ماهر أنك عندك شيء في العقيدة لا ما فيها إشكال إنك بتروح للماهر لأنك تعلم أن هو مجرد سبب ممكن يصيب ويخطىء أى ممكن يكون فيه شفاء أو لا، هنا أنت لم أعتقد فيه شيء خلاص كده. لكن لو وصل أنك تظن أن هو الذي بيشفي.هذا لا يجوز

لذلك يقول لك إيه لو اتفقت مع الطبيب على أنه لن تعطيه المال إلا بضمان نجاح العملية فأنت دخلت كده في إشكالية كبيرة. لأن مين قال لك أن العملية قد تنجح؟ مش بتاعته أصلاً. فكيف تشترط على الطبيب ذلك بعض الناس يظن أنه لو اشترط على الطبيب أنه ضمان نجاح العملية عشان يعطيه أجره مثلاً فهذا الشرط باطل لا يصح لأنه هو سبب. هو بس ممكن تشترط عليه أن هو ما يخطئ يعني ما يقع في إهمال أو شيء لكن تشترط نجاح العملية مع الطبيب عشان تتفق معه فهذا كأنك بتعتقد بأن هو الذي يأتي بالشفاء من عنده أنا لا أدخل الآن في أكبر وأصغر لكن أقول الشرط هذا لا يصح أصلاً وأنك اعتقدت فيه شيئاً كأنه هو الذي يعني سبباً في نجاح العملية أو هو الذي ينجح العملية. ده خطأ في الإعتقاد أصلاً. واضح؟ الاستعانة بالحلقة بتلبسها ظناً أنها من أسباب الشفاء كما عندهم اعتقادات في الجاهلية. سبب. أما إن اعتقدت أن الحلقة نفسها تشفيك. هو ده الإعتقاد الأكبر. الشرك الأكبر. أن هي نفسها اللي بتشفي. في الأول معتقد أن الحلقة دي سبب زي الدواء الحلقة دي أيضاً بتسحب الحمى. بتسحب كذا. سبب لكن الحلقه ليست سبب شرعاً ليش؟ لأن الأسباب أنواع إما أسباب شرعية جاءت في الكتاب مثل العسل زي زيت الزيتون أو في السنة مثل حبه البركة.

أو أسباب مادية زي الأدوية اللي بيخترعها الأطباء ماديه مجربة ثبتت أنه دواء لكن الحلقة لا هي سبب مادي ولا شرعاً يبقى اتخذت سبباً للشفاء ليس بسبب فقالوا هنا هذا فيه شرك أصغر.

سؤال:

ممكن أقول اللهم اجعل هذا الطبيب سبباً في الشفاء؟

إجابة الشيخ:

ممكن تقول ذلك

سؤال

قال تعالى { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ } [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٠١]

هل فعل عبادة من أجل ثواب الدنيا والآخرة مثل الاستغفار للرزق ولرضا ربنا؟ هل الأفضل إرادة الآخرة فقط؟

الإجابة :

إحنا قلناها قال الله عز وجل { يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢) }[سُورَةُ نُوحٍ: ١١]

فإذا جاء فى الشرع في بعض العبادات أن الله عز وجل طلب من الناس الاستغفار والدعاء

قال تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }[سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٩٦]

بالإيمان والتقوى فما دام الشرع قد جاء بذلك فلا حرج. أقول لا حرج أن يدعو المرء أو يفعل العبادات التي فيها وأقربها الله عز وجل أو الشرع ثواب للدنيا وثواب للآخرة. ولكن لا شك أن الأجور بتكون أعلى في العبادات التي يريد بها المرء ثواب الآخرة فقط. يعني ما عند الله من أمور الآخرة ويجعل كل ثواب الآخرة هذا أفضل.

لكن لا يمكن أن نحيا في الدنيا ولا نطلب من الله عز وجل ولا نسأله أمور في الدنيا. وبنسأل الرزق الذرية الصالحة زوجة صالحة. التوفيق والسداد. فهذه من أمور الدنيا التي يريدها المرء لإعانته على أمور الآخرة. لكن لا يريدها للدنيا فقط.

سؤال:

كلمة والنبي يقولها كثير من الناس بالأخص الأطفال. تكرر بشكل لا ارادى هل هذا صحيح؟

الاجابة:

الصحيح أن إحنا نمنع الأبناء والأطفال على قول هذه الكلمة حتى لا يعتادوا عليها فنخبرهم بذلك طبعاً هي مسألة على المقصد لكن علينا أن نعودهم أن لا يقولوا ذلك.

سؤال:

ما يسمى بالحظاظات لكن ليس بنيه الحظ ولكن هى إكسسوارات

اجابه الشيخ:

هذه بالنسبة للنساء لا حرج لأن هذه الزينة للنساء والنساء أباح لها الشرع التزين

{أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف : 18]

فأبيح للنساء التزين والتحلي لا حرج في ذلك. أما بالنسبة للأولاد على حسب، بعض منع أن في تشبه الرجال بالنساء. طبعاً كل ده ضابطه أن لم يكن هناك مسألة الإعتقاد بشيء يعني. أما الإعتقاد بيننا خلاص. لكن لو ألبسه على سبيل التزين فلو قلنا أن هذا من لبس النساء لا يجوز للشباب أن يلبسوه من قبل التشبه. وأنا أدين إلى الله بذلك أن هذا من التشبه. أحسن الله إليكم.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا تستغفرك وأتوب إليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مع برنامج دراسات العقيدة وإن شاء الله اليوم نختم بقاعدة أخيرة من قواعد الشرك وبذلك نكون قد انتهينا من القواعد الخاصة بتوحيد العبادة سواء كانت في أركانها أو التوحيد الخاص بالعبادة

والقاعدة التي نتكلم عنها اليوم هي باسم :

(الشرك هضم لعظمة الربوبية وتنقص في حق الإلهية وسوء ظن برب العالمين)

هذه الجملة كاملة -اسم القاعدة- نقلاً عن كلام ابن القيم في كتابه "إغاثة اللهفان"، فذكر هذه الجملة بنصها وهو يتكلم أيضاً عن الشرك وكيف أن الشرك تنقيص كما سيأتي معنا وفيه هضم لعظمة الربوبية وتنقص في حق الإلهية وسوء ظن برب العالمين ، فكانت هذه الجملة كأنها ضابط مهم أو قاعدة استنبطت من كلام ابن القيم وسنبين هذه الثلاثة أمور الخاصة بالربوبية والألوهية وسوء الظن،هناك أيضاً مقولة عن الكثير من العلماء وهي أيضاً من استقراء نصوص الشريعة.

فإثبات هذه القاعدة من كلام ابن القيم في هذا النص، نشرح القاعدة (الشرك هضم لعظمة الربوبية وتنقص في حق الإلهية وسوء ظن برب العالمين)، **عندنا هضم وعندنا تنقص وسوء ظن ثلاثة أمور**.

أولاً: الهضم مشتقة من هضم الأصل اللغوي لها هضمه يهضمه هضما ،والهضم يدل على الكسر والضغط والتداخل، هضم الشيء هو كسره، قال هضم حقه أي نقصه حقه،وهضم نفسه أي وضع من قدرها تورعاً ، وهنا يبقى الهضم بمعنى النقصان، وأيضاً قالوا بأن كل ظلم يعتبر هضما، وإن كان بعض أهل العلم فرقوا بينهما فقالوا الظلم المنع من الحق كله والهضم النقص والمنع من بعض الحق، فقالوا كل هضم ظلم وليس كل ظلم هضم، إذاً الهضم نقصان بعض الحق، لذلك لا يقال لمن أخذ جميع حقه قد هضم، لكن لو أخذ بعض الحق ولم يستطع أن يأخذ البعض الآخر فيقول هنا هضم حقه أو نقص من حقه، أما الظلم قد يكون في الكل وفي البعض يعني يظلم في بعض الحق أو يظلم في كل الحق، والحقيقة أن هناك تفرقة لأن القرآن فرق بينهما ،قال تعالى {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه : 112] فكأن هناك فرق بين الظلم والهضم كما بين بعض أهل العلم، يعني لا يمنع حقه ولا بعض حقه {فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} كأنه لا يُمنَع الحق كله ولا يُمنَع حتى بعض الحق، فهذا معنى كلمة الهضم.

في القاعدة (سوء الظن برب العالمين) فسوء الظن الظن مشتق من الأصل اللغوي ظن يظن ظنا، وجمع على ظنون ويقال (ظننت زيداً صادقاً) معنى الظن هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد لغير الجازم، يعني في ترجيح بين أمرين وهو متردد بينهما لكن عنده طرف فيه غلبة ظن، يعني راجح عنده أن هذا هو الطرف الصحيح، أو ممكن تقول هو إدراك الذهن للشيء مع ترجيحه يعني ادراكه للشيء مع الترجيح يعني كأنه هناك قول آخر أو شيء آخر قد يكون مرجوحاً وهذا هو الراجح، لذلك الظن ممكن تقول هو إدراك الشيء بغير يقين أو علم الشيء بغير يقين لأنه لو كان بيقين أصبح يقين ولما قل الادراك نزل من اليقين إلى الظن، فممكن أن تقول أن الظن هو علمه بغير يقين، وهذا يظهر لك أن الظن لابد أن فيه شيئين وهو يرجح أحدهما على الآخر فهذا الذي رجح يسمى ظناً، وقد يأتي الظن بمعنى اليقين لذلك بعض العلماء يقولون ننزل منزلة غلبة الظن منزلة اليقين، لكن هو فيه فارق طبعاً بين المصطلحات بين اليقين وبين الظن وبين الشك كما هو معلوم، فهذا الظن هو العلم بغير يقين.

والظن أيضاً يأتي بمعنى الظنة أو التهمة، يعني الظن السيء يعني كأنه فيه معنى التهمة، وهو فيه تهمة يعني عدم خير فيها، هنا قالوا أن ظن السوء بالله عز وجل وهذا كما سيأتي كله منهي عنه، سوء الظن بالله عز وجل كله منهي عنه، بل بعضه أعظم من بعض يعني لا يجوز ظن

السوء بالله مطلقاً، فهو من أعظم الذنوب كما سيأتي معنا التي عصي بها الله عز وجل هو الظن به ظن السوء.

لذلك قال الإمام ابن القيم: (لم يجيء في القرآن وعيد أشد وأعظم من وعيد من ظن بالله ظن السوء)

قال تعالى {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [الفتح : 6] انظر شدة الوعيد على الظن بالله ظن السوء وقال تعالى {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت : 23] وهؤلاء الذين قيل لهم بذلك ظنوا أن الله لا يعلم الجزيئات، فما بالك بقى بمن ظن أن الله لا علم له ولا سمع له ولا بصر ولا يتكلم ولا استوى على عرشه ولا فعل ولا له فعل حقيقة ولا حكمة يفعل من أجلها، فهؤلاء أشد ظناً للسوء من الآخرين لأنهم ظنوا ظن سوء بالله عز وجل.

وهذا ظن السوء بالله عز وجل له مراتب من الكفر إلى ما دون ذلك، أما إساءة الظن بالمسلمين عموماً فيها تفصيل، إن كان ظناً مقروناً بدليل شرعي وقرينة ظاهرة فلا لوم على صاحبه لا يلام عليه، إن كان عندك قرينة ودليل وظننت به ظن سوء فلا لوم عليك وإلا لم يكن عندك قرينة أو دليل شرعي فهذا ظن سوء بالمسلم محرم منهي عنه، ويزداد شدة لو ظن بأهل الخير والصلاح والفضل فليحذر بعض الناس لا ينتبهون لهذه المسألة، حتى إذا سمعت اليوم بعض الناس يتكلمون عن نقل أخبار وأشياء، ومعلوم في هذه الأوقات ممكن تنقل أخبار ليست بصحيحة أو أخبار يعني مفبركة كما يقال وتنتشر كثيراً، البعض يفعلها من مبلغ رفع الروح المعنوية وبث الطمأنينة والأمل ولكن يتبين بعد ذلك أن هي أمور ليست صحيحة، فبعض ممن كتب وكانت عاطفته قد اشتدت، فقال الأصل في المسلمين في هذا الزمان الكذب وليس الصدق، على أنك ما تصدق كل ما ينقل إليك، فهذا الكلام ليس بصحيح لأنك أنت الآن قد صدقت أن الأصل سوء الظن بالمسلم وهذا خطأ **لكن لو عندك قرينة أو دليل شرعي** وتقول الأصل سوء الظن بالناس هذا ليس بصحيح، فالظن المنهي عنه هو ظن السوء بأهل الخير أما بأهل الشر يجوز، فيجوز أن تظن السوء بأهل الشر لأنهم أهل شر أصالةً، أما إساءة الظن بالأنبياء والمرسلين فهذا كفر مبين وهذا إجماع قال الإمام النووي (إن ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع) لذلك في تفصيل في مسألة ظن السوء بالمسلمين إن لم يكن بدليل، فسوء الظن بالمسلمين بدون مسوغ شرعي أو قرينة ظاهرة هو إثم في نفسه والإشكال أن إذا استمر في قلب العبد هذا ظن السوء بالمسلمين أنتج آثاماً عظيماً في قلبه يعني كان له مردود على القلب وأورث أقوالاً وأفعالاً محرمة، فالمسألة أنه لو زاد في هذا السوء أي سوء الظن بالمسلمين يؤثر في قلبه ويورث فيه آثاماً عظيمة ويجعله يتعرض لأقوال وأفعال أشد.

في مراتب في ظن السوء بالله عز وجل، لذلك كثير من العلماء السعدي تكلم في سورة الحجرات والمفسر قال بأن من ظن سوءاً بالمسلمين أورث في قلبه بدون طبعاً قرينة حالية أو دليل شرعي يؤثر ذلك على قلبه وأنه لا يظن أنه سيظل مجرداً بل يزداد فسوء الظن هذا يؤدي معه إلى بغضه وعداوته وهذه من آثار سوء الظن أولاً يكذب الناس ولا يصدقهم ويزدريهم ويحقرهم ثم يبغضهم ثم تؤدي إلى العداوة بينهم وهذا كله يورث إشكاليات كبيرة في القلب وفي

أقواله وأفعاله تجد بعد ذلك كما قلت الآن بعضهم يقول لك لا الأصل الكذب ما تصدق أحد ولو جاءه أحد بدليل أو بقرينة أو بشيء ما يصدقه ويتعامل معه على أنه كاذب وهذا كله نتيجة سوء الظن في قلبه تجاه المسلمين بدون قرينة وبدون دليل.

طيب هذه كانت مفردات القاعدة التي نحن بصددها الآن، **لكن القاعدة تتكلم عن ثلاثة أمور كما قلنا** بأن الشرك طبعاً انتبهوا لأن الكلام على الشرك قال الشرك هضم الربوبية وتنقيص الإلهية وسوء الظن بالله تعالى، وهذه بعض صفات الشرك القبيحة والتي لا يخلو منها شرك بل إن جميع أهل الشرك في الأرض لا تجد قلوبهم تخلو من هذه الصفات تجد الظلم والإجحاف والتجني والإعتداء على حق الله عز وجل لأن الله هو خالق الكون وموجد البرية من العدم فلما يشرك مع الله عز وجل غيره في العبادة أو يدخل الوسائط بينه وبين الله عز وجل صار يدعو هذه الوسائط ويتوجه إليهم بأخص خصائص الإلهية ويقدم لهم بعض العبادات أو يخضع قلبه إليهم يشرك معه الله عز وجل في معاني الربوبية ويتعلق فؤاده بهؤلاء المعبودات أو الوسائط خوفاً ورجاء ومحبة وخضوعاً فهذا كله من أشنع صفات الشرك قال تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44)﴾ [الزمر : 43-44]).

آيات كثيرة في ذلك تبين أن الله عز وجل ينكر عليهم -على هؤلاء الذين أشركوا- ويدعوهم إلى تجريد التوحيد وتحقيقه، ولذلك المشرك قد هضم خصائص الربوبية التي هي من حق الله عز وجل التي لا تصلح إلا لله لا تصلح لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، وانظر إلى مداخل الشيطان في ذلك هو يريد أن يدعو الله عز وجل فيرى أنه ليس عنده أهلية للطلب من الله عز وجل مباشرة أو أن الله لن يقبل دعاءه إلا بواسطة، فيذهب إلى هؤلاء الأولياء أو الشفعاء ظناً - وهذا ظن سوء- بأنه لن يقبل منه مباشرة وأنه ليس أهل لأن يدعو الله عز وجل فيذهب لهؤلاء أو يظن أن هؤلاء لهم من القدر والمكانة عند الله في أنهم يجعلوا الله عز وجل يقبل أو هم يشاركون الله في ذلك فيقبل الله منهم أو هم أولياء لله فيقبل الله منهم أو هم يساعدون الله في ذلك ويقبل الله منهم فهذه لا شك من أعظم خصائص الشرك وسوء الظن بالله عز وجل بل هذا من أعظم التنقيص والهضم لعظمة الألوهية وقهر الربوبية أن يظن ذلك العبد بالله عز وجل.

فلذلك ابن القيم لما ذكر هذا الكلام في كتاب إغاثة اللهفان قال وجه دلالة القاعدة في كون الشرك سوء ظن بالله عز وجل أراد أن يبين أنه كيف يكون الشرك سوء ظن بالله عز وجل؟ قال (المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عون وهذا أعظم التنقيص لما كان لله عز وجل الذي هو غني عن ذلك بالكلية وهو الغني سبحانه وتعالى بذاته وما سواه فقير إليه سبحانه وتعالى أو يظن أن الله سبحانه وتعالى تتم قدرته بقدرة الشريك أو يظن أنه لا يعلم حتى يُعْلِمَهُ الواسطة أو يظن أن الله لا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم أو أنه لا يكفي عبده وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع للمخلوق عند المخلوق فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع وانتفاع به)، فكل هذا كما قال ابن القيم فيها تنقيص لسوء ظن بالله عز وجل لأنه ظن بالله ذلك أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم فيحتاج الوسطاء ليبلغوه بهذا الدعاء أو يظن أن المخلوق الذي هو له مكانة عند الله له حق على الله فيقصد بهذا المخلوق على الله حتى يأخذ ما يريد من دعاء أو مطلوب إليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك لمن يعز عليهم ولا يمكنهم

أن يخالفوهم لقدرهم عندهم وكل هذا تنقيص بالربوبية الأول كان سوء ظن والثاني هذا تنقيص بالربوبية وهضم للحق، بل لو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب هذا المشرك لكفى بذلك لأنه قسم هذه العبادات بينه وبين من أدخله مع الله عز وجل في دعائه فلذلك قال الشرك ملزوم لتنقص الله الرب سبحانه وتعالى.

طيب هذه القاعدة من أين استقراؤها؟ إن كان قلنا أن متن القاعدة هذه كلها من كتاب ذكرها ابن القيم بلفظها من كتاب إغاثة اللهفان، **لكن هذه القاعدة مستنبطة من أدلة كثيرة.**

أولاً لو لاحظتم القاعدة بتتكلم عن أن الشرك هضم للربوبية وتنقيصه للإلهية وسوء ظن بالله رب العالمين، وهذه تجد أن الله عز وجل أكثر في القرآن من ذكر معاني الربوبية الحق والقيومية الشاملة لله سبحانه وتعالى وملكه التام لجميع الكون، وهذا لما كان تجد يعرض في الآيات إبطال حجة المشركين الذين قد أشركوا في العبادة فيبين لهم مع ثبوت إقرار المشركين بمعاني الربوبية فيبين التقصير والتفريط عندهم والتنقيص من قبل المشركين في هذا الجانب الذي هو بعد أنهم أقروا بالربوبية إجمالاً ومع ذلك فإنهم أشركوا في الألوهية، ودلت النصوص أيضاً على أن المشركين بسبب إشراكهم وعباداتهم لغير الله عز وجل قد هضموا الربوبية وتنقصوا عظمة الألوهية فوصفوا الله عز وجل بلسان حالهم أو مقالهم بما لا يليق بربوبيته سبحانه وتعالى لأنهم جعلوا له وسائط ظناً أنه لا يعلم أو لا يقدر أو يريد أن يعاونه أحد فوصفوا الله عز وجل بعدم العلم أو بالجهل وهذا لا شك تنقيص من الربوبية أيضاً أو هضم الحق الربوبية قال تعالى عنهم:

{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

[يونس18] يعني الله ينكر عليكم أنكم وصفتم الله عز وجل بما لا يعلم لأنكم تقولوا أن هؤلاء شفعاء لنا عند الله فهل الله لا يعلم بما تريدون؟ ولا يستجيب ما تطلبون؟ ويريد هؤلاء شفعاء ليكونوا وسائط، فالله أنكر قال **(أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ)** فكأنهم لما فعلوا ذلك نسبوا إلى الله عز وجل الجهل وعدم العلم سبحانه وتعالى، لذلك من أعظم التنقص لعظمة الربوبية واتهام عز وجل بلسان حالهم بالجهل وعدم العلم وهذا الذي أثبته الله عز وجل في الآيات التي تكثر في ذلك في القرآن.

أيضاً مما يدل على أن الشرك يتضمن تنقيص وهضم حق الإلهية وجلالة الربوبية اشتماله على الظلم العظيم والمنكر الفاحش أنك تشبه الله عز وجل القادر العظيم والخالق العليم القاهر بالمخلوق الضعيف الحقير الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن أن يملك لغيره وما اتخذ شفعاء أو اتخذوا أرباب أرادوا أن يكونوا لهم عند الله عز وجل وسائط فكأنهم شبهوا الخالق بالمخلوق جعلوا ما يكون بين المخلوقين معلومة بعض في الدنيا كما بين المخلوق وبين الخالق فتوجهوا إلى هؤلاء المخلوقين بالعبادة وصرفوه لهم فهذه من أعظم التنقيص في حق الألوهية والهضم لها.

يقول الإمام ابن القيم: (والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له، وأشدها مقتا لديه ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس،

ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيداً، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك، فإنهم ظنوا به ظن السوء، حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده.)

انتهى كلامه رحمه الله هذه القطعة كلها من كلام ابن القيم تبين لك كيف أن الشرك هضم للربوبية وتنقيص للإلهية وسوء ظن برب العالمين.

ثم أيضاً من الأدلة على أن سوء الظن أو الظن السيء يتضمن الشرك الأكبر بالله العظيم إن هو أعظم إساءة كما قلنا في قوله تعالى: "وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" إلى آخر الآيات أنهم ظنوا بالله عز وجل ظن السوء لو كانوا أحسنوا بالله الظن لكانوا وحدوه في أسمائه وصفاته وأفعاله وما دعوا إلا إياه وما رجوا إلا منه، فالله عز وجل لما فعلوا ذلك قال "وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ " إذ قال " الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ" جعل سبحانه وتعالى استحقاقهم لهذا الوصف بالشرك بسبب سوء الظن، فاتخاذهم للشريك مع الله كان علامة على سوء ظن بالله عز وجل، وهذا أوضح ما يكون لما إبراهيم عليه السلام قال: "فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" في الصافات يعني أنتم الآن ما ظنكم أن يجازيكم رب العالمين وقد عبدتم معه غيره؟ كيف سيكون المجازاة؟ وقد عبدتم مع الله غير الله عز وجل؟

قال الشيخ السعدي في ذلك: (فما ظنكم برب العالمين؟) وما الذي ظننتم برب العالمين من النقص حتى جعلتم له أنداداً وشركاء؟ وهذا من أسوأ ما يكون في حق الله عز وجل، لأن الإمام ابن القيم يقول لك الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله لذلك قال لهم إبراهيم عليه السلام فما ظنكم برب العالمين؟ يعني بعد ما أنتم اتخذتم معه أنداداً ما ظنكم كيف سيجازيكم ويحاسبكم على ذلك حتى عبدتم مع الله عز وجل غيره؟ أو ظننتم أن الله يحتاج إلى وزير معه أو شريك أو ظهير أو غير ذلك هذا من أعظم الظن بالله عز وجل، أو ظننتم أن الله لا يسمع دعاءكم فذهبتم إلى الوسائط ليبلغوا الدعاء إلى الله عز وجل كما يتوسل الناس إلى الأكابر من الملوك، وهذا الكلام منقول على أكثر من أئمة أهل العلم **الإمام القرافي يقول :**

(أصل الكفر اهتضام جانب الربوبية) يعني تجد الكلمة موجودة عند بعض العلماء كما قلت في القراءة قال أصل الكفر اهتضام جانب الربوبية.

الهضم غير الظلم هو نقص والظلم الذهاب بالكلية، الفرق بين الهضم والظلم: فالهضم النقص نقص الحق وليس كل الحق، يعني يثبت بعض الحق وينقص الباقي، الهضم هو في تعريفه أن هو من النقص، فلماذا جعل الهضم في الربوبية؟ لأن المشركين إجمالاً أقروا بالربوبية لكن ما أقروا إقراراً كاملاً، فجعل الهضم عندهم لأنهم أنقصوا من توحيد الربوبية الصحيحة أقروا به ببعضه إجمالاً لذلك هم قالوا فيه فرق بين الهضم الظلم على أن الهضم نقص والظلم ممكن

يكون ذهاب بالكلية، فالهضم تنقيص الشيء فجعل الهضم في الربوبية كلمة الهضم لأنهم أقروا إجمالاً بالربوبية ولكن لم يقروا بها صحيحة، فجعلها من باب هذا الهضم لأنه نقص في الحق.

نحن طبعاً بنناقش المفرد الذي قاله ابن القيم لأن هي مفردات له، لكن هو يقصد أن التنقيص هنا أنهم كأنهم ما أكملوا أو ما وجهوا الألوهية بالتوجيه الصحيح لأنهم ما صرفوا العبادة لله عز وجل، أدخلوا مع الله شركاء في مسألة الخوف والرجاء والطلب فجعل هذا تنقيصاً أيضاً كأنها ممكن تقول أن هي اختلاف المفردات لأن الهضم أصلاً بمعنى النقص ، يعني ما يظهر فروقات كثيرة فيها، المهم هو أن الشرك هيؤدي إلى هضم في الربوبية وتنقيص سواء قلت هنا تنقيص هضم هي مسألة اجتهادية منه يعني كلام كتبها أصالة في ذلك.

طيب هنا نحتاج أن نبين كيف نستفيد من هذه القاعدة؟

الكلام هذا طبعاً قد يكون مر على كثير منكم من قبل أو المعنى ليس بغريب لكن نقول هنا يستفاد من هذه القاعدة:

أولاً:- لها منطوق ونقول المفهوم، قال منطوقها الشرك يتكلم أن الشرك هضم للربوبية وتنقيص للألوهية وسوء ظن برب العالمين، مفهوم القاعدة أن توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة دون ما سوى الله عز وجل مبني على حسن الظن بالله هذا أول شيء، كما أن التوحيد هو ضد الشرك والشرك إساءة ظن بربوبية الله عز وجل وبالألوهية والأسماء والصفات فيكون التوحيد مبني على حسن الظن، فهو يحسن الظن بربه معتقداً اتصافه سبحانه وتعالى بنعوت الربوبية واختصاصه بصفات الألوهية لا شريك له في ذاته ولا معين له في أفعاله ولا ظهير له ولا شفيع له وليس له ند في استحقاق العبادة ولا مثيل له في سائر الأسماء والصفات، هذه كلها يستفاد منها من مفهوم القاعدة في التوحيد وعليه فحسن الظن من أعظم القربات كما أن سوء الظن من أشد الكبائر أو القبح كذلك حسن الظن بالله عز وجل من أعظم العبادات وأجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل والتي تقوم في الأصل على العلم الشرعي الصحيح والفقه السليم لأسماء الله عز وجل وصفاته ومعرفة حق الله عز وجل، حق المعرفة في الربوبية والإلهية وفي سائر الصفات، لذلك دائماً هذا الباب باب عظيم جداً باب تعلم الأسماء والصفات والربوبية والألوهية هذا هو الباب الذي يوصلك إلى حسن الظن بالله عز وجل لأن سوء الظن ناتج عن الجهل بالله عز وجل الجهل بأسمائه بصفاته بما له من العظمة والكبرياء بالقوة والقدرة بكل منتهى الكمال لله في كل شيء من جهل ذلك وقع فيما وقع فيه من سوء الظن بالله عز وجل.

لذلك جاء في الحديث عند الإمام مسلم ومن حديث جابر رضي الله عنه وأرضاه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة: **(لا يموتَنَّ أحَدُكم إلَّا وهو يُحسِنُ باللهِ الظَّنَّ)**، فحسن الظن بالله فرض على كل أحد وسوء الظن بالله محظور ومنهي عنه محرم على كل أحد، وقلنا بل هو درجات منه ما هو كفر ومنه ما هو دون ذلك، وسوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة هذا محظور وهذا منهي عنه أيضاً.

طيب ما الذي يدل على أن حسن الظن عبادة؟

لأن نحن قلنا بأن سوء الظن بالله عز وجل كفر، من الكفر إلى ما دون ذلك مراتب، يبقى حسن الظن عبادة وقلنا من أعظم القربات حسن الظن، ما الدليل على أنها عبادة؟

قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إنَّ حُسنَ الظَّنِّ بِاللهِ ، من حُسنِ عِبادةِ اللهِ).

فحسن الظن بالله من أوجب الواجبات وأفرض الفروض التي يحبها الله عز وجل والعكس سوء الظن بالله من أقبح المنكرات وأعظم الكبائر كما بينا في قوله تعالى "وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ" ولا يخفى ارتباط حسن الظن بكثير من العبادات بل كثير من العبادات قائمة على حسن الظن بالله عز وجل، ولذلك كثير من أهل العلم يقولون (بقدر حسن ظنك بالله عز وجل ورجائك فيه يكون توكلك عليه) كل ما زدت من حسن الظن والرجاء إلى الله يزداد توكلك على الله عز وجل بل بعضهم فسر حسن التوكل بحسن الظن، لكن التحقيق يقول أن حسن الظن يؤدي إلى التوكل أو حسن الظن يدعو إلى التوكل على الله عز وجل، فلا يتصور التوكل مع سوء الظن لكن التوكل لابد له من حسن الظن هذه كانت الفائده الأولى.

الفائده الثانية : دلت القاعدة على أن صرف العبادة لغيره سبحانه وتعالى وتأليه المخلوق من أعظم الانتقاص والإهانة لله عز وجل لأنك رفعت المخلوق الى منزلة الخالق فسويت بين المخلوق والخالق، أو نقول أنزلت الخالق إلى منزلة المخلوق فهذا تنقيص لله عز وجل فهذا أبشع الظلم، لذلك الواجب عليك أن تعرف الفرق بين الخالق والمخلوق في كل ما يختص به الخالق ولا تنزله منزلة المخلوق ولا ترفع المخلوق إلى منزلة الخالق.

وكثير من وقع في الكفر أو في البدع المكفرة بأنهم رفعوا المخلوق إلى منزلة الخالق أو انتقصوا من حق الخالق وساووا بين المخلوق فسلبوا له خصائص الربوبيه و الألوهية أو جعلوا لبعض المخلوقين بعض خصائص الألوهية والربوبية وهذا كله تنقيص وهذه الفائدة الثالثة.

بعض العلماء يقولون سؤال المخلوق والطلب منه في ما يستطيعه ويقدر عليه انتبهوا فيه نوع من صرف حق الله وهضم للربوبية ومقتضاها من التأله والتعبد وإعطاء نصيب منها لغيره سبحانه وتعالى

لماذا قالوا ذلك؟ قالوا لملازمة المسألة في الغالب للذل والافتقار والمحبة لغير الله تعالى، والله يغار سبحانه وتعالى ما يحب أن يشرك معه أحد في محبته ولا شيء، لذلك بعض العلماء قالوا لابد أن ينتبه المرء وقال سؤال المخلوق للمخلوق حتى فيما يقدر عليه ويستطيعه منه قالوا فيه نوع صرف من حق الله عز وجل وهضم الربوبية. طب لماذا؟ قالوا لملازمة المسألة هذه ذل وافتقار ومحبة لغير الله لذلك جاءت بعض النصوص الشرعية بتحريم السؤال والمسألة إلا في حالة ضرورة فتقدر وترك مسألة الناس ولو فيما يستطيعونه. قالوا هذا من كمال تحقيق التوحيد قلت كمال تحقيق التوحيد وليس في أصل التوحيد، لذلك البعض أرادوا أن يدفع سؤال الناس أن يسأل المرء المرء حتى لا يتلازم مع هذا السؤال ذل وافتقار إليه ومحبة، فالقلب يتغير فيوقع في المحظور فكان الأصول الشرعية تقول أن الأصل أنك لا تسأل إلا لو احتجت للسؤال.

لذلك ابن القيم يقول (المسألة في الأصل حرام وإنما أبيحت للحاجة والضرورة لأنها ظلم في حق الربوبية وظلم في حق المسئول و ظلم في حق السائل، أما الأول فلأنه بذل سؤاله وفقره وذله واستعطافه لغير الله وذلك نوع عبودية فوضع المسألة في غير موضعها وأنزلها بغير أهلها وظلم توحيده وإخلاصه وفقره إلى الله وتوكله عليه ورضاه بقسمه واستغنى بسؤال الناس عن مسألة رب الناس وذلك كله يهضم من حق التوحيد ويطفئ نوره ويضعف قوته) انتهى كلامه رحمه الله

وهذه تبين لماذا بعض العلماء تجدهم يمنعوا مسألة سؤال المخلوق؟ كأنه من باب سد الذرائع لأنه ممكن يؤدي إلى ذلك، و الله عز وجل يحب أن يسأل هو فقط، لكن طبعاً لابد من أمور الدنيا فهناك أمور تحتاج أنك تسأل فيها لكن كأنهم جعلوا السؤال هنا أبيح للضرورة أنك تسأل

الناس للضرورة إذا احتجت إلى ذلك، وإلا فلا تسأل غير الله عز وجل الله فالله يسبب لك الأسباب تسأل الله فالله يسبب لك يفتح لك الأبواب لكن الأصل السؤال لله.

أيضاً في مضمون القاعدة بينت أن اتخاذ الشفعاء هضم وتنقص فى جانب الربوبية، يعني أي واحد أشرك بالله والعياذ بالله واقع في هذا شاء أم أبى، ولا ينفعهم حتى تعظيم الباري فيقول أنا أعظم الله فأدخل وسيط بيني وبين الله لأني لا أستحق كل هذا وقع في التنقيص سواء شاء ذلك أم أبى ولابد له من ذلك.

الخامسة في الفوائد سوء الظن القاعدة بينت أن الشرك سوء ظن بالله تعالى، وسوء الظن بتتفاوت المراتب منه ما هو شرك أكبر مخرج من الملة بالكلية ومنه من يؤثر في تمام التوحيد الواجب ومنه ما هو دائر بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، وهذا التفاوت حسب الأسباب والدوافع،والظن أصله في القلب وعلى حسب الظن يكون بحسب العلم والمعرفة كما قلنا، فالظن الحسن بالله ينبني على علم العبد بمعبوده الحق لما يعلم العبد عن الله عز وجل كما قلنا بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك ،فكلما ازداد علم العبد بالله فزاد حسن الظن بالله وكلما عرف بأسمائه الحسنى وصفاته العليا من الملك والخلق والرحمة والتدبير وغير ذلك، والعكس إذا ساء ظن العبد بربه سيؤدي إلى خلل في الربوبية لن يعتقد في الله الاعتقاد الحسن في الربوبية، فيظن بالله عزوجل عدم القدرة أو عدم العلم أو قدرة ناقصة أو العلم مش كامل أو عدم الغنى والكرم هو لا يعتقد أن الله قادر أن يفعل على كل شيء، ويظن أن في شيء ممكن يختلف على حسب الطبيعة أو العرف أو قد يظن أن غير الله له حق في العبادة والتعظيم كل هذا ناتج عن سوء الظن ثمار لسوء الظن وهذا ممكن يؤدي بالخروج بالكلية من الإسلام.

لذلك قلنا أن سوء الظن درجات منه ما ينافي أصل التوحيد ومنهم ما ينافي كمال التوحيد، لذلك إذا زاد سوء الظن والعياذ بالله وكثر واستمر، وفإنه يبدأ صغيراً ثم ممكن أن يعلو حتى يصل من الشرك الأصغر للشرك الأكبر، ثم يكون من كمال التوحيد يصل لأصل التوحيد والعياذ بالله يعني ممكن يكون شيء عارض أو خفيف أو خاطر في النفس ولا يتكلم ثم يزداد ويعلو حتى يزداد سوء الظن هذا يصل به والعياذ بالله بعد ذلك إلى الخروج.

من ظن أنه ولداً أو له شريكاً أو له أحد يشفع عنده بدون إذنه أو أن هناك وسائط يرفعون الحاجة إليه أو يتوسلون إليه، كل هذا من سوء الظن الذي بيناه بل انظر إلى الأشياء قد تراها قليلة موجودة عند كثير من الناس هي ليست بكفر لكنها ممكن تصل بعد ذلك إلى الكفر، فغالب البني ادم يعتقد أنه مثلاً مبخس الحق أو ناقص الحظ يقول لك أنا حظي قليل في الدنيا أو أنا دائماً كده لست مثل الناس التانية مثلاً فهذا اعتقاد يعني أظن أني مبخوس الحق أو ناقص الحظ أو أنه يستحق أكثر مما أعطي، الله عز وجل أعطاه وهو يشعر بداخله أنه يستحق أكثر، يستحق أن يكون غني أو عنده مال أو عنده ذرية أو عنده علم زيادة أو عنده قبول زيادة أي شيء من الذي يستحقه أي يستحق فوق ما أعطاه الله عز وجل، هذا اعتقاد لسان حاله كأنه يقول ظلمني ربي والعياذ بالله أو منعني ما أستحقه، فهذا لسان حال، نفسه بتشهد بذلك بالذي بداخل قلبه هذا شعور عنده موجود داخله، ممكن يكون لسانه بينكره ما يستطيع أن يتكلم به لكن موجود في قلبه ولا يقدر على التصريح بذلك، ولو كل واحد فتش في مكنون نفسه سيجد أن ممكن يكون عنده بعض هذا الشعور وبعض هذه الأمور أصالة . قد تظهر ممكن طبعاً في عدم الرضا تظهر في شعور داخلي ممكن تأتيك في لحظات في أشياء وتختلف بحسب حال المرء ، يرى واحد مثلاً ربنا أغناه في وقت فهو ينظر إليه ويقول هذا أخذ وأنا لا، راتبنا لم يزد وراتبه زاد، استثماره زاد وأنا استثماري ما زاد، بل قد يأتي في أمور أخرى هذا حفظ وهذا لم يحفظ، ربنا

مَنَّ على هذا بالحفظ وهذا لم يمَنَّ عليه، مَنَّ عليه بإتقان في شيء وهذا لم يمَنَّ عليه بشيء، هذا برع في شيء وهذا لم يبرع في شيء، فتجد في قلبه كأنه يرى بأنه مستحق هذا أنا قاعد ليل نهار أعمل كذا واتفرغت لكذا أو بأخطط لكذا وعملت دراسات كذا ولكن هذا أخد أكثر مني، يقول أنا كنت بشرح له في الجامعة هو ما بيعرف شئ ومع ذلك انظر إلى أين وصل الآن؟ واستطاع أن يصل لكذا والواحد لم يصل لمثله.

فكل هذا لو أنت فتشت في قلبك في نفسك قد تجد في بعض هذا الأمر لكن اللبيب طبعاً الناصح لنفسه حقاً لابد أن يعتني بهذه المسألة وأول ما يأتيه ذلك يتب إلى الله عز وجل ويستغفر ويزيد من الاستغفار يعالج قلبه،

ابن القيم يقول (أن لابد من القلب تجد فيه بعض الأمور التي فيها نوع من الحسد لكن المؤمن التقي يميتها وهي في قلبه ما يجعلها تنمو وتكبر عنده لكن لابد أن يأتي في القلب أشياء مثل هذا) أشياء معينة فهنا ممكن يأتيك سوء الظن هذا نعم بأمور قليلة كما قلنا الآن يعني لا تظن أنك لازم يأتيك سوء الظن أنك تعبد غير الله ، اعلم أن لا يأتيك الشيطان مرة واحدة ولكن يتدرج معك فهو يبدأ تدريجياً وممكن يوصلك بهذا حتى تقنط من رحمة الله من فضل الله من كرم الله ثم ترتقي بعد ذلك ثم يصل والعياذ بالله إلى الظن الذي هو فيه الشرك الأكبر فيظن مثلاً أنه لو رفع يديه الله لن يستجيب دعاؤه فيذهب للقبر الفلاني أو الولي كأنه هو صالح أو الشيخ الفلاني يظن أنه لو دعا له سيأتيه بذلك، بل يظن أنه لا يستطيع لأنه ليس مقبولاً عند الله لكن هذا الشيخ هو المقبول عند الله، ما هذه إلا أمور تدرج تبدأ بسوء ظن يسير في القلب ثم تتعاظم بعد ذلك.

لذلك على المرء أن يتعهد هذه المسألة وأنه يعني كما يقال يميتها في وقتها باستغفاره بالرجوع إلى الله عز وجل بحسن الظن بالله عز وجل لأنه كان ممكن يصل إلى درجة الشرك والكفر والعياذ بالله بل يخرج من دائرة الإسلام تبدأ معصية ثم تكبر بعد ذلك قوة سوء الظن وتكثر لكن لو دفعها القلب وصدها وهذه تكون بقوة الإيمان، صبره على ذلك يكون بقوة الإيمان والاسترجاع وبكثرة التعرض لأسماء الله وصفاته واستحضار قدرة الله ومعيته وغير ذلك.

يدفع بهذا الإيمان سوء الظن الذي قد يكون في القلب بل وأيضاً ونحن في هذه الأوقات قد يصل وهذا موجود في حال بعض الناس أنه من بعض أنواع سوء الظن أن يخالف المرء ما أمر الله عز وجل به شرعاً فيما يتصل بنصرة الدين أنت مطالب بنصرة الدين نعم فلو خالفت ما أمر الله عز وجل به شرعاً فيما يتعلق بنصرة الدين فقد تقع في سوء الظن بالله عز وجل وهذا ينافي كمال التوحيد الواجب لذلك لابد على المؤمن أن يتحرز كثيراً ويحترس من سوء الظن بالله عز وجل.

بعض الناس قد يظن أنه يستحق أكثر مما أعطي وبعضهم قد يعطى فيظن أنه لا يستحق ذلك الشيء يعني قد يصاب ببلية أو يصاب بمصيبة فيظن أنه ليس مستحق ليس هو الذي يصاب بذلك بل يصاب به غيره، فكأنه يعترض على فعل الله عز وجل معه وعلى قضائه وهنا فيه نوع إتهام، أما لو جاءه العطية والكرم والفضل والنعمة وظن أنه لا يستحق ذلك وأنه ليس أهلاً لهذا لكن هذا من فضل الله عليه وكرمه فهذا ليس اعتراضاً، يعني إذا ساق الله عز وجل له خيراً عظيماً وفضلاً كبيراً فاعتقد أنه لا يستحق من أجل نقص في العمل وتقصير وأنه لم يقدم لله حق الطاعة وغير ذلك وأن هذا كله محض فضل وكرم من الله هذا لا شيء فيه حتى ما يظن أحد أن هذا فيه شيء، هذا لا شيء فيه لأنك كأنك تثبت هذا الخير والفضل كله لله وأن الله

متنعم عليك بذلك وأنك لم تؤدي ما يستدعي أن تكون أهلاً لذلك هذا ليس رداً وسوء ظن لا بل هو محض فضل لله وكرم من الله عز وجل، هذا لا شيء في ذلك بل هو الواجب على المسلم أن يفعل ذلك لا يظن أحد بأنه لما يأتيه نعائم من الله وكرم وفضل من الله بأنه نتيجة ما قدم، أنه نتيجة مثلاً وقوفه يصلي طوال الليل صام رمضان وتراويح وفعل العمرة أو حج أو غير ذلك أو أنه قدم أشياء أو فعل بعض صنائع المعروف بورك له بشيء فيظن مكافأة، لا بل لا بد أن ينسب الأمر كله لله عز وجل وأن يعتقد أنه لا يستحق ذلك، من أجل نقص في عمله أو تقصير في الطاعة.

فهذا على المسلم أن يكون ذلك وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (فَمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ.) فهذا نعم نقول مع هذا الإعتقاد يحمد الله على الخير الذي أتاه بذلك.

القاعدة أخيراً تضمنت أن في فروق في بين الشرك وأنواعه وسائر المعاصي فالشرك أنواع في الربوبية و الألوهية وغير ذلك وأنه درجات وأن هناك معاصي دون الشرك لا تستلزم ما يستلزمه الشرك وهناك معاصي كالشرك تستلزم النقص الربوبية و الألوهية وسوء الظن بالله عز وجل وهناك معاصي دون ذلك تبين الدرجات في المعاصي وفي الكبائر أيضاً هذا آخر الكلام في القاعدة اليوم نكتفي بذلك ونكون غالبا انتهينا من القواعد الخاصة بالشرك إن شاء الله بعد ذلك سندخل في أبواب الإيمان أو القضاء والقدر على حسب إن شاء الله

سؤال من طالب

لو أتى الشيطان ببعض الأفكار مثل عدم الرضا أو نحو ذلك في قلبه أو في عقله أو نحو ذلك أليس الأولى أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لصرف هذا أو يستغفر؟ ولا الاستغفار سيكون على قضية أنه لو تمادى في الأمر أو أساء بأن هو ربنا سبحانه وتعالى لم يكون معه

الإجابة

هو لو جاءه وهجم عليه الخواطر هذه من مداخل الشيطان عليه أيضاً أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل كله أصل هو ليست هناك ترتيبات نقولها يعني لا نقول لو جاء ذلك نقول استعذ ولا تستغفر بل نقول لا استعيذ بالله لتدفع الشيطان وأيضاً الاستغفار والتوبة دائماً تسترجعها حتى لو كان فيها نوع من الاسترسال يبقى أنت دفعت ذلك أفضل لك أنت لما تيجي تتكلم وتنصح ما تستطيع تقول له بدايتك ونهايتك استعذ واستغفر وتب لأن أنت ما تدري هو لما جاله الخاطر جلس قد إيه في الخاطر جلس نص ساعة ساعة يوم ما تدري فأنت بتقول له أنك تدفع الشيطان حتى ما يأتيك وأيضاً أنت كأنك تتوب وتستغفر مما أتاك خاصة لو كنت ركنت لذلك أما لو جاء هم ودفعت وخلاص لا إشكال

سؤال من طالب

هل من أنواع عدم الرضا التي تصل بالإنسان إلى سوء الظن بالله مد العين لأرزاق الآخرين؟

الإجابة

نعم ممكن طبعاً، الإنسان عليه أن لا ينظر و القاعدة عند العلماء (انظر لمن هو دونك في الدنيا وانظر إلى من هو أعلى في الآخرة أو في الدين) يعني انظر لمن هو دونك في الدنيا الذلي هو عنده أقل منك وانظر لمن هو أعلى منك في الدين هذا هو الأصل

سؤال

أخت تقيم في تركيا والمساجد التي فيها أضرحة كثيرة هل زوجها يصلي فيها أفضل جماعة أم يصلي منفرداً؟

الاجابة

لو يعلم مسجد ليس فيه ضريح يبقى يصلي في المسجد الذي ليس فيه ضريح أما لو المساجد هذه كلها أضرحة يصلي بأهل بيته جماعة ما أعلم أن المذاهب الاربعة تقول بعدم جواز الصلاة في المساجد التي فيها أضرحة وطبعاً إحنا كلامنا كله بالكتاب والسنة لكن أنا برجع للمذاهب لأن المذاهب الأربعة لا يجيزون الصلاة في المسجد التي فيها أضرحة اختلفوا فقط هل الصلاة صحيحة أم باطلة؟ فالجمهور على أن الصلاة صحيحة بخلاف الحنابلة والحنابلة يرون الصلاة باطلة لكن الأربعة لن يجيزوا أن يصلي في المسجد الذي فيه قبر أو ضريح هذه خلاصة المسألة الآن ونحن تكلمنا فيها في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم فالصلاة فيها ابن تيمية فصل تفصيلاً بديعاً وتكلمنا فيها بالكلية والشيخ وليد بارك الله فيه يرى أن يصلي مع أهل بيته جماعة حتى يستطيع أن يجد مسجد ليس فيه قبر

سؤال

إحنا لا نعطي الثقة في الناس بشكل كامل مثلاً أو نحظر شوية في التعامل هل هذا يعتبر من سوء ظن؟

الاجابه

لا ليس هذا فيه شيء المؤمن كيس فطن فنقول نعم أن المرء يحتاط وفي فرق بين الثقه وسوء الظن يعني لا حرج في ذلك

تعقيب من الشيخ علي السؤال

قلتي لا نعطي الثقة في الناس، الثقة ليس معناها سوء الظن، الثقة دي أنا عشان أعطى أحد ثقة أجربه في العمل إثنين ثلاثة فأثق أنه يؤديه بطريقة صحيحة كاملة من ضبط متقن فعدم الثقة ليس معناه أي أساءت الظن به أنا ليس عندي ترجيح ولا تعديل يعني لا أعدله ولا أرجحه مثلاً يعني لا أنقص منه ولا أزكيه لأني لم اتعامل معه فلا أستطيع أن أوثق اللي يقول لك هل توثقه؟ أقول لا أوثقه وهذا ليس معناه أني أنتقص منه أو ثقه يعني أنا تعاملت معه وأرى أنه عدل أرى أنه أمين فهو مؤتمن العلماء حتى يقول لك ليس فيه ترجيح ولا تعديل يعني ما تكلم فيه أحد يعني هو كما يقال كده مستور الأصل الستر للناس هذا ليس معناه إن أنا أساءت الظن به لكن لما أجرحه وأقول بقى لا هذا لا يتعامل معه لا يعطى مثلاً أموال للتجارة غير مؤتمن يبقى أنا الآن عندي بقى شيء تجريح هذا يسمى تجريح بناء على دلائل وقرائن ففي فارق بين سوء الظن إن أنا خلاص أنا اسأت الظن بي بناء على أنه أخد أموال الناس مثلاً وأكلها أو أنه غير أمين أو أنه هو مش متقن في عمله بيضيع الأموال فأصبح عندي دلالات وأمارات فأقول لا ما عندي حسن ظن في هذا أو أنا ما أعلم عنه شيء فاقول لا أوثق ولا اجرح

انتهينا من القواعد

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

انتهينا بفضل الله الأسبوع الماضي من القواعد الخاصة بالشرك ونشرع إن شاء الله هذا الأسبوع في القواعد الخاصة بالإيمان، لا يخفى عليكم أن باب الإيمان من أعظم الأبواب وأهمها في العقيدة والتوحيد، وهذا الباب قد عني به كثير من العلماء في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، من حيث تعريف الإيمان، من حيث حقيقة الإيمان، بعض مسائل الإيمان، من حيث الزيادة والنقصان، ونواقض الإيمان وغير ذلك ولابد فيه من التأسيس أيضاً وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وهذا الركن العظيم وهو الإيمان سنشرع اليوم إن شاء الله في قاعدة تبين حقيقة تعريف الإيمان وحقيقته عند أهل السنة والجماعة .

قد يكون هذا الكلام مراجعة للمنتهي من قبل والدارس وتأسيساً للمبتدئ أن يعلم ما هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ما هي حقيقة الإيمان والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والرد على من خالف هذا التعريف.

ونبدأ اليوم إن شاء الله أولاً تعريف القاعدة وهو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة القاعدة **(الإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح والأركان)**

تعريف الإيمان أولاً في اللغة وهذا مما اختلف فيه العلماء أيضاً، كان المشهور لما تسأل أحد عن تعريف الإيمان يقول لك تعريف الإيمان باللغة هو مطلق التصديق، أوهو التصديق إما مطلق التصديق أو يكون التصديق نفسه، ويستدل من قوله تعالى " وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" يعني وما أنت بمصدق لنا.

وقيل أن الإيمان معناه التصديق وضده الكذب أو التكذيب، وعند بعض علماء اللغة أيضاً قالوا الإيمان هو التصديق للأمور الغائبة، كأنهم قيدوا التصديق بالتصديق للأمور الغائبة، يعني أن يصدق أو يصدق بما غاب قولاً كان أو عملاً كما قال الله قال تعالى عن إخوة يوسف لما رجعوا لأهليهم قالوا "وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" لأنهم كانوا يخبرون عن شيء حدث في الغيب معهم ليس أمام أبيهم

وقيل أيضاً عند علماء اللغة بعضهم عرف الإيمان بأنه أمن من الخوف وقالوا إن الإيمان مأخوذ من الأمان فسمي المؤمن وسمي المؤمن مؤمناً بأنه يؤمن نفسه من عذاب النار، والله عز وجل هو المؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه، ومال شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا التعريف ورد التعريف المشهور عند كثير من العلماء أن الإيمان في اللغة بمعنى التصديق، وقال إن الإيمان من الأمن مشتقة من الأمن والأمن هو القرار والطمأنينة وهذا يحصل عندما يستقر في القلب التصديق والانقياد، هو ما نفى التصديق، لكن قال الأمان يحصل بالتصديق الذي في القلب والانقياد الكل معاً.

لذلك يمكن أن يقال أن هذه كلها تعريفات للإيمان في اللغة هي ليست تعريفات مترادفة بل هي تعريفات كلها تصح على حسب السياق الذي جاء في اللغة على حسب سياق الكلام يكون الإيمان التصديق بالغيب فقط أو الإيمان يكون بمعنى الأمن وهذا في الاستعمال اللغوي الكل يصح وعلى حسب سياق لغة وسياق الكلام يستعمل هذا التعريف الأول أو الثاني أو الثالث، وهذا طبعاً سيخالف كما سيأتي معنى التعريف الشرعي للإيمان وهناك البعض طبعاً من المخالفين يتعلقون بالتعريف هذا اللغوي على أنه تعريف شرعي الإيمان، ويحصرون الإيمان كما سيأتي معنا في التصديق فقط .

لكن الإمام ابن الجوزي رحمة الله عليه ذكر أو نقل عن بعض المفسرين أن الإيمان جاء في القرآن على خمسة أوجه يعني تتبع واستقرأ الآيات التي جاء الإيمان فيها ومعانيها، وقال قد جاءت على خمسة أوجه؛

أحدها وأولها التصديق ومنها قول الله عز وجل في سورة يوسف "وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" وفي سورة الحشر قال تعالى "الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ "فقالوا أي مصدِق ما وعدهم أو" مصدَق ما وعدهم وهنا جاء بمعنى التسليم.

الوجه الثاني أن الإيمان جاء الإقرار باللسان من غير تصديق القلب وهذا ستجده في آيات تخص المنافقين أو في آيات الله عز وجل يحث فيها أهل الإيمان أن يصدُقوا في إيمانهم **"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"** قالوا في

التفسير معناه آمنوا بألسنتهم وكذلك "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ" يعني يا أيها الذين آمنوا أقروا واعملوا واعتقدوا، إذاً هم آمنوا الأول باللسان فقط وأوضح بسورة المنافقين" ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا "هنا آمنوا باللسان ومعروف أن المنافق يؤمن ظاهراً ولا يؤمن بقلبه، (آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) آمنوا ظاهراً ثم كفروا ظاهراً بأفعالهم أيضاً. فقالوا الإيمان جاء بمعنى الإقرار باللسان من غير تصديق القلب.

وقد يأتي الإيمان وجه ثالث بمعنى التوحيد قال تعالى في سورة المائدة" وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ" هنا يكفر الإيمان يكفر بالتوحيد بالدين قال تعالى في سورة النحل " إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ"وقال تعالى " إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ " أي تدعون إلى التوحيد.

والمعنى الرابع وهو الإيمان الشرعي الذي سنتكلم عنه **وهو ما جمع الأركان الثلاثة القول والعمل والاعتقاد،** قال تعالى في أكثر من سورة"وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" وفي الكهف " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" كثير جداً في القرآن تجد الإيمان مقرون بالعمل ومقرون بالاعتقاد فيكون المقصود به الإيمان الشرعي الذي هو القول والعمل والاعتقاد قول وعمل كما من سيأتي.

وقد يأتي الإيمان بمعنى الصلاة وهو الوجه الخامس قال تعالى" وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ" أي صلاتكم إلي بيت المقدس، كل هذه الأوجه الخمسة جاءت في القرآن، وشيخ الإسلام ابن تيمية تكلم كثيراً في مسألة أن الإيمان يقصد به الإقرار ومشتق من الأمن وليس التصديق وأراد أن يبين الفروقات بين الإيمان ومعنى التصديق والإيمان بغيره، وهذه لو تعرضنا في الشروحات إن شاء الله نفصل فيها أكثر، وحتى من أراد أن يرد على من قال أن الإيمان هو التصديق وعلماء اللغة يقولون بذلك وبعضهم قال الإجماع مرادف للتصديق، قال من قام بذلك فينزعه أن وجد عند علماء اللغة من قال بأن الإيمان بمعنى الإقرار وليس إجماعاً، ولو تنزلنا وقلنا الإيمان بمعنى التصديق باللغة فيكون تصديقاً مخصوصاً يعني يكون تصديقاً بالقلب واللسان والجوارح ليس مجرد تصديقاً بالقلب فقط وكل هذا منافحة ألا يثبت أن الإيمان بمعنى التصديق فقط في القلب، ويستدل بذلك **على قوله صلى الله عليه وسلم " والفَرْجُ يُصدِّقُ ذلك أو يُكذِّبُه."** فإذاً بين ذلك أن المسألة التصديق ليس قلبي فقط بل بالجوارح، أو يقال بأن التصديق التام المستلزم بما وجب من أعمال القلوب والجوارح يعني ليس تصديقاً قلبياً فقط بل تصديق تام قائم مستلزم بما وجب من أعمال القلب والجوارح وهذه من لوازم الايمان التام، أو يقال بأن اللفظ باقي على معناه في اللغة لكن الشارع زاد فيه أحكام يعني لو تنزلنا وقلنا هو التصديق لكن لا نسلم بأن معنى الإيمان في الشرع التصديق، هو كل المسألة هذه بتدور حول

عدم الإقرار بأن الإيمان تصديقاً في الشرع، لما أثبتوا بمعنى التصديق في اللغة فأخذوا هذا التعريف وجعلوه في الشرع، وجعلوا حصر الإيمان فقط للتصديق وهذا باطل مبين مخالف لقول إجماع أهل السنة والجماعة.

طيب ما معنى الايمان في اصطلاح الشرع؟ وهذا الذي سننقله إجماع عند علماء السلف، الإيمان شرعاً كما جاء في القاعدة قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح والأركان، فالإيمان عند أهل السنة الجماعة اشتمل على خمسة أمور قول القلب وعمل القلب، قول اللسان وعمل اللسان عمل الجوارح والأركان، قالوا لابد من اجتماع الأمور الخمسة لحصول الإيمان ولصحة الإيمان انتبهوا من صحة الإيمان.

سنأخذ كل ركن من الخمسة نبينه بالأدلة من الكتاب ومن السنة، المقصود بقول القلب قال التصديق والإقرار والإيمان والمعرفة، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمه،عمل القلب النية والإخلاص والمحبة والإقبال على الله عز وجل والتوكل وكل العبادات القلبية هذه من أعمال القلوب، عمل اللسان قد بينا أن قول اللسان النطق بالشهادتين عمل اللسان كل ما لا يؤدى إلا به (تلاوة القرآن تحتاج إلى اللسان/ ذكر التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والإستغفار).

ثم الجوارح والأركان عمل ما لا يؤدى إلا بها القيام و الركوع والسجود والمشي في مرضات الله و نقل الخطى إلى المساجد الحج الجهاد في سبيل الله أمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث شعب الإيمان المعلوم (الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة وبضعٌ وستون شعبه) إلى آخره.. وهذا الكلام الذي قلناه سننقله عن نفسه بتعريفه عن كثير من علماء السلف قال الإمام الأجري في كتابه العظيم الماتع كتاب الشريعة باب القول بأن (الإيمان تصديق القلب/إقرار اللسان/وعمل بالجوارح) لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه الخصال الثلاثة ثم قال الإمام الأجري في هذا الكتاب (ثم اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ثم اعلموا أنه لا تجزئ معرفته بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح.. فإذا كملت فيه هذه الثلاثة خصال كان مؤمناً دل عليه القرآن والسنة وقول علماء المسلمين).. وهذا الذي ذكرناه عن الإمام الأجري مجمع عليه عند علماء أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صل الله عليه وسلم إلى يومنا هذا..

الإمام اللالكائي أيضاً في كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة ومن أمتع الكتب أيضاً في العقيدة

نقل عن الإمام الشافعي في كتابه الأم قال في باب النية في الصلاة (نحتج بأنه لا تجزئ صلاة إلا بنية لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما الأعمال بالنيات ثم قال وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ممن أدركناهم أن الايمان ((قول و عمل و نية)) ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر) هذا الذي ينقله الإمام الشافعي في كتابه الأم نقلاً عن الصحابة والتابعين إجماعاً..

والإمام الأوزاعي إمام أهل الشام رحمه الله ((لا يستقيم الايمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقي التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين))

وقال الإمام البخاري ((كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عن من قال الإيمان قولاً وعمل ولم أكتب عن من قال الايمان قول فقط))

ابن كثير رحمة الله عليه يقول ((فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغيره إجماعاً أن الإيمان قولاً وعملاً يزيد وينقص))

وقال ابن بطال رحمه الله (مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قولٌ وعمل) .

وسأختم بكلام الحافظ ابن رجب رحمه الله في هذه النقطة في فتح الباري بعد ذكر قول البخاري الإيمان قولٌ وعمل قال (وأكثر العلماء قالوا قولٌ وعمل وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث وقد حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضاً وقال الأوزاعي كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل وحكاه غير واحد من سلف العلماء عن أهل السنة والجماعة) .

و ممن حكى ذلك عن أهل السنة والجماعة الفضيل بن عياض و وكيع الجراح و مما روي عنه أن الإيمان قول وعمل الحسن البصري وسعيد بن جُبير وعمر بن عبد العزيز وعطاء وطاووس ومجاهد والشعبي والناخعي والزهري وهو قول الثوري و الأوزاعي وابن المبارك والشافعي وأحمد و إسحاق وأبي عبيد وأبي ثور وغيرهم ..

ويكفي في ذلك النقل لأن لو نقلنا سننقل كل كتب العقيدة بتقول بذلك، لكن لابد أن نبين الأدلة من الكتاب والسنة على هذا التعريف لابد لطالب العلم أن يحفظ هذا التعريف عن ظهر قلب ويحفظ الأدلة التي تبرهن وتثبت هذا التعريف وإن قلنا حتى أن الإجماع يعني لا يحتاج لكن لابد أن يعلم ذلك.

فنبدأ بالإيمان قول القلب أدلة الكتاب أن الإيمان قول القلب:

قال تعالي

{ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ }

[سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٧٥]

وقال تعالى

{ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ }

[سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٣]

{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ }

[سُورَةُ الحُجُرَاتِ: ١٥]

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}

[سورة الرعد 28]

قال تعالى { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }

[سُورَةُ المَائِدَةِ: ٤١]

كل هذه أدلة على أن الإيمان قول القلب.

أما من السنة عن حديث أبي هريرة رضي الله عنهم قال: (قِيلَ يا رَسولَ اللَّهِ مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لا يَسْألُنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: (أشهدُ عند اللهِ لا يموتُ عبدٌ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ صدقًا من قلبِه ثم يسددُ إلا سلك في الجنَّةِ)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم بحديث أبي هريرة: (فمن لقيتَ من وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا اللهُ مُسْتَيْقنًا بها قلبُه فبشِّرْه بالجنةِ)

أما الأدلة من الكتاب على أن من الإيمان قول اللسان قوله تعالي { قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

[سُورَةُ الحُجُرَاتِ: ١٤]

بتفريق بينهم لابد من قول اللسان وقوله تعالى

{ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ }

[سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٨٤] قل الشاهد والدلالة هنا قل

وقال تعالى

{ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ }

[سُورَةُ القَصَصِ: ٥٣] الآيات

قال تعالى

{ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }

[سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١٥] الآيات

وقال تعالى

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }

[سُورَةُ فُصِّلَتْ: ٣٠]

أما الأدلة من السنة على أن من الإيمان قول اللسان:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلَّا بحَقِّ الإسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ علَى اللَّهِ) قالوها قول اللسان

قوله صلى الله عليه وسلم: (مَن قالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، وأنَّ عِيسَى عبدُ اللهِ، وابنُ أمَتِهِ، وكَلِمَتُهُ ألْقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وأنَّ النَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِن عَمَلٍ) والشهادة لابد أن تكون بالقول وهذا من السنة على قول اللسان.

من الكتاب على أن من الإيمان عمل القلب وهذه يدخل فيها كل الآيات التي يظهر لكم فيها العبادات القلبية

قال تعالى

{ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ}

[سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٥٢]

وقال تعالى

{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }

[سُورَةُ الأَنفَالِ: ٢]

وجل القلب والتوكل هذا كله الايمان عمل القلب، ذكر إنما المؤمنون من هم المؤمنون؟ الذين إذا ذكر الله وجلت القلوب هذا عمل القلب إذا تليت الآيات زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون عمل قلبي

{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }

[سورة المؤمنون 60]

يعملون أعمال بوجل إلى الله عز وجل تضرع ومسكنه

{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }

[سورة البينة 5]

والإخلاص محله بالقلب

وقال تعالى على الاعراب: {.... وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ....}

[سورة الحجرات 14]

إذا بين بأن عمل القلب من الإيمان

{.....وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}

[سورة الحجرات 7]

حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم عبادات قلبية تبقى من عمل القلب

{..... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ.....}

[سورة البقرة 165]

من الذين آمنوا؟ أشد حباً والحب عمل قلبي والآيات كثيرة في ذلك.

وأما الأدلة من السنة على أن من الايمان عمل القلب:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ) وجه الدلالة وجه الشاهد إيماناً واحتساباً وهذا عمل قلبي

وأيضاً قوله: (أوثقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ) والحب والبغض عمل بالقلب

وقوله صلى الله عليه وسلم: (آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصارِ) والحب والبغض أيضاً في القلب كل هذه دلالة على أن من الايمان عمل القلب

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه) أحاديث كثيرة جداً والأدلة على ذلك كثيرة.

طب ما الأدلة من الكتاب على أن من الإيمان عمل اللسان؟

انتهينا من القلب وعمله وانتهينا من قول اللسان الآن عمل اللسان الرابع "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ "

يتلون كتاب الله والتلاوة بماذا؟ باللسان

"وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ...." الآيات

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا "

....."فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ".....

....."وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ "....

....."وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ "....

من السنة على أن الإيمان منه عمل اللسان قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، قالَ: فَيَسْألُهُمْ رَبُّهُمْ -وهو أعْلَمُ منهمْ- ما يَقولُ عِبادِي؟ قالوا: يَقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللهِ ما رَأَوْكَ، قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا، قالَ: يقولُ: فَما

يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأشَدَّ لها طَلَبًا، وأعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا، وأشَدَّ لها مَخافَةً، قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ، قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بهِمْ جَليسُهُمْ.)

وفيه أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: (خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ) كل هذه أحاديث كثيرة دلالة على ذلك.

تبقى لنا الخامس وهو أن من الإيمان عمل الجوارح وهذه أدلة كثيرة أيضاً من الكتاب ومن السنة

قوله تعالى "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ"

"حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ"

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"

"الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"

إلى غير ذلك من الآيات.

ثم من السنة على أن عمل الجوارح من تعريف الإيمان حديث عبد القيس: (قَدِم وفْدُ عبدِ القَيسِ علَى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ: مرحبًا بالوفدِ، ليسَ بالخزَايا ولا النَّادِمينَ ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ بينَنا وبينَكَ المشركينَ، وإنَّا لا نَصلُ إليكَ إلَّا في أشهرِ الحرمِ، فحدِّثنا بأمرٍ إن عمِلنا بِهِ دخلنا الجنَّةَ، وندعو بِهِ مَن وراءَنا ، قالَ : آمرُكُم بثلاثٍ، وأنهاكُم عن أربعٍ، آمرُكُم: بالإيمانِ باللَّهِ، وَهَل تدرونَ ما الإيمانُ باللَّهِ؟، قالوا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: شَهادةُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وأن تُعطوا منَ المغانمِ الخُمُسَ....) وهذا الشاهد من الحديث أنه ذكر لهم الإيمان وعد منه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة إلى آخر الحديث وهذه دلالة على أن من الإيمان عمل الأركان والجوارح.

وأيضاً حديث: (سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: إمامٌ عادلٌ وشابٌّ نشَأَ في عبادةِ اللهِ تعالى ورجلٌ ذكَر اللهَ خاليًا ففاضت عيناه ورجلٌ - كان - قلبُه معلَّقٌ في المسجدِ ورجُلانِ تحابَّا في اللهِ: اجتمَعا عليه وتفرَّقا ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ إلى نفسِها فقال: إنِّي أخافُ اللهَ ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه)

وفيه طبعاً أعمال جوارح صدقة والمساجد قلب متعلق بالمساجد إلى غير ذلك، كل هذه أدلة على تعريف الإيمان الذي قلناه سواء من الكتاب أو من السنة.

ما يعنينا بقى خلاصة القاعدة التي سندخل فيها هنا في مسألة من قال بأن الإيمان مجرد تصديق القلب، بينا كل ما سبق بنؤصل على تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة وبينا أنه إجماع كما نقلنا من كلام السلف وما الأدلة على ذلك التعريف، ومع ذلك هناك من خالف ذلك وقال بأن الإيمان مجرد تصديق القلب فقط وهذا من أفسد الأقوال التي قيلت في مسائل العقيدة، يعني العلماء يعدون قول أن الإيمان التصديق القلبي فقط من أفحش الأقوال وأفسدها التي قيلت في الإيمان أو حتى قيلت في مسائل العقيدة التي يعني نقل فيها الخلاف ليس عند أهل السنة عند المبتدعة الذين خالفوا أهل السنة يعدون هذا القول من أفحش الأقوال وأفسدها، هو طبعاً أول من قال **هذا الكلام هو الجهم بن صفوان الذي قال أن** (الإيمان تصديق القلب فقط، بأن الإيمان مجرد تصديق القلب وأن الأعمال ليست من الإيمان)، وبدأ هذا القول الجهم بن صفوان ثم تبعه من تبعه من المرجئة ونصر هذا القول أكثر مرجئة المتكلمين كأبي الحسن الاشعري ومن جاء بعده المتكلمة الأشاعرة كأبي المعالي الجويني والباقلاني أبو بكر خاصة أبو بكر الباقلاني ناصر عن هذا القول أشد المناصرة، وبذلك كل من يقول بهذا القول بعض العلماء يلحقونه بالجهمية ليس الجهمية كفرقة لكن بقول الجهمية لأن أول من قال هذا القول جهم وإن كان حتى من المتكلمين لأن بعض متأخري المتكلمين من المذاهب قالوا بهذا القول وبعض من طائفة الأشاعرة قالوا بهذا القول، ولكن ليس هذا جمهور الأشاعرة، لكن منهم من قال بهذا القول فالحقوا قولهم هذا بالجهمية، لأن مرجئة الأشاعرة منهم من قال بأن الأعمال شرط كمال ومنهم من قال بأن الإيمان تصديق فقط وهذا القول الذي قالوا به أُلحقوا بالجهمية في هذا الأمر.

لتعلم فساد هذا القول الذي يقول بأن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلم القلب، وبعضهم قال العلم فقط حتى ولم يقل بالقول والبعض قال التصديق ولم يجعلوا حتى أعمال القلوب من الإيمان فضلاً عن أعمال الجوارح، هم يظنون بأن يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه ومع ذلك يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله ويعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار ويهين المؤمنين قالوا وهذه كلها معاصي لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن هذا قولهم، قالوا وإنما ثبتت له في الدنيا أحكام الكفار لأن الأقوال أمارة على الكفر يحكم لها بالظاهر، وهم يقولون أن هذا ليس في الحقيقة كفراً عندهم، لكن حتى لو قالوا بهذا الكلام قالوا هذا دلالة على انتفاء التصديق في القلب، لكن هو ما زال مؤمناً يعني حتى لو نطق بالكفر تصريحاً، يقول إذا قاله دلالة على انتفاء التصديق والعلم من قلبه، فالكفر عندهم شيء واحد فقط وهو التكذيب فقط أو الجهل والإيمان عندهم شيء واحد وهو العلم أو التصديق، لأن بعضهم يقول أن الإيمان تصديق وبعضهم يقول الإيمان علم، تصديق القلب أو علم القلب، فصار الكفر عندهم إما تكذيب القلب أو جهل القلب، فيقولون إن لو فعل كل ذلك عندهم مؤمن لأن التصديق موجود في القلب، وهذا قلنا من أفسد الأقوال في ذلك، وبعض المتأخرين من مرجئة الأشاعرة وغيرهم من المذاهب ساروا على هذا القول.

طيب الرد عليهم من وجهين أو من طريقين: طريق قد بيناه وطريق سأختم به.

الطريق الذي بيناه وهو بيان تعريف الإيمان في الكتاب والسنة كما بينا ونقل أقوال السلف، لكن ما زلنا سنرد عليهم كما رددنا بالنقل سنرد بالعقل، يعني من أراد أن يرد عليهم سينقل تعريف الإيمان وحقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة إجماعاً ويأخذ كل واحد من الخمسة الذي بيناهم ويرد عليه من الكتاب والسنة، لكن ما زال الرد يكون عليهم أيضاً عقلاً كما هو نقلاً من عدة وجوه وذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية سألخصها حتى نغلق القاعدة على المراد منها، بعد

إثبات التعريف بينا لمن خالف بالتصديق وطبعاً لم نتوسع كثيراً ثم بينا الرد نقلاً وسنبين الرد عقلاً الآن.

نقول أول وجه: على فرض بأن الإيمان هو التصديق نقول أصل الإيمان هو التصديق لكن كل الإيمان ليس التصديق يعني نعم أصل الإيمان فيه التصديق لكن ليس كل الإيمان تصديقاً فقط، فمن موجبات هذا التصديق إيجاد أثر هذا التصديق على القلب قولاً وعملاً فأنت لو حتى قلت بأن الإيمان تصديق في القلب أو هو أصل تصديق القلب هو الصحيح نقول ذلك فلابد أن هذا التصديق يوجب لك حالة في القلب قولاً وعملاً وهو تعظيم الرسول إجلاله محبته التزام بأوامره، يعني لو أنت في الشعور الدنيوي لما يأتي شيء يسعدك تتمتع بالإحساس بالتنعم ولما شيء يؤلمك بتشعر به وهذا إنعكاس في القلب على الجارحة فكذلك القلب لابد ينعكس في تصديقك على قول وعمل أو قول وفعل فإذًا حتى لو تنزلنا وقلنا بذلك فأين أثر ذلك على القول والفعل؟

الأمر الثاني: لما جينا نتكلم في أول المحاضرة عن تعريف الإيمان في اللغة وقلنا أن بعضهم قال التصديق والبعض قال التصديق بالغيب والبعض قال الإقرار

وقلنا الشاهد أن من طلب التصديق. التصديق محله إيه؟ الأخبار أنه يخبر عن شيء، طيب الذين حتى قالوا بذلك وهم علماء اللغة والبلاغة فرقوا، قالوا الخبر ما يحتمل الصدق والكذب.

طيب نرجع لكلام الله عز وجل، كلام الله عز وجل في القرآن إما إخبار وإما أوامر صحيح؟ فالأوامر ليس محلها التصديق، خلاص نحن انتهينا من الإخبار في محله التصديق طبعاً إخبار الله لابد أن يكون صدق، نأتي للأوامر الآن، الأوامر حتى عند علماء اللغة الذين هم علماء الأصول بعد ذلك يقولون الأوامر أسلوب إنشائي، يعني فيه أمر ونهي ودعاء إلى غير ذلك حتى هم لما بيعرفوه يقول لك الأوامر ما لا يصدق عليه الصدق والكذب،

الذي يصدق عليه الصدق والكذب هو الأخبار، أقول لك عن فلان حصل منه كذا، القرون السابقة حدث منها كذا، لكن الأمر لا يسمى حتى عند علماء اللغة والأصول والبلاغة قالوا ما لا يصدق عليه الصدق والكذب.

طيب إذن يبقى الأوامر والنواهي هذه أسلوب إنشائية. ممتاز طيب إذا الله عز وجل قال لعباده (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) انتبهوا حتى نتعلم كيف العلماء ينظمون عقلاً في الشرع أيضاً فلما قال له أن الله عز وجل قال أراد من العباد وقال لهم (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) هل المطلوب من العباد أن يقولوا بقلبهم أو لسانهم صدقت يا رب؟

طب إذا قال (ٱدْعُونِىٓ) يقولون: صدقت يا رب. إذا قال لهم (وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ) يقولون: صدقت يا رب. إذا قال لهم (بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ) يقولون: صدقت. لو قال أحد بذلك لا يختلف أحد من السلف على كفر من يرى ذلك. لماذا؟ لأن الله عز وجل لما قال ذلك أَقِيمُوا الصَّلَاةَ لا ينتظر منك أن تقول صدقت، هو ينتظر أنك تستجيب أنك تقر فليست المسألة في التصديق فقط، بل لابد من الإلتزام بذلك.

يبين أن معنى أن أنا أقول بأن الإيمان هو تصديقاً فقط بالقلب هذا ينافي ما قاله الله في كثير من الآيات والنبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث أن هي على سبيل الأوامر والإنشاء وليست على سبيل الصدق والكذب هذا وجه ثاني.

وجه ثالث يقول نحن قلنا طيب أن في أوامر وفي أخبار طيب نأتي للأوامر مرة أخرى أوامر جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هيقول لك أنت عليك أن تقر قال أقررت أنا أقريت بأن الله قال أَقِيمُوا الصَّلَاةَ والنبي صلى الله عليه وسلم جاء بأوامر أقرت بها، لكنه رفض الانقياد، هو ضابط المسألة إيه؟ هو عايز يقول أن الإيمان تصديق القلب إذاً لا قول اللسان ولا عمل قلب ولا عمل جوارح ليس هناك أعمال هو فقط تصديق للقلب، نقول له طيب أقريت بأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بهذه الأوامر لكنه رفض الانقياد أو الامتثال، نقول عقلاً عند القوم هل هذا يعد صادق في دعواه بأنه أقر؟ قالوا: لا لأن الإقرار والانقياد والامتثال لازم للتصديق القلبي. إذا أنت أقررت يبقى لابد أن تنقاد، لكن لو أقريت بدون أنك تمتثل أو تنقاد فأنت ما أقريت بشيء. ويبين ذلك ماذا؟ أن التصديق هو نوع من العلم والقول ويقاد من صدق للأوامر ويستسلم لها فمن ترك الانقياد يسمى مستكبراً، لذلك كفر إبليس ليس تكذيباً. إبليس ليس مضاد للإيمان للتصديق كما تقولون، لا إبليس كفره كفر استكبار، بل استكبر، لذلك لا يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار لا يوصف إبليس بالكفر مع التكذيب وهذا يرجع له كفر إبليس كفر استكبار. لذلك أيضاً العلماء قالوا بأن كفر اليهود من جنس كفر إبليس لأنهم علموا واستكبروا، وهذه الأدلة كثيرة حتى ما أستفيض، وكفر النصارى من كفر الجهل لأنهم جهلوا وكفروا بذلك أيضاً، لكن اليهود علموا ولم ينقادوا، كهرقل أيضاً علم بأن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه مع أبي سفيان أنه على الحق، ولكنه لم ينقاد أيضاً، فأصبح هنا التصديق هذا بدون الانقياد لا يعد تصديقاً حقيقياً وإيماناً حقيقياً لذلك لابد من الإثنين معاً.

الإمام أبو ثور يقول الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان يقال لهم ماذا أراد الله من العباد إذا قال لهم أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وأتوا الزكاة؟ هل يقال لهم أن الله أراد الإقرار بذلك أم الإقرار والعمل؟ انتبه انظر المسألة هنا النقاش النظري أو العقل. فإن قالت هذه الطائفة أن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل كفروا عند أهل العلم لو قالوا ذلك أن الله أراد الاقرار ولم يرد العمل يبقى كأن هذا لغو لما بيقول لك أَقِيمُوا الصَّلَاةَ فتقول له نعم أنت قلت أَقِيمُوا الصَّلَاةَ لكن ما يريد منك العمل يبقى هذا كفر عند أهل العلم، إذا قال لك أن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة، طب وإن قالت هذه الطائفة أن الله أراد منهم الإقرار والعمل قلنا لهم إذا كان أراد الإثنين معهم لما زعمتم أنهم بيكونوا بأحدهما مؤمن دون الآخر؟ إذا أنتم أقريتم أنه يريد الإقرار والعمل لماذا جعلتوه مؤمناً بالإقرار دون العمل؟ أولاً طيب ونتنازل إذا قلنا بأنه عمل بدون أن يقر أتينا بكافر فصلى وصام وطلع زكاة وراح البيت حج وهو لم يقر لكن عمل تقولون فيه مسلم؟ قالوا لا. قلنا ما الفرق؟ إذا قلتم بأن من عمل من دون أن يقر ليس بمسلم، إذاً من أقر دون أن يعمل ليس بمسلم، ما دام قلتم أن الإثنين مطلوبين من الله عز وجل فلماذا فرقتم بينهما؟ وهذا كلام بديع للإمام أبي ثور يرد فيه من هذا الوجه على هذه الطائفة التي قالت بأن الإيمان تصديق القلب فقط.

ثم الوجه الرابع يستحيل عقلاً أن شخصاً يصدق بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم لا يطيع الله ورسوله ولا يحبهم ولا ينقاد لهم ولا يعظم الله ورسوله.

مثل ما قال ابن تيمية (من الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه ولا يصوم رمضان ولا يسجد لله سجدة ويعلم أن الله فرض الحج والصوم والزكاة ويعيش لا يسجد لله سجدة لا يصوم رمضان لا يؤدي زكاة لا يحج البيت هذا لا يكون إلا نفاقاً وزندقة)

لا يمكن أن يكون هذا اجتمع معه إيمان لأن الله عز وجل لما أراد أن يصف الكفار وصفهم بالامتناع عن السجود قال **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) ثم قال (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)** [القلم: 42-43] لما لم يسجدوا لله مُنِعُوا ما استطاعوا على الصراط أن يسجدوا لله لما رأوا الله عز وجل، فمن علامات الكفار عدم السجود لله عز وجل.

الوجه الخامس في ذلك أن حصرهم للإيمان في التصديق والكفر في التكذيب فقط. ما في كفر إلا في تكذيب، هذه لوازم غاية الفساد والبطلان منها انك ستحكم بإسلام إبليس بل ستحكم بإسلام فرعون بل ستحكم بإسلام أبي طالب بل ستحكم بإسلام اليهود. لماذا؟ لأنهم أظهروا التصديق فرعون كان مصدق موسى قال **(لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)** الايات يعني موسى بين أن فرعون كان يعلم، أبو طالب كان يعلم أن الحق مع **النبي صلى الله عليه وسلم وقال (لا تعلوني استي أبدا)** لأنه ابنه يعني وظل على دين آبائه **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)** اليهود أظهروا التصديق هم لم يؤمنوا، هرقل أظهر التصديق ولم يؤمن، فكل هذا أنت لو قلت بأن الكفر تكذيب فقط يبقى هؤلاء لن تستطيع أن تكفرهم وهذا من أبطل الباطل لأنك ستجعل إبليس وفرعون لأنه لم يصدر من إبليس تكذيب بل استكبر، فرعون لم يكذب لم يظهر لنا تكذيباً بل هو استكبر أيضاً، وبعد ذلك أنت ستقول أنه ليس بكافر عندك لأن الإيمان عندك تصديقاً فقط وكذلك اليهود والنصارى الذين لم يظهروا التكذيب أيضاً كما هرقل وبينا ذلك.

آخر شيء (الوجه الأخير) أن لابد هناك التلازم بين الظاهر والباطن لا يتصور صلاح الباطن بالتصديق والإقرار وفساد الظاهر بالإعراض وترك العمل هذا أمر عقلي وغير طبعاً أن الشرع أدلة كثيرة إن شاء الله بقى لو تيسر لنا الدراسة التفصيلية سنبين لكن سأكتفي بهذه الكلمة لأن هي المقصود فيها هنا ايش؟

(أن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم) لابد من التلازم بين الظاهر والباطن، من ادعى في الباطن التصديق لابد الظاهر يظهر عليه قال تعالى **(وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)** لو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء الكلام على الكفار هم كاذبون في دعواهم الإيمان والإسلام ولكن كثيراً منهم فاسقون والأشد **(لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)** انتفى الإيمان لأن الولاء والبراء ركن من أركان الإيمان.

علامات فارقة تبين لك أهل الإيمان من أهل النفاق وأهل الكفر، الظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيماً إلا مع استقامة الباطن وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر(ألا إن في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ صلحَ لها سائرُ الجسدِ، وإذا فسدت فسد لها سائرُ الجسدِ ألا وهي القلبُ) إذا كان القلب صالحاً بالإيمان والعمل لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل والأركان وهذا قول متفق عليه عند أئمة المسلمين جميعاً.

هذا آخر الكلام حتى في هذه القاعدة وإن شاء الله الأسبوع القادم سنكمل قواعد الإيمان عندنا أكثر من قاعدة سنحاول إن شاء الله نجمل فيها عقيدة أهل السنة والجماعة ونبين فقط الإشارات في كل قاعدة التي بينها وبين المخالف وعلى أن التوسع يكون لكن لابد لطالب العلم أن يضبط هذه القواعد التي نتكلم عنها فتعينه كثيراً بعد ذلك في الزيادات والشروحات أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و اتوب اليك.

ممكن اخد أسئلة سريعاً عشان ندخل في درس المقاصد عشان إحنا اطالنا اليوم

سؤال من طالب

صوت الطالب غير واضح

إجابة الشيخ

النصارى الموجودون الآن إذا وصلهم الإسلام الصحيح تكون الحجة أقيمت عليهم

سؤال

هل هم ضالين بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

الاجابه

المسألة ليس في النبي المسألة أن هم من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وهم ضالين لأن هم حرفوا أيضا

تعقيب من الشيخ

إحنا ما لناش دعوة بالقلوب السؤال عن الحكم فإذا وصلهم الإيمان صحيحاً ولم يؤمنوا يبقى خلاص أما إذا لم يصلهم الإسلام أصلا وهو على ما هو عليه من ضلال يأخذ حكم أهل الفترة وقتها لكن هو في الظاهر عندنا كافر فهو ليس بمسلم

سؤال

أن العمل هو أثر للإيمان بالقلب هل يجوز مع الاشاعرة ومرجئة الفقهاء لأنهم يقولون بالعمل كثمره؟

الاجابه

هذا لا يصح ومرجئة الفقهاء أيضا كلامهم مردود عليه ومش كل الاشاعرة بعض الاشاعرة أصلا بيقولوا باللي انا قلته ده اللي هم الجويني والبقلاني وبعضهم قالوا بقول جهم والبعض قالوا بقوله مرجئة الفقهاء أصل الاشاعرة لها أقوال كثيرة في المسألة هذه بعضهم قالوا أن الإيمان تصديق القلب فقط بعضهم قالوا كمان علم وبعضهم قال لم يشترط الشهادتين أو جعل

الشهادة شرط وليس ركن كل ده موجود أقوال عندهم وهم متأخرين ومتقدمين يعني بهدلوا الدنيا في المسألة دي عندهم ومنهم من وافق المرجئة فقالوا إن الأعمال كمال مرجئة الفقهاء وهذا كله خلاف لأهل السنة والجماعة أيا كان القول كل هذا خلاف لأهل السنة والجماعة

تعقيب للشيخ

الثمرة كما بينتها في النهاية هنا بأنهم لما قالوا الإيمان تصديق جعلوا الكفر تكذيب وأهل السنة والجماعة عندهم الكفر ليس التكذيب فقط سيأتي القواعد دي في نواقض الإيمان انه ليس محصورا في التكذيب

سؤال

هل ممكن يبحث على الإسلام الصحيح على النت؟

الاجابه

لا لأنه ممكن يدور على النت يلاقي القديانيه اويلاقي البهائية اويلاقي الصوفية القبورية اويلاقي اي شيء هيعرف منين أن دي الصحيح لو بحث ووجد الرسالة الصحيحة خلاص وعلم هذا بينه وبين ربه يبقى هو خلاص أقيمت عليه الحجة لكن إن لم يعلم خلاص أما لو كلمته ودعيته للإسلام وبينت له أن التثليث كفر وما فيش حاجة إسمها الأب والابن والروح القدس وأن هذا منافي لكذا فلو أنت عندك العلم وبينت له هذه المسألة وخلاص أقمت عليه الحجة هو عنده عقل يبقى أنت بينت له الإسلام الصحيح ليس عليك أنه يقبل أو ما يقبل بس هو كده أقيمت عليه الحجة لذلك النصارى اللي موجودين قاعدين في وسط المسلمين اللي يروا الإسلام الصحيح أقيمت عليهم الحجة مش مهم يقتنعوا ولا ما يقتنعوش لأن هو رأى الإسلام الصحيح وسمعه فقد اقيمت عليه الحجة لكن لو واحد قاعد في بلد تانية وصل له الإسلام خلاص اما إن لم يصله الإسلام الصحيح يكون من أهل الفترة وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا في ناس في دول ما وصلهاش الإسلام الصحيح هناك دول في أفريقيا لا يعرفوا شيء عن الإسلام ولو عرفوا بيعرف أن هؤلاء المسلمون بيلفوا حوالين الكعبة زي ما بيقولوا لهم يعني كأن عندهم صنم إسمه الكعبة بيلفوا حواليه أو هو شايفهم إرهابيين زي ما بيقولوا أو أن هم بيقتلوا في الناس او كده على حسب ما وصل له المعلومة فإذا كان اللي قاعدين برة بيوصل لهم معلومة خطأ عن المسلمين الشعوب اللي هي العوام وبعدين أنت لما بتحاول

تخاطبهم صح يبتدوا يعرفوا الصح إحنا الآن نضع ضابط شرعي إذا وصل الإسلام صحيحا لأحد فهو أقيمت عليه الحجة أما اذا لم يصله الإسلام صحيحا لم تقم عليه الحجة

ممكن واحد قاعد في أمريكا وما بيعرفش حاجة غير طايفة القديانيه اللي موجودة هناك ودول كثر وقاعد في وسطهم فهو فاهم أن الإسلام هو القديانيه أو الإسلام البهائية أو الإسلام كذا ده ما وصلوش الإسلام صحيح فما نقدرش نحاسبه عليه

سؤال

هناك من يقول كيف الاشاعرة ينفون العمل وهم يعملون أعمال صالحة؟ انا قلت ينفون العمل يا أستاذة؟ انت ملخبطة الدنيا عندك شوية أنا قلت أن بعض الاشاعرة قال بقول جهم وقالوا الإيمان تصديق قالوا العمل ده ما لوش علاقة بالإيمان الإيمان تصديق عندنا فقط ده الذين قالوا بقول

جهم كالجوينى وغيره وبعض مرجئة الفقهاء اللي منهم مرجئة الاشاعرة او مرجئة المتكلمين قالوا بالأعمال لكن قالوا الأعمال كمال مش في صحة الإيمان فهم ما يجعلوش الأعمال من الإيمان أصالة قلنا الآن ان الذين نفوا قلنا عنهم نفوا الذين لم ينفوا قلنا قالوا بالأعمال لكن كشرط كمال مش شرط صحة ونحن لا نقبل أن الأعمال شرط كمال نقول أن الأعمال شرط صحة الأصول فيها طبعا لان فيه بعض الأعمال كمال وفيه بعض الأعمال صحه لكن إحنا في تعريف الإيمان لا نخرج العمل من حقيقة الإيمان ده اللي إحنا نريده الآن لا نخرج العمل من حقيقة الإيمان أما مرجئة الفقهاء نعم قالوا بالعمل مع الإيمان وجعلوه شرط كمال خلافنا سيظهر معهم في الكفر لذلك أنا قلت هم لا يقولون إلا بكفر التكذيب كفر التكذيب اللي هو في القلب ولا يقولوا بكفر العناد والاستكبار والاعراض وهذه أنواع من الكفر عند أهل السنة والجماعة مرجئة الفقهاء لا يقولون بها لذلك أنا قلت هم بيقولوا لو قال قول الكفر يقولون لا هو ما كفرش بالقول ده هو كفر لأن التصديق اللي في قلبه تغير عرفنا منين والتصديق في القلب؟ قالوا هذه أمارة هذا القول أمارة على تغير تصديق القلب نحن لا نقول ذلك نقول لا القول نفسه كفر والفعل نفسه كفر دلالة على الكفر والتصديق ممكن ينقسم لتكذيب هم يقولون القول ليس بكفر والفعل ليس بكفر ليه؟ لأنه لو قال ذلك سيجعل الإيمان شرط في الصحة لذلك هو يقول لا هذا القول أمارة على أنه اصبح غير مصدق بقلبه طب وصلتم لقلبه ازاي

تعقيب من الشيخ

الإيمان عنده هو التصديق وأن العمل مش من الإيمان هو شرط كمال فلما ييجي يكفر هيكفر بالتكذيب فقط

سؤال

لماذا سموهم المرجئة؟ لأنه التكذيب هيبقى الكفر تكذيب والتكذيب محله القلب فهو الآن مش هتعرف تكفره مهما قال هو يقول الإيمان عكسه الكفر والإيمان التصديق والكفر التكذيب والتكذيب في القلب بس يوم ما تزنقه زي ما بيقولوا وتقول له طب ده قال سب النبي أو سب الله هتعمل ايه بعد كده نعوذ بالله هتقول له ايه؟ هيقول لك لا دي أمارة يعني هو ممكن هيقول لك اه هو كده كفر لكن هو كده مش كفر بالقول لأ كفر لان القول ده أمارة على تكذيب القلب عشان يفضل على الأصل ويفضل على الاصل اللي عنده أن الإيمان تصديق فقط وبالتالي هم دخلوا في الإرجاء فسموهم مرجئة لأنه خلاص هو ما أصبح الآن عنده ثبت الإيمان وانتهت المسألة ويأتي ما يأتي به عنده الإيمان موجود وكل دي عنده معاصي ما تخرجوش من الإسلام إلا لو طبعا قال اللي هو الصريح في مسألة سب الله وسب الرسول وكذا لكن الباقي هيكون عنده ايش؟ معاصي كبائر ومعاصي ما تخرجوش لأن عنده الإيمان التصديق وده عكسه التكذيب ومداره القلب

سؤال

ما الفرق بين دول ودول بين اللي بيقولوا شرط كمال وبين اللي بيقولوا شرط صحة؟

الاجابه:

الاتنين في التكذيب واحد الاتنين في الكفر واحد يعني هم الاتنين وافقوا بعض هذا قال بأن الايمان تصديق وأخرج الأعمال أصلا التاني قال لك لأ الأعمال بتزود الايمان ما اقدرش

فيه زيادة ونقصان ومش هقدر أنا أقول الكلام ده لكن الاتنين اشتركوا فين؟ لما جم في الكفر لان الكفر عندهم تكذيب لأن الأصل عنده في الإيمان تصديق الفرق أن الأول اللي هو جهم أخرج الأعمال بالكليه ما لهاش علاقة بالأعمال ولا بالإيمان ولا شيء التاني قال أن الأعمال بتزود الإيمان

جهم لما تكلم ما عندوش زيادة ونقصان في الايمان أصلا ما هو جعل الإيمان تصديق والتصديق عنده ثابت فما عندوش زيادة ونقصان مرجئة الفقهاء قالوا الإيمان بيزيد بالطاعات لكن هو خارج الإيمان لكن الأعمال خارج الايمان فهى شرط كمال يعني مش شرط صحة شرط كمال فوافقوا بعض الاتنين فين في التكذيب في الكفر يعني الاتنين اتفقوا في الكفر واختلفوا طبعا ان ده قال شرط كمال والتاني قال ليس أصل الأعمال من الإيمان.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك أتوب إليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد اليوم مع الدرس الأول في قواعد في العقيدة وكنا بدأنا الأسبوع الماضي في القواعد الخاصة بالإيمان، وتكلمنا عن قاعدة الإيمان بتعريفه قول وعمل واعتقاد وتكلمنا عن اعتقاد القلب وعمل القلب وقول القلب واعتقاد اللسان وعمل اللسان وعمل الجوارح، فاليوم ندخل قاعدة ثانية وهي من قواعد أهل السنة والجماعة في الإيمان وهي أن الإيمان يزيد وينقص.. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذه من أصول قواعد أهل السنة والجماعة في الإيمان الذي يميز به اعتقاد أهل السنة والجماعة عن اعتقاد الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في الإيمان، وهو أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ،فنتناول في هذه القاعدة بيان معنى الزيادة والنقصان ثم نتكلم عن إجماع السلف وأقوالهم عن زيادة الإيمان ونقصانه، ثم نتكلم عن الأدلة من الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه، ثم نختم الخلاصة والأهم في ذلك أوجه الزيادة والنقصان والأسباب الموجبة لزيادة الإيمان ونقصانه، أربع مطالب في تناول هذه القاعدة.

نبدأ في الأول وهو معنى الزيادة والنقصان؛ الزيادة مصدر يزيد من زيداً وزيادة وهي تدل على الازدياد، يعني يقال هنا الزيادة أي بمعنى النمو وهي الزيادة على الشيء، الزيادة على شيء من جنسه، النمو والزيادة قد تكون زيادة محمودة وقد تكون زيادة مذمومة، إذاً الزيادة على نوعين؛ الزيادة المحمودة وهو كالزيادة والنمو في العلم، في الإيمان، في العمل الصالح، في الهداية، في التقوى في الصلاح هذه لا شك زيادة محمودة، والزيادة المذمومة على نوعين؛ زيادة لا ترضاها الطباع، الطبع لا يرضاه أو لا يقبله، وزيادة لا يرضاها الشرع، زيادة لا يزال الطبع يعني إذا وجدت واحد عنده مثلاً أصبع زائد عن العدد فهذه شيء غير مألوف في الطباع أو دابة مثلاً عندها قائمة من القوائم زيادة يعني أو شيء هذه طباعة تأنفها يعني ما ترضاها، وزيادة لا يرضاها الشرع كالزيادة بالذنوب والمعاصي والآثام والسيئات وأمراض القلوب كل هذه الزيادة مذمومة قال تعالى"فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" والثانية " وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ" هذه زيادة مذمومة، من الزيادة المذمومة في الشرع أيضاً غير المعاصي والآثام ما جاء بالابتداع، لأن البدعة زيادة في الشرع وهي زيادة مذمومة وهي لم يأذن بها الله عز وجل ولم يرسل بها رسوله، قال النبي صلى الله عليه وسلم" مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ" والإحداث هذا زيادة ولكنها زيادة مذمومة **قال ابن مسعود رضي الله عنه " الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"** فهذا معنى الزيادة في الشرع أو الزيادة متى تكون مذمومة ومتى تكون الزيادة محمودة.

ما يعنينا هنا في مسائل الإيمان وهو الزيادة كما قلنا الإيمان يزيد وينقص، سيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من الكلام النفيس الذي ينقل عن مالك بن دينار حقيقة لابد أن نبينه في مسألة الإيمان كلام يحفظ ويحفر قال مالك بن دينار" الإيمان يبدو في القلب ضعيفاً ضئيلاً كالبقلة فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة وأماط عنه الدغل وما يضعفه ويوهنه أوشك أن ينمو أو يزداد ويصير له أصل وفرع وثمرة وظل إلى ما لا ينتهي حتى يصير أمثال الجبال، وإن صاحبه أهمله ولم يتعاهده جاءه عنز فتتفتها أو صبي فذهب بها وأكثر عليها الدغل فأضعفها أو أهلكها أو أيبسها قال كذلك الإيمان " وهو يبين لك كيف ينمو الإيمان ويزداد بالتعهد، وكيف أن تركه المرء ييبس ويضعف ويهلك حتى يأتي صبي كما قال أو أي شيء خفيف ما ليس له قيمة يذهب به بالكلية والعياذ بالله.

المسألة الثانية معنا هنا إجماع السلف وأقوالهم في زيادة الإيمان ونقصانه، قلت إنه أصل من أصول أهل السنة والجماعة المجمع عليها، وهو قول أهل السنة والجماعة قاطبة وعلمائهم بزيادة الإيمان ونقصانه، سننقل بعض أقوال العلماء وليس بالكلية طبعاً لأن المقام يطول جداً لو نقلنا كل أقوالهم.. لكن سننتقي يعني الأقوال للعلماء الأعلام في ذلك..

فقال الحافظ بن عبد البر رحمه الله: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها من الإيمان).

وقال الإمام الطبري رحمة الله عليه: " فإن الصواب أي الإيمان فيه قول من قال هو قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مضى أهل الدين والفضل"

وقال الإمام ابن أبي عاصم: "فالإيمان قول وعمل يزيد وينقص" ونقل ابن بطال مذهب أهل السنة والجماعة أو مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها" أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من كتاب الله بذكر الزيادة بالإيمان وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له" وقال ابن تيمية " وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"

قال الإمام ابن كثير رحمه الله :ورحم الأئمة جميعاً الماضيين كلهم قد حكاهم الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغيره إجماعا "أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص" وقال الإمام ابن بطة قال "ثم جعله فيهم أي الإيمان يزيد ويقوى بالمعرفة والطاعة ويضعف وينقص بالغفلة والمعصية وبهذا نزل الكتاب وبه مضت السنة وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة".

الحافظ ابن رجب قال : في فتح الباري في شرحه على البخاري معلقاً على قول البخاري (زيادة الإيمان ونقصانه) قول جمهور العلماء وقد روي هذا الكلام عن طائفة من الصحابة كأبي الدرداء وأبي هريرة وابن عباس وغيره من الصحابة وروي معناه عن علي وابن مسعود وعن مجاهد وغيره من التابعين رضي الله عن الصحابة أجمعين.

عن أبي الدرداء قال : الإيمان يزيد وينقص، أبو هريرة قال الإيمان يزداد وينقص ابن عباس رضي الله عنهما جميعا قال الإيمان يزيد وينقص، كل هذه أقوال ننقلها عن الائمة، طيب هذه الأقوال نرجع للأدلة وهذا الذي نحتاجه لابد في كل قاعدة نبين الدلة من الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه، والأدلة بالكتاب ومن السنة كثيرة حقيقة على زيادة الإيمان ونقصانه قد ذكرها الإمام البخاري في كتابه الإمام في صحيحه صحيح الجامع وذكر آيات من الكتاب على ذلك من قول الله عز وجل "لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ" و "وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" و "وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى" و"وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" وقوله تعالى " فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا" وعن قوله أيضاً تعالى"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ أن النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا" و قال" وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا" آيات صريحة في زيادة الإيمان قال تعالى أيضاً كما ذكر الإمام ابن بطة في كتاب الإبانة الكبرى كتاب هام جداً قال" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا" وقول الله عز وجل مخاطباً إبراهيم عليه السلام لما قال "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي" فقال اطمئنان القلب يعني طلب زيادة الإيمان، وقال تعالى"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ" الآيات في سورة النساء طب ما الاستدلال هنا؟ قول الله عز وجل أولاً خاطبهم يا أيها الذين آمنوا ثم قال لهم آمنوا، فإن لم يكونوا مؤمنين ما قال لهم يا أيها الذين آمنوا، لكن أراد أن يزيدوا على هذا الإيمان ويداوموا عليه ويزدادوا فيه وهذا يكون بطاعة الله واستكثار الأعمال الصالحة التي تزيد الإيمان واليقين،

وهذا له نظائر في اللغة، يعني الله عز وجل يقول "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا "،الآن هذا فعل يحتمل الازدياد وهذا وجه الاستدلال، هناك فيه أفعال تحتمل الازدياد وأفعال لا تحتمل الازدياد، يعني أنت لو قلت لك اجلس طيب ما أنت أصلاً جالس هو عشان كده لو قلت لك اجلس هل أنت هتجلس أكثر من الجلوس الذي موجود؟ يبقى إذاً هذا لا يحتمل الزيادة صحيح؟ لكن لو قلت لك (كل) فأنت مددت يدك ثم قلت لك (كل) فأنت مددت مرة اخرى لتأكل تزداد أكلا ثم قلت لك كل.. إذا هذا يحتمل الزيادة أم لا؟ هذا يحتمل الزيادة فهنا كذلك، هنا في الإيمان الله عز وجل لما قال "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا " إذاً هذا الإيمان يحتمل الزيادة، والله عز وجل يطلب منهم الزيادة في الإيمان.. ، طيب فإذا نقول هنا دل ذلك على أن هذه الأفعال أو هذه الأعمال التي تقبل الزيادة

(وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا)

طيب كل هذه أدلة تبين من قوله تعالى مسألة الإيمان وزيادته وقال تعالى "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ"

أدلة واضحة وصريحة عند أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان.

طيب مسألة نقصان الإيمان وهذه تكلم فيها بعض أهل العلم ونحن لا نتعرض إليها حالياً لكننا نبين أن أيضاً أن **بعض ما نقل عن الإمام مالك أنه أثبت النقصان أنه قال" ما وجدت في كتاب الله عز وجل نقصانا**ً" لكن بعض أهل العلم قالوا يمكن أن يستدل عن ذلك من عدة آيات أيضاً كقوله تعالى:

"لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝" فيها تفاضل فبما أن هذا أنقص من هذا إذا فيه نقص وفيه زيادة"ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

فهذه تدل على تفاضل أهل الإيمان، وتفاضل أهل الإيمان يدل على أنه هناك زيادة في الإيمان وهناك نقصان في أيضاً وقال تعالى تصريحاً :

" انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا" إذاً فيه تفاضل تفاضل في الدنيا وتفاضل في الآخرة، الله رفع الرسل والانبياء ثم للصديقين ثم الشهداء والصالحين إلى غير ذلك من الدرجات في الدنيا وفي الآخرة أيضاً.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان أيضاً ونقصانه قول الله عز وجل:

" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"

الآيات في ذلك لأن الله عز وجل قال اليوم أكملت لكم دينكم يعني اكتمل الدين في وقته ما نزلت هذه الآيات واكتملت الشريعة دل ذلك على أن قبل ذلك كان الدين في ازدياد، كان نزلت الشرائع أولاً التوحيد وعدم الشرك ثم نزلت شرائع.. شرائع إلى أن أكمل الله عز وجل الدين بأحكامه المختلفة في الوقت الذي أراد فيه ذلك وختم الوحي بذلك.

هذا من الكتاب طب والأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه؟ أدلة أيضاً كثيرة جداً لو رجعت لكتب السنة الصحيحة سواء في البخاري ومسلم وكتب السنن، ستجد كل إمام بوب في كتابه، فالبخاري مثلاً ككتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه تجد هكذا، النووي أيضاً هو الذي مبوب لمسلم لأن طبعاً الفرق بين تبويب البخاري فمن البخاري ومسلم ما بوب، بل بوب الإمام النووي في شرحه فقال كتاب الإيمان ثم ذكر الأحاديث الواردة فقال باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ثم بين في الباب الذي يليه باب تفاضل أهل الإيمان هذا كله تبويب النووي لمسلم ورجحان أهل اليمن فيه أيضاً، ثم قال في باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية، وأيضاً قال في باب آخر باب نقصان الإيمان بنقص بعض الطاعات، انظر كل هذه تبويبات للنووي في شرح مسلم يبين لك أحاديث في الزيادة وأحاديث في النقصان، الإمام أبو داوود أيضاً في سننه قال باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ثم ذكر أحاديث عدة، وكذلك الترمذي قال باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان في سنن الترمذي ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك، والإمام النسائي في سننه الصغرى أيضاً قال من كتاب الإيمان وشرائعه قال ترجم باب بقوله زيادة الإيمان.

انظر كل هذه طبعاً تراجم للكتب السنة تجد أحاديث بعد ذلك سنختار بعض الأحاديث لتبين لك والذي يريد الاستزادة من ذلك يرجع لهذه الكتب ،

حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إليه فيها أبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ)

وهنا نفى عنه الإيمان ونزل كما سيأتي معنا في قواعد أخرى إلى درجة الإسلام فزال الإيمان

فكما قال ابن عباس (الإيمان كأنه ظلة) لما فعل هذه المعصية ارتفع الإيمان كأنه سحابة أو ظلة فوقه يعني ارتفع عنه وبقي معه الإسلام فلما تاب وأناب واستغفر ورجع نزل الإيمان له مرة أخرى وهذه دلالة على أنه لا يؤمن يعني هنا لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن أي لا يكون إيماناً كاملاً له بل ينتقص إيمانه بفعل المعاصي وغير ذلك..

ثم أصرح من ذلك أيضاً قول النبي صل الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه ((الإيمان بضْعٌ وسَبْعُونَ، أو بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ- قال أفضلها يعني أعلاها- ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ)) فدل ذلك على أن الإيمان يتفاضل في الأعمال أيضاً.

ثم عن أنس رضي الله عنه وأرضاه قال النبي صل الله عليه وسلم ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ شَعِيرَةٍ مِن خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ بُرَّةٍ مِن خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ ذَرَّةٍ مِن خَيْرٍ.))

وهذه كلها تدل على أن الإيمان في القلب يختلف برة وذرة وشعيرة وهذا دلال على زيادة الإيمان ونقصانه أيضاً..

ثم بين من حديث أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال ((أكْمَلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُمْ خُلُقًا))..

و حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم ((بَيْنا أنا نائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ، وعليهم قُمُصٌ، فَمِنْها ما يَبْلُغُ الثَّدْيَ، ومِنْها ما يَبْلُغُ دُونَ ذلكَ، وعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وعليه قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ، قالوا :فَما أوَّلْتَهُ يا رَسولَ اللَّهِ قالَ: الدِّينَ.))..

ثم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال ((الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ))..

ثم قال أيضاً في حديث البراء بن عازب ((أوثَقُ عُرَى الإيمان الحبُّ في اللهِ والبُغضُ في اللهِ))..

وأيضاً حديث علي رضي الله عنه وأرضاه لما تكلم عن عمار وذكر أن النبي صل الله عليه وسلم قال عن عمار قولاً عظيماً قال((مُلِئَ عمارٌ إيمانًا إلى مُشاشِه)) يعني اكتمل إيمانه زاد إيمان عمار رضي الله عنه وأرضاه يعني كأنه اكتمل بالكلية ما تبقى منه شيء يعني زاد كله..

ومنه حديث حذيفة رضي الله عنه وارضاه قال سمعت النبي صل الله عليه وسلم يقول ((عُرِضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ.)) نعوذ بالله من ذلك فكل هذه كانت أدلة على مسألة ثبوت زيادة الإيمان ونقصانه في الكتاب والسنة وقبلها بينا إجماع أهل السنة والجماعة على كون الإيمان يزيد وينقص من الصحابة ومن التابعين وغير ذلك..

طيب نريد أن نتكلم عن مسألة وهي فيها بعض التفصيل كثير ما نتكلم أن الإيمان يزيد وينقص ونذكر هذه الأدلة وغالباً هنقف عند ذلك

فأنا أريد المرة هذه نزيد أكثر في هذا المبحث ونتكلم عن أوجه الزيادة والنقصان يعني أين أوجه الزيادة والنقصان في الإيمان؟ كيف تكون؟ ما احنا خلاص عارفين تزيد بالطاعات وتنقص بالمعاصي لكن أوجه الزيادة والنقصان أولا ثم الأسباب الموجبة لزيادة الإيمان ونقصانه.

الأوجه ودي تعرض اليها شيخ الإسلام ابن تيمية ولذلك سنتكلم عنها بشيء من الايجاز بقدر ما تعرض لها هو لنبين أوجه الزيادة والنقصان.

نقول أولا الوجه الأول: أن لابد أن نفرق بين ما أمر به المرء أو العبد ما أمر به أولا من احكام أو من إيمان بالله وكتبه ورسله وأمر آخر ما قام به العبد، ما أمر به هذا أيضاً تفاضل فيه الناس يعني الأمر بالتوحيد والأمر بالإيمان اختلفت فيه الأمم بل واختلف فيه أيضاً أمة النبي صلى الله عليه وسلم على مراحل بمعنى أن لما نزلت الرسالة على النبي صلى الله عليه وسلم وبدأ النبي يبلغ فما كان يبلغه أولا كان هو المأمور به أولا فقط يعني ما كان يدعو به صلى الله عليه وسلم في أول نزول الوحي على أصحابه من أمور التوحيد مثلا فقط فكان هذا أول ما أمروا به فمن استجاب لهذا الأول فقد استجاب وقتها لكل الدين لأن الشرع نزل متتابع ما نزل مرة واحدة ما نزلش جملة واحدة نزل متتابعا، فما وجب أول الأمر غير ما وجب بعد نزول القرآن بالكلية لما قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) ما كان نزل كل الدين وقت ما نزل من أول من ثلاثة وعشرين سنة في أول ما نزل الأمر من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة، لذلك نقول فمن حضر أول الأمر وجب عليه ما كان في أول الأمر فقط ومن مات بعد ذلك ولم يحضر ما جاء بعدها لم يكن عليه ما جاء من بعده لكن من حضر ما نزل من أول الأمر إلى ما نزل من بعد ذلك فوجب عليه الإيمان من كل ما نزل أول الأمر إلى ما حضر هو، وهذا الذي نقصده أن الوجه الأول من حيث الاجمال والتفصيل فيما أمروا به اختلف الناس؟ نعم مصعب بن عمير مات متقدما ونزلت شرائع بعده رضي الله عنه وحمزة مات أيضاً في احد ونزلت شرائع بعد ذلك وهناك من مات في مكة سمية رضي الله عنها ام عمار وابوه ياسر ماتوا في أول الأمر، فهنا يتكلمون العلماء في الوجه الأول أن هنا من حيث الاجمال والتفصيل يتفاوت الإيمان فيما أمروا به فلو آمن الرجل بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الإيمان، يعني هو آمن ثم مات ولم يكن يعرف لسة شرائع الدين أصبح مات مؤمنا بما وجب عليه، الرجل الذي أسلم ثم أخذ السيف ودخل يقاتل فقُتل حتى قال صلى الله عليه وسلم دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة أو في معنى الحديث، هو ما دخل عليه صلاة أصلا وقتها نطق الشهادتين ووجد أمامه أول ما وجد بهو الجهاد فجاهد فقُتِل، لذلك لو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الإيمان، لكن لا شك بأن من آمن بالله ورسوله ثم حضر ما نزل من الشرائع وآمن بها وعمل بها فهو أكمل إيمانا من حيث الوجوب الذي وجب عليه يعني هو وجب عليه إيمان أكثر من الأول، الأول وجب عليه إيمان أقل والثاني وجب عليه إيمان أكثر وهنا تفاضل في الإيمان من حيث الوجوب عليه ناهيك بقى عن مسألة أنه نفذ أم لا الآن احنا بنتكلم أن هذا وجب عليه إيمان وهذا وجب عليه إيمان أكثر وهذه دلالة على أن الإيمان يتفاضل أيضاً من حيث الوجوب، لماذا؟ واحد الآن أسلم ولسه ما كان يعرف شيء عن الإسلام ثم مات بعد ساعتين هو في حقه الآن آمن بكل ما يستطيعه لأنه عارف الشهادتين وأسلم ولم يكن لسه يعرض عليه حتى الشرائع وجاءه الموت مثل الذي يسلم وبعدين يموت بعد كم ساعة أو قبل موته يسلم ثم يموت في مرضه فهو آمن بما وجب عليه وقتها، ومن حضر بعد ذلك وجب عليه أكثر من ذلك اظن دي واضحة كدة في التفاضل، طيب هذا من حيث ماذا؟ هذا من حيث الوجوب عليه، طيب وهذا معناه أن الإيمان المجمل واجب على جميع الخلق لكن لا يستوي جميعهم في ما يجب عليهم يرجع ذلك لما بُلِّغ وعلم فاللي علم بشرائع الإيمان وبُلِّغ بها أصبح

واجب عليه وأما الذي لم يُبلَّغ ولم يعلم فليس واجبا عليه، فالذين عاشوا أول الإسلام ما وجب عليهم مثل ما عاشوا آخر الإسلام والأول ملزم بما أُنزل عليه والثاني ملزم بما أُنزل عليه، فمن مات مثلا قبل فرض الصلاة ليس إيمانه كمن مات بعد فرض الصلاة وقد صلى، أو بعد فرض الصوم أو بعد فرض الحج، هو إيمان الجميع صحيح حتى تكون الصورة واضحة الإيمان صحيح للجميع لكن تفاوت الإيمان بحسب الأمر الذي أُمر به كل واحد منهم، لا شك أن من آمن بجميع الشرائع ليس كمن آمن بجزء من الشريعة، طب اذًا النقص الذي حدث للذين آمنوا في أول الأمر غير مؤاخذين عليه حتى تكتمل الصورة لكم النقص الوارد في الإيمان للذين ماتوا قبل نزول جميع الشرائع أو بلوغها أو حتى علمهم لو قلنا الدين اكتمل لكن لم يعلم بكل الشرائع الآن في ناس جاهلة لبعض الشرائع وهو لا يؤاخذ عليها أن كان هو لم يفرط طبعا في التعلم فنقصد ذلك وليس هذا نقص بالمأمور، بل هو نقص بالنسبة للكمال فقط، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف النساء بأنهن ناقصات عقل ودين وجعل نقصان العقل في شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ونقصان الدين أن إذا حاضت لا تصلي ولا تصوم هذا ليس نقصا فيما أمرت به لذلك لا تحاسب عليه، لكن الفارق أن لا شك بأن الذي صلى شهرا ليس كالذي صلى واحد وعشرين يوم، هنا في تفاوت في الإيمان؟ نعم، لكن هل النقص الذي عندها فيما أُمرت به؟ هي لم تؤمر به هنا فلا تحاسب على ذلك فهذا ليس نقصا في إيمانها هي، لكن هذا لا ينفي بأن كمال الإيمان أعلى لمن صلى شهراً على من صلت واحد وعشرين يوم فقط، طب هذا كله كان الوجه الأول فيما أُمر به المرء يبين لك كيف الزيادة والنقصان في الأمر.

الوجه الثاني الزيادة والنقصان من جهة الامتثال أو القيام بأمور الإيمان وهنا الناس يختلفون في قيامهم بما يجب عليهم وهنا تقع أساس الزيادة والنقصان، **يبقى الوجه الأول** هو حقيقةً بيان فقط أن الإيمان يزيد وينقص فيما أُمر به، لكن ما نريده حقيقةً في الوجه الثاني، وهو أن الوجه الثاني هنا الإجمال والتفصيل في اختلاف الناس في قيامهم بما يجب عليهم، يجب عليهم فيما أمروا به من شرائع وهذا الذي يقع فيه الزيادة والنقصان، يعني مثلاً من آمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقاً كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم آمن به ولم يكذبه انتبهوا هذه حالات مهمة، آمن بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقاً فلم يكذبه لكن أعرض عن معرفة الأوامر والنواهي، هذه حالة ماشي؟ قلنا أول شيء آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذبه قط لكنه أعرض عن معرفة الأمر والنهي والخبر وطلب العلم الواجب ، فلم يعلم الواجب الذي عليه ولم يعمل به بل اتبع هواه هذه حالة، وآخر آمن بما صدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقاً ولكنه طلب العلم الذي أمر به وعمل به تمام؟ **هذه الحالة الثانية**، والآخر آمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يعني صدق وطلب العلم ولم يعمل به **هذه الحالة الثالثة**، كل الثلاثة اشتركوا في الوجوب يعني كلهم وجب عليهم أصلاً الشرع الأوامر والنواهي، لكن تفاوتوا من جهة ايش؟ التطبيق بقى هنا القيام به. فهنا حدث النقص والإيمان وزيادة الإيمان وكمال الإيمان، فكل من طلب العلم مفصلاً وعمل به فإيمانه أكمل ممن طلب العلم وعرف ما وجب عليه والتزمه وأقر به ولكن لم يعمل به، وكل من طلب العلم ولم يعمل به إيمانه أكمل ممن أقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واعترف به لكنه ترك العلم والعمل به.

طبعاً هو في هنا تفاوت ممكن يبقى فيه إثم كمان عند الأخير، نحن بنتكلم عن الترتيب هنا في الزيادة والنقصان ليبين لك ذلك، هذا وجه.

وجه ثالث في معرفة زيادة الإيمان ونقصانه من جهة العلم والتصديق نفسه، نحن عرفنا الإيمان حتى تستحضرها من قبل قلنا أن هو تصديق في القلب وقول وعمل، فهنا هيكون من جهة الوجه وهذا من جهة أن العلم والتصديق نفسه للمؤمن يكون بعضه أقوى من بعض، وهذا طبعاً باليقين وعدم الشك، وهذا أمر ظاهر يعني مثلاً رؤية الناس للهلال ممكن كله يشترك لكن في واحد يرى الهلال أوضح من الثاني صحيح؟ صوت الآذان ممكن واحد يسمعه أوضح من الثاني، الرائحة التي تشم واحد يشم أكثر من الثاني، بل تذوق الطعام واحد يتذوق أكثر من الثاني، كذلك معرفة القلب وتصديقه يتعاظم الناس أو يتفاضل الناس في معرفة القلب والتصديق. **طب وكيف ذلك؟ يكون ذلك وهو تفاضل الإيمان زيادة ونقصاناً من جهة تفاضل أصحاب الإيمان هؤلاء في العلم بأسماء الله وصفاته وأوامره ونواهيه ودرجة التصديق وقوة اليقين، فكلما كانت درجات العلم والتصديق أقوى كان إيمانه أقوى وكان أكمل.**

للإمام النووي كلام مهم جداً في هذه المسألة لأنه يبين يظهر فيها أيضاً اعتقاد أهل السنة والجماعة قال (والأظهر والله أعلم أن نفس التصديق -وهذا الذي نريده- يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض) وهذا يبين لك أنه هنا بيقر في هذه النقطة -طبعاً لا نتعرض لهذه المسألة عقيدته تحديداً- لكن أتكلم أن يبرز فيها قول لأهل السنة في مسألة أن التصديق لأن هذا **ليس عند المبتدعة فالطوائف المخالفة أقرت بأن التصديق يتفاضل**، بل هم لا يقولون أصلاً بزيادة الإيمان ونقصانه لكن هم يقولون تصديق واحد فقط، هو هنا يبين لك أن نفس التصديق يتفاضل وهذا من قول إبراهيم عليه السلام **(رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ)** فزاد الاطمئنان في القلب بكثرة النظر لما يرى معجزة الله عز وجل أن يرى الله عز وجل وغير ذلك، فهذا دلالة على زيادة التصديق الذي في القلب، وهذا يبين لك أن تفاضل الإيمان يظهر لك في التصديق والعلم القلبي أيضاً.

ثم وجه آخر رابع أن التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمل القلب، ما هي اعمال القلوب؟ عمل القلب ما هو؟ الخوف والرجاء والخشية والرغبة في الجنة والهرب من النار، كل هذه يريد أن يقول للناس أن التصديق المستلزم لعمل القلب أكثر من التصديق الذي لا يستلزم عمل القلب فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به صاحبه. يبقى هذا وجه آخر في مسألة التصديق المستلزم لعمل القلب وكيف يكون بالخشية والمحبة والرجاء وغير ذلك، **لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليسَ المُخبَرُ كالمعايِنِ)** طب في دليل في الشرع على هذا الحديث ليس المخبر كالمعاين؟ والله القصة بتسمعوها ليل نهار وبتقولوها وبتسمعوها في السور في القرآن ليس المخبر كالمعاين، تمام قصة موسى هو الأول الله عز وجل قَالَ

(فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) صح؟ وأخبره أن قومه عبدوا العجل، فما ألقى الألواح، لكن لما رجع ورآهم يعبدوا العجل ما احتمل ألقى الألواح ونزل عليهم، إياك أن تظن أن موسى شك في خبر الله لأنه الله يعلم أن الله أخبره بما حدث لكن يبين لك الله أخبره بأنهم فعلوا ذلك، ليس شكاً طبعاً موسى في خبر الله عز وجل له حاشاه ذلك، لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر قد لا يتصور المخبر به بنفسه إلا لما يراه، فلما يراه ينقدح في قلبه شعوراً زائداً، لذلك لو واحد قعد يحكي لك قصة وبعدين بعد ما حكى لك القصة جاب لك الفيديو بتاعك

فرأيتها بعيني إحساسك لما رأيتها بالعين غير لما كنت تسمع حتى أو تخبر بذلك، وهذا المقصود أن التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق المجرد، كذلك العلم الموجب للعمل أكمل من العلم المجرد عن العمل، تلازم بين العمل مع التصديق أو العمل مع العلم.

الوجه الخامس أن أعمال القلوب مثل المحبة محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه كلها من الإيمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة، نعم أعمال القلوب فقط قلت وهذا يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً في الأعمال نفسها، الأول كان التصديق فقط الذي هو قول القلب، هنا أعمال القلوب أيضاً يحدث فيها التفاضل وأدلة هذه طبعاً كثيرة قول الله عز وجل (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) إذاً زاد الإيمان ووجل القلب لما ذكروا الله عز وجل فتأثروا بذلك وازدادت قلوبهم خاشية.

الوجه السادس أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الإيمان ويتفاضل الناس فيها، كل هذه أوجه زيادة الإيمان ونقصاناً، الأعمال الظاهرة مع الباطنة أيضاً من الإيمان والناس يتفاضلون فيها، كما أن الأعمال الباطنة تزيد وتنقص وكذلك الأعمال الظاهرة تزيد وتنقص، فمثلاً الذي يذكر الله عز وجل مئة مرة مثل الذي يذكر خمسين الذي يهلل ويكبر ويسبح ويذكر الله هذه أعمال ظاهرة صحيح؟ تتفاضل بكثرة الأعمال، بل قد تفاضل باستحضار القلب لهذا الذكر وإلا بعض الناس بتذكر طول ما هي تسير تمسك السبحة وقاعدة بتقلب فيها كده بيديها لكن ممكن القلب ما يكونش خالص مع إنه بيقول بلسانه، فالناس حتى في الأعمال الظاهرة بتتفاضل إيمانهم سواء في كثرة العمل الظاهر أو في إخلاص العمل الظاهر أو تصديقهم فيه، كذلك الحج والجهاد وغير ذلك الناس كلها بتحج هل كل الناس بتحج يأخذ أجر الحج وترجع يوم ولدته امه؟ لا يختلف الناس في الأجور في الحج وكذلك في الصدقة بل في الجهاد أيضاً كذلك، هناك من حج هناك من جاهد الشجاعة وحمية ومن جاهد رياء وسمعة وهناك من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهنا يختلف أصالةً حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه الأعمال التي هي أعمال الظاهرة بيتفاضل فيها الناس أيضاً كما يتفاضل في الأعمال الباطنة قال تعالى (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)﴾ [الأحزاب : 41-42]) زيادة (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ) (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)هذه كلها أعمال ظاهرة ثم قال ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6)﴾ [المؤمنون : 1-6] كل هذه أعمال ظاهرة.

الوجه السابع من أين بقى يزيد الإيمان هنا؟ من أمر آخر استحضار المرء بقلبه ما يفعله من الطاعة بحيث لا يكون غافلاً عنه سبحانه وتعالى، فالذي أتى بالطاعة واستحضرها أكمل ممن

صدق وغفل عن الاستحضار، هذا يعني أن هناك فارق بين ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله عز وجل به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلاً أي استحضار ما تفعله دائماً ولا تكون غافلاً هذا أكمل وأصدق ممن صدق وغفل، بمعنى عندك تصديق وعندك علم- التصديق الأول والعلم- و استحضار هذا الأمر يكمل لك العلم واليقين بمعنى من صدق وغفل أدنى بمن صدق واستحضر، لأن الغفلة تضاد كمال العلم.

مثال أفضل للتوضيح قال تعالى {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (8)} [ق : 6-8] **هنا وجه الشاهد** (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) الآيات التي تراها الآن المخلوقة والمتلوة سواء آيات كونية أو غير شرعية فيها تبصرة وذكرى، تبصرة من العمل فهناك ناس لا ترى ذلك والتذكرة من الغفلة، لذلك العلماء قالوا فيُبصِر من لم يكن يعرف ويُذَكر من عرف ونسى، يبقى وأنت بتفعل هذه الأعمال فيها ذكرى وفيها تبصرة، لذلك بعض الناس وهذه مشاهدة بل موجودة حتى في الصحابة إنك ممكن تقف وتقرأ القرآن، وهذا الفارق الذي نحن بنقوله دائماً بين قراءة القرآن وهزه وقراءة القرآن والتدبر، واحد يقول لك أنا بصلي خلف حد بيقرأ وبسمع هذه الآيات وكأني لم أسمع من قبل طب ليه من ايش؟ تدبره للآيات وممكن المرء كل ما يقرأ يتدبر معاني لم يكن متدبرها من قبل ويظل ذلك طول حياته ممكن يقعد سنين وكأن الآية هذه ما تدبرها من قبل مثل هذا التدبر وفتح الله عز وجل فيه أن يخطر عليه بأمور لم يكن تخطر عليه، بل ممكن تقرأ الفاتحة وكم من الناس يقرأون الفاتحة لا يفقهون معانيها وكل ما تقرأ في الفاتحة تستخرج معاني الآية فالفاتحة هي أم القرآن، فيها كل القرآن هي الفاتحة كما قال ابن القيم في كتابه سبع آيات هذه التي في الفاتحة ممكن تأتي بها بكل القرآن الذي بعده إجمال الفاتحة ثم تفصيل كله الله عز وجل فصل فيها بعد ذلك وهذا تكون من ايش؟ من الغفلة عند الطاعة تستغرب ليش؟ الغفلة عند القراءة والغفلة عند التدبر، فالذي يقرأ مع الغفلة ليس كالذي يقرأ بالتدبر مع دون الغفلة هذا الذي يستحضر وهذا الذي أمر به عمر بن الخطاب في هول وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لما قام أبو بكر يخطب في الناس وقال من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمد فإن محمد قد مات ثم تلا قول الله عز وجل (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) قال عنهما كأني لم أسمعها من قبل، وطبعاً أكيد هو مصدق بها أنا لا أقول غفلة لكنه ذهل عنها قال كأني لم أسمعها من قبل وهو يعني لا شك أنه سامعها لكن هو استحضار المرء وأنا طبعاً هاخده مثال فقط ليس يدل على الغفلة عن عمر رضي الله عنه وأرضاه حاشاه ذلك أن أقول عنه لكن أنا اقصد أن ممكن المرء كأن الآيات تمر عليه وما يتذكرها لذلك كلما تذكر واستحضر زاد الإيمان وكلما غفل نقص الإيمان، وهذا لابد أن نراعيه ونحن نقرأ القرآن ولا نكون من الذين بيهزون القرآن هزاً، لذلك الصحابة كانوا يقولوا ما كنا نغادر عشر آيات من القرآن قبل أن نفهمها ونحفظها ونعمل بها وهذا كان دأب الصالحين أو دأب السلف أو دأب الصحابة أما نحن الآن فممكن أي حد يسمع القرآن كله في يوم لو عايز يقعد من بعد الفجر للمغرب هيسمعه ولو يعني كان عشرة عشرة عشرة تلات أيام ويكره القرآن وهو ممكن أصلاً ما يعرف التوحيد، للأسف كم من إخوة وأخوات من محفظي القرآن ليس انتقاصاً لهم أصحاب

القرآن لكن كم من شكاوى تأتي من أصحاب المعاهد والدور على أن محفظي القرآن لا يعرفون في العقيدة شيء وهم يتلون القرآن ويحفظون الناس ليل نهار ولا يعرف حتى أركان لا إله إلا الله ولا شروط لا إله إلا الله وهذا لا يليق بأهل القرآن أنهم يحفظون القرآن بين صدورهم ولا يفهمون معانيه فليس هذا الترتيل الذي يظنون بأنه سيقال له **(اقرَأْ ورتِّلْ كما كُنتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا)** لا ليس هذا الترتيل الذي هو تلاوة القرآن فقط بل الترتيل هو بالفهم والمعاني والعمل، وإلا كان المسألة سهلة أي حد هيحفظه ويبقى خلاص انتهى الأمر المسألة ليست في حفظه فقط فلابد من الاستحضار وهو العمل به.

الوجه الأخير في هذه الأوجه والتي ذكرها أيضاً شيخ الاسلام ابن تيمية وهذه مسألة بتحدث للبعض نتيجة لضعف الدين والجهل وعدم العلم أو هو ينشأ في بادية بعيدة أو ليس عنده علم فقد يكون الانسان مكذب ومنكر لأمور لا يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بها لا يعلم ولكن لو علم لم يكذب ولم ينكر بل هو قلبه جازم بأن ما أخبر به صلى الله عليه وسلم هو صدق وأنه لا يأمر إلا بالحق ثم لما يسمع الآية أو الحديث أو يفسر له المعنى يصدق بما كان مكذباً به من قبل أو عندما يعرف ما كان منكراً له فيؤمن به ويصدق، هذا يسمى ايش؟ تصديق جديد وإيمان جديد، فهذا إيمان زائد أيضاً من أوجه زيادة الإيمان وهذه ممكن تقولها لأي أحد يطلب علماً لم يكن يعلمه أو من جهل أموراً ثم تبين له هذه الأمور وعلمها ولم يكن يعلم أن النبي قال ذلك في هذا الموطن أو في هذه المسألة أو كذا، فممكن واحد لما تكلمه يكذب ويقول لك لا أنت جبت الكلام هذا منين؟ ليس في الدين هذا الكلام ، فتقول له لا بل النبي صلى الله عليه وسلم قال كذا و الله عز وجل قال كذا والمعنى كذا، فيقف ويقول آمنت بالله وبرسول الله، هذا الذي آمن به في وقتها إيمان جديد وتصديق جديد وزيادة في الإيمان لم يكن وهو قبل أن يكن كفراً ولا جحودا لأنه كان جاهلاً بهذه الأمور، فلا تظن أن كل الناس بتعلم فروع الشرع لأ، هذا أنت لما تعلمه هذا يبين لك كل ما يتعلم الذي يجهله تصديق وإيمان جديد فهذا وجه أيضاً من وجوه زيادة الإيمان.

تبقى لنا في الختام الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الإيمان أو نقصانه، لكن قبلها سنشير إلى مسألة سئل عنها شيخ الإسلام ابن تيمية هو سؤال أيضاً خاص بهذه المسألة قال وجه إليه ما الأسباب التي يتقوى بها الإيمان؟ ثم خيروه من ثلاثة قالوا الزهد ولا العلم أم العبادة؟ يعني أيهم يرتب أولاً؟ الزهد يرفع به الإيمان، العلم يقصد به الإيمان أيضاً أو العبادة، عنده ثلاثة هو سئل قال هل يعني الأسباب التي تقوي الإيمان كالزهد والعلم والعبادة؟ هل هي على الترتيب؟ أم أيها يبدأ بها المرء، يعني يبدأ بالزهد ولا يبدأ بالعلم ولا يبدأ العبادة، جواب الشيخ في هذه المسألة أنا سأختصر لكم لأن هي من الأهمية بمكان، الجزء الأول وذكر أنه لابد من الإيمان الواجب والعبادة الواجبة والزهد الواجب وهذا لا يمكن أن يتخلى عنه المرء، يعني لابد أن يكون عند كل أحد قدر من الإيمان الواجب الذي هو أصل الإيمان لو قلنا والعلم الواجب لو قلنا الذي هو المعلوم الديني بالضرورة أو ما يحتاج إليه المرء في حياته، لو كان تاجراً لابد يعلم كيف يتاجر لو كان يحج يعرف كيف يحج؟ كيف يصلي ويتطهر؟ كيف يزكي؟ كيف يصوم؟ هذا علم واجب وعبادة واجبة وهي الفرائض أقل شيء يعني لو قلنا بذلك، هو يقول الآن لابد من الإيمان الواجب والعبادة الواجبة والزهد الواجب، ثم الناس يتفاضلون في الإيمان كتفاضل شعب الإيمان وكل إنسان يطلب ما يمكنه طلبه ويقدم ما يقدر على تقديمه والناس يتفاضلون في هذا الباب، كأنه يريد أن يقول أن الأصل الواجب هذا لابد تأتي به ثم بعد ذلك الناس تتفاضل، فهناك من له في الزهد فيتفاضل في الزهد ولا يقدر على العلم ولا العبادة، وهناك من له في العلم فيتفاضل في العلم ولا يقدر على الزهد ولا على العبادة، وهناك من يتفاضل في العبادة ولا يقدر على

الزهد وعلى العلم، قال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) طيب لو تزاحمت شعب الإيمان عنده ما الذي يقدمه؟ قال قدم ما كان أرضى لله وعليه هو أقدر، تاني نحن نتكلم في حق الإنسان ليس في العموم ليس في ترتيب على العموم، يعني الآن تفاضل عند أحد الزهد ولا العلم ولا العبادة؟ ازدحمت الشعب عليه وهي كثيرة، فقال قدم ما كان أرضى لله لو شئت وهو عليه أقدر هذا أول شئ، و هو مستطيع أن يفعله، بمعنى قد يكون على الشيء المفضول هو أقدر على فعله من الفاضل ويحصل له بسبب فعله أكثر مما يحصل له بسبب الفاضل، بمعنى ممكن يصحى من الليل وهو مش قادر يصلي، الصلاة ثقيلة عليه أكثر من قراءة القرآن والذكر ونحن نعلم أن الصلاة مقدمة عن قراءة القرآن والذكر لكنه هنا هو الذي أقدر عليه انه يقرأ القرآن ويذكر الله عز وجل وهذا مفضول لو قرأ وذكر قد يكون فيه إخلاصاً أكثر لله ويصبح في قلبه إيمان أقوى عن إن قام يصلي وهو لا يستطيع الصلاة فقد يعني يشعر بالضيق والحرج فما يستحضر، فما يكون فيه رضا أكثر لله ولا زيادة في الإيمان في القلب مع أن الفاضل هنا الصلاة والمفضول هنا قراءة القرآن والذكر، لكن هو ما يريد الشيخ أن يقول لك ايش؟ قدم ما كان أرضى لله مع ما هو عليه أقدر، لذلك الناس بتتفاضل في هذه المسألة وقد ينتفع بالذكر فقط أكثر من القراءة قال ما أستطيع أقرأ لكن ممكن أذكر، فممكن الذكر ينتفع به قلبه ويكون أعظم مما ينتفع بالقراءة.

(فأي عمل كان له أنفع ولله أطوع أفضل في حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه بل على وجه ناقص ويفوته به ما هو أنفع له) وهذه مسألة مهمة جداً لابد المرء يتدبر قلبه، أصل هو الناس بتقلد بعضها بعضاً والعبد لازم يكون فقيه أو يتعلم كيف يرضي الله عز فلا يشترط أنك ترى واحد الذي هو بيصلي طول الليل وسمعت عن فلان ولا فلان ابوك بيصلي طول الليل وأنت لا تستطيع فتحبط أو أنك أنت تريد تفعل مثله وأنت لا تشعر بهذا الإحساس الذي عنده لأ ابحث عن ما تجد قلبك فيه حتى لو مفضول وأفعله فيكون هذا مرضاة لربك أعلى ويزيد عليك وليست المسألة أن الناس بتعمل إيه فأنا بعمل مثلهم لأ، هو نعم ممكن تعالج قلبك أن الذي الشيء الذي فيه ضعف أنك تقويه لكن المهم أنك وأنت بتعمل تعمل ما عليه وهيكون فيه شدة الإخلاص والرضا لله عز وجل ولا تعمل ما تراه الناس بيفعلوه لمجرد أن الناس بتفعله بيعملوا العمرة فأنت رايح العمرة الناس رايحة الحج أنت رايح الحج الناس هتصلي تراويح في ناس بتقف أنا لا ادخل في القلوب بس أعلم الناس بتنزل تصلي ممكن بالأربع خمس ساعات هو يرى أن كل مجموعته بتصلي كده وهو بيجاهد ممكن يقول اه أنا لا ألومه بس هو مش مستحضر هو بيروح يقعد ممكن بثلاث أربع ساعات في رمضان ويصلي وبيطلع متأخر لكن هو مش واجد في قلبه المسألة يقول لي أنا ممكن لو أنا صليت في البيت أجد قلبي أكثر أقول له صلى في البيت لو وجدت قلبك في صلاة البيت أخشع صل في البيت وما تنزلش تصلي لو وجدت أنك لما هتطول في الصلاة أنت ستمل ومش قادر وحاسس بالسآمة وما تستطيعش لأ صلي ولو نصف ساعة أو ساعة أقدر لك بينك وبين ربك وأخشع وبعدين أبقى درب نفسك على كثرة الصلاة و لكن ما تفعل لمجرد الناس يفعلون.

لذلك هو الشيخ هنا بيبين أصل مهم جدا وهو أنك أي عمل كان للمرء يعني أنفع ولله اطوع و أفضل في حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه بل على وجه الناقص ويفوته به ما هو أنفع له، وهذه مسألة من الأهمية بمكان.

أوصيك بمسألة مهمة في الزهد أيضاً نحتاج نذكر أنفسنا بها وهذا موجود هنا في ثمرات القاعدة هذه حقيقة . ايش الزهد؟ الزهد هو ضد الرغبة يعني هو الكراهة والبغض أنك تكره وتبغض الشيء تزهد فيه، لكن ما هو الزهد الحقيقي ؟ التعريف الدقيق للزهد أن يكون كراهة

العبد وبغضه وحبه تابعاً لحب الله وبغضه فيحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغض الله ويرضى ما يرضاه الله ويسخط بسخط ما الله به بحيث لا يكون تابعاً لهواة بل لأمر مولاه

أنت ممكن تسمعها أحد يقول لك الراجل هذا زاهد يقول لك النصارى عندهم زهاد والقبوريين عندهم زهاد والصوفية عندهم زهاد وأهل البدع عندهم زهاد، فأنت بيختلط عليك الأمر كيف الزهد يجي مع الناس دي أصلا موجود ليه؟ هو هذا الذي إحنا نريده لأن كثيراً من الزهاد في الحياة الدنيا أعرضوا عن فضول الدنيا لكن لم يقبلوا على ما يحبه الله عز وجل، يعني هو ترك فضول الدنيا لكن لم يقبل على ما يحبه الله ورسوله، في واحد بيزهد في الدنيا عايز الراحة قال لك أنا زاهد في الدنيا مش عايز أشتغل ولا عايز فلوس كتيرة ولا أي حاجة هأكلها شوية عيش وخلاص زاهد في الدنيا عايز يرتاح هو مش عايز حاجة هو زاهد في الدنيا حقاً وفي طلب الراحة أو مش عايز يتعب يعني مش عايز ينزل يشتغل ويتعب ويجتهد وراضي يقول لك أنا زاهد في الدنيا يظن أن هذا زهد، فمنهم من يزهد في تعب الدنيا عشان الراحة ومين من يزهد في المال أصلا ليرتاح أيضاً لا يريد أن يعمل عشان يرتاح فيزهد في المال لذلك هذا ليس الزهد الذي أمر به الله عز وجل وليس أمر به النبي صلى الله عليه وسلم.

الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم أمر أن تزهد فيما لا يحبه الله ورسوله هذا الزهد الصحيح تزهد فيما لا يحبه الله ورسوله وترغب فيما يحبه الله ورسوله فيكون الزهد هو الاعراض عن ما لا يحبه الله ورسوله هذا هو الزهد أنك تعرض عن ما لا يأمر به الله عز وجل وأما ترك المكروه بدون فعل محبوب لله عز وجل أو للنبي وسلم فهذا ليس بالزهد طيب هذه النقطة كانت مهمة

تعقيب من الشيخ

المطلوب هو أنك تفعل ما يحبه الله عز وجل ورسوله، وأنت لما تفعل ذلك ستكره المكروه يعني ما هتفعل ما يحب الله ورسوله فبالتالي باللزوم ستترك المكروه، لكن ترك المكروه بدون أنك تزهد فيه بدون أنك تفعل ما يحبه الله ليس مراداً أيضاً، المراد أنك لو تركت هذا زهداً أنك تفعل ما يريده الله ما يأمرك به الله عز وجل ما يحبه الله حتى تحقق الزهد

تعقيب من الشيخ علي أحد الطلبة

أنا عايز أقول لك أنت بتفعل المأمور به وبتزهد فيما لا يأمرك به الله عز وجل هو هذا الزهد الذي قلناه طيب لابد لو تركت كمان المكروه ولم تفعل المحبوب لله عز وجل فليس هذا بزهد يعني أنت ممكن تترك أشياء مكروهات مش عايز تفعلها زهد مش هنقول التوسع في المباحات لأ المكروهات مثلاً، طبعاً أنت مأمور بترك المحرم ومأمور بفعل الواجب نعم لو تركت المكروه وبدون فعل محبوب قال هذا ليس مطلوباً، المطلوب أنك تفعل لو هتترك تفعل مع الترك تترك المكروه وتفعل المحبوب وأما ترك مكروه بدون فعل المحبوب فهذا ليس المطلوب منك.

أسباب زيادة الإيمان أنا أقولها سريعاً لأن هي مش محتاجة شرح إحنا هنمر عليها لأنه هي آخر الختام أسباب زيادة الإيمان وأسباب نقص الإيمان وهى ذكرها كثير من العلماء

الإكثار من تلاوة القرآن وتدبر المعاني وفهم الآيات

العلم بأسماء الله وصفاته ومعرفته وعظمته وجلاله سبحانه وتعالى

طلب العلم النافع الذي يورث العمل والخشية

الإقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وإتباع هديه

معرفة محاسن دين الإسلام وشرائعه التفكر في الاء الله ونعمائه

والاكثار من الدعاء والذكر والاستغفار والتهليل

الإجتهاد في الطاعات والقربات أعظمها الجهاد في سبيل الله و الذي يثبت به صحة الإيمان وفيه براءة لصاحبه من النفاق عند القتال عند الموت

استغلال المواسم الرابحة كما يقال عشر ذي الحجة رمضان العشر الأخيرة من رمضان عاشوراء الاعتكاف في الحج والعمرة إلى غير ذلك

شد الرحال إلى المساجد الثلاثة

قراءة في سير السلف والصحابة رضوان الله عليهم والتأسي بهم

مجالسة الأخيار ومجانبة الأشرار

حضور مجالس العلم والذكر وطبعا أعظم من ذلك كله أو يعني من ضمن كما قلنا العلم كله والعلم الشرعي في ذلك

بعض الطاعات بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران كل هذه الأسباب تزيد الإيمان توطيد النفس على مقاومة جميع ما ينافي الإيمان كل ما ينافي الإيمان من شعب الكفرو النفاق لابد أن يوطء النفس على أنه يقاومها في ذلك منها الفسوق والعصيان وغير ذلك وأن أجتهد في الشعور بحلاوة الإيمان ويحاول بذلك فإذا وجد القلب حلاوة الإيمان والنقيض أحس بمرارة الفسق والكفر والعصيان فما يستطيع أن يتجرعه مثل أنت بتشرب شاي فيه مقدار من السكر فإذا ما يوضع لك هذا السكر ما تستطيع تشعر بالمرارة فأنت كذلك أن شعرت بحلاوة الإيمان ستشعر بمرارة المعصية والذنب فما تستطيع أن تقترب منه ولو فعلته تسارع في التوبة والمغفرة التي لا تتقبلها

الدعوة إلى الله لا شك ونشر التوحيد وتعليم الناس

النظر في أحوال أهل الكفر والفسوق والعصاة وما يعيشونه من ضلال ومن ضياع فتحمد الله عز وجل على نعمته وعليك بأنه نجاك من ذلك

الزهد فيما لا يحبه الله ورسوله كما بينا الكسب الحلال والرزق الحلال

أيضاً سلامة الصدر وهذه من أهم الأمور من الحسد والرياء والبغضاء والشحناء هذي الذي لا بد أن يعالجها المرء

وأهم من ذلك كله الخوف على الدين والشح فيه وعدم التهاون والمداهنة والتنازل فيه وهذه نحتاج أن نربى أنفسنا أبنائنا وإخواننا على هذا الخوف على الدين والشح فيه وعدم التهاون والمداهنة والتنازل في الدين كما الناس تخاف على الدنيا ولو قلت هات له بس جنيه من أموالك انظر ماذا يفعل فيك يقاتلك ولو حب أحد يأخذ شيء من أملاكه انظر ماذا يفعل لابد أن الناس تخشى على الدين أكثر من الدنيا بل أكثر من أنفسهم بل يقدموا مهج الأنفس للدين لعلو الدين

ونشر الدين والمحافظة على الدين هذا من أهم الأمور وهذا الذي يعلو به المرء أن يجد نفسه خائفا على هذا الدين ولا يداهن فيه ولا يتهاون فيه ولا يتنازل في أمر من أمور الدين

أما أسباب نقص الإيمان وهي كثيرة

الغفلة والاعراض عن ذكر الله وقراءة القرآن الجهل بالدين

والتقليد الأعمى وهو من أكثر الأسباب لنقص الإيمان

إرتكاب المعاصي والآثام لا شك في ذلك أن إتباع النفس والشيطان والإبتداع في الدين من اسوأو أعظم أسباب نقص الإيمان الابتداع والبدعة في الدين الإقتداء بالقدوة السيئة التشبه بأهل الكفر والمعاصي إتباع الهوى وعدم مجاهدة النفس

إتباع الأئمة المضلين من أهل الأهواء والبدع الذين يضلون الناس

الإفراط والتفريط في الدين

إتباع الشهوات

التقصير في الطاعة والقربات

الجهل بأسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله والاءه سبحانه وتعالى

الحرص على الدنيا والاعراض عن الآخرة وكم بنقول وهذه من أسوأ الأمور أنه يحرص المرء على الدنيا كما الانشغال بالاموال والأولاد ونسيان الدار الآخرة وأغلب الناس هي كل حياتها ليل ونهار منشغلة بأمور الدنيا بالمال والأسعار والأولاد وبعض الناس فتنوا حتى بالأولاد هو همه الليل والنهار أنه يحسن للأولاد يعلمهم ويربيهم ويجيب لهم الذي هم عايزينه واصبح في فتنة لذلك صحيح هو مسئول عن أولاده أن يراعيهم ويهديهم إلى الحق لكن المسألة كلها من عند الله أنت سبب فقط وبعض الناس أيضاً بتنشغل بألاسباب ويصور لها انها اسباب دينية وبها ينشغل عن الأمور الأهم فالانشغال بالاموال والأولاد ونسيان الدار الآخرة هذه من أسباب نقص الإيمان التكاسل عن الطاعة عدم استغلال الأوقات في الأعمال الصالحة

ضعف الهمة والعزيمة

والاستهانة بالمعاصي حتى تورث الاعتياد والإدمان عليه وهذه مسألة مصيبة أنه يستهين بالمعصية في تكريرها أشد من ذلك أيضاً في زمننا بقى عرض النفس على مدارك الفتن تعرض نفسك على مدارك الفتن ودي مصيبة بقى أنت بتدخل نفسك في مجتمعات في مواقع في منتديات في وسائل الإعلام بقى الموجودة فتجد بقى تنظر إلى حرام تسمع حرام تفتن بالكلام الذي موجود وهذه المفترض أنك تعرض عن مدارك الفتن وتبتعد عنها حتى لا ينقص إيمانك بذلك عدم الشعور بالمسئولية تجاه اهل الإسلام يقول لك إحنا ما لناومالهم ما دام الأمر بعيد عننا لا إشكال اين اخوة الإسلام واخوة الإيمان لذلك من يقول ذلك عنده نقص في الإيمان لا يشعر بالمسئولية تجاه الإسلام ولا أهل الاسلام بل لو أصاب اخ لنا في الإسلام في أقصى الأرض شيء لابد أن نحزن له و ننفض له ونقوم له وهذا من ضعف الإيمان عدم الشعور بالام الأمة الإسلامية انها جسد واحد وهذا الذي أراده العدو لنا وقد حدث تقطعت الامغة وأصبح كل واحد يقول لك الدولة بتاعتنا والدولة التانية والدولة التالتة وكل واحد شغال على ذلك وتقطيع الدول هذا كان المقصود منه تقطيع الأمة أصلا فاصبح كل واحد منزوي في دولته وليس له علاقة

أصلا أكلت يوم أكل الثور الأبيض هو أصلا الجسد واحد الأمة الإسلامية جسد واحد إذا اشتكى منها عضو تداعى له ساءر الجسد بالحمى والسهر فنحن أين من اخواننا؟ ومن جسد الأمة الواحدة؟ فلابد أن الناس ترجع مرة أخرى وتعلم باغن المسلم في ايغ مكان هو مسلم الهوية هو مسلم مش مهم بقى مثلا نقول جنسية كذا وكان موجود من أيام الشاميين والعراقيين والمصريين والجزيرة والحرمين وخراسان وغير ذلك لكن كانوا كلهم أهل الإسلام ينتفضوا لبعضهم بعضا ويصدق بعضهم بعضا ويحزن لبعضهم ويفرح بعضهم لبعض وكان هذا هو الأصل ولابد أن يعود إحساس وشعور المسلم بأخيه المسلم في أي مكان كان يفرح لفرحه ويحزن لحزنه واما ما غير ذلك فهذا من أسباب نقص الاغيمان وهذا هو آخر الكلام لهذه القاعدة سامحوني عالاطالة لكنها من الأهمية بمكان فنختم بهذا القول من هذا الكلام سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك و اتوب اليك لو في اسئلة خمس دقائق

سؤال

من يصل لهم العلم من علماء لا يتحدثون إلا عن مغفرة الله ورحمته فيظنون أن من يتحدث عن العذاب يريد ازعاجهم بل هو متشدد فهل يحاسبهم الله بقدر ما وصل لهم من العلم ولا يأخذهم بجهله يا شيخ؟

الاجابه

الحقيقة سؤالك مش مفهوم ما تقصديه ما دام الكلام الذي قلت عليهم كلاما صحيحا شرعيا خلاص

تعقيب من الشيخ

لا هو مش مطالب أنه يعلم الشريعة بالتفصيل هو لا عذر في الجهل في معلوم من الدين بالضرورة والفرائض لكن هو ليس كل أحد مطالب أنه يتعلم العلم الشرعي فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا الآيات

فاذا المسألة كلها ليس هو مطالب أن يعرف كل لكن ما يعرض عليه من أمور فرائض هو الذي يسأل عنها والجهل بالفرعيات أو الشيء الذي ليس فرائض لا يضره

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك واتوب اليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة المرحلة التأسيسية الخاصة بقواعد في أبواب العقيدة.

كنا قد بدأنا في القواعد الخاصة بالإيمان وتكلمنا في أول قاعدة عن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة ثم تكلمنا في القاعدة الثانية عن زيادة الإيمان ونقصانه أيضا عند أهل السنة والجماعة.

اليوم نتكلم عن العلاقة بين الإيمان والإسلام ومتن القاعدة: بين الإسلام والإيمان عموم وخصوص، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أولا سنبين أقوال أئمة السلف في التفريق بين الإيمان والإسلام وعدم التفريق، والقول الراجح في المسألة، ثم نتكلم عن معنى الإيمان والإسلام عند الانفراد والاقتران، ثم نبين في آخر القاعدة ثمرة التفريق بين الإيمان والإسلام من خلال الكلام عن أيضا البيان بين فرق الإسلام الحكمي والإسلام الحقيقي..

طيب نبدأ أولا بالكلام عن أقوال أئمة السلف في التفريق بين الإيمان والإسلام لأنه ثبت من أئمة السلف خلاف في هذه المسألة على ثلاثة أقوال ألخص الأقوال ثم نبين أدلة كل قول والترجيح، وقلت هنا الخلاف بين أئمة السلف وإن وافق أئمة السلف بعض الطوائف كما سنبين كل قول له طائفة مبتدعة قالت به، لكن هناك خلاف بين أئمة السلف في هذه المسألة وهو **هل الإسلام والإيمان شيء واحد؟ أم هناك فرق؟ هل هما اسمان لمسمى واحد؟ أم هناك فرق بين الإسلام الإيمان؟ والعلاقة بينهما؟ عندنا ثلاثة أقوال..**

القول الأول إن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد،

والقول الثاني إن الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل،

والقول الثالث وهو القول بالتفريق بينهما بين الإسلام وبين الإيمان، وأنا أنبه على أن هذه الأقوال الثلاثة وردت عن أئمة السلف وسنبدأ بكل قول مرة أخرى الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد، الإسلام هو الكلمة والايمان هو العمل، التفريق بين الإسلام وبين الإيمان كما جاء في حديث جبريل عليه السلام وهذا عليه جمهور أهل السنة والجماعة.

قلنا القول الأول هو الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد، وأشهر من انتصر لهذا القول الإمام محمد بن نصر المروزي عليه رحمة الله تعالى وذكر أدلة كثيرة في ذلك في كتاب مشهور له باسم تعظيم قدر الصلاة، طبعا هو في كتابه هذا قال بهذا القول وأيضا الإمام ابن عبد البر نقل هذا الكلام أيضا، وهم الاثنين نقلوه على انه كأنه يقول به الجمهور الاعظم من أهل السنة والجماعة أو أصحاب الحديث، حتى أن الحافظ ابن عبد البر نسب هذا القول لأكثر أهل الفقه خاصة من أصحاب الشافعية والمالكية على أنهم يقولون بإن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد، وأيضا ممن انتصر لهذا القول الإمام أبو بكر الإسماعيلي وأيضا الإمام البخاري في صحيحه قد بين في تبويبه على أنه الإيمان عنده والإسلام بمعنى واحد، ويقصد به الإسلام الحقيقي لأن سيأتي معنا في آخر القاعدة الفرق بين الإسلام الحقيقي والإسلام الحكمي هو البخاري يتكلم أو يقصد أن الإسلام الحقيقي مرادف للإيمان، لذلك تجده بوّب عنده في الصحيح باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف، ثم ذكر قول الله تعالى **"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ"** فمقصد البخاري أيضا على أنه يرى بأن الإسلام الحقيقي مرادف للإيمان.

وأيضا ممن ذكر هذا القول الإمام ابن حبان وأيضا الإمام ابن منده وهو من أئمة السلف وله كتاب في الإيمان مشهور.

إذا كل هؤلاء قالوا إن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد طيب ما أدلة هؤلاء؟ استدلوا ببعض الأدلة وذكر الإمام المروزي في كتابه تعظيم الصلاة هذه الأدلة أيضا قال الدليل الأول أن أصل الإيمان هو التصديق بالله وبما جاء من عند الله ولا يكون اللي هو الإيمان اللي هو التصديق إلا بالخضوع والاستسلام وهذا لا يكون إلا بعد التصديق فإذا صدق بالله خضع له واستسلم، وبما أن الإسلام هو الخضوع والاستسلام وهذا لا يكون إلا بعد التصديق فإذًا فالإسلام والإيمان كل منهما داخل في الثاني، فاستدل بذلك على أن الإسلام والإيمان واحد، مرة أخرى، قال إذا كان أصل الإيمان هو التصديق بالله وبما جاء من عند الله ولا يكون التصديق إلا مع الخضوع والاستسلام ولا يكون خضوعا واستسلام إلا بعد تصديق أولا قال فإذا صدق بالله خضع له

واستسلم، ولأن الخضوع والاستسلام هو معنى الإسلام ولا يكون إلا بعد التصديق اللي هو الإيمان إذًا فالإسلام هو الإيمان فالثاني يدخل في الأول، فالخلاصة هو يريد أن يقول لك كما بينت الآن على أن الاثنين هم معنى واحد الإيمان أصله التصديق والتصديق لا يكون إيمانا إلا باستسلام وخضوع اللي هو في معنى الإسلام والاستسلام والخضوع لابد أن يأتي بعد التصديق أصلا لأن هيستسلم ويخضع كيف إلا أن يكون صدق. فإذا الإثنين دخلوا في بعض فإذا الإيمان والإسلام واحد اسمان لمسمى واحد. كما قال الله عز وجل لإبراهيم أسلم قال أسلمت أي استسلمت وخضعت وانقدت.. إلى غير ذلك.

طب هل هناك أدلة على أن الخضوع لا يكون إلا من تصديق؟ **نعم** يعني هو لابد أن الخضوع يكون بعد تصديق والتصديق لازمه أيضا الخضوع والاستسلام.. قالوا ابليس عرف الله عز وجل لكنه لم يخضع ولم يستسلم لما أمر بالسجود لم يخضع ولم يستسلم فلم تنفعه المعرفة، ولم تعتبر المعرفة إيمانا لأنه لم يخضع معها للطاعة التي أمره الله عز وجل بها، فإذًا سلبه الله عز وجل اسم الإسلام الإيمان لماذا؟ لأنه لم يخضع مع أنه عرف فلما لم يخضع ولم يستسلم مع أنه قد عرف لا يعد ذلك مسلما ولا مؤمنا. أيضا قالوا اليهود أخبر الله عز وجل عنهم **"الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ"** فعرفوا لكنهم لم تقارن المعرفة هذه تصديق ولم يقارن معها خضوع واستسلام لأن من صدق يخضع ومن خضع قلبه أقر وصدق بلسانه، هم لم يفعلوا ذلك فلم يعدوا من أهل الإيمان ولا الإسلام. ومما يدل أيضا على أن الإسلام بمعنى الخضوع والاستسلام من قوله تعالى **"وله أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا"** طيب احنا بنستدل من الآية دي فقط على أن الإسلام بمعنى الاستسلام لماذا؟ لأن لا يستدل بها على مسألة الإسلام الحقيقي لأنه قال: **"وله أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا"** طوعا المؤمن وكرها الكافر فنحن فقط بنستدل على أن الإسلام بمعنى الاستسلام وإلا هذا ليس استسلام حقيقي يعني ليس إيمان لأن الكافر وإن استسلم كرها لكنه لم يؤمن، لكن احنا بناخد من الآية أن الإسلام فيه الاستسلام والخضوع، إذا استدل أئمة هذا القول على أن التلازم بين الإسلام والإيمان واحد، لا يمكن أن يكون إيمانا إلا لما يصدق ولابد للتصديق من خضوع واستسلام، إذًا الخضوع والاستسلام هو معنى الإسلام والتصديق هو معنى الإيمان إذا الإيمان والإسلام واحد.

طيب أيضا استدلوا من قوله تعالى **"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ"** فقالوا الإسلام الذي رضيه الله عز وجل في الإيمان والإيمان هو الإسلام لأنه قال **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** فلو كان الإيمان غير الإسلام لكان من دان لله بالإيمان غير مقبول منه لكنه من دان لله بالإيمان مقبول منه إذا الإيمان بمعنى الإسلام.. مش فاهمينها؟

قال: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ فالله قال فمن يبتغي غير (الإسلام) دينا هو هذا القول اللي بيقول إن الإسلام والإيمان واحد، طيب فلو كان الإيمان غير الإسلام لكان من

دان لله بالإيمان لم يقبل منه، لأن ربنا تكلم عن الإسلام، فلو الإسلام غير الإيمان يبقى من دان بالإيمان لم يقبل منه، لأن الآيات تقول يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فأرادوا أن يقولوا إذا الإسلام والإيمان واحد **هذا دليل ثاني لهم.**

الدليل الثالث أن الله عز وجل مدح الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان وجعل اسمه ثناءً وتزكية، فأخبر أن من أسلم فهو على نور به وهدى من الله وأتى بادلة كثيرة على أن الانبياء كلهم قالوا بالإسلام: "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ.." ويوسف: "تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" عليهم صلوات الله عز وجل والسلام الأنبياء جميعا "وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا..." انظر كل هذه الايات في الإسلام "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" فحكم الله عز وجل أن من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فقد سوى بينهما لماذا؟ لأنه قال "فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا" بعد ما تكلم في الآية قال وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ثم قال فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا فجعل الإيمان والإسلام واحد، لأن ربنا حكم أن من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى ولم يفرق بينهما، الأول الآيات في الإسلام ثم قال فمن امن بمثل ما آمنتم به فقد اهتدى فجعل الإسلام والإيمان واحد.

ايضا استدلوا بقوله تعالى: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" وهو هنا جعل الإسلام هو بمعنى الإيمان وهو قال هنا يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إذا هو هداكم للإيمان أي هداكم للإسلام إذا الإسلام والإيمان واحد.

أيضا استدلوا من السنة وهذا من أقوى الأدلة عندهم حديث وفد عبد القيس لما جاءوا الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه في رواية سألوه عن الإسلام فقال لهم "شهادة لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان" وفي رواية أخرى حديث آخر يعني صحيح أيضا سئل عن الإيمان فقال "الإيمان أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا وصوم رمضان" فهنا سئل عن الإيمان فقال ذلك وهنا سئل عن الإسلام فقال ذلك فقالوا إذا الإيمان والإسلام واحد.

هذه أدلة القول الأول ملخص أدلتهم في اثبات أن الإيمان والإسلام واحد، لكن انتبهوا هم يقرون أن هناك إسلام على الحقيقة وإسلام على الظاهر، إسلام على الحقيقة الذي هو مآله في الدنيا والآخرة إلى الجنة وإسلام على الظاهر وهو الإسلام الحكمي الذي يسلم ظاهرًا ولا يكون مسلما باطنًا، ويكون الإسلام الظاهر هو الاستسلام لذلك هم لما أُشكل عليهم قول الله عز وجل:

"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" قالوا هنا وهذا خلاف بين العلماء حتى بينه ابن تيمية أن السلف اختلفوا على قولان في تفسير هذه الآية بعضهم قال أن الإسلام المقصود هنا في " قُولُوا أَسْلَمْنَا " هو الإسلام الحقيقي اللي هو دين الله عز وجل "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" و أيضا قوله: "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ"

والقول الثاني الذي تعلق به أصحاب هذا القول الذي معنا أن المقصود هنا الاستسلام الظاهر مع عدم الإسلام الباطن يعني كأن الآية في المنافقين

هم يقولون الآية "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" ليست إشكال عندنا لأن المقصود هنا أسلمنا هو الاستسلام الظاهر فنفى عنهم الله عز وجل الإيمان اللي هو بالإسلام الحقيقي وأثبت لهم الإسلام الظاهر فقط فكان الاسلام الحقيقي هو بمعنى الايمان عندنا والاسلام الظاهر هذا اللي هو كأنه في المنافقين وإذاً يسلم عندهم الآية بأن الآية ليست فيها تفريق أيضاً بين الإيمان والإسلام فهمتم الوجه؟ فهمتم قولهم في الآية هم لماذا خرجوا من القول الثالث؟ حملوا الآية هنا على الإسلام الظاهري وليس الإسلام الحقيقي لأن هذه الآية يستدل بها أصحاب القول الثالث على الفرق بين الإيمان والإسلام لأن هم أسلموا لكن لم يؤمنوا يعني درجات، هم قالوا لا توجيه الآية عندنا وده خلاف بين السلف على أن تفسير الآية لما قال الله عز وجل ((وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)) هل يقصد به الإسلام الحقيقي؟ بعضهم قال ذلك وده استدل به القول الثالث كما سيأتي أن ده الإسلام واللي قبله الإيمان وهو درجات وقول ثاني عند أهل السلف أن المقصود هنا الإسلام الظاهري الحكمي ان استسلموا فقط ظاهراً خوفاً حتى من أهل الإسلام كإسلام المنافقين فإذا ظل أن الآية عند هؤلاء أصحاب القول الأول أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد.. **هذا القول الأول في المسألة اللي هو الإسلام والإيمان بمعنى واحد..**

القول الثاني قالوا الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل.. وهؤلاء استدلوا بقوله تعالي في الآية التي معنا ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)) فقالوا الإيمان خاص يثبت الاسم به بالعمل بالتوحيد، لذلك هم يقولون الإسلام كلمة والإيمان هو العمل فقالوا كأن الإسلام كلمة الشهادتين والإيمان هو العمل، من الذي قال بهذا القول؟ هذا القول مروي عن الزهري وابن أبي ذئب ورواية عن الإمام أحمد والقاضي أبي يعلى أيضاً قال بذلك.. فقالوا إن الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل.. لكن هنا لابد أن نبين شيء حتى لا يختلط عليكم أن هذا القول قلت من أئمة السلف فلا يظن أن مقصودهم أن الإسلام الكلمة فقط والإيمان العمل أي أن الأعمال الظاهرة ليست داخلة في الإيمان عند هؤلاء لا يقصدوا ذلك، البعض يظن أن الإسلام هو الكلمة يعني كلمة الشهادتين والأعمال الظاهرة والإيمان هو العمل فبعضهم يظن أن الأعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمى الإيمان.. وهذا لا يقوله حتى أصحاب هذا القول الذين قالوا

الإسلام الكلمة والإيمان العمل هم لا يقصدوا بأن يخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان أو الأعمال الظاهرة يقصدوا هنا ماذا؟ أن من أتى بكلمة الإسلام أتى بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مجملاً فتجري عليه أحكام الإسلام ثم ينظر أقام الصلاة؟ أتى الزكاة؟ صام؟ حج؟ فيجرى عليه أحكام المسلمين، امتنع يبقى كأنه يسقطون عليه أحكام الامتناع عن أداء الأعمال.. يعني هم يقصدوا أن الإسلام الحكمي دخل بالشهادتين ثم يتبعه تحقيق الأعمال حتى يكون إسلاماً حقيقياً.. فهذا هو المعنى المقصود عندهم من ذلك...يعني هو نطق بالشهادتين ثم يعقبه التصديق والإقرار والعمل بعد ذلك.. فكأنهم يريدون أن يقولوا أن الإسلام أيضاً قول وعمل مش الإسلام قول فقط بدون عمل لا الاسلام قول وعمل والإيمان أيضاً كذلك، لأن البعض يظن بأنهم يخرجون الأعمال الظاهرة من هذا القول وهذا ليس مقصوداً لأن هم أيضاً يدينون بمذهب السلف في مسألة أن الأعمال من الإيمان.. لكن هم فقط يقصدوا بأن الإسلام الحكمي يطلق عليه لما يقول الشهادتين وبعد ذلك يتبعه العمل الذي هو يطالب به فيكون هذا من الإيمان، ويُريدون الإثنين معاً، لكن يطلق عليه ظاهراً مسلم أول ما ينطق الشهادتين ثم يتبعه العمل وهذا العمل اللي هو من الإيمان عندهم، احنا عايزين ننفي عنهم إن هم أخرجوا الأعمال من الإسلام وجعلوا الإسلام الكلمة فقط، هم ما يقصدوا ذلك حتى لا تظن أن الإسلام الكلمة بدون عمل لأ لا يُظَن أن الإسلام الواجب هي الكلمة وحدها، ما هو ممكن يظن أنه من أتى بالكلمة يبقى خلاص كده بقى مسلم والعمل مش معاه، فهيضطر أنه يخرج الأعمال وهم ما يقصدوا ذلك، هم يقصدوا الإسلام الكلمة يعني أتى بالشهادتين وبالمجمل الأعمال الواجبة المجملة داخلة في الكلمة ثم يزيدها بالعمل اللي هو الإيمان، ليس معناه أنه مجرد النطق بالشهادتين فقط بدون أي عمل يكون مسلماً ما يقصدوا ذلك هو ده اللي أراد أن ينفيه شيخ الإسلام ابن تيمية، لكن يريد أن يقول أن من أتى بالشهادتين أصبح متميز عن اليهود والنصارى أصبح مسلماً ويجري عليه أحكام الإسلام، لكن ليس مقصودهم أن الإسلام الواجب هو الكلمة فقط لابد يُضَم عليه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأشياء اللي هي أركان الإسلام، هذا الذي أريد أن أبينه، ليس معناه لما قالوا الإسلام الكلمة أن الواجب فقط هو الكلمة لا هو يقصد أن لابد يضم معه الأركان أيضاً والعمل بقى في الإيمان بعد ذلك، وحتى لا يظن أن مجرد ما قال الشهادتين أصبح مسلما ولو لم يعمل شيئاً وهيدخل في ترك الأعمال الذي هم لا يقولون به، هذا القول الثاني.

لماذا مهمة هذه؟ لأن هؤلاء الذين قالوا كالزهري وغيره يرون أن الأعمال من الإيمان أيضاً وده واضح من التعريف أصالة وعندهم أيضاً الإسلام جزء من الإيمان لأن البعض اتهمهم أن هذا قول إرجاء، أنا لماذا بقول هذا الكلام؟ لأن البعض قال أن قولهم هذا يؤدي إلى الإرجاء، ودافع عنهم شيخ الإسلام قال لا قولهم لا يؤدي إلى الإرجاء وفي فرق بينهم وبين المرجئة لأن هم يقولون الأعمال داخلة في الإيمان هؤلاء الائمة الذين قالوا الأعمال داخل الإيمان وعندهم الإسلام جزء من الإيمان والإيمان هو الذي أكبر عندهم من الإسلام وده موافق للكتاب والسنة، المرجئة لا يقولون بذلك المرجئة يقولون الإيمان بعض الإسلام عندهم الإسلام أعم من الإيمان وعندهم الإسلام أفضل أصالة ويقولون إيمان الناس متساوي، وأن إيمان الصحابة كإيمان الفساق وكل هذا كله يبين لك أن في فارق بين أصحاب هذا القول وبين المرجئة فلا يظن أحد أن المقصود بقولهم هذا يوافق المرجئة، لذلك أنا قلت أنهم لما قالوا الإسلام الكلمة والإيمان العمل يقصد بالكلمة هنا ليست الشهادتان فقط بل يقصد به الإسلام الواجب، مقصوده بالكلمة ما يحقق بها الإسلام الواجب، اللي هي أركان الإسلام الواجبة.

لكن هو ماذا يقصد الإسلام الكلمة؟ عايز يقول لك إن لما ينطق الشهادتين حكمت عليه بأنه مسلم، لكن مش معناها أنك هتقف خلاص، حتى لو ما عملش شيء، تنتظر بقى منه أن يأتي

بالأعمال حتى تكمل له حكم الإسلام، وإلا لو أتى بنواقضها أو من لم يفعل فسيرجع، لكن بمجرد أن يقول الشهادتين دخل في الإسلام وعليه حكم الإسلام الظاهر الذي هو الإسلام الحكمي ثم ينتقل إلى الإسلام الحقيقي بعد ذلك.

القول الثالث الذين فرقوا بين الإيمان والإسلام وهذا القول هو قول الجمهور، الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة قالوا بالفرق بين الإيمان والإسلام وبين الإسلام والإيمان، وأن الإيمان غير الإسلام وأن الإسلام غير الإيمان، التفريق بين الإيمان والإسلام هذا مروي عن كثير من السلف، عن الحسن وابن سيرين وأحمد وعبدالرحمن بن مهدي يحيى بن معين عن مالك قتادة عن أيضاً أبو بكر السمعاني عن كثير من أهل السنة والجماعة، وذلك يرد على قول المروزي وابن عبد البر بأن قولهم الأول منقول عن أكثر الفقهاء وهذا الكلام فيه نظر، بل الصحيح على أن هذا القول الثالث التفريق بين الإيمان والإسلام هو قول أكثر أهل السنة والجماعة.

واستدلوا بأدلة: **"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ....."** ننظر للآية كل واحد فيهم استدل بما يريد نظر للآية من وجهه

وكان في دليل مهم جداً نقوله لأصحاب القول الأول وهمت إن أنا قلته، قال في قوله تعالى عن قوم لوط: **"فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (36)"** فقال في أول الآية فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ثم قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، فهنا أصحاب القول الأول قالوا الإيمان والإسلام واحد واستدلوا بالآية، طيب نحن سنرد على ذلك، هنا أدلة القول الثالث استدلوا بـ **"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ....."** هذه الآية الأولى سنأتي بوجه الاستدلال، طبعاً واضح وجه الاستدلال عند أصحاب القول الثالث إن هم ادعوا الإيمان والله عز وجل قال لهم إنهم أهل إسلام فقط وهذا يدل على أن الإسلام غير الإيمان وكما سيأتي معنا حديث جبريل أوضح طبعاً في الاستدلال على أن الإسلام مرتبة أولى ثم الإيمان ثم الإحسان،

وأما من استدلوا بـ **"فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (36)"** هذه الآية قد رددنا عليها كثيرا في شروحات سابقة على أن هذه الآية ليست فيها استدلال على أصحاب القول الأول لأن قوله تعالى أولا قال فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين يقصد قوم لوط ومن خرج معه وبنات لوط ولوط عليه السلام هم الذين نجاهم الله عز وجل وكان معلوم أن امرأة لوط كانت من الكافرين وخانت لوط عليه السلام طبعاً لم تكن خيانة التي هي خيانة المعاشرة لكن خيانة لأنها كانت تدل قومه على الضيوف الذين جاءوا له ومن كانوا يأتون إليه فكانت هذه الخيانة التي خانت فيها لوط عليه السلام، لكن لذلك قال تعالى في الإخراج فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ثم قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين هنا قال المسلمين لأن كل بيت لوط كان فيه لوط وبناته وامرأته، وامرأته ظاهراً كانت مسلمة وباطناً كانت كافرة، فلذلك قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يبقى البيت كله كان

بيت مسلم ظاهر وهذا الإسلام الظاهر الذي قلناه الحكمي فكانت امرأة لوط ظاهراً هي مع لوط عليه السلام مسلمة لذلك لما أراد أن ينجيه الله عز وجل قال فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فنجى لوط وبناته ولم ينجي امرأة لوط، فإذاً حملنا في الأولى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين على لوط وبناته عليه السلام، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يقصد به لوط وبناته وامرأة لوط ظاهراً حكماً أنها مسلمة فذكرها في الآية، هذا يدل على أن الإيمان هنا غير الإسلام، وهذا رد على أصحاب القول الأول، طبعاً هو بين الله عز وجل أن امرأة لوط من الكافرين من قوله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...." وقالوا الخيانة هنا ليست الخيانة الزوجية لأن ما جعل الله عز وجل لنبي أبداً أن تكون له زوجة هكذا يعني لأن هذه من الدياثة فلم تكن لنبي أبداً حفظهم الله عز وجل جميعاً.

طيب أدلة أخرى عند أصحاب القول الثالث قوله تعالى: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ....." غاير الله عز وجل بين الإسلام بين المسلمين والمسلمات وبين المؤمنين والمؤمنات فإذاً أصبح الإيمان والإسلام اسمان لمعنيين مختلفين.

واحتجوا وهذا أوضح ما يكون بحديث جبريل لما جاء جبريل عليه السلام يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما الإسلام؟ فذكر له، ثم قال ما الإيمان؟ فذكر له صلى الله عليه وسلم، ثم قال ما الإحسان ثم سأله عن أشراط الساعة، ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإسلام وبين الإيمان وبين الإحسان فدل ذلك على أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيان وليس لمعنى واحد.

وأيضاً استدلوا بحديث سعد بن أبي وقاص: (أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أعْطَى رَهْطًا وسَعْدٌ جالِسٌ فيهم، قالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ منهمْ مَن لَمْ يُعْطِهِ، وهو أعْجَبُهُمْ إلَيَّ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لكَ عن فُلانٍ؟ فَواللَّهِ إنِّي لَأَراهُ مُؤْمِنًا، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أوْ مُسْلِمًا، قالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي ما أعْلَمُ منه، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لكَ عن فُلانٍ؟ فَواللَّهِ إنِّي لَأَراهُ مُؤْمِنًا، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أوْ مُسْلِمًا، قالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي ما عَلِمْتُ منه، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ما لكَ عن فُلانٍ؟ فَواللَّهِ إنِّي لَأَراهُ مُؤْمِنًا، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أوْ مُسْلِمًا، إنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وغَيْرُهُ أحَبُّ إلَيَّ منه، خَشْيَةَ أنْ يُكَبَّ في النَّارِ علَى وجْهِهِ.) كان يؤلف القلوب بإعطاء بعض الناس ولا يعطي بعض الناس فهنا كما قال الإمام النووي في ذلك في شرحه للحديث باب تأليف قلوب من يخاف على إيمانه لضعفه وهذا فقه عظيم يعني لابد أن يراعيه الداعية والشيخ والعالم مع طلابه وأيضاً من أصحاب الصدقات وغير ذلك من يشعر أن هناك من يكون فيه ضعف في الإيمان لابد أن يحتويه لابد أن يعالج هذا الضعف عنده سواء كان يريد مالاً فيعطيه يريد زيادة في المتابعة يريد زيادة في الوقت معه لأنه يعني يخاف على إيمانه لضعفه فيتأثر ونحن الآن في هذا الزمان في فتن وفي شبهات فلذلك حري بمن يعمل في هذه الدعوة وفي العلم أن يتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم سواء بأنه إذا وجد منه مثلاً ضعف في الإيمان في باب يحاول ألا يتركه للشيطان في هذا الباب، إن كانت صدقة المال ضعف عنده فيحاول يعطى له حتى يتقوى به ويزيد إيمانه ويثبت، إن كان محتاج إلى أمور أخرى وهكذا، فقد بينها النبي صلى الله عليه

وسلم، والشاهد من الحديث قال: أو مسلماً ويقول مؤمناً والنبي صلى الله عليه سلم يقول له مسلماً إذاً فيه فارق بين الإسلام والإيمان أم لا؟ هناك فارق بين الإسلام وبين الإيمان.

أيضاً محمد بن نصر احتج بما رواه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أسلَمَ الناسُ، وآمَنَ عمرُو بنُ العاصِ) على خلاف في ثبوت الحديث لكن يعني استأنس به قال أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص فكأن يبين أن هناك درجة بين الإسلام وبين الإيمان أيضاً.

وإذاً بينا أصحاب هذا القول إن هناك فرق بين الإسلام والإيمان، ولكن ما الأفضل؟ الإسلام أم الإيمان؟ كما اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال اختلفوا أيضا في مسألة الأفضلية بين الإسلام والإيمان على ثلاثة أقوال :

قول المرجئة: قالوا الإسلام أفضل والإيمان يدخل في الإسلام، طب حد ممكن يستدل لهم؟ لماذا قالوا الإسلام أفضل والإيمان يدخل فيه؟

لأن الإيمان عند المرجئة هو أصله التصديق فقط، ما هو لازم ترجعوا للإيمان عندهم، مش الإيمان عند المرجئة التصديق؟ كمان التصديق عندهم متساوي أصالة فهم يقولون إن التصديق ده الإيمان جزء من الإسلام، الإسلام أعم عندهم لأن الإسلام هيبقى تصديق وعمل، حتى لو قالوا إن الإيمان ما فيش فيه غير التصديق لكن الإسلام عندهم تصديق وعمل، كل هذا في الإسلام فلذلك عندهم الإسلام أفضل والإيمان داخل فيه، لأن أصل الإيمان عندهم هو تصديق فقط فالإسلام سيكون أعم عنده من الإيمان لأن هو حاصر الإيمان في التصديق ليس عنده أعمال فيها لذلك هو عنده الإسلام يكون أعم ولذلك الإسلام عنده أفضل **هذا القول الأول** ده قول المرجئة.

والقول الثاني قالوا الإيمان والإسلام سواء وهذا الذي قاله المروزي وابن عبد البر وبعض السلف وافقهم المعتزلة والخوارج أن الإسلام والإيمان عندهم واحد وطبعاً هذه أصول لن أدخل فيها، لماذا هم قالوا المعتزلة والخوارج كده أيضاً يوافق أصولهم في الإيمان.

القول الثالث وهو قول أهل السنة والجماعة الإيمان أكمل وأفضل من الإسلام وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة ودل عليه أيضاً عمل الصحابة ومن بعدهم.

طيب بينا الآن الأقوال في الإسلام والإيمان والقول الراجح هو القول الثالث أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيان،

طيب معنى الإسلام والإيمان ماذا؟ قلنا القاعدة بتقول إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا، نبين أن عندنا في اللغة في بعض المسميات قد تأتي بمعاني مترادفة يعني لما يأتي كل واحد منهم منفرد قد يأتي بمعنى الآخر وإذا اجتمعا في الذكر قد يكون لهم كل واحد معنى، كثير في الشرع ستجد عندنا هي في اللغة وأيضاً دخلت في الشرع منها مثلاً الفقير والمسكين فكل واحد ممكن يدل على معنى الآخر قال **(وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)** هنا قال الفقراء ثم قال **(فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ)** هنا قال فقراء في الآية وهنا قال مساكين سبحانه وتعالى ثم جمع بينهم **(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ)** فلما كان منفرداً الفقير هو المسكين يعطى لهذا أو يعطى لهذا ولما اجتمعا بعض أهل العلم قالوا إذا الفقير غير المسكين

وبعضهم قالوا المسكين الذي عنده الآلة كما قال في سورة الكهف (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) فبعضهم قال أن المسكين أعلى قليلاً من الفقير عنده شيء حرفة أو آلة أو صنعة والفقير أدنى، لكن الإثنين يكونون بمعنى واحد، أيضاً المعروف والمنكر المعروف قد يأتي يعني من الأسماء أيضاً يعني قد يأتي بمعنى كل خير يعني المقصود به الخير نأخذ المعروف لوحده والمنكر لوحده المعروف مع الخير لأن المعروف كل خير ومع ذلك ممكن يأتي المعروف وممكن يأتي الخير وممكن يأتي المعروف مع الخير يعني مثلاً قال تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) هنا جاء المعروف، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) هنا دخل في المعروف كل خير، لكن جاء من قوله تعالى (لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) أمر بصدقة أهو ثم قال أو معروف طب ما هي الصدقة من المعروف؟ أو خير (لا خير) وهنا قالوا غاير بين المعروف وبين الصدقة وبين الإصلاح بين الناس فهنا أصبح المعروف غير الخير أيضاً، ومنها أيضاً (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) قالوا المنكر كل فحشاء وكل ذنب هنا غاير بين الفحشاء وبين المنكر أصالة، ومن قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) فغاير أيضاً في ذلك، كل هذه أسماء قد تأتي بمعنى واحد وقد تتغاير في المعنى إذا اجتمعت في الذكر.

منها الذي معنا الآن الإسلام والإيمان، الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الذكر كان لكل واحد منهم معنى كما جاء في حديث جبريل فكان الإسلام له معنى في الأعمال الظاهرة والإيمان له معنى في الأعمال الباطنة وإذا افترقا فكانوا بمعنى واحد (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) إذًا من أسلم أو من آمن فهو على الدين الذي أراده الله عز وجل (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) يبقى الإسلام والإيمان ديناً واحد أيضاً بمعنى الإسلام والإيمان (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) إذا من كان مسلماً من كان مؤمناً قُبل منه الإسلام بمعنى الإيمان.

أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم (المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ)

طب هذا المسلم فقط؟ لا المسلم والمؤمن من سلم المسلمون من لسانه ويده فالمسلم هنا بمعنى المؤمن أيضاً، وقوله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ) دخل هنا المؤمنون والمؤمنات أيضاً في المسلمون والمسلمات ذكر المؤمنون والمؤمنات لكن هو يقصد به أيضاً المسلمون والمسلمات، أيضاً (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا

بَيْنَهُمَا) قال مؤمنين يقصد بالمؤمنين أيضاً المسلمين وهنا جاء المؤمنين ويراد به المسلمين

وهكذا والمقصود هنا بأن إذا جاءا منفردين فالمعنى هذا يكون بالمعنى هذا، لذلك لما في حديث وفد عبد القيس لما سئل عن الإيمان ذكر أركان الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن تقيم الصلاة وتأتي الزكاة وتحج البيت ولما سئل عن الإسلام قال أيضاً أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة فجعل الاسلام بمعنى الإيمان، فهذا هو المقصود هنا بأن الإسلام يأتي بمعنى الإيمان منفرداً.

ولو اجتمعا يكون كل منهما بمعنى **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا)** فجاء الإيمان وجاء الإسلام في آية واحدة فقصد هنا بالإيمان الدرجة الأعلى التي بعد

الإسلام وقصد بالإسلام هنا الشهادتين والمرتبة الأولى في الدين، لأن أيضا يوضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (الإسلامُ علانيةً، والإيمانُ في القَلبِ) لذلك العلماء لما قالوا لما اجتمع الإسلام والإيمان غالباً يكون الإسلام هو المقصود به الأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة في ذلك وإلا كل واحد بمعنى الآخر.

طيب هنختم في ثمرة التفريق ما الثمرة في التفريق بين الإسلام والإيمان؟

ونريد أن نبين أيضاً الفرق بين الإسلام الحكمي والإسلام الحقيقي.

لو قلنا ثمرة من ثمرات التفريق بين الإسلام والإيمان بيان أن الإيمان مراتب كما حددها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أيضاً (الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً) وحديث جبريل، وبيان أيضاً من الثمرة أنك تبين أن الإيمان أفضل من الإسلام كما أن الإحسان أفضل من الإيمان وهذه من ثمرة التفرقة بين الإسلام والإيمان أن تعلم بأن هناك درجات، كذلك أن الجنة معلقة بالإيمان لا بالإسلام، طب من أين هذه؟

الجنة معلقة بالإيمان لا بالإسلام حديث مشهور جداً أنا أريد الشاهد قال (أخرِجوا من النَّارِ مَن كان في قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ من إيمانٍ) وفي بُرّة من إيمان وفيه شعيرة من إيمان، فعلق المسألة على الإيمان في الخروج من النار إلى دخول الجنة بأي قدر لابد حتى القدر اليسير الذي ظل موجوداً، لذلك قال العلماء أن الجنة معلقة بالإيمان لابد أن يكون هناك إيمان حتى يدخل الجنة ولو يسير كما جاء في الحديث أنه قال ذلك وهذا المقصود ليس معناه طبعا أنه مش مسلم لكن أنا أقصد أن الإيمان هو المعلق به دخول الجنة. فالذي أخرجهم من النار هو الإيمان وأدخلهم الجنة، الإيمان أعم من الإسلام من حيث الشمول يعني ايه؟ لذلك دائما تجد العلماء يقولون فكل مؤمن مسلم وليس عكس إلا إذا أتى بالإسلام الواجب لازم استثني ما ينفعش تسيبها لي كده، فحينئذ يعتبر مسلماً مؤمناً لهذا السلف يقولون لا إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام يقصدوا هنا ماذا؟ ليس القول الأول الذين يقولون الإسلام والإيمان واحد لا هو يقصد هنا أنه لو أتى بالإسلام الواجب فسيوافق أصل الإيمان مطلق الإيمان لذلك يقول إلا إذا أتى بالإسلام الواجب فيعتبر مسلماً مؤمناً لأنه لما أتى بالإسلام الواجب هو مشتركة ما بين المسلم والمؤمن لذلك دائماً تجد السلف يقولون لا إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام، لذلك الإسلام الواجب يدخل في أصل الإيمان وهذا الذي يسمى الإسلام الحقيقي الذي سنتكلم عنه الإسلام الحقيقي وليس الحكمي، مرة أخرى قلنا الإيمان أعم من الإسلام من حيث الشمول فكل مؤمن مسلم وليس العكس إلا إذا أتى هذا المسلم بالإسلام الواجب فلما يأتي بالإسلام الواجب يكون هنا مؤمناً أيضاً

مسلماً مؤمنًا لأنه لما يأتي بالإسلام الواجب يبقى أتى بأصل الإيمان أول درجة من درجات الإيمان فهو هنا اشترك اهو أصبح مسلم مؤمن، الإسلام الواجب هو أصول الإسلام أركان الإسلام وهي في نفس الوقت تكون مع أركان الإيمان مسلماً مؤمناً أيضاً، نحن قلنا الإيمان أعم من الإسلام من جهة الشمول، لكن من جهة الإفراد إنك تفرد يعني أقول مسلم فقط فلا يمكن أن تطلق عليه مسلم إلا إذا أتى بالإيمان الواجب هذا ليس من جهة الشمول، من جهة الافراد بقى هنا وبهذا سيكون الإسلام أعم لماذا الإسلام أعم؟ لأنه شمل المسلم الحقيقي وشمل المنافق وشمل الفاسق، والفاسق هنا بالأخلاق الفاسق المِلّي اللي هو من أهل الإسلام لكن فاسق، فهنا أصبح الإسلام أعم من حيث الإفراد وليس من حيث الشمول.

الإيمان أعم من حيث الشمول قلت لك الإيمان أشمل لا شك لأن الإيمان لابد يكون معه إيمان واجب الذي هو يوافق الإسلام فأصبح الإيمان أشمل، من حيث الافراد فيدخل تحت دائرة الإسلام المسلم المؤمن والمسلم الفاسق والمسلم الذي هو ظاهرًا حكمي الذي هو المنافق فأصبح هنا الإسلام أعم من حيث الافراد.

من ثمرات التفرقة بين الإسلام والإيمان يستدل به على الزيادة والنقصان، لذلك قلنا الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان.

من ثمرات التفرقة بين الإسلام والإيمان أيضاً التفرقة بين الإسلام الحكمي والإسلام الحقيقي، وماذا بقى الإسلام الحكم والإسلام الحقيقي؟ الإسلام الحكمي كل من أظهر الإسلام صادقاً أو كاذباً هذا مسلم حكماً لكن لا يطلق عليه مؤمن، أما الإسلام الحقيقي الذي أتى بالإيمان الواجب وهذا يسمى مسلم حقيقي.

ومن ثمرات ذلك أيضاً أنه يُحكَم على المرء بالإسلام الحكمي بمجرد إقراره ولا يسمى مؤمن إلا لو جمع بين القول والعمل، يعني هنا بمجرد إقراره حكماً لو جه الآن واحد نطق الشهادتين أمامك هذا مسلم حكما لكن لا يسمى مؤمن إلا لو جمع بين القول والعمل، وكذلك اسم الإيمان ينزع من مرتكب الكبيرة، ولكن لا ينزع منه اسم الإسلام، لكن أقول يخرج من الإيمان إلى الإسلام مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان إلى الإسلام.

طيب هنختم بالإسلام الحكمي والإسلام الحقيقي لماذا نقوله؟ لأن الإسلام الحكمي يتوقف عليه أحكام الدنيا ويثبت الإسلام الحكمي بإقرار الشهادتين أو ما يقوم مقامها من شعائر الإسلام، سيعامل الشخص هذا الذي أتى بالشهادتين معاملة المسلم في الدنيا إلا لو أتى بناقض من نواقض الإيمان، لذلك فمن أظهر لنا الإسلام أو شعيرة من شعائر الإسلام ثبت له حكم الإسلام ويعامل معاملة المسلم في جميع الاحكام والمعاملات الدنيوية ده بيسموه المسلم المستور الحال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَن صَلَّى صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللَّهَ في ذِمَّتِهِ)، لذلك سفيان الثوري يقول: من صلى الى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن والناس عندنا مؤمنون بالإقرار والمواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك ولهم ذنوب وخطايا الله حسيبهم إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ولا ندري ما هم عند الله عز وجل، ده كلام سفيان الثوري رحمه الله طيب هذه المسألة مهمة لماذا؟

لأن خلاص قلنا من أتى بالشهادتين أصبح مسلماً حكماً عصم ماله ودمه وعومل معاملة المسلم وقد جاء الشرع بكثير في أكثر من قصة تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام فيدخل بالشهادتين فقط ويقر له الإسلام ويعصم بذلك دمه وماله ويصير مسلماً ما دام نطق الشهادتين لذلك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يشترط لمن جاءه

يريد الإسلام انتبهوا أن يلتزم بالصلاة والزكاة أولاً لكن لابد أولاً يدخل الشهادتين وما كان ينتظر بعد أن يقول الشهادتين أنظروا أصلى أم لم يصلي زكى أم لم يزكي؟ لأ ...كان بمجرد النطق بالشهادتين أطلق عليه اسم الإسلام حكماً لكن هو طبعاً يلزم بها بعد ذلك ممكن يتابع ليس معناه أنه لا يتابع هناك ولي الأمر يتابع أو من يتابعه هل أتى بالأعمال أم لم يأتي بالأعمال؟ صام وزكى وصلى أم لا؟ ثم يكون بعد ذلك حكماً آخر لكن بمجرد أن يدخل بالشهادتين يعتد بإسلامه وما كان يقول انتظروا إذا جاء وقت الصلاة سيصلي أم لا يصلي سيصوم رمضان أم لا يصوم سيزكي أم لا؟ ما كان يعتمد إلا بدخول الشهادتين أما إذا لم يلتزم بذلك فيسقط عليه بقى الأحكام على حسب ما امتنع فيه... لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن البعض أخطأ فيما يسمى التوقف والتبين لأنه ظهر مجموعة من الناس في الزمن المعاصر الآن هذه بدعة لم يكن أهل السنة والجماعة يفعلون ذلك وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقف في الحكم على من أقر بالشهادتين ولم يكن يتعقب الآلاف الذين أتوا وأسلموا ويتبين ولذلك الإمام الشافعي يقول (وأن حكم الله تعالى في الدنيا مقبول ظاهر الآدميين وأنه تولى سرائرهم ولم يجعل لنبي مرسل ولا أحد من الخلق أن يحكم إلا على الظاهر وتول دونهم السرائر لانفراده بعلمها) هذا قول الإمام الشافعي فالحكم في الدنيا على الظاهر فقط وهذا أريح لأنك لا تفتش عن القلوب كما أن الحكم في الدنيا على الظاهر في الإسلام كذلك الحكم في الدنيا على الظاهر في الكفر القاعدة واحدة عند أهل السنة والجماعة لم نؤمر أن نفتش عن القلوب لا في الإسلام ولا في الكفر ليس لنا في القلب ذلك ولكن إحنا نتكلم هنا عن الإسلام الآن لذلك كان يقبل الإسلام من أهل النفاق ويعد من المسلمين حكماً وأن كانوا ليس في المسلمين حقيقة وهذا معناه أن من أتى بذلك حكم له بالإسلام فله أحكام النكاح ينكح من المسلمين و الميراث الجنائز الشهادات يكون شاهداً الولاية الذبائح وغيرها وهذا ثابت لمن كان مسلماً وحتى لو لم يكن مسلم حقيقي لأننا لا نعلم بذلك يبقى مسلم الحكم يتعلق بأحكام الإسلام في الدنيا فقط لذلك لابد تفرق بين الإسلام الحكمى والإسلام الحقيقي الإسلام الحقيقي هو الذي بتتوقف عليه أحكام الآخرة ثواب وعقاب وجنة ونار الإسلام الحكمي هو الذي يتوقف عليه أحكام الدنيا فقط لكن لابد أن نبين شيء حتى لا يظن أحد أنه بمجرد ما قلنا بالإسلام الحكمي أننا خلاص نتركه ولا نلزمه بشيء بعد ذلك لابد أن أيضاً تطبق عليه باقي الأحكام الشرعية التي موجودة في الشرع فإنهم لما أقروا بالإسلام عليه أن يكون مع جماعة المسلمين فيؤدي مناسك المسلمين وعبادات المسلمين وألا يأتي بنواقض الإسلام فلو أتى بنواقض الإسلام يطبق عليه أحكام الإسلام في ذلك أيضاً فهذه ليس معناها أنه يترك وأنه قال ذلك فقط يعني لا يترك بمجرد الكلمة بل ولي الامر وغيره لا يترك من لا يصلي أو يفطر في رمضان أو لا يزكي إلى غير ذلك يظهر المعصية هذا أيضاً ليس معناه أن يترك بذلك.

طيب العلماء قسموا أحوال المكلفين أو أحوال الناس في زماننا على ثلاث أحوال: الأول ظاهره الإسلام وهذا هو المسلم حكماً وهو المستور طب عرفنا منين أن ظاهره الإسلام هذا خلاص نقف على ذلك قال تعالى

{ ..... فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ }

[سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٥] أى نطقوا بالشهادتين، قال تعالى{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ} [سُورَةُ التَّوۡبَةِ:١١] أي تركوا الشرك والتزموا بأحكام الإسلام فأصبحوا من أهل القبلة، وقوله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم

على الله) فعلق من أتى بكلمة التوحيد ولو كان بالقتال بالسيف عصم منه الدماء والمال وأصبح من أهل الإسلام لأنه قال وحسابهم على الله الأمر يوكل إلى الله ولذلك قال تعالى (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم) وهذا يبين لك معيار في حكم الإسلام على الناس وهذا معناه أن من أتى بذلك حكم له بالإسلام من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم.

طبعاً لكن هنا في كلام لابد أن نبينه شرح ابن حجر لهذا الحديث قال وأن أمور الناس على الظاهر ثم قال (ومن أظهر شعائر الدين الذي أجريت عليه أحكام الإسلام ما لم يظهر منه خلاف ذلك) وهذه الجملة مهمة لأن البعض أخذ جزء الكلام الأول وترك هذه الجملة وتعلقوا بكلام ابن حجر الأول وتجده يقطعها يبترها وابن حجر ما قال ذلك قال من أظهر شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهل الدين ما لم يظهر منه خلاف ذلك فإن ظهر خلاف ذلك هتجرى عليه أحكام خلاف ذلك، وهذه مسألة مهمة لماذا؟ لأن البعض خد الجزء الأول فجعله مسلماً ولو أتى بكفر بواح يقول لك العلماء يقولون ذلك أو النبي صلى الله عليه وسلم قال (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا) لذلك بعضهم يرى الكافر يصلي بيقول لك ده ما كفرش ده بيصلي وهو أصلاً عقيدته كفرية يعني هو عقيدته كفرية وهو بيصلي فيقول لك لا ما هو بيصلي لكن هو عقيدته أصلاً الذي يدين لله بها عقيدة عند إجماع العلماء أنه عقيدته وطائفته هذه كفرية ويصلي أمامك فالناس من الجهل أو أمور أخرى والغالب هي أمور أخرى وليست جهلاً أنهم يأخذون جزء من هذا الحديث من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا نعم هذا المسلم ما لم يأتي بخلاف ذلك لو أتى بخلاف ذلك فليس من هذا في شيء وإلا بعض الناس ينخدعون بهذا ويحملون الناس على الانخداع بهذا أيضاً، وطبعاً أهل العلم ينبرون لذلك ويبينون ذلك للناس.

أيضاً حديث أسامة رضي الله عنه وأرضاه: (بَعَثَنَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ، قالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قالَ: ولَحِقْتُ أنَا ورَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ رَجُلًا منهمْ، قالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قالَ: فَكَفَّ عنْه الأنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ برُمْحِي حتَّى قَتَلْتُهُ، قالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذلكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: فَقالَ لِي: يا أُسَامَةُ، أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟! قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّما كانَ مُتَعَوِّذًا، قالَ: أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟! قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلكَ اليَومِ.) لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في السرية وقاتل الرجل فلما علا عليه أسامة فقال أسلمت لله فقتله، كانوا هم اثنين على الرجل، الرجل الذي كان مع أسامة لما قال الرجل أسلمت لله رجع وأسامة قتله بالرمح، فلما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال أقتلته يا أسامة بعد أن قالها قال يا رسول الله إنما قالها تعوذا قال أشققت عن قلبه قال اللهم إني ابرأ إليك من فعل أسامة فهنا دل أن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت للرجل الحكم على الظاهر أنه أصبح مسلماً وليس لنا أن نفتش عن القلوب ما دام لم يظهر لنا شيئاً من الكفر في ذلك أيضاً.

ونفس القصة عند المقداد بن الأسود رضي الله عنه: (أنَّهُ قالَ: يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الكُفَّارِ فَقاتَلَنِي، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بالسَّيْفِ فَقَطَعَها، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بشَجَرَةٍ، فقالَ: أسْلَمْتُ لِلَّهِ، أفَأقْتُلُهُ يا رَسولَ اللهِ، بَعْدَ أنْ قالَها؟ قالَ: رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لا تَقْتُلْهُ قالَ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّه قدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قالَ ذلكَ بَعْدَ أنْ قَطَعَها، أفَأقْتُلُهُ؟ قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لا تَقْتُلْهُ فإنْ قَتَلْتَهُ فإنَّه بمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وإنَّكَ بمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتي قالَ. وفي روايةٍ: فَلَمَّا أهْوَيْتُ لأقْتُلَهُ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ.) أى أنه لو قتله

سيصبح مهدر دمه ليس كافراً، المقصود أن هذا الرجل قبل أن يسلم كان دمه مهدر لذلك كان المقداد يريد قتله فلما أسلم أصبح دمه معصوم لأنه مسلم فالنبى يريد أن يقول له لو قتلته يا مقداد بعد أن قالها كنت أنت مثله قبل أن يقولها وأصبح دمك أنت كمان مهدر ليس لكفره لأنك قتلت عمداً فأصبح عليك القصاص، وهو يصبح مثلك قبل أن يقولها هو كان مسلم قبلها المقداد فأصبح معصوم...الشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن أن يقتله بعد أن قال ذلك لأنه قد أظهر لنا الإسلام.

وأيضاً من حديث خالد بن الوليد لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية: (بَعَثَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إلى الإسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يقولوا: أسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يقولونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ منهمْ ويَأْسِرُ، ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ، حتَّى إذَا كانَ يَوْمٌ أمَرَ خَالِدٌ أنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ، فَقُلْتُ: واللهِ لا أقْتُلُ أسِيرِي، ولَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحَابِي أسِيرَهُ، حتَّى قَدِمْنَا علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدَهُ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ خَالِدٌ، مَرَّتَيْنِ.) هنا دعاهم خالد بن الوليد إلى الإسلام فقالوا صبأنا صبانا ما علموا أن يقولوا أسلمنا ما فهموا ما قالوا إسلام فقالوا صبأنا صبأنا فنزل عليهم خالد تقتيلا حتى أمر بعض من كان معه ليقتلوهم فبعضهم امتنع قالوا لا ما نقتلهم حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم هم شكوا بأنهم ما فهموا وحقاً هم فعلاً كانوا يريدوا الإسلام لكن ما علموا ماذا يقولون أسلمنا أو ماذا فقالوا صبأنا صبأنا فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إنى ابرأ إليك مما فعل خالد.

فالشاهد من كل هذه الأدلة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بالإسلام الظاهر على الذي نطق بالشهادتين ودخل الإسلام.

طيب هذا كله الحال الأول الذي أظهر لنا ذلك، سنوجز، طيب أيضا ما الأمارات التي تبين لك أنه مسلم؟ العلماء تكلموا يعني كيف تعلم أنه مسلم؟

- **أولاً** النطق بالشهادتين لحديث أُمِرت أن أقاتل الناس أنا سأوجز.
- **الثانية** أن يقول إني مسلم كما قال الرجل لأسامة أسلمت فقال أسلمت، وحديث آخر لفرات بن حيان: (أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أمرَ بقتلِهِ وَكانَ عينًا لأبي سفيانَ وَكانَ حليفًا لرجلٍ منَ الأنصارِ فمرَّ بحلقةٍ منَ الأنصارِ فقالَ إنِّي مسلِمٌ. فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ يا رسولَ اللَّهِ إنَّهُ يقولُ إنِّي مسلمٌ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ إنَّ منْكم رجالًا نَكِلُهم إلى إيمانِهم منهم فراتُ بنُ حيَّانَ) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أمر بقتله لأنه كان عينا لأبي سفيان قبل إسلامهم طبعاً وكان حليفاً لرجل من الأنصار أى كان بينه وبين رجل من الأنصار حلف فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أمر بقتله فلما جاء فرات قال إني مسلم فقال رجل من الأنصار يا رسول الله إنه يقول إني مسلم يعني هو بيصرح أنه يقول إني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم ومنهم فرات يعني النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستثنيه وكان يقتله أنه كان جاسوساً هو بيقول إني مسلم لكن الحديث بيبين قال إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم يعني الأصل أن إحنا سنكل الناس إلى إيمانهم لما يقول لنا مسلم أقبله لكن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بأنه عينا لأبي سفيان فأراد أن يقتله مع أنه قال أنه مسلم، الشاهد من الحديث أنه لو قال إني مسلم الأصل أن نتركه اترك هذا الحديث أن فيه استثناء يعني له قصة أخرى لكن هو الشاهد من الحديث قال إن منكم رجالاً نكلهم إلى

إيمانهم قال ومنهم فرات أما في غير فرات نكلهم إلى إيمانهم فلو قال لك أنه مسلم ينزل هذا منزلة الشهادتين.

- أو لو قالوا أسلمنا كما قالت الأعراب (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) فمن يقول أسلمنا تقول أنه من أهل الإسلام
- إقامة الصلاة إذا رأيته يصلي فأصبح هذا من أهل الإسلام سواء كان في دار الإسلام أو في دار الكفر.
- لذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان أيضاً ينظر للقوم وهذه الخامسة الآذانين يصبح القوم كان لا يغير إلا في الصبح فلو سمع آذان علم أنهم من أهل الإسلام فكف عنهم وإن لم يسمع آذان يعلم أنه من أهل الكفر فكان يغير عليهم إذا أيضاً الخامسة بعد الصلاة الآذان والإقامة إذا رأيته يؤذن أو يقيم فاعلم أنه من أهل الإسلام.
- الحج من أشهر شعائر الإسلام إذا رأيته يحج فاحكم عليه بالإسلام.
- أو شهادة رجل مسلم له هذه السابعة أن يشهد له رجل مسلم عدل كما شهد النبي صلى الله عليه وسلم للنجاشي لما مات قال (مات أخوكم اصحمه أو النجاشي) فقام فصلى عليه صلاة الجنازة والنبي الذي شهد له بالإسلام وما أحد كان يعلم فلو شهد أحد عدل مسلم على أحد أنه مسلم تقبل هذه الشهادة.

لكن هناك قرائن ليست بصريحة في الإسلام لابد أن تحقق فيها:

- من هذه القرائن تحية الإسلام لو قال لك السلام عليكم هل هذا معناه أنه مسلم؟ لا لابد قرينة لأن ممكن يقولها على سبيل المجاملة والتحية وكم من النصارى الآن يقولون لك ذلك وأنت لا تعلم أن هو ليس بمسلم قال تعالى { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ....}[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٤] فهنا إذًا تبين، يبقى هذه قرينة وليست صريحة كالذي قلناها من قبل، الهدي الظاهر سمته لحية طويلة لابس جلباب أو شيء قرينة لكن ممكن تشترك مع بعض الملل الأخرى في المظهر ولكن هل السمة قرينة؟ نعم قال تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ} قال {...سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم...} إذاً السمة قرينة وليست نصاً في المسألة، لكن لابد أنك تتحقق منها، **هذا الحال الأول.**
- **الحالة الثانية** أن يظهر الكفر أو الشرك الأول أظهر الإسلام وبينا كيف يظهره صراحة أو بالقرائن وبينا حكمه على الظاهر، أن يظهر الكفر والشرك والعياذ بالله هذا كافر حكماً سواء كان كافر أصلي يهودي نصراني بوذي هندوسي أو مرتد ما دام قد أظهر الكفر والشرك فمرده هنا إلى ما أظهره فيكون حكمه أيضاً كافرا حكماً.
- **الحالة الثالثة** وهي التي فيها الإشكال أنه لم يظهر منه شيء لا يدل على الكفر ولا يدل على الإسلام وهذا مجهول الحال الذي لا تستطيع أن تجزم بكفره ولا إسلامه هذه طبعاً حالة خاصة ممكن تتكلم عنها وهذه الذي تكلم فيها بعض العلماء التوقف في إصدار

الحكم عليه وبعضهم قال ننظر إن كان في دار كفر ولا كان في دار إسلام يعني فيها ما فيها من بعض التفاصيل والبحث والتنقيب ما أريد أن أدخل فيها الآن لكن هذه التي تكلم فيها العلماء بعضهم نظروا إلى الدار الذي هو ينتمي إليها لو كان في دار الكفر يحمله عليها أو كان في دار الإسلام وبين مسلمين فيحمل على دار الإسلام والمسلمين إلى غير ذلك من الأمور، لكن طبعاً إحنا بينا لماذا احنا بنبحث في الحال هذا؟ لأن في أحكام بينا المواريث المناكحة الشهادة الزكاة المعطى له العتق لو كان هناك عتق رقبة كل هذه نحتاج فيها لبيان المسلم حكماً وهذا كان آخر الكلام في القاعدة

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة ومازلنا في القواعد الخاصة بالإيمان، أخذنا القاعدة الأولى والقاعدة الثانية أخذنا في تعريف الإيمان وأخذنا في زيادة الإيمان ونقصانه.

اليوم إن شاء الله نتكلم عن القاعدة الأولى سنأخذ قاعدة أخرى.. يعني قاعدتان.. القاعدة الأولى **(مسألة الاستثناء) وقلنا (الاستثناء في الإيمان جائز عند أهل السنة والجماعة)** وهذا مسمى القاعدة.

سنتكلم إن شاء الله عن معنى الاستثناء عند أهل السنة والجماعة والأدلة على ذلك، وحكمة الاستثناء في الإيمان وما يترتب عليه وهل الاستثناء في الإيمان يستلزم الشك في الإيمان؟ ثم بدعة المرجئة في مسألة عدم قولهم بالاستثناء في الإيمان يرجع لأصولهم في تعريف الإيمان، المسألة هذه بنتكلم عنها دائماً في الإيمان في الشروحات ولكن هي قاعدة عند أهل السنة والجماعة أن في الاستثناء في الإيمان جائز عند أهل السنة والجماعة وهذه من الأشياء التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن الطوائف وأهل البدع والأهواء في هذه المسألة وخاصة المرجئة ومن وافقهم في مسألة الاستثناء في الإيمان وهو معناه أن يقول المرء **(أنا مؤمن إن شاء الله)** أو إذا سُئل المرء أمؤمن أنت؟ فإنه يقول أنا مؤمن إن شاء الله، أو آمنت بالله وبرسوله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أيا كان الإجابة أو أرجو ذلك في معنى الاستثناء وإن كان تصريحاً أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله.

ومعنى الاستثناء في الإيمان أن يقول المرء كما قلنا (أنا مؤمن إن شاء الله) إذا سئل فيستثني في إيمانه خوفاً من تزكية النفس وادعاء استكمال الإيمان واستحقاق الإنصاف بحقيقة الايمان، وليس هذا على جهة الشك كما تقول المبتدعة و غيرهم زوراً وبهتاناً على أهل السنة والجماعة، وكما قلت ممكن يقول لفظ آخر مثل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أو يقول آمنت بالله وأرجو ذلك، وقالوا بعضهم سنة مشهورة عند أهل السنة والجماعة مسألة أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء، لأن على طرفي نقيض في هذه المسألة، والله قد جعل هذه الأمة أمة وسطاً كما قال تعالى "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" فقالوا من صفة أهل الحق من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك، وهذا نعوذ بالله من جهة الشك بل المسألة كلها على سبيل التزكية للنفس كما سنبين، التزكية للنفس من استكماله للإيمان أن المرء يزكي نفسه قد استكمل الإيمان أنه لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ ولذلك كان إذا سئل أحد من أهل العلم هل أنت مؤمن؟ فيقول كما قلت لكم أنا مؤمن إن شاء الله ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقد ذكر الإمام اللالكائي في كتابه الماتع عقيدة أهل السنة والجماعة روى الاستثناء في الإيمان عن كثير من الصحابة أو بعض الصحابة وبعض التابعين روي عن بعض الصحابة مثل عمر وابن عباس وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم ومن التابعين طاووس والحسن وإبراهيم النخعي وغير ذلك بقولهم في الاستثناء في الإيمان .

ما الأدلة على جواز الاستثناء في الإيمان؟ الأدلة عند أهل السنة والجماعة على جواز الاستثناء في الإيمان من الكتاب ومن السنة قوله تعالى **"لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ"** واستدلوا من قوله تعالى **" وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ"**، وبقوله تعالى **"وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".**

ومن السنة ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور قال وهو يدعو ويسلم على أهل القبور ثم يقول**" وإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ "**

وقوله صلى الله عليه وسلم" إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بما أَتَّقِي "

وورد عن عمر رضي الله عنه وأرضاه أنه قال "من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال هو عالم فهو جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار" وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً " من شهد على نفسه أنه مؤمن فليشهد أنه في الجنة"،

وعلقمة ورد عنه لما سئل" أمؤمن أنت؟ قال أرجو إن شاء الله" فكما قال الإمام ابن بطة أيضاً في هذا هذه سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلماء لزوم الاستثناء والخوف والرجاء، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً في هذه المسألة، وأما مذهب السلف أصحاب الحديث مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة أنهم يقولون كانوا يستثنون في الإيمان والسلف كانوا يحرصون على هذه المسألة؟ مع أنها لم تكن فيها بأس شديد، لا قالوا هذا رداً على المرجئة، لماذا رداً على المرجئة؟ لأنهم زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن تعريف الإيمان عند المرجئة هو التصديق فقط. فقالوا(إيمان أفجر الناس كإيمان أتقاهم)، ويقطعون بالإيمان الكامل المقبول عند الله، فكان نشر المسألة عند السلف بسبب المرجئة، بل قالوا إن أصل الإرجاء كما قال عبدالرحمن بن مهدي (إذا ترك الاستثناء فهو أصل الإرجاء)، وقال أيضاً (أول الارجاء ترك الاستثناء)، وفي رواية (أصل الإرجاء من قال إني مؤمن)، والمرجئة أول من ابتدعت السؤال عن الإيمان.. لماذا بتسأل عن الإيمان؟ هم جزموا بكمال الإيمان دون استثناء أنك لابد أن تقول أنا مؤمن دون استثناء، بل منعوا الاستثناء واعتبروه محرم ورموا من قال بالاستثناء في الإيمان بأنه من أهل الشك وسموه شكاكاً، ولذلك رموا أهل السنة والجماعة زوراً وبهتاناً بأنهم شكاكين أو بالشكاكة، كان هذا منشأ مسألة الاستثناء في الإيمان ليرد بها على المرجئة، سنبين وجه المرجئة فيها إن شاء الله .

لكن لابد أن نشير لمسألة أخرى في هذه المسألة ظن البعض أنهم يوافقوا أهل السنة والجماعة في سائر الإيمان وهم لا يوافقون في الحقيقة وهم الأشاعرة والكلابية، لأن الأشاعرة والكلابية يقولون بالاستثناء في الإيمان، يعني يقولون لفظاً باستثناء في الإيمان لكنهم يوجبون الاستثناء باعتبار الموافاة. يعني ايه الموافاة؟ يعني هم يستثنون لعدم معرفتهم بما يتوفى عليه المرء من الإيمان أم لا؟ العلة عندهم في الاستثناء من باب الموافاة أي أنهم لا يعلمون هل المرء يتوفى على الإيمان أم لا؟ فيستثنون لذلك، والبعض ظن أن هذا قول لأهل السنة والجماعة لأنهم رأوا بأنهم هؤلاء يستثنون وأهل السنة والجماعة يستثنون أيضاً، لكن الحق أن هذا ليس من أقوال أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة في الاستثناء كما سنبين ليس من باب الموافاة عندهم، فالأشاعرة ظاهراً وافقوا أهل السنة في الاستثناء، لكن باطناً هم يقولون باستثناء للموافاة فقط، بخلاف أهل السنة كما قلنا في المقدمة التزكية وغير ذلك من الأمور أي لاعتبارات أخرى، وقول الكلابية والأشاعرة ليس لقول أحد من السلف يعني هم يقولون بيستثنوا بالإيمان تقول أن مؤمن إن شاء الله لأنك لا تعلم هتتوفى على الإيمان أم غير ذلك؟ فقالوا نستثني لما سيكون لأننا لا نعلم سنتوفى على الإيمان أم لا، هذا معنى الاستثناء عنده في الإيمان بسبب الموافاة.

لكن هذا القول الاستثنائي في الإيمان بسبب الموافاة لم يرد عن الأئمة الأربعة ولم يرد عن السلف، وإن كان طبعاً هو ظهر عند متأخري المذاهب، يعني تجد متأخري الشافعية والمالكية والحنابلة بعض العلماء المتأخرين قالوا بذلك، ومن انتشاره فظن البعض أنه من قول السلف، وإن كان وافقوا السلف في الظاهر في الاستثناء لكن خالفوهم في الباطن، ومن اغتر وظن نقل هذا الكلام عن كثير من العلماء أصحاب المتأخرين فظن أن هذا منسوب لأهل السلف لأهل

السنة والجماعة، لكن هذه حقاً على القول التحقيق أن هذه من البدع أيضاً في الاستثناء بالإيمان أن تقول بالموافاة، بل أدى ذلك عندهم إلى لوازم باطلة فظهرت فرقة تسمى المزارقة وهم أصحاب عثمان بن مرزوق، صاروا يستثنون في كل شيء هي بدأت معهم الاستثناء لأنهم لا يعرفون المآل أي الوفاة ستكون عليه ثم أصبحوا يستثنون في كل شيء، يعني تقول له ما هذا، يقول لك هذه شنطة إن شاء الله، هذا هاتف إن شاء الله، هذا حبل إن شاء الله مثلاً ، فإذا قلت له هذا مما لا شك فيه هذه أشياء واقعية هذه شنطة فعلاً حقيقة، قال نعم لا شك فيه ولكن إذا شاء الله غيّره إلى شيء آخر غيره، فأصبحوا لا يقطعون في أي شيء بالكلية، وصلوا أننا نقول نشهد أن محمداً رسول الله ولا نقطع به، نقول نشهد أن السماء فوقنا ولا نقطع به، ويروون أثراً باطلاً عن علي بن أبي طالب (لا تقل قطعاً) وهذا طبعاً كذب مفترى على علي بن أبي طالب بل هو روي خلافه أصالةً بل هي بدعة، أيضاً مما يستدلون به **حديث لأبي هريرة أيضاً لم يصح أن (من تمام إيمان العبد أن يستثني في كل حديثه)**، ممكن تجد بعض الناس العوام هنا أنه يستثني في كل شيء حتى فيما لا شك فيه يقيناً. أنا بقول له هذه سيارة؟ آه هذه سيارة إن شاء الله. أين الاستثناء فيها؟ هنا فقلنا هذا لوازم الموافاة عند الأشاعرة ظهور هذه الفرقة التي كما بينا لها.

قلنا الآن أن المرجئة قالت حرمته ومنعته، والأشاعرة وافقوا أهل السنة ظاهراً ولم يوافقوهم باطناً وأهل السنة سنبين قولهم في هذه المسألة.

أصبح المسألة الآن أقوال الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال منهم من يوجبه ومنهم من يحرمه ومنهم من يجوّز الأمرين يعني يمنع في حالة ويجوز في حالة باعتبارين وهذا هو أصح الأقول، القول الثالث الذي هو يجوز الأمرين المنع والإيجاب باعتبارين يعني المنع والجواز وهذا الذي يقوله أهل السنة والجماعة في الاستثناء، يمنعون الاستثناء في أصل الإيمان وانتبهوا لهذه هذه الخلاصة بالمسألة التي معنا الآن... أهل السنة يمنعون الاستثناء في أصل الإيمان.. فالمؤمن على يقين أنه مؤمن وليس بكافر، فهذا الأصل يمنعون فيه الاستثناء، لكن لو ارتقينا إلى الأعمال التي تزيد عن أصل الإيمان فهنا تكلموا بجواز الاستثناء فيها ليه؟ لأن هل هو أتى بما وجب عليه من الأعمال بالكلية؟ هنا الذي يمكن للمرء أن يستثني فيه وهنا يقع الاستثناء، إذاً الاستثناء في أصل الإيمان لا يصح، لأن هو معناه الاستثناء في أصل الإيمان يعني يعود بنا إلى الكفر، لكن الاستثناء في الأعمال التي زادت عن أصل الإيمان وهي ما وجبت على المرء الذي يستحق عليها اسم المؤمن لأن فيه مسلم مؤمن محسن لو قلنا، فالمؤمن اعتبر الأول أصل الإيمان الذي هو الإسلام لا استثناء فيه يمنعون، أما في الأعمال الواجبة التي هي يسمى بها لو فعلها يسمى بها مؤمناً الواجبة. هل الذي أقروا بجواز الاستثناء فيها ونقل ذلك عن كثير من أئمة السلف منهم الإمام أحمد قال (إن الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجيء بالعمل فنحن نستثني العمل) يعني هم أتوا بالأصل والعمل هذا حتى يقول به لابد أن يأتي بالعمل الواجب بالكلية، لذلك هو قال نستثني بذلك أيضاً ومن هنا قالوا إن بجواز الاستثناء يقول أنا مؤمن إن شاء الله.

طيب أهل السنة والجماعة لما بيستثنوا في الإيمان قالوا بيستثنون باعتبارات معينة بحكم ، هم جوزوا الاستثناء بالإيمان؟ وقد بينا المنع والأصل المنع والجواز أين؟ أين المنع في الاستثناء؟ وأين الجواز؟ لذلك البعض يقول إن استثنى شاكاً وهذا الذي يوافق أصل الإيمان هذا الذي يمنع، وأما إذا استثنى للاعتبارات التي سنتكلم عنها التي هي الحكمة من الاستثناء في الإيمان عند أهل السنة والجماعة، قالوا أول اعتبار أن السلف استثنوا رحمهم الله تعالى في الإيمان باعتبار

إن الإيمان المطلق يتضمن -كما قررنا من قبل وسيأتي معنا في مراتب الإيمان القاعدة بعد ذلك- أن الإيمان المطلق هو فعل جميع الطاعات من فعل المأمورات وترك المحرمات، هذا الإيمان المطلق حتى أيضاً في فعل المستحبات وترك المكروهات وهذا مما نزه السلف إدعاءهم على أنفسهم به، ومن هنا كانت أول اعتبار أن السلف استثنوا في الإيمان باعتبار الإيمان المطلق الذي هو ايه؟ أن يفعل المرء جميع الطاعات وينتهي عن جميع المحرمات، فلما وجدوا أنهم لا يمكن أن يصفوا أنفسهم أنهم فعلوا ذلك أو ينزهون أنفسهم عن ذلك فاستثنوا في هذه المسألة استثنوا هنا بالإيمان في باب الإيمان للمطلق وليس أصل الإيمان ولا مطلق الإيمان؟، فممكن يقول أنا مؤمن بهذا الاعتبار لأنه لو شهد على نفسه أنا مؤمن إن شاء الله لو شهد أنا مؤمن بدون استثناء كإنه شهد على نفسه بفعل جميع الطاعات وترك جميع المحرمات وكأنه عد نفسه من الأبرار المتقين، وقالوا إن هذا كما سيأتي معنا فيه تزكية نفس، لذلك الإمام أحمد قال (أقول مؤمن إن شاء الله ومؤمن أرجو لأنه لا أدري) يعني لا أدري فلا يشهد ذلك لنفسه، يعني هنا رأوا بأن الشهادة بالإيمان وعدم الاستثناء كإنه بيشهد على نفسه أنه فعل كل الواجبات وترك كل المحرمات ولم يقصر في شيء.

الأمر الثاني الاعتبار الثاني عندهم تزكية النفس يقول أنا مؤمن إن شاء الله خوفاً من تزكية النفس والاعتراف بما أتى به المرء من أمور الإيمان بالكلية قد نهينا عن تزكية النفس أو ليشهد المرء لنفسه بالإيمان والتقوى قال تعالى ((فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ)) فهنا الآية ينهى فيها الله عز وجل العباد أن يزكوا أنفسهم أو يدعوا الصلاح والتقوى والطهارة من الذنوب، فالله عز وجل هو العليم بمن اتقي و هو يعلم بمن يرتفع في درجات الإيمان وتحقيق كمال العبودية لذلك قال كثير من العلماء في تفسير هذه الآية أن فيها من أسباب نزول هذه الآية تزكية البعض لأنفسهم فيقولون صمنا وصلينا واعتمرنا وحججنا وغير ذلك وتصدقنا فنزلت الآية ((فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ)) إذاً الاعتبار الثاني الخوف من تزكية النفوس.

الاعتبار الثالث في الاستثناء في الإيمان هو النظر في قبول الأعمال عند الله فلا يدري المرء أهو من المقبولين أم من المحرومين؟

ولما كان السلف رحمهم الله جميعاً عندهم القلق والخشية والوجل من عدم قبول الأعمال لأنهم يتقلبون بين الخوف والرجاء يطمعون في رحمة الله عز وجل وجلين من سخطه سبحانه وتعالى حتى بلغ بهم الخوف مبلغاً عظيماً حتى بلغ بهم الخوف خشية الوقوع في النفاق وهذا قد سطره لنا التابعي الجليل ابن أبي مليكة رحمه الله لما قال (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صل الله عليه وسلم كلهم يخشى النفاق على نفسه) لذلك الله عز وجل لما أراد أن يبين لنا صفات المؤمنين قال ايش عنهم؟ ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ))

((عائشة رضي الله عنها سألت النبي صل الله عليه وسلم يا رسول الله أهو الرَّجُلُ يَزني ويَسرِقُ ويَشرَبُ الخَمرَ؟ قال: لا يا بِنتَ أبي بَكرٍ -أو: لا يا بِنتَ الصدِّيقِ- ولكنَّهُ الرَّجُلُ يَصومُ ويُصلِّي ويَتصَدَّقُ وهو يَخافُ ألَّا يُقبَلَ منه))

وهذا الفارق بينهم وبين ما نحن فيه.. نحن لو فعلنا عبادة واحدة فقط تلاقي نفس الواحد طاير فوق السما حاسس أن هو خلاص ارتفع للدرجات العلى.. وهؤلاء ثلاثين من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أدركهم ابن أبي مليكه يخشون على أنفسهم النفاق، كل واحد يخشى النفاق

على نفسه هذا ليس تنطع هذه حقيقة وصل به الخوف والوجل من كثرة حتى ما عمل بأنه ألا يتقبل منه خوفاً من الله عز وجل، لأن الله عز وجل قال ايه؟ ((إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ))

فكأنهم يرون ونحن كيف نقول على أنفسنا متقين؟ المتقين تزكية ومعناها أن قبل **العمل لذلك ابن عمر يقول (لو علمت بأن الله تقبل مني سجدة واحدة لكان الموت أحب إلي)..** ليش؟ لأنه قال ((إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)) في معنى الآيه لأنه قد علم أن لو تقبل أصبح من المتقين دخل الجنة وفاز... لذلك كانوا يخشون على أنفسهم بالنظر إلى قبول الأعمال لا يعلمون قبلت أم لا؟ ولا يروا أنفسهم من أهل التقوى الخلص فخافوا ألا يقبل عملهم فاستثنوا من هذا الباب أيضاً يعني هذه من الحكم الإستثناء عند أهل السنة والجماعة..

ثم الاعتبار الرابع وهو أنهم أيضاً تجدهم استثنوا بعضهم فيما لا شك فيه من الأمور المستيقنة طبعاً هذا غير مسألة المرزوقة، لا هو يقصد هنا أنهم استثنوا في أشياء هي ظاهرة عندهم بالتيقن لكن استثنوا هنا مع وجود هذا الشيء من باب المخافة والاحتياطي للعمل ومثلوا على ذلك وليس بمعنى الشك بمعنى من قوله تعالى ((لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ))

فقال النبي صل الله عليه وسلم ((إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بما أَتَّقِي))... والله قال ((لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ))

وليس هذا شكاً والنبي صل الله عليه وسلم لما قال للميت ((على اليقين كنتَ، وعليهِ مُتَّ، وعليهِ تبعثُ، إن شاءَ اللَّهُ)) طب ما هو النبي صلى الله عليه وسلم قال ((وعليهِ تبعثُ، إن شاءَ اللَّهُ)) لا يمكن أن يشك النبي صلى الله عليه وسلم في البعث، ولا يمكن أيضاً أن الصحابة يشكون في أنهم سيدخلون المسجد الحرام، إن الله قال لهم لتدخلوا هما طبعاً في الأول لما النبي صلى الله عليه وسلم رأى الرؤيا في صلح الحديبية أنهم يعتمرون فأحرموا فذهبوا للعمرة فوقفوا في صلح الحديبية فرجعوا فلم يعتمروا فنزلت الآيات { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ...} طبعاً إن الله يبين تحقيقاً ستدخلن لكن بمشيئة الله، فهنا المعنى كانت ليس الاستثناء سيدخلون لكن بمشيئة الله في الوقت الذي يريده الله عز وجل، والنبي صلى الله عليه وسلم لما قال ((**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بما أَتَّقِي**))هو يرجو هنا من باب التحقيق في الخشية، وأيضاً ((**وعليهِ تبعثُ، إن شاءَ اللَّهُ**)) هو يعلم أنه سيبعث لابد من البعث هنا يقين البعث موجود لكن هو يرجو له أن يبعث على ما مات عليه وعلى ما عاش عليه، فهنا يقصدون أن هو بيستثني في الشيء الذي هو مستيقن من حدوثه لكنه قد لا يعلم كيفيته أو لا يعلم وقته أو غير ذلك، مع إن هو مستيقن من حدوثه أيضاً، لكن هو من باب تأكيد ذلك القول يعني من باب الجزم بالحدوث، الاستثناء هنا من باب الجزم بالحدوث ولا يشكون في حدوثه.

قالوا من الحِكَم أيضاً في الاستثناء لتبين مسألة أنهم يستثنون مع وجود الشيء يقيناً ما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر لما قام أولاً دعا الله عز وجل في الليلة ثم أنبأه الله عز وجل بمصارع الكفار في اليوم أماكنهم فالنبي صلى الله عليه وسلم أعلم الصحابة مصارعهم ثم دخل بعد ذلك خيمته ثم قال مرة أخرى (اللهم انجز لي ما وعدتني)، مع إن هو الله عز وجل أخبره بمصارع القوم ثم رجع بعد ذلك (اللهم انجز لي ما وعدتني) فاستعان بالله عز وجل مع يقينه بأن الأمر سيحدث، وهذا يبين لك أنهم استعانوا مع يقينهم بالحدوث، لذلك البعض يقول يستثنون مع يقينهم بحدوث الشيء، فاهمين أين اللفتة فيها؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم

استعان بالله مع إنه مستيقن أنه سيحدث غداً بل أعلمه مصارع القوم ورجع ودخل الخيمة فدعا مرة أخرى لأنه يعلم أن الاستعانة بالله سبب فكررها لذلك مع يقينه، إذاً ممكن أن تقول الاستثناء مع يقينك بحدوث الشيء لكن من باب الجزم أيضاً واتخاذ الأسباب التي أرادها الله عز وجل لحقوق الأشياء.

طبعاً السلف يرون أيضاً في مسألة الاستثناء أن المرء لما بيستثني حتى لا يغتر بأي عمل قام به، كان عظيماً أو جليلاً وفيه شعور بالفقر والمسكنة والحاجة إلى رحمة الله عز وجل ويخشى المرء من بطش الله ويطمع في رحمته قال تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} فقالوا لازم المرء يعيش متعلقاً كما قلنا بالخوف والرجاء وأيضاً متعلقاً بمسألة الإيمان هذه والاستثناء فيه أحياناً حتى لا يأخذه العجب والسرور والفرح والرياء والغرور تحديداً بما يفعله من الأعمال فتكون هذه من باب المراقبة له.

كل هذه حكم واعتبارات عند السلف في الاستثناء قد تغيب عنا ونظن أن المسألة فقط فقهية لأن نحن كنا ندرسها من قبل على سبيل أقوال العلماء ثلاثة فيها منهم من قال بالمنع ومن قال بالجواز ومن قال بالشك أو عدم اليقين، لكن السلف أبرزوا هذه المسألة في مواطن كما بينا الآن للاستفادة من هذه الحكم في المسألة وهي تذكير للمرء بمراقبته لله عز وجل حتى وإن كان يعمل الأعمال الصالحة.

طب هل الاستثناء في الإيمان يستلزم الشك؟ لا. وهذا هو المقصود أن أهل السنة والجماعة ردوا على المرجئة الذين منعوا الاستثناء في الإيمان، وأنه لا يلزم الاستثناء في الإيمان وجوب الشك والريب في إيمان المستثني وقلنا إن المستثني لا يستثني لشك في نفسه على كونه مؤمناً هذا لا يشك فيه، لكن يستثني خوفاً من تزكية النفس أن يعتبر نفسه مؤمناً كامل الإيمان مستحقاً للجنة مقبولاً عند الله عز وجل، فهو استثناء في الأعمال وليس في أصل الإيمان كما بينا، فالكل يعرف بالتقصير في الطاعات والتهاون أحياناً في المنهيات أيضاً، وقلنا بأن السلف يعني أظهروا مسألة الاستثناء ليردوا على المبتدعة المرجئة وغيرهم الذين جعلوا الاستثناء في الإيمان موجب للشك، لذلك أهل السنة كما قلنا لا يستثنون في أصل الإيمان ولا يستثنون في الإسلام بل يستثنون فقط في الإيمان الكامل الواجب أو الكمال المستحب، لذلك قلنا { لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ....} الآيات هذا تحقيقاً لا تعليقاً، الله عز وجل يحقق ذلك وأنه سيحدث أصالة، لذلك أيضاً في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء للميت لما تقول (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) طب هو أين إن شاء الله لاحقون؟ ما هو يقيناً نحن لاحقون، العلماء قالوا هو ميت لا محالة والنبي يعلم ذلك وكلنا يعلم ذلك لكنه لا يعلم أين سيموت {..... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.....}، ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة قال وعلى أي شيء يقع الاستثناء؟ قال على البقاع لا يدري أين يُدفن أيدفن في الموضع الذي سُلِم عليه أم في غيره؟ التي هو كان فيه هذا أم في غيره؟ ليضبطوا لنا مسألة الاستثناء كيف تكون.

وأيضاً لما قال النبي صلى الله عليه وسلم للميت (وعليه تبعث إن شاء الله) أي على الإيمان تبعث أيضاً واستثنى من باب الخوف والاحتياط للعمل فهو يخاف ألا يكون هذا قد كمّل المأمور

به فاستثنى لذلك، الذي هو يرجع للإيمان الواجب الذي بيُستثنى فيه، لذلك قال له (وعليه تبعث إن شاء الله)، لأنه لا يعلم أهو أتى بالإيمان الكامل الواجب أم لا؟ فخاف لذلك، لذلك أيضاً حديث الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني خبأت دعوتي وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً) طب وهي الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يشك في أن شفاعة الرسول نائلة يعني ستستجاب، فالله الذي جعل له ذلك عز وجل سبحانه وتعالى ولا يشك أن شفاعته نائلة لأهل التوحيد من أمته لأن الله وعده بذلك لكن هو استثنى هنا لماذا؟ لأن لا يكون شيئاً إلا بمشيئة الله وإرادته مع إخبار الله عز وجل له لكن هو أراد ان يستثني ليبين أن كل شيء يكون بمشيئة الله وإرادة الله عز وجل.

طيب أخيراً في المسألة هو أن السلف أنكر على المرجئة سؤالهم، هم المرجئة أول من أظهروا هذه المسألة في مسألة الاستثناء في الإيمان واعتبروا أن هذا بدعة ابتدعها المرجئة لماذا؟ ليحتجوا بهذه المسألة على مذهبهم في الإيمان بالتصديق كيف؟ هم أظهروها حتى يقرروا على أن معنى الإيمان التصديق، لماذا ابتدعوا المرجئة هذه المسألة ليحتجوا على مذهبهم بأن الإيمان هو التصديق؟

الرجل إذا سئل أمؤمن أنت؟ يعلم أنه ليس بكافر ويجد قلبه مطمئناً بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أنا مؤمن جزماً تمام؟ قالوا ولكن لا يجزم أنه أتى بالعمل كما هو مأمور به صح؟ فعندئذ هم يقولون إذاً الإيمان التصديق، ما هو لن يستطيع أن يجزم أنه أتى بالعمل ولو لم يجزم سيكون كافراً فيردون أن الإيمان هنا يتبقى لهم بالقول أن الإيمان لابد أن يكون تصديقاً فقط والعمل لا يدخل فيه، لأنه لما يُسأل أنا مؤمن لابد يجزم إن أنا مؤمن، لو لم يجزم أنه مؤمن سيكون كافر، هم أرادوا ذلك، فأخذوها من باب أن هو لا يمكن أن يجزم بالعمل ولابد أن يجزم بالإيمان فإذاً العمل لن يدخل في الإيمان يتبقى التصديق لأن هو الذي لا بد أن يجزم به، فروجوا لهذه المسألة حتى يحتجون على أن الإيمان هو التصديق فهمتم المأرب؟

لذلك السلف أنكروا عليهم وبدّعوا من يسأل الناس ويمتحنهم في الإيمان هكذا، مع إن السلف بيّنا حكمتهم ايه في الاستثناء كما بيّنا، لكن أصل المسألة كانت للمرجئة، لذلك بعد ذلك السلف أرادوا أن يبينوا الاستثناء كيف يكون فبينوا الحكم التي فيها لماذا؟ ليردوا على بدعة المرجئة، لذلك هم قالوا نحن لا نقول بالاستثناء في أصل الإيمان هذا كلام السلف، لأن أصل الإيمان لا يمكن أن يكون فيه استثناء لأن هو الإسلام، لابد أن يكون فيه يقيناً، لكن نقول بالاستثناء في الإيمان الكامل الذي فيه الطاعات والواجبات لأن عندنا الإيمان يزيد وينقص ويختلف الدرجات فيه، فهذا كان إنكار السلف على السؤال عن الإيمان وأنه بدعة عند المرجئة لهذا السبب لأن المرجئة أرادت أن تستدل به على أن الإيمان يكون بمعنى التصديق.

هذا كان آخر الكلام في القاعدة.

طيب القاعدة التي تليها وهي قاعدة مراتب الإيمان، مراتب الإيمان ثلاثة: أصل الإيمان، الإيمان الواجب، والإيمان المستحب.

نأتي بتأصيل القاعدة، ثم نتكلم عن تعريف المراتب الثلاثة، ثم نتكلم عن مسألة هامة وهي دخول الأعمال في المراتب الثلاثة، ثم حكم التقصير في كل مرتبة منهم.

طيب هذه القاعدة أصلها طبعاً يأتي لنا من مسألة تعريف الإيمان الذي عرفناه من قبل، وهنا الإيمان قلنا مركب، والإيمان مركب من شعب، مركب من قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل اللسان وعمل الجوارح، وقلنا أن الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل أهل الإيمان والإيمان له

أعلى وأدنى والإيمان له شعب، إذاً الإيمان له درجات ومراتب، ولا يرتقي المؤمن في مراتب الإيمان إلا بالأعمال الصالحة والشهادة والتقرب إلى الله عز وجل مع نقاء التوحيد والخلاص من الشرك، لابد من كل هذا حتى يرتقي المرء من مرتبة إلى أخرى في الإيمان.

فقلنا أن مراتب الإيمان ثلاثة: أصل الإيمان، والإيمان الواجب، والإيمان المستحب، هذا التقسيم من أين؟ استقرائي. يعني ايه استقرائي؟ استقرائي على ضوء الكتاب والسنة يعني السلف تتبعوا الآيات والأحاديث فاستنبطوا منها ـ وإن كان العبارات مختلفة عند السلف ـ هذه المراتب الثلاثة بعضهم يقولون مثلاً مؤمن حقاً والبعض يقول مؤمن مستكمل الإيمان، أياً كان يعني في الألفاظ تجدها مختلفة عند السلف، طبعاً على حسب ما جاء في القرآن، القرآن جاء بمؤمن حقاً مثلاً من قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)}

فسمى البعض لما أتى يرتب أخذ الفاظ القرآن فقال منه درجة مؤمن حقاً.

وبعدين قالوا مؤمن كامل قال النبي صلى الله عليه وسلم الحديث: (أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا وخيارُكم خيارُكم لأهلِه) فقالوا إذاً في كمال الإيمان فأخذوا من الألفاظ التي في الآيات والأحاديث وجعلوا منها المراتب.

لكن الآية التي حقيقة يعني ممكن تكون الأصل في ذلك، التي جاء فيها الترتيب الثلاثة وهي قول الله عز وجل: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} هذه الثلاثة التي يعني استقرأها العلماء من هذه الآية تحديداً وتكلم عنها حتى الفضيل بن عياض وغيره، أخذوا هذه الآية وبينوا بأن فيها ثلاثة مراتب، منهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، والفضيل بن عياض سُئِل عن مسألة تقسيم مراتب الإيمان فقال الإسلام أصل وفروع، فقال هذا من رأيك؟ يعني يسألون الفضيل أهذا رأي تقوله أم سمعته؟ قال بل سمعناه وتعلمناه، يعني من العلماء السلف سمعوه وتعلموه ولو لم آخذه من أهل الفقه والفضل لم أتكلم به، يعني أراد أن يقول أن هذا منقول عن علماء السلف الفضيل بن عياض يقول ذلك.

وقال ابن تيمية أيضاً رحمة الله عليه أن الإيمان مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق.

كلام ابن تيمية في الإيمان ، أن الإيمان مركب من أصل لا يتم بدونه -يبقى هذا المقتصد- ومن واجب ينقص بفواته نقصاً يستحق صاحبه العقوبة هذا الإيمان الواجب الذي هو الأعلى المقتصد، ومن مستحب يفوته بفواته علو الدرجة هذا السابق، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق.

نعم هي كلها حقيقة مستنبطة من الآية كما قلنا، طيب إذاً الإيمان ينقسم إلى مراتب له حد أدنى وهو أصل الإيمان الذي لا يوجد إيمان ولا يدخل صاحبه فيه إلا بالإيمان وهو أقل المراتب

وأدنى المراتب وهذا الإيمان يقابله الكفر والعياذ بالله يعني دون الإيمان هذا الكفر ليس دونه شيء إلا الكفر، وله كمال والكمال هذا كمال يشمل الكمال الواجب الذي أوجبه الله عز وجل على العباد وهي المأمورات فعل الطاعات والمأمورات والنهي عن المحرمات وهذا الذي من فعله يجازى بالجنة ومن خالفه يجازى بالنار أو يلزم العقوبة على القصور ثم الكمال المستحب وهو عبارة عن ما رغب فيه الشارع ورتب عليه الدرجات العلى وسمى أصحابها بالسابقين إلى الخيرات الذين أكملوا الواجبات وانتهوا عن المحرمات وفعلوا المستحبات وتجاوزوا عن المكروهات أو تعففوا عن المكروهات فهم أصحاب المناقب العليا والمراتب العظيمة الكبيرة الجليلة أصحاب الهمم والعزائم، وهو الذي ممكن تأتي به في حديث جبريل الإسلام والإيمان والإحسان، أركان الإسلام الذي هو أصل الإيمان والإيمان يرتفع ثم الإحسان، وممكن تعريفها كما قلنا بنصوص الكتاب والسنة كيف تعلم بقى أن هذا من أصل الإيمان؟ وهذا من الإيمان الواجب وهذا من الإيمان المستحب؟ هذه المسألة دقيقة ومهمة انتبهوا معي بارك الله فيكم كيف تعلم الفرق أن هذه مرتبة أصل الإيمان أو إيمان واجب أو إيمان مستحب؟

إذا نفى الله عز وجل الإيمان بالكلية بسبب ترك فعل أو اشتراط الله عز وجل ورسوله أعمالاً لصحة الإيمان دل ذلك على أن هذا من أصل الإيمان، أن هذه الأعمال من أصل الإيمان وأن من لم يأت بها لا يكون معه أصل الإيمان. تاني؟ هم إذا نفى الله رسوله الإيمان بالكلية بسبب ترك فعل هذه أول حاجة أو اشترط الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أعمالاً لصحة الإيمان دل ذلك على أن هذه الأعمال من أصل الإيمان ومن لم يأت بها ليس بمؤمن أو ليس معه أصل الإيمان، يعني إما يأتيك نفي الإيمان عن أحد فعل هذا الشيء؟ نفي الإيمان بالكلية أو يأتيك في الكتاب أو من السنة أن هذا شرط في صحة الإيمان ، وفي الأولى من فعله انتفى عنه الإيمان بالكلية، يبقى هذا أول شيء يبين لك المرتبة الأولى أو أن هذا العمل من المرتبة الأولى، طبعاً ممكن تأخذ أحد يعني أحد تفسيري قوله عز وجل **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** قلت أحد التفسيرين -وأنا مش في مقامي الآن للتفسير- لكن أحد تفسيري هذه الآية بعضهم حمل **(لَا يُؤْمِنُونَ)** على الإيمان الأصلي مطلق الإيمان على أصل الإيمان فجعلوا أن التحكيم إن من لم يحكم ويسلم وينتفي الحرج ليس معه أصل الإيمان لم يؤمن، والبعض حمله على الإيمان الواجب، والإثنين ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان بس المهم إن عندنا هذا للتمثيل، هذا هنا نفي الإيمان.

في موطن آخر الله عز وجل سمى المتحاكمين إلى غير شرعه بالمنافقين **({أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61)}** [النساء : 60-61]

سماهم الله منافقين لأنهم لم يتحاكموا إلى شرع الله عز وجل، فدل ذلك على أن التحاكم إلى الشرع من أصل الإيمان لأنه خلاص سماهم الله منافقين يبقى هذا من أصل الإيمان و مطلق الإيمان، انتبهنا هنا في نفي الإيمان وفي التسمية.

بل بين الله بعض الأعمال من أتى بها أصبح مسلماً **(فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)** ولذلك بعض العلماء يستدلون بكفر تارك الصلاة والزكاة أيضاً للاقتران بالآية هذه وليس المبحث هنا التفصيل في الفرع هذا، لكننا نتكلم أن هنا من الأدلة التي تبين أنه جعل صحة الإسلام داخلة لمن دخل في الإسلام بإتيان بعض الأعمال فإن لم يأتي بهذه الأعمال دل على أنه ليس بصحة إسلامه قال **(فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** إذا قلنا من أركان لا إله إلا الله أصلاً الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فمن لم يأتي بذلك فليس بمسلم ليس بمؤمن ليس معه أصل الإيمان أيضاً، **قال النبي صلى الله عليه وسلم (بيْنَ الرَّجُلِ وبيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ.) في رواية فبعضهم يستدل على أن هذه الأعمال في أصل الإيمان ويريد أن يقول تارك الصلاة** كافر مع الخلاف الموجود بين العلماء.

هنا بينا هذه كله في أصل الإيمان، طيب إذا جاء نفي الشارع عن الإيمان بسبب الاختلال في الطاعة أو الوقوع في معصية لا تصل إلى درجة الكفر، يدل على أن فعل تلك الطاعة وترك تلك المعصية من الإيمان الواجب. هكذا طلعنا درجة لماذا؟ لأن الشارع لم ينفي الإيمان عن المؤمن لم ينفي عنه الإيمان بالكلية هنا، فلما جاء نفي الإيمان وليس هذا الفعل من أفعال الكفر فلما نفى عنه الإيمان علمنا أنه نفى واجب لأنه لا ينفي الإيمان إلا عن واجب، إما ينفي بالكلية فيكون في أصل الإيمان أو ينفي الإيمان عن شيء دون الكفر فدل ذلك على هذا من الإيمان الواجب الذي يعذر ويستحق العقاب فيه،

مثل قول (واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ .قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ) (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) هذا نفي إيمان لأن البعض يظن أن حب المرء لأخيه هذا من باب التفضل انتبهوا هذه أشياء بتغيب، يعني إن أنا أحب لأخي مثلاً ربنا رزقه بشيء بولد بزوجة بمال بعلم فلو أنا لم أحب هذا لا شيء فيها ليس هناك مشكلة ، لأ أنت هكذا واقع في معصية، طب لماذا كل هذا؟ لأن هذا إيمان ليس إيمان مستحب هذا إيمان واجب، أنت وجوباً عليك أنك تحب لإخوانك ما تحب لنفسك وتكره له ما تكرهه لنفسك بضابط الشرع طبعاً في هذه المسألة لماذا؟ لأن لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لما قال لا يؤمن قلنا طبعاً هذا ليس نفي لأصل الإيمان لن يكفر، لكن ما دام قال نفى الإيمان يبقى نفى عنه واجب لأن لا يأتي الشرع بنفي الإيمان إلا لو فيه شيء فعله معصية أو شيء ترك فيه واجب، ما دام نفى عنه الإيمان فلذلك كل الآيات أو الأحاديث التي فيها نفي إيمان فعله دون الكفر هو هذا نفي للإيمان الواجب فمن لم يفعل يأثم يقع في معصية ومن لم ينتهي عن المنهي عنه وقع في الإثم قال **(لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً إلى آخر الحديث قال وهو مؤمن) في الكل قال (وهو مؤمن)** طب كل هذا دون الكفر فلن نقول قول الخوارج لأن هذه الأعمال دون الكفر؟ يبقى هنا ايش؟ إنه لم ينتهي عن الذي أمر الشرع بالنهي عنه فوقع فيه فارتفع عنه الإيمان نقص فيه الإيمان، فدل هذا أنه إيمان واجب وإن كانت

هذه كبيرة أو غير ذلك. فإذاً أنت عرفت الضابط الآن في معرفة الإيمان الواجب كيف يكون؟ والضابط قبلها في معرفة أصل الإيمان،

الثالث إذا ذكر الشارع فضائل بعض الأعمال وفضائل إيمان صاحبها الذي يفعلها، لكنه لم ينفي عن الإيمان على تركها، دل ذلك على أن هذا من الإيمان المستحب. وهذا ضابط لما يأتي الشرع يحبب ويذكر بعض الأعمال وفضل هذه الأعمال ثم لم ينفي الإيمان عمن تركها دل على أنها من الإيمان المستحب كترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل والنوافل والأذكار **وقال النبي صلى الله عليه وسلم (رِبَاطُ يوم في سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا) وقال (عَينانِ لا تمَسَّهما النَّارُ : عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل اللهِ) وقال (مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا في سَبِيلِ اللهِ إيمانًا باللَّهِ وتَصْدِيقًا بوَعْدِهِ، فإنَّ شِبَعَهُ ورِيَّهُ ورَوْثَهُ وبَوْلَهُ في مِيزانِهِ يَومَ القِيامَةِ) (ومَن قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ.)**

طب لو أحد لم يقم ما نفى عنه الإيمان، لكن أتى بالكمال المستحب إلى ذلك.

فلذلك الضابط مهم جداً وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موطن في كتابه قال (أن نفي الإيمان عند عدمها دل على أنها واجبة) نفي الإيمان عند عدمه أي عند عدم فعل هذا العمل دل على أنها واجبة، وإن ذكر فضل إيمان صاحبها ولم ينفي إيمانه دل على أنها مستحبة، هذه الجملة مهمة قوي تلخص لكم الإيمان المرتبة الثانية والثالثة، نفي الإيمان عند عدمها دل على أنها واجبة وإن ذكر فضل إيمان صاحبها ولم ينفي إيمانه دل على أنها مستحبة.

قال (إن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفي مسمى الإيمان إلا إذا تُرك بعض الواجبات) لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (**لَا صَلَاةَ لِمَن** لَمْ يَقْرَأْ بفَاتِحَةِ الكِتَابِ) تعلم هنا أن هذه واجبة لما نفى ، أو(**-لا إيمانَ لمَن لا** أمانةَ له) **نفى الإيمان، يبقى الأمانة ايش؟ ليست مستحبة بل الأمانة واجبة، (**ولا دينَ **لمَن لا** عَهدَ له.) **نفى الدين فيها، طبعاً نقول هذا ليس نفي بالإسلام بالكلية، فهنا إذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفي الإيمان لو انتفى المستحب.**

أصل الإيمان غير الإيمان الواجب، الفرق بين أصل الإيمان أنه سينفي الإيمان بالكلية عنه فيخرج من الإيمان للكفر، لما ينفي الإيمان بالكلية عنه يبقى خلاص هذا ليس عنده أصل الإيمان (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) من لم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت فلم يستمسك بالعروة الوثقى التي هي لا إله إلا الله إذن خرج من الإيمان للكفر، لكن الإيمان الواجب هو بينتقص الايمان فهو معه أصل الإيمان، فلم ينفي عنه الإيمان بالكلية بل نفى عنه درجة من درجات الإيمان نتيجة فعل المعصية أو ترك الواجب، هذا الفارق بين الأصل الإيمان والإيمان الواجب.

والإيمان المطلق هذا نوعين لابد أن تقسم الإيمان المطلق هذا إلى إيمان مطلق واجب وإيمان مطلق مستحب، أما مطلق الإيمان هذا الأصل الدرجة الأولى الذي معنا، أما الإيمان المطلق درجتين إيمان مطلق واجب وإيمان مطلق مستحب.

إذن أصل هذه المسألة استنبطها العلماء من قوله تعالى **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)** إلى آخر ما بيننا (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق) وطبعاً ظالم لنفسه في أقوال لن نتعرض إليها عند العلماء لأن بعضهم قالوا الظالم لنفسه أرادوا أن يجعلوه الكافر وأحد التفاسير، والصحيح هنا في الحديث معنى أن (الظالم لنفسه) هو المفرط في فعل الواجبات والمرتكب لبعض المحرمات.

هنا على هذا التفسير أن هم الثلاثة من أهل الإسلام في ذلك، لكن هنا لما قالوا بعضهم ظالم لنفسه عرفوها المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات والمقتصد المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، خالي بالكم إن هذه في تفسيرها غير الذي أنا كنت بقوله الآن، سنحاول ضبطها فالظالم لنفسه دخل فيه أصل الإيمان والذي نقص عنده الإيمان الواجب، يعني الظالم لنفسه دخل فيه الإثنين لأن بعضهم حقيقة لم يدخلوا أصل الإيمان لأن لو أصل الإيمان أصبح كافر، فلم يدخلوه في هذا فجعلوا الظالم نفسه من نقص عنده الإيمان الواجب يعني ايه؟ بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات، ثم المقتصد الذي أتى بالواجبات وانتهى عن المحرمات فقط، والسابق الذي ضاف عليهم فعل المستحبات وانتهى عن المكروهات. تمام؟ ولا يخالف الذي كنا بنتكلم لكن هو الفرق إنهم جعلوا الظالم لنفسه الذي لم يحقق الإيمان الكامل لذلك هو ظالم لنفسه. لماذا قالوا ظالم؟ لأنه بيستحق العقوبة لأنه فعل بعض المحرمات وترك بعض الطاعات، و ليس هنا مطلق الإيمان بل هو أخرج مطلق الإيمان لأن بعد مطلق الإيمان الكفر فهو جعل الآية قلنا في المسلمين.

التفسير الثاني الذي أراد إن الظالم لنفسه جعله من الكفار فجعله ليس معه مطلق الإيمان، خلينا في التفسير الأول يبقى هو ظالم لنفسه الذي لم يحقق الإيمان الواجب عندهم لأنه سموه ظالم لنفسه، هو مسلم لكن ظالم لنفسه يعني ايش؟ فعل بعض المحرمات وترك بعض الطاعات، المقتصد الذي أتى بكل الواجبات وترك كل المحرمات، السابق الذي ضاف عليه فعل المستحبات وانتهى عن المكروهات.

طيب هكذا بينا معنى تعريف المراتب الثلاثة، نعرض عليها سريعاً أصل الإيمان وهو الحد الأدنى من الإيمان لا يوجد للإنسان إيمان بدونه وبعد ذلك يخرج إلى الكفر وهذا عامة الناس إذا أسلموا فمعهم أصل الإيمان، عامة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولد على الإسلام و التزموا الشرائع فمعهم أصل الإيمان، وإذا كانوا من أهل الطاعة فارتقوا بعد ذلك بفعل الواجبات وانتهاء المحرمات دخلوا في المرتبة الثانية وهي كما الإيمان الواجب، ثم ارتفعوا بعد ذلك بفعل المستحبات وانتهاء المكروهات دخلوا في المرتبة الثالثة وهي الكمال المستحب.

طيب المرتبة الأولى ليس فيها زيادة ونقصان لو صح القول لأن هي هيبقى نقيض الإيمان فيها الكفر، أما المرتبة الثانية فيها زيادة ونقصان، نتكلم الآن عن أصل الإيمان والإيمان الواجب والإيمان المستحب فالإيمان الواجب الذي هو أصل الإيمان ليس فيه زيادة أو نقصان لو قلنا، لأن النقصان سيؤدي الخروج من الإيمان لأن أصل الإيمان سينقطع، أما المرتبة الثانية الإيمان الواجب ففيه زيادة ونقصان الذي هو الكمال الواجب، الزيادة طبعاً إنه يأتي كل ما يأتي بطاعة واجبة هذه زيادة وكل ما يفعل محرم هذه نقصان، والثالثة الذي هي الإيمان المطلق المستحب الذي يزيد بفعل المستحبات وانتهاء عن المكروهات، وهذا تلخيص للآية التي كنا بنتكلم عنها.

نحن نقول لفتة في إنه عرفنا أصل الإيمان هذا كأنه الأركان التي لابد يأتي بها المرء حتى يصح الإيمان فيه وطبعاً لو أتى بشرك أو أتى بغير آخر خرج من أصل الإيمان، الإيمان الواجب هو لابد أن يأتي بالواجبات وينتهي عن المحرمات. طيب هل المحرمات فيها كبائر وصغائر؟ بالإتفاق أن من أتى بالكبائر نزل من الإيمان الواجب أو من المقتصد للظالم لنفسه. طب من أتى بالصغائر؟ هل ينزل؟ يعني حكم مرتكب الصغائر هل ينتقص من الإيمان الواجب أم لا؟

رد طالب

لو هو بيفعل جميع الواجبات وبينتهى عن جميع المعاصى ولكن يفعل المعاصى ولكن لا تصل للكبائر لا ينزل

الإجابة

هي مسألة خلافية هو في وقت ما فعل الصغيرة هل ننفي عنه الإيمان الواجب لأنه فعل هذه الصغيرة ؟

هم اتفقوا على أن الإيمان الواجب ينفي عند الكبائر (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لا يسرق حين يسرق وهومؤمن) فالنبي صلى الله عليه وسلم لم ينفي الإيمان الواجب إلا عن صاحب الكبيرة لذلك قالوا بأن المؤمن الذي يفعل الصغيرة ممكن يكفرها مباشرة بفعل حسنة أو بترك الكبائر نفسها

قال تعالى

{ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلا كَرِيما}

(سُورَةُ النِّسَاءِ: ٣)

فاجتناب الكبائر مع فعل الحسنات تمحو الصغيرة فلذلك قالوا أن فعل الصغيرة لا ينزله عن الإيمان الواجب يعني لا ينزله من المقتصد للظالم لنفسه على أنهم اعتبروا أن الكبائر هي المعيار في ذلك، لكن هم قالوا أيضاً لا شك بأن فاعل الصغائر إيمانه ليس كإيمان من لم يفعل الصغائر حتى لو كان في المقتصد لأن المقتصد أيضاً ممكن يأتي بدرجات ويتفاوت الدرجات بالإخلاص في نفس العمل كإخلاصه بالصلاة وإخلاصه بالصدقة لكن هو يأتي ينقص درجة على ما يأتي منها يعني اعتبر أن هذه مراتب وأن داخل المرتبة ممكن درجات أخرى والمسألة خلافية في ذلك

تعقيب من الطالب

ليس حد منا لا يفعل الصغائر

اجابه الشيخ

ما هي مسألة ما بتقفش على فعلك لأنك وأنت بتفعل الصغيرة الآن وأنت معك أعمال أخرى بتفعلها مستحبات كمان فتمحوا، لذلك هم اتفقوا أن الصغائر بتمحى بالحسنات وتمحى باجتباب الكبائر، فأنت وأنت بتفعل الصغيرة ممكن هذه خلاص هي محت في أعمال حسنة أنت فعلتها من قبل فما زلت أنت على المرتبة

إمتى هتنزل لما تكثر جداً صغائرك وأعمالك قليلة فلا تمحوها فهنا ممكن تقول أنا هنزل من المقتصد للظالم

فهمت نعم مافيش حد لا يفعل صغيرة لكن هو بيفعل الصغيرة لكن وهو بيفعل الصغيرة في عنده ميزان فيه كده أعمال كثيرة حسنات فأول ما تعمل صغيرة تروح في وسط حسنة يظل هو في نفس المرتبة ليس معنى أنه بيفعل الصغيرة أنه نزل في ساعة وقتها بخلاف من يفعل الكبيرة وقت ما بيفعل الكبيرة نزل

اجابه من الشيخ علي سؤال الصوت فيه غير واضح

عندنا الإيمان الواجب أو الكمال الواجب وهو ما زاد على أصل الإيمان من فعل الواجبات وترك المحرمات وهذا الإيمان الذي أوجبه الله عز وجل على عباده وهو فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المحرمات ورتب على الإيمان الواجب الثواب في الجنة والوعيد لمن لم يفعل ذلك بالنار و هذا التعريف الأول الذي هو المطلوب وهو الإيمان الواجب

والإيمان الواجب هذا ممكن تنزل تحته اثنين منهم مقتصد ومنهم ظالم لنفسه تحت الإيمان الواجب هذا الذى في الآية أما الإيمان المستحب الذي هو كمال المستحب هو إيمان السابق بالخيرات الذي هو الزائد عن الإيمان الواجب الزائد عن الإيمان بفعل المندوبات والمستحبات وترك المكرهات والمشتبهات الذي هو مقام الإحسان أيضاً و المراقبة

نختم القاعدة دخول الأعمال في كل مرتبة من الثلاثة في أصل الإيمان وفي الإيمان الواجب وفي الإيمان المستحب فأصل الإيمان لو قلنا أصل الإيمان بالقلب يبقى الأعمال في التصديق والإنقياد وتواطؤ القلب مع اللسان في الإقرار بوحدانية الله عز وجل والخضوع والمحبة والتسليم والرضا إلى غير ذلك ده في القلب فأصل الإيمان في القلب واللسان الإقرار بالشهادتين وما يتوقف على اللسان من الأعمال الداخلة في أصل الإيمان كاذكار الصلاة وغير ذلك والجوارح ما يكفر تاركها على من يقول بكفر ترك الصلاة أو مانعها كمانع الزكاة إذا الأعمال أيضاً بتدخل في أصل الإيمان نحن تتكلم أن الأعمال ستدخل في كل مرتبة من المراتب هذا من أصل الإيمان وإيمان الواجب والإيمان المستحب طيب يبقى ضابط دخول الأعمال في أصل الإيمان هيكون إيه ؟ انتبهوا أن كل طاعة يكفر تاركها ففعلها من أصل الإيمان كالتصديق والإقرار والانقياد القلبي ولو قلت بالصلاة يعني على الخلاف المعروف، وكل محرم يكفر فاعله فتركه من أصل الإيمان كالاستهزاء بالدين والدعاء والاستغاثة بغير الله والحكم بغير شرع الله والتحاكم إلى الطاغوت وغيره واضح كده ؟ هذه الأعمال في الأصل.

طيب في الواجب أى الإيمان الواجب كل شعب الإيمان الواجب دخله في هذه المرتبة سواء الأعمال فعلاً أو تاركا يعني كل عمل ورد في تركه وعيد ولم يكفر تاركه ففعله من الإيمان الواجب وكل عمل ورد في فعله وعيد ولم يبلغ حد الكفر فتركه من الإيمان الواجب كترك الفواحش والموبقات من الزنا والسرقة والربا وشرب الخمر والكذب والغيبة والنميمة والقذف وأكل أموال الناس بالباطل.

وأما الإيمان المستحب جميع شعب الإيمان المستحبة من نوافل العبادات والطاعات التي لم يجيبها الله عز وجل على العباد وهي كل ما سوى الواجبات في الإيمان الواجب وضابطه دخول الأعمال فيه كل عمل رغب الله فيه تعالى ورسوله ورتب عليه الثواب ولم يرد عليه وعد في تركه بعقوبة فهو من الإيمان المستحب وكل فعل نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل لحد التحريم كالمكروهات فتركه من الإيمان المستحب آخر شيء هو تقصير في كل مرتبه من

المراتب تقصير في مرتبة أصل الإيمان تؤدي إلى الخروج من الإسلام الخروج من الإيمان فأي عمل من الأعمال التي قلناها في أصل الإيمان و التقصير في الإيمان الواجب هيكون في أصل الإيمان ترك واجب من الواجبات أو فعل ناقض من نواقض الإيمان فيخرج من الإيمان التاني هو حق التقصير في الواجبات أنه لا يفعل بعض الواجبات أو لا ينتهي عن بعض المحرمات فيستحق الوعيد أما الإيمان المستحب فليس في التقصير إثما

سؤال

هناك من يقول نفي الإيمان في القرآن نفي لأصل الإيمان ونفي الإيمان في السنة نفي الإيمان الواجب أو المستحب هل هذا صحيح ؟

هذا يكون من باب الاستقراء لو أراد ذلك لكن لا يشترط يعني ممكن مثلاً قلنا قوله تعالى

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

بعض أهل العلم يتكلموا أن هذا ليس نفي لأصل الإيمان الذين يجعلون التحاكم أصلاً ويجعلون هذا نفي الإيمان الواجب ولكن أيضاً في السنة جاءت مسألة الصلاة فبعضها حملها على أصل الإيمان ممكن تقولي على الغالب لكن ليست مطرده على الغالب ممكن لكن هي تحتاج لتتبع حقيقة يعني لا أذكرها الآن أن هي مطرده كقاعدة أن نفي الإيمان في الآيات في الكتاب تكون نفي أصل الإيمان

سؤال

بالنسبة لمسألة فعل الصغائر واجتناب الكبائر هل ممكن تضبط بمسألة الموازين يعني الذي رجحت سيئاته على حسناته يكون انتقل من الظالم لنفسه وإن كانت السيئات أقل من الحسنات فما زال في مرتبة المقتصد ؟

الشيخ

طيب تقصد تقول أن حسناته أزيد فغمرت؟

الطالب نعم

طيب هذا ما قلناه فهناك فرق بين من بيفعل الكبيرة جاء الحديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فارتفع عنه الإيمان بفعل الكبيرة كلامنا في الصغيرة وهو بيفعل الصغيرة نزل ولا عنده من الحسنات حين يفعل الصغيرة أيضاً ؟

هو حين فعله للكبيرة ابن عباس قال كأنها ظلة الإيمان ارتفع طب لكن هنا في الصغيرة وهو بيفعلها هل ارتفع الإيمان ؟

لا ما ارتفعش إلا لو كان بينزل الصغيرة وليس عنده أعمال خالص ده أمر تاني بقى ونزل من الصغيرة بسبب الصغائر الكثيرة والإصرار عليها من مرتبة المقتصد للظالم نفسه وهذه ممكنة يعني أعماله قليلة وسيئاته كثيرة

خلاصه القول

الظالم لنفسه معه أصل الإيمان لكن لماذا ظالم؟ لأنه لم يحقق الإيمان الواجب والمقتصد الذى معه الإيمان الواجب والسابق الذى معه الإيمان المستحب

تعقيب من طالب

من حقق الإيمان الواجب و فعل كبيره هل فعل الكبيرة وقت ما بيفعل تنزله عن الإيمان الواجب إلى أصل الإيمان؟

نعم لكن ممكن يرجع عنها بتوبته والخلاف يرجع بعد كده هل لابد من التوبة فقط ولا أيضاً بالأعمال الصالحة الكبيره قلناها من قبل هل الحسنات تذهبن السيئات بالكليه ولا لابد من التوبة في الكبائر يعني هو عمل كبيرة ولم يتب منها لكن له أعمال صالحة كبيرة بعضهم قال لابد من التوبة لحديث العمرة إلى العمرة ورمضان إلى رمضان إلى آخر الحديث إذا ما اجتنبت الكبائر فهنا اشترط اجتناب الكبائر فلا بد من التوبة وبعضهم قال الحسنات العظيمة تكفر الكبائر بدون توبه مثلا حديث حاطب بن أبى بلتعه

سبحانك اللهم وحمدك اشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك وندخل في المقاصد دقائق معنا أن شاء الله

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم على موعد مع برنامج دراسة العقيدة والمرحلة الخاصة بقواعد في أبواب العقيدة

وما زلنا في القواعد الخاصة بالإيمان،

ذكرنا قاعدة تعريف الإيمان ثم ذكرنا الاستثناء في الإيمان، ثم تكلمنا عن تفاضل أو مراتب الإيمان، واليوم نتكلم عن أن الإيمان له لوازم ومقتضيات يعني هو ما تبقى معنا في الإيمان أن نتكلم اليوم عن أن الإيمان له لوازم ومقتضيات، ثم نتكلم بعد ذلك عن أن الإيمان له نواقض أيضا، ولعل هذا يكون ختام الكلام في قواعد الإيمان، لكن اليوم معنا الكلام على أن الإيمان له لوازم وله مقتضيات.

قد بينا أن الإيمان هو الإسلام يكون به المرء مؤمنا أو مسلما بالدخول بالشهادتين قلنا قول اللسان وعمل القلب أو قول اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح، ويدخل به المرء في الإسلام ويكون مؤمنا بالنطق بالشهادتين مع تصديق القلب ولا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكن دخول المرء في الإسلام أو كونه مسلما بتحقيق الشهادتين لا يكفي بدون أن يأتي بشروط هذا الإيمان ومقتضيات هذا الإيمان، فكلمة التوحيد هو الدخول بها المرء في الإسلام، لكن لابد من تحقيق التوحيد علما واعتقادا وقولا وعملا وهذا الذي عليه إجماع الصحابة رضوان الله عليهم وإجماع السلف، ولذلك ذكر علماؤنا أن للإيمان لوازم وله مقتضيات وأن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم اشترطوا أو اشترطا شروطا لصحة الإيمان وقد ذكرت هذه الشروط متنوعة في كتب العلماء وهي كثيرة لكنهم حصروا أصول هذه الشروط في سبعة شروط يسميها البعض شروط لا إله إلا الله وهي لوازم لا إله إلا الله أو لوازم الإيمان ومقتضيات الإيمان أيضا.

والأدلة على هذه القاعدة أن للإيمان لوازم ما قد جاء من الكتاب وجاء من السنة فجاء من قوله تعالى **"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"**

وقوله تعالى أيضا **" فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى"**

وقوله تعالى **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "**

وقوله تعالى **"لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ "**

ومن قوله تعالى**" لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ"**

كل هذه آيات بيّن فيها الله عز وجل أن الإيمان له لوازم حتى يكون مؤمنا كما سيأتي بالإسلام الاستسلام والانقياد والخضوع والإذعان والصدق وعدم الريبة والتردد إلى غير ذلك والانقياد والولاء والبراء، لذلك الإيمان له لوازم وله أضداد ونواقض، تستلزم بثبوت الإيمان ثبوت هذه اللوازم عند المرء وينتفي عنه هذه الأضداد أيضا، فمن أضداده أن نواد من حاد الله ورسوله، ومن أضداده الاستئذان في الجهاد كما جاء في وقت الأمر بالجهاد، بل قال الله عز وجل أن من

استأذن في هذا الوقت صار من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر لأنه قال والله عليم بالمتقين، إذا الذين يستأذنون ليسوا من المتقين ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

ومن السنة جاءت الأدلة أيضا على أن للإيمان لوازم قال" **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**" يبقى لابد من قال لا إله إلا الله ويكفر بما يعبد من دون الله وهذه من لوازم الايمان بل هي كما تأتي من أركان لا إله إلا الله الولاء والبراء والإيمان والكفر والنفي والإثبات، ثم جاءت أحاديث تشترط شروطًا للإيمان من الإخلاص والمتابعة والصدق والبراءة من الشرك ودي سنتكلم عنها الآن في لوازم الإيمان، فالمسألة ليست مجرد تلفظ الشهادتين فقط بل المرء إذا أقر بالإيمان يلزمه ما يجب عليه من لوازم الإيمان ويلزمه أن يأتي بمقتضيات الإيمان كي يصح إيمانه ويتحقق توحيده وعبوديته لله عز وجل ذلك.

لذلك ذكر علماؤنا لوازم الإيمان وقبل أن ندخل فيها تفصيلا نبين أن الناس **على ثلاثة فرق في هذه المسألة؛** فرقة نطقوا بالشهادتين وحققوها وعلموا أن لها معنى أو معاني وعملوا بها وأن لها نواقض فاجتنبوها، وفرقة نطقوا بها في الظاهر فزينوا ظواهرهم بالقول لكنهم استبطنوا الكفر والشك، وفرقة نطقوا بها ولم يعملوا بمعناها وعملوا بنواقضها.

الأول هؤلاء أهل الإيمان، والثاني هؤلاء المنافقون، والثالث المشركون، قال تعالى عنهم "الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" فالكلام هنا الآن وطبعا احنا اتكلمنا من قبل على مسألة الإيمان ومعنى الإيمان، وأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة لابد فيه من العلم والعمل، خلافا لما نقل عن طوائف المبتدعة في تعريف الإيمان وقد بيّنا ذلك، هناك من زعم الإقرار فقط هم الكرّامية، هناك من زعم التصديق فقط وهؤلاء الجهمية، والله عز وجل قد بيّن كذب المنافقين مع أنهم أقروا حتى ما يستدل أحد يقول الإقرار فقط إيمان أقروا وشهدوا قال تعالى "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" فقالوا نشهد وأكدوا والله عز وجل كذبهم لماذا؟ لأنهم قالوا وما عملوا بذلك بل أبطنوا خلاف ذلك أصالة، فمن شهد أنه لا إله إلا الله ولم يصدق ولم يعمل كأنه لم يشهد، إذا لابد في الإيمان من التصديق والعمل، ومن شهد أنه لا إله إلا الله ولم يصدق ولم يعمل فلا شهادة له وإن صلى وصام وزكى وأتى بشيء من أعمال الإسلام لكنه لم يصدق أتى ببعض وترك بعض قال تعالى "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ" وقال تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا" إذا لم يقبل منهم أيضا أن يؤمنوا ببعض ويتركوا بعض.. يصلي ويصوم ولا يترك الشرك ولا يترك التصديق أو العمل أو غير ذلك أو لا يعمل.

لذلك سنتكلم عن لوازم الإيمان الذي هي عند البعض تسمى شروط لا إله إلا الله المشهورة عند العلماء لنبين أن هذه اللوازم لابد من قال إنه مؤمن أن يعمل بها:

أولا العلم المنافي للجهل، أي العلم بمعنى لا إله إلا الله نفيا وإثباتا قال تعالى **"فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ"** فلابد أن يعلم علم اليقين بأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة وهو رب العالمين وهو القاهر في الملكوت لا سلطان إلا سلطانه ولا أمر إلا أمره، وإذا أراد شيئا يقول له كن فيكون، وله الصفات العلى يحي ويميت وهو على كل شيء قدير والمتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيرا ومتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرا وتدبيرا، إذا علم المرء عظمة الله عز وجل وترسخ في قلبه معنى العبودية ومعنى الخضوع والاستسلام والانقياد والإذعان وعلم أنه لا يستحق أحد العبادة إلا الله عز وجل ويعلم ضعف المخلوقات التي معه، فلا يفكر البتة أن يدعو مخلوقا أو يستغيث به في كشف الكربات أو يعتقد فيه أنه يفعل شيئا من لوازم الربوبية أو غير ذلك فيعبد الله فمن حقق ذلك لابد سيعبد الله على بصيرة وعلى الإخلاص ولا يصرف أي عبادة لغير الله عز وجل أيا كانت، لا يتوكل إلا على الله ولا يدعو إلا الله ولا يذبح إلا لله ولا يقصد في الشدائد وفي الرغائب إلا الله عز وجل وهذا العلم الذي تعلمه سيوّرث له العبادة والإخلاص، أما الجاهل بمعنى لا إله إلا الله قلنا العلم شرط نقيضه الجاهل فلا يعرف للتوحيد معنى ولا للإخلاص مغزى وتراه ممكن يصلي ويصوم ويزكي لكنه لما يصيبه شيء يهرع إلى الأولياء وإلى القبور وإلى أهل الشرك فيستغيث بهم ويستنجد بهم ويقدم لهم.. وهذا جاهل حقيقة بالله عز وجل قال فيهم تعالى **"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ"** هذا الذي فعل ذلك لم يقدر الله حق قدره وتنقص من الله عز وجل لأنه عند الشدائد وغير ذلك والرغائب ذهب إلى غير الله عز وجل فالحصن الحصين للنجاة من الشرك والوقوف على التوحيد هو معرفة الله عز وجل أو معرفة معنى لا إله إلا الله عز وجل بحق وهو العلم الذي نتكلم عنه ومقتضى ذلك أن يرفع الجهل عن نفسه ويرفع الجهل عن معنى لا إله إلا الله والجهل أوقع الناس في الشرك والعياذ بالله وهم يحسبون أنهم مهتدون، لذلك لابد من العلم.. والعلم يسبق العمل لا يمكن أن يعمل بدون علم، لذلك الإمام البخاري بوب بابا في صحيحه قال باب العلم قبل العمل أو باب العلم قبل القول والعمل، ثم استدل بقوله تعالى **"فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ"** ولا تقبل الأعمال على جهالة لا تقبل الأعمال بلا علم، لأنه لا يُعلم مراد الله إلا بالعلم فكيف تفعل أشياء وانت لا تعلم مراد الله فيها؟ فلابد أنك ستقع في المخالفة، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة وهذا تطبيقا للآية من السنة لأن لابد العلم هذا سيدفعه للعمل أيضا، والعلماء كانوا يسمون العلماء علماء الذين كانوا يعلمون ويعملون بالعلم أما الذي يحفظ المسائل ولا يعمل بها فليس بعالم عند السلف، السلف عندما يقولون أن هذا عالم يقصدون أنه علم وعمل، لا يشترط أنه يحفظ المسائل فقط لابد أن يعمل بها، هذا العالم عندهم أصالة المهم أن هذا الشرط الأول من لوازم الإيمان وهو العلم المنافي للجهل.

الثاني اليقين المنافي للشك والريبة، اللازم الثاني من لوازم الإيمان اليقين المنافي للشك، واليقين هو اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاده أنه لا يمكن إلا كذا، واليقين لا يأتي إلا بعد قراءة العلم وصحة الاعتقاد الجازم، لذلك قلنا اليقين

اشترطنا اليقين الجازم لصحة الإقرار والإيمان لابد من يقين جازم وقلنا ليش جازم؟ يعني ينافي الشك والريبة لأن الإيمان لا ينفع مع الشك لابد أن يكون صاحب لا إله إلا الله مستيقناً مطمئن القلب بمدلول معنى لا إله إلا الله بل جازماً ومعتقداً اعتقاداً صادقاً لا تردد فيه ولا توقف ولا شك. ليش؟ لأن الشك تجويز أمرين ليس لأحدهما مزية عن الآخر لذلك لا يمكن أن يجوز أحد الشك في الإعتقاد لأن هذا كفر في توحيد الله عز وجل أنك تشك تجعل هناك تجويز لأحد الأمرين عن الآخر لذلك قال تعالى ((أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) أنكر الرسل على الكفار ذلك فلا يشك في الله تعالى ولا في دينه سبحانه وتعالى..

و من يشك هذا منافق مرتاب مكذب لله عز وجل و لرسوله والدليل من قوله تعالى ((**{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** [الحجرات : 15])) بل الشك والتردد من صفات أهل النفاق قال تعالى ((**{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}** [التوبة : 45]))

ومن السنة من قول النبي صل الله عليه وسلم ((من قال أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يَلْقى اللهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلَّا دخَلَ الجنَّةَ.)) مفهوم أن إذا شك في ذلك لا يدخل الجنة

وحديث أبو هريرة لما قال النبي صل الله عليه وسلم لأبي هريرة ((فمَن لَقِيتَ مِن وراءِ هذا الحائِطَ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بها قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ)) المفهوم أيضاً أن من كان غير مستيقن بها بالقلب ليس له الجنة وهذا اللازم الثاني من لوازم الإيمان

اللازم الثالث: القبول المنافي للرد. القبول لما اقتضته هذه الكلمة يعني أن تقبل كل ما اقتضى الإيمان أو اقتضى لا إله إلا الله ومن لم يقبل هذه الكلمة أو مقتضيات هذه الكلمة وهذا يتطلب منك أن تقبل الشرائع التي جاءت بها هذه الكلمة فمن رد هذه الشرائع و لم يقبلها فهو كافر لأن الكفار استكبروا أصلاً عن قبول دعوة الأنبياء واستكبروا طبعاً قبول دعوة النبي صل الله عليه وسلم والقبول يكون بالعبادة لله عز وجل وترك عبادة ما سواه والقبول يكون أيضاً بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وقبول ما جاء به من الهدى والنور فإذا لم يكن المرء كذلك فينزل تحت قوله تعالى ((**{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (36)بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ}**الصافات ٣٥_٣٧)) كفروا لماذا؟ بسبب الاستكبار والاستكبار هنا هينافي القبول،

هم لم يقبلوا استكبروا فلم يقبلوا دل ذلك على أن القبول شرط من شروط صحة الإيمان بل هي من لوازم كلمة التوحيد فمن كان يقول بلسانه لا إله إلا الله لكن لا يقبل أن تكون السيادة والريادة والأحكام للشرع أو بعض أحكام الدين ويرد بعض الأحكام يرفض ذلك ولم يتمكن الإيمان في قلبه ولن تنفعه لا إله إلا الله لأن هنا مستكبر عن الشرع الذي جاء من عند الله حتى وإن أقر بالبعض ورد البعض وما زال مستكبراً بل هو من جنس المنافقين الذين يدعون الإيمان ((﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون : 2])) أخذوا الإيمان جنة وقاية فقط للظاهر لكن الله عز **وجل فضحهم في ذلك والدلالة على مسألة القبول من السنة حديث النبي صل الله عليه وسلم قال ((مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ.))** و هو الثالث والثاني وهو مثل الذي أخذ العلم ونقله لغيره رب حامل فقه ليس بفقيه أو نقله لمن هو أفقه ..

الرابع في لوازم الإيمان *الإنقياد المنافي للترك القبول ثم الانقياد، الانقياد هنا هو التسليم الكامل الخضوع الأستسلام الإذعان لكل ما جاءت به لا إله إلا الله هو منافي للترك يعني انقياد ينافيه الترك،

الترك يعني عدم القيام بالحقوق والواجبات، الانقياد يبقى سيقوم، الترك إنه لا يقوم بالحقوق ولا بالواجبات، وحقيقة هذا هو المحك في صدق المرء وإيمانه هو هذا الانقياد، فلا إيمان بدون استسلام وخضوع لله عز وجل وشرعه، محك شديد جداً ومن لم ينقاد لأمر الله ونهيه فليس بمؤمن صادق، المؤمن الصادق هو الذي ينقاد لله ظاهراً وباطناً إخلاصاً ومحبة لله تعالى ليلاً ونهاراً يريد جنته ويخاف عذابه.

قال تعالى عنه في آيات عدة منهم: ﴿..... وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

ومنها: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هذا في التحاكم.

بخلاف المنافقين والذين في قلوبهم مرض قال عنهم الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (48) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)} فهذا يفضح الله عز وجل سلوك وأفعال المنافقين في ذلك.

لذلك قال تعالى وأقسم: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} هنا هذه الآية قسم من الله عز وجل وقلت هذا الشرط من أشد اللوازم التي تغربل الناس في مسألة الانقياد والاستسلام هذا.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بحَقِّ الإسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ علَى اللَّهِ.) لأن تمام الشهادة هو الانقياد، لذلك لما لم ينقاد لم يعصم المال ولا الدم خرج من الشهادة.

ثم الخامسة الصدق المنافي للكذب، والصدق كما هو معروف هو مطابقة الشيء للاعتقاد أو للواقع والاعتقاد، ضده الكذب، فلابد للمرء إذا آمن أن يصدق في قلبه بالإيمان لأنه اعتقاد القلب ومنه الصدق، ولابد أن يواطئ القلب اللسان كما تلفظ اللسان لابد القلب يواطئ اللسان حتى يكون مؤمناً فلابد من الصدق، أما إذا قالها بلسانه بالظاهر وهو كاذب في الباطن هذا النفاق هو يظهر الإيمان ويبطل الكفر.

ولقد فضح الله عز وجل هؤلاء في أكثر من سورة: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} مع إنهم قالوا سبحان الله {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}

لذلك الله عز وجل من سننه كما جاءت السنة أنه يبتلي المؤمنين، يبتلي الله المؤمنين الصادقين، البلاء يأتي لأهل الإيمان الصادقون لماذا؟ ليتبين الصادق من الكاذب لما ينزل البلاء يظهر من كان صادقاً مع الله ومن كان كاذباً: { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)} إذًا الفتنة لما تنزل لها حكمة الله عز وجل قال هنا، أتظن أولاً أن أهل الإيمان لا يُفتنون؟ لا لابد تُفتَن، إذا كان الأنبياء نزل عليهم شدة وأذى وفتن، وفُتنوا الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم كما حدث في غزوة الأحزاب ماذا قال أهل الإيمان؟ وماذا قال أهل الكفر؟ {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}، فلذلك الله عز وجل يقول هنا {....فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا

وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} إذًا الفتنة هنا تبين لك الصادق من الكاذب تظهر لك صادق الإيمان تظهر لك أهل الإرجاف ويظهر لك أهل الصدق وغير ذلك، وهذا لا يظهر لك إلا في أوقات الفتن.

إذًا ليس التلفظ بالشهادة وحدها يكفي وليس ادعاء الإيمان بالقول يكفي، بل لابد من الصدق، لذلك لما تنزل الفتن الله عز وجل وهو عليم بخلقه لكن يظهر لك من الصادق ومن الكاذب.

والأدلة على ذلك من السنة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ)

(جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن أهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ولَا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتَّى دَنَا، فَإِذَا هو يَسْأَلُ عَنِ الإسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ. فَقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وصِيَامُ رَمَضَانَ. قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ: وذَكَرَ له رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الزَّكَاةَ، قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ: فأدْبَرَ الرَّجُلُ وهو يقولُ: واللَّهِ لا أزِيدُ علَى هذا ولَا أنْقُصُ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ) فاشترط النبي صلى الله عليه وسلم الصدق انتبه اشترط فقط الصدق، قال (أفلح إن صدق) وعلق الصدق على دخول الجنة لأنه قال أفلح والفلاح هو دخول الجنة، إذًا لا ينفع الإيمان إلا بالصدق التام، الكذب لا يروج على الله عز وجل.

ثم الشرط السادس أو اللوازم السادسة: الإخلاص المنافي للشرك، والإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود وافراده عن غيره، وهذه حقيقة أهم شرط من شروط كلمة التوحيد أهم شرط من شروط كلمة التوحيد هو الإخلاص، لذلك أصلاً كلمة التوحيد تسمى كلمة الإخلاص أصالة، لأن الإخلاص هو البراءة من جميع شوائب الشرك والرياء والسمعة، الإخلاص أصلاً أحد أركان العمل المقبول، نحن قلنا الإخلاص والمتابعة فكان لازم الإخلاص أو شرط الإخلاص في الإيمان من أهم وأعظم الشروط بل هو أجلّها، الأعمال الصالحة لا تقبل عند الله عز وجل إلا إذا توفر فيها شرطين الإخلاص في النية والقصد والمتابعة، فالله عز وجل لا يرضى من العبادات إلا ما أمر بها ولا يقبلها إلا إذا قصد بها وجه الله عز وجل، الاثنين لا تقبل العبادة إلا الذي أمر بها الله عز وجل وكذلك لا يقبلها إلا إذا قصد بها وجه الله عز وجل: (مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ) كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي.

وقال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...}

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ....}

{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي}

والسنة كما جاء في الحديث (قِيلَ يا رَسولَ اللَّهِ مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لا يَسْألُنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ.)

قالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (فإنَّ اللَّهَ قدْ حَرَّمَ علَى النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ)

فالحق أن الإخلاص من أهم شروط قبول لا إله إلا الله ومن أهم شروط لوازم بل من أهم أركان العمل بل حذر الله عز وجل قال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

لذلك من يقول الإيمان بأفواههم ولم يخلصوا بقلوبهم ولا نواياهم لله فهذا ليس بإيمان حق.

ثم اللازم السابع وهو المحبة ولابد أن تكون هذه المحبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، هذا أصل من أصول الدين أن تحب الله وتحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون هذه المحبة لا تدانيها محبة أخرى بل تحب النبي صلى الله عليه سلم أكثر من نفسك وأكثر من مالك وولدك كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه وأرضاه، وان تحب عباد الله المؤمنين الذين يظهر لك فيهم الإخلاص والعبادة لله عز وجل، والله قد بين أن المحبة قد يدخل فيها لو لم تُفرد لله تكون شركاً، قال: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ....} الآيات فبين أن هذه المحبة شركية إذًا المحبة من لوازم الإيمان محبة العبادة لله من لوازم الإيمان، فمن لم يفرد الله في محبة العبادة وقع في الشرك والعياذ بالله، **كما معلوم أن العبادة مبنية على ثلاثة أصول (خوف ورجاء والمحبة)** ومنها محبة واجبة ومحبة مستحبة، والمحبة الواجبة التي لا يحكم للمرء بالإسلام أو بالإيمان إلا بها وهي محبة الله ورسوله، ومحبة الله توجبه أن يفعل ما أمره الله عز وجل به وينتهي عن ما نهاه الله عز وجل هذه محبة واجبة فلا أحد يُحَب لذاته إلا الله عز وجل هو المستحق أن يُحَب لذاته ولا يمكن أن يُشرَك مع الله أحداً في هذا الحب، فمن أحب مخلوق كما يحب الله فهو مشرك، لذلك المحبة لا تنفك عن العبادة كما قال العلماء في العبادة كمال الحب مع كمال الخضوع، ليبين لك أن المحبة لا تنفك عن العبادة أصالة، والله قد بين الذين يحبون مع الله لا يمكن أن تكون محبتهم تستوي مع الذين يفردون الله بالمحبة { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ...}

وبين في آية النساء {.... إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً}

فوصلوا أنهم يخشون الناس أكثر من خشيتهم من الله يعني أحبوا الناس أكقر من الله فخافوا من الناس أكثر ما خافوا من الله وهذا شرك في المحبة أيضاً، التسوية في المحبة والتعظيم في المحبة شركاً فكان النقيض أو المفهوم أن الإفراد في المحبة لله فقط هذا هو أصل الإيمان والتوحيد، من المحبة المستحبة هي المحبة مع الله محبة فعل المستحبات وترك المكروهات لرضى الله عز وجل في ذلك لأن الله أحب ذلك، أحب أن تفعل المستحبات ولا يحب أن تفعل المكروهات، قالوا يعني أن يفعل المستحبات وينتهي عن المكروهات من تمام المحبة لله عز وجل.

فهذه اللوازم السبعة التي تكلم فيها العلماء أن هذه من لوازم الإيمان ولابد فيها طبعاً أن يدخل معها الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وإن كان هذا ركن والصحيح أن هذا من أركان الإيمان قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...} فلابد لا يمكن أن نتكلم عن هذه الشروط ولا نتكلم عن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت

طب ما معنى الكفر بالطاغوت؟ أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، الكفر بالطاغوت تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها وبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم

قال تعالى {..... فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} فلا يكون المرء مؤمناً إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

ومعها أيضاً الولاء والبراء كما الله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.....} وكان هذا ركن ثاني أيضاً من أركان الإيمان وهو الولاء والبراء

قال تعالى {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ}

لذلك العلماء تكلموا في معنى الطاغوت وفي تعريف الطاغوت ولهم تفسيرات كثيرة في ذلك حقيقة يعني سنأخذ تفسير ابن القيم لأنه من أشهر التفاسير وأجملها أو أعمها في بيانه،

أنا بتكلم عن ابن القيم يبقى تعريفه اصطلاحي، أنا بقول تعريف الطاغوت عند ابن القيم يعني أنا ضيقت عليكم المسألة، ابن القيم تعريفه موجود في كل الكتب لكن وإلا طبعاً العلماء كثر تكلموا في تعريف الطاغوت، يعني ابن تيمية يقول الطاغوت كل معظم ومتعظم بغير طاعة الله ورسوله، إنسان أو شيطان أو أحد من الأوثان هذا أحد التعريفات، لكن ابن القيم له تعريف حقيقةً شامل في هذه المسألة،

قال ابن القيم: (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)، فقال (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله) إذاً قسم الطاغوت إلى أنواع ثلاثة العبادة والطاعة والاتباع، إذا عُبِد من دون الله طاغوت، إذا اتُبِع في غير ما شرع الله طاغوت، إذا أطاعه في غير ما أراده الله فيكون هذا طاغوت.

لذلك بعض العلماء تكلموا في أنواع الطواغيت فقالوا أولاً: - الشيطان طاغوت لأنه يدعو إلى عبادة غير الله عز وجل قال تعالى: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" فعبادة الشيطان طاغوت، بل هو من أكثر الطواغيت بذلك.

الأمر الثاني:- الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله عز وجل قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) إذاً الحاكم الجائر الذي يغير أحكام الله عز وجل طاغوت، وأيضاً اعتبروا الذي يحكم بغير ما أنزل الله طاغوت لقوله تعالى (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) نعم بعضهم قال إن هذا غير ذلك، فالثاني الذي يحكم والأول الذي غيّر، المغيّر غيّر أحكام الله عز وجل ثم يأتي من يحكم على ما غيّر قبله.

ومن الطواغيت من ادعى علم الغيب الذي يدعي علم الغيب من دون الله عز وجل قال ({عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)) فعلم الغيب لله وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، فمن ادعى علم الغيب هذا دخل أيضاً في معنى الطاغوت.

والخامس بعضهم قالوا الذي يُعبَد من دون الله ويرضى بهذه العبادة، من قوله تعالى (وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ).

فهذه كلها أنواع من الطواغيت، أُمِر المرء حتى يصح إيمانه أن يكفر بهذه الطواغيت

وكما قال ابن القيم (أصبح الطاغوت طاغوت حكم وطاغوت عبادة وطاغوت طاعة ومتابعة) فمن ادعى الحاكمية فألزم الناس بالتحاكم إليه أو ادعى الألوهية وألزم الناس بعبادته أو رضي من الناس أن يتخذوه إلهاً يصرفون إليه أي نوع من أنواع العبادات أو أمر الناس بطاعته في غير طاعة الله كل هذا من الطواغيت التي جاء الشرع يبينها.

قلنا الآن (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ) عرفنا الطاغوت طب ما هي صور الكفر بالطاغوت؟ كيف تكفر بالطاغوت؟ أولاً أنك تُكَفِّر الطاغوت نفسه وبيان كفره قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)} [الكافرون : 1-2]) يبقى نظهر كفر هذا الطاغوت ونبين كفره هذه من صور تكفير الطاغوت، الأمر الثاني المفاصلة والتمايز عن منهج

الطاغوت وعن دين هذا الطاغوت قال ﴿{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)} ﴾ فلابد أن يفاصل أنه يترك هذا الدين الباطل وينكب على دينه فقط، من الصور معاداتهم وبغضهم والتبرؤ منهم ومن أفعالهم وممن يعبدون من دون الله، وهذه نصاً جاءت من قول الله عز وجل عن ابراهيم ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

قال ابن القيم في ذلك لما نهى الله عز وجل المؤمنين عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معادتهم (مقتضيات) والبراءة منهم بل مجاهرتهم بالعدوان، قال تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ولذلك أنت لابد تعلم أن هذا من صور الكفر بالطاغوت وهم لن يمكنوا لك ذلك ،يعني الطواغيت أو الكفار لما أنت بتتبرأ وتعلن ذلك وتجاهرهم لن يتركوك، يعني بعض الناس الأغرار يقول لك أنا قاعد في بلاد الكفر مطمئن على ديني بعرف أصلي وأصوم عارف أفعل كذا، هذا غير لأنك أنت لما جلست في وسط الشرك وفي وسط الكفر أنت بس الآن حاول إنك تعلن لهم تتبرأ من هذا الشرك والكفر الذي هم عليه فيه لن يتركوك سيخرجونك أصلاً ولا يهمهم شيء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ هو فاهم إن لما يخليه الكافر بينه وما بين نفسه أنه يصلي ويقرأ قرآن إن هو خلاص كده أظهر دينه، طب أين دينك في إظهاره بالبراءة من الكفر والشرك وإعلاء كلمة لا إله إلا الله وقيام الدين؟ وأنت لن تستطيع أن تقوم بذلك، بل أنت لو أظهرت لهم خلاف ذلك الآن ونحن في الأحداث الذي نحن فيها الآن إذا واحد بس في بعض البلاد طلع العلم أو الكوفية أو أي شيء كإشارة لما يفعل على أهل الإسلام على طول في البلاد التي هي بتعادي المسلمين أو بتوافق اليهود ما يقبلون ذلك بل ممكن يحاكموه عندهم الآن.

فإظهار إبراهيم عليه السلام للبراءة من الشرك وأهله وإظهار العداوة والبغضاء ليس بالأمر اليسير الذي فعله إبراهيم عليه السلام لأنه أوذي في ذلك بل خرج وأخرجوه، والنبي صلى الله عليه وسلم خرج أيضاً من مكة بسبب ذلك بعد موت أبو طالب وموت خديجة وكان ينصره أرادوا أن يقتلوه فخرج لماذا؟ لأنه مظهر للبراءة من الشرك والكفر ومعلن التوحيد فهذه من صور الكفر بالطاغوت.

ويكون أيضاً الكفر بالطاغوت باجتنابهم واعتزالهم وعدم مخالطتهم قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ إذاً من الكفر

بالطاغوت أن تجتنب ذلك ألا تتواجد معهم قال (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) ابراهيم لما قال عليه السلام لأبيه وقومه.

وأيضاً من صور الكفر بالطاغوت القسوة والغلظة في التعامل معهم على حسب طبعاً لكن قال تعالى (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) لا يمكن أن الطاغوت يجد منك إلا الغلظة والشدة والعداوة والبغضاء، لا يمكن أن يجد من المؤمن رحمة ولا رأفة هذه مفاصلة أصلاً.

ومن الكفر بالطاغوت انتفاء الموالاة لهم أو الركون إليهم أو التعامل معهم قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) وقال تعالى (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآيات، وقال تعالى (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ) لذلك ابن عقيل له كلام بديع جداً قال (إذا أردت أن تعرف مَحِل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى ازدحامهم في المساجد على أبواب المساجد ولا في ضجيجهم بلبيك ولكن انظر إلى مواطئتهم لأعداء الشريعة) فالحصن المتين هو الاعتصام بحبل الله عز وجل والانحياز إلى أوليائه المؤمنين والحذر من الكفار والمشركين بل أفضل القرب إلى الله عز وجل مقت من حاد الله ورسوله وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان.

هذه السبعة أن يكون بمجاهدتهم بجهادهم وقتالهم وتطهير الأرض منهم عند توفر القدرة على ذلك هذه من الكفر بالطاغوت قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) قال تعالى (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ) طبعاً هذه لها ضوابط سنبينها، تحقيق المسألة على الواقع وتحقيقها لها شروط وضوابط أخرى لكن هذه أصول لمعرفة كيف الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.

هذه القاعدة التي كانت معنا اليوم وهو أن (الإيمان له لوازم ومقتضيات) قد بينا فيها ما يكفي ذلك في تأصيل القاعدة وإلا الزيادات والشروحات بتكون في الكتب لكن هذا ضبط لهذه المسألة سندخل إن شاء الله بعد ذلك الأسبوع القادم في نواقض الإيمان في ذلك، هو طبعاً يعني لا شك قبل أن نختم بذلك أهم لوازم الكفر بالطاغوت واجتنابه هو ترك التحاكم إلى الطواغيت وعدم تحكيم القوانين الكفرية والبراءة مما شرعوها من دون الله عز وجل من تحليل الحرام وتحريم الحلال ولابد أن يرفض ذلك بالكلية لا إيمان لمن تحاكم إلى الطاغوت أو رضي بحكمه أو حكم به قال تعالى (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ثم بين الله عز وجل عن الذين يزعمون الإيمان ثم يتحاكمون إلى الطاغوت ويرجعون إليه في حال نزاعهم أو الخلاف فهذا ليس كفر بالطاغوت فلا يصح إيمانه إلا بذلك

قال تعالى ({أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61)} [النساء : 60-61]) الله عز وجل حكم عليهم بالنفاق مع أنهم يدعون أنهم مؤمنون لكنهم ليسوا من أهل الإيمان وهذه من أهم المسائل أيضاً التي لا بد أن ننبه عليها في هذه القاعدة نختم بذلك بهذه القاعدة ونجيب على الأسئلة التي موجودة.

سؤال (هل ينطبق هذا الكلام الكفر بالطاغوت والقسوة والغلظة معهم على أهل الكتاب في زماننا)؟

الجواب

إذا جلسوا خلاص أبيح لهم الجلوس بين المسلمين تتركوهم وشأنهم، فأهل الكتاب لهم ذمة، إذا جلسوا بالشروط الشرعية فلهم العدل لهم ألا يُظلموا ولهم الأمور التي شرعها لهم الشرع ولا يتعرض لهم ما دام قد أخذوا عهد الأمان في ذلك إلا لو خالفوا فيرد عليهم بذلك، لكن خلاص هو الشرع أعطاهم الذمة وأعطاهم الأمان، ويفعلوا ما يفعلون في الكفر في ديارهم لهم ذلك، لو خالفوا هنا يتم التعامل معهم كما مثلاً عمر عمل في العهدة العمرية معهم، فالمسلم يلتزم بما ألزمه الشرع به لكن طبعاً هذا لا ينفي أن يكون هناك كره لهم في القلب لكفرهم وما هم عليه لكن التعامل سيكون تعامل كما جاء الشرع به أيضاً لا يتجاوز به الشرع.

سؤال: ما حكم من تزوج كتابية؟

الجواب: إيه الفرق؟ الكتابية في زماننا مثل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكم في القرآن ما نسخ وما خصص والنصارى الذين كانوا موجودين في وقت ما نزلت الآيات هم النصارى الذين موجودين في زماننا أيضاً يثلثون ويعبدون من دون الله ويقولون بالتثليث وينسبون إلى الله ما نسبوه. يعني ايش الفرق؟ إلا لو انتقلت من أنها كتابية لأنها أصبحت علمانية مثلاً يعني لا تدين بدين أي لم تصبح كتابية، لكن أنا أتكلم عن الكتابية التي هي ما زالت كتابية فحكمها ما زال هو حكم الكتابية يجوز الزواج منها وهم أصلاً الكتابية كانت مشركة أيضاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فالنصارى هم أهل الكتاب وعندهم شرك لكن هم استثنوا من ذلك بالزواج منهم، فحكمه ما زال كما هو إلا إذا انتقلت من أهل الكتاب كما قلت وأصبحت ليست كتابية.

سؤال من طالب والصوت غير واضح

اجابه الشيخ: - الحب الجبلى الفطري لزوجته هذا غير الحب الذي بنتكلم عنه للعبادة أو لكفرهم، هو النبي صلى الله عليه وسلم ألم تأتي له مارية القبطية صح؟ وبعض الصحابة تزوجوا من الكتابيات فالله عز وجل أباح لنا ذلك، انتبهوا ما دام جاء الشرع بإباحة ذلك إذاً أكيد المرء لن يتجوز واحدة وهو بيكرها طول النهار ينظر إليها يريد أن يضربها مثلاً فأكيد هيحبها كزوجة،

ففي حب الزوجة هذا ليس الحب الذي بنتكلم عنه ليس حب العبادة ولا القلب ولا حب الكفر الذي هي فيه، لكن ما دام أباح الشرع أنه يتزوجها إذاً أباح له أن يحسن إليها مثلاً و يحبها حباً كامرأة زوجة لا إشكال في ذلك وليس هذا الحب أن يحب ما هي عليه من الكفر أو يحب ما تفعله من الشرك أو من الاعتقاد الباطل هذا فارق عن هذا لأن المحبة أنواع منها المحبة الجبليه الله عز وجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) فسمى حب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب حب وربنا نزله بالكتاب وقال له (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) إذاً الله عز وجل أثبت حب النبي لعمه و النبي صلى الله عليه وسلم قال العم صنو الأب)، فهذه المحبة أثبتها الله عز وجل ولا نفاها؟ ما نفاها مع أنه مشرك ومات على الكفر فهذا النوع من المحبة لا إشكال فيها كلامنا ألا يحبها لدينها.

سؤال الفرق بين القبول والانقياد أن القبول بالقلب والانقياد يزيد عليه باللسان والجوارح؟

الإجابة لا القبول أيضاً بالقلب واللسان والجوارح وحتى تعرفوا القبول مقابله الاستكبار فيعرف بالضد يعني القبول فيه أيضاً قلب ولسان وجوارح، القبول يكون بعبادة الله وترك عبادة ما سواه قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٣٥]

فالقبول ضده الاستكبار حتى تعرفوا الفرق أما الانقياد هذا تسليم خضوع إذعان عكسه عدم القيام يعني مش لازم يكون استكبار، القبول أنه يقال له شيء فلا يقبله يعني يستكبر أنه يقبله، كما قال أبو طالب كفر استكباراً عدم القبول، النبي قال قل يا عم كلمة لكنه ما قبل لأنه قال لولا الملامة لأنهم كانوا يحذرونه من الكلمة فقال بل على ملة عبد المطلب فمنعه الاستكبار ما قبل، أما الانقياد هو التسليم، التسليم الذي هو أن يؤدي الحقوق أن يفعل الحقوق والواجبات فممكن يقبل ولا يسلم يعني ممكن يقول أنا أقبل طبعاً شرع ربنا لكن لا يسلم ولا ينقاد مع أنه بيقول أنا اقبل لكن لما قيل له استسلم وحكِّم كتاب الله ليس هناك (سمعنا وأطعنا) وأهل الايمان قالوا سمعنا وأطعنا قال تعالى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سُورَةُ النُّورِ: ٥١]الله عز وجل قال في المنافقين ايه؟ (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) حتى تعرفوا عكس الانقياد التولي وعكس القبول الاستكبار، فالذي يستكبر يبقى مضاد للقبول، ما قبل لكن الذي قبل ثم يقال له استسلم فيتولى لا يفعل هذا منافي للانقياد فإذاً كله فيه القلب والسان والجوارح لكن هذا بالضد يفهم الفرق والله أعلم

سؤال فى الحديث في البداية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر حرم الله جسده على النار) الطالب يقول لست متذكر نص الحديث بالضبط هل المعنى أن المعصية التي توجب العذاب تنتفي مع الإيمان الكامل؟

إجابة الشيخ قلناها الأسبوع الماضي أن المعاصي تنقص من الإيمان الكامل الواجب، هناك الإيمان الكامل الواجب وفي الإيمان الكامل المستحب لا شك أن المعصية تنقص من الإيمان الكامل الواجب

الطالب يستكمل السؤال هل الإصرار على الصغائر ينزل منزله العبد؟

إجابة الشيخ نحن كنا قلنا إن الصغائر يذهبها الحسنات والكبائر هى التي تنزل صاحبها، فلو فعل المرء صغيرة وكان عنده حسنات تمحى وممكن يظل على ما هو عليه إلا لو الصغائر هذه زادت أكثر من حسناته فينقص هنا

سؤال هل من لم يحب النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه هل ينقص إيمانه؟

الاجابه نعم هذا إيمان واجب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لعمر لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك) (الشاهد) ثم قال له (الآن) فهذا إيمان واجب.

يعني ذكرتني بقصة حقيقة عجيبة جداً يعني في مسألة حب النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر، ابو بكر تجد قصص كثيرة في حبه للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كلهم أكيد، لكن وأنا أقرأ كنت في السيرة فوصلت لموقف عجيب من أبى بكر في فتح مكة وإسلام أبوه لما أراد أن يسلم فذهب أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم وأتى أبو بكر بأبيه بعبدالله بن أبى قحافة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (هَلَّا تَرَكْتَ الشيخَ حتى آتِيَه) انظر تواضع النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده على صدره وردد له الشهادة فأسلم فبكى أبو بكر. العجيب في موقف أبو بكر أنا حقيقة الآن وقفت عنده أبو بكر بكى، الكل سيقول بكى على إسلام أبيه طب والنبي صلى الله عليه وسلم نظر أبو بكر ما يبكيك يا أبا بكر؟ أبوه بيسلم انت عارف يعني ايه انت دلوقتي ابنك لو نزل دخل صلى في المسجد صلاة واحدة هتلاقي أنت سعيد بذلك عرفت أن ربنا كتب له هداية وأبو بكر أبوه بيسلم وأبو بكر بيبكي فقال يا أبو بكر تبكي؟ قال والله يا رسول الله لاحب الي أن يكون مكان أبي أبو طالب فيسلم فيقر به عينك إيه الحب ده؟ ابوه بيسلم بكى لأنه كان يتمنى من شدة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يكون مكان أبوه الذي بيسلم أبو طالب فيسلم فيقر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا.

هذه مراتب في الحب ما تكلمنيش بقى يعني ده انا مش ممكن ان انت لما تيجي تتصور هذا الموقف انا حقيقة واقف عليه بقى لي ايام مش عارف اصلا اتجاوزه لان هؤلاء قوم احنا مش عارفين قدرهم حقا هم وصل الإيمان عندهم صدقني وانا هاقولها لك كده لا يمكن ان تتصور يعني وكيف وصل إيمانهم فحبه للنبي وصل أنه يحب أن مكان أبوه أبو طالب عشان النبي يسعد قال فيقر بها عينك أنه يسعد بإيمان ابو طالب فهو النبي يتبسط فالنبي يفرح لذلك يريد ان يقدم ذلك على إيمان ابوه إسلام ابوه فحقيقة المسألة يعني هي قلوب، لأ الموقف أنت لو أردت تأخذه كده إحنا كلنا يعني تنظر اليه قد يكون بيمر علينا كلنا لكن يبين لك كيف وصل حب هؤلاء للنبى أن يصل الحب أن كان يحب أن غير ابوه اللي بيسلم اللي هو ابو طالب لانه يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيقر عينه قد إيه بإسلام عمه فيقدم عم النبي عشان النبي يقرعينه على إسلام أبوه.

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة المرحلة الخاصة بقواعد العقيدة ومازلنا في القواعد الخاصة بالإيمان، كنا تكلمنا عن بعض القواعد الخاصة بتعريف الإيمان ثم الاستثناء في الإيمان ثم شروط صحة الإيمان.

اليوم نبدأ في ختام قواعد الإيمان قد ستأخذ معنا أكثر من محاضرة، لعل محاضرة أو اثنين إن شاء الله سيكون الكلام عن نواقض الإيمان،

والقاعدة بتقول (للإيمان نواقض ومبطلات تكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد أو الترك)

هذه قاعدة من الأهمية في المكان، لذلك سنحاول نستفيض فيها بقدر ما نستطيع حتى تنضبط فيها الأمور التي تحتاج إلى ضبط، من هذه الأمور التي يجب على طالب العلم ضبطها، كما تكلمنا في شروط صحة الإيمان وبعد تعريف الإيمان أيضاً عند أهل السنة الجماعة لابد أن نبين نواقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة وكيف تكون، لأنه خالف في ذلك بعض الفرق عن أهل السنة والجماعة، فنحن بداية نأصل كما قلنا في هذا البرنامج اعتقاد أهل السنة والجماعة في القواعد في شتى أبواب العقيدة.

وسنتكلم عن تأصيل القاعدة ثم نتكلم عن تعريف كل من النواقض الثلاثة ناقض بالقول وناقض الفعل وناقض الاعتقاد، وبيان استقلالية كل نوع للحكم من كفر صاحبه دون اشتراط الجحود أو الاستحلال عند توفر الشروط وانتفاء الموانع وإقامة الحجة.

سنتعرض للتطبيق هذا حيث الشروط والموانع وكيفية إقامة الحجة أيضاً ثم سنختم بأمثلة للنواقض الأربعة التي ذكرت سواء في القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الترك وهذا عند المتقرر عند أهل السنة والجماعة، ليس كلها سيكون اليوم إن شاء الله سنقسم على محاضرتين ويكون فيه ختاماً الكلام عن قواعد الإيمان بإذن الله تعالى.

كما تكلمنا تأصيل القاعدة أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل واعتقاد، وقلنا الإيمان له شروط وأركان بيناها من قبل كذلك المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن للإيمان نواقض، فإذا وقع أحد في هذه النواقض تنقض الإيمان وتكذبه، وهذه النواقض قد تكون بالأقوال وقد تكون بالأفعال وقد تكون بالاعتقاد، ومن وقع في ناقض من هذه النواقض سواء بالقول أو الفعل وهذا المهم فالاعتقاد لا خلاف عليه، لكن حدث خلاف بعد ذلك وإن كان هذا الخلاف ليس عند أهل السنة والجماعة بل عند من خالفوهم، فأرادوا أن يحصروا الكفر أو نواقض الايمان في الاعتقاد فقط سواء بالاستحلال أو الجحود أو غير ذلك وأخرجوا أن يكون هناك نواقض للإيمان بالقول والعمل، وهذا أمر مخالف لما اتفق عليه، من الممكن أن نقول أجمع عليها أهل السنة والجماعة كما حكى أكثر من واحد من أهل العلم على الإجماع من الأقوال والأعمال والاعتقادات ما هو منهم كفر أكبر يخرج من الملة، وسننقل هذا الكلام عن أئمة السلف في قولهم ذلك.

لذلك من يدعي بأن نواقض الإيمان محصورة فقط في الاعتقاد والخاصة بالاستحلال أو التكذيب أو الجحود فهذا مخالف لما أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة، والبعض نسب لأهل السنة والجماعة أن الكفر محصور عندهم في الاعتقاد فقط واستدل خطأً وسنبين هذا الخطأ فقد قسم الكفر إلى كفر اعتقادي وكفر عملي، فسمى الاعتقاد بأنه المخرج من الملة وجعل الكفر العملي غير مخرج من الملة، وزعموا أن العلماء عند أهل السنة والجماعة لايرون الكفر الأكبر المخرج من الملة إلا ما كان اعتقادي، أما المكفرات العملية فهي كفر أصغر غير مخرج من الملة،وهذا خطأ لأنهم لم يفرقوا بين الكفر العملى والكفر بالعمل، في فارق بين الكفر العملي والكفر بالعمل، فالكفر العملي هذا يعتبر عند أهل السنة الجماعة كفراً أصغر، وفرقوا بينه وبين الكفر الاعتقادي لكن هناك كفر بالعمل قد يكون قولاً أو فعلاً و ليس اعتقاداً طبعاً بل هيكون قولاً وفعلاً فقط وهذا الكفر بالعمل،وهذا هو الخطأ الذي حدث عند البعض ظنوا بأن كل ما يسمى كفراً عملياً يكون أصغرولم يفرقوا بين الكفر العملي والكفر بالعمل كما سنبينه إن شاء الله.

هذه القاعدة تبين أن الكفر قد يكون بالقول أو بالفعل، هناك من تكلم وذكر فقط حتى لم يتعرض للاعتقاد من أهل السنة والجماعة ذكروا بأن الكفر قد يكونوا بالقول أو بالفعل، ولم يقيدوه بالاعتقاد هذه حالة، يعني ستجد من أقوال العلماء الحالة الاولى أنهم يذكرون الكفر بالقول والفعل ولم يقيدوا ذلك بالاعتقاد.

من ذلك ما ورد عن التابعي الجليل النافع مولى بن عمر..فقد روى عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة بإسناده أن معقل بن عبدالله العبسي قال قدم علينا سالم الأفطس بالإرجاء عندما ظهر الإرجاء،فعرضه.. عرض عليهم القول بالإرجاء والإرجاء أنهم كانوا يرون بأن الكفر اعتقادي

فقط ليس هناك كفر بالقول ولا بالعمل، لم يقبلوا منه هذا القول،قال فجلست إلى نافع ونافع مولى ابن عبدالله بن عمر يعني فقلت له إنهم يقولون (نحن نقر بأن الصلاة فريضة ولا نصلي، ونقر بأن الخمر حرام ونحن نشربه،ونقر أن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل) قال نافع فنثر يده بيدي ثم قال (من فعل هذا فهو كافر).

وأيضاً انتبهوا نحن نتكلم عن ماذا الآن؟ نثبت أقوال علماء السلف على أنهم كانوا يرون بأن الكفر قد يكون بالقول أو بالفعل، في الحالة الأولى ولم حتى يقيدوه بالاعتقاد أنه يعتقد ذلك أم لا يعتقد، مجرد يعني أنه يقول القول أو يفعل الفعل.

وطبعاً نحن لما بنقول هذا الكلام سنبينه، قلنا القاعدة ما زالت لها جزء ثاني بأنه حتى نقول إن الفاعل كافر أو القائل كافر لابد من تحقق شروط وانتفاء موانع وقيام حجة حتى ما يظن أحد إن نحن نتكلم فيأخذ أول الكلام ولا يأخذ باقي الكلام، إذا لم يحضر.

نقصد نحن الآن نتكلم في أول القاعدة بأن السلف يرون بأن القول قد يكون كفراً والفعل قد يكون كفراً ولم يقيدوه باعتقاد، لا يشترط الاعتقاد مادام قال أو فعل ،منهم ما قاله الآن نافع مولى بن عمر ومنهم ومنه ما قاله الإمام محمد بن أدريس الشافعي رضي الله عنه قال سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى قال فهو كافر، واستدل بقوله تعالى " قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ" وهذا حقيقة استهزاء بالقول،و انتقلنا إلى اعتقاد الامام الشافعي في أنه لم يقيد أيضاً لما ذكر هذا الاستهزاء قول أو فعل أيا كان ممكن استهزاء بالتلفظ أو استهزاء بفعل من الأفعال فسماه أيضاً كفر.

ورد عن الإمام إسحاق المروزي قال (ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد، فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى ومما جاء من عنده ثم –انتبه- قتل نبياً أو أعان على قتله أو كان مقراً على ذلك ويقول قتل الأنبياء محرم وكذلك من شتم نبياً أو رد عليه قوله من غير تقية ولا خوف وكل هذه أفعال أو رد عليه قوله من غير تقية ولا خوف وقال أيضاً أجمع المسلمون على أن من سب الله، نعوذ بالله من ذلك،أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى-دفعه يعني لم يقبله أي رده- أو قتل نبياً من أنبياء الله أنه كافر وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله حتى لو مقر بكل ما أنزل الله لكن فعل هذا) وهذا الاستدلال هنا في المسألة أنه سموه كافر يبقى كفر بالفعل لأنه فعل اموراً كما سيأتي معنا لأن ليس كل فعل كفر وليس كل قول كفر، لكن هنا الآن عشان نذكركم أنهم يثبتون بأن القول إن كان كفراً فيكفر،والفعل إن كان كفراً يكفر ولا يشترط الاعتقاد ولم يذكروا هنا اعتقد أو لم يعتقد. المهم أنه قد قال بذلك واستدلوا بآيات الاستهزاء وغير ذلك.

أيضاً العلامة أحمد الحكمي صاحب كتاب معارج القبول قال في كتاب السنة المنثورة ، يذكر السؤال والإجابة قال (إذا قيل السجود للصنم والاستهزاء بالكتاب وسب الرسول والهزل بالدين ونحو ذلك كلهم من الكفر العملي)-انتبه ليه هو عملي؟ لأنه عمل- (فيما يظهر فلما كان مخرجاً من الدين؟ وقد قلتم أو زعمتم أو عرفتم الكفر الأصغر بالعملي؟) هذا السؤال هو يجيب الآن قال (اعلم أن هذه الآربعة وما شاكلها ليست من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح، فيما يظهر للناس لكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب) يعني كأنه يقول أن هذه ما تقع من أحد إلا لو عمل القلب أيضاً ذهب،قال (إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شيء من ذلك) يعني يريد أن يربط الذي فعل ذلك لابد أن قلبه

ذهب منه النية والإخلاص والانقياد والمتابعة (فهي وإن كانت عملية)هذا كلام الشيخ (في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولابد ولم تكن تقع إلا من منافق أو معاند مارد، وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن **قال عنهم الله عز وجل:**

"وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ" إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا إنما كنا نخوض ونلعب قال الله تعالى ({ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ (66)} [التوبة : 65-66])) ثم قال الشيخ (ونحن لم نُعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقاً بل بالعمل المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم يناقض قلب القول ولا عمله) يعني ايه هذا؟ يعني هو بين أربع أعمال هي السجود للصنم سب الرسول استهزاء بالدين أو استهانة المصحف أو الكتب أعمال ومع ذلك قال العلماء أن هذا كفر مخرج من الملة، فكأنه يقول لهم أنتم قلتم من قبل أن الكفر الأصغر هو الكفر العملي، ما نريد أن نبينه أن في فارق بين الكفر العملي والكفر بالعمل.

طيب ما الفارق؟ الكفر العملي -عند من استعمل هذا المصطلح- ما كان من عمل الكفار ولكنه ليس من الكفر الأكبر لقول النبي صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وهذا كفر العملي هو من أعمال الكفار لكن ليس كفراً اعتقادي أو ليس كفراً أكبر،نعم هذا ضابط عند من استعمل هذا الكفر العملي ما كان من عمل الكفار لكن ليس من الكفر الأكبر المخرج من الملة وهو يكون بالعمل بقول أو بفعل.

وأما التكفير بالعمل ليس العملى هوما كان من النواقض العملية التي من الكفر الأكبر المخرج من الملة كالسجود للصنم، الطواف حول القبر، الحكم بغير ما أنزل الله، إلقاء المصحف في القاذورات وغير ذلك من الأعمال الكفرية.

فأحد أنواع النواقض الكفرية العمل غير الاعتقاد، والعمل يكون بالقول والفعل، فلابد أنك تضبط هذا الفارق ليس كل كفر عملي كفر أصغر أو لو أردت أن تفرق يبقى فرق بين العملي والكفر بالعمل، يعني ليس كل عمل تعمله وكان ظاهره كفراً أن يكون كفراً عملياً أصغر لابد أنك تفرق بين الأعمال التي لم يرد فيها أنها من الكفر الأكبر وبين أعمال وردت أنها من الكفر الأكبر.

إذاً اضطراد القول بأن أي كفر عملي يكون أصغر هذا ليس بصحيح وليس المقصود عند أهل السنة والجماعة وهذا ليبين لك الفرق بين الكفر العملي والكفر بالعمل، فعلى حسب العمل الموجود هل هو من أعمال الكفر الأكبر؟ أم من أعمال الكفر الأصغر؟ وهذا الذي يفرق لك حتى لا يظن أحد أن كل عمل يسمى كفراً عملي فيكون كفراً أصغر، لا.

الكفر الذي بالعمل هو الذي غالباً يكون أكبر ما يكون أصغر، الاصطلاح على أن الكفر العملي الذي هو من الكفر الأصغر يقصدون بايش؟ ليس مطلق الأعمال، لكن الأعمال التي ورد فيها النص أنها أعمال الكفار ليست مخرجة من الملة كما قلنا الآن لكن الكفر بالعمل هذا معناه أنه نواقض في الإيمان نتيجة العمل وتخرج من الملة هذا اسمه الكفر بالعمل وهذه لا تكون إلا أكبر، لكن العملى ممكن تقول أنه ممكن يكون أصغر و ممكن يكون أكبر وهناك من العلماء أيضاً لما تكلموا في هذه المسألة قالوا بأن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد، يعني هنا ذكروا وهذه الحالة الثانية.

الحالة الأولى الذي قالوا الكفر بالعمل الأقوال التي نقلناها بالقول والعمل لم يذكروا الاعتقاد لم يقيدوه، ففي أقوال تضافر حتى يغايروا بقى يغيروا للناس أن هناك كفر بالقول والعمل وبالاعتقاد كانت ميزت أنه يذكر الاعتقاد حتى يبين أن الثلاثة أنواع موجودة قد يكفر بها المرء

وممن قال ذلك هو ابن قدامة المقدسي الحنبلي لما تكلم عن المرتد فقال لو ارتد في أثناء يوم صومه قال يفسد الصوم وعليه قضاء ذلك اليوم إذا عاد إلى الإسلام سواء أسلم في أثناء اليوم أو بعد انقضاءه سواء كانت ردته -وهذا المقصود(الشاهد)- سواء كانت ردته باعتقاده ما يكفر به أو بشكه فيما يقبل في الشك فيه أو بالنطق بكلمة الكفرمستهزئاً أو غير مستهزئاً قال تعالي {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ (٦٦) }[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٦٥-٦٦] الآيات فقال بعد ذلك (لأن الصوم عبادة من شرطها النية فأبطلتها الردة كالصلاة والحج لأنه عبادة محضة فنفاها الكفر كالصلاة) وقال أيضاً من سب الله تعالى كفر سواء كان مازحاً أو جاداً وكذلك من استهزأ بالله أو بآياته أو برسوله كل هذا ذكره ابن قدامة تصريحاً أن النواقض أو الكفر قد تكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، حتى القول قال سواء مازحاً أو غير مازحاًوهذا لو سب الله وسب الرسول أو سب الدين مازحاً أو غير مازحاً هذا يكون كفر، ثم قال علماؤنا أيضاً أن الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالشك وبالترك، من شك و هذا النوع يدخل تحت الاعتقاد والترك بعضهم أيضاً أدخلوه تحت الفعل فأصبح بعضهم جعلوا أن الكفر بالقول والفعل والاعتقاد فقط والبعض أضاف القول و الفعل والاعتقاد ثم جعل الشك ثم جعل الترك، وقالوا أن الكفر ليس محصوراً بالتكذيب القلب كقول المرجئة الذين قالوا أن الكفر في التكذيب بالقلب فقط هم المرجئة، ولو رجعت لتعريف الإيمان عند المرجئة ستعلم لماذا؟ قالوا ذلك لأن عندهم في التعريف أخرجوا الأعمال أصلاً من الإيمان وجعلوا الإيمان كله تصديق القلب، فقلنا لما قالوا بالإيمان هو التصديق يبقى الكفر هيكون التكذيب لأنهم جعلوا الإيمان في القلب فقط، وأهل السنة لما عرفوا الإيمان قالوا بايش؟ قول وعمل القلب وقول وعمل اللسان وعمل الجوارح كل هذا إيمان، فلما كان الإيمان هكذا فيكون الكفر هكذا ، لكن أهل السنة والجماعة قالوا من أسباب نقض الإيمان والإسلام الاعتقاد أو القول أو الفعل أو الشك أو الترك ، كذلك كما ورد في كثير من الفتاوى والمجامع لما سؤلوا عن الردة والكفر بعد الإسلام قالوا تكون بالفعل والقول والاعتقاد والشك فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفاته أو كتبه أو بعض الكتب أو رسله أو بعض الرسل أو سب الله أو سب الرسول أو جحد شيئاً من المحرمات المجمع على تحريمها أو استحله أو جحد وجوب ركن من أركان الإسلام الخمسة أو شك في وجوب ذلك أو شك في صدق محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء أو شك في البعث أو سجد لصنم أو نحوه فقد كفر وارتد عن دين الإسلام ، كل هذه فتوى للجنة الدائمة وغيرها من أهل العلم أنهم جعلوا الردة قولية وفعلية واعتقادية وترك كمان لو كان هناك شك، ثم ذكر بعضهم قيد كما قال الكفر تكون بالقول والفعل وإن لم يعتقد هنا تصريحاً حتى يردوا على المرجئة قال وإن لم يعتقد.

وأنا سأنقل كلام للإمام النووي في روضه الطالبين قال في كتاب الردة قال يعد في الردة وهنا ليبين لك انظر هذه الحالة الثالثة التي هم نقصوا فيها الأولى لم يقيد بالاعتقاد، الثانية ذكروا أن الردة ثلاث نواقض،الثالثة نص على عدم شرعية الاعتقاد في ربطه بين القول والفعل فقال الامام النووي في كتاب الردة قال (وهي قطع الإسلام ويحصل تارة بالقول الذي هو كفروتارة

بالفعل والأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن تعمد واستهزاء بالدين صريح كالسجود للصنم أو للشمس والقاء المصحف في القاذورات والسحر الذي فيه عبادة الشمس ونحوه قال الإمام هنا في بعض التعاليق عن شيخه أن الفعل بمجرده لا يكون كفراً قال وهذا ذلل عظيم من المعلق ذكرته للتنبيه على غلطه وتحصل الردة بالقول الذي هو كفرسواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاءحتى رجع وكرره في صحيح مسلم لما تكلم عن السحر قال كفراً بمعصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر لأن أكيد الساحر غالباً لا يكون ساحراً إلا بالتقرب إلى الجن وفعل الكفر وأما تعلمه وتعليمه فحرام وإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفرواستتيب لذلك، هذا الكلام النووي في مسألة النص على أنه لا يقيد ذلك بالاعتقاد بل يكفي القول والفعل فقط.

نحن ننوع في الأقوال ليش؟ حتى ما يكون الحصر الأقوال بعض العلماء دون بعض كما قال شرقنا وغربنا وآتينا حتى لأصحاب المذاهب سواء من الشافعية من الحنابلة أو غير ذلك لنبين المسألة مستقرة عند أهل السنة والجماعة في مسألة هذه الأنواع النواقض الإيمان أن تكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد ويمكن تضاف عليها الشك أو الترك قال إنا نعلم أن من سب الله ورسوله طوعاً بغير كره أى إن تكلم بالكفر طائعاً غير مكره أو استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر باطناً ظاهراً ثم استشهد أيضاً بقوله تعالى في مسألة الإكراه قال استثنى الله عز وجل الإكراه من الكفار وهنا هذه لفتة مهمة في الاستدلال قال تعالى { مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ }[سُورَةُ النَّحۡلِ: ١٠٦] ثم قال من شرح ماذا ؟ بالكفر صدره فقال استثنى الإكراه من الكفر لو كان الكفر محصور في تكذيب القلب لأن هذا ما يستدل به البعض ولكن من شرح بالكفر صدره ما كان الله عز وجل استثنى المكره الإكراه لا يكون في القلب الإكراه فين؟ في القول أو الفعل فلما استثنى المكره أنه لا يكون كافراً

من قال كلمة الكفر مكرهاً أو من فعل كفر مكرهاً

فلا يكفر بذلك ولذلك قال في آخر الآية ولكن من شرح بالكفر صدراً

لأن هو الخلاف في المسألة التى معنا استدلوا في آخر الآية الذين أرادوا أن يقولوا بأن الكفر لا يكون إلا اعتقاداً بايش؟ قالوا مفهوم المنطوق

الآية ولكن من شرح بالكفر صدراً

فهذا منطوق يعني شرح بالكفر إيه يعني صدرا يعني قلبه معتقد فالمفهوم أن من لم يشرح بالكفر صدراً لا يكفر وهذا الذي أراد أن يستدل به المرجئة وغيرهم مفهوم الآية أن آخر الاية تقول ولكن من شرح بالكفر صدراً يعني يبقى لو شرح بالكفر صدراً يعني بقلبه هو الكفر المفهوم أنه لو لم يشرح بالكفر صدره أى بالقلب يبقى ليس بكافر

فأخذوا بعموم المفهوم

فقالوا إذاً لا يكفر إلا لو اعتقد بقلبه

الرد عليهم

أول الآية تبين فالاية تتكلم إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان

فالإكراه هنا يكون بماذا؟ ما يكون إكراه بالقلب

يبقى استثناء الله عز وجل والشرع على المكره يبقى هذا المكره بالفعل والقول

إذاً من لم يكن مكرها بالفعل والقول هيكون كافراً

وليست المسألة بعموم القلب والاعتقاد

بل لأن الله عز وجل قال (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)

(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم)

قال (قالوا) وأنه كفراً أيضاً

فإذاً هذه دلالة على أن القول و الفعل

أيضاً فإذاً هذه دلالة على أن القول و الفعل بغير إكراه كفر

ويستثنى الإكراه ان يقع في الكفر بذلك

وهذه من المسائل المهمة التي يرد بها على المرجئة لو تكلم بكلمة الكفر طوعاً فقد شرح بالكفر صدراً

وهذا الجمع بين أول الآية وآخر الآية

لأنه يوافق الظاهر بالباطن

قال تعالى {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)} [التوبة : 64-66])

أخبر الله عز وجل هل قال لهم (لا تعتذروا قد كذبتم في قولكم)؟ لا

هم فعلاً كانوا بيخوضوا ويلعبوا ويستهزئوا

فقال لا بل قال لهم (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم)

ما قال لهم قد كذبتم في إدعائكم للاستهزاء بل أقرهم أنهم بيستهزئوا ويلعبوا

(نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)

يعني كان خوض ولعب

ولم يقل لهم قد كذبتم في قولكم

لا أنتم ليس قصدكم الخوض واللعب أنتم قصدكم الانتقاص من النبي صلى الله عليه وسلم

مع إنهم أصلاً كانوا يريدون ذلك فعلاً

لكن قالوها بإيش؟ بالخوض واللعب ربنا لما قال لهم (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم) لم يقل قد كذبتم بقولكم لا قد كفرتم بعد

إيمانكم يعني أقرهم على أنهم كانوا يخوضوا ويلعبوا لكن هذا الخوض واللعب في النبي صلى الله عليه وسلم والانتقاص من الدين كفر لوحده

وهذا دل على أن هذا القول يكون كفراً أو الفعل

فإذاً من قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامداً فهو عالمٌ بكلمة الكفر

فإنه يكفر بذلك ظاهراً وباطناً و يستثنى من ذلك من قال ذلك مكرهاً سواء بلسانه بشرط أن القلب مطمئن بالإيمان

وأيضاً يستدل على مسألة القول والفعل

قال تعالى ({وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (48) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[النور : 47-51])

بَيَّنَ الله عز وجل أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين ليس بمؤمن

هذا ايش؟ تولي أو الإعراض أو الترك

وأما مؤمن من يقول (سمعنا وأطعنا)

فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض

انتبه

إذا كان الإعراض عن طاعة الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره

وهذا يسمى فعل أم ترك؟ ترك

هذا ترك محض

ومع ذلك الله عز وجل سماهم منافقين

فكيف بالتنقص والسب والفعل؟ إذا كان الترك عن حكم الله وحكم الرسول، الله عز وجل وسمهم بالمنافقين

وجعل أهل الإيمان أن يقولوا سمعنا وأطعنا

هذا في الترك

طب وما بالك لو فعل من باب أولى؟ ما فيه منقصة

من أقوال أو أفعال فيكون هذا من باب أولى أيضاً أن يكون هذا من الفعل

العجب أن بعض الطوائف زادوا جداً في مسألة الجحود الكفر بالتكذيب

بل قالوا بأنه إن قال كلمة الكفر وهو يعلم أنها كفر

لكنه لم يعتقد أنها كفر فلا يكفر

وهذه الطائفة تسمى الدهامشة

حتى عندما ذكروا النصارى قالوا النصارى قالوا إن الله ثالث ثلاثة

صحيح؟ وربنا قال عنهم في القرآن إنهم كفار

لأنهم قالوا ذلك

قالوا لا بشرط أن يعتقدوا ذلك مع القول

وهذا كلام ضلال مبين الذي هو كفر مستقل أصلا

لأنه تكذيب لله

قالوا لا هذا لو قالها وهو يعلم لابد أنه كمان غيره إنه يعلم لابد أن يعتقد

أنها كفر

وهم أتوا بهذا من أين ؟ من (لَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا)

فقالوا عموم المفهوم يجعل لابد أن القلب يعتقد ذلك

فإن لم يعتقد القلب فلا يكون كفراً

وهذا لم يقل به أحد من من العلماء حتى نقف حتى وقول ضعيف جداً ما يوقف عليه

ومع ذلك ذكره مثل الزمخشري في كتابه أيضاً

وقالوا بأن ليكفر لابد أن يعتقد، حتى لو قال.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا بكفر من قال ذلك بغير شرط.

ثم ننقل كلام أخير في هذه المسألة على أن الكفر هو الإمتناع من الدخول في الإسلام أو الخروج منه واختيار دين آخر إما تكبراً وعناداً أو إما حمية للآباء وللأجداد أو للجاه أو المنصب، وقد يكون الكفر بالعمل كالذبح لغير الله والسجود للصنم وعمل السحر والطاعة لغيره، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)}

وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله فقد وقع في الكفر

وقال في السحر أيضاً {.... وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...} وإلى غير ذلك من أنواع الكفر سواء كانت بالقول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك

قال تعالى أيضاً في سورة الكهف {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (36)} كفر بذلك أيضاً إذًا لا يكون الكفر بالتكذيب فقط كما يقول المرجئة، لكنه قد يكون كفراً أصلياً إذا لم يدخل الإسلام وقد يكون ردة بعد الدخول في الإسلام بقول أو فعل أو اعتقاد أو شك أو ترك.

الحالة الرابعة وهذه محل خلاف بين السلف لكن سنذكرها، أن الكفر قد يكون بالقول والفعل ولو لحظ من حظوظ الدنيا، نحن قلنا الأولى ماذا؟ حد فاكر الثلاثة الأوائل؟ قول وفعل بدون ذكر الاعتقاد، ثم قول وفعل واعتقاد، ثم قول وفعل بدون اعتقاد، الرابعة بقى قالوا ماذا؟ قول و فعل ولو حظ من حظوظ الدنيا،نحن بنسرد أقوال العلماء في المسألة والأدلة على أن النواقض عند أهل السنة والجماعة تكون بالقول والفعل بجانب الاعتقاد أيضاً، فحتى نبين أن القول والفعل مثله مثل الاعتقاد في الخروج أو في نواقض الإيمان قلنا إن بعض العلماء لما ذكروا ذكروا قول وفعل فقط يعني ما تعرضوا للاعتقاد ونقلنا قولهم، ثم قلنا بعض العلماء لما ذكروا ذكروا قول وفعل واعتقاد ذكروا الثلاثة عشان يبينوا أن الثلاثة كلهم من النواقض، وبعض العلماء ذكروا قول وفعل وصرحوا بعدم اشتراط الاعتقاد، كل هذا تدعيماً لأن أصل المسألة أن نواقض الايمان تكون بالقول وبالفعل وده خلاف على الاعتقاد لكن الكلام كله الذي نحن بنأصله عن عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للمرجئة بأن نواقض الإيمان تكون بالقول والفعل والاعتقاد، ثم الرابعة الآن التي نتكلم عنها تكلم عنها بعض العلماء قالوا نواقض الكفر قد يكون بالقول والفعل ولو لحظ من حظوظ الدنيا يعني حتى لو فعلها لحظ من حظوظ الدنيا وكان هذا القول أو هذا الفعل كفر فيكفر بذلك، وطبعاً من أشهر من قال هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

طيب كيف الاستدلال بهذه المسألة؟ ويقصد فيها قد ذكر الله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه وذكر وعيده في الآخرة، واستدل بقوله في سورة النحل بعد أن سرد الآيات قال: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ....}

استدل بهذه الآية قال: { مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107)}

هنا يضيف - طبعاً عشان ما نعيد الكلام على القول بينّاه وعلى الفعل بينّاه- هو يريد أن يقول أن من الكفر أيضاً من فعل ذلك حتى لو كان لحظ من حظوظ الدنيا، يعني ليست المسألة أن العقيدة تغيرت فقط، فنقول لا بل هو يريد أن يقول أنه فعل ذلك رغبة في الدنيا، لذلك البعض يقول أنه من كان مثلاً يعلم أن أناس على الباطل ويعلم بذلك وهو يعلم بالحق لكنه تكلم مداراة لأهل الباطل خوفاً من شرهم مثلاً وتكلم بكلام كفري ليس إكراه انتبهوا المسألة ليست إكراه، أو فعل ذلك رغبة في جاه وسلطان وغير ذلك ومع أنه يعلم أين الحق ويعلم أنهم من أهل الباطل لكن فعل ذلك لأمر من أمور الدنيا فنزل تحت قوله تعالى أيضاً (من كفر بالله من بعد إيمانه) إلى أن قال ذلك (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) فأدخلهم في ذلك وهذا قال به أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية وقال به محمد بن عبد الوهاب وبعض أهل العلم، واستدلوا بما حدث من بعض المنافقين في غزوة تبوك التي هي كانت معنا في الآيات أيضاً إن هو قال فيها ماذا؟ {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)} هؤلاء الذين صرح الله عز وجل بكفرهم بعد إيمانهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قالوا كلمة ظنوا أنها على وجه المزاح، هو يريد أن يقول أن هذه أيضاً فُعلت لأمر من أمور الدنيا وليست اعتقاداً بالكفر أرادوا أن يكفروا به أو شيئاً، قالوا إن قراؤنا أرغب بطوناً وأجبن عند اللقاء إلى غير ما قالوا، إذا كان الكفر لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو محبة الكفر، بل كان لأمراً من حظوظ الدنيا لهم والبعض يفرّع على هذا الكلام على أنه يرى بأن من قال قولة الكفر أو عمل رغبة في أمور الدنيا واستحباباً لها أنه يخرج بذلك أيضاً من الإسلام.

ملخص ما قلناه فيما سبق عشان نجمله قبل أن ندخل في تطبيق القاعدة لأن تطبيق القاعدة أصعب أو هي أشد في التفاصيل إن كان سيتيسر لنا اليوم، لكن نقول:

- قالوا إن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد بإتفاق أهل العلم هذه مسألة متفق عليها عند أهل السنة والجماعة.

-كل نوع من أنواع النواقض التي تكلمنا عنها القولية والفعلية والاعتقادية مستقل بذاته يعني لا يشترط في القول أن يكون فيه استحلال أو جحود أو تكذيب ولا يشترط في الفعل أن يرتبط معه

الاستحلال أو التكذيب أو الجحود ولا يشترط في الاعتقاد يعني لو اعتقد بدون أن يتكلم أو يفعل فهو أيضاً يكفر لو اعتقد مثلاً عدم صدق النبي صلى الله عليه وسلم أو يعتقد أن النصارى على حق ولم يتكلم أو اعتقد بالتثليث أو اعتقد بكذا فهذا أيضاً مستقل، إذًا النواقض القولية والفعلية والاعتقادية مستقلة بذاتها.

-من أظهر الكفر كفر ولو أبغضه ولم يعتقده بل دفعه إلى ذلك حب الدنيا - وإن كان هذه محل خلاف أقول أثبتها فقط - أو خوفاً على المال والرياسة أو المناصب قال ابن تيمية وبعض أهل العلم إن هذا أيضاً من أظهره - الكلام كله في الإظهار- فيكون له الحكم أيضًا، طبعاً نحن نذكّر بما قلته أول المحاضرة عشان الذي دخل متأخر نحن بنثبت فقط تأصيل القاعدة ولكن لابد فيها بعد ذلك من تحقق كما قلنا سنتكلم عن قيام الحجة وقبلها تحقق الشروط وانتفاء الموانع لكن نحن نتكلم أن القول قد يكون كفراً نعم ويكون الفعل هذا كفراً والاعتقاد كفراً كل هذه الثلاثة عند أهل السنة والجماعة يخرج بها المرء من الإيمان، طبعاً من حيث النوع أولاً ومن حيث العين سنحتاج أن نطبق ما طبقه العلماء بعد ذلك.

-الهازل والجاد في الكفر سواء، وإن لم يعتقد وإن لم يقصد يخرج المكره فقط كما سيأتي معنا، الهازل والجاد في الكفر سواء وإن لم يعتقد وإن لم يقصد ولا يستثنى من إظهار الكفر على الإطلاق إلا المكره فقط والمخطئ طبعاً المخطئ سيأتي معنا الذي هو قالها خطأ لا يقصدها، لكن المقصود لا يستثنى من أظهر الكفر من إطلاق حكم الكفر عليه إلا من أُكره إكراهاً مُلجِئًا فقالها باللسان أو بالفعل فقط هذا من أظهر هذا الذي يُستثنى للآية {... إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...}.

هذا إجمال لما قلناه أنا لم أقُل حاجة زيادة لخصت النقاط الآن فقط.

التفرقة بين الكفر العملي والكفر بالعمل أيضاً هذا تلخيصاً.

ثم أخيراً على المسلم ألا يستهين بهذه المسائل وأن يحذر الخوض في الاستهزاء بالدين مع المخالفين وهذه نحذر عليها كثيراً لما يقع فيها البعض نقول بجهلهم أو عدم علمهم، لكنه لابد أن يبعد كل البعد عن الاستهزاء بالدين أو الجلوس مع من يستهزئ بالدين أو حتى ترديد كلام من يستهزئ بالدين على سبيل الحكاية إلا لو كان أراد أن يفنده ويرد عليه أصالة لأن هذا من المصيبة بمكان قال تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} فهذه مسألة مهمة جداً لأن الآن بيتردد كثير من الناس بجهل أنه ينقل كلام الذين يستهزئون بل ينقل بعض النكات ولا بعض القصص التي هي فيها هكذا وهذه حتى لو قالها على سبيل التسلية هذا ممكن يكون خروجاً من الدين لأن نحن بنقول طبعاً أن القول والفعل قد يكون ناقضاً وإن لم يعتقده ولم يقصده كفراً لكنه قد يقوله ويكون فيه خروجاً فلابد ينتبه المرء لذلك.

طيب سندخل بعد ذلك لتعريف كل نوع من أنواع النواقض الثلاثة

سؤال من طالب الصوت غير واضح

الإجابة

هل تقصد الأربعة الذي نحن قلناهم؟ لا الأول لم يذكروا الاعتقاد قالوا القول والفعل فقط لأصحاب القول الأول لم يذكروه ليس لأنه ليس حكماً لأن أقوالهم اهتموا بالقول والفعل فقط هذا في الأول، في الثاني ذكروا قول وفعل واعتقاد أظهروا الثلاثة هذا القول الثاني القول الثالث مع التقييد صح؟ وإن لم يعتقد يعني أرادوا أن يظهروا حتى يردوا على المرجئة يعني القول الأول هو فقط ما ذكر الاعتقاد لم يتعرض له هناك قولين للاثنين مهمين نافع وهذا تابعي ثم الإمام الشافعي بعد ذلك وأيضاً من قيمته العلمية فذكر الكلام هذا معناه أنه ذكر قول وفعل يبين هو لم يتعرض لاعتقاد لنبين أن الاعتقاد أصلاً هو ليس محل خلاف لكن أراد أن يبرز القول والفعل ونافع لما ذُكِرَ له أفعالاً وأقوالاً تكلم فيها هذا الأول وهذه كانت من قوة الناقلين ثم الرابع الذي هو حظ من حظوظ الدنيا الذي فيه خلاف سؤال آخر غير واضح الجواب الكفر بالعمل هو الكفر الأكبر الكفر العملي على حسب الاصطلاح لو أردتم به مضاد للكفر الاعتقادي الذي هو الكفر الأكبر يبقى خلاص كل الكفر العملي هيكون أصغر خلاص وهذا ليس المقصود لكن لو أراد الكفر العملي أنه بالأعمال مقصود به يبقى مصطلح الأعمال فلابد نرجع نقول أن الأعمال منها كفر أكبر ومنها كفر أصغر يعني على حسب الاصطلاح لأن لابد هنا النظر للتقسيم فهذا تقسيم اجتهادي عند العلماء فلو أراد بالكفر العملي الذي هو الأصغر، يبقى خلاص لكن لا يجعله عموم الأعمال يجعله الأعمال التي هي أصل الكفر الأصغر فقط وهيضبط أن في أعمال هتكون كفر بالعمل التي هي بالعمل تكون كفر أكبر يعني حسب المراد في المسألة هذا الذي أقصده الاختلاط أتى من أين؟ إن البعض قال خلاص أي شيء كفر عملي يبقى كفر أصغر وظن أن المقصود بالكفر العملي أنه هو أي عمل وبالتالي فلما عمل فيه كفر أكبر لم يقل به كفر أكبر وجعل المسألة محسوبة بالاعتقاد والذي ظن هذا الكلام وقع في الخطأ فهم أن أهل السنة والجماعة جعلوا أن كل الأعمال كفر عملي فيها أصغر والاعتقادي فقط هو الأكبر فأردت أن أبين ذلك فقط .هذه حالات من كلام العلماء في المسألة التي معنا نحن بنتكلم على أن نبحث ايش؟ إن أهل السنة والجماعة يرون بأن مبطلات الإيمان تكون بالقول والفعل والاعتقاد فبننقل كلام العلماء في هذه المسألة من العلماء لما أتوا يتكلموا وذكروا قول وفعل فقط مثل ما قلنا للشافعي قال إيه ؟ ونافع قال ايه؟ ومن العلماء من ذكروا قول وفعل وقيده بعدم الحاجة للاعتقاد حتى يؤكد على المسألة فأتينا بكلامه ومن العلماء من قالوا قول وفعل واعتقاد فأجملوا، يعني تغايروا ما بينهم عشان يبينوا أن الثلاثة نواقض فذكرنا كلامهم حتى نبين أنهم أيضاً بيقولوا بذلك ومن العلماء من قالوا أن هذا كمان قول وفعل ولو كان للدنيا ليس حتى ولو ليس اعتقادي لا بل أيضاً لو لحب الدنيا جعلوه أيضاً من النواقض فكل هذه حالات منقولة عن كلام العلماء في المسألة وإلا كله اجتمعوا الأربعة فين؟ إن نواقض الايمان عندنا قول وعمل واعتقاد الثالثة معمول بها طيب سؤال غير واضح الإجابة قلناها أنهم أتوا بأفعال الكفرية حباً في الدنيا مثلاً أهل الكفر لمنصب أو رئاسة وافق أهل الكفر في أقوالهم وأفعالهم لأمر من أمور الدنيا لهم فهذه بعضهم قال إن هذه من الآية {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } [النحل : 107] والله وصفهم بالكفر هذا نوع من أنواع نواقض الإيمان أيضاً (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) نحن هنا بنضبط أصلاً القواعد نضبط الأقوال الذي فيها إلى حد ما لكن هو عند البعض قال طبعاً أن حسب هذا الفعل، لو الفعل فعل كفري لكن لا يفعله رغبة في علو أهل

الكفر على الاسلام مثلاً أو بغضاً لأهل الإسلام لكن فعله زلل مثلاً حب أمر من أمور الدنيا ففعله لذلك

فالبعض فصل في ذلك أن هذا ليس يكون نقض والبعض قال لا. لأن نص الآية بأن الله عزوجل قال أنهم استحبوا الحياة الدنيا ففعلوا فعلاً من أفعال النواقض ليست ردة، مثل ما قال حطب أبي بلتعة **(وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلام))، ((قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ مُظْهِرٌ رَسُولَهُ وَمُتِمٌّ لَهُ أَمْرَهُ))، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِه.** و لم يكن حاطب من أهل قريش أصلاً فأراد أن يخبرهم، فلم يفعلوا مع إن الجاسوسية موالاة للكفر وكشف عورات للمسلمين فالبعض هنا قال ايش؟ لا المسألة يبقى فيها تفصيل، ما نريد أن ندخل في التفصيل لأننا نحن الآن فقط بنضبط الأصل ويكون موجود وقد أشرنا إليه قد يكون هذا بشروحات تالية بإذن الله تعالى.

سؤال من طالب غير واضح

الإجابة

لابد حتى يرتد يبقى أتى بشئ فيه ناقض من نواقض الإيمان.

طيب ما هو تعريف الناقض القولية النواقض الفعلية النواقض الاعتقادية؟

النواقض القولية هي الأقوال والألفاظ الصريحة التي ثبتت بالأدلة الشرعية انتبهوا لهذا الكلام هذا هوالضبط الذي ضبطه العلماء ما هي أصلاً النواقض القولية؟ ما هي النواقض الفعلية؟ وكل شيء كده ناقض؟ هنفتح الباب هكذا يبقى الناس كلها ليست مسلمة!!!! ما هي النواقض الاعتقادية؟.

فقالوا النواقض القولية هي الأقوال والألفاظ الصريحة -انتبه الصريحة- التي ثبتت بالأدلة الشرعية القطعية الدلالة على أنها كفر أكبر مخرج من الملة دون اشتراط الجحود أو الاستحلال أو الاعتقاد أو قصد الكفر، معنى هذا أن هذه الأقوال وهذه الألفاظ صريحة في الكفر يحكم على قائها بالكفر بمجرد التلفظ بها، أصرح شيء سب الله سب الرسول وسب الدين هذا فقط مثال سريع، ألفاظ صريحة لا يمكن أحد يقول ما قصدت الكفر أو ما قصدت الاستحلال ولا تنقيص من المظاهر أو من الله عزوجل أو من الرسول مثلاً أو من دين الله عز وجل.

طيب النواقض الفعلية هي الأفعال -ويدخل في الأفعال التروك- التي ثبتت بالأدلة الشرعية القطعية الدلالة أن فعلها أو تركها كفر أكبر مخرج من الملة أيضاً دون اشتراط الجحود أو الاستحلال أو الاعتقاد أو قصد الكفر، معنى هذا الفعل أو هذا الترك صريح في الكفر يحكم بكفر فاعله بمجرد التلبس به.

النواقض الاعتقادية اعتقادات الباطلة ومنها الشكوك والظنون والريبة التي ثبتت بالأدلة الشرعية القطعية الدلالة أيضاً على أنها كفر يخرج من الملة وأيضاً دون اشتراط جحود أو استحلال أو قصد الكفر، الاعتقادات هذه صريحة في الكفر يحكم على معتقدها أنه كافر، اعتقد بالتثليث كافر، اعتقد نعوذ بالله بأن لله ولد كافر، اعتقاد حتى وإن لم يتلفظ حتى وإن لم يفعل، هذا اعتقاد صريح قطعية الدلالة في أن هذا ناقض من نواقض الإيمان.

طبعاً دخل في الاعتقاد الشك كما قلنا الذي يعتقد شك ودخل في الفعل الترك أنه يترك، وطبعاً على بعض المسائل الذي الترك فيها يكون نقض أو كفر، وقلت عدم اشتراط الجحود والاستحلال والاعتقاد وقصد الكفر مهم جداً هذا في الأقوال والأفعال المكفرة، وهذا مستقر عند أهل السنة والجماعة محل إجماع لذلك من قال بغير ذلك دخل في قوله تعالى {وَمَن يُشَاقِقِ

الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء : 115]

إن هذا أمر مستقر أصالةً ليش؟ لأن الاستحلال أصلاً كفر دون الشروع في الفعل، يعني لو واحد استحل شرب الخمر وحتى إن لم يشرب، استحل الربا قال ما في شئ اسمه ربا وإن لم يفعلها، استحل الزنا والعياذ بالله ولو لم يفعله، فالاستحلال للمحرمات هو كفر وإن لم يفعل، فمن استحل حراماً أو حرم حلالاً يعني حرم حلالاً معلوماً هو نفس المسألة، فالمسألة لا يشترط فيها كما قلنا الاستحلال لذلك لأن الاستحلال كفر بذاته دون اشتراط الفعل بخلاف الذي بنتكلم عنه الآن، نحن بنتكلم في قول وفعل واعتقاد، لذلك البعض يقول لوسب لابد أن يستحل!!! يقول له لا من قال أن من سب لابد له من الاستحلال فمجرد سب لله عز وجل لا يحتاج إلى استحلال لذلك أيضاً.

هذا المبحث المفترض أن نحن ندخل في قاعدة التكفير وبيان شروطه وموانعه وصيغة إقامة الحجة، أنا أعتقد أن هذه سنأجلها وأن نفردها في محاضرة منفصلة أفضل، هنبين شروط وموانع الكفر والشروط التي قبلها كيفية صفة إقامة الحجة ثم المفروض أن نحتم بعد ذلك نبين أمثلة وتطبيقات على النواقض الثلاثة التي بيناها، فهذه إن شاء الله تكون في محاضرات أخرى

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة، مازلنا في القواعد التأصيلية والتأسيسية لأبواب العقيدة وما زلنا في قواعد الإيمان، وصلنا المحاضرة السابقة لنواقض الإيمان وتكلمنا عن نواقض الإيمان وقلنا بأنها قد تكون بالقول والفعل وبالاعتقاد، كما أن تعريف الإيمان يشمل القول والفعل والاعتقاد.

اليوم سنكمل الكلام ومعنا هذه المحاضرة اليوم وغالباً أيضاً المحاضرة القادمة إن لم ننتهي اليوم من تتمة الكلام في نواقض الإيمان، وسندخل في قاعدة من قواعد التكفير وهي التكفير وبيان شروطه وموانعه وصفة إقامة الحجة، هذا الذي سنتعرض إليه ليست هذه القاعدة، هذا العنوان فقط ليست القاعدة، سأقولها.

وعلى ذلك ممكن أن نقول أن القاعدة في هذه المسألة على التأصيل الذي قلناه في النواقض في المحاضرة السابقة وتعريف الإيمان فسنقول نص القاعدة: **(من أظهر قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً مكفراً وثبت عليه ثبوتاً شرعياً فإنه يحكم بكفره إذا توافرت شروط الحكم وانتفت موانعه)**

هذه القاعدة نبين ضوابطها الآن من المتن هذا، نبين الضوابط لها:

1) أولا قلنا (من أظهر) إذاً اشترطنا وهذا أول بيان للقاعدة وتفصيل للقاعدة يعني ضوابطها، أننا اشترطنا الإظهار فلابد من إظهار لقول أو فعل أو اعتقاد مكفر حتى نحكم بكفر صاحبه، لابد يظهر لنا قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً، قلنا بأن الأحكام الشرعية في دار الدنيا على الظاهر، ليس لنا الحكم إلا على الظاهر، فنحن نحكم بالظاهر والله عز وجل يتولى السرائر، وهنا ضابط مهم في القاعدة الإظهار أن يظهر ذلك.
2) الثاني سندخل في الفعل الترك والامتناع كما قلنا، وسندخل في الاعتقاد الشك والريبة والظنون وهذا بيناه من قبل نحن نذكر فقط لماذا قلنا قول أو فعل أو اعتقاد؟ قلنا الفعل ويدخل مع الفعل الترك والامتناع، وأيضاً في الاعتقاد سيدخل فيه الشك والريبة والظنون.
3) الضابط الثالث كون القول أو الفعل أو الاعتقاد مكفراً يثبت بأمرين حتى نقول أن هذا القول مكفر أو الفعل مكفر أو الاعتقاد مكفر لابد يثبت بأمرين:
   - الأول ثبوت ذلك بالأدلة الشرعية بالكتاب أو السنة أو الإجماع
   - الثاني أن كون هذه الألفاظ أو الأفعال أو الاعتقادات أيضاً صريحة في الدلالة على الكفر لا تقبل الاحتمال، أما إذا كان الأمر محتملاً وغير صريح في الدلالة لا يحكم بكفر صاحبه إلا بعد رفع الاحتمال، لابد يرفع الاحتمال وتبيين الحال وهذا بالنظر إلى قصد الفاعل مثلا أو القرائن المصاحبة للعمل التي تقوي احتمال الكفر أو ضد الكفر، وهذا ما يسمى عندنا بالكفر بالمآل أو باللازم يسمى بالتكفير بالمآل أو باللازم، فإذا بُيّن لصاحب المقالة أو لصاحب الفعل أو الاعتقاد أن أمره هذا الذي يقوله أو يعتقده أو يفعله يؤول إلى الكفر، أو يلزم من قولك هذا الوقوع في الكفر، أو من فعلك هذا الوقوع في الكفر، أو من اعتقادك هذا، فإن التزم بعد ذلك بهذا الفعل أو القول ولم يتراجع عنه فحينئذ يُحكم بالكفر، وهذا بعد البيان وإقامة الحجة هذا فين؟ هذه في الألفاظ المحتملة أو الأقوال المحتملة أو الاعتقادات المحتملة، لا يحكم فيها بالكفر إلا بعد البيان له، بأن هذا القول لازمه أو مآله أو هذا الفعل أو هذا الاعتقاد مآله أو لازمه يؤدي إلى الكفر، فإن التزم ذلك القول بعد البيان وإقامة الحجة هنا يحكم وقتها بالكفر.

وهذا يفارق الألفاظ الصريحة والأقوال الصريحة والأفعال الصريحة والاعتقادات التي قلنا تثبت بالأدلة الشرعية وتكون صريحة في ذلك حتى نقول بالتكفير.

طيب من أين أتينا بالضابط الأول والثاني؟ قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فيه بُرْهانٌ)**، فقلنا كفرا بواحا يبقى ألفاظ صريحة أقوال صريحة اعتقادات صريحة، عندكم فيه من الله برهان يبقى لابد من دليل من الشرع لا يقبل التأويل، يبقى هذا الضابط الأول والثاني اللي قلناه أن لابد يكون اللفظ والقول والاعتقاد صريح، والأمر الثاني أنه يكون عندك فيه برهان دليل شرعي يثبت أن هذا القول كفر وهذا الفعل كفر وهذا الاعتقاد كفر. طيب.. هذا الضابط الثالث من الضوابط اللي قلناها.

4) الرابع.. احنا في الثالث فرقنا بين الصريح والمحتمل كيف نتعامل مع الصريح وكيف نتعامل مع المحتمل وبينا الأدلة على ذلك، أما في الرابع وهو ثبوته ثبوتا شرعيا كيف يثبت ثبوتا شرعيا؟ يثبت ثبوتا شرعيا بوسائل وطرق الإثبات الشرعية مثل الإقرار يقر بأنه قال هذا القول هب أنك سمعت فلان قال، علمت أن فلان قال لكن أنت ما سمعته بنفسك، أنت واحد نقل لك، أما أن يكون ذلك بالإقرار أن يقر أنه قال كذا أو فعل كذا أو يعتقد كذا أو الشهادة يأتي بشهود يقولوا شهدنا أن الراجل هذا قال هذا القول سمعنا إنه قال هذا القول، أو صرح لنا، أو استفاضة الأمر في الناس يعني هو استفاض بين الناس أن فلان هذا بيقول هذه الأقوال كحال الزنادقة أو الملاحدة أو الكثير من المارقة الذين مرقوا عن الدين أن هم يستفاض أمرهم يطلع ولا يهمه يجاهر بهذه الأقوال والأفعال والاعتقادات الصريحة في ذلك فهذه استفاضة، خلاص انتهى الأمر استفاض أمر ذلك، فهذه ثبوته ثبوتا شرعيا.

طيب إذا ننتقل لمسألة شروط الحكم بالكفر لأن عندنا ثلاثة أقسام.. شروط في الفاعل، وشروط في الفعل، وشروط في الإثبات.

1) عشان تحكم عندك شروط في الفاعل أن يكون بالغا عاقلا مكلفا مختارا عالما بكفره متعمدا قاصدا لفعله، أن يكون بالغا عاقلا مكلفا مختارا عالما بكفره متعمدا قاصدا لفعله، وهذا ذكر أو أنثى، أيا كان ما لوش علاقة بالنوع، هذا في الفاعل
2) شروط الفعل أن يثبت بدليل الشرع كتابا وسنة وإجماعا أنه كفر بلا شبهة ولا تأويل ولا يطرأ عليه احتمال، بلا شبهة ولا تأويل ولا يطرأ عليه احتمال لو هناك احتمال سنزيله
3) شروط في الإثبات أن يثبت بالطرق الشرعية التي بيناها من قبل.

سنتكلم الآن في مبحث موانع التكفير:

هناك موانع بينها العلماء تمنع من تكفير المرء، ودي تكلم فيها العلماء يعني قد ترى أو تسمع الرجل يقول قولا كفريا أو يفعل فعلا كفريا لكنك لا تستطيع أن تطبق عليه حكم الكفر لوجود مانع.

حتى لو الكفر صريح أو كان محتمل ورفعنا الاحتمال لابد ننظر هل هناك مانع بعد ما تحققت الشروط هذه ولا ليس هناك مانع؟ قد يكون هناك مانع يمنع الحكم بالكفر ودي تكلم فيها العلماء، ما معنى المانع أصالة عند الأصوليين؟ قالوا ما يلزم من وجوده عدم الحكم، ولا يلزم من عدمه وجود الحكم أو عدمه، (عكس الشرط)

الموانع قسموها العلماء في هذا الباب.. موانع في الفعل، وموانع في الثبوت أيضا، وموانع في الفاعل:

1) موانع في الفعل أن يكون القول أو الفعل غير صريح في الكفر يعني القول ده اللي قاله أو الفعل ليس صريحا في الكفر. يبقى ده مانع، أو الدليل الشرعي غير قطعي الدلالة في الكفر الدليل الشرعي اللي أنت بتحتج به على هذا القول أو الفعل أنه كفر ليس قطعي الدلالة، ظنّي الدلالة أصالة هنا لن تستطيع الحكم على الكفر مباشرة لابد تدخل لمرحلة الكفر بالمآل أو باللازم اللي هو ايه؟ ترفع الاحتمال هذا بيناه من قبل كيفية رفع الاحتمال إنك بتقيم عليه الحجة وتقول أنت تقصد بكلامك كذا أو كذا أو الفعل هذا كذا

لو قلت كذا يبقى يكون كفرا وغير ذلك وهنا ستنتقل من الكفر الصريح للكفر بالمآل أو باللازم، وهنا لابد فيه من دخول مسألة إقامة الحجة وسيأتي معنا طبعا في الكلام بعد ذلك على كيفية إقامة الحجة وبيانها فهذه موانع في الفعل اللي فعله.

2) فيه موانع في الثبوت يعني أنه ما تستطيع تثبت الكفر بالأساليب الشرعية، جم اتنين شهدوا على رجل أنه قال كلمة الكفر ونظرت لقيت الاتنين دول عشر سنين وتسع سنين و11 سنة و12 سنة مثلا، أو اللي بيشهد راجل فاسق ليس بعدل لا تقبل شهادته على الرجل هذا عنده فقد العدالة، أو ترددوا في الشهادة يعني قالوا سمعنا ما سمعنا رأينا ما رأينا ترددوا.. في تردد في الشهادة أصالة أو وجدت واحد فقط ما وجدت اثنين ما اكتملش العدد، فهذه كلها موانع في ايه؟ في ثبوت الحكم لن تستطيع أنك تثبت عليه الحكم لأنك ما عندك إثبات لهذه المسألة.

3) ثم موانع في الفاعل ودي الأهم التي سنستفيض فيها. موانع في الفاعل اللي هو مين الفاعل؟ الذي قال أو الفاعل نفسه المعتقد أو غير ذلك نعم أو العامل ودي تسمى عوارض الأهلية هذه تسمى عوارض الأهلية وهذه حقيقة من أهم المسائل التي سنستفيض فيها الآن، لأن هذه تكلم فيها العلماء مسألة عوارض الأهلية وهي أمور تنافي الأهلية أمور تطرأ على المرء تنافي الأهلية يعني هو مكلف لكن طرأت عليه أمور كأنها جعلته غير مسؤول عن هذا الذي فعله أو قاله غير مكلف، فتكون افعاله واقواله غير معتبرة شرعا نتيجة تلبسه بعارض من عوارض الأهلية، وبالتالي لن يترتب عليها الآثار لو قال قولاً أو فعلاً كفريا أو غير ذلك لن يترتب عليه الآثار طب ليه سميت عوارض؟ لأنها أمور عارضة يعني ليست صفات ذاتية للإنسان عارضة عليه طرأت عليه.

والعوارض قسمها العلماء لقسمين: عوارض سماوية ليس للإنسان دخل في وجودها مثل الجنون، أو الصغر أو العته أو النوم أو الرق كل دي سموها عوارض سماوية وليست مبحثنا لكن هي عوارض سماوية ليس للإنسان دخل فيها لا نحاسبه عليها واحد مجنون واحد صغير عنده عته نائم فكل ما يفعل في هذا الوقت في حاله لا يسأل عنه ليس بدخله يعني النوم والجنون والعته والرق ليس له دخل فيه هذا القسم الأول الذي ليس مبحثنا لكن هو طبعا عارض.

لكن القسم الثاني هو الذي فيه المبحث وهي العوارض المكتسبة، هي دي مبحثنا هنا اللي هي يكون للإنسان فيها دخل واختيار في الوجود وفي الوقوع، وهذه التي سنتعرض لها الآن، هي عوارض مكتسبة هذه معتبره في موانع التكفير يعني إذا تلبس بها المرء هذه العوارض وقال قولا كفريا أو فعلا كفريا مع وجود هذا العارض يُمنع القول بكفره أو الحكم عليه بالكفر:

1) أول شيء الخطأ والخطأ هو ضد الصواب ما لم يتعمد من الفعل يعني الخطأ الذي هو ضد الصواب ما لم يتعمده، طب ما هو الخطأ اصطلاحا؟ أن يقصد بفعله شيئا فيصادف فعله غير ما قصد، يعني واحد كان عايز مثلا يرمى طوبة على واحد مثلا شيء بسيط ما أراد أن تأتي في العين هو ما قصد ان يفعل ذلك في عينه فهذا خطأ ما قصد ذلك، طيب كيف نطبق هذا الخطأ في مسألة أنه مانع من موانع التكفير أو عارض من العوارض الأهلية؟ ممكن الإنسان يتكلم فيسبق لسانه بكلمة الكفر خطأً هوما يريد، سواء من شدة الفرح أو من شدة الحزن أو من شدة الغضب ولا يقصد ذلك فهذا يعتبر خطأ في التلفظ أو في الفعل او مثلا ماسك المصحف ما يقصد يفعل بيده كده المصحف طار وقع من يده أو بيتكلم كلمة سبق اللسان فقال كلمة نطق بالكفر فقالوا الخطأ في القول

هذا أو الفعل مادام لم يتعمده و لم يقصده مانع من حكم التكفير عليهم وهذا يرجع لحديث الرجل الذي يسموه الفرح الإلهي بتوبة العبد الذي ذكر الله عز وجل فيه أن الله يفرح بتوبة العبد ثم ذكر فيه النبي صلى الله عليه و سلم أن العبد الذي كان في فلاة ضاعت منه ناقته ثم وجدها بعد أن يأس من الحياة فقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح فهو لم يؤاخذ بذلك مع أن الكلمة كفر، وعندنا أدلة أخرى منها قوله تعالى: {وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ} فرفع الله عز وجل الاثم على الخطأ في القول، وأيضا من قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا} ايضا وقد قال تعالى قد فعلت فدل ذلك على الخطأ غير محاسب عليه المرء،

أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّهَ تجاوزَ عن أمَّتيَ الخطأَ والنِّسيانَ ومَا استُكرِهُوا عليه) فدل ذلك على أن الله عفي أو رفع الخطأ أو المحاسبة على الخطأ وحديث الرجل الذي بيناه الآن الذي أخطأ من شدة الفرح، وايضا حديث آخر صحابي قبل تحريم الخمر بالكلية قبل نزول تحريم الخمر أثناء الصلاة من أسباب النزول عندما صلى الصحابى وهو يقرأ سورة الكافرون قال قل يا أيها الكافرون هو قال أى الصحابى أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون يعني أتى بالنقيض بالكلية فنزلت لذلك منعت وبعد ذلك نزل طبعا التدرج في تحريم الخمر وهذا لم يعد كفرا مع أنه نطق بالكفر لكنه اخطأ لأنه كان في خمر، وأيضا حمزة رضي الله عنه وارضاه لما شرب وسكر ونحر ناقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدخل النبي صلى الله عليه وسلم معه يكلمه فنظر إليه قال ما أنتم إلا عبيد ابائي فالنبي علم بأنه غاب عقله فرجع ولم يكفر بذلك، هذا كله عموماً الأدلة تدل على أن من لم يقصد وتلفظ باللفظ واخطأ فيه أو القول ولم يريد الفعل انتبهوا مش لم يريد الكفر هنا لم يريد الفعل اخطأ في القول أو الفعل، المقصود هنا أنه اخطأ في القول واخطأ في الفعل لم يكن له إرادة في هذا القول الذي قاله ولم يكن له إرادة في هذا الفعل الذي فعله يعني لم يقصد ذلك تلفظ بغير قصد وفعله بغير قصد فهذا المانع الأول مانع الخطأ.

2) المانع الثاني هو مانع التأويل والتأويل هو وضع الدليل الشرعي في غير موضعه سواء باجتهاد أو شبهة تنشأ عن عدم فهم دلالة النص أو فهمه فهما خاطئا ظنه حقا وهو ليس بذلك أو ظن غير الدليل دليلاً، كل دي أنواع من التأويل فقد يقدم المكلف على فعل الكفر وهو لا يراه كفرا هو هنا محتجا بدليل خطأ او دليل فهم معناه خطأ، يعني عنده دليل من الشرع فهم الدليل بطريقة خطأ ففعل هذا الفعل وكان الفعل كفر، والدليل على هذه المسألة هو ما حدث في زمن عمر رضي الله عنه قصة قدامة بن مظعون رضي الله عنه لما شرب الخمر في زمن عمر بن الخطاب هو ومجموعة فلما أوتي بهم للجلد احتجوا على عمر قالوا نحن ما فعلنا خطأ قال كيف؟ قالوا قال الله عز وجل{لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}

[سُورَةُ المَائِدَةِ: ٩٣] طيب تأولوا الآية لأن قدامة بن مظعون من أهل بدر فقال أنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والله قال ليس عليهم جناح في طعموا الآية نزلت في من شرب الخمر قبل تحريمها الصحابة قالوا مات أناس لنا وفي بطونهم خمر فالله عز وجل بين الذين شربوا الخمر في هذا الزمان لم يكن عليهم شيئا تأول قدامة بن مظعون ومن معه أن الآية ما زالت على ذلك فقال وأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وممن شهد بدر فشرب وشرب الصحابة بعضهم معه فلما رجع عمر لكبار الصحابة قال يستتابوا فان أقروا وإلا كفروا لأنهم استحلوا فدل ذلك على أن الصحابة لم يكفروهم لماذا؟ لأنهم لو كانوا كفروهم كانوا طبقوا عليهم الحكم لكن هو تأول الآية خطأ حتى أن عمر ضربه قال ليس فيه نزلت بل نزلت في من شرب ومات إلى ما فسر لهم عمر، الشاهد في هذه القصة أن العلماء وجدوا أن الصحابة لم يكفروهم بخطأ في التأويل لذلك قالوا إذا من أوّل الدليل خطأ وظن ليس فيه شيء، لأن الكفر هنا جاي منين؟ من استحلال الخمر عشان تبقوا فاهمين لأنهم شربوا الخمر وقالوا الخمر مش حرام علينا أنتم فهمتم القصة فين؟ هو من أين الكفر اللي عندهم؟ ليس لأنهم شربوا الخمر لأن شرب الخمر مش كفر، بل لأنهم استحلوا شرب الخمر، هم قالوا أن الخمر مش حرام عليهم لأنهم ظنوا الآية دي ليست حراماً عليه وهذا الاستحلال كفر، لو قولت لواحد الخمر حرام وهو قال الخمر حلال هذا كفر، لكن هو تأول الآية فهم عذروهم بهذا التأويل الخطأ ثم قال علي وغيره من الصحابة قالوا نراجعهم يستتابوا إن أقروا فلا شيء عليهم إلا الجلد فقط الجلد أى الحد وإلا يكفروا فبين ذلك ماذا؟ انهم لم يكفروهم بسبب التأويل، قالوا إذا أقروا بالتحريم جلدوا وإذا لم يقروا كفروا.

لابد من ضبط شيء: ليس كل خطأ في التأويل يعتبر عذراً مقبولاً ومانعا من التكفير لا بد أن يكون التأويل كما قال علماؤنا أن يكون التأويل سائغ ومستند إلى دليل من الشرع اخطأ في فهمه متأولا أو فهمه على معنى غير المراد وبعضهم زاد ويكون التأويل له وجه في اللغة، ثم ويكون اهلا للنظر في الأدلة الشرعية يعني مش اي واحد كده يقول انا متأول وإلا لو ترك الأمر يكون تلاعبا بالنصوص واتباعا للهوى، لذلك لا نقبل تأويلات الزنادقة ولا الملاحدة ولا الباطنية بكل ما يؤولون به النصوص لأن هذا مصادم أصالة هذا إتباع هوى وتشهي ومحض شهوة وهوى اصلا وليس لهم لا دليل سائغ في الشرع ولا في اللغة ولا شيء لذلك لم يقبل العلماء تأويلات هؤلاء وإلا لو ترك الأمر لأصبح يتلاعب بالدين كل من أراد ويكون متأول ويكون ليس عليه شيء، لذلك قال القاضي عياض قاعدة في هذا الباب قال: ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل، وقال ابن الوزير اليماني لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في جميع الأسماء الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الاخروي من البعث والقيامة والجنة والنار، وهذا يبين لك أن المسألة ليس بابا مفتوحا أن أي واحد يقول أنا متأول لأ دي ضوابط كما بينا، بل أن الحافظ بن حجر رحمة الله عليه وعلى العلماء قال كل متأول معذور بتأوله ليس آثم اذا كان تأويله سائغا في لسان العرب وكان له وجه من العلم طيب، هذا المانع الثاني.

3) ندخل للمانع الثالث وهو الجهل، والجهل في اللغة عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما، مرة أخرى الجهل في اللغة عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما ما المقصود بذلك؟ عدم العلم بالأحكام الشرعية أو بأسباب الأحكام الشرعية يعني قد يكون الجهل

هذا عذر لكن لابد أن نبين أن إحنا الان نقول أن الجهل عُدّ مانع من موانع التكفير لكنه ليس الجهل على الإطلاق مانع من موانع التكفير لو قلنا الجهل على الإطلاق مانع من موانع التكفير ما الذي سيؤدي إليه؟ لو قلنا الجهل على الإطلاق مانع لكان الجهل خيراً من العلم لأنه خلاص يظل جاهل حتى لا يحاسب يبقى الجهل أفضل ولا يطبق عليه شيء،

الشافعي يقول (لو عُذِرَ الجاهل لأجل جهله لكان الجهل خيراً من العلم إذ كان يحط عن العبد أعباء التكليف ويريح قلبه من دروب التعنيف فلا حجة للعبد في جهله للحكم بعد التبليغ والتمكين ((لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)) لأن البعض يتعلق يقول وهناك بعض الناس زادوا في المسألة هذه يقول لك اترك الجاهل على جهله أفضل حتى لا يحكم عليه بشيء!! وهذا ضياع فإذاً لا بد هنا أنك تبين أن ليس الجهل على الإطلاق عذراً أو مانع من موانع لكن حقيقةً لابد أن تنظر في الجهل لأمور قالها العلماء أيضاً في ذلك. العذر بالجهل هذه مسألة أوسع بكثير لن نتعرض لتفاصيلها في القاعدة هنا لكن سنشير على أنه مانع فقط من الموانع، وإلا فيها تفاصيل كثيرة مسألة العذر بالجهل هذه، لكن نقول لابد تنظر إلى نوعية المسألة المجهولة أولاً هل هي من المعلوم من الدين بالضرورة؟ أم غير معلومة من الدين بالضرورة؟ هذا ضابط وأنت بتنظر لها، ولابد تنظر أيضاً إلى المحل الذي وقع فيه الجهل هل هو دار إسلام أم دار كفر؟ وهذا أيضا نظر للعلماء في هذه المسألة، أيضاً لابد تنظر هل المسألة مشهورة أو غير مشهورة؟ ولذلك قال العلماء ما يشترك فيه غالب الناس في علمه أو ما لا يشترك فيه غالب الناس في علمه، أيضاً لابد تنظر كون المسألة التي وقع فيها الجهل أو الخطأ هل عن اجتهاد صحيح؟ أو كونها لا يقع فيها الاجتهاد لمخالفتها للكتاب والسنة مثلاً والإجماع؟ فلو كان فيها اجتهاد فالحكم سيختلف صحيح ولو كان مخالفة للكتاب والسنة وإجماع فليس الاجتهاد مقبول في هذه المسألة، ولذلك بعض العلماء يقول لك المسائل التي يُسَوَغ فيها الاجتهاد والمسائل التي لا مساغ للاجتهاد فيها وهنا الجهل هنا غير معتبر لو كانت المسائل ليس فيها اجتهاد لا يسوغ فيها الاجتهاد وواضحة في الكتاب والسنة والاجماع يبقى هنا الجهل بها غير مقبول، أيضاً فرقوا بين حالة الجاهل ممكن يكون قريب عهد بإسلام أو نشأ في بادية بعيدة أو الذي يعيش بين المسلمين وليس بقريب عهد بالإسلام، طيب أيضاً تفرق بين الجاهل المتمكن من التعليم والجاهل الغير متمكن من التعليم الجاهل المتمكن من التعليم لكنه فرط وجاهل غير متمكن من التعليم لغلبة الجهل أو الضلال، واحد جالس في وسط مكان كله ضُلال كله مثلاً علماء سوء أو علماء الموجودين عنده أصحاب مثلاً قبور ولا روافض ولا كذا ولا كذا ولا ما عنده شيء يفهم منه وواحد آخر جالس بين علماء يستطيع أن يسألهم ويتمكن من التعلم وهنا يفرق بين هذا الجاهل و هذا الجاهل أيضاً وهذا قد يكون مفرط ومقصر والثاني غير مفرط وغير مقصر، بل بعضهم فرق كمان بين المقلد المتعصب للمذهب والرأي المتمكن من مخالفة المذهب ولكنه معرض عن الدليل والبرهان تقليداً للمذهب وبين المقلد العامي الغير متمكن من العلم ويقلد فقط شيخ أو مفتي أو شيء هذا الثاني يعذر والأول لا يعذر اصالة.

إذا خلاصة القول العذر بالجهل ليس عذرا على الإطلاق لابد من التفصيل فيه والبحث ولابد ينظر للمسائل المعلومة في الدين بالضرورة أو المسائل الظاهرة أو من نشأ في بادية بعيدة أو حديث عهد بإسلام إلى غير ذلك طيب ما الدليل على العذر بالجهل

أصلا؟ بأنه قد يكون مانع من موانع التكفير لأن إحنا قلنا إنه مانع صحيح قلنا أنه ليس على الإطلاق لكن قلنا مانع منها **حديث عائشة رضي الله عنها لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا جهم بن حذيفة بعثه في عمل أو في شيء: (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعثَ أبا جَهْمِ بنَ حذيفةَ مُصَدِّقًا فلاجَّهُ رجلٌ في صَدَقَتِه فَضربَهُ أبو جَهْمٍ فَشَجَّهُ فَأَتَوْا النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَقالوا القَوَدَ يا رسولَ اللهِ فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَكُمْ كذا وكذا فلمْ يَرْضَوْا فقال لَكُمْ كذا وكذا فلمْ يَرْضَوْا فقال لَكُمْ كذا وكذا فَرَضُوا فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إنِّي خَاطِبٌ العَشِيَّةَ على الناسِ ومُخْبِرُهُمْ بِرِضَاكُمْ . فَقَالوا: نَعَمْ، فَخطبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: إنَّ هؤلاءِ اللَّيْثِيِّينَ أَتَوْنِي يُرِيدُونَ القَوَدَ، فَعَرَضْتُ عليهم كذا وكذا فَرَضُوا، أَرَضِيتُمْ؟ قالوا: لا! فَهَمَّ المُهاجِرُونَ بِهِمْ، فأمرَهُمْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أنْ يَكُفُّوا عنهُمْ، فَكَفُّوا، ثُمَّ دعاهُمْ فَزَادَهُمْ، فقال: أَرَضِيتُمْ؟ فَقَالوا: نَعَمْ! قال: إنِّي خَاطِبٌ على الناسِ ومُخْبِرُهُمْ بِرِضَاكُمْ. قالوا: نَعَمْ! فَخطبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: أَرَضِيتُمْ؟ قالوا: نَعَمْ)** الشاهد أن هم قالوا لا وهذا تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا كفر لأنهم بعد أن قالوا رضينا رجعوا فهنا الليثيون من الأعراب كما يقال يعني من البادية يغلب عليهم كما قال العلماء الجهل بأمور الدين ما يعلموا أمور الدين اصالة لقرب عهدهم بالإسلام كانوا قرباء عهد بإسلام فلم يؤاخذهم النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الامر الظاهر في التكذيب، فجعلوا أن هذا عذرا لهم بجهلهم بأمور الدين ولا يعلمون أن هذا الأمر عظم شأنه وانهم قريبي عهد بالإسلام ومع ذلك لم يكفرهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقيم عليهم ذلك.

الحديث الثاني حديث ابي واقد الليثي مشهور في غزوة حنين بعد النبي صلى الله عليه وسلّم ما منّ الله عليه بفتح مكة ثم سار الى حنين يقاتل فبعد أن وصل حنين وجد الشجرة عليها انواط حديث الشجرة ذات الانواط أبو واقد الليثي يروي الحديث: (خرجنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى حُنينٍ ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفرٍ [وانتبه لهذه الجملة] وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندَها وينُوطون بها أسلحتَهم [يعني يعلقون عليهم الأسلحة] يُقالُ لها ذاتُ أنواطٍ فمررنا بسدرةٍ فقلنا : يا رسولَ اللهِ اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: اللهُ أكبرُ إنها السننُ قلتم والذي نفسِي بيدِه كما قالت بنو إسرائيلَ لموسَى: اجعلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ؛ لتركَبُنَّ سنَنَ مَن كان قبلَكم) الشاهد أن قولهم هذا كفر طبعا هذه المسألة دي فيها خلاف لكن إحنا بنأخذ القول اللي بنستدل به على مسألة العذر بالجهل لأنه مانع أنه صلى الله عليه وسلم على القول بأنه لم يكفرهم بذلك لانهم قالوا حدثاء عهد بكفر كانوا لسه طالعين طلقاء اللي هم منهم كان عشرة آلاف مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين منهم لسه اسلموا حديثا في مكة فقال ونحن حدثاء عهدا بكفر فكان سبباً في اعذارهم بالجهل يعني هذا كان سبباً في ذلك.

طبعا هذه المسألة حقيقة فيها طرفان ووسط فيها طرف غالى جدا في مسألة العذر بالجهل حتى انه اطلق العذر بالجهل على مصرعيه كما يقال وجعل أن كل شيء فيه العذر، وفي طرف ايضا يعني منع بالكلية مسألة هذا العذر بالجهل وضيق عليه تضييقا شديدا، وطرف وسط ودائما الوسط هم اللي يكونون على الصواب في هذه المسألة، وهذه تحتاج لتحقيق وتدقيق من أهل العلم لأنها تختلف من الزمان والمكان يعني مسألة العذر بالجهل تختلف من مكان وزمان ومن شخص لآخر وإقامة الحجة على الجاهل وإصدار الحكم عليه، مهم جدآ قبل اطلاق الحكم عليه، لكن نقول ان هذه المسألة فيها افراط وتفريط حتى وصل البعض أنه لا يريد إقامة الحجة أصلا، لا يريد إقامة الحجة

من بعد ما غالى في مسألة عدم العذر بالجهل أنه لا يرى إقامة الحجة، بل بعضهم وصل أنك مجرد تقرأ عليه الآيات ويسمعها قد أقمت عليه الحجة وهذه ستأتي إن شاء الله في مبحث كيفية إقامة الحجة، لكن هو بعضهم غالى جدا ومنع العذر بالجهل، وقلنا الصحيح بأنك تفرق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية وتفرق بين الأصول والفروع، بل بعضهم لما زاد في المسألة هذه قال الحجة ثبتت بالفطرة ولا عذر بالجهل واستدلوا بقول الله عز وجل { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ } [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ١٧٢] ميثاق الذر فقالوا إذا ثبت عليه بالفطرة كل شيء وقلنا أن هذا خطأ حقيقة وهذا من باب الغلو في عدم العذر بالجهل، لكن الصحيح أن هو أصل معتبر ومانع معتبر عند أهل السنة والجماعة لكن بشروط وضوابط كما بينا.

طبعا في فرق بين الأمور الظاهرة والأمور الخفية، أهل العلم تكلموا أن الأمور الظاهرة يعني مسائل التوحيد والشرك مثلا في أمور منهم ظاهرة اصالة وفي أمور خفية مع أنها من أصول العقيدة ممكن تخفى يعني مثلا الأسماء والصفات قد تخفى على البعض في بعض المسائل فيها اصالة، وأيضا بعض المعتقدات في المسائل الخاصة بالقدرية والمرجئة وبعض مسائل الإيمان هذه قد تكون من المسائل ليست الظاهرة تسمى خفية، يعني لابد فيها من إقامة حجة ده المقصود لابد فيها من إقامة الحجة.

طيب وايضا قد تكون فروع غير منتشرة يعني عشان ما تجيش تقول لي طب إحنا في الأصول ما هو فيه فروع منتشرة مثل الصلاة حد ينكر الصلاة؟ ينكر الصوم؟ ينكر الحج؟ لا ينكر مع انها ممكن تعد عند الفقهاء فروع يعني هي ليست من مسائل الاعتقاد ولكن هذه فروع منتشرة لا يعذر فيها بالجهل، النووي قال في هذا: وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئا ممن أجمعت عليه الأمة من أمور الدين إذا كان علمه منتشراً كالصلوات الخمس وصوم رمضان و الاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام إلا ان يكون رجل حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فانه إذا أنكر شيئا منه جهلاً به لم يكفر وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه اما من كان الإجماع فيه معلوما من طريق علم خاصة كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وأن القاتل عمدا لا يرث وأن للجدة السدس وما اشبه ذلك من الاحكام فإن من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها بين العامة، كلام الامام النووي، لذلك يفرق بين الفروع المنتشرة والفروع غير المنتشرة فمن أنكر الفروع المنتشرة لا يقبل فيها جهلاً لكن من أنكر الفروع الغير منتشرة فيقبل فيها العذر بالجهل.

4) المانع الرابع وهو الإكراه، وهو حمل الغير على أمر يكرهه ولا يرضاه طبعاً او شرعاً، وهذا الاكراه مانع من موانع التكفير أيضا لكنه ليس برضه على الاطلاق لابد تربط ما الاكراه الذي يعد مانعا من موانع التكفير، لابد أن يتحقق فيه شروط:

- أن يكون المكرِه قادر على تحقيق اكراهه إما بقى بالولاية بالسلطان بالتغلب بالقوة إلى غير ذلك ده أول شرط

- أن يكون المكرَه عاجز عن الدفاع عن نفسه سواء بالمقاومة الشخصية أو بالاستغاثة بالغير ممكن يستغيث بالغير أو يقاوم فهنا عنده القدرة أن يدفع الاكراه فهذا لا يعد مكره لأنه لو استطاع أن يدفع عن نفسه فلا يعد مكرها بأي وسيلة من الوسائل حتى يستغيث بالغير
- الثالث أن يكون ما يهدد به في الإكراه مما لا طاقة للمرء به يعني تعذيب شديد، قطع أعضاء، تحريق بالنار، قتل، أشياء ما يحتملها المرء اما ما يحتمله المرء فلا يعد اكراها
- الرابع أن يغلب على ظن المكره أنه إذا امتنع أُوقع ما هُدِد به فوراً، فورا يعني في الحال وإلا لو قال له مثلا إذا لم تقل بعد اسبوع سأقتلك فما زال ليس مكره، اخر اليوم سأقتلك ما زال ليس مكره، المسألة على الفورية قالوا ذلك، يعني تكون العقوبة عاجلة وليست آجلة
- الخامس تتعلق العقوبة ببدن المكرَه ليس بماله أو ببدن غيره، يعني لو قال له انا هاخد مالك كله فهذا ليس اكراه لابد أن يكون الإكراه على البدن، طب لو قال له بدن غيرك يعني سنفعل لغيرك كذا وإلا تقول كذا، قالوا هذا ليس اكراها أيضا، يعني إذا قال له إذا لم تكفر قتلنا أباك أخاك مثلا أو غير ذلك او عذبنا فلان وفلان او مثلا أخذنا مالك كل هذا لا يعد اكراها على الكفر لان هو الكفر هنا سيخرج بذلك هل يعد إكراها؟ مانع يعني؟ لا هذا لا يعد الإكراه مانعاً
- السادس ألا يظهر المكره تماديه على هذا الكفر قولاً او فعلاً بعد رفع الإكراه لان هو ابيح للضرورة فان اكره على قول أو فعل كفر مكفر فلا يزيد على القدر الذي اكره عليه فقط، لذلك قالوا إذا زال الإكراه لابد يظهر الإسلام، إذا زال الإكراه لابد أن يظهر إسلامه، طيب كل هذه الشروط أصلا ما الدليل على أن الإكراه مانع شرعي من موانع التكفير؟ قول الله عز وجل: {مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا.....} طبعا هذه الآية نزلت في من؟ عمار بن ياسر رضي الله عنه: (أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك، قال: مطمئناً بالإيمان، قال: إن عادوا فعد) يعني أن عادوا للإكراه عد لهذه الرخصة فهذا مع أنه قال كلاما فى النبي صلى الله عليه وسلم والنيل من النبي كفر و الآية واضحة إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان لكن لابد طبعاً ان يكون قلبه معتقد الإيمان مش معتقد غير ذلك.

وهذه تبين لك حديث وإن كان فيه ضعف حديث الرجلين: أن رسول الله ﷺ قال: (دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب. قال ليس عندي شيء أقرب. قالوا له: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا، فخلوا سبيله. فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة) الفرق بين الأول والثاني أن ده قتل ودخل الجنة و هذا دخل النار لماذا؟ لأنه قال ما عندي شيء

اقربه كأن المشكلة عنده أنه لا يجد ما يقربه لذلك قالوا قرب ولو ذبابه الأول قال ما كنت لأقرب شيئاً إلا إلى الله فالعلماء نظروا وقالوا الفرق بين قلب هذا وقلب هذا، هذا أظهر عدم بالكلية والثاني قال ما عندي شيء اقربه كأنه ارتضى ذلك فالبعض فرق في هذه المسألة، والآية كما قلنا هذه نزلت في عمار وهذه دلالة على أن الإكراه مانعاً من موانع الكفر كما قلنا إذا تحققت الشروط التي قد بيناها

5) المانع الخامس في الموانع وهو السُكْر.. يزول معه العقل بالكلية، وهذه اختلفوا فيه العلماء هل السُكْر مانع من موانع التكفير أم لا؟ فيه خلاف بين العلماء في ذلك وعدم اعتبار رِدة السكران، الأحناف اعتبروا أن السُكْر مانع بينما الشافعية والحنابلة ما اعتبروه مانع، نعم يعني اختلف العلماء في اعتبار السُكْر مانعا من موانع التكفير وعدم اعتباره رِدة، والصحيح اعتباره وهو قول الأحناف قول الأحناف أن السُكْر مانع خلافا للحنابلة والشافعية، عندنا الشافعية في مسألة السُكْر دي واضحة بيحملوه أحكام كثيرة مع سكره أيضا أصالة.
والدليل عندنا في المسألة حديث حمزة حقيقة رضي الله عنه لما سَكْر وقال هل أنتم إلا عبيد آبائي كما ذكرنا، وحديث الصحابي الذي قرأ سورة الكافرون وكان في سكره في الصلاة أيضا لم يكفره صلى الله عليه وسلم لزوال العقل في حالة الكفر.
6) السادس حكاية الكفر، لمن حكى الكفر يعني واحد بيحكي الكفر ودي مسألة انتبهوا لها أوي لأن هذه يقع فيها أناس بغير ما يشعرون وممكن يقع في كفر وهو لا يدري، حكاية الكفر لغرض شرعي صحيح مانع من موانع التكفير، انتبه للتدقيق، قالوا المانع سادس حكاية الكفر أنك تحكي كفرا قولا أو فعلا حدث لغرض شرعي صحيح، مثلا تقرأ كلام الكفار، طبعا هو فيه كلام فيه سب لله أو ذكر الله بما لا يليق أو غير ذلك، أو تروي الكفر عن أحد، تروي عنه شيء طب هذا ليه؟ لتثبت حكم الردة على هذا القائل ليطبق عليه أو لتحاجيه أو غير ذلك يعني، أو أنك تقرأ مقالات أهل الكفر لترد عليها وتبين العوار والفساد الذي فيها، هذا الغرض الشرعي الذي يباح لك فيه أنك تحكي الكفر أو تقرأه، إذا هناك غرض شرعي لنقل ذلك سواء نقل كلامهم أو روايته إما لتقيم عليه حكم الردة أو أنك ترد على هذه المقالات وغير ذلك، أما من ينقله لغير غرض شرعي وهذه بقى انتبهوا لها لأن بيقع فيها ناس إما بجهل أو بغير ذلك بقلوب فاسدة، من جهة الاستحسان من جهة الرضا من جهة الاستهزاء التفكه أو المزاح مثلا أو الإشادة، كل هذه الحالات اللي بقت لها بقى أهل الحداثة زي ما بيسموهم المثقفين الذين يقولون هذا الكلام.. هذا ناقل للكفر، هذه أنواع طبعا ممكن يحتجوا واحد يقول لك ده ناقل وناقل الكفر ليس بكافر نقول نعم إذا نقله بغرض شرعي صحيح أما اذا نقله بغير غرض شرعي صحيح استهزأ ده كفر أصالة، يعني ما زلنا نبين الفرق بين المانع وعدم المانع، المانع لو نقله بغرض شرعي صحيح، لكن ينقله بغير غرض صحيح ينقله استحسانا أو رضا أو استهزاء أو إشادة بالكلام هذا وهو كلام كفري أو فعل كفري أو استهانة أو استهزاء طب كيف نعرف ذلك؟ بقرائن الأحوال تنظر لقرائن الأحوال والأقوال التي قال فيها هذا الشخص، إن قالها استهزاء استهتارا مدحا إشادة استحسانا رضا يبقى هو هنا رضى بذلك.
طبعا منها بقى عشان نبين الصور المعاصرة طباعة الأشعار الكفرية وطباعة القصص الكفرية طباعة المقالات طباعة الأشياء اللي فيها ألفاظ مكفرة أو نشرها أو غير ذلك من يتصدر لفعل هذا كله كأنه ناقل للكفر.. كأنه ناقل للكفر أو يشيد بها أو يقول لك ده أدب

وثقافة وحرية إبداع وتفكير وغير ذلك من هذه الأمور، لو كانت فيها طبعا أقوال أو اعتقادات كفرية ظاهرة واضحة خلاص هو ناقل للكفر هذا بصورة بقى من الصور، بخلاف اللي بينقلها للنقد أو للرد عليها كما قلت أو غير ذلك أصالة.
وهذه طبعا من الأمور التي انتشرت باسم الأدب والشعر والثقافة وغير ذلك أصالة، وعمليا لا يجوز بناء على ذلك لا يجوز أصلا قراءة كتب الزنادقة والكفر لأن فيها الكفر والزنادقة أو نقل كلامهم أصالة إلا لو فيه مصلحة شرعية عشان تبين، أو مشاهدة بقى الأمور التي فيها هذه الأمور أيضا تحولت المسألة الآن كان في قراءة فقط هنا أصبح في سماع أو في كمان مشاهدة، كل هذا ما كان فيه من أقوال أو أفعال كفرية أو اعتقادات وتبث فهو داخل في النقل والنشر ورؤيتها والكلام هذا كله داخل في هذا المانع اللي موجود وان كان ليس بمانع كما بينا أيضا، وأيضا لا يجوز لا الاستماع ولا النظر ولا البث ولا الاشتراك طبعا، هذا كله ينزل تحت قوله تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} هذا التأصيل اللي في المسألة أصالة.

طبعا لو عايز تضيف وتزيد شوية يدخل بقى الأعياد الكفرية والمناسبات الكفرية والأشياء اللي بيتلفظ فيها بالكفر مشاهدة أعياد الكفار ونقلها ورؤية ما يفعلونه من تلفظ بالشرك وسب الله وغير ذلك مما يقولونه ورؤيتها أصلا.. فضلا عن حضورها ومشاهداتها فهذا كله {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} هذا نوع من الاستهزاء أصالة.

فنقول كل هذه موانع بيناها من موانع التكفير..
اعتقد أن احنا نقف عند صفة إقامة الحجة وشروط إقامة الحجة.

طيب لو فيه أسئلة ممكن ناخدها.. اتفضل ما فيش أسئلة أحسن لسه ما اكتملتش القاعدة عموما، فما أحد يسأل فيما لم يكمله لكن لو فيما سبق عنده سؤال ممكن نقبل، لكن مازلنا عندنا في القاعدة كلام كثير يعني أنت هكذا أنت الأسبوع القادم ويمكن اللي يليه كمان الله أعلم. اتفضلي واحد مشهور متعلق بالبدن اه ليس بدن غير يعني لو الشخص المهدد بيعالج في حيات ده يعتبر من الإكراه لما صدر؟ ما لو كان إكراه كفرا لو إكراه تاني يسدهم فلوس وماله وياخد عياله ويمشي لكن لو نقول إكراه حتى يكفر فلا إكراه لابد أن يكون على بدنه هو مش على بدن غيره يعني مش يهدد بغيره حتى يكفر هو، أنا بقول اتكلم بنتكلم عن الإكراه على الكفر إن احنا معنا اليوم لكن لو أكره مثلا على أحد عشان يعطي أموالا أو يعطي شيء خلاص هذا عنده يفعل ما يريد لكن الإكراه يكون عليه هو على مش على بدن غيره في النطق بالكفر ده بالمقصود لا ينطق، بالضبط بالنسبة لحكاية الكفر بعض الأشياء اللي ممكن أن احنا نعمل مع توصيل المنطقة اللي فيها أطفال ولا اتنين؟ لا لو كفرية بتقولي مشاهد كفرية حقيقية ما يصح

أبدا يرون لو هي أنا ماشي على كلامكم يعني أنا مش أقصد أن أنا صح أو خطأ أنا أجيب لو كانت المشاهد كفرية صريحة مش محتملة لأن في احتمال يبقى ممكن نحسبها على احتمال غيره، لكن لو كانت كفرية صريحة ما يجوز مشاهدتها يعني حضرتك ولا ايه اللي بيعملوا صغيرة أن هي مسئولة عن المطر.. الجنية مسئولة عن حاجات زي كده ده شرك ده شرك ده كله ده طبعا ده أكيد ما حدش يشوف جنية مسئولة عن المطر والجنية مسئولة عن ولا تقصد هم عايزينه ملايكة مثلا وبينزلوهم جنية كمان يعني بيخلوها في البنون في الجن طبعا أنا لكن هو فيه فيه ملك خلاص ما هو ربنا جعل أن فيه ملك للمطر موكل بالمطر وملك موكل بالوحي وملك موكل باعمال ده لو الملائكة ما أنا عشان كده ما أعرفش انا بجيب إلا على اللي أنا بقوله لو يقصد أن ملائكة يعني أن هو بيتكلم عن ملائكة ده أمر آخر أن هو ربنا فعلا وكّل بعض الملائكة بالأعمال لكن لا يقصد لا أن ده يعني هو اللي بينزل هو كأنه الإله لأ يبقى خلاص، طالما ده شرك والمسألة منتهية ده كفر فلا يجوز، الضابط عندنا إذا وجدنا أن هذه الأمور بعد النظر فيها بأنها يعني أشياء كفرية ما يجوز النظر اللي هي طبعا ولا مشاهدتها لا كبار ولا صغار أصالة ولا الترويج لها ولا مشاهداتها ما هو أصلا مشاهداتها معناها أنه نروج معناها أن هم أصابوا في هذا الإنتاج والناس بتشوفه وسينتجه غيره وصدروا إلى الناس الكفرية وهذا كله يمتنع هذا كله يمتنع.

السُكْر مانع أم لا؟ لاني ما سمعته تقريبا ترجيح السُكْر مانع نعم نعم السُكْر مانع الحق أن السُكْر مانع السُكْر يأثم بالسكر لكنه لا يكفر هل منفك الصحيح عندنا، السنة جاءت بذلك.

نعم مسألة واحد قال وناقل الكفر ليس بكافر قال قولت الكفر وهو كده هو ناسي هنا أن هو يقول أن ناقل الكفر ليس بكافر فالناس ستظل تمام؟ إلا أنه يقول بهذا القول اللي هو هذا القول كفر هو لك أن هو يمكن أن ده ليس بقوله وهو ينقل مُصرّ يعني هو نقل الكفر نعم ماشي هو نسي أن هو يقول لهم إن أنا لا يعني لا اعتقد ذلك أن أنقل لكم هذا ده مقصدي في المساجد هو نقله ليه طيب؟ للتوضيح خلاص يبقى ده مش نسيان أصلا هو نقله للتوضيح مش لازم يقول لهم احنا بنتكلم عليه هو لما نقله للتوضيح يبقى هو ليس ده هو هو الآن ما نقلوا استهزاء يبقى ده خلاص مش مانع كفري أصلا، أصل النسيان طب واللي احنا بنتكلم عنه لابد يكون فعل أو قال عشان يبقى فعلوا لكن الفعل والقول اللي قاله أو الفعل جاء مانع من فهو لابد أن يكون صعب فالنسيان مش هتيجي معه لأن النسيان أصلا ترك. هو عموما عشان أنتم بتسألوا أيضا وهنا اتسأل في مسألة الإكراه قد تكون لهذا الشرط محل خلاف بين العلماء لكن احنا بنتكلم عن الراجح فيه لكن الراجح أن الإكراه على البدن بدن المكره نفسه مش بدن غيره أصالة. سلام عليكم لذلك يعني هو الآن لو جابوا واحد يقول له هنقتله أو تكفر وهو اللي بيكفر من اللي بين والثاني حتى لو قتل هذا يقتل هو مش هيحاسب على مقتل هذا لكن هل هو يكفر هذا إكراه أنه يكفر هو؟ لكن لو هو سيقتل ممكن هو اللي خلاص ينطق بالكفر ينطق بايه؟ بالكفر نعم هيقتلوه فعلا أمامه؟ ليس عليه شيء لو قتلوه يمكن هو هو مش هو المكره ليس هو المكره بالكفر ليس الإكراه مش عليه هو عليه هو طيب نكتفي بهذا.

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك جزاكم الله خيراً.

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع دراسة العقيدة المرحلة الخاصة قواعد التأصيلية والتأسيسية ،وما زلنا في قواعد الإيمان، اليوم نتم تكملة القاعدة الخاصة بنواقض الإيمان أو ضوابط التكفير وهي التي كانت بمسمى "من أظهر قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً مكفراً وثبت ثبوتاً شرعياً فإنه يُحكم بكفره إذا توفرت شروط الحكم وانتفت موانعه "هذه القاعدة التي كانت معنا وكنا قد ناقشنا الأسبوع الماضي مسألة أن الفعل والقول والاعتقاد قد يكون التكفير به كما أن الإيمان بالقول والفعل والاعتقاد، وناقشنا في شروط ثبوت الحكم شروط على الفاعل وشروط على الفعل وشروط في الثبوت في كيفية الثبوت، وقلنا إن شروط الفاعل البالغ العاقل أن يكون مكلفاً مختاراً للفعل الذي يفعله، وقلنا من شروط الفعل أن يكون الفعل قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً وتكلمنا أيضاً بعد ذلك عن شروط في الثبوت أن يثبت ذلك بالثبوت الشرعي ثم بعد ذلك تكلمنا طبعاً قلنا شروط أن يثبت الفعل أولاً بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع بلا شبهة ولا تأويل ولا يطرق عليه احتمال يعني ثبوتاً ظاهراً وثبوت خاص بالشروط في الإثبات وهو أن يثبت بالإثباتات الشرعية هذا كان الشروط

ثم تعرضنا للموانع موانع التكفير وكنا تكلمنا عن الخطأ والجهل والإكراه وقلنا أيضاً تكلمنا عن الكفر أو نقضه بالتفصيل كل هذه كلها ثلاث موانع، وتكلمنا بعد ذلك عن السكر أيضاً الذي يزول به العقل كمانع.. ستة موانع وكنا قد انتهينا بذلك من الشروط ومن الموانع وتبقى لنا صفة إقامة الحجة .قلنا لابد بعد أن تتحقق الشروط تنتفي الموانع، أيضاً لابد من إقامة الحجة على من قال هذا القول أو فعل هذا الفعل، وقلنا بأن الكلام سيكون في القول والفعل لأن الاعتقاد ليس لنا أن نعلمه، هذا أمر باطني ومن أتى بأي ناقض من نواقص الإيمان سواء القولية أو الفعلية أو الاعتقادية يحكم عليه بالكفر كما قلنا في القاعدة إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، لكن لابد أيضاً مع هذه الثلاثة شروط أن تقام عليه الحجة أولاً بعد أن تنتفي الموانع أو تتحقق الشروط، لابد من إقامة الحجة ثم بعد ذلك يحكم عليه بهذا الحكم. وإقامة الحجة أي بيان له وهذه جاء فيها نصوص في الشرع، بأن الله عز وجل لا يعذب أحداً إلا بعد الإنذار وإقامة الحجة عليه، لذلك الله عز وجل أرسل الرسل وأنزل الكتب ولم يترك أمة إلا وبعث فيها رسولا قال تعالى **"وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"** وقال تعالى **" وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا "** وقال تعالى**" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا"** وهذا كثير في القرآن تجده أنه يخبر إنما يعذب الله عز وجل من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة فهو المذنب، إذاً لابد للمعين حتى يثبت عليه حكم الكفر لابد أن تقام عليه الحجة، لذلك العذاب لا يستحق إلا بعد التبليغ و إقامة الحجة، فلا يحدث العذاب إلا بعد التبليغ وإقامة الحجة، لذلك العذاب يستحق بسببين إما الإعراض عن الحجة وعدم الإرادة،تأتي تبين له الحجة يعرض عنك ما يريد أن يسمع فهذا رد هذا أعرض ولم يرد لا يسمع ولم يرد العمل، والثاني الذي بسببه يعذب العناد بعد أن تبين له الحجة وتقيم عليه حجة يعلو ويترك إقامة هذه الحجة أو يترك إقامة الحق الذي قد بينته له، فهنا يستحق العذاب إما بإعراض أو بالعناد وهذا يسمى حتى كفر إعراض والثاني يسمى كفر عناد، أما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا لا يعذب بسببه، لأن هنا جاء المانع وهو الجهل أو عدم التمكن من المعرفة أصالة وهذا الذي نفى الله عز وجل التعذيب حتى تقوم حجة الرسل **"وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا "** فإذاً فإننا بينا سبب العذاب إما يكون إعراضاً أو يكون عناداً أما الجهل مع عدم قيامة الحجة أو عدم التمكن فهذا لا يعذب المرء بسببه، إذاً من شروط تكفير المعين إقامة الحجة عليه أو بلوغ الحجة له قبل إصدار الحكم عليه، وهذه ضوابط مهمة جداً .لذلك سنتكلم أولاً عن شروط إقامة الحجة أولاً العلم بالحجة، يعني لا يكفي وجود الحجة دون وصولها للمكلف فلابد أن يعلم بالحجة، يعني الإسلام موجود لكن هل مجرد الإسلام موجود فأي واحد لم يسلم يكون يستحق العذاب؟ لا لابد أن يصله الإسلام. فلا يكفي وجود الحجة دون وصولها إلى المكلف ومعرفته بها يعني لابد للمكلف أن يعلم بالحجة ويتعرف عليها إذا كان جاهلاً بها وكان ممن يعذر بهذا الجهل فهذا لا يعتبر أقيمت عليه الحجة بل لابد يُعْلَم أولاً أو يُعَلَم بالحجة حتى يرتفع عنه الجهل فيها .الأمر الثاني -وهذا الأمر الثاني من الأهمية- بمكان تكلم فيه بعض العلماء واختلفوا عليه وهو فهم الحجة.. يعني لا يكفي فقط أنك تقول الحجة، بل لابد أن هذا الذي يقام عليه الحجة أن يفهم هذه الحجة. لكن يفهمها بقدر ما تقوم به الحجة، يعني لا يحتاج نقول له أن تفهم فهم العلماء أو فهم أبو بكر أو عمر أو الصحابة لا. بل أن يفهم الحجة بالقدر الذي تقوم به الحجة أو يتحقق به المقصود من ذلك، وقلت ليه اختلفوا لأن البعض ظهر في بعض الكتابات

ونسب لبعض العلماء أنهم قالوا يكفي بلوغ الحجة ولا يشترط فهم الحجة، وهذا كلام ليس بصحيح بل لابد مع وجود الحجة وبلوغها أن يفهمها الذي تقام عليه الحجة فيها، يعني لا يكفي بلوغها للمكلف وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة من قوله تعالى"لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ" وانتبهوا لكيفية الاستنباط فيما سيأتي، المسألة التي معنا الذي لابد من فهم الحجة أيضاً أن يفهم الطرف الثاني الحجة التي تقيمها عليه يعني تفهمه إياها قال تعالى"لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ" لما قُرأت هذه الآيات جاء في السنة في صحيح مسلم أن الله قال قد فعلت، لما نزلت الآيات وقال الصحابة ذلك، قال قد فعلت. إذاً الآية والحديث بيدلوا على إيه ؟ أن الله عز وجل قد عذر لهذه الأمة عدم الفهم طب كيف بنستنبط؟ والعلماء استنبطوا من الآية؟ العذر بعدم فهم الحجة.طب كيف؟ قالوا أولاً من ثلاثة وجوه في هذه الآية، الوجه الأول أنه أخبر أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وعدم الفهم إذا لم يصاحبه إعراض ليس من وسع الإنسان، فالإنسان الذي لا يفهم ليس من وسعه ما دام ليس معرض، إذاً والتكليف بما ليس في الوسع قد نفاه الله عز وجل قال (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ)، فالله عز وجل لم يكلفك بأمر ليس في وسعك، فأنت عدم فهمك ليس من وسعك ما دمت لم تعرض عن الفهم، هب أنك حاولت ولم تفهم، أو تليت عليك الآيات ولم تفهم معناها وهذا حقيقة، أنت لا ممكن لو تليت آيات معينة على العوام حتى لو وقفت جنبه تتلوه عليه ليل نهار ممكن ما يفهم معناها لابد أن تشرح له هذا المعنى أصالة هذا وجه .الوجه الثاني أن الله عز وجل عذر من عَلِمَ ثم نسي، قال " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ" النسيان هذا إيه؟ علم ثم نسي قال إذا كان الفهم هو العلم بالشيء، وقد عذر الله من علم ثم نسي، فمن لم يفهم أصلاً أولى بالعذر هذا الوجه الثاني من الاستنباط في الآية .الوجه الثالث أن عدم الفهم نوع من الخطأ يعني ممكن يكون أخطأ فلان في هذه المسألة يعني لم يفهمها فهماً صحيحاً خطأ والله عز وجل قد دل على العذر بالخطأ. فإذاً الآية دلت من ثلاثة وجوه على عدم فهم الحجة أنه عذر أيضاً .الدليل الثاني من قوله تعالى في آيات سورة الأنبياء "وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ" دلت الآية على أن الله عز وجل عذر لداوود عدم فهمه للمسألة مع أنه أثبت لداوود عليه السلام العلم والحكمة وقال (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) ثم قال تعالى (وَكُلًّا آتَيْنَا

حُكْمًا وَعِلْمًا) فإذاً عذر الله عز وجل داوود بعدم الفهم مع أنه أثبت له العلم والحكمة على وجه العموم، فمن باب أولى عذر الجهل بعدم العلم أي صاحب الجهل، يعني داوود عنده حكمة وعلم يفهم هذه المسألة والله عذر داوود بعدم فهم المسألة مع أنه صاحب علم وحكمة فما بالك بمن كان جاهلاً أصلاً! فيعذر أيضاً بعدم الفهم، وهذا من الكتاب .الدليل الثالث من السنة حديث الأربعة وهذا الحديث يستدل به العلماء على أن عدم فهم الحجة عذر، حديث الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد روى الإمام أحمد في المسند عن الأسود بن سريع أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: أربعة (يحتجون) يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما " أي اثنين من الأربعة الذي عندهم العذر بالجهل؟ الأحمق والهرم، الأربعة عذرهم الله عز وجل الذي لا يسمع لم تأتيه أصلاً الحجة، والذي مات في الفترة لم تأتيه الحجة أصالة فهذا عذر، طب الاتنين الثانيين عذروا ليه؟ الحجة كانت موجودة لكن لم يفهموها فدل ذلك على عدم فهم الحجة عذر في عدم التكفير المعين وهذا الدليل الثالث في المسألة .الوجه الرابع وليس الدليل الرابع أن عدم فهم الخطاب إما أن يكون بعدم إدراك المقصود بالكلية أو بفهمه على غير المقصود، يعني عدم إدراك أو عدم فهم الخطاب، إما أنه لم يدركه بالكلية أو فهمه خطأ، طيب دلت النصوص على العذر في النوعين قال صلى الله عليه وسلم "رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ: عن النَّائمِ حتَّى يستيقظَ، وعن الصَّبي حتَّى يحتلِمَ، وعن المجنونِ حتَّى يَعقِلَ" طب رفع القلم عنهم لعدم فهمهم، الصبي والمجنون لم يفهم فدل اللي ذلك على عدم الفهم بالكلية، طب من فهم خطأ؟ رفع عنه العذر أيضاً، في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه لما تأول خطأ قول الله عز وجل" حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" قال (أتيت بعقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي فذهبت إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقلت له فقال النبي صلى الله عليه وسلم وضحك.. ففهم، فقال إنما هو سواد الليل وبياض النهار)، المهم أنه فهم الآية خطأ والإثنين أعذرهم الشرع في ذلك .هذا الوجه الرابع لأدلة من يرى بالعذر فيه عدم فهم الحجة، أيضاً قالوا قياساً يعني على الخلق بينهم وبين بعض، أن بين الخلق بعضهما بعض إن أحد فهم خطأ فيقول له اعذرني.. لم أفهم كلامك أو يعذره لفهمه فهم كلامه خطأ. طيب إذا كان هذا بين الناس وبعضهم وبعض فمن باب أولى ولله المثل الأعلى إن كان يعني هذه صفة مندوبة أو ممدوحة عند الناس فإن كان هذا في حق الله عز وجل من باب أولى أن الله يعذر خلقه إذا فهموا خطأ الشرعي أو الادلة التي جاءت وله المثل الأعلى .وأيضاً من باب دليله الخاص في هذه المسألة بأن حديث النبي صلى الله عليه وسلم (ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين (.هذه كلها أدلة تثبت بأن لا يكفي فقط وصول الحجة أو العلم بها بل لابد أن يفهمه، طب لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن نقل بعض الكلام عن بعض أهل العلم حتى بعضهم نسب الكلام للشيخ محمد عبد الوهاب رحمة الله عليه بأنه قال ذلك، وإن كان صحح بعض العلماء في النقولات عنه فبعضهم فهم خطأ على أنه يرى أنه لا يشترط فهم الحجة ويكفي قيام الحجة فقط، لكن المقصود في كلامه لأن له كلام واضح بعد ذلك فلابد من فهم الحجة أنهم يتكلمون أن هو لا يشترط الفهم الدقيق للحجة، لذلك أنا قلت في أول الكلام أن يفهم الحجة الفهم الذي يكفيه بالمراد منها، لكن لا

نطالبه بفهم الدقيق كفهم العلماء وفهم الصحابة وغير ذلك، هذا الذي يُحْمَل عليه كلام الشيخ حتى لو كان نقل عنه ذلك وهو له رسائل عن الشرك وغيره من مسألة الفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، وهذا هو الصحيح ما جاء في الكتاب وفي السنة أنه لابد من فهم الحجة أصالة ولا يكفي قيام الحجة لأن البعض يقول لك طب أنا هروح للشخص الذي بيفعل الشرك أو بيفعل الأمور التي نعملها وبمجرد أفتح القرآن وأتلوه عليه خلاص أنا كده أقمت عليه الحجة هو أصبح كافراً إذا ظل يفعل ذلك بعد ذلك!! نقول هذا الكلام لا يمكن أن نقول به هكذا لأنك حتى لو قرأت الآيات وهو لا يفهمها يبقى ايه هو استفاد؟ أنا مطالب أني أبلغه طب أنا آتي بالمصحف وأبلغه، لكن هب أنك قلت لواحد الآن مثلاً يقول لك الآن بأن النصارى ليسوا كفار، فتأتي بالمصحف وتفتحه أمامه وتقول له انظر قال الله عز وجل إيه؟ " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" و " لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ" وهم يقولون ذلك أم لا يقولون؟ يقولون كذا ويقولون كذا، والله قد قال (لَّقَدْ كَفَرَ) هل أنت أقمت الحجة ؟ نعم أقمت انتهى أنت بلغته فإنه يمكن قد لا يعلم هذه الآية وهناك أناس لا يعلمون هو مش كل واحد فتح المصحف وقرأ يكون خلاص فأنت أبلغته وبينت له اكتفى وأقمت عليه الحجة؟ نعم أقمت عليه الحجة ولا يحتاج أنه يدرس العلم الشرعي كله عشان يثبت له ذلك آيات واضحة في ذلك لكن لابد أن يصل له الفهم أن يفهم بالفهم الذي يقام به عليه الحجة فهذه المسألة الثانية إذن الشروط بعد العلم بالحجة الفهم للحجة أيضاً والشرط الثالث في قيام الحجة التمكن من التزام الحجة والقيام بمقتضياتها مرة أخرى التمكن من الإلتزام بالحجة والقيام بمقتضياتها ما معنى هذا الكلام؟ ممكن تأتيه الحجة لكن من شرط إقامة الحجة ترتب الآثار عليها، يعني هو يتمكن من الإلتزام بالحجة والعمل بها، نعم يتمكن من الالتزام بالحجة والعمل بمقتضاها، بمعنى هب أن الرجل ساكن في ديار الكفر ولم يستطع العمل بالحجة علم الحجة وفهمها ولم يستطع العمل بها قال علماؤنا لا إثم عليه لوجود مانع وهو هنا عدم التمكن من العمل. طب من أين أتوا بذلك؟ وهذا كلام شيخ الاسلام ابن بن تيمية وغيره من أهل العلم استدلوا بالنجاشي رحمه الله فعل النجاشي قالوا النجاشي النبي أثبت أنه مسلم وصلى عليه لما مات إذاً هو كان مسلماً هذا إثبات خلاص لأنه صلى عليه ومع ذلك النجاشي لم يتمكن من الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ولا التزم جميع شرائع الإسلام بل قالوا إن هو لم يكن يصلي وما استطاع الصلاة ولا صوم رمضان أيضاً ولا استطاع الهجرة وهنا ليش؟ لأنه لم يتمكن من إظهار دينه في قومه ولم يتمكن من الإنتقال وهذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يعني وعلم لكنه لم يستطع أن يلتزم الحجة فهنا لن تستطيع أن تكفره بقول أو فعل أو اعتقاد لو قلنا الترك انتبهوا لأن نحن قلنا الترك مع الفعل فممكن تقول بالترك فليش؟ لعدم التمكن من الالتزام بالحجة فلن تستطيع ذلك وهذا فعل النجاشي دليل على ذلك بل قالوا امرأة فرعون بل قالوا أيضاً مؤمن آل فرعون أصالة بل يوسف عليه السلام، مؤمن فرعون قال ايش{ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ } [سُورَةُ غَافِرٍ: ٣٤] يوسف عليه السلام حاول معهم ولم يستجيبوا وكان في قوم كفر اصالة أيضاً لكن فعل النجاشي لأن هو في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح في الدلالة في ذلك على أنه من شروط إقامة الحجة عليه أنه يتمكن من التزام الحجة أما إذا لم يتمكن من التزام الحجة فهنا لا يطبق عليه تكفير المعين فيه أيضاً، وقلنا

النجاشي قالوا لم يهاجر ولم يجاهد ولم يحج ولم يصلي الصلوات الخمسة ولم يصم رمضان ولم يؤدي الزكاة ليش؟ لأن عنده قوم كانوا سينكرون عليه فما استطاع أن يفعل ذلك فاستدلوا بذلك. يبقى هذه الشروط إقامة الحجة التي لابد أن تقام حتى تثبت عليه، طيب المبحث الذي معنا هو صفة إقامة الحجة كيف تقيم الحجة؟ نقول إجمالاً الحجة أقيمت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وليس لأحد أن يدين بغير دين الإسلام لأن الله عز وجل قد أرسل النبي وسلم بشيراً ونذيراً وأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء، الشنقيطي في تفسيره يقول بنزول رسالة محمد صلى الله عليه وسلّم لا يبقى عذر عند أحد فكل من لم يؤمن به فليس بينه وبين النار إلا أن يموت كما بينه الله عز وجل قال(وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودياً ولا نصرانياً ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) طيب هذا بالنسبة لإقامة الحجة على وجود الدين الذي هو الإسلام لأنه نزل وموجود خلاص وبعث النبي سلم فيه، هذا إجمالاً طب وإقامة الحجة على وجه التفصيل؟ قلنا أن صفة قيام الحجة في المسائل الظاهرة المعروفة من الدين بالضرورة هي فقط بلوغ الدليل من القرآن والسنة مع فهم الحجة يعني أنت تقول الآن النصارى كفار يقول لك لا قل له طب هذه الآية اهي وهذا الدليل وفهم الحجة بقدر ما يدرك، فمن بلغه الدليل وسمع به وفهمه فهماً يدرك به المقصود قامت عليه الحجة، وهذا لا يشترط التعريف من عالم أو غيره من الأمور المعروفة المعلومة من الدين بالضرورة لا يشترط فيها أن عالم يبين لأن شيء معلوم أنت مجرد بس بتظهر له الدليل وتقول له لو كان لا يستطيع أن يفهمه. فالحجة التي يرتفع بها الجهل وينقطع بها العذر في المسائل الظاهرة كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم والعبرة فيها بلوغ الحجة مع فهم مجمل يدرك به المقصود هذا كله في المسائل الظاهرة المعلومة أصالة، أما المسائل التي تخفى فيها الأدلة أو طرق الأدلة يكون فيها تأويل أو يصعب على المكلف أنه يفهمها أو ليفهمها أو يحصلها هنا بقى صفة قيام الحجة كيف تكون؟ أولاً بلوغ الدليل ثانياً شرحه وتفهيم المراد منه ورد الشبهات التي تتعلق به بواسطة من يحسن ذلك من أهل العلم فهو الذي يقيم الحجة ولابد أن نبين صفة إقامة الحجة لأنها قد تختلف باختلاف الأزمنة وباختلاف الأمكنة وبأحوال المكلفين أيضاً وهذا لابد أن يراعيها من يتصدر لقيام الحجة .يبقى فرقنا بين إقامة الحجة في المسائل الظاهرة وإقامة الحجة في المسائل الغير ظاهرة، طيب الآن بينا شروط إقامة الحجة وصفة قيام الحجة، لابد حقيقة نبين بعض الأخطاء التي تقع في موانع التكفير وبعض الأخطاء التي تقع أيضاً في عند إقامة الحجة، لعلها بتكون ختاماً للقاعدة إذا لم ندخل في بيان تطبيقات لأنواع النواقض يعني نؤجلها للدروس التفصيلية في الكتب إن شاء الله على حسب الوقت إن شاء الله لكن المهم أننا نحتاج نبين الآن أخطاء في موانع التكفير وهذه قررها العلماء وإن كان ممن يحدث عند التطبيق أو يقع فيه البعض بدون أن يضبط هذه المسألة هناك بعض الأعذار أو اعتبار بعض الأعذار موانع من التكفير ولم يعتبرها الشرع، البعض يعتبر بعض الاعذار من موانع التكفير مع أن الشرع لم يعتبرها لذلك أنت لابد أن تقف في هذه المسائل وهذه من أخطر المسائل وقلنا من قبل لأنها بتخرج المرء من الإسلام للكفر يعني أنت بتحكم عليه بخلود في النار أصالة فالمسألة ليست هينة ان المرء يتجرأ عليها ويتكلم فيها هكذا لذلك لابد من دراستها دراسة مستفيضة ويتصدر لها من كان عنده رسوخ في العلم خاصة في تطبيق الأمور الغير ظاهرة الغير معلومة من الدين بالضرورة وهي أكثرهم عموماً، لكن نقول إنه لابد حتى تعتبر أن هذا عذر مانع من موانع التكفير لابد من دليل عليه من الكتاب أو السنة والإجماع إذا كنت أنت عندما بتتكلم في الأحكام الوضعية التي هي في أصول الفقه لأن في أحكام تكليفية وأحكام وضعية وهى السبب والشرط

والمانع لا تقول عن سبب أنه سبب ولا شرط أنه شرط ولا مانع أنه مانع إلا بدليل، فكذلك يقول لنا لا يمكن أن تثبت عذراً من الأعذار أنه مانع من موانع التكفير إلا بدليل شرعي من كتاب أو سنة أو إجماع فهذه المسألة لا يدخل فيها قياس ولا اجتهاد لابد المانع يكون له دليل ليس فيها قياس ولا اجتهاد في مسألة هذه الموانع لابد تثبت هذه الموانع بدليل شرعي .طيب ماهى الأعذار الباطلة التي قد اعتذر بها البعض واعتبروها مانع من موانع التكفير؟ من الأعذار الباطلة الذي قد يجعلها البعض عذر من موانع التكفير أن البعض قد يعتذر إنه إذا وقع في الكفر هو يظن أنه إكراهاً وهو ليس إكراه يقول ضيق علي مثلاً في المال أخذوا مالي أو قطع راتبي أخذوا ممتلكاتي فيقول البعض أن هذا كأنه عذر أكره به على الكفر وتولي الطواغيت أو مظاهرتهم على المسلمين أو مظاهرة الكفار على المسلمين لأنه قد أخذ منه مالاً أو أخذ منه أملاكاً أو أخذ منه شيء هذا العذر أبطله الله عز وجل أو عذر لا يصح هو يتحجج بيعتذر بايش؟ بما تعرض إليه من أخذ أموال أو قطع مثلاً الدخل أو غير ذلك قال تعالى { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } { فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ } [سُورَةُ المَائِدَةِ ٥١: ٥٢] هم الذين قال فيهم الله عز وجل بعد ذلك {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {الآية سورة النحل فلذلك قالوا من طمع في مال أو خوفاً مما يحدث في ماله أن هذا ليس بعذراً له وكفر في مقابل ذلك بأنه والاهم أو فعل أو قول فهذا ليس بعذر له، يبقى هذا العذر ما يعتد به على أنه يكون إكراهاً في عدم الوقوع في التكفير .طيب أيضاً من الأعذار الأخرى بسبب ذلك هذا النوع الأول من الأعذار الذي قلنا أعذار باطلة العذر الثاني البعض يقول بأنهم مستضعفون مقهورون لا حيلة لهم فهل الاستضعاف يسوغ الكفر؟ هذه هي المسألة أو هل الاستضعاف يسوغ للمرء أن يكون في طريق الطواغيت أو المرتدين أو مساعدتهم في ذلك؟ طبعاً هو العذر عنده ايش؟ أنه مقهور على ذلك أو أنه مستضعف قال تعالى (وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ (٤٧) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ (٤٨)) [سُورَةُ غَافِرٍ: ٤٧-٤٨] المستضعف بَيَّن الله عز وجل أن عليه أن يتبرأ من الشرك ومن أهل الشرك وأن يفرد الله عز وجل بالتوحيد وأن يكون له مخرجاً قال تعالى {إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا (٩٨) فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا (٩٩)) [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٨-٩٩] نعم يدعو الله عز وجل أن يخرج ليجعل له فرجاً ومخرجاً وأن يثبته على الحق ولا

يكون من المفتونين بذلك النوع الثالث من الأعذار وهذا الذي ينخدع بها البعض وهو اعتذار البعض للمرتدين بأنهم يقيمون بعض الشعائر الدينية كأنه يصلي أو يزكي أو يبني مسجد مثلاً ، طيب هذا عذر باطل لأنه قد يصلي ويزكي ويبني المسجد وقد يقع في ناقض من نواقض الإيمان، فإذا وقع في ناقض من نواقض الإيمان وتوافرت الشروط وانتفت الموانع وأقيمت عليه الحجة ولو كان أتقى الناس يحكم عليه بالكفر بل ما أريد أن أقوله بل لو كان أفضل الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة بل الله عز وجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وحاشاه أن يكون ذلك{وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ } [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٦٥] بل قال الله عز وجل في سورة الأنعام للأنبياء جميعاً أو تسع عشر نبى لما عداهم {وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ} [الأنعام : 88] إذاً لو وقعوا في الشرك وحاشاهم أن يقعوا في الشرك لأنهم أصلاً جاءوا بالتوحيد لكن الله يبين، فمن دونهم إذا وقع في الشرك ولو كان يفعل ما يفعل قال تعالى {وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ} [الأنعام : 88]بل جاء تخصيصاً في الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ساعة العسرة قال تعالى {وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ (٦٥) لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ (٦٦)) [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٦٥-٦٦) نزلت في من؟ ناس خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يجاهدون غزوة تبوك غزوة العسرة يعني ليست غزوة هينة أيضاً بيتخلف عنها البعض كما قلنا ومع ذلك استهزأوا بالنبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب فوقعوا في الكفر فكفروا بذلك، إذاً البعض يظن أنه يأتي بعذر للمرتد لما يراه يصلي أو يزكي أو يفعل أعمال البر لكنه واقع في ايش؟ في كفر، يقال كفر قلنا إحنا ماشين على الطريق لتحقق الشروط وانتفاء الموانع وإقامة الحجة ثم بعد ذلك يكون ايش؟ الحكم بالتكفير ساعتها على المعين ليس قبل ذلك كما بينا لكن البعض يأتي الأعذار هذه الأعذار ليست مستقيمة عند أهل العلم هذا النوع الثالث .النوع الرابع أنه قد يعتذر بأن كبراءهم وقادتهم ومشايخهم يضلونهم عن ذلك أو يلبسون عليهم وهذا أيضاً عذر يقع فيه البعض يقول أنه يعتذر لمن وقع في الكفر كأنه أوقعه شيخه أو علماؤه أو من يفتون له فيجعلون أن هذا عذر بعدم الحكم عليه، بعض أهل العلم أيضاً قالوا أن هذا العذر باطل قال تعالى {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ (٣١) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ (٣٢ (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ

مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ}

[سُورَةُ سَبَإٍ٣١: ٣٣] فهنا ابن القيم يقول في هذه الآيات أن اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم يعني إن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم قال ابن القيم إن هؤلاء كفار قال إلا بعض أهل البدع سماهم أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار وجعل منزلتهم من لا تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين ولا من الصحابة ولا التابعين ولا بعدهم وهذا كلام محدث لم يعرف في الإسلام . هذا كلام ابن القيم بعضهم قالوا إنهم يعذرون بتقليدهم لمشايخهم وإن يستدلوا هنا بايش؟ أن البعض يقول يفعل الكفر فتقول له هذا الفعل كفر يقول له أفتى له عالمه أو مفتيه أو كذا فيعتذرون عن الوقوع بالكفر بعد إقامة طبعا الذي بيناه كله على أن هذا تأويلاً له بتضليل المشايخ له لمن يقع في هذا الفعل أو الكفر . فهو الذي يقول فيه ابن القيم أن هذه الآيات تبين على أن هذه الطبقة التي هي مقلدة في الكفر هنا أنهم كفار وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤوسهم وأئمتهم وأن هذا مما اتفق عليه علماء اهل السنة والصحابة والتابعين وأن من يقول غير ذلك عده من أهل البدع وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وهذا المقلد ليس بمسلم، هو عاقل مكلف صحيح والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام إلا بالكفر .طيب هذا عذر أيضاً، من الأعذار الباطلة أيضاً أن الذي يقع في المسألة قد يكون أحد من أهل العلم أو عنده قدر من العلم أو هو عالم حتى، فيوهم البعض أن هذا العالم ما يكفر بذلك لأنه صاحب شهادة أو صاحب درجة أو صاحب علم وهذا خطأ لأنه كأنه أعصمه من الكفر وقال تعالى للأنبياء { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : 88]وهذا إذا كان لأنبياء الله قد تكلم بذلك وقال لهم ذلك فما بالك بدون ذلك؟ فلا أحد معصوم إلا من عصمه الله، إذا كان الكفر ممتنعاً في حق الأنبياء فهو لم يمتنع فيما دون الأنبياء فممكن يقع فيه، يبقى لا يغرنك أنه صاحب علم أو صاحب درجة ولكنه قد أتى بقول أو فعل أو اعتقاد ما فيطبق عليه الحكم وهذا عذر عند البعض يغلبون فيه العاطفة في هذه المسألة أو الظن أو غير ذلك .لذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول (يا مقلّبَ القلوبِ ثبت قلبي على دينِك) وقال النبي صلى الله عليه وسلم(يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) فإذاً النبي أثبت أن قد يكون ذلك نعم. والله عز وجل يقول {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران : 8] بل عندنا أمثلة بين الله عز وجل على من أوتي كفراً أو أتى بالكفر وهو من أهل العلم وطبعاً الآيات في بلعان بن بعوراء الذي نزل فيه قوله تعالى{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)} [الأعراف] الايات وهذه كانت مثال وكان عنده

علم ووقع في الكفر بعدها ذلك، بل قلنا أكثر بعض المرتدين الذين ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وكان عندهم من العلم أيضاً وارتدوا بعد ذلك .أيضاً من الأعذار الباطلة التي يقولها البعض أنك لو رأيت كثرة الناس على الشرك يعني مثلاً كثرة الناس في القبور أو يفعلون الشرك أو يفعلون النواقض فالبعض يظن أنك يعني لو كفرت هؤلاء الناس فأنت تكفر كثيراً من الأمة يظن أن هذا عذر بعدم تكفير الناس أو إقامة الحكم عليهم لأنك لو لم تكفر شرك القبور وعباد غير الله والاستغاثة بالمخلوق ومن يبدل تحكيم شرع الله بغيره أو ينتمي لعقيدة كفرية،فيقول هكذا هتكفر البشرية أو هتكفر كثير من الناس وذلك فيها ظن أن هذا عذر في عدم إنزال حكم الكفر على هؤلاء وهذا الكلام عذر باطل ما يصح، بل وقع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لما قالت ارتد كثير من العرب صح؟ في زمن أبو بكر، فلماذا أبو بكر قامت لم تقم بالجمعة إلا في المسجد في البحرين والمسجد النبوي وارتد كثير من العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقامت حروب الردة على كثير أم غير كثير؟ كانوا كثير وثبت. هل هذا منع الصحابة ومنع أبو بكر بأن يقاتل؟ طبعاً بعضهم قاتلهم ردة وبعضهم قاتلهم كمانعي الزكاة على الراجح أنهم متأولين في ذلك، لكن نقول هنا كان كثير أم ليس كثير وهذا لم يمنع الصحابة رضوان الله عليهم ولم يمنع أبو بكر رضي الله عنه أن يطبق عليهم حكم الردة ويقاتلهم على ذلك بل حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة -وهذه من علامات الساعة- حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل وتعبد قبائل من أمتي الأوثان إذا مسألة الكثرة ليست عذراً في عدم قيام الحكم على من وقع فيه .طيب المصيبة بقى الأخيرة والعذر الذي هو مصيبة من المصائب وخرج علينا كثيراً أن كون الفعل المكفر في مصلحة الدعوة وأنه خير للمسلمين وأن فيه استحسان وهذا مصيبة كما قلت لأنه أي خير وصلاح يبقى مع الوقوع في الكفر والشرك؟ وهذه على قاعدة الذي يقولها البعض ووقع فيها من وقع (الغاية تبرر الوسيلة) والإسلام بريء من ذلك والله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيب، لابد أن تكون الوسيلة مشروعة مع المقصد المشروع فلا يمكن أن يتوصل إلى المقاصد الشرعية إلا بالوسائل المشروعة، وإلا لو فتحت هذا الباب لتجد عجباً في ذلك، وطبعاً هذا له صور معاصرة أنه يرتضي الدساتير الكفرية يرتضى التشريعات التي كلها تأتي من الطواغيت ومخالفة لكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم أو يأخذ طرق من الطرق التي يوالي فيها الطواغيت أولياء الشيطان كأنه يراه طريقاً إلى إقامة الدين وهذا يظنه عذراً وهو قلت أن هو من أكثر الأعذار إفساداً لهذا الدين .كل هذه أعذار باطلة يعدوها بعض موانع من موانع التكفير وهي ليست موانع تمنع التكفير . ما زلنا ننتقل إلى الأخطاء الشائعة أيضاً في موضوع التكفير وهذه سأقولها على سبيل الإجمال لأننا هنا سندخل في أبحاث أو بحوث ليست محلها المرحلة الأولى في الدراسة نحن فقط بنبين الآن أصول عامة في هذا الباب وإلا في كل نقطة من هذه النقاط قد يأتي فيها تفاصيل وكلام لكن نحن بنضع الضابط كما بينا الأخطاء في الموانع التي قد يجعلها البعض مانع وليس بمانع، أيضاً هناك أخطاء قد يقع فيها البعض في موضوع التكفير وهي أولاً عدم التفرقة بين التكفير الكفر المطلق والكفر المعين وهذه بيقع كثير من الأغرار ومن الذين يعني ما تعلموا أو في البداية فتجده يسارع ولا يفرق بين الكفر المطلق والكفر المعين، الكفر المطلق كما هو معلوم أو كفر نوع الذي هو القول نفسه والفعل نفسه مكفر من حيث الثبوت بالدليل الشرعي هو مكفر هذا القول وهذا الفعل لكن حتى تحكم كما قلنا في بداية الكلام حتى ما نكرر على الفاعل أو القائل أنه كافر لابد نرجع لما قلنا بإثبات ذلك بالشروط وانتفاء الموانع وإقامة الحجة التي تكلمنا عنها هذا اليوم والأسبوع الماضي، والبعض يخطئ فلا يفرق بين الكفر المعين والكفر المطلق فأول ما يرى شيء أو يسمع شيء يسارع بتكفير المعين وهذا خطأ. نحن بينا أيضاً الفرق بين الكفر الظاهر الذي هو معلوم من الدين والكفر الذي هو غير معلوم من الدين بالضرورة وكيف لابد

أن يطبق على القائل والفاعل أولاً حتى قبل أن يعاين له .لذلك تنزيل الكفر على الشخص المعين الواقع في الكفر أو الفعل لا يتم إلا بعد ثبوت الفعل في حقه كما قلنا وتوفر الشروط وانتفاء الموانع وهذا من الخطأ الذي يقع فيه البعض بعدم التفرقة بين الكفر المطلق والكفر المعين .
الأمر الثاني أيضاً الذي بيقع فيه البعض لأن المسألة نحن بنتكلم عن ضبط علمي في المسألة، التكفير بالأدلة الشرعية المحتملة أي محتملة الدلالة وهذا يقع فيه البعض أيضاً، قلنا المسألة هذه مسألة عظيمة جداً فكل ما تقرأ وتتعلم تعلم عظم هذه المسألة وتعلم أنك لابد تقف فيها كثيراً قبل أن تتفوه فيها بشيء لأنك بتخرج المرء وأنت بتحكم على معين من الإسلام إلى الكفر هذا أمر ليس بالهين لذلك من الأخطاء أيضاً التكفير بالأدلة الشرعية محتملة الدلالة لابد حتى تكفر لابد من دليل صريح قطعي الدلالة يدل على الكفر الأكبر لا يمكن أن تكفر بألفاظ محتملة يعني مثلاً تأتي بدليل كما وقع فيه الخوارج "لا يؤمن أحدكم أو ليس منا أو فقد كفر" هذه ألفاظ أرجع للأدلة تجد أنها محتملة في الكفر الأكبر مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) أو(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) أو (لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن) وقع فيه من وقع من الخوارج وأخذوا هذه الألفاظ المحتملة التي ليست صريحة بالكفر الأكبر وأنزلوها وهذا الذي أوقعهم وغيرهم في المسارعة في التكفير بعدم ضبطهم أو كفروا بأدلة شرعية محتملة الدلالة فهذا خطأ .من الأخطاء أيضاً التكفير بالأقوال وليس بالأدلة بقى هنا كانت التكفير بالادلة المحتملة يعني عندك دليل فيه قد كفر كقول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس منا هذا) محتمل وتحمله على الكفر الأكبر مباشرة وهو ليس من الكفر الأكبر، الثالث التكفير بالاقوال والأفعال المحتملة محتملة الدلالة على الكفر دون النظر قصد الفاعل يعني ألفاظ أقوال أو أفعال محتملة الدلالة على الكفر تكفر بها دون النظر في قصد الفاعل لأن الأقوال أو الأفعال المحتملة في الكفر قلنا هنا لابد للقرائن لابد ترجع فيها للقرائن لأن هذه محتملة فلابد هنا أن تنظر في قصد الفاعل حتى يرتفع لك الاحتمال ويزول الإشكال، فمن الأخطاء أن البعض يطلق التكفير على أقوال وأفعال محتملة للدلالة على الكفر بدون أن يرجع لقصد الفعل وهذا خطأ بل لابد أن تسأل مقصدك من هذا الكلام ايش؟ مقصدك

من هذا الفعل ايش؟ لقلنا لو واحد كان بيسجد عند تمثال فهذا محتمل بيقرأ بيراجع قرآنه فجاءته آية سجدة فسجد فوافق سجوده ماذا؟السجود عند التمثال فهو لم يسجد للتمثال بل يسجد لله فلابد تسأله أنت تسجد لمن؟ فعل محتمل، واحد ماسك المصحف ومرة واحدة لقيت المصحف طاير وواقع على الأرض ممكن يكون هو كان ماسك المصحف عادي ومرة واحدة وجد أنه بيعمل بيده هكذا فطار من يده ووقع هو لم يقصد إلقائه فأنت تسأله هذا محتمل أنت تقصد إلقائه أم وقع منك؟ فهذه الألفاظ والأقوال المحتملة الدالة على الكفر نعم هذه أفعال تدل على الكفر لأنه طبعاً لو رمى المصحف قاصداً خلاص هذا كفر بالفعل لكن لو وقع منه خطأ أو ما يقصد يبقى هذا محتمل أصالة، والذي قال خطأ (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) لما تكلمنا في الموانع فهنا هذه أيضاً من الأخطاء الذي بيقع فيها البعض أن يكفر بالأقوال والأفعال المحتملة الدالة على الكفر دون النظر في قصد الفاعل وهذا أحياناً يسمى (تكفير بلازم المذهب) وهذا خطأ لأن التكفير باللازم لابد أن تبين أولاً تقول له لازم قولك أنه يؤدي إلى كذا وكذا في الكفر فإن قصد اللازم تحكم عليه وقتها لكن لو قال ما قصدت ذلك خلاص. لذلك لا يجوز التكفير باللازم إلا بعد الإقامة والبيان لكن تحكم هكذا عليه مباشرة بالكفر لا يجوز الرابعة من الأخطاء وهذه بيقع فيها البعض أيضاً على الجانب الثاني في التكفير يعني هذه نقول الجوانب الذي فيها المسارعة لكن الخلط بين قصد الفعل المكفر وقصد الكفر وهذه بيقع فيها البعض ما يسقط الكفر يكون في الأول بيسارع جداً في الإسقاط هذا بقى الذي لا يعرف الفرق بين الخلط بين قصد الفعل المكفر

انتبه قصد الفعل المكفر وبين قصد الكفر، بيحصل تخبط أخطاء بيقع فيها، الآن انتبه البعض لم يفرق بين القصد المعتبر للحكم بالكفر والقصد الغير معتبر للحكم بالكفر بمعنى قصد الفعل المكفر هذا قصد معتبر للحكم بالكفر، يعني إذا فعلت فعل مكفر وأنت تقصد فعله مثال أنت تقصد أنك ترمي المصحف هذا قصد المعتبر يحكم عليه بالكفر أما القصد الغير معتبر أنك تفعله وأنت قاصد الكفر لا يشترط عندنا أنك تفعله وأنت تقصد به الكفر هذا قصد غير معتبر عندنا سواء علمت أن هذا كفر أو غير كفر؟ يعني أن اشترط أنك تقصد به الكفر ممكن يكون أنا برمي المصحف لكن مش كفر أنا برميه كده كما قالوا (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) نحن كنا بنخوض ونلعب لكن أنتم استهزأتم بالنبي صلى الله عليه و سلم والصحابة فالقصد المعتبر للحكم هو قصد الفعل هذا الذي بنعتبره في الكفر ولا نعتبر قصد الكفر بالفعل هذا ليس غير معتبر عندنا في إنزال الكفر الله عز وجل قال (قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) مش قد كذبتم في قولكم هم قالوا (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) وهم لم يكونوا بيخوضوا ويلعبوا هم أتوا بكفر على الصحيح أنهم كانوا أرادوا أن يلمزوا لكن الله عز وجل لم يقل لهم قد كذبتم بقولكم هذا ليس بلعب لأ بل أنتم قصدتم قال (قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) فاعتبر بايش؟ بأن قصد المعتبر للحكم بالكفر هو قصد الفعل المكفر ليس قصد الكفر بالفعل فاهمين ولا لأ؟ الأول معتبر في الحكم بالكفر لكن لو أتى بمانع لو قال أنا عملته خطأ لكن لم أقصده أو مكره عليه هندخل في الموانع، لكن لا ليس عندنا شرطاً أن يكون قاصد الكفر بهذا الفعل هذه مسألة اعتقادية ليست لنا اصالة نحن نأخذ بالظاهر في هذا الفعل هل أنت قاصد تلقى المصحف؟ قاصد تسب؟ ولا خرج منك السب خطأ؟ قاصد تستهزأ بالدين وبالنبي صلى الله عليه وسلم أنك تقول هذا الكلام،و هذا هو الذي يهمنا الآن وهذا اللي بيقع فيها البعض لذلك لا يكفر مع أنه يرى الفعل كفر ولا يكفر مع أنه يرى القول كفر يقول لك لا أصله لم يقصد الكفر نقول هنا لو الكلام محتمل خلاص هنرجع للمحتمل لكن الكلام غير محتمل أنه يستهزأ بالله يستهزئ بالنبي يسب أو غير ذلك لا يشترط فيه قصد الكفر لكن يشترط فيه قصد الفعل أما طبعاً الكلام المحتمل فهنرجع لايش؟ لمسألة الكلام المحتمل طيب وإلا أنت لو فتحت الكلام هذا كل مقالات الجهمية والمعتزلة والمبتدعة المكفرة وغير ذلك؟ هيقول لك أنا ما أردت كفراً بل ما هو بيسميه إيمان أصلاً هو يرى أن هذا إيمان وهو عمره ما هيقول لك أن أنا أردت به كفر لكن أنت بتتحاسبه على كلامه الذي قاله لو كان كفراً صريحاً يبقى كفر قصدت تقول هذا الكلام قصدت تكتب هذا الكلام قصدت أنك تفعل هذا الفعل فهنا لأنك لو فتحت هذا الباب فلن تستطيع أن تحكم على أحد بالكفر لو سألته هل أنت أردت الكفر؟ سيجيب ويقول لك هذا دين أنا أدين إلى الله بذلك ده انا أرى أن هذا هو الإيمان الصحيح كل مقالات الجهمية والفلاسفة والملاحدة والحلول والاتحاد وغير ذلك لن تستطيع أنك تقول فيهم أن هذا كفر لأن هو لا يقصد به الكفر لكن هو قصد الفعل لذلك البعض يقع في ذلك والآيه قد بيناها أيضاً من الأخطاء التي

الشائعة الخلط بين سبب الكفر ونوع الكفر فهناك فرق بين سبب الكفر ونوع الكفر، وما يعنينا هو سبب الكفر ولا يعنينا نوع الكفر ، أسباب الكفر ثلاثة هما 1/قول الكفر 2/فعل الكفر 3/الاعتقاد الكفر دخلنا في الفعل ترك ودخلنا في الإعتقاد الشك هذا كان في بداية الكلام سابقاً الإعتقاد والشك لا سبيل لمعرفتها لن تستطيع أن تعرف الإعتقاد ولا الشك إلا إذا اظهرها بقول أو فعل ومرد الأحكام عندنا في الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر فما يعنينا هنا السبب لأن بعض الناس بتخالط بين السبب والنوع ما هى الأنواع ؟ الأنواع لها أقسام أنواع الكفر كثيرة

وبحسب التقسيم بمعنى هتقول باعتبار القلب البواعث القلبية عندك كفر تكذيب عندك كفر جحود عندك كفر استكبار عندك كفر شك عندك كفر تقليد عندك كفر جهل عندك كفر عناد عندك كفر حسد كل هذه أنواع كفرية في القلب .طب باعتبار ظهور الكفر الكفر ظاهر وكفر خفي كفر المنافقين خفي يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر (يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ) كل هذه أنواع حتى لا تخلط بين النوع وبين السبب والذي بننظر إليه في الحكم السبب القول والفعل والاعتقاد أما الأنواع تقسيمتها كثيرة هناك تقسيم آخر باعتبار حكم الإسلام هو كافر أصلي ولا مرتد؟ يعني كافر كفر أصلي لم يسبقه إسلام كاليهود والنصارى والملل الأخرى أو كان سبقه إسلام ثم ارتد لذلك أصناف خمسة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) كفر هؤلاء كلهم كفر أصلي وكفر طاريء الذي هو المرتد .عندك أيضاً كفر باعتبار الزيادة والنقصان كفر مجرد وكفر زيادة قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) يعني هذا تقسيم آخر الذي هو كفر مجرد وكفر بزيادة وعندك بالاطلاق كفر نوع وكفر تعيين، المعين الذي تكلمنا عنه وعندك بسبب الكفر متعلق سبب الكفر بسبب شرك في الربوبية شرك في الألوهية شرك في الدعاء والطاعة وغير ذلك وأيضاً باعتبار المخرج من الملة كفر مخرج من الملة وكفر غير مخرج من الملة أكبر وأصغر كل هذه الأقسام والأنواع دل عليها الكتاب والسنة يعني كلها ثابتة لكن نحن لابد نعلم أن التكفير متوقف على سبب الكفر وليس على نوع الكفر، كل هذه أنواع يقولها أهل السنة والجماعة طبعاً دخل المرجئة في أنهم نتيجة قولهم في الإيمان فحصروا الكفر عندهم في أنواع ونحن ما يهمنا ذلك بل الذي ننظر إليه في الحكم الذي أراد ينظر لا ينظر إلى النوع وينظر إلى السبب، ما يهمك أيا كان هذا النوع ايش لكن لا دخل لأنواع الكفر في المسألة، لذلك أنت لما تجد الفقهاء في أبواب الردة لما ترجع إلى أحكام المرتد ما تعرضوا إلا للمكفرات القولية والفعلية والاعتقادية هذا مناط التكفير عندهم الذي هو القول أو الفعل أو الاعتقاد ما يتكلمون الفقهاء على مسألة الأنواع لا يتعرضون لها فقهياً، هو يتعرض له لأن حكم الردة حكم فقهي هو يتعرض للسبب، لذلك البعض بينشغل بالأنواع ويخالط بين الأنواع والسبب وهو المفترض أنك لما في هذه المسألة انك تنظر للأسباب ولا يهمك النظر للأنواع أصالة . يعني مثلاً الذين استهزأوا بالصحابة في غزوة تبوك كان الكفر بالقول هم قالوا كفر (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) بعضهم قال الباعث لهم ايش؟ قال بعض العلماء قالوا كفر نفاق أو كفر شك قائم على ما في القلب، لكن المهم السبب وجد أم لم يوجد؟ قال تعالى {يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٦٤] هذه الأنواع التخليط بينهما هو الخطأ فنوع الكفر نفاق لكن السبب القول أنهم قالوا كفر أيا كان النوع لا إشكال فيه عندنا فيه المهم أنه يتحقق السبب حتى تحكم بالحكم فيه أصالة هناك أخطاء أيضاً شائعة لكن سأقولها سريعاً لأن طبعاً هذه الاخطاء تحتاج لتفصيل ولكن نحن سنكتفي بذكرها أيضاً ليعلمها الدارس أخطاء شائعة بعضهم يقع فيها أول حاجة حصر أسباب الكفر في الكفر الاعتقادي ولو تذكروا أن في فرق بين الكفر العملي الذي قال به المتأخرون والكفر بالعمل وقع البعض في الخطأ فى أنه جعل الكفر العملي كله ولم يفرق بين الكفر العملي والكفر بالعمل وارجعوا طبعاً للمحاضرة هذه مهمة بيناها فالبعض من الأخطاء أن يحصر أسباب الكفر في الاعتقاد فقط والبعض من الأخطاء يجعل الجحود أو الاستحلال شرطاً مستقلاً للتكفير بالذنوب

المكفرة وقلنا أن هذا من الأنواع ولا يهمنا استحل أو لم يستحل ما دام القول الذي قاله قول كفر أو فعل كفر أو اعتقاد أياً كان هو مستحل أو غير مستحل لأن حصر الكفر في الجحود غلاة المرجئة الذي قالوا به أصالة

هو نوع من الأنواع عندنا لكن المهم أن يتحقق السبب على التفصيل طبعاً حتى لا يظن أحد أنا بقول لابد أن يكون مستحل، نحن بنكفر لو كان القول كفر والفعل كفر وأقيمت عليه الحجة وأصر على ذلك يبقى خلاص هيبقى الحكم فيه سواء كان مستحل أو غير مستحل، إنما القول فيه كفر والفعل فيه كفر أصالة أيضاً من الأخطاء وبعض الناس وقعوا فيه وهم غلوا في التكفير، التكفير على قاعدة أن الأصل في الناس الكفر وهذا خطأ بل بعضهم عمم قال دار الكفر يبقى كل الناس الذي فيها كفار والحق أنه لا يلزم من الدار دار كفر أن يكفر جميع السكان والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مكة ومكة كان دار ايش؟ دار كفر والنبي صلى الله عليه وسلم كان مع الصحابة في مكة أصالة وكذلك ليس أنه مجرد كون الانسان في دولة الإسلام لا يجعله من أهل الإسلام ليه؟ لأن عندك أهل ذمة ومستأمنين وهؤلاء في دار الإسلام لكن هم ليسوا من أهل الإسلام أصالة، كذلك كون المسلم في دار الكفر لا يجعله كافراً ليس صحيح إطلاق مثل هذه القواعد.

أيضاً وهذه أخطائنا سأبينها التسريع في الكفر أو التسرع في الكفر لمجرد أنه قرأ أو سمع أو قال عن أحد أمور محتملة؛ يعني مثلاً واحد مدح الكفار، أو دعا لهم يكفره مباشرة، هذا خطأ هذا محتمل التسرع في ذلك، أو مجرد أنه عامل الكفار تعامل معهم بالمعروف، طبعاً على تفصيل في الكفار المحارب وغير المحارب، أو أنه يكفره بمجرد المداراة والمداهنة.. هي محرمة لكن فيها أنواع فيه من نوع يصل للكفر وفيه يصل لغير الكفر أصالة، وعدم التفريق أيضاً بين الولاء والمداهنة المحرمة أو المدراة الجائزة، ففي مداراة جائزة وفي مداهنة محرمة وفي ولاء كل هذه أنواع، ممكن أنه يتسرع في التكفير ولا يستطيع أن يفرق بينهم، أو يتسرع في التكفير بالتقية الجائزة ولا يفرق بينه وبين التولي المكفر، أنا أشير فقط لأن هذه مباحث، وأيضاً البعض يتسرع بتكفير الناس على السكوت على الكافر أو السكوت على الطاغية، فيكفره بمجرد السكوت ولا يراعي حال الاستضعاف، وبعضهم أيضاً يكفر أولاد المرتدين وهذا خطأ يسارع في ذلك، والبعض يسارع في تكفير الذين يعملون عند الكفار، كفر أحد ثم من عاون أو من يعمل فيعطيه حكم الكفر أيضاً، ويقع فيه كثير من التكفيرين أنه يجعل أنه بعد أن يطلق حكم على عين ثم يجعل من يتعاون أو من يعمل معه يبقى أنه أيضاً أخذ الحكم حتى وصل أنهم كفروا من على الأرض، أيضاً من الخطأ أنه لا يفرق بين التشريعات الكفرية وبين الأنظمة الإدارية وهذه أيضاً بيقع فيها بعض ما يسارع فيه البعض، فهناك فرق بين التشريع الكفري والنظام الإداري، أيضاً عدم التفريق بين الطعن في الدين والطعن في الأشخاص؛ الطعن في الدين يكفر والطعن في الأشخاص لا يكفر فيسارع في ذلك.

كل هذه المسائل حقيقة أيضاً من الأشياء التي بيقع فيها البعض وقد يخطئ وهذه تحتاج طبعاً لتفصيل وكلام ليس محلها هنا في القواعد، لكن محلها أن تكون في دراسات تفصيلية فهنا نحن انتهينا بما مقرر كان المتبقي جزئية .أرى أن ممكن ما نحتاج بعد ما بينا التفصيل كنا ممكن نأتي بأمثلة على نواقض الإيمان القولية والاعتقادية والعملية وإن كنت أرى أن هي موجودة في الكتب ممكن يرجع لها أو تكون في الدراسة التفصيلية ونكتفي لأن التأصيل انتهى، هذه كلها ستكون نماذج على نواقض الإيمان القولية والعملية والاعتقادية والكتب المتخصصة بذلك ممكن يرجع إليها لن نزيد فيها عن ما ذكرت، لكن نحن كان يهمنا فقط التأصيل في هذه القاعدة ونكون قد انتهينا بفضل الله ما نحتاج إليه في هذه القاعدة وغالباً خلاص انتهينا من قواعد الإيمان أيضاً إن شاء الله نحاول ندخل في القواعد الخاصة بالقدر وتكون غالباً نهاية المرحلة أو لو وجدنا القواعد خاصة بالغيبيات ممكن نتكلم فيها سنضيف ويكون انتهينا لكن ما أدري قواعد القدر يعني كم ستكون، أبلغكم إن شاء الله إذا انتهينا من هذه القاعدة أسأل الله أن تكونوا فهمتم ما فيها .

لو في أسئلة..
السؤال حديث الأربعة
الجواب الأحمق الذي لا يعقل والهدف من الأحمق والهرم، طبعاً الفترة موجودة فيه ناس لم يصلها الإسلام نعم في ناس لم يصلهم الإسلام إلى الآن في ناس في أفريقيا وغير أفريقيا لم يصلهم من الإسلام وأصل المسألة أن يصلهم الإسلام صحيحاً أيضاً لن يصلهم الإسلام صحيح وليس محرف ففي ناس نعم لا تعلم عن الإسلام شيء، في بلاد في العالم فهذا هو الفترة، والأحمق الذي لا يعقل والهرم الكبير لو كان رجل كبير ولم يسمع عن الإسلام ثم سمع في فترة لا يستطيع أن يدرك فيها، لكن هو والهدف من الحديث أن لابد من فهم الحجة، أنا قابلت بعض الناس الذي يقولون بعدم فهم الحجة قال أنا هأخذ القرآن وأروح أقف عند الناس الذين عند القبر وأقرأ عليهم آيات للتوحيد فقط يبقى هكذا أقمت عليهم الحجة، أنا قلت له نحن بنتكلم في بلاد عن بلاد، في بلاد منتشر فيها هذه المسألة مثل عندنا هنا وفي بلاد أخرى خلاص المسألة هذه ليست موجودة انتشر فيها العلم، لكن لو أنت قرأت هذه الآيات أمامه هو هيفهمها؟ هل العوام هذا الذي موجود مجرد القراءة هذه هو فهم؟ قال أنا هكذا أقمت عليه الحجة قلت له لا لابد من فهم الحجة وهذه مسألة مهمة، صحيح نحن دخلنا في مسألة التي هي التوحيد لكن أيضاً يوجد مسائل حتى لو دون التوحيد في أقوال وأفعال أيضاً لا يكفي أنك تقرأ عليه الدليل فقط وهو لا يفهمه أصلاً.
سؤال
لو قابل مجموعة لم يصل لهم الإسلام هل يأثم إذا لم يحدثه عن الإسلام؟ لعدم قدرتهم لاختلاف لغات أو لعدم قدرته على الدعوة؟
الجواب هذا افتراض أنه قابل مجموعة يستطيع أن يتكلم معهم فليتكلم، يعرف اللغة التي هم بيتكلموا بها يخبرهم عن الإسلام ولو قال لهم أسلموا هو عارف أنه يستطيع أن يتكلم معهم يقول لهم ويعرض عليهم؟ نعم لا يستطيع خلاص؟ ليس عليه شيء
السؤال هنا عن من لم يسمع للإسلام وهذا افتراض،مثل أن يكون في اليمن كما قال ابن عمر للرجل يا يمني اجعلها في اليمن أما في مصر فالإسلام معروف عندنا والذي بيعيش في وسط المسلمين في مصر سمع عن الإسلام وسمع عنه صحيحاً ولكن بعض الإخوة عرفت منهم أنهم ذهبوا إلى مكان في الصعيد جداً في جبل في ناس قاعدين فيه قبيلة أو شيء ما يعرفوش حاجة عن الصلاة، هم قالوا لهم ما يعرفوش غير أن في نبي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم وعلموهم الصلاة وفي فيديوهات تانية من النبي هو النبي اسمه ايه؟ اسمه أحمد؟ فعلموهم الصلاة وكيف يصلوا ولكن هذه المسألة الله عز وجل يحكم علىها، لكن نحن بنتكلم عن من كان بيننا وسمع عن الإسلام كما يسمع كان في البلد التي نحن فيها هو سمع عن الإسلام.
تعقيب من طالب : طب لو أنا كنت في بلاد الكفر
جواب الشيخ أه لو استطعت طبعاً أنك تدعو فلتدعو
سؤال مسألة الأضرحة هل هي الجهل عم فيها أم لا؟
الجواب هترجعي لأصل مسألة الخلاف التي موجود العذر بالجهل في مسائل التوحيد، والحقيقة أن هو نعم يعذر في الجهل، في بعض مسائل التوحيد في البلاد التي انتشر فيها الجهل، لأن لا يمكن أن تقولوا بعدم العذر في التوحيد، الأدلة بتقول غير ذلك "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً" وإذا كان الرسل أتوا من أجل التوحيد وعدم الشرك فلابد أن يأتيه التوحيد ويأتيه الشرك يعرف به، لو فيه بلاد فيها شرك موجود وفيها الأضرحة موجودة فلابد يعرف ويبين لهم، إن أعرض بعد ذلك أو عاند خلاص، وفي بلاد انتشر العلم فيها فليس جهلاً لأن هذا هو مانع الجهل فإذا الجهل متحقق في البلد الذي هو فيها ولا يتكلم في التوحيد، فإن قيل انتشر الجهل يبقى الحكم اختلف وإن لم ينتشر وكان الجهل في هذه المسألة يعني يلبس فيه.. يبقى لابد يقام الحجة أيضاً، يعني لابد أن يلتفت تتحقق الشروط تنتفي الموانع ثم تقام الحجة ثم بعد ذلك تطبق الحكم.

سؤال بالنسبة لإقامة الحجة؟ تمكن الالتزام بالحجة والقيام طيب لم أفهم وجهي وجه سيدنا يوسف وآية سورة غافر
الجواب مؤمن آل فرعون لم يقدر أنه يفعل شيء وهو مؤمن، هناك حالتين مؤمن آل فرعون كان مؤمناً ولم يقم بالحجة، يعني لم يقدر أنه يظهر قالوا إن هو مؤمن مثل النجاشي، لكن النجاشي أتى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ما استطاع إنه يلتزم، الحجة هو علم لكن هل أنه لا يلتزم بها يكفر؟ ما هو التكفير جاي هيبقى منين؟ أنه علم بالإسلام ولم يلتزم به، يعني ما التزمش به ظاهرياً فبالتالي النجاشي لم يصلي ولم يحج ولم يجاهد ولم ينتقل من دار الكفر إلى دار الإسلام؟ ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه، فقالوا إذا لم يتمكن من التزام الحجة فلا يكفر بذلك ، ليس نطبق عليه مثلاً أنه لا يصلي فهو كافر وهذه ممكن تفيد في المسلمين الجدد.
علاقة سيدنا يوسف بالأمر؟ قالوا إن يوسف أيضاً كان مسلما ودعاهم ولم يستجيبوا، كان عزيز مصر هذا كافر وليس بمسلم الذي هو كان متولي.. ومع ذلك هو دعاهم ما استجابوا، فبعضهم قال هو يوسف عليه السلام أصلاً كان في قوم كفار أيضاً لما كان موجود وقتها وهو لما دعا الناس في السجن وقال إنه ايه؟ أن هو أتى من قوم والآيات في سورة يوسف.

خل الاستضعاف معتبر؟ الاستضعاف معتبر، لكن أي استضعاف المقصود؟ هل يدخل تحت الاكراه؟ لا
نحن قلناه من المرة اللي فاتت نحن لم نقبل الإكراه في المال، قلنا لو أكره على أخذ ماله ويوالي بالكفر أو يفعل للإكراه بالمال قلنا لا يقبل أصالة، لكن الاستضعاف نعم يعتد به لكن بما لا يقول بالكفر، الكلام للشافعي له كلام في الأمة على مسألة لو الأمة مستضعفة واضطروا أن يدفعوا أموال وضرائب للكفار حتى يبقوا على حالهم كجزية تنقلب المتاع يدفع ذلك، لكن هذا ليس كفر، لا يقول بالكفر .آيات سورة سبأ يعني فيها المستضعفين والساكتين هل يكون هذا دليل على الاستضعاف في الآية "يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ"
أرادوا يعني ينسبوا أن الكفر كما بسبب هؤلاء فالله أن قال عنهم "قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ "يبقى هم أيضاً مجرمين،الإجرام يعني من فعلهم هم أصلاً أيضاً ، حتى لو هم أرادوا يحتجوا على أنهم كانوا سبب في كفرهم فرد عليهم بأن هم مجرمين أصالة
سؤال أليست إقامة الحجة تحتاج لمراعاة المصالح والمفاسد؟
الجواب لو مقصدك بإقامة الحجة يراعى فيها المصالح والمفاسد مثل مسألة القبور التي تكلمت عنها؟ آه طبعا لكن هناك في فرق بين المظنون والمستيقن والمتوهم لكن لو على غلبة الظن أن هذا سيؤدي إلى مقتلة أو يؤدي إلى كذا أو كذا يبقى هذا يكونن عذر لنا عند الله عز وجل، أما لو شيء موهوم فما يصح.
لكن آه نعم إقامة الحجة هيبقى فيها مصالح ومفاسد ممكن تقصدي في إقامة الحجة على الناس الذين يفعلون الكفر ممكن لكن هنا طبعا لابد من النظر فيها تفصيلي أكثر يعني هتؤدي إلى ايه؟ اه نعم نعم قد لكن لمسألة الإيمان والكفر عظيمة جدا يعني الأنبياء هم أصلا جاؤوا لذلك صلوات الله عليهم وأوذوا في سبيل الله بسبب ذلك فالمرء لو أوذي بسبب بيان الإيمان وصد الكفر لا شك أن هذه من أعظم الأعمال، فما فائدة العلم أصلا وكيف العمل به؟ لذلك البعض بيتكلم أنتم بتعملوا بتعلموا وبتنقلوا العلم وبتتكلموا به لكن طب وفي ناس أنتم مش عارفين تطبقوا عليهم هذه المسألة وهذه واجهة حقيقة من الأهمية بمكان، أنا أعلم أخ يعني ما أدري أين هو الآن لكن كان مهتم جدا بهذه الأمور وكان بينزل وكان بينضرب فعلا وبيرجع ويتاخد وهكذا وفي مسألة القبور دي تحديدا كان مهتم بها جدا وعانى فيها كثير لكن هو كان بيقول إن

أنا أفضل أقول بس هو للأسف ما لم يكن عنده فهم الحجة كان بيقول بقيام الحجة فبيجيب المصحف يقعد يقف جنبيه ويقعد يتكلم يقول الآيات ويرى أن هو أقام الحجة وبرأ نفسه يعني ما حدش كان بيحاول ما بيلحقش اصلا هو ما كان يعرف الفرق وده أنا ناقشته فيها قلت له لابد من فهم الحجة لا يشفع فقط أن أنت تقرأ الآيات أمامهم هو كان يرى بقيام الحجة فقط بالقراءة الله المستعان

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا أنت استغفرك وأتوب إليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي الكرام على موعد أولاً الدرس الأول اليوم في برنامج دراسة العقيدة ومع القواعد التأسيسية الأصولية في هذا العلم العظيم علم العقيدة وأبوابه، والقواعد حقيقة في هذه الأبواب وفي كل باب من الأهمية بمكان لأن من كمال هذا الدين أنه جاري على أصول مستقيمة وقواعد مضطردة لا تنخرم ولا يشذ عنها شيئاً هذا من رحمة الله عز وجل بالأمة لأن الإحاطة بكل نص وبكل جزئية أمر متعذر أن يستطيع أن يستوعبه كل أحد حتى العلماء أيضاً فإن أمكن وجود أصول عامة ترد إليها الجزئيات فهذه نعمة عظيمة تجعل الأمة في مأمن من الضلال بإذن الله تعالى، لذلك العناية بالأصول والقواعد الكلية أمر لا تخفى أهميته عند العلماء وهو السبيل إلى ضبط العلم وإلى إحكامه، لأن الجزئيات مردها إلى الأصول فإذا خفي حكم الجزئية ردت إلى الأصل وأعطيت حكم الأصل، لذلك كان العلماء دائماً يهتمون بالأصول وبالقواعد التي يضبط بها العلم ويحصل به طالب العلم على الإتقان فيستطيع أن إذا أتت له جزئية حتى وإن لم يكن قرأها أو اطلع عليها من قبل لكن ممكن يردها على الأصل الذي هو عنده منضبط، لذلك لابد للإنسان يكون عنده أصول كلية يرد إليها الجزئيات، وهذا الأمر أشد ما يكون في باب العقائد يعني هو موجود في العقائد موجود في الفقه وموجود في غير ذلك لكن أشد ما نحتاج

إليه في باب العقائد،

ولذلك هذه القواعد التي نحن ندرسها عدة أسابيع الآن بفضل الله تعالى وصلنا يعني سبعة وعشرين فهذا بفضل الله علينا قد طوفنا في قواعد في شتى الأبواب حتى وصلنا إلى باب القدر فنسأل الله عز وجل أن يتم علينا هذا الخير، أقول أن من أتقن هذه القواعد وهى ليست يعني استنباطاً أو نقول يعني ليست من كيسي لكنها غالبها من القواعد المجمع أو المتفق عليها نقول بأن علماء السلف في هذه الأبواب يعني جمعت من شتى مصادر والهدف منها أن من استطاع أن يضبط هذه القواعد ويتقنها يسهل عليه كثيراً بعد ذلك أنه يدخل في تعلم أي كتب من كتب عقيدة السلف غالباً ستكون أي كتب بكل المستويات لو أتقن هذه القواعد يسهل عليه جداً قراءة ودراسة أي كتاب آخر وسيجد أن فقط جزئيات هي التي يرد إلى الأصول فيها، لكن أصول هذا العلم وهذه الأبواب ستكون معه، لذلك يهتم جداً بهذه القواعد وقراءتها مراراً ودراستها ليستصحبها طالب العلم في دراسته المستقبلية في العقيدة في كتب العقيدة ستجد معه سهولة يسيرة جداً وعدم تشتت لأنه عنده القواعد بتأصيلها.

وأهم الأبواب التي نحن فيها لا شك هو (**باب القدر**) وهذا الباب من أجل الأبواب وأعلى المنازل عن غيره من أبواب العقيدة وإن كانت كلها من مشكاة واحدة وكلها هو من باب التعلم عن الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك، لكن باب القدر له أهمية خاصة أولاً هو ركن من أركان الإيمان كما جاء في حديث جبريل لما جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام وعن الإيمان فقال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، فكان الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وأيضاً أن القدر محل عناية عظيمة جداً في الكتاب وفي السنة تجد آيات وأحاديث كثيرة في هذا الباب تعطي هذا القدر وهذه الأهمية له وقلنا لا يصح إيمان العبد أصلاً إلا أن يؤمن بالقدر خيره وشره، ثالثاً أيضاً كون أن هذا الباب من الأبواب التي اشتد فيها الخلاف بين أهل السنة وبين مخالفيها لأن وقع ما وقع فيه من الفرق المبتدعة في القدر سواء في الخوض فيه أو غير ذلك، وفضلاً أيضاً من أهمية هذا الباب أن له أثراً كبيراً ومباشراً في سلوك المسلم في كافة أحواله يعني في أموره كلها يجد الإيمان بالقدر مؤثر تأثيراً عظيماً في سلوك المسلم.

إن شاء الله سنبدأ اليوم بالكلام عن القدر وهي مقدمة سنتكلم عن تعريف القدر لغة وشرعاً وتعريف القضاء والفرق بين القضاء والقدر عند العلماء ثم نتكلم عن ثمرات الإيمان بالقدر ثم ندخل في قاعدة أولى وثانية على حسب إن شاء الله الوقت، في قواعد عامة متعلقة بالقدر سنبينها إن شاء الله في وقتها ثم سنخصص جزء من المحاضرة نصف ساعة تقريباً نظراً لختام كتاب قواعد الإيمان فبعض الاخوة والأخوات عندهم أسئلة فاقترحوا أن نحن نحاول ننتقي بعض الأسئلة الهامة ونجيب عنها على الأقل في كل محاضرة ممكن ربع ساعة نصف ساعة بنتكلم عن مسألة من المسائل المطروحة أو التي فيها إشكالات عندهم في ضوء الدراسة السابقة خاصة في قواعد الإيمان فإن شاء الله اليوم بعد ما ننتهي من القدر سنأخذ إجابة لسؤال اليوم وإن شاء الله نحاول نجيب عن بعض الأمور في بعض الأسئلة للمحاضرات القادمة سأبين السؤال بعد ما ننتهي إن شاء الله من القدر ونجيب عنه بقدر ما ييسر لنا الوقت في ذلك.

نقول أولاً تعريف القدر في اللغة: هو يأتي بمعنى مصدر قدر يقدر وقد تسكّن الدال يعني وقد تفتح الدال قدْرا أو قدَرا و قدَرت الشيء أي اقدره وقدَّرته أي اقدّره، وكل هذا بمعنى التقدير إذاً في اللغة التقدير لكن هي ترجع في اللغة لعدة معاني القدر يأتي في اللغة لمعاني كثيرة حقيقة منها موافقة الشيء الشيء وتهيئته، ومنها تدبير الأمر، ومنها قياس الشيء بالشيء، ومنها

القضاء، ومنها الحكم، ومنها الغنى واليسار أيضاً، ومنها القوة والعظمة والشرف، ومنها تحسين الصورة، كل هذه جاءت معاني للقدر في اللغة بعضها وافقها طبعاً أدلة من القرآن كما قال تعالى مثلاً القدر بمعنى القضاء والحكم {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} أي الحكم ليلة القدر أي ليلة الحكم، وبعضهم قال أيضاً {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ..} يعني ما عظموا هنا القدر جاء بمعنى التعظيم ما عظموا الله حق التعظيم، ويقال أيضاً القدر تدبير الأمر قَدَرَه يقدره أي دبره دبر الأمر، ويقال القدر أيضاً قياس الشيء بالشيء يعني إذا قدّر به قدْرا أي قاسه يقيسه، ويأتي كما قلنا في معاني أخرى بابها واسع في اللغة.

أما في تعريف القدر في الشرع فقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف القدر في الشرع منها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: (هو علم الله وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه) كأنه عرفه بماذا؟ بمراتب القدر كما سيأتي التي هي العلم والكتابة والمشيئة والخلق، **وقال النووي رحمه الله**: أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، **وابن القيم يقول**: (فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته)، **وابن كثير** يعرف القدر: (علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها)، وابن حجر رحمة الله على العلماء قال: (المراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته).

كل التعاريف متشابهة لكن تجد تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية أوضح لك مراتب القدر يعني بين قال علم الله وكتابه التي هي العلم والكتابة وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه فتكلم عن الأربعة العلم السابق والكتابة، العلم والكتابة مقدمة، والمشيئة والخلق موافقة للمقدور، العلم والكتابة سابقة والمشيئة والخلق مقارنة للمقدور.

سؤال من طالب

ما معنى وما طابق ذلك؟

الإجابة

يقول ما طابق يعني مقارن للمشيئة والخلق يعني قدره علم وكتابة سابق عن المقدور، ما هو فيه قدر وفيه مقدور ثم المقدور مطابق لمشيئته، إرادته وخلقه مقابل للمقدور، الشيء المفعول المقدور هيكون بمشيئة وبخلق دول موافقين مقارنين يعني، يريد أن يقول أن المقضي مطابق لما سبق في العلم والكتابة.

طيب نحتاج نفرق بين القضاء وبين القدر لذلك نبين معنى القضاء، والقضاء يرجع في اللغة إلى انقطاع الشيء أو إتمامه أو اكتماله أو تمامه، يعني لذلك يقول كل ما أُحكم عمله او خُتِم أو أُدِّي كان هذا بمعنى قضى لذلك يقول لك مثلاً قضى الصلاة يعني أتم الصلاة قضى دينه يعني سدد الدين بالكلية يعني أتى بما عليه فيه، وأيضاً من معانيه قالوا الصنع والتقدير والحتم والأمر والوصية والعهد.

طيب ما الفرق بين القضاء والقدر؟ هذه مما اختلف فيه العلماء، نبين أولاً أن الخلاف فيهم ليس مؤثراً تأثيراً كبيراً في الباب لكنه اختلفوا على قولين هل القدر غير القضاء؟ وهذا قول، يتغاير يعني القضاء غير القدر، وقول القضاء هو القدر يعني القضاء والقدر واحد اسمان بمعنى واحد،

لكن لابد أن نبين أن هذه الخلاف فيها يسير أولاً، ثانياً الخلاف في القضاء الكوني وليس الشرعي كلامنا هنا بنتكلم عن القضاء الكوني القدري الذي نتكلم عنه الآن.

فالقول الأول لا فرق بينهما أي أن القضاء والقدر مترادفان، القضاء هو القدر والقدر هو القضاء لأن القدر مرجعه في اللغة كما قلنا مبلغ الشيء ونهايته وقالوا القضاء أيضاً مرجعه إلى انقطاع الشيء وتمامه فالمعنى مترادف قالوا ذلك.

والقول الثاني قالوا لا بل بينهما فرق، لكن الذين قالوا بينهما فرق اختلفوا في كيفية هذا الفرق ماهية الفرق بين القضاء والقدر، بعضهم قال القدر سابق على القضاء يعني القدر أولاً سابق على القضاء فالقدر هو ما قدره الله في الأزل على أن يكون بسابق العلم وكتبه والقضاء هو وقوع الشيء المقضي أو وقوع ذلك المقضي على وفق ما قُدِّر سابقاً، يبقى كأن التقدير أولاً على سابق علمه وكتابته من الله ثم القضاء يكون وقوع ذلك المقضي سابقاً بقدر من الله.

لذلك البعض يقول، كان راغب الأصفهاني يقول أن القضاء من الله أخص من القدر، يعني كأنه يقول أن القدر هو ما سبق في علم الله تعالى بالمقدور والقضاء عبارة عن خلق الله عز وجل لهذا المقدور، طب من شواهد هذا القول أدلتهم قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}

يعني كل شيء خلقناه بقدر يعني القدر سابق والخلق هنا كأنه القضاء، وقوله تعالى: {... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} يعني قدر ثم خلق فجعل التقدير سابق والخلق الذي هو من القضاء، {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} قدر ثم هدى يعني فعل، طيب فهنا كأنه يريد إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو كأنه علم الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وأيضاً من قوله تعالى {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} يعني فرغ من خلقهن سبع سماوات في يومين قضاهن ما معناها؟ الخلق يبقى يبين لك كأن القضاء هنا التالي والقدر هو السابق والقضاء كأنه بمعنى الخلق، وقال تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ..} يعني فرغ من الأمر وهنا يبين لك يؤكد على أصحاب هذا القول أن القدر سابق للقضاء، يعنى أُدخِل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهذا الخلاف الأول لأصحاب القول الثاني الذين قالوا إن القضاء غير القدر فقالوا القدر سابق على القضاء.

وقيل العكس أن القضاء سابق على القدر وهذا قول أيضاً، قالوا ماذا؟ أن القضاء هو الحكم الإجمالي على أعيان الموجودات من الأزل إلى الأبد، والقدر هو تفصيل هذا الحكم، يعني القضاء أولاً كل ما قد قضاه الله عز وجل إجمالاً ثم يأتي القدر الذي هو التفصيل فيما قضي إجمالاً يأتي القدر تالياً يعني كأن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول الشرائط، يعني الشرائط التي ربنا أرادها شروطا لخلقه أو لفعله، وبعضهم قال القدر خروج الممكنات من العدم الى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال، كل هذا تدعيماً لمن يرى بأن القضاء أولاً سابق ثم القدر، وابن حجر له كلام قال بعض العلماء يقولون القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل والقدر جزيئات هذا الحكم وتفصيله، طب من أين استدلوا على ذلك؟ من قوله تعالى

{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِين ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ وَأَجَل مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٢] قال ابن عباس في تفسيرها: ثم قضى أجلاً أي الدنيا، وأجل مسمى عنده أي الآخرة، فهنا كأنه يقول تقدير الأجل الخاص وهو عمر الإنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها، يعني ما بين أن يخلق إلى أن يموت وأجل مسمى عنده ما بين أن يموت إلى أن يبعث قال أجلاً الأولى لما قال تعالى {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِين ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ} قالوا هذا الأجل منذ أن يخلق إلى يموت هذه الوقت هذا القدر ثم قال وأجل مسمى عنده بعد أن يموت إلى أن يبعث أجل مسمى عنده أصالة، ثم استدلوا من قوله تعالى: {... وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} يبقى القضاء الأول ثم القدر الذي هو التفصيل يقول له كن فيكون

هذا أصحاب هذا القول.

والحق أننا ممكن نقول وهذا قول ثالث ممكن نقوله إن القضاء والقدر من الألفاظ التي ممكن تقول عليها إذا اجتمعا افترقا، إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى، وهذا للجمع بين النصوص التي جاءت في القضاء والقدر لأن بعضها يأتي بمعنى القضاء والقدر واحد، والبعض يأتي القضاء سابق والبعض يأتي القدر سابق، لكن ممكن نقول أن المعنى المتفق عليه بأنه إذا اجتمع القضاء مع القدر يكون القدر هو التقدير السابق والقضاء وقوع المقضي على وفق التقدير، وهذا هو الراجح إذا اجتمعوا يكون القدر التقدير السابق ثم يكون القضاء وهو وقوع المقضي وفقا لهذا التقدير السابق، وإلا هما متلازمان يعني لا انفكاك في المعنى بينهما.

طيب هذه التعريفات كلها، نأتي لمسألة منزلة الإيمان بالقدر من الإيمان عموماً، قلنا الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وأصل عظيم لا يتم إيمان العبد كما جاء في حديث جبريل إلا بالإيمان بالقدر أو أركان الإيمان الستة.

وقد دلت نصوص كثيرة من الكتاب ومن السنة على ثبوت القدر وعلى وجوب الإيمان به من الكتاب "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْء فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرا" وقال تعالى " وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى" قال تعالى "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" أي قدر قدراً وهدى الخلائق عليه وقال "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "

ومن السنة حديث جبريل ومنها أيضاً حديث جابر رضي الله عنه وأرضاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما اصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)، وحديث علي رضي الله عنه وأرضاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت والبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر)، وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: (يا بني أنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب فقال ربي وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم

الساعة يا بني إني سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني)، أحاديث كثيرة جداً في وجوب الإيمان بالقدر.

ثم الإجماع.. حكى أكثر من واحد من أهل العلم الإجماع على وجوب الإيمان بالقدر وثبوته كما نقل النووي قال: وقد تظافرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وقال ابن تيمية: أهل السنة متفقون على إثبات القدر وأن الله على كل شيء قدير، وابن حجر يقول: وأن مذهب السلف قاطبة أن الامور كلها بتقدير من الله تعالى.

والآثار كثيرة جداً حتى عن الصحابة وغيرهم في ذلك تنقل كما أُثِر عن ابن مسعود لن يجد رجل طعم الإيمان ووضع يده على فيه حتى يؤمن بالقدر ويعلم أنه ميت وأنه مبعوث، وقال ابن عباس في أثر عظيم جداً قال القدر نظام التوحيد، وهذا يبين لك إن القدر من أهم أركان التوحيد، فمن وحد الله عز وجل وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تعالى وكذب بالقدر نقض التوحيد، قال الحسن رحمه الله من كفر بالقدر فقد كفر بالله أو قد كفر بالإسلام، الحاصل أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع العلماء.

طيب الإيمان بالقدر حقيقة له ثمرات عظيمة جداً من أعظم الأبواب فضلاً عن أنه من أركان الإيمان لكنه له منافع عظيمة جداً تعود على المؤمن في الدنيا وفي الآخرة، يعني له ثمرات أخروية وثمرات دنيوية؛ ثمرات أخروية هي غاية مطلوب المؤمن وأسمى مقاصده، أن الإيمان بالقدر ركن فمن آمن بالقدر خيره وشره حقق الإيمان الذي يدخل به الجنة، وهذه ثمرات أخروية التي هي أسمى المقاصد.. دخول الجنة ولن يدخل الجنة حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأهمها الفوز برضا الله عز وجل وبجنة الله عز وجل ولذة النظر إلى وجهه الكريم، أسأل الله أن يرزقنا هذه النعمة جميعاً، وهذه الثمرة لا تتحصل لك إلا بالإيمان بالأركان الستة مجتمعة، ومنها الإيمان بالقدر وهذه ثمرة أخروية عظيمة جداً، ثم الثمرات الدنيوية وهذه من الأهمية بمكان في الثمرات الدنيوية في الإيمان بالقدر أولاً تحقيق صحة الإيمان بالقدر لأن الإيمان بالقدر قلنا من أركان الإيمان الستة، فلابد من الدنيا أنك تحقق صحة الإيمان وهذه ثمرة دنيوية، الثانية تحقيق العبودية لله عز وجل والاجتهاد في طاعته، وهو من أهم ثمرات الإيمان بالقدر أن المرء به يصل إلى تحقيق العبودية كما يحب الله عز وجل، وبه يجتهد المرء في طاعته، حتى أن ورد عن كثير من السلف كما سيأتي في حديث رواه جابر رضي الله عنه أن سراقة بن جُعشُم رضي الله عنه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن أمرنا كأننا ننظر إليه أبما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير أو بما يستأنف؟ قال لا بل بما جرت به الأقلام وثبتت به المقادير، قال ففيما العمل إذاً؟ قال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر، قال سراقة رضي الله عنه فلا أكون أبداً أشد اجتهاداً في العمل مني الآن.

كيف فهمه بقى؟ أريد بهذه كيف فهمه صح؟ يعني كيف فهم سراقة؟ فلا أكون أبداً أشد اجتهاداً في العمل مني الآن، يعني كأنه كما قلت أنت فهمه صح، فلذلك ما الذي فهمه صحيحاً حتى جعله قال فلا أكون أبداً أشد اجتهاداً في العمل مني الآن، يعني بعد أن فهم فكان أشد اجتهاداً في العمل حتى بعض أهل العلم قالوا ما اشتد في الطاعة إلا بعد دراسته لأبواب القدر، المتبادر أن المقدور إنما ينال بالسبب الذي نصبه الله عز وجل ليوصل به إليه.. المقدور الذي ربنا قدره لك سابقاً، ينال بالسبب، أي سبب؟ الذي نصبه الله عز وجل لتصل.. مقدور الجنة السبب الذي نصبه الله للجنة الطاعة مثلاً واجتناب المعاصي فهو يقول هنا ايه؟ إذا أتى العبد بالسبب أوصله

إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، فهو كأنه يريد أن يقول أنا عرفت السبب واجتهدت في السبب لأصل إلى القدر الموجود في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهاده في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه، أقرب إليه أن يحدث الذي ربنا قدره من قبل أقرب أنه يحدث لأنه بيجتهد في تحصيل السبب الذي سيؤدي إلى المقدور، وهذا فقه من الصحابة رضوان الله عليهم، لكن هناك أيضاً أمر فقهه عظيم جداً في فهم هذه المسألة أتلوها عليكم في أثر يبين لك هذا، المتبادر أنك إذا علمت المقدور وسبب الوصول إليه فبتجتهد للوصول إليه، لأنك علمت خلاص واللبيب الفقيه أنه يجتهد في السبب الذي يوصله للمقدور، لكن هنا أبو نعامة السعدي قال كنا عند أبي عثمان النهدي انتبهوا معي.. فحمدنا الله تعالى وذكرناه فقلت - مين الذي قال؟ أبو نعامة السعدي – قال لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره نكررها قال لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً منه بأخره، فقال الذي معه.. ثبتك الله قال وفي رواية كنا عند سلمان فحمدنا الله تعالى وذكرناه فقلت لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره، فقال سلمان ثبتك الله تعالى، لم تفهموا بعد أعرف، ما هذا الذي هو بأول هذا الأمر أشد فرحاً من آخره؟ قال سلمان ثبتك الله تعالى، أن الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج ما هو كائن إلى يوم القيامة خلق الذكر والأنثى والشقاوة والسعادة والأرزاق والآجال والألوان فمَن علم السعادة فعل الخير ومجالس الخير ومن علم الشقاوة فعل الشر ومجالس الشر، كأنه يزيد توضيحاً، ونحن طبعاً لأننا متأخرون فنريد التوضيح الأكثر فابن القيم وضح لنا أكثر قال: وذلك لأنه إذا كان قد سبق له يعني هذا العبد قد سبق له من الله سابقة وهيأه ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها، فإنها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها وهيأ لها أسبابها لتوصله إليها، فالأمر كله من فضله وجوده السابق فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها فالمؤمن أشد فرحاً بذلك من كون أمره مجعولاً إليه،

ابن القيم حقيقة وضح.. لكننا سنوضح ماذا يقصد ابن القيم بهذا الذي قاله الرجل؟ قال لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحاً مني بآخره، أول الأمر أن ربنا قدر وكتب له السعادة، فهو لما علم أن الله كتب له السعادة، طب كيف علم؟ بأنه يسر له طريق السعادة فعلم أن ربنا كتب له سابقاً السعادة وهو يقول ايه؟ وهو بيفعل الأسباب التي بتزيده وتوصله إلى هذه السعادة هو يقول لا.. فرحي ليس بالأسباب التي أفعلها والطاعات بل أشد فرحاً لي أنني علمت بأن الله قد سبق وقدر السعادة لي، بمعنى بتقف تصلي بقيام، بصدقة، بفعل طاعة، فأنت بتفرح وهذا حق لك أن تفرح بأنك أديت هذه العبادة أو أن الله وفقك لهذه العبادة التي هي سبيل إلى مرضاته، لا هو بيقول لك الأشد فرحاً أنك تستحضر بأن الله قد قدر لك أصلاً هذه السعادة سابقاً قبل أن يقدر لك تفعل الأسباب المؤدية إليها، ففرحك بتقدير الله لك بالسعادة أكثر فرحاً من اتخاذك سبباً ووسيلة لتحقيق هذه السعادة ليه طيب؟ قال هنا آخر جملة التي هو قالها قال: (لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيأه ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها، فإنها هنا سبقت له من الله قبل الوسيلة وعلمها الله وشاءها وكتبها إلى أن قال فالمؤمن أشد فرحاً بذلك الذي هو ذلك الذي هو ايه؟ الذي ربنا قدره له من كونه أمراً فعله المؤمن يعني أنت السبب الذي أخذته أنت الذي بتفعله الذي هو طاعة وعبادة لأ.. الأفرح منه والأشد ما قدره الله وسبقه لك، فلذلك يفرح بتقدير الله أشد فرحاً من فعله هو بالأسباب لما يفعلها أصالة، وضحت؟ نعم فرح بتوفيق الله هذا السبب وهذا فرح ولكن الأشد فرحاً أنك علمت أن الله اختار لذلك، هو لماذا بيقول الصحابي أيضاً الأول بقى لأنه لما علم قال فلا أكون أشد اجتهاداً من العمل مني الآن لماذا؟ لأنه علم أن الله قد اصطفاه، فأصبح فوق هو بقى خلاص علم

أن ربنا فيبادر إلى الله وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم لما رأى أبو بكر وعمر وقلناها كثيراً يسيران فقال لهم هؤلاء سيدا أهل الجنة فقال له القادمة ومعه أبشرهما يا رسول الله؟ قال لا فالصحابة وقفوا طب لماذا لا يبشرهما النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهم سيدا أهل الجنة خشي عليهم من الاجتهاد في العبادة أكثر لما يعلموا بأن الله قد اصطفاهما لهذا للجنة، لان هذا فقه أصحاب العلو فكأنك فرحك بأن الله قد اصطفاك ولذلك أنا أقول دائماً فيما نحن فيه من مجالس علم ولا في طريق طاعة أو شيء فرحك بتوفيقك لفعل الطاعة هذا لك الحق أن ربنا وفقك لكن فرحك الأشد بأن الله قد كتب عليك ذلك وقدره لك، لأن هذا بقى هو تقدير الله في سابق علمه أن تكون أنت من ذلك فتثبت ذلك بزيادة اتخاذ الأسباب والنعائم.

أسأل الله عز وجل أن يكرمنا وأن يرزقنا الفهم في ذلك.

طيب لذلك في كلام لابن القيم لكن ما أريد أخرج من أجل وقت المحاضرة إن شاء الله أعرج عليه لاحقاً جملة عظيمة جداً حتى هذه تحتاج أيضاً لتأمل، وقال (إذا أغلق الله عز وجل عليك باباً بحكمته فتح لك بابين برحمته) وهذه الجملة اضبطوها فقط الآن لعلنا إن شاء الله يعني نتكلم فيها لأن بعض الناس لا يعلم إذا أغلق عليه باب قد يحزن وقد لا يعلم لماذا بالحكمة لكن لو تدبر وعلم أنها لابد بالحكمة لله قال يفتح لك بابين برحمته، لكن حتى يفتح لك أبواب هذه الرحمة تحتاج لتدبر أمراً بما أغلق عليك وأنك لا تتسخط في ذلك ولها كلام إن شاء الله لعله يأتي بعد ذلك.

قلنا من ثمرات الإيمان بالقدر تحقيق التوكل على الله عز وجل والاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، لأن المؤمن الذي يوقن بالقدر فيوقن بأن الله عز وجل هو مقدر الأسباب أيضاً والمسببات، فيزداد فيه التوكل على الله عز وجل، الإيمان بالقدر فيه تحقيق الشكر لله عز وجل وعدم الإعجاب بالنفس عند حصول المطلوب وهذه مسألة مهمة جداً أنت لا تغتر بما تفعله من عبادة أو طاعة أو شيء بل ما حدث لك هو كله بتوفيق من الله وتسديد وتيسير من الله عز وجل، قال تعالى "وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ" فالحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا الله عز وجل الذي نحن فيه من كرامة وفضل وغير ذلك وصرف عنا العذاب فلم نكن لنرشد لذلك أو نيسر لولا أن أرشدنا الله عز وجل فهنا تحقيق الإيمان بالقدر يحقق لك شكر لله عز وجل وعدم الإعجاب بالنفس في أي شيء بلغت إليه لأنك تعرف أن هذا كله بتوفيق وتسديد من الله لكن حقيقة من أعظم قلت الفوائد في الإيمان بالقدر أنك يجعل لك لا نهاية لك لا تتوقف مثل كل ما يكون المرء شديد العطش ويشرب ويريد أن يشرب ثم يشرب حتى يرتوي، المؤمن الحق الذي أتقن باب القدر لا يرتوي أبداً ولا يتوقف في باب الخير وباب السعادة وباب الطاعة إلى الله عز وجل، لأنه كلما يسير يستحضر فضل الله عليه أنه يسره فيسير أكثر كأنه يسير حتى يصل إلى الله عز وجل، ومنها دوام انشراح الصدر وطمأنينة القلب في كل حال يكون عليه المرء وهذا من أهم الأمور التي نحتاج إليها في الدنيا لأن الدنيا فيها منغصات وفيها ما فيها من ابتلاءات فمن ثمرات الإيمان بالقدر دائماً يجعل لك انشراحاً في الصدر طمأنينة في القلب أن كل ما يحدث هو بقدر من الله عز وجل، في السراء شاكر وفي الضراء شاكر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له) وانظروا قال المؤمن هنا.

أيضاً من ثمرات الإيمان بالقدر تسلية النفس وعدم القلق والضجر عند فوات المراد أو وقوع المكروه لماذا؟ لأن كل ذلك يكون بقضاء وقدر من الله، قال تعالى { مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، قال علقمة رحمه الله هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

ولو فتحنا باب الثمرات النافعة من باب الإيمان بالقدر ممكن نأخذ محاضرات في ذلك وتفاصيل، لكن نحن نشير فقط لأن المنهج كما تعلمون قواعد في ذلك، لكن لا يمكن أن نتركه لأن هذا الباب عظيم، هو أصلاً باب القدر دواء أيضاً لأمراض كثيرة جداً يعني أصحاب الوساوس وأصحاب ضعف العقيدة والذين يُلبّس عليهم، من النصح لهم أنه لابد دائماً يسمعوا ويدرسوا باب القدر، يزيل كثيراً من اللبس والشبهات والوساوس التي تأتي خاصة تنتشر كثيراً في هذه الأزمنة، باب الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم الأبواب التي تساعد على الشفاء من ذلك بإذن الله تعالى.

بعدما قلنا التعريف والعلاقة بين القضاء والقدر ووجوب الإيمان بالقضاء والقدر وثمراته، لابد أن نبين مسألة أيضاً تكلم فيها علماؤنا في باب القدر وهي النهي عن الخوض في القدر وتوجيه الأدلة التي ظاهرها التعارض في الخوض أو عدم الخوض، يعني هي المسألة أصالة النهي عن الخوض في القدر ورد النهي عن الخوض في القدر، وجاء النهي في عدة أحاديث وسنبين ما معنى الخوض في القدر، يعني ما الذي جاء النهي عنه؟ لكن الآن نسرد الأحاديث أولاً

- **حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال**: (خرجَ علَينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ونحنُ نتَنازعُ في القَدرِ فغَضبَ حتَّى احمرَّ وجهُهُ ، حتَّى كأنَّما فُقِئَ في وجنتيهِ الرُّمَّانُ ، فقالَ : أبِهَذا أُمِرتُمْ أم بِهَذا أُرسلتُ إليكم إنَّما هلَكَ من كانَ قبلَكُم حينَ تَنازعوا في هذا الأمرِ ، عزَمتُ عليكم ألَّا تتَنازَعوا فيهِ)

- **وجاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما**: (خرجَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ علَى أصحابِهِ وَهُم يختَصِمونَ في القَدَرِ فَكَأنَّما يُفقَأُ في وجهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ منَ الغضَبِ فقالَ بِهَذا أُمِرتُمْ أو لِهَذا خُلِقتُمْ تَضربونَ القُرآنَ بعضَهُ ببَعضٍ بِهَذا هلَكَتِ الأمَمُ قبلَكُم قالَ فقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ما غبَطتُ نَفسي بمجلسٍ تخلَّفتُ فيهِ عن رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ما غبَطتُ نَفسي بذَلِكَ المجلِسِ وتخلُّفي عَنهُ) عبد الله بن عمرو لم يكن في هذا المجلس ففرح يعني حمد لأنه لم يكن موجود في المجلس هذا لأنه طبعاً مقام ذم .

- **وأيضاً حديث الثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال**: (إذا ذُكِرَ أصحابي فأمْسِكُوا وإذا ذُكِرَ النجومُ فأمْسِكُوا وإذا ذُكِرَ القدرُ فأَمْسِكُوا) طيب هذا الحديث يُفهم في ظاهر معناه النهي عن الكلام في القدر لكن هذا الأمر قد يكون مشكل عند البعض لماذا؟ لأن القدر باب من أبواب العلم الشرعي تطلب به المعرفة، قلنا أن الإيمان بالقدر يعني باب من التعلم يطلب وجوباً أو استحباباً بل من أجلّ الأبواب فكيف ينهى عن التعلم؟ يعني أين النهي هنا؟ ما هو سبيل النهي وطريق النهي؟ إذا كنا نقول أن الإيمان بالقدر باب من أبواب العلم فلابد أن يتعلم إما وجوباً أو استحباباً، بل جاء في كثير من النصوص مسائل القدر وبيان المعتقد الصحيح في القدر والرد على المعتقد الباطل، بل الأكثر أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن القدر، الحديث الذي قلناه في أول المحاضرة، بل هم خاضوا في معرفته ووجوب الإيمان به ولم يزجرهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولما سألوه الأمر

أُنُف أم مستأنف أم فيما العمل؟ قال اعملوا إلى غير ذلك فكان يرد عليهم بما يسألون به بل الصحابة رضوان الله عليهم فهموا ذلك من النبي وكانوا ينقلون هذا الفهم للتابعين وقد جاءت الروايات بأنهم كانوا يعلمون التابعين كيفية الإيمان بالقدر أصالةً، ولذلك لابد هنا من توجيه ما النهي المقصود به في هذه الأحاديث؟ عن الخوض في القدر الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ومع إننا أثبتنا بأنه باب علم وباب يتعلم فيه، نقول هنا توجه العلماء في هذه الأحاديث توجيهات وكل هذه التوجيهات التي سأسردها لا خلاف بينها، كلها اجتهادات من العلماء في توجيه النهي الذي جاء عن الخوض في القدر :

(1 أولاً قالوا النهي محمول على الكلام في القدر بغير علم يعني بالظن والتخرصات وغير ذلك لأن هذا سيؤدي إلى التنازع والضلال قال ابن تيمية رحمة الله عليه (إذ الخوض في ذلك - أي القدر- ومجامعته للشرع بغير علم تام أوجب ضلال عامة الأمم) لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن التنازع فيه، يبقى هنا كأنه وجه على أن النهي هنا عن أن يتكلم أحد في القدر بغير علم، وهذا طبعاً فيه أدلة عامة وأدلة خاصة {... وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} منها أيضاً يدخل فيها القدر.

(2 توجيه ثاني أن النهي عن الخوض في القدر من باب ضرب النصوص بعضها ببعض، يعني من أراد أن يضرب النصوص بعضها ببعض ويعارضها فهذا قد يؤدي إلى التكذيب هذا جاء توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في النهي ويستدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو السابق لما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أبهذا أمرتم أو بهذا بُعثت أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض) يعني كأن تأتي بآيات وظاهرها التعارض مع آيات أخرى فيبتدوا يضربوا آيات وهذا طبعاً يؤدي إلى التنازع أو تكذيب القرآن وهذا يقع فيه المرء بالكفر إذا أدى إلى تكذيب كتاب الله عز وجل، لذلك قال (إنما ضلت الأمم السابقة بمثل هذا)، فكأن هنا التوجيه يكون على من كان يضرب الآيات بعضها ببعض فهذا النهي عنه.

(3 وبعضهم وجّه قالوا النهي هنا محمول على التنازع في القدر الذي يفضي إلى التفرقة والفتنة، لحديث آخر في حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرَؤوا القُرآنَ ما ائتلَفَتْ عليه قلوبُكم فإذا اختلَفْتم فيه فقُوموا عنه) يبقى هنا كأنه يقول إذا اختلفتوا يبقى النهي هنا عن الذي يؤدي إلى الاختلاف والفتنة، لذلك ابن تيمية أيضاً فسر حديث عبد الله بن عمرو قال: وقد كره النبي صلى الله عليه وسلم من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق إلى آخر شرح الحديث

(4 توجيه رابع عند العلماء النهي محمول على الطائفة التي تأخذ الأحاديث التي تجاري أهل البدع في القدر فيؤدي ذلك إلى إثارة الشك بين أهل السنة، يعني أن الذي يأخذ الأحاديث التي توافق المبتدعة فجاء النهي عن ذلك واستأنسوا بحديث أبي هريرة (آخِرُ الكلامِ في القَدَرِ لشِرارِ هذه الأُمَّةِ) كأنه لو كان سيأخذ بعض الأحاديث يوافق فيها كلام المبتدعة فجاء النهي عن ذلك

(5 توجيه آخر قالوا النهي هنا يرجع لمسألة التألي على الله، يستخدم أحاديث القدر في التألي على الله كأن يقول يغفر الله لفلان ولا يغفر لفلان يرزق الله فلان ولا يرزق فلان ثم بالتالي التألي على الله عز وجل فيقع في التكذيب بعد ذلك فنهي عن ذلك أيضاً.

وهذه كلها كما قلنا توجيهات لا إشكال فيها وكلها مقبولة عند أهل العلم، لكن المقصود هنا واضح بأن القول في القدر في جهة التعلم هذا لا إشكال فيه ليس منهياً عنه، بل يجب التعلم والتعرف لما جاءت به الشريعة ورد الشبهات عن المبتدع في هذا الباب أو دحض الحجج والخلافات فهذا أمر مندوب اليه، ولكن الذي جاء فيه النهي هو التوجيهات التي قلنا عنها، لأن الله عز وجل قال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} لذلك الكتاب للتدبر والعلم به والقول بذلك فيه آيات وفيه أحاديث وتعلمه لرد المخالفين ورفع الشبهات وتقوية الإيمان وزيادة الدين هذا محمود لا شك فيه أصالة، وهذا يفهم من أحاديث حدثت بين الصحابة في نقاشهم في القدر ومجادلتهم ولم ينكر عليهم.

طبعاً أشهر حديث في المجادلة في القدر حديث أبو عبيدة رضي الله عنه مع عمر في طاعون الشام طاعون عمواس لأثر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه خَرَجَ إلى الشَّأْمِ، حتَّى إذَا كانَ بسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأجْنَادِ؛ أبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأَصْحَابُهُ، فأخْبَرُوهُ أنَّ الوَبَاءَ قدْ وقَعَ بأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لي المُهَاجِرِينَ الأوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وأَخْبَرَهُمْ أنَّ الوَبَاءَ قدْ وقَعَ بالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قدْ خَرَجْتَ لأمْرٍ، ولَا نَرَى أنْ تَرْجِعَ عنْه، وقَالَ بَعْضُهُمْ: معكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأَصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولَا نَرَى أنْ تُقْدِمَهُمْ علَى هذا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لي الأنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، واخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لي مَن كانَ هَاهُنَا مِن مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِن مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ منهمْ عليه رَجُلَانِ، فَقالوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ بالنَّاسِ ولَا تُقْدِمَهُمْ علَى هذا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ في النَّاسِ: إنِّي مُصَبِّحٌ علَى ظَهْرٍ فأصْبِحُوا عليه. قَالَ أبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: أفِرَارًا مِن قَدَرِ اللَّهِ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبَا عُبَيْدَةَ؟! نَعَمْ نَفِرُّ مِن قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أرَأَيْتَ لو كانَ لكَ إبِلٌ هَبَطَتْ واديًا له عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُما خَصِبَةٌ، والأُخْرَى جَدْبَةٌ، أليسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ -وكانَ مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حَاجَتِهِ- فَقَالَ: إنَّ عِندِي في هذا عِلْمًا؛ سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه. قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ) فكان فصل في المسألة لكن غاب هذا الحديث عن كثير من الصحابة بعد أن استقر، لكن المناقشة بين أبي عبيدة وعمر كانت في القدر هو يقول تفر من القدر؟ فيقول له أفر من القدر إلى القدر، إذاً هنا يعني أن انصرافه ليس هروباً مما قُدِّر عليه وإنما رجوعاً إلى مكان يعني يخاف أن يكون قد قُدِّر عليه من الوباء، أيًا كان فكل هذا يدل على أنها لم تكن مخاصمة ومجادلة، ولكن أيضاً الاستدلال بالقدر في هذه المسائل وهذا الذي ليس فيه نهياً على ذلك.

يدل على ذلك أيضاً حديث مشهور جداً في هذه المسألة أصالة (احتجَّ آدمُ وموسَى عليهما السَّلامُ فقالَ لَه موسَى يا آدمُ أنتَ أبونا خيَّبتَنا وأخرجتَنا منَ الجنَّةِ بذنبِك فقالَ لَه آدمُ يا موسَى اصطفاكَ اللَّهُ بِكلامِه وخطَّ لَكَ التَّوراةَ بيدِه أتلومني علَى أمرٍ قدَّرَه اللَّهُ عليَّ قبلَ أن يخلقني بأربعينَ سنةً فحجَّ آدمُ موسَى فحجَّ آدمُ موسَى فحجَّ آدمُ موسَى ثلاثًا) طبعاً هذا الكلام فسرناه من قبل ويأتي في الكتب لأن هنا الصحيح أن آدم حج موسى بما قدره الله عز وجل على مصيبة النزول إلى الارض وترك الجنة وليس بالذنب الذي تاب منه آدم على الصحيح الراجح في ذلك، نقصد أن في محاججة كانت بين آدم عليه السلام وموسى في ذلك.

فإذاً هنا إن كان المقصد الوصول إلى الحق ودفع الشبهات وزيادة الإيمان هذا لا إشكال فيه وأما إن كانت المسألة على غير ذلك هذا الذم الذي جاء في حديث مسألة الاعتقاد.

طيب هنأخذ قاعدة الآن قريبة جداً يعني كأنما تكلمنا عن معظمها لكن نثبتها كقاعدة كل هذه كانت مقدمة.

القاعدة الأولى أن القدر سر حجبه الله عن خلقه فلا يُتعَمَق فيه وهذه القاعدة تتمة للذي قلته الآن في المبحث لكن سنثبتها كقاعدة ونزيد عليها بعض، (أن القدر سر حجبه الله عن خلقه فلا يتعمق فيه)، طب وهذه القاعدة من أين؟ مستنبطة من كلام السلف كلام علي رضي الله عنه وأرضاه لما سأله أحد عن القدر قال (سر الله فلا تكلفه.)

وأيضاً عن طاووس قال للرجل: (إن القدر سر الله فلا تدخلن فيه.)

وأيضاً الطحاوي رحمه الله قال (والأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال الله تعالى في كتابه {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين) انتهى كلامه.

وقال الآجُرِّيُّ رحمه الله: (لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر، لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به)

وهذا كلام العلماء طبعاً بديت بالصحابة بكلام لهم في مسألة الصياغة أن القدر سر لأن هو غيب حقيقة، فهو سر من الله عز وجل.

وأما الأدلة على القاعدة فأدلة عامة حقيقة، الخاصة الذي قلناها في آخر المبحث الآن الذي هي كانت النهي عن مسألة التعمق والذم في القدر، في أدلة عامة في ذلك لأن الكلام في القدر كلام غيبي فالكلام فيه سيكون بغير علم وقد قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}

وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

هذه كلها أدلة عامة على الذم في القول والخوض في القدر بغير علم لأن هو أصلاً سر من أسرار الله عز وجل والأدلة الخاصة التي بيناها في الكلام قبل هذه النقطة.

لكن هي القاعدة ما المقصود بها هنا؟ النهي عن التكلف والتعمق في باب القدر والأهم الذي يأتي ترك إعمال العقل فيه بمعزل عن نصوص الشرع لأن هو البدعة التي وقعت في هذا الباب كله كان بسبب إعمال العقل فيها كما سيأتي، يبقى هو أصل القاعدة هنا ماذا؟ النهي عن التكلف والتعمق في باب القدر وترك إعمال العقل فيه بمعزل عن نصوص الشرع، لماذا؟ لأن أصل

الطمع مقطوع عن إدراك حقيقة القدر لأن الله أخفاها عنا فلا سبيل لنا لمعرفتها وقد أخفاها الله عز وجل عنا، لأن لما قلنا القدر سر الله هذا الجانب الخفي، لأن القدر له جانبان جانب خفي وجانب ظاهر، الجانب الظاهر الذي قلناه وخطبنا به نؤمن به أولاً ونتعلمه ونعمل به ونعلم بأن الأمور كلها بالتقدير من الله عز وجل والله علم ما كان وما لم يكن ومالم يكن كيف سيكون الله كتب كل شيء من قبل أن الله أراد وشاء وخلق كل هذه مسائل جانب ظاهر لابد أننا نتعلمه وأن الخير بقضاء من الله عز وجل وأن الطاعة والمعصية بقضاء من الله وقدره وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا كلها من علم القدر الظاهر الذي لزم الخلق الإيمان به والعمل به، اما الجانب الخفي المقصود هنا الذي أمرنا بالتسليم وعدم الخوض فيه نظراً وفكراً ووسوسة، كما قال أحد العلماء هذا العلم اختص به سبحانه ولم يطلع عليه لا نبى مرسل ولا ملك مقرب قال بعض السلف أن الله علم علماً علّمه العباد وعلم علماً لم يعلّمه العباد وأن القدر من العلم الذي لم يعلّمه للعباد، هذا الجانب الذي هو غالبا الحكمة والتعليل والفعل لماذا الله أعطى هذا ولم يعطي هذا لماذا الله ابتلى هذا ولم يبتلى هذا، كل هذا ورد طبعاً في قصص كثيرة هذا هو النهي عن الخوض في ذلك الجانب الخفي، فالقدر مراتب فإذا كنا لا نستطيع أن نطلع على علم الله ولا على مشيئته ولا على خلقه وحكمته فكيف يمكننا الاطلاع على القدر؟.

لذلك عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله قال العلم والقدر والكتاب سواء قال عرضت هذا الكلام على يحيى بن سعيد فقال ثلاث كلمات فقه عظيم يعني علم الله والقدر والكتاب يعني كل هذه ثلاثة سواء يعني بما أنك لا تعلم عن علم الله فلا تعلم في قدر الله ولا تعلم ما كتب الله عز وجل وهذا اختص الله عزوجل بهذا العلم نفسه لكن فهمه السلف بما عندهم من قريحة ذهن وقوة علم أعطاهم الله عز وجل اصالة، يعني فالعقول تعجز عن إدراك كنه الغاية المقصودة من أفعال الله عز وجل أنت تعجز عن ذلك كما تعجز عن إدراك حقيقة الفاعل أيضاً الذي هو الله عز وجل فهنا هذا الجانب السري أو الخفي الذي نحن نهينا عن الخوض فيه هذا هو المقصود بذلك، فلا تخوض في خلق الأفعال في الإرادة التحسين والتقبيح هذه أمور التي وقع فيها المخالفين لأهل السنة والجماعة في القدر من هذا الضرب أن يضرب النصوص بعضها ببعض كما قلنا ويفسرها بمعزل عن النصوص الأخرى أو يستخدم القياس العقلي الفاسد في هذا الباب ما يصح فيه قياساً كل القائم كما سيأتي معنا على النصوص كتاب وسنة وحي فقط، فمن الضرب أنك تستخدم القياس وهذا ما فعله سواء المعتزلة أو الأشاعرة أو غيرهم الذين خاضوا في القدر سواء إثباتاً أو نفياً قدرية ومن خالفهم من الجبرية أصالة، فهذا كله من الضرب.

نقول إن هذه القاعدة أصل عظيم جداً مبنية على الخوض في القدر بأن يتم البحث في تعليل أفعال الله أو الحكمة هذا الذي هو منهي عنه وقد وقع في ذلك في هذه المخالفة خاضوا في ذلك الاشاعرة خاضوا في القدر وضلوا في مسألة الحكمة والتعليل حتى أنهم وصلوا الى إنكار حكمة الله وأيضاً أن الله يفعل لمجرد المشيئة والإرادة فقط وأنكروا الأسباب وأنكروا الصفات والأفعال وجوزوا بأن الله عز وجل ونعوذ بالله من ذلك أن يأمر بالشرك والفسوق كما ينهى عن التوحيد والطاعات هذا أصل عندهم خاضوا فيه وضلوا في هذا الباب لأنهم أصلاً ما فرقوا بين الإرادة الكونية والشرعية وهذه تفصيلها يأتي إن شاء الله والمعتزلة على النقيض خاضوا أيضاً في هذا الباب في القدر حتى أنهم أنكروا أن تكون لله سبحانه وتعالى حكم يرجع إليها ولم يثبتوا إلا حكمة مخلوقة منفصلة عن الله تعالى وهذا أيضاً لأنهم قاسوا قياساً فاسداً قاسوا الله بخلقه، فالشاهد أن الخوض في أفعال الله في التعليل أو قياس أفعال الله على قياس المخلوقين كل هذا من الضلالة التي وقع فيها الفرق المخالفة في هذا الباب والأشاعرة أيضاً وقعوا جوزوا أن الله يأمر بالقبيح وينهى عن الحسن إلا لو أراد ذلك لأنهم جعلوا المسألة أصالة ترجع كلها لمشيئة

الله وجنبوا أيضاً الذي يحسنه العقل ويقبحه العقل، فالخوض في ذلك هو الخوض المنهي عنه في هذه القاعدة لأن هذا من جانب السري الذي استأثر الله عز وجل به لنفسه.

طيب هنقف عشان ما نزيد أكثر من ذلك عن هذه المسألة، نقف وسنأخذ اليوم سؤال وكل أسبوع نأخذ سؤال نجيب عليه.

السؤال اليوم الذي تبادر كثيراً لما كنا نذكر نواقض الإيمان وهو خاص بمسألة الحكم بغير ما أنزل الله وهل هو من نواقض الإيمان أم لا؟ أي نوع من أنواع نواقض الإيمان؟ سأجيب إن شاء الله على هذا السؤال منفرداً.

هل هناك أسئلة فيما سبق أولاً في القدر قبل أن أدخل في اجابة السؤال هذا؟ لأن هذا سنفرده إن شاء الله بإجابة، في أسئلة فيما سبق في القضاء والقدر وفي القواعد؟

تعقيب من الشيخ علي سؤال طالب

هم قالوا أن الاشاعرة وغيرهم قالوا أن ممكن التحسين والتقبيح يرجع للشرع ممكن ما كان قبيحاً يجعله حسن، إذا أراد الله عز وجل أن يجعل الكفر والفسوق والعصيان حسن فهو حسن وأن يجعل الإيمان والتوحيد قبيح يجعله قبيحاً، نفوا الحكمة خاضوا في القدر ونفوا الحكمة فجعلوا أفعال الله بدون حكمة يفعل ما يشاء ليس هناك فرق أن هو يجعل هذا حسناً وهذا قبيحاً إن أراد أن يجعل هذا الحسن قبيحاً والقبيح حسن يكون كما أراد فجعلوا المسألة كلها شرعية مشيئة شرعية فقط مشيئة لله عز وجل بدون حكمة وتعليل فجعلوا التحسين والتقبيح أصلاً أن ممكن العقل يدركه قالوا لا ندركه لا هو لو قال أن الزنا هذا جيد يبقى جيد فأراد أن يجعله حرام يبقى حرام لم يجعلوا حتى أن العقل ممكن يعرف أن فيه منكرات وأن فيه طاعات وهم خاضوا في ذلك والنقيض أصالة الثانيين المعتزلة جعلوا التحسين والتقبيح مرده العقل فقط أنه يحسن ويقبح هو العقل مرده فيه نعم.

طيب سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك واتوب اليك

نجيب الآن بس على سؤالنا، سؤال في مسألة هل الحكم بغير ما عند الله هو من نواقض الإيمان هل هو من الكفر الأكبر؟ أم هو من الكفر الأصغر؟ والمسألة يعني هل نجعلها من نواقض الإيمان؟

طبعاً نحن تكلمنا وتأسسنا من قبل في قاعدة التكفير في مسألة الشروط والموانع إلى غير ذلك يعني ليس محلها هنا لكننا نتكلم عن الحكم بغير ما أنزل الله، ما هو الحكم فيه في هذه المسألة؟ طبعاً والخلاف المشهور في مسألة تفسير آيات سورة المائدة، نقول أولاً حقيقة لابد أن نؤصل تأصيلاً في مسألة أن الحكم هو شرع الله عز وجل وأصالة ما موضعه في العقيدة عندنا؟ هل هو من أصول التوحيد أم لا؟ يعني هل الحكم هل الشرع والتحكيم هذا أمر إلهي؟ أم هو دون ذلك؟ وهذه يعني لنبين موضع الشرع والتحكيم بشرع الله عز وجل في أصول العقيدة عندنا، ونقول الله عز وجل قال {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} والله عز وجل اختص سبحانه وتعالى ***بخلقه شرعي له لأن هو الذي ينزل الشرائع هو الذي يكون له فكأنه هنا يقول بأن الشرع هو من لوازم ومن صفات ربوبية الله عز وجل*** الله هو المشرع سبحانه وتعالى إذاً التشريع أمر خاص بالله عز وجل وبه يدخل في توحيد ربوبية الله عز وجل وإتباع المرء له يدخل في عبادة الله عز

وجل أي توحيد الألوهية لأن المرء يتعهد إلى الله بإتباع شرعه فيكون هذا إفراداً لألوهية الله عز وجل، فإذاً الكلام هنا أولاً على أن موطن التشريع والحكم عندنا نقول أن هذا من صفات ربوبية الله عز وجل وأيضاً من لوازم ألوهية الله عز وجل وأنه يكون التحكيم كله لله تعالى، ثم جاءت أدلة في أكثر من موطن تبين منزلة هذا التحكيم وإتباع الشرع من صحة إيمان المرء، قال تعالى {...فإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}

والله عز وجل نفى الإيمان عمن لم يحكموا النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم، والنفي مؤكداً بتكرار أداة النفي والقسم أصالة في قوله تعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

أولاً في الآية الأولى (فإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) جعل شرطاً (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) يبقى هنا جعل من علامات صحة الإيمان عندما يتنازع المرء يرجع في التنازع إلى الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم وأن هذا من علامات صحة الإيمان، يبقى المفهوم أن رد التنازع لغير الله وغير الرسول فهذا ليس لمن آمن بالله واليوم الآخر، ثم قال (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) كأن الله عز وجل يكلمنا بما سيكون بعد ذلك سبحانه وتعالى ويعلم بما سيكون لأن من يأتي بعد ذلك فيقول بأن ما يفعله اليوم في التبديل أو حتى في إدخال أحكام مع الشريعة أن هذا خير وأن هذا حسن وأن هذا مطابق للواقع وأن هذا يفيد الناس فالله كأنه يقول (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أي أن الرد إلى الله وإلى الرسول هو الخير هو الأحسن التأويل وليس غير ذلك، ثم نفى الإيمان في قوله (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) *^^^^^^* مراتب كما قال ابن القيم في هذه الآية مراتب الإسلام والإيمان وما بعدها فقال الإسلام (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ) فنفى الإيمان الذي هو الإسلام في التحكيم،(ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ) قال هذا هو عدم الحرج من الحكم قال هذا بعد الإسلام يكون من درجات الإيمان الواجب، (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وهذا أعلى درجات الإيمان الواجب، فكأنه جعل في الآية مراتب قال لأنه (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) يعني لا يصح إيمانهم كأنه لا يصح إسلامهم حتى يحكموك إذاً الذين لم يحكموك فلا يصح الإسلام فيه أصالة،(ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ) يعني ضيق بل لابد أن تسع الصدور لذلك وتقبل وهذا هو الارتقاء من

الإسلام إلى الإيمان في تفسيره للآية بل قال حتى *يضم* إلى التسليم وهو كمال الانقياد لله عز وجل ويكون قد حقق كما قال (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)يعني حقق التسليم المطلق والإيمان الكامل الواجب، هنا أيضاً يبين لك بأن الرجوع في ذلك هو من صحة الإيمان، ثم في قوله في الآية الأولى (فإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) قال هنا شيء وشيء نكرة وهذا يبين لك عموم التنازع أياً كان التنازع جنساً ومقداراً قليلاً كثيراً في أي جنس من أجناس التنازع لابد أن يرد إلى الله والرسول، يعني ولو قليلاً لابد يرد إلى الله والرسول ولو كثيرا لابد أن يرد إلى الله والرسول قال (إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) شرطاً في صحة الإيمان قال (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا).

ثم جاء أيضاً من قوله تعالى ويبين لنا أن التحاكم إلى غير الله من صفات المنافقين قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ) يعني تكذيباً لهم فيما ادعوه في الإيمان أنتم تدعون وتزعمون أنكم آمنتم بالله عز وجل ولا تريدون أن تتحاكموا إلى الله، بل تريدون أن تتحاكموا إلى الطاغوت إذاً لا يجتمع التحاكم إلى غير الله أو إلى غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مع الإيمان في القلب في عبد أصلاً بل هذا ينافي الآخر وهذا يبين لك أن هذا مقصود به أكبر لأن لا يجتمع الكفر الأكبر مع الإيمان لكن ممكن يكون فيه الأصغر مع الإيمان لكن الأكبر لا يجتمع أصالة، قال (يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ)، قال (وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ) فهنا لابد من الكفر بالطاغوت والكفر بأي أحكام غير أحكام الله عز وجل أصالة، وقال فيها (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) وهذا يبين بأن هذا الضلال وهذا يبين لك بأن الذين يروجون لهذه الأحكام التي هي ليست من أحكام الله عز وجل هذا من الشياطين الذين يضلون الناس ضلالاً بعيداً كما قال الله عز وجل ويدعون طبعاً أن هذا فيه صلاح للخلق ومواكبة للواقع وغير ذلك وهذا كله نقيض الإسلام والإيمان فيها.

ما زلنا في التأسيس لهذا التحكيم ما موطنه عندنا في الشرع؟ وكيف تناوله الكتاب والسنة بذلك؟ قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} انظر هنا كما قال أهل التفسير قال جعل الله قسمة الحكم ثنائية، ماذا يعني ثنائية؟ ليس بعد حكم الله إلا حكم الجاهلية، أحكم الله؟ وإما حكم الجاهلية؟ شاءوا أم أبوا؟ قال تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) إن لم تكن تريد حكم الله فأنت تريد حكم الجاهلية أصالة، قال (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) لذلك الله عز وجل قال في سورة النساء: {أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} وهي ترد لان قال تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) قال ابن كثير في الآية ينكر الله على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ومما كان يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على حكم الله بكتابه وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك قال ابن كثير فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) أي يبتغون ويريدون؟ وعن حكم الله يعدلون؟ قال تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله وشرعه وآمن به، هذا كلام ابن كثير كله ليس بكلامي لتفسير هذه الآية، قال ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء، كان هذا كلام ابن كثير في الآية ويبين أن المسألة هو إما شرع وإما حكم جاهلية، لأن البعض بيوفق كما سيأتي بالتفصيل الآن يقول لك نحن يعني كوكتيل كما يقال هكذا يعني أو الذي هو نخلّط بعضه شرع وبعضه غير، هنا الله عز وجل ما جعل القسمة إلا قسمة ثنائية فقط، إما أن يكون شرعاً فقط وإن اختلط مع غيره لا يكون شرعاً يكون جاهلية وهذا الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، ثم أن الله عز وجل خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وأمره عند الحكم بينهم أن يحكم بما أنزل الله قال {... فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ...} أيضاً وقال في الآية {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...}

وحتى الله عز وجل خير النبي صلى الله عليه وسلم بين الحكم بين اليهود والإعراض عنهم أن جاؤوا قال {....فإن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} والقسط هو العدل والعدل لابد أن يكون بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فكل هذه آيات تأصل لك موطن الشرع والتحكيم وكيف أنه خاص بالله ولا ينازع أحد الله عز وجل في هذا التشريع وهذا الحكم وأمر الله عز وجل لعباده أن يرجعوا إلى حكم الله ومن لم يرجع نفى عنهم الإيمان في أكثر من موضع وبين بأن حكم غير الله هو حكم الجاهلية، ثم جاءت آيات سورة المائدة أنا لماذا بقول هذا التأصيل لأن يعني الذي يريد أن يتكلم في المسائل هذه لابد أن يتكلم بتجرد يعني بتجرد يعني يرجع للأدلة ويجمعها كلها وينظر فيها كما نظر العلماء لأن هذه المسائل البعض فيها يفرِط ويفرِّط فيها غلو وفيها جفو، فسيأتي من أراد أن يجعل المسألة كلها

تكفيراً ومن أراد أن يجعلها كلها كفراً دون كفراً ولم يجمع الآيات ليبين أصل المسألة أصالة وكيف التفصيل فيه وكيف القول الوسط الذي هو يلائم كل ما جاء عن الكتاب وعن السنة في ذلك، وهذا الذي حري بكل من يتصدر في المسائل التي مثل هذه أن ينظر بالعينين لا ينظر بعين واحدة ويكون المسألة على التجرد، لذلك سنكمل الكلام على الآيات التي جاءت في سورة المائدة لأن هذه غالب من يتكلم في المسألة يذهب مباشرة إلى آيات سورة المائدة ويظهر فيها الخلاف الذي موجود أو هو ليس بخلاف أقوال العلماء في هذه الآيات لكن المسألة ليست فقط في آيات سورة المائدة كما بينا المسألة لها أدلة أخرى سابقة بيناها الآن ثم جاءت نصاً بقوله تعالى {.... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (44)}، {... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (45)}، {... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (47)} فهنا الله عز وجل سجل على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسق وما دام الله قد سمى ذلك فلابد أن الله سمى ذلك في كتابه فلا يمكن أن نقول بأن من يحكم بغير ما أنزل الله ليس كافراً أو ليس ظالماً أو ليس فاسقاً الله الذي قال ذلك أصالة أو كافرا وليس بكافراً أو كافراً مطلقاً، لكن الحق نقول لابد أن ننظر هنا لأن العلماء تكلموا وطبعاً أشهر ما نقل عنه في تفسير هذه الآيات من؟ ابن عباس رضي الله عنه لما نقل عنه برواية طاووس وغيرها وابن عباس له في هذا التفسير قولين وليس مضادين، بل هو تفصيلاً لأنه قال في تفسير للآية قال (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ) قال من جحد ما أنزل الله فقد كفر وهذا كفر أكبر عنده وفي تفسير آخر قال ليس الكفر الذي تعهدونه إنما هو كفر دون كفر، أنا لماذا بقول هذا الكلام؟ لأن البعض بيطير بقى يأأخذ قول ابن عباس الثاني ويقول ابن عباس قال كفراً دون كفر والبعض أخذ قول ابن عباس الأول وقال ابن عباس قال كفراً أكبر، والحق أن المسألة على التفصيل هذا التفصيل يبين لك أن الكفر في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله إما أن يكون كفر اعتقاد يعني وهذا كفر أكبر أو بعضهم قال كفر عمل وهذا كفر أصغر ويحمل كلام ابن عباس على حالات ويحمل كلام ابن عباس الثاني في التفسير على حالات أيضاً او على حالة يبين لك متى يكون؟ لان هذه الآيات اختلفوا فيها العلماء على يمكن سبعة وأكثر من سبعة وثمان أقوال تفسير آيات المائدة بعضهم قال أن هي نازلة في اليهود فقط وبالتالي حملوها على اليهود، وبعضهم قال أن هذه تدل على الكفر الأكبر كلها، وبعضهم حملها على أنه كفر دون كفر أصالة والبعض قال إنها على الاستحلال فقط والبعض يقول حقيقة لا أتبحر فيه فأخذ القول الفصل في المسألة لأن هناك التفصيل، التفصيل بما أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً أكبر وقد يكون كفراً أصغر وهذا ممن تقول اتفق عليه علماء السلف المحققين المتقنين الذين جمعوا الأقوال في هذه المسألة وأنا أردت أن أقول ابن عباس ليه تفسيران لماذا؟ لأن البعض كما قلت بيطير بأحد التفسيرين ويترك الآخر، إذاً لما ورد عن ابن عباس هذا وورد عن ابن عباس هذا لابد تعلم ما يريده ابن عباس أو ما قاله العلماء في هذه المسألة جمعاً مع الأدلة التي بدأت بها الكلام حتى تأخذ آيات المائدة وتترك الآيات الأولى التي بينا فيها التمعن، أكرر لذلك سنقول أنواع للكفر أن الحكم بغير ما أنزل الله عندما يكون كفراً أكبر له أنواع وحالات عند العلماء أولاً الجحود لا شك فيه وهذا يطابق قول ما قاله ابن عباس أن يجحد الحاكم أحقية هذا الحكم يعني يجحد حكم الله وحكم رسوله وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في الرواية الأولى في تفسير ذلك واختاره ابن جرير وقال هو جحود ما انزل الله من الحكم الشرعي وهذا القول لا نزاع فيه بين اهل العلم، لا نزاع بين أهل العلم أن الأصول

المضطردة أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه أو أنكر حرفاً مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم قطعي فهذا كفر وكفر ناقل عن الملة يبقى هذا الأول الحالة الاولى التي هي فيها الكفر يقصد بها هنا الكفر الأكبر

الحالة الثانية أن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يجحد كون أن الله أنزل الحكم أو النبي صلى الله عليه وسلم جاء به أنه اعتقد أن حكم غير الرسول أحسن من حكمه أو حكم غير الرسول أتم أشمل مطابقاً للواقع أفضل ملائم للحياة التي نحن فيها أو غير ذلك أو أنها تحتاج إلى هذا أفضل مما تحتاج إلى ما جاءنا من أحكام الشريعة في الكتاب والسنة أو أن حكم حادث تطور زمان فهو يرى أن هذا الحكم أفضل أو أحسن مما جاء هذا قال العلماء أن هذه صورة من صور الكفر الأكبر أصالة لماذا؟ لأنه فضّل أحكام المخلوقين وما جاء في أذهانهم أيا كان بقى أصابوا أخطأوا حثالات البشر زبالات العقول إلى غير ذلك أيضاً فضل ذلك على حكم من؟ حكم الله عز وجل أو حكم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا القول يظل كما هو ولا يختلف باختلاف الأزمنة يعني من فضل حكماً على حكم الله عز وجل دخل في الكفر الأكبر أياً كانت إراداته وتصوراته في ذلك

الثالث ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله لكن ممكن يعتقد المثلية يقول يعتقد المثلية يعني ايه؟ يقول الحكمين واحد سواء حكمنا بالشريعة أو حكمنا بأحكام أخرى التي من عند غيرنا أو غير ذلك فهي واحدة اعتقد المساواة {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} فهنا سوى بين حكم الله وبين حكم المخلوق وهذا قالوا كفراً أيضاً ناقلاً عن الملة، وقال تعالى {...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... *} وقلنا إنك وقعت فين؟ في الباب الذي فيه تسوية الخالق بالمخلوق لأن لو تذكروا في أول الكلام قلنا أن التحكيم والشرع خاصية الله من صفات ربوبية الله عز وجل فمن اعتقد أن ما يفعله حتى المخلوق في الحكم والتشريع مساوي فقد وقع هنا أيضاً في الكفر الأكبر لأن الأصل أنك تفرد الله وتنزهه في أسمائه وصفاته وأفعاله والحكم بين الناس

طيب الرابعة قالوا لا يعتقد الأفضلية ولا المثلية ولا أي أحد، لكنه يعتقد جواز أن يتحاكم إلى غير الله عز وجل يعني جواز الحكم بما يخالف حكم الله عز وجل وحكم الرسول صلى الله عليه وسلم، *ما رأينا الحكم كالورق؟* لأنه جوز على الناس ترك حكم الله ويحكم بما يشاء بغير حكم الله عز وجل، ثم تأتي الصورة التي تليها وهو أنه لا يكتفي بالحكم فقط بغير ما أنزل الله بل يضاهي ذلك يعني ينشئ محاكماً يضاهي بها المحاكم الشرعية التي مفترض أنها تكون موجودة يسن قوانين ولوائح وتفريعات وأحكام والزامات على الناس وكلها مرجعها ليست للشريعة يسن أمور يلزم بها الناس في التحاكم غير وهذه أشد مما سبق لأنه أسس وسن وقنن والزم الناس بتشريعات لو صح القول هذا وقوانين مختلفة لما جاء بها الشرع لأن الأصل أن الحكم الشرعي مستمد من الكتاب والسنة فإن أسس تحاكم غير مستمد من الكتاب والسنة أو بغير ذلك كما يؤتى بقوانين الغرب القوانين الفرنسية القوانين السويسرية لأن الأمريكان والانجليز ليس عندهم قوانين عندهم العرف يحكموا بالعرف السابق ما عندهم قوانين يعني يشوفوا الأزمة الواقعة حكم فيها من قبل ويأتي بالعرف السابق الانجليز تحديداً هم طبعاً الانجليز تأصيلاً ثم الأمريكان تلوا لأنهم أصلهم من الانجليز يعني، العرف يعني يرجعون مثلاً لقوانين عرفت من مائة سنة فحكم بها القاضي يرجع للمئة سنة يشوف أو من أربعين سنة ماذا حكم فيه؟ فيستنبط من العرف، أما بخلاف الفرنسيين والسويسريين وغيرهم عندهم قوانين ولذلك استوردت قوانينهم في ذلك، ولا شك أن هذا الأخير من أشد المخالفة في هذه المسألة اصالة.

طب معلومة أيضاً أضاف ما يحكم به بين العشائر وبين الاقوام الذي هو الأعراف الموجودة في القبائل، بعض الأماكن تجد القبائل هي المسيطرة فلما يحدث شيء يرجع للقبيلة وشيوخ القبيلة الذين هم الأعراف ويحكموا لهم وهما ليس لهم علاقة بحكم الشرع وهذا أيضاً لأن هو استبدل الحكم الشرعي بأحكام القبائل والعشائر وغير ذلك مما كان في الآباء والأجداد ولا يرجع لحكم الله والرسول في ذلك.

كل ما سبق هذا ظاهر فيه أن المقصود به الكفر الأكبر لأنك لو نظرت فيه لوجدته تنحية لشرع الله عز وجل وهذا يوافق أيضاً قول ابن عباس القول الأول ويوافق الآيات الاخرى التي بيناها في المسألة.

طب لكن هناك حالات أيضاً قلنا بالتفصيل الذي أيضاً قد يكون الحكم بغير ما أنزل الله ليس كفراً أكبر، بل قد يكون كفراً دون كفر كما قال ابن عباس قال ليس بالكفر الذي تذهبون إليه أنا قصدت هذه الجملة من ابن عباس لأن أولاً أنا لا ندخل في القواعد حتى لا ينازع في القاعدة لأن هذه قواعد استنبطها العلماء لما يأتي الكفر المعلق بألف ولام فيقصد به العهد أو الكفر الأكبر ولو جاء نكرة الأصغر هذه ليست يعني قاعدة ممكن لا يوافق عليها المخالف فيها، لكن نحن نقول ابن عباس رضي الله عنهما لما قال ليس الكفر الذي تذهبون إليه فكان ابن عباس يقول لك أن أصل الكفر لما يأتي في الآيات المقصود به عند الصحابة هو الكفر الأكبر هذا لما يأتيك الكفر خاصة لما يكون معرفاً في الأدلة يقصد به كان عندهم هو الكفر المخرج من الملة لذلك ابن عباس وهو يفسر أن الكفر دون كفر قال ليس الكفر الذي تذهبون إليه يعني كأن الأصل عندهم لما يأتي الكفر يقصد به الكفر الأكبر إلا أن يأتي قرينة توصف لك هذا الكفر الأكبر ولا الكفر الأصغر؟ انتم فاهمين؟ قول ابن عباس وهو بيقول القول الثاني ليس الكفر الذي تذهبون إليه يعني يرد لهم ليس كما ظننتم أنه الكفر الأكبر ولكنه الكفر الأصغر، طب جمعا ما هو الكفر الأصغر؟ قال العلماء هو أن يحكم هنا بقى التي يتكلم عنها أن هو الكفر الأصغر الذي هو كأنه كبيرة الي هو دون الكفر الأكبر المخرج من الملة أنه تحمله الشهوة رشوة شهوة عنده قريب له أراد أن لا يحكم عليه حكماً شديداً فخفف وأخذ رشوة من ذلك فحكم بغير ما أنزل الله في هذه القضية مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق *وعاتبه* على أنه اخطأ في ذلك وأنه خالف ما أُمر به لكنه قالوا هنا يحمل كلام ابن عباس رضي الله عنهما على أن هذا المقصود به الكفر دون الكفر والمعصية الكبيرة أو التي هي كبيرة من الكبائر كغيرها من الكبائر الربا والزنا والخمر وغير ذلك، فحملوا هنا هذه الحالة ولكن حتى العلماء لما أتوا تكلموا في هذه المسألة الأخيرة هذه قالوا هذا بافتراض أن الأصل في هذا الحاكم أو هذا القاضي يعني أنه أصلاً بيحكم بشرع الله يعني حتى لأن هو انتبهوا لأن مقام كلام ابن عباس هو لم يكن لا في زمان ابن عباس ولا في التابعين ولا تابعي التابعين أصلاً كان هناك تبديل للشرع بالكلية أو أن فيه حاجة غير الشريعة موجودة مع أحكام الشريعة، يعني هذا لم يكن أصلاً حاضراً في زمانهم هو أقصى ما يكون أن يحكم الحاكم في قضية بغير ما أنزل الله وهذا الذي أراده ابن عباس في التفسير الثاني لما قال ليس الكفر الذي تذهبون إلي أو كفر دون كفر، طبعاً هذا التفسير نقله الطاووس عن ابن عباس وعن كثير من السلف نقلوه هو ثابت ولابد أن نقول به أيضاً لكن *موضعهم أيضاً يقول اين في* من كان في الأصل انتبه بقى لأن بعض العلماء قالوا من كان في الأصل يحكم بشرع الله ثم ضل في مسألة في قضية في اثنين في رشوة اخذ رشوة هوى نفس غير ذلك فوقع في ذلك هذه المعصية هذا الكفر الذي دون كفر الذي لا يخرج به من الملة، أما من كان أصلاً لا يحكم بغير ما أنزل الله فلا ينطبق عليه هذه الحالة وهذا التفصيل ختاماً لأن طبعاً المسألة فقط أنا أردت أجيب عن السؤال الذي أتى لأن أنا قلت إن أنا سأجيب عليه أنه

الأصل هنا يبين لك بأن الحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر، لكن في حالات يحمل فيها على الكفر الأصغر وهذا التفصيل مهم يبقى لا تقول بإطلاقه أنه كفر أكبر في *الكل* حتى لا نقع في الافراط ولا نقول بأن كله هو معصية فقط وكبيرة الكفر الأصغر فيكون أيضاً تفريطا، لا غلو ولا جفو، بل الصحيح كما عليه المحققين وأنا ما أردت أزيد بقى في نقل كثير من أقوال العلماء المحققين في هذا الباب الذين قالوا بهذا التفصيل وضبطوه هذا الضبط نقلته لكم بقدر ما يسمح الوقت لعلنا أجبنا عن هذه المسألة وبينا فيها الراجح وبالحالات التي تكلمنا عنها واعتقد الحالات واضحة لكل ذلك، يطبق عليها ما يطبق بقى من مسألة الشروط والموانع وغير ذلك لكن الفعل معروف ما هو، ولذلك البعض حتى أصلاً أراد ألا يطبق أصالة وقال أنه واضح وضوح الشمس في ذلك لكن نحن انتهينا من هذه المسألة.

هناك مسائل إن شاء الله سنتعرض إليها الأسبوع القادم في هذه القاعدة التي انتهينا منها أصلاً ويعني سنتكلم عن عارض التأويل البعض طلب مني أننا نتكلم عن عارض التأويل كمانع من موانع الكفر، هل التأويل هذا ثابت عند الصحابة؟ ثابت في الشرع؟ ولا لا؟ نحن قلناه إجمالاً أو بيناه بتفصيل لكن هم البعض طلب إننا نبين تطبيقات على التأويل وكيف أن التأويل طبق عند الصحابة كما فعلوا مع الخوارج وغيرهم وهل هذا يطبق مع بعض الفرق المبتدعة أم لا؟ نحاول نسلط عليه المسألة إن شاء الله الإسبوع القادم يعني إن كان هناك وقت لذلك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

على موعد مع برنامج دراسة العقيدة ومرحلة القواعد التأسيسية في أبواب العقيدة،

كنا قد دخلنا الأسبوع الماضي في القواعد الخاصة بالقدر، وقد تكلمنا في مقدمة عن القدر استفضنا فيها في تعريف القدر والقضاء ومعاني القدر والعلاقة بين القدر والقضاء وتكلمنا عن ثمرة الإيمان بالقدر

وقلنا أن هذا باب عظيم وبينا كلام السلف في الاشتداد في الطاعة بعد دراستهم لباب القدر، تكلمنا في قاعدة أولى وكانت القاعدة الأولى كنا قد تكلمنا فيها عن أن القدر سر حجبه الله عن خلقه فلا يتعمق فيه، وبينا القدر الظاهر والقدر الباطن، هذا الظاهر الذي أمرنا بتعليمه ومعرفته والرد على الشبهات التي عند المبتدعة، وأما بقدر السر أو القدر الخفي وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل هذا كله كان ملخص ما تكلمنا عنه الأسبوع الماضي في قواعد القدر.

نكمل أن شاء الله الكلام وهنبتدي نطيل شوية في العقيدة لأن تبقى لنا في درس مقاصد التطبيقات يعني أن شاء الله يعني يزيد الوقت في العقيدة حتى نستطيع أن ننتهي أن شاء الله نأمل ننتهي من كل القواعد قبل رمضان بإذن الله تعالى بحيث يكون البرنامج التأسيسي انتهى قبل حلول رمضان، وأن شاء الله نشرع في دراسة كتاب من كتب السنة في العقيدة كتب السلف تحديداً أن شاء الله يكون يعني استكمالاً للمرحلة الثانية من الدراسة البرنامج ونسأل الله التيسير وأن يوفقنا إلى أن ننتهي من ما تبقى من القدر وأن انتهينا قبل رمضان سندخل في الكتاب مباشرة وإلا سنؤجله أن شاء الله بعد رمضان نسأل الله عز وجل أن يبلغنا رمضان وأن يرزقنا فيه القيام والصلاة والصيام وأن يتقبله منا.

ندخل في القاعدة الثانية وهي من أهم القواعد هي ملحقة بالأولى لكن لابد أن نؤصلها قبل أن ندخل في باقي القواعد **(أن الكلام في القدر نفياً وإثباتاً موقوف على الخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم)**،

وهذه القاعدة من الأهمية بمكان لأنها تبين لنا اعتقاد أهل السنة والجماعة بالإيمان بالقدر كيف يكون في النفي والإثبات عن طريق الأدلة التي جاءت بالكتاب وبالسنة، لأن هذا أصل عندنا خالف فيه المبتدع كما سنبين الكلام في القاعدة الذين لم يلتزموا بهذه الأصول وأدخلوا العقول وغيرها، فضلوا في ذلك وأضلوا، وأن الكلام في القدر ليس بالظنون ولا التخرصات بل لابد أن يتلقى بمشكاة الوحي وهو المبين ومن كلام رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم، فنقول أن الكلام في القدر كما قلنا القدر كما قال علماؤنا هو سر الله من قدرة الله أي من صفات الله وصفات الله وأسمائه وأفعاله غيب لنا فلا يمكن لنا أن نتكلم في ما كان غيباً إلا إذا ثبت لنا عن طريق الكتاب والسنة عن طريق الوحيين.

وهذا كلام ابن القيم في هذه المسألة قال (ولما كان الكلام في هذا الباب نفياً وإثباتاً موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره كان أسعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين وتشكيكات المتكلمين وتكلفات المتنطعين واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين، فإن كلماته الجوامع والنوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشفت وجمعت وفرقت وأوضحت وبينت وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن)،

هذا الكلام لابن القيم عليه رحمة الله تعالى، يبين لنا أن العلماء يثبتوا لنا هذه القاعدة لأن لما كان الكلام في القدر يرجع لصفات الله وكما سنبين القدر مراتب أربعة سيأتي الكلام عنها في القاعدة الآن أن شاء الله، هل هي مسألة العلم وهذه صفة العلم والمشيئة والخلق صفات لله، فالكلام عن القدر يتضمن صفات لله عز وجل وصفات الله الريب فلابد أننا عندما أردنا أن نتكلم فيها بما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم إذا الكلام في القدر لابد أن يكون موقوفاً على نص الشارع، وهذا أمر متقرر عند أهل العلم ومن أهل السنة والجماعة.

الاستدلال على هذه القاعدة أدلة عامة حقيقة وأدلة خاصة،

الأدلة العامة كل الأدلة التي تنهى عن القول والجدال في الدين بغير علم يدخل تحت هذه القاعدة :

في قوله تعالى " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ أن الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ" وقوله تعالى" إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وأن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" فكل هذه أدلة عامة أنك لا تقول على الله ما لا تعلم لأنك أيضاً أنك لا تقول هذا حرام وهذا حلال تفتري على الله الكذب لابد أن ترجع فيه إلى نص من ذلك أصالةً، فهذه أدلة عامة وقلت أن كل دليل فيه النهي عن الكلام بغير علم يدخل في هذه القاعدة.

ثم أيضاً أدلة خاصة وهي أن ما جاءنا من الكتاب أو من السنة:

نأخذ به وما لم يأتينا في هذا الباب لا نعمل به قال تعالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ أن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" هذا كله شامل لأصول الدين ككل يعني ليس القدر فقط في كل أصول الدين (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) إذاً الباب باب ونص لابد فيه أن نرجع لما جاءنا من النصوص نفياً أو إثباتاً ، وأيضاً قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ أن اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يعني لا تتكلم في أمر من هذه الأبواب أمام كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة معنى (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) يعني لا تتكلموا خلاف ما جاء في الكتاب والسنة، ومنها أيضاً قوله تعالى"وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ" يعني مرده إلى الله عز وجل.

هذه مسألة مهمة في القاعدة ليه؟ لأنها تبين لنا مصدر التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة في باب القدر وفي كل أبواب العقيدة حقيقة، حتى باب الأسماء والصفات وغير ذلك، هذا أننا الأصل عندنا في مصدر التلقي والاستدلال ووجوب الوقوف على النصوعدم تجاوزه وهذه مسألة ضابط وأصل أصيل عند أهل السنة والجماعة في أبواب العقيدة وخاصة في أمور الغيبيات علينا أن نقف فيه عند النصوص ولا نعمل العقول فيه والأقيسة التي وقع فيه ما وقع بناء الطوائف الأخرى في المبتدعة في باب الإيمان في ذلك ثابت أو متوقف على نصوص الوحي أصالةً، **وتكلم كثير من السلف منهم طاووس عليه رحمة الله قال (اجتنبوا الكلام في القدر فإن المتكلمين فيه يقولون بغير علم أيضاً،)** ويعني أن بمجرد الرأي في القدر لا يجوز وهذا مهلكة يقع فيها المرء.

إذاً هذا يبين لك أن القاعدة تبين لك حرمة الانتقال من نصوص الوحي في باب الإيمان بالقضاء والقدر وهذا الذي خالف فيه طوائف، وخصومة أهل السنة والجماعة هنا في هذه القاعدة مع المتكلمة ما يسمون المتكلمة؛ والمتكلمة طوائف كل منهم المعتزلة الأشاعرة الجهمية لأنهم يسمون أتباع أهل الكلام واتبعوا المنطق والأقياس المنطقية والعقول وقدموها على النصوص

الشرعية في بعض الأبواب كما بينا في بداية البرنامج في باب الأسماء والصفات وهنا أيضاً في باب القدر وقعوا في تقديم العقل على النقل وجعلوه أصلاً كلياً وقدموه على التلقي والاستدلال من نصوص الوحي، وأن كان الطوائف هذه على يعني على اختلافهم في الدرجات في التعامل مع تقديم العقل على النقل وهذا يرجع طبعاً لتشبههم أو أخذهم ذلك من فلاسفة اليونان والهند والمنطق.. منطق أهل اليونان فوقعوا في مسألة بأنهم عظموا الفلسفة والكلام وكانوا عندهم بعد عن الحديث ومعرفة الحديث وعلم الحديث بل ما عندهم علم بعلم الحديث بل أجهل الناس في ذلك، فأدى ذلك إلى أنهم قدموا العقل في ذلك، وكان لهم مواقف أو مسالك في رد النصوص لأنهم لما قدموا العقل مع وجود النصوص كان لهم مسالك في رد النصوص منه مسلك الرد ومنه مسلك التأويل، ومسلك الرد يعني يطعن في صحة النص يعني يأتيك النص حديث يطعن في ثبوته حتى يرده ويجعله مخالف هو أصلاً عنده العقل أولاً فلما وجد النقل يخالفه فلابد له من مسلك أن يرده، فمسلك الرد أن يطعن في النصوص، وهذا قال به أئمتهم يعني يطعن في نصوص يعني لا يثبت النصوص طبعاً.. وهو لن يستطيع أن يطعن في القرآن لكن يأتي في السنة فيطعن في النصوص السنة فيضعفها أو يكذبها وهذا ورد عن كثير من المعتزلة وغيرهم في ذلك المسألة وليس المقام مقام المخالفين لكننا نبين الذين خالفوا كيف خالفوا ولا نستفيض لأن القاعدة والبرنامج تأصيل لعقيدة أهل السنة والجماعة وليس التعرض للمخالف تفصيلياً. لكن نقول بأنهم سلكوا مسلك الرد، **حتى أن بعضهم قال (فإن روى الراوي ما يحيله العقل ولا يحتمل تأويلاً صحيحاً فخبره مردود)**، انظر هذا من المعتزلة يقول أن الراوي إذا روى رواية حديثاً ما يحيله العقل يعني لا يقبله العقل على أصولهم أو على أي عقل، ولا يحتمل تأويلاً يعني لا يستطيعوا أن يأولوه فقالوا هنا فخبره مردود يعني ما انصاعوا للحديث إذا كان صحيحاً واتهموا عقولهم، لا بل جعلوا عرضوا الحديث على العقل فإن وجدوه يخالف العقل على زعمهم فإما يأولوه ما استطاعوا يأولوه يردوه يقولوا الحديث هذا مكذوب أو غير صحيح مردود أصالةً، أو في الرد يؤمنوا ببعض النصوص دون بعض فطبعاً في المتواتر ما استطاعوا أن يردوه لأنه متواتر في حكم القرآن أيضاً، وجاءوا في أخبار الآحاد ردوها فقالوا لا تفيد العلم بل تفيد الظن فلا يؤخذ منه اعتقاد لأن الاعتقاد لابد أن يكون باليقين وليس بالظن، فردوا أكثر السنة على أن أخبار الآحاد ليست من التواتر، وأكثر السنة آحاد أصالةً فردوا أخبار الآحاد في العقيدة ولم يعملوا بها، **حتى أن الرازي قال كلاماً قال (أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز)..** وهذا الكلام لا يقبل، وجعل من وجوه الدلالة على ذلك أن أخبار الآحاد مظنونة فلا يجوز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته، وهذا الكلام طبعاً ليس مقام أن أرد عليه لكن أنا أبين لكم كيف خالفوا؟.. ليه القاعدة هذه مهمة عندنا جداً، لأن مخالفة الطوائف المبتدعة فهي خالفت في هذه المسألة جل الطوائف المبتدعة الذين يعدوا من أهل الكلام خالفوا بأنهم لم يجعلوا النقل أساساً بل جعلوا العقل هو الأساس والنقل تابع له، إذا خالف النقل ما اعتقدوه عقلاً أول مسلك أنه يرده، يرده إما أنهم يكذبوا الحديث يردوه أو يقولوا بأصولهم نأخذ المتواتر ولا نأخذ الآحاد هذا مسلك ما يسمى الرد أصالةً، وعندهم طبعاً هم أيضاً من ضمن الرد يكتمون بعض النصوص وهذه طامة كبرى عند المخالف وللأسف تأثر بها الآن من يحسبون أنفسهم على أهل السنة والجماعة حتى في المسائل الفقهية ليس في العقيدة، يعني أهل السلف كما يعني يقول وكيع بن الجراح وهذا التنين كما يسمونه أهل الحديث هكذا لأنه كان يعني من أساطيل الحديث فقال أهل العلم انتبه! قال (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم) وهذا انتبهوا لأنه أصل كان بيقولونه في الطوائف المبتدعة، من الطوائف المبتدعة يكتمون النصوص يعني يريد هو يروج لقوله فيأتي بالنصوص والقول الذي يخالف ما يقول ولو وجد له نصوص وأدلة يخفيها يكتمها ما يتكلم عنها أصالةً، لا يظهرون من

النصوص إلا ما يوافقهم ويوافق هواهم وأهل العلم ما يفعلون ذلك، أهل العلم عندهم تجرد في المسائل العلمية تعرض المسألة بأقوالها وبأدلتها ثم أنت تقول ما يترجح لك لكن لا يخفي دليلاً بحجة أنه يريد أن يقوي قوله بل هذا من فعل أهل الأهواء، وللأسف أن البعض تأثر بذلك في زماننا في حتى في المسائل غير العقائدية، عندما يتكلم في مسألة تجده هو يقول دلائل فيأتي بالأدلة على رأيه ويكتم بعض الأدلة في أقوال المخالفة له كأنها غير موجودة وهذا ليس مذهب أهل العلم وخاصة في المسائل العقائدية المهمة التي تهم الأمة لابد أن تُعرض بحيادية تُعرض بتجرد علمي ثم أنت بعد ذلك أردت أن ترجح أو تقول بقول من يرجح بشيء تبين بالدليل والرد على المخالف لكن لا تخفي الأدلة ومن يفعل ذلك ضعف وهوى ولا يريد إلا أن يلزم المخالف بشيء وللأسف إنه لن يستطيع لأن الادلة موجودة وثابتة فماذا تكتم أنت؟

لكنه هي طريقة أصلها كانوا يفعلون أهل البدع **كما قال الوكيع بن الجراح (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم فقط)** ثم من باب الرد يطعنون أيضاً في نقلة الحديث يأتي لبعض الرواة كما تجرأ البعض من الأول على الصحابة وعلى من دون الصحابة فلما يجد الأحاديث يخالف الهوى والعقل عنده يبدأ يسب الصحابي نعم وهذا تجده عند الطوائف المبتدعة كما فعل عمرو بن عبيد عن السمرة لما قيل له الحسن عن السمرة في السكتتين قال ما تصنع بسمرة قبحه الله سمرة، وهذا صحابي انظر كيف يتجرأ على الصحابة ونعوذ بالله أستغفر الله من ذلك لكن أنا انقل للعلم هنا طبعاً لكن نقول أن البعض تجرأ وطعن في نقلة الحديث. هذا المسلك الأول وكان مسلك الرد له الصور التي تبيناها الآن أربع صور.

ثم المسلك الثاني وهو مسلك التحريف هو يسمى التحريف حقيقة وليس التأويل هو يعني يجملونه بالتأويل وهو ليس بتأويل هو في الحق تحريف هم سموه تأويلاً ليلبسوا على العوام فقط، لكن التحريف هو اللفظ الصحيح طبعاً، نحن نتكلم هنا لأن التأويل له أنواع ليس مقام نشرح لأننا شرحنا التأويل من قبل لكن أنا اتكلم هنا في عند المبتدع والأهواء هو حقاً تسموه تحريفاً وليس تأويلاً بخلاف قد يكون هناك تأويل فعلاً في بعض النصوص واجتهاد يصيب أو يخطئ فهذا موجود عند أهل السنة والجماعة، لكن نقول هذا الذي سموه تأويلاً وهو تحريفاً وهذا طبعاً قد يكون تحريفاً للفظ قد بيناه على فكرة في قواعد الأسماء والصفات أو تحريف اللفظ لما قرأ بعضهم قول الله عز وجل **"وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا"** من الذي كلم هنا؟ الله **(كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)** إثبات للكلام قرأها بعضهم من المعتزلة (كَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا") جعل الذي تكلم هو موسى مع الله وليس الله يتكلم حتى لا يثبت صفة الكلام وطبعاً ردوا عليه وقالوا ماذا تفعل بقوله تعالى**(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)** تصريحاً فإن الله عز وجل قد كلم موسى عليه السلام، هذا تحريف للفظ وقد يكون تحريفاً للمعنى، كما فعل من الأشاعرة وغيرهم الذين حرفوا معنى كل الصفات الفعلية وتقول (غضب الله) يقول لك لا الغضب هو إرادة الانتقام المحبة إرادة الثواب وغير ذلك أو اليدين بمعنى النعمة أو القدرة كل هذا تحريف في المعنى مردود عليهم، فهذا كله يرجع حقيقة بأنهم ما قدموا النقل على العقل بل قدموا العقل على النقل في ذلك وهذا كذلك باب القدر وقعوا فيه مما وقعوا فيه وسيأتي معنى الكلام لكننا نثبت هذه القاعدة حتى ننتهي.

ندخل للقاعدة التي تليها وأن إثبات القدر لا يكون إلا بنصوص الوحي من الكتاب ومن السنة وليس فيه تقديماً للعقل أو إثباتاً للعقل لأنه باب من باب الغيب

انتبهوا معي القاعدة هذه قد تطول معنا اليوم وأن شاء الله نحاول ننجزها اليوم عدة مسائل زيادة وإنها غالباً سمعتموها كثيراً من قبل في باب القدر لكن سنزيد في التفاصيل والقاعدة تتكلم عن الإيمان بالقدر متوقف على إثبات العلم لله والكتابة والمشيئة والخلق وهذا أصل أيضاً.

طيب أولاً هذه قاعدة ليه قلنا إنها قاعدة؟ ومن أين؟ من تقرير أقوال أهل العلم لذلك الإمام ابن القيم في كتاب الشفاء العليل لما تكلم في باب مراتب القضاء والقدر الباب العاشر قال (مراتب القضاء والقدر التي لمن لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي **أربع مراتب**؛ المرتبة الأولى علم الرب الخالق سبحانه بالأشياء قبل كونها قال الثانية المرتبة الثانية كتابته لها قبل كونها الثالثة مشيئته لها الرابعة خلقه لها)، كذلك قال ابن تيمية رحمة الله عليه قال (الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين الدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق وأما الدرجة الثانية) يبقى الدرجة الأولى العلم والكتابة قال (وأما الدرجة الثانية فهو مشيئته مشيئة الله النافذة والقدرة الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إألا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه) هنا يبين لك أيضاً كلام ابن تيمية على الدرجات الأربعة درجتين وجعل في كل درجة نوعين يعني الذي هي الأولى العلم والكتابة والثانية المشيئة والخلق، كذلك ابن رجب رحمه الله قال (الإيمان بالقدر على درجتين إحداهما الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعلمه من خير وشر وطاعة ومعصية إلى أن قال أيضاً وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه ثم الدرجة الثانية قال أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وشاءها منهم فأثبت الخلق والمشيئة).

إذاً هذا كلام العلماء في تقرير القاعدة، فنحن استقراء هذه من القاعدة هنا هذا كلام علماء السلف في إثبات أن الإيمان بالقدر لا يكون إلا بهذه الأربعة.

لكن الأدلة على القاعدة يعني من قال أن الإيمان بالقدر يكون على هذه الأربع درجات؟ نقول يعني لأنه لم يأتي في الشرع نصاً صريحاً على ذكر الأربعة، يعني أن نقول لك الإيمان بالقدر هو الأربع مراتب مثلاً هكذا لكن أهل العلم عرفوه بالاستقراء والتتبع للنصوص الشرعية الواردة في القدر، وكذلك توقف الإيمان بالقدر على إثباتها لأنه كما سنبين في شرحها لأنه لم يرد نص بخصوص هذه المراتب ولا بد تعلم هنا حتى ما يشكل عليك أحد من أين أتيتم؟ قلنا العلماء السلف استقراءً للنصوص فعلموا أنه لا يصح الإيمان بالقدر إلا أن تؤمن بهذه الأربع مراتب ووجدوا أن المخالف لأهل السنة والجماعة وقعوا في هذه الدرجات في إثباتها فخالفوا أهل السنة والجماعة، لذلك فقالوا إذاً الإيمان بالقدر متوقف على هذه الأربعة يبقى هنا من باب الاستقراء للنصوص، لكن كل مرتبة من هذه المراتب الأربعة لها أدلة كما سنبين، هذه المراتب الأربعة العلم والكتابة والمشيئة والخلق لها أدلة في إثباتها، لكن نحن نتكلم عن مسألة أننا جعلنا الإيمان بالقدر على هذه الأربعة وهذه سيظهر لك بأنك لا يمكن أن تؤمن بالكتابة والمشيئة والخلق إلا أن تؤمن بالعلم أولاً، فكيف تؤمن بأن الله كتب إلا إذا كان علم يعني كان يعلم أو عالم بكل شيء فلما آمنت بالعلم وجاءتك الأدلة بالكتابة ثم جاءتك الأدلة بأن كل شيء بمشيئة الله عز وجل وأن الله خالق كل شيء فعلمت أن الإيمان بالقدر لابد أن يتقدمه العلم وإلا لو نفيت العلم لا يمكن أن تثبت كما سيأتي معنا لا الكتابة ولا المشيئة ولا الخلق كيف ستثبت الكتابة

لشيء لم يعلمه أصلاً وأن الله عليم؟ كيف سيكتب ما لم يعلم؟ وبالتالي كيف يشاء شيئاً لم يعلمه ولم يكتبه كذلك كيف يخلق شيئاً لم يريده ولم يشاءه ولم يكتبه ولم يعلمه.لذلك المسألة كلها تبين لك أن هذه المراتب الأربعة لازمة حتى يصح الإيمان بالقدر وقلنا الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.

سننتقل الآن عن الكلام عن الأربع مراتب وفيه قواعد فرعية في كل مرتبة قد يأتينا إن شاء الله فسأنبه عليها أنها قاعدة فرعية من القاعدة التي معنا لكن القاعدة الأصلية أن (الإيمان بالقدر متوقف على اثبات العلم لله والكتابة والمشيئة والخلق).

نبدأ بمسألة المرتبة الأولى وهى مرتبة العلم قلت أن هذا قد درسناه من قبل لمن درس معنا لكن مراجعة لمن درس من قبل وفي زيادات إن شاء الله اليوم أيضاً ولمن لم يدرس فهذه تأصيلاً له لابد أن يعلم كيف يكون الإيمان بالقدر؟

قال تعالى في مسألة الإيمان المرتبه الأولى مرتبة العلم قال تعالى(ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وأن الله بكل شيء عليم كما سيأتي الآن وقوله تعالى {وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ } [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٥٩] وهنا الآية الأولى (وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وهنا إثبات للعلم و إثبات أيضاً أن الله عز وجل اختص العلم له سبحانه وتعالى لم يعلمها لأحد غيره وهي مفاتح الغيب وما يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ثم من السنة وأنا انتقي لكن بعض الأدلة وإلا تتبعوا الآيات في القرآن ستجدوا آيات كثيرة على إثبات علم الله عز وجل.

هنا حديث علي رضي الله عنه وأرضاه كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَومٍ جَالِسًا وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ به، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: ما مِنكُم مِن نَفْسٍ إلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلا نَتَّكِلُ؟ قالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بالحُسْنَى}، إلى قَوْلِهِ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: 5 - 10].

وهنا يبين ما من نفس من الذي علم ؟؟ الله عز وجل.

حديث ابن عباس رضي الله عنه سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن أوْلادِ المُشْرِكِينَ، فقالَ: اللَّهُ أعْلَمُ بما كانُوا عامِلِينَ

نعم

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه -قيل: يا رسولَ اللهِ أعُلِمَ أهلُ الجنَّةِ مِن أهلِ النَّارِ ؟ قال: (نَعم) قيل: فما يعمَلُ العاملونَ ؟ قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (كلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِق.)

إذا كان أهل الجنة وأهل النارمعرفون

. من الذي عرف؟ الله عز وجل فهذا إثبات لعلم الله هذا مقامنا هنا درجة العلم وهذه المرتبة الأولى.

المرتبة الثانية في مرتبة الكتابة وهي سنثبت إجمالاً ثم نأخذ كل مرتبة ونبين فيها التفاصيل إن شاء الله لكن نثبت أول المرتبة إجمالاً المرتبة الثانية مرتبة الكتابة من القرآن قوله تعالى { أَلَمْ

تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَن ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ أَن ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٧٠] إثبات أن كل شيء في كتاب قال تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾ يعني كل شيء في الكتاب سيأتي معنا قال تعالى عن فرعون لما قال ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (51) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52)﴾ [طه : 51-52]) هذه كلها إثبات الكتابة أن الله عز وجل قد كتب مقادير السماوات والأرض كما سيأتي معنا في السنة حديث **ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " - يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ.**

"هذا إثبات أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ كما سيأتي وأيضاً من **حديث جابر رضي الله عنه لما جَاءَ سُرَاقَةُ بنُ مَالِكِ بنِ جُعْشُم قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيما العَمَلُ اليَومَ؟ أَفِيما جَفَّتْ به الأقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ، أَمْ فِيما نَسْتَقْبِلُ؟ قالَ: لَا، بَلْ فِيما جَفَّتْ به الأقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ، قالَ: فَفِيمَ العَمَلُ؟ قالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بشَيءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: ما قالَ؟ فَقالَ: اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ.**

طبعاً الشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يثبت أن كل شيء كتب فيما جفت به الأقلام أي كتب كل شيء من **قبل وأيضاً حديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كُتِبَ علَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذلكَ لا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُما النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُما الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ.**

قال كتب وهذه تدل على مرتبة الكتابة **المرتبة الثالثة** من المراتب المشيئة إثبات المشيئة وقوله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ أَن ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سُورَةُ الإِنسَانِ: ٣٠] طبعاً إثبات المشيئة واضحة لله عز وجل وإثبات أيضاً مشيئة العبد كما سيأتي معنا بأنها دون مشيئة الله قال تعالى ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾ سُورَةُ المُدَّثِّرِ: ٥٥-٥٦] وأيضاً من قوله تعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سُورَةُ التَّكْوِيرِ: ٢٩] أيضاً إثبات المشيئة لله عز وجل أما من السنة **حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولإذا مرَّ بالنطفةِ اثنتانِ وأربعون ليلةً ، بعث اللهُ إليها ملكًا فصوَّرها ، وخلق سمعَها وبصرَها ، وجلدَها ولحمَها وعظامَها ، ثم قال : يا ربِّ أذكرٌ أم أنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يقولُ : يا ربِّ أجلُه ، فيقول ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يقول : يا ربِّ رزقُه ، فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملَكُ ، ثم يخرجُ الملَكُ بالصحيفةِ في يدِه ، فلا يزيدُ على أمرٍ ، ولا يُنقِصُ**

وأيضاً من حديث ابي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصلاة لما ناموا عن الصلاة في إحدى الغزوات صلاة فجر واستيقظوا في حر الشمس حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، ورَدَّهَا حِينَ شَا

وهذا كله إثبات للمشيئة من السنة.

المرتبة الرابعة الخلق وقوله تعالى من القرآن{ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٦٢] وأيضاً قوله تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ } [سُورَةُ فَاطِرٍ: ٣] ومن قوله تعالى"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ " ثم هذه تبين أن الله خالق كل شيء أيضاً **من السنة حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً.**

هذا إثبات الخلق لله بل أنكر الله عز وجل على من يصور هو طبعاً حديث آخر لعن الله المصورون ليبين أحيوا ما خلقتم العلة وهذا يشمل كل مصور فيه وعيد للتصوير بالكلية قال **وحديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " خَلَقَ اللهُ آدَمَ وطُولُهُ ستُّونَ ذِراعًا، ثُمَّ قالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ علَى أُولَئِكَ مِنَ المَلائِكَةِ، فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقالَ السَّلامُ علَيْكُم، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ، فَزادُوهُ: ورَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتَّى الآنَ.**

"طبعاً الشاهد أن الله خلق آدم إثبات الخلق لله عز وجل أيضاً والأدلة كثيرة حقيقة من السنة أيضاً عن إثبات خلق الله عز وجل نقول هذه المراتب الأربعة إجمالاً سندخل في التفاصيل أكثر إن شاء الله لكن نبين هذه القاعدة تقرر لك مراتب القدر ووجوب الإيمان بهذه المراتب لتحقيق صحة الإيمان بالقدر ولو لاحظت بأن الإيمان بهذه المراتب له صلة وثيقة بالإيمان بصفات الله سبحانه وتعالى لأن المراتب العلم والكتابة والمشيئة والخلق هي صفات لله العلم صفة لله والكتابة والإرادة والخلق كلها صفات الله عز وجل، لذلك الإمام أحمد لما تكلم عن القدرقال (القدر قدرة الله على عباده) فجعل القدر هو قدرة الله والقدرة طبعاً صفة من صفات الله عز وجل وحتى ابن زيد بن أسلم رحمه الله قال (القدر قدرة الله فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله) انظر باب التكذيب بالقدر ممكن يكون كفر ليش ؟ لأنك لو كذبت بالقدر ستجحد قدرة الله وهى صفه من صفات الله وقدرة الله لا حدود لها، فإذاً هنا يبين لك الباب ليش أن متعلق الإيمان بالقدر من متعلقات صحة الإسلام وصحة الإيمان حتى هذا الكلام قاله شيخ الإسلام ابن تيمية لما أراد أن يعلق على كلام الإمام أحمد فقال (ولهذا قال الإمام قال والقدر يتعلق بقدرة الله ولهذا قال الإمام أحمد القدر قدرة الله تعالى يشير على أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله تعالى وأنه يتضمن إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء لتعرف ليش الباب في نفي القدر كفر؟ نقول يعني بأنه هينكر أو يرد لصفات الله عز وجل أيضاً لأنه هيرد ايه؟ قدرة الله هذا الباب الذي كما قال الإمام أحمد وبينه لنا ابن تيمية والعلماء.

طيب الآن دخلنا في المراتب الأربعة سنأخذ مرتبة مرتبة نتكلم عنها تفصيلياً وما يتبعها من ضوابط أو قواعد لابد أن نبينها في أصول أهل السنة و يقولون الإيمان بعلم الله عز وجل أن علم لا محيط بكل شيء محيط بالموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات في علم علم

ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون وعلم علمه بالخلق ما كانوا يعملون وعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم لأنه علم كل شيء فعلم أيضاً ما سيعملونه الخلق قبل أن يخلقوا علم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم علم بجميع حركاتهم وسكونهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هم من أهل الجنة ومن هم من أهل النار كل هذا قبل أن يخلقهم سبحانه وتعالى وقبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك كله وعلم كثيره وقليله ظاهره وباطنه سره وعلانيته ابتداه ومنتهاه كل هذه من صفات الله عز وجل العليم فسبحانه اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب وهذه المرتبة اتفق عليها كل رسل الله عز من قبل واتفق عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أول الأمة إلى أن خالفوا بعد ذلك كما سيأتي مجوس هذه الأمة أو يسمون المجوس الأمة وهم القدرية الأوائل الذين خرجوا في أواخر عهد الصحابة فتبرأ منهم الصحابة كما سيأتي في حديث ابن عمر لما كان في الكوفة من قال بالقدر فنفى القدر نفى العلم والكتابة وغير ذلك فجاء بعضهم يسألون ابن عمر عن ذلك فقال أخبروهم بأني بريء منهم ثم ذكر له حديث جبريل الواقعة معلومة وهو أول ما ظهر من أنكر القدر من غلاة القدر لذلك نفوا علم الله عز وجل ونفوا المراتب وقد أجمع أهل السنة على تكفير غلاة القدرية بسبب ذلك لكن سنبين الآن علم الله عز وجل حتى تثبته وتؤمن به فلابد أن تثبت خمسة أصناف من هذا العلم أو يعني نقول خمسة أمور ليكتمل لك الإيمان بعلم الله عز وجل

الأول شمول علمه سبحانه وتعالى لما يتعلق به سبحانه وتعالى من أسماء وصفات وكذلك من ذاته فكلها معلومة له قال شيخ الإسلام ابن تيمية اللطيف الخبير علمه بنفسه أولى من علمه بغيره وعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بلوازم ذاته يعني يريد أن يقول قال ابن القيم في ذات الرب سبحانه وصفاته وأسماءه ومعلومة له يبقى هنا أول نوع شمول علمه سبحانه وتعالى لما يتعلق به سبحانه وتعالى من أسماءه وصفاته وكذلك ذاته فكلها معلومة له هذا أول نوع

النوع الثاني شمول علم الله عز وجل ما كان في الماضي وقد علم الله عز وجل ما كان في الماضي من دقائق الأمور ولا يخفى عنه خافية سواء فيما يتعلق بهذا العالم وما جرى فيه أو ما سبقه من عوالم لا نعلمها نحن يعلمها الله عز وجل أو فيما يتعلق بنفسه سبحانه وتعالى أو يتعلق بمخلوقاته ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى في قصة موسى مع فرعون ﴿{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (51) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52)}﴾ [طه : 51-52]) إذاً يبين لك أن سؤال فرعون عن الأنبياء والرسل وما قبل ذلك من علوم فقال له موسى عليه السلام ﴿(قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52)}﴾ [طه : 52]) يعني جواب من موسى عليه السلام لفرعون هو بيحتج فرعون على موسى بشرك الأمم الماضية يعني أين شرك الأمم الماضية فقال هم - الذي هم لم يعبدوا الله عز وجل- فقال موسى له علمهم عند الله مضبوط عليهم أحصاهم الله وسيجازيهم على ذلك لكنه يبين أن كل هذا عند الله عز وجل قال لا يضل ربي ولا ينسى يعني لا يفوته سبحانه وتعالى لا صغيرة ولا كبيرة فأثبت كمال العلم له وإحاطته بكل شيء فيما مضى وهذا الذي نحتاجه الآن فيما كان في القرون الماضية أصالةً لأن علم المخلوق يفارق علم الخالق فالمخلوق قد يعلم وينسى لكن هو قال لا يضل ربي يعني لا يفوته شيء صغير وكبير ولا يمكن أن ينسى الله عز وجل شيء سبحانه وتعالى بخلاف طبعاً المخلوق العاجز الذي قد يضل يغيب عنه أو ينسى حتى بعد أن يعلم.

الثالث شمول علم الله لما يكون في المستقبل وطبعاً يبين لك علم الله في القرون الماضية ما حاكاه لنا الله عز وجل عن الأقوام عاد وثمود قوم صالح وقوم لوط وإبراهيم عليه السلام كل هذا الله عز وجل حكاه لنا في القرآن وغيرها فهذا علم ما كان و علم المستقبل شمول علم الله لما سيكون في المستقبل وهذا لما يأتي سواء سيأتي بمستقبلنا أو كان في مستقبل من قبلنا إلى قيام

الساعة وبعد قيام الساعة إلى إنزال الناس منازلهم في الجنة أو في النار كل هذا فيما سيكون مستقبلاً يعلمه الله عز وجل وكيف نستدل على ذلك؟ قال **تعالى** { مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [سُورَةُ الحَدِيدِ: ٢٢] وهذا دليل على شمول علمه في المستقبل الزمان المستقبل **وأيضاً كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ.**

"دل ذلك على إثبات العلم أنك تثبت شمول علمه لما سيكون في المستقبل وأيضاً سابق علم الله لأنه كتب فكل ما كتبه معناه أن الله عز وجل يعلم ما سيكون لكن كتب كل شيء أيضاً وطبعاً كل الآيات والأحاديث التي تتكلم عن الغيبيات التي ستحدث دلالة على علم الله لما سيكون أيضاً حتى دخول أهل الجنة الجنة قال تعالى (فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۖ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) [سُورَةُ الطُّورِ: ١٨-٢٠] هذا وصف الله عز وجل لما سيكون لأهل الجنة في الجنة وكذلك قال لنا عن عن الكفار {أَن ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٦) [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: ٧٤-٧٦] وأيضاً نصوص كثيرة حكاها لنا لما سيكون في الحساب يوم الساعة حديث صاحب البطاقة مثلا وما تلاه علينا صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة وخروج الدجال ومأجوج ونزول عيسى بن مريم والمهدي عليه السلام و ما سيكون من أشراط الساعة الصغرى والكبرى هذه دلالة على شمول علم الله لما سيكون.

الرابع شمول علم الله لما لا يقع وهو علم الله بما لم يكن لو كان كيف سيكون، الذي هو لما لا يقع؟ يعني هو لن يقع لكن الله يعلم إن وقع كيف سيكون أيضاً، لأنه هذا فيه الجائز وفيه الممتنع الذي لم يقع لو كان سيقع كيف سيكون؟ هذا المقصود قال تعالى في الجائز عن المشركين قال أنهم تمنوا الرجوع إلى الدنيا فالله قال عنهم (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) الله عز وجل أعلمنا أن هؤلاء الكفار لو رجعوا لدار التكليف هو صحيح أن الله قد كتب أن من مات لن يعود لكن قدرة الله إن أراد ممكناً أن يرجعه قال تعالى (يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) لكن الله يبين لنا حتى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون، يبين بأنه حتى لو رجعناهم مرة أخرى لدار التكليف في الدنيا لن يؤمنوا بل لو رجعوا هيرجعوا للكذب والكفر مرة أخرى وأيضاً قوله عن المشركين (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ) يعني الله عز وجل يقول سبحانه لو علم فيهم خيراً قال **(لَّأَسْمَعَهُمْ)**يعني لاسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا لكن الله قال ماذا (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ) أيضاً (لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ) حتى يعني لو أراد أن يسمعهم بعد ذلك بعد أن انتهاء دار التكليف أيضاً سيتولوا وهم معرضون وهذا كله نقول لم

يحدث أو لن يحدث لكنه ممكن من الجائز لو أراد الله ذلك لكان لكن الله أراد أن يبين لنا علمه عن هؤلاء ولو ردوا أيضاً أنهم سيعودون لما كانوا عليه وأنه كتب عليهم الشقاء وحتى أنهم لو عرض عليهم مرة أخرى سيكونون من أهل الشقاء لأنهم سيعرضون عن الإيمان.

وأما النوع الثاني الذي هو الممتنع الذي هو لن يكون ولا يمكن أن يكون قال تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ (٢٣)] [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٢٢-٢٣]فالله عز وجل أخبر عن علمه بما ينتج عن هذا الأمر المستحيل وهو ايش؟ لأنه لا يمكن أن يكون فيه آلهة غير الله لأن هو الإله إله واحد سبحانه وتعالى ما من إله إلا الله الواحد القهار والله يقول {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} يعني كل إله ينازع دليل التمانع كما يسمى على أن كل إله سينازع الإله الثاني حتى هذا يريد الخيروهذا يريد الظلام هذا يريد النور إلى غير ذلك فتفسد السماوات والأرض لابد لها من إله واحد وهذا مستحيل يعني الأول كان ممكن بقدرة الله لو أراد لكن هذا استحالة أن يكون هناك آلهة غير الله عز وجل لكن الله يبين ولو كان في آلهه غير الله لفسدت السماوات والأرض قال تعالى {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)] [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٤٢-٤٤] يعني لو كان هناك آلهه مع الله كما يقول المشركون وهذا ممتنع إذاً لابتغت تلك الآلهة القربى إلى الله أيضاً ليش؟ لأن الله هو الحق الإله الحق وهذا لن يكون أصالةً ليس هناك آلهة مع الله لكن هذا يسمى علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون الجانب الممتنع والأول كان الجانب الجائز لهذا لابد أيضاً أنك وأنت تؤمن بعلم الله أن تؤمن بهذا النوع من شمول علم الله لذلك أيضاً.

ثم الخامس وهذا لعله زيادة وإن أزدناه لنبين المسألة ستأتي لاحقاً يعني في الدراسات الأخرى شمولي علم الله للجزئيات هذه مسألة مهمة جداً أنك تقررها أيضاً وأنت تثبت علم الله ثبوت شمول علم الله للجزئيات يعني ايش؟ أن علم الله لا يقتصر على الكليات ولكن يشتمل الجزيئات أيضاً ليش بنقول؟ لأنه جاءوا أصحاب الفلاسفة حتى ما نتوسع وقلت في المخالف الفلاسفة وغيرهم أثبتوا علم الله الكلي ولم يثبتوا الجزئي فهنا بنضيف النوع هذا أيضاً ليثبت لك عند في عقيدة أهل السنة والجماعة شمول علم الله للجزئيات يعني أن علم الله لا يقتصر على الكليات بل هو شامل للتفصيليات والدقائق فالله يعلم كل أمر حقير كان أو عظيم كان يعني يسير كان كبير أو صغير إلا والله يعلمه ويعلم أدق التفاصيل في كل وجميع ما يتعلق به طب ما الدلالة على هذا النوع؟ قوله تعالى {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ] [سُورَةُ سَبَإٍ: ٣]{ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ

{ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٥٩]ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين أيضاً والدلالة أيضاً الصريحة من قوله تعالى {.....مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ....} يعني الله عز وجل يقول أنه كتب لكل مخلوق قَدْره وما يخصه وقَدَره أيضاً ما يخصه من الكيفية والكمية وأعماله وكل شيء، قال تعالى {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ} وهنا أبلغ في العلم عن الأمور الجزئية فتقدير الله عز وجل يتضمن العلم القديم - ما كان - وعلم بالجزئيات أيضاً كلها والتفاصيل لها أيضاً.

ومنها ممكن تقول يستدلون بقوله تعالى {.... وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} فكأنه بكل خلق كلية شمول الخلق والخلق يشمل أفعال العباد والعباد وذواتهم، فإذًا كل التفاصيل ما دام الله خلقها فهو يعلمها لأن الخلق راجع للعلم والكتابة والمشيئة أيضاً.

وقال تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} وهذا استنباط عظيم من الآية {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} فهنا قال ابن تيمية في هذه الآية استدل بها على علم الله بالجزئيات أيضاً، قال من جهة كون الخلق يستلزم العلم بالمخلوق لما هو خلق يبقى يستلزم العلم بالمخلوق ولما خلق الناس وأفعالهم والعباد يبقى علم أيضاً أفعالهم، فأيضاً علم جزئياتهم، ومن إثباته تعالى اللطيف الخبير أيضاً (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) وهذا يوجب العلم بدقائق الأشياء وخفّيتها أو خُفيها، فاللطيف الخبير أصالة يعني الخبير طبعاً هو العالم بكنه الأشياء المطلع على حقيقتها كقوله تعالى {.... فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} والخبير بمعنى العليم لكن لو أُضيف العلم إلى الأمور الباطنة الخفية سمي صاحبه خبيراً أصالة، واللطيف هو الذي لا تخفى عليه خافية، اللطيف له معنيان لكن المعنى الذي نريده الآن وهو الذي لا تخفى عليه خافية، من لطف الشيء يعني خفة الشيء، أحاط علمه بالسرائر والخفايا وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة هي تدخل مع الخبير وأيضاً اللطيف لا تخفى عليه خافية، وأما اللطيف بالمعنى الثاني هو اللطيف بعباده المؤمنين يعني يلطف بأعمالهم ومصالحهم وإحسانه إليهم، وهذا معنى آخر لكن المعنى الأول هو الذي نريده معنا في اثبات مسألة علمه بالجزئيات أصالة.

هذه أدلة صريحة نقول من باب المفهوم، هذا كان كله منطوق أو النظر، لو قلنا لو لم يكن الله عز وجل عالماً بالجزئيات لكان جاهلاً حاشاه ذلك والجهل نقص والله يتنزه عن كل نقص فهذا يدل على ثبوت علمه بالجزيئات أيضاً، وطبعاً قلت أن هذه المسألة زدناها في العلم للرد على الفلاسفة الذين أثبتوا علم الله الكلي ولم يثبتوا علم الله بالجزئيات.

طب من الذين خالفوا في هذه المرتبة؟ المرتبة هذه طبعاً التي هي إثبات العلم وشمول العلم لله عز وجل، خالف طائفتان:

1) الطائفة الأولى القدرية الأوائل الذين قلنا ظهروا أول ما ظهروا في الكوفة والبصرة وأنكروا علم الله بالمستقبل، وتبعهم بعد ذلك الروافض لأن هم يقولون بالبداءة وهذا غلاة القدرية، وغلاة القدرية حقيقة هم نفوا العلم نفوا المرتبة الأولى العلم ولما نفوا العلم فبالتبعية نفوا باقي المراتب لأننا قلنا باقي المراتب متوقفة على العلم، كيف سيكتب إن لم يكن علم؟ وكيف يريد ويشاء إذا لم يكن قد كتب وعلم وكيف يخلق وهو بدون علم؟ فإذًا لما أنكر العلم أنكروا الباقي لذلك اجتمعت الأمة على تكفير غلاة القدرية الذين أنكروا علم الله، لذلك قال الشافعي ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا خُصِموا وإن أنكروا كفروا اصالة.

2) ثم الطائفة الثانية في هذه المرتبة الفلاسفة الذين أنكروا علمه بالجزئيات وقد رددنا على هذه المسألة، يكفي أنك تعلم فقط من المخالف الآن لأن ليس في التأصيل هذه المرحلة أننا

نرد على المخالف نحن نريد نضبط فقط عقيدتنا في هذه المسألة ونعلم أن من خالف خالف في أي ضوابط فيها.

طيب ما زلنا في العلم إلى هنا بيّنّا أنواع العلم الذي لابد أن يؤمن بها من أراد أن يؤمن بمرتبة العلم في الإيمان بالقدر.

طيب في قاعدة فرعية ممكن تكون قاعدة فرعية والمقصود بها: (علم الظهور لا ينافي علم الله السابق) وهذه ستجد آيات تشكل على البعض لما يقرأها لذلك بوبناها بقاعدة فرعية وهي علم الظهور لا ينافي علم الله السابق يعني ايه؟ طيب ما هو علم الظهور أصالة؟ عشان نقرب لكم علم الظهور هو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده وهو العلم أيضاً الذي يترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب، طيب حتى نبين لك قول الله عز وجل {... وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ...} بعض الناس يقول يعني ربنا لم يكن عالم وعلم؟ طب ربنا لما قال {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} يعني هتدخلوا الجنة قبل أن يعلم الله الذين جاهدوا منكم والصابرين؟ قال تعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} هنا البعض يظن طب هو ربنا بلى حتى يعلم؟ وربنا لم يكن يعلم؟ هذا معنى علم الظهور ما هو؟ هذا علم الظهور الذي بيكون الله يبتلي ثم يرى من يوافق هذا الابتلاء من يجاهد ومن يصبر فيظهر، لكن في سابق علم الله هو يعلمهم، لكن هذا يسمى علم الظهور يعني ايه؟ العلم الذي سيكون بعد تحقق الموجود لما تأتي الفتنة والبلاء فيظهر من يجاهد ويصبر فهؤلاء الذين ظهروا، ظهروا لماذا؟ هذا علم الظهور ظهروا بعد تحقق الموجود الذي هو الفتنة أو البلاء أو غير ذلك، لكن في علم سابق سنشرح الآن الذي هو علم الله عز وجل السابق المدون في اللوح المحفوظ، أن الله يعلم من هم المجاهدين والصابرين لكن يبتلي حتى يظهر لنا ثم يثيب ويعاقب على حسب ما يكون، هذا علم الظهور الذي هو معناه نقول الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده وليس العلم السابق، هذا معنى علم الظهور وهو الذي يترتب عليه بعد ذلك المدح كما قلنا والذم والثواب والعقاب.

طيب هذه القاعدة موجودة عند أهل العلم؟ نعم قررها كثير من علماء السلف منها ابن قتيبة رحمة الله عليه قال إن إبليس لما سأل الله تعالى النظرة يعني أن ينظره يعني يتركه ماذا قال إبليس بعد ما أنظره الله؟ قال إبليس {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ} بكذا وكذا وكذا (لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) هو في هذا الوقت لم يكن مستيقناً إبليس وهو يقول أنه عنده قدرة أن يفعل ذلك، لكن هو كان يقوله ظانًا ذلك، فلما اتبعوه من اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه عليهم، فقال تعالى يعني فيما معناه وما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين فكان تسليط إبليس ليعلم الله عز وجل من سيتبع ومن سيرفض ذلك لإبليس وهذا كله علم الظهور بقى ظهر بعد التسليط لكن في السابق الله كاتب كل شيء ويعلم كل شيء، وهذا معنى القاعدة علم الظهور لا ينافي علم الله البعض يظن أن هذا العلم كأن الله لم يكن يعلمه يعني ظهر لله من اتبع الشيطان ومن لم يتبعه وظهر لله من الصابر ومن المحتسب ومن المجاهد وهذا خطأ لذلك القاعدة بتقول علم الظهور لا ينافي علم الله، طب الله لماذا قال ذلك؟ هنا نبين بقى ليظهر لنا من استجاب ومن لم يستجب وليبين لنا الله لماذا سيثيب ولماذا سيعاقب بناءًا على هذا الظهور الذي حدث، يبقى هذه الحكمة في ذلك أصالة، لذلك بعض العلماء كما قال السعدي أيضاً قال(بأن ما تعلق الله علمه بالأمور بعد وجودها كان المراد بذلك العلم الذي يترتب عليه الجزاء) البعض لما يقرأ هذه الآيات يظن - خطأ طبعاً بعدم دراسة - كأن الله لم يكن يعلم، لا

هذا بقى علم الظهور الذي هو سيترتب عليه الجزاء والثواب والعقاب بعد ذلك أيضاً، ويعني حتى قوله تعالى {... وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ...} المراد علم الظهور الذي يترتب عليه الثواب والعقاب.

طيب الأدلة قلنا الآيات التي ذكرناها تبين لك على أن هناك علم يسمى علم الظهور منها قوله تعالى: {.... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ...} وقد حدث لما تحولت القبلة هذه بعض الناس ارتدوا قالوا كنا بنصلي هنا ثم القبلة تحولت ما قبلوا ذلك ورجعوا عن الإسلام، هنا يقصد الله عز وجل أو مراد الله إلا لنعلم من يتبع الرسول يعني يظهر لكم ويظهر لنا وهذا لا ينافي علم الله السابق هنا أكرر من الذين عندهم إيمان ثابت وراسخ ومن الذي ليس عنده ذلك.

أيضاً قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ....} أيضاً ليعلم الله من يخافه بالغيب كل هذا من علم الظهور كما قلنا.

إذًا العلم بصفة عامة لابد ينقسم إلى قسمين:

علم سابق على وقوع الشيء، وعلم لاحق، وحتى نضبط تفسير القاعدة الآن، لنبين العلم السابق والعلم اللاحق والعلاقة بينهما، أنا أريد أن نبين العلاقة بين العلم السابق وعلم الظهور وأن ثبوت علم الظهور لله عز وجل لا ينافي ثبوت علمه السابق أصالة.

طبعاً نحن قدمنا قبل هذه القاعدة الأدلة على اثبات علم الله لكل شيء، فلابد تستحضر، يبقى ربنا يعلم كل شيء، كل شيء يعلمه سبحانه وتعالى ما كان وما لم يكن وما سيكون كله يعلمه، إذًا لا يمكن أن يكون في شيء لم يكن يعلمه وهذه معنى البداءة أنه يعني يبدو له شيء لم يكن يعلمه من قبل هذا في المخلوق أنت ممكن الآن أهو بتتعلم أشياء لم تكن تعلمها تبدو لك الله عز وجل لا يمكن، صفة العلم صفة ذاتية لله لازمة لله عز وجل فليس عنده البداءة التي هو لم يكن يعلم ثم علم، لا يمكن أن يكون عنده جهل ثم علم سبحانه وتعالى حاشاه ذلك، فإذًا الأدلة السابقة بينت لنا أن صفة العلم شاملة.

طب هنا لماذا نقسم العلمين؟ حتى نوضح كما بينا علم سابق الذي هو السابق على وقوع الشيء الذي هو العلم الأزلي الذي قد شرحناه، ثم علم لاحق الذي هو يتعلق بالمعلوم بعد وجوده، طب ما الفرق بين العلم السابق والعلم اللاحق؟ العلم السابق ليس فيه ثواب ولا عقاب لأنه أصلاً ليس له أثر حتى في الأحكام الشرعية هذا كله علم لله عز وجل مدون في اللوح المحفوظ والله يعلمه، ولا يعاقب الله عز وجل عليه وهذا من تمام فضل الله عز وجل وعدله مع أن الله يعلم أزلاً أن هذا سيقع من سيوافق علمه الشرعي الكوني أو سيقع معلومه ويوافق ما يريده وما سيخالف أصالة، لكن هذا العلم السابق لا يترتب عليه لا ثواب ولا عقاب، أما علم الظهور هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب ولذلك سنحتاج نتكلم عن أن عند أهل السنة والجماعة إثبات علم الظهور وأنه غير العلم السابق، ثم نتكلم عن أن علم الظهور لا يقدح في العلم السابق أصالة.

الأولى هو إثبات علم الظهور أنه غير علم الله السابق الذي عليه عامة السلف وأئمة السنة أن العلم التابع لوقوع المعلوم أمر ثبوتي، يعني ايه ثبوتي؟ العلم التابع لوقوع المعلوم أمر ثبوتي حقيقي وأنا سأبين لماذا هذه المسألة مهمة لكن لو كان حد مستحضر طبعاً في الدراسة معنا هنا الأسماء والصفات لما تكلمنا عن أن الأشاعرة في بعض الصفات تكلموا عن الشيء الحادث وأن معنى الحدوث عند أهل السنة والجماعة وعندهم، وتكلمنا عن قول عائشة في المرأة التي جاءت تشتكي قال تعالى {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ أن اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} فقالت سبحان الذي وسع سمعه كل الأصوات أنا في الحجرة

والمرأة مع النبي صلى الله عليه وسلم في ركن الحجرة لا أسمعها والله ينزل قد سمع الله وقلنا ساعتها أن الله عز وجل قد سمع وقت ما تكلمت وأن هذا من ذكر محدث وقلنا أن الحدوث هنا لا يستلزم الجهل بالشيء قبلها أو لا يستلزم الحدوث أن يكون مخلوقاً وأن سمع الله ممكن يكون حادث وعلم الله حادث في الوقوع، هذه المسألة مهمة لماذا؟ لأن هذا هو المقصود هنا بأن العلم تابع لوقوع المعلوم الذي تبع لوقوع المعلوم أمر ثبوتي حقيقي، لأن أهل السنة يثبتونها كذلك أصالة قال تعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...} أخبر الله عز وجل حصول الرؤية امتى؟ بعد وقوع المرئي. يبقى هنا في رؤية حادثة؟ نعم وهذا لا يقدح في الله عز وجل أنهم طبعاً لما قالوا لو أثبتنا الحدوث يبقى شبهناه بالمخلوق المسألة طبعاً في الأسماء والصفات لكن حتى أقرب لكم هنا معنى أن نقول بأن العلم التابع لوقوع المعلوم أمر ثبوتي يعني حقيقي بيقع كما قال تعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...} أخبر بحصول الرؤية بعد وقوع المرئي أصالة وخذوا بقى منها قوله تعالى أيضاً {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ أن اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} وقلنا حديث عائشة لما قالت ذلك، فإذاً السمع والبصر قطعاً يتعلق بالموجود بعد وجوده، وكذلك العلم هذا الذي هو علم الظهور يتعلق بالمعلوم بعد وقوعه أيضاً، وهذه مسألة مهمة جداً لأنك تثبتها وأن هو حقيقياً حتى لا تقع فيما وقع فيه الأشاعرة وغيرهم في نفي ذلك.

طيب هذه المسألة الأولى المعنى أن الله عز وجل أخبر بحصول الرؤية والسماع بعد الوقوع فيلزم منه ماذا هنا؟ هي الإشكال هنا ما الإشكال؟ أن يلزم منه حصول علم بعد الوقوع وهذا الاشكال الذي وقع فيه المبتدعة هم قالوا أنتم كده هتقولوا بحصول علم حقيقي بعد الوقوع فكأن الله علم شيئاً جديداً لأنهم لم يفرقوا بين العلم السابق وعلم الظهور، انظروا من أين جاءت الإشكالية فنحن نقول لا هو نعم وقع هذا العلم نثبته كما هو أيضاً لأن الآيات تبين ذلك وتفسير ابن عباس وغيرهم يقول ذلك (إلا لنعلم) يعني لنبين هنا لنعلم يعني علم حقيقي حدث لكنه علم ظاهر لا ينافي علم السابق كما سيأتي، المهم نريد أن نثبته أنه علم حدث فعلاً بعد وقوع المعلوم الذي هو قد بينه تعالى في الآية (إلا لنعلم) طيب، طبعاً لها تفسيرات عند الآية لكن هو المقصود هنا أن نعلم وهو علم الظهور بوقوع المعلوم أن الله يعلمه سبحانه وتعالى وهذا كان موجوداً في علمه السابق، لكن هذا العلم نقول العلم الظاهر، طيب يبقى أول حاجة أثبتنا أن علم الظهور علم يقيني حقيقي أن نقول حقيقي ثبوتي أيضاً.

طيب الثانية أن علم الظهور لا ينافي العلم السابق لماذا طيب؟ لأن الله عز وجل أخبر بثبوت علم الظهور أولاً مع إثباته قبل ذلك بعلمه السابق يبقى لا تنافي، يبقى علم الظهور هذا لابد أن يكون خلاف العلم السابق ليس كما وقع فيه المخالف لأهل السنة أنه ظن أن علم الظهور هو العلم السابق وكأنه بدا لله شيئاً لم يكن يعلمه، نقول لا، علم الظهور غير العلم السابق وقلنا الثمرة لماذا؟ لأن الله عز وجل يثيب أو يعاقب أو يمدح أو يذم من فعل ذلك أصالة، لكنه لابد أن نبين أن علم الظهور الذي أثبته الله عزوجل يضم إلى إثبات سبحانه وتعالى علمه إلى علمه السابق. لماذا قلنا هذا؟ لأن لو لم نفعل ذلك يبقى قدحاً في علم الله والله منزه أن يكون لم يكن يعلم ثم علم بعد ذلك أيضاً.

هذه العلاقة وقلنا مهمة جداً أننا نثبتها على ذلك أيضاً، ومتعلق العلمين مختلف العلم السابق يتعلق بالمقدر وعلم الظهور يتعلق بالموجود. ما الفارق ؟ العلم السابق يتعلق بالمقدر وعلم الظهور يتعلق بالموجود ولذلك يتحصل لك أن العلم الظاهر لا ينافي علم الله السابق.

من الذي خالف في هذه المسألة التي معنا؟ ، خالف طوائف الأولى منهم القدرية وغلاة القدرية والفلاسفة نفوا العلم بالمحدوثات إلا بعد الحدوث وهذه طبعاً فيها تفصيل لكن نوجزها هكذا.
وجهم بن صفوان طائفة ثانية غير الغلاة أيضاً لأنه قال أثبت علوم حادثة لله سبحانه وتعالى كأنه يثبت علوم حادثة لله عزوجل لم تكن في علمه السابق أيضاً.

الطائفة الثالثة وهم الكلابية والأشاعرة الذين نوهنا عنهم في الشرح قالوا بأنه يعلم المستقبل بعلم قديم. كيف ذلك؟ هم طبعاً لم يثبتوا علم الظهور هكذا يعني لم يثبتوا إن الله سمع لما جاءت المرأة لذلك دائماً يقول في الصفات لو تذكروا قديماً قالوا سمع قديم بصر قديم علم قديم كأنه كله في القديم ظناً منهم إنه لو أثبتوا الجديد إن هذا محدث فيكون يشبه الخالق بالمخلوق وأيضاً للأسف بعض فقهاء وبعض أصحاب المذاهب كل المذاهب تقريباً يعني الشافعية والحنابلة والمالكية والأحناف وقعوا في بعضها الأصحاب في بعض المسائل أيضاً وقعوا فيها بعض والصوفية وقالوا لا يتجدد له علماً أصالةً يعني وهذا الإشكال أنهم لم يفرقوا بين علم الظاهر وعلم السابق نحن كده انتهينا من مرتبة العلم
هنا نفرق العلم السابق علم ذاتى وعلم الظهور هو الذي يحدث عند وقوع الشيء المقدور
تعقيب من الشيخ علي سؤال طالبه
لازم تفرقي بين العلم الظاهر والسابق السابق لابد يكون صفة ذاتية يعني لا يمكن أن يكون غير متصف ثم اتصف الذي هو هذا أصل صفة العلم لكن في علم أنواع العلم بقى في علم سابق وفي علم الذي هو الظهور الذي هو الذي بيحدث عند الوقوع مثال علم الله أن زيد سيقتل عمرو بسيف وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لابد أن يقع بأن زيد سيقتل عمرو على الصفة التي كتبت في العلم السابق وبالسيف أيضاً نفسه الذي كتب لا يمكن أن يقتل عمرو بسكين مثلاً لابد يقتل بسيف لأن الله عز وجل علم في العلم السابق وعند الوقوع سيعلم الله عز وجل علم الظهور فعند وقوع القتل سيظهر علم القتل الذي هو قتل زيد لعمرو بالسيف فهذا علم ظاهر لكن هذا لا ينافي علم الله السابق الذي هو قد قدره الله وعلمه من قبل لكن لماذا العلماء تكلموا في القاعدة لأن الآيات ظاهرها من يقرأها ألا لنعلم فالبعض يشكل عليه يقول هل ربنا لم يكن يعلم فقلنا لأبد تفرق بين العلم السابق والعلم الظاهر العلم الظاهر ليس علماً جديداً مستحدث هو في سابق في علم الله لكن وقوعه كان بسبب المدح أو الذم أو الثواب أو العقاب فقط ليظهره الله عز وجل لماذا سيعذب لماذا سيعاقب لماذا يمدح أو يذم لما يظهر هذا الأمر الذي قضى
تعقيب من الشيخ علي سؤال طالبه السؤال هنا علم السابق لا يتجدد ما هو خلاص هذه صفة ذاتية لكن لما قال لنعلم الصابرين منهم لذلك لتعلموا أو لنعلم هل العلم هذا لنعلم ايش توجيهه؟
ليس طبعاً نقول بأن الله علم وقتها لا السابق معلوم لكن هنا علم الظهور هذا المقصود الذي نحن نشرح فيه
قال تعالى

{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٤٣]

هنا تفسيرها ايش؟ فيها خمس أقوال بعضهم قالوا (إلا ليعلم) رسولي وحزبي وأوليائي وقالوا هذا على عادة العرب عادة العرب تقول إن اتباع الرئيس يرجعون الى الرئيس وما فعل بهم إليه وهذا اختيار ابن جرير و هذا أحد التفاسير قاله ابن جرير والتفسير الثاني (إلا لنميز) أهل اليقين وتفسير (إلا لنرى) وهذا الذي روي عن ابن عباس(إلا لنعلم) أي الالنرى وفي تفسير رابع (إلا لنبين) لكم أنا نعلم والخامس (إلا لتعلموا) انتم إذ كنتم جهالا قبل ذلك طيب فنقول المراد هنا وأيضاً ابن كثير قال المراد كذلك علم الظهور والوقوع

الشيخ يؤكد الكلام

قلت علم الله السابق منتهي إن الله عالم كل شيء فالعلم إنا لنعلم لا يتجدد علم لما لم يعلمه الله هو الله يعلمه لكن لماذا سمناه ظهور ليظهر لنا هؤلاء فسبحانه قال لنعلم فسموه علم الظهور كما قال ابن عباس وقال ابن كثير قالوا ولا تنافي بينهما إذ بوقوع المعلوم يعلمه الله سبحانه وتعالى موجودا علماً يترتب عليه الثواب والعقاب ويعلمه العباد أيضاً بعد إن لم يكونوا عالمين به فيجتمع فيه الامران إن العباد علموه وإن الله اثاب يثيب ويعاقب على ايش؟ أراد أن يظهر حتى يبين له لماذا يثيب ويعاقب سموه علم الظهور ليس علم الظهور الذي الله عز وجل قال لنعلم إنه ينافي علمه السابق هو سنثبته علم ظهور لكنه لا يقدح في العلم السابق إن ربنا لم يكن يعلمه

نكتفي بذلك

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك واتوب اليك.....

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة الكرام على موعد مع برنامج دراسة العقيدة مرحلة القواعد التأسيسية والتأصيلية في أبواب العقيدة وشرعنا بفضل الله تعالى في قواعد باب القدر تكلمنا الأسبوع الماضي في قاعدة مراتب القدر وتناولنا المرتبة الأولى ومرتبة العلم كم مرتبة مراتب القدر؟ أربعة.

ما هم؟ العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

هل تذكر كم مرحلة من مراحل العلم أو كم نوع من أنواع العلم؟ أمور العلم تكلمنا فيها إثبات علم الله عز وجل.. قلنا يعلم ماذا وماذا وماذا وماذا؟ خمسة، ما هي؟ شمول علم اجمالي وعلم الجزئيات علم أزلي وعلم ظهور هذه خمسة التي قلناها نعم.

طيب هذا بس مراجعة سريعة جداً حتى ندخل في مرتبة الكتابة، والكتابة هو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى قد كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، ما من شيء صغير ولا كبير إلا قد سُطِّر في أم الكتاب، والذي سطر في أم الكتاب أيضاً أنواع منه ما كان من أقوال الله عز وجل وأفعاله ما يقوله الرب سبحانه وتعالى وما يفعله وفيه ما يكون بقوله وما يكون بفعله، وهذا شامل أيضاً لمقتضى أسمائه وصفاته وآثارهما، إذاً الموجود في اللوح المحفوظ منه ما هو مخلوق ومنه ما ليس بمخلوق، لأن الذي في اللوح المحفوظ أيضاً كما قلنا أقواله، وأقوال الله عز وجل من كلامه ليست مخلوقة، أو من أفعاله وأفعاله هنا إخباراً عما يفعله وهذه غير الأقوال أو ما يكون بقوله أو ما يكون بفعله وهذه الذي فيها المخلوقات، كل هذا قد كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ.

عندما نتكلم عن الإيمان بالكتابة.. كتابة المقادير يعني كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَمَّا قَضى اللهُ الخَلْقَ، كتَبَ كِتابًا، فهو عِندَه فَوقَ العَرشِ :إنَّ رَحمَتي غلَبَتْ غَضَبي.)** فعندنا تقديرات في الكتابة عدة تقديرات البعض يجعلها أربع البعض يجعلها ثلاثة والبعض قد يصل إلى الخمس، ولا إشكال كبير في المسألة وكلها من علماء السلف، سنبين على الخمسة، يعني نذكر كما قال ابن القيم في شفاء العليل.

1) نقول التقدير الأول هو التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم وكتب أمره الله عز وجل بالكتابة فكُتِب حينئذ كل شيء كائن على وجه التفصيل حتى تقوم الساعة، وهذا التقدير هو أول التقادير وأقدمها وهو الأصل وما جاء بعده تفصيل منه، وهذا أيضاً لا يتغير ولا يتبدل. والأدلة على ذلك من قوله تعالى " **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** " وقوله سبحانه وتعالى" **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**" وقوله تعالى" **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ".

ومن السنة حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (دَخَلْتُ علَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وعَقَلْتُ نَاقَتي بالبَابِ، فأتَاهُ نَاسٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ، فَقالَ: اقْبَلُوا البُشْرَى يا بَنِي تَمِيمٍ. قالوا: قدْ بَشَّرْتَنَا فأعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ. ثُمَّ دَخَلَ عليه نَاسٌ مِن أهْلِ اليَمَنِ، فَقالَ: اقْبَلُوا البُشْرَى يا أهْلَ اليَمَنِ، إذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ. قالوا: قدْ قَبِلْنَا يا رَسولَ اللَّهِ. قالوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عن هذا الأمْرِ؟ قالَ: كانَ اللَّهُ ولَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ، وكانَ عَرْشُهُ علَى المَاءِ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، وخَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ. فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يا ابْنَ الحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هي يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا.) طبعاً أراد أن يكمل ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قالَ: وَعَرْشُهُ علَى المَاءِ)

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمَ، فقال لهُ: اكتبْ، قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ.)

هذا التقدير الأول الذي قلناه التقدير الأزلي الأول هو كتب الله عز وجل كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

2) التقدير الثاني حين أخذ الميثاق وهذا بعض العلماء يذكرونه والبعض لا يذكرونه، لكن ذكره ابن القيم كما قلت في شفاء العليل وهو قدر الله عز وجل أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم وشقاوتهم عقب خلق أبيهم آدم عليه السلام ويدل على ذلك من قوله سبحانه وتعالى في آيات سورة الأعراف " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ" أين الاستدلال من قول ابن عباس رضي الله عنهما قال تفسيره في قوله تعالى " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " قال خلق الله آدم وأخذ ميثاقه أنه ربه وكتب أجله ورزقه ومصيبته، ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر فأخذ مواثيقهم أنه ربهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصيبتهم، وهذا هو الشاهد من تفسير ابن عباس للآية أنه كتب في هذا بعد أن أخرج بني آدم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصيبتهم.

وأيضاً يستدل به استئناساً من **حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللَّهَ يقولُ لأهْوَنِ أهْلِ النَّارِ عَذابًا: لو أنَّ لكَ ما في الأرْضِ مِن شيءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ ما هو أهْوَنُ مِن هذا وأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ، أنْ لا تُشْرِكَ بي، فأبَيْتَ إلَّا الشِّرْكَ.)**

وأيضاً يستدل على ذلك من حديث هشام بن حكيم رضي الله عنه: (أنَّ رجلًا ، قال : يا رسولَ اللهِ : أتُبتَدَأُ الأعمالُ أم قد قُضي القضاءُ ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : إنَّ اللهَ - تعالى - لما أخرَجَ ذريةَ آدمَ - هذا الشاهد - مِن ظهرِه ، وأشهَدَهم على أنفسِهم ، ثم أفاض بهم مِن كفِّيه ، فقال : هؤلاءِ للجنةِ ، وهؤلاءِ للنارِ ، فأهلُ الجنةِ مُيَسَّرونَ لعملِ أهلِ الجنةِ ، وأهلُ النارِ مُيَسَّرونَ لعملِ أهلِ النارِ)

ابن القيم ذكر ذلك أيضاً بعد أن أتى بهذه الآيات والتفسير قال هذه الآثار وغيرها تدل على أن الله سبحانه وتعالى قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم وشقاوتهم عقيب خلق أبيهم وهذا التقدير الثاني الذي قلناه وهو يكون تقدير بعد خلق آدم وذرية آدم لما أخرجهم وأعادهم مرة أخرى في صلب آدم بعد ذلك.

3) التقدير الثالث هو التقدير العمري وهذا المشهور عند تخليق النطفة في الرحم يكتب ذكوريتها أو أنوثيتها يكتب الأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق بعد ذلك.

يدل على حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: إنَّ أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً ، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك ، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك ، ثم يبعثُ اللهُ إليه ملَكا ، ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ ، ويُقالُ له : اكتبْ عملَه ، ورزقَه ، وأجلَه ، وشقيٌّ أو

سعيدٌ ؛ ثم يُنفخُ فيه الروحَ ، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ ، حتى لا يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ ، فيدخلُ النارَ . وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ)

والرواية جاءت أيضاً عن أنس بن مالك في نفس المعنى رواية الملك لما ينزل ويكتب الأربع أي رب ذكر أم انثى أي رب شقي أم سعيد أي رب الأجل والرزق قال يكتب في بطن أمه هذا يسمى التقدير العمري.

4) ثم التقدير الرابع التقدير السنوي وهذا الذي يكون في ليلة القدر، يقدر فيها ما سيكون في السنة بالكلية؛ من سيحيا من سيموت من يرزق من يمرض من يعافى من يبتلى ونحو ذلك، قال تعالى " إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ " بعضهم قال ليلة القدر أي ليلة الحكم، المجاهد رحمه الله قال ليلة القدر أي ليلة الحكم، حتى أن سعيد بن جبير يقول يؤذن للحجيج في ليلة القدر؛ يعني الذين سيحجون في العام يعرف أسماؤهم في ليلة القدر، تنزل كما سيأتي إلى صحف الملائكة فيكتبون بأسمائهم وأسماء أبائهم فلا يغادر منهم أحداً ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

وعن قتادة أيضاً في قوله تعالى: "...بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ" قال يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها

وأيضاً من قوله تعالى "فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ" يعني وهنا يوزع وينزل أو يفصل فيها كل ما سيكون في هذه الليلة للعام الذي سيأتي بعده إلى الليلة التي تليها في العام الذي يليه وهذا هو التقدير الرابع.

البعض وقف عند ذلك ولم يذكر التقدير اليومي وإن كان ذكره كما قلت ابن القيم ويذكر في الكثير وحافظ الحكمي في كتابه أيضاً معارج القبول، وغيره ذكر التقدير اليومي.

وأنا سأبين لماذا بعضهم لم يذكر اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت كما يسمونها؟.. يعني ما قُدِّر سيحدث في اليوم كل يوم، هو أصلاً قُدِّر ولذلك بعض العلماء يعني ما يجعلونه تقديراً يقول إن هو ليس فيه تقدير غير أن ما قدر بيحدث، يعني ذلك يقول سوق المقادير إلى المواقيت يعني التي قدرت له من قبل أو إنفاذ المقدور على العبد في وقته الذي قدر له واستدل على ذلك قوله تعالى " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ"

وعن أبي الدرداء أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويخفض آخرين.

فقالوا هذا أيضاً التقدير اليومي الذي يكون في كل يوم

حتى البغوي أيضاً في تفسيره للآية قال المفسرون من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويفك عالياً إلى آخر ذلك على أن هذا يحدث في كل يوم

وقال الحسين بن الفضل في الآية " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" سوق المقادير إلى المواقيت

ويقول سفيان بن عيينة إن الدهر كله عند الله عز وجل يومان؛ أحدهما مدة أيام الدنيا هذا اليوم هو كل أيام الدنيا كأنه يوم، والآخر يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا وفيه الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والجزاء والعقاب إلى غير ذلك، والبعض قلت إنه لا يعد ذلك من التقادير قالوا لأنه ليس فيه كتاب، هو لماذا اعتبروا أن اليومي ليس من التقادير؟ لأنه ليس فيه كتاب نحن بنتكلم عن الكتابة فقالوا كتب في اللوح المحفوظ ثم كتبت الأرزاق والآجال في أخذ الميثاق ثم كتبت في صحف الملائكة، أو كتب الملك لما ينزل في بطن كتب ذلك ثم كتب في ليلة القدر ما سيكون فقالوا هذا ليس يعني كأنه حصر، والصحيح أنه لا مانع أن يقول أيضاً التقدير هذا العمري أو التقدير اليومي.

ولو نظرت إلى التقادير من أول الأزلي اللوح المحفوظ تجد أنه كل الذي يليه تفصيل لما قبله يعني لو قلت أن الأول هو التقدير الأزلي الذي في اللوح المحفوظ الذي سنبينه هو لا يمحى فيه شيء ولا تبدل ولا يتغير ثم يأتي تقدير يوم الميثاق هو تفصيل للتقدير الأزلي الأول، لأنه أتى في أعمال بني آدم التي موجودة التي قد خطها القلم في اللوح المحفوظ، ثم يأتي أيضاً الملك لما يكتب تفصيل لما قبله ويأتي أيضاً ليلة القدر تفصيل لما قبله وهكذا، قالوا يعني أو تخصيص تقول خلينا نقول تخصيص، الصحيح نقول إن تقدير العمري الأول عند أخذ الميثاق تخصيص للموجود لأن الموجود طبعاً المخصوص بهم بنو آدم، بنو آدم خصوا من المكتوب في اللوح المحفوظ ككل، والعمري عند تخليق النطفة خص به أيضاً الجنين عن ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ثم القدر أو السنوي وهو أيضاً خص به ما يكون في اللوح المحفوظ، يعني هذا كله كأنه تفصيل أو تخصيص لما قبله.

طيب هذه كلها اعتقد تقديرات أثبتناها، هذه طبعاً مراجعة للدارس من قبل وجديد لمن يبدأ معنا، نحتاج ندخل في بعض التفصيل أكثر.

نبين مسألة أو قاعدة فرعية تحت الكتابة هذه وهي مسألة مهمة جداً ما كتب في اللوح المحفوظ -هذه القاعدة- لا يتبدل ولا يتغير وما كتب في صحف الملائكة يقع فيه المحو والإثبات القاعدة الفرعية التي معنا في مرتبة الكتابة ما كتب في اللوح المحفوظ ثابت لا يتغير وما كتب في صحف الملائكة يقع فيه المحو والإثبات.

هي القاعدة هذه ستجد فيها ربط بين العلم والكتابة سنبينه، هو أصلاً نحن قلنا من قبل لماذا مرتبة العلم أهم شيء؟ حد يذكر؟ ما أهمية العلم عن باقي المراتب الثلاثة؟ يُبنى عليه، كيف يكتب إذا لم يعلم؟ طيب، لا تتم باقي المراتب إلا بعده لأنه نتيجة له طيب، العلاقة بائنة ومستلزمة هكذا..

طيب ندخل في القاعدة قلنا هذه القاعدة ستتعلق بمرتبة العلم والكتابة معاً سنبين بل هي أكثر طبعاً الكتابة لأن فيها محو وإثبات فتحتاج للتقدير لكن في جزئية ونحن بنتكلم سنبين الرد على المخالف أن هي ما تتعلق بالعلم، طب هنا لماذا هي أصل القاعدة وهل تعرض إليها العلماء؟ نعم ذكرها أكثر من عالم في مصنفاته منهم ابن تيمية قال والجواب المحقق أن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب وإذا عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب. يبقى كلامه هنا فين؟ في صحف الملائكة أن في زيادة ونقص يمحو ويثبت.

وقال ابن العربي رحمه الله الحكمة في كون الملك يكتب ذلك كونه قابلاً للنسخ والمحو والإثبات بخلاف ما كتبه الله فإنه لا يتغير هذا كلامه أيضاً، أنا بقول القاعدة أتت من أين؟ من استنباط كلام العلماء هنا، الذهبي رحمه الله يقول إن الدعاء بطول البقاء قد صح.. دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بطول العمر دعا له بطول العمر، والله يمحو ما يشاء ويثبت فقد يكون طول العمر في علم الله مشروطاً بدعاء مجاب، كما أن طيران العمر يعني نقصه هذا كلام الذهبي.. قد يكون بأسباب جعلها من جور وعسف ثم قال ولا يرد القضاء إلا الدعاء، والكتاب الأول لا يتغير، هذا أيضاً كلام الذهبي تأييداً لمسمى القاعدة لأنه بيبين أن في أشياء بتمحى وتتغير ومنها ذكر هنا كما سيأتي معنا تفصيلاً طول العمر قد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأنس فطال عمره وسيأتي معنا طبعاً (مَن سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، أوْ يُنْسَأَ له في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ.) ثم هنا قال ولا يرد القضاء الا الدعاء وانتبهوا من الحديث هذا لأنه مهم جداً في التأصيل في الكلام (لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ) ومن قضاء أنواع وقال والكتاب لا يتغير يقصد ايه؟ اللوح المحفوظ لا يتغير فيه شيء. والشوكاني أيضاً رحمه الله قال تطويل العمر وتقصيره هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل وأسباب تقتضي التقصير، طبعاً قد يستغرب عليكم أن في أسباب للتقصير، أنتم دايما عارفين أن في أسباب للتطويل لكن هل في أسباب للتقصير؟ هذا مسطر عند العلماء أنا متأكد أن تسعين في المية من الموجودين والذين بيسمعونا عندهم فقط زيادة العمر ما أتوا أن في أسباب لتقصير العمر، فهنا يقول فمن أسباب التطويل ما ورد في صلة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ومن أسباب التقصير الاستكثار من المعاصي فإذا كان العمر المضروب للرجل مثلاً سبعين سنة فقد يزيد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة، وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب النقصان والكل في كتاب مبين. أنا فقط بسوق كلام العلماء هؤلاء لنبين على أن كلامهم موافق لمعنى القاعدة أولاً يعني القاعدة من أين أتت.

طيب أما نيجي نتكلم عن القاعدة سنتكلم عن مسألتين، المسألة الاولى أن ما في اللوح المحفوظ لا يقبل المحو ولا الإثبات وهل فيه خلاف؟ تعرض البعض للخلاف سنبينه، المسألة الثانية وقوع ذلك في صحف الملائكة أن هناك ما يتغير في صحف الملائكة بالمحو والإثبات، ثم سنتكلم عن مسألة أخرى لكن لن أقولها الآن، لما ننتهي من الأولى والثانية

قلنا سنثبت أولاً أن الذي في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولا يتغير ولها أدلة كثيرة موجودة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم لحديث أبو هريرة لما لم يكن عنده القدرة أن يتزوج وكان من أهل الصفة فأراد أن يمنع نفسه عن الزواج فسأل النبي صلى الله عليه وسلم في أن يختصى فَقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (يا أبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ القَلَمُ بما أنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِ علَى ذلكَ أوْ ذَرْ) يعني أريد أن اقول جف القلم إذا المسألة كلها مكتوبة هذا هو الشاهد.

مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس لما قال: (يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سألْتَ فاسألِ اللَّهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ)، طب هذه اختصاراً من أجل الوقت الدليل الأول والثاني لإثبات أن ما كتب في اللوح المحفوظ ثابت.

طيب عندنا أدلة عايزين نثبت أن ما كتب في صحف الملائكة يمحى أو يثبت، نتكلم فيما وقع في صحف الملائكة

قال تعالى {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} [سُورَةُ الرَّعْدِ: ٣٩] جمع الله عز وجل في الآية بين وقوع المحو والإثبات فيما دون اللوح المحفوظ كيف يقال {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ } هو هذا ممكن يكون على العموم لكن ثم قال (وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ) كيف علمنا ذلك؟ تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة قال كتابان كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب هنا الواو تقتضي المغايرة يعني أنه عند أم الكتاب هو عرف في الأول في كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وعند أم الكتاب أي الذي لا يمحو فيه ما يشاء ولا يثبت لأن كل شيء قد كتبه عز وجل قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام فحمل العلماء - وطبعاً ليس هو فقط ابو العز وبعد ذلك غيره من العلماء - حملوا المحو والإثبات على صحف الملائكة وأن ما في اللوح المحفوظ لا يمحى ولا يثبت.

طيب أسباب التطويل نحن نتكلم هنا عن أدلة أسباب المحو والإثبات قد ثبت أن في محو وإثبات في صحف الملائكة جاءت النصوص الشرعية تبين بعض أسباب المحو وبعض أسباب يعني الزيادة لو قلنا من أسباب التطويل مثلاً في العمر **ما ورد في صلة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِه، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه)** هنحتاج الأجل والرزق والشقاوة والسعادة لما نتكلم عن التفصيل وهنا دلالة على صلة الرحم من أسباب التطويل .

ثم قالوا أيضاً من قوله تعالى {أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) } [سُورَةُ نُوحٍ: ٣-٤] فقال العلماء أهل التفسير أن الله عز وجل جعل العبادة والتقوى سبباً لزيادة العمر لأنه قال (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ) يعني هنا يؤخر موتكم إلى الأجل الأقصى الذي قدره الله لكم وهذا بسبب التقوى والطاعة وهذا بخلاف لو كان على الكفر والعصيان سيكون أجلاً آخر أيضاً.

طيب ما معنى المحو ومعنى الإثبات؟ حتى ندخل في تفصيل أكثر لما نقول المحو هو الإزالة إزالة الشيء والذهاب به والإثبات هو إقامة الشيء وادامته وهو ضد المحو، والمحو والإثبات هما من أفعال الله عز وجل يعني لابد تثبتها أنها من أفعال الله عز وجل قال تعالى {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} إذاً هي من أفعال الله عز وجل، وقال تعالى {... وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ...}، وقال تعالى { وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا } [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ١٢]

إذاً المحو والإثبات من الصفات الفعلية التي نثبتها لله عز وجل على وجه الكمال فيها طيب المسألة الأساسية في القاعدة الآن أن المحو والإثبات واقع في صحف الملائكة وأن اللوح المحفوظ لا محو ولا إثبات فيه واختلفوا هنا علماء السلف بعضهم على قولين اتفقوا الإثنين على أن المحو والإثبات في صحف الملائكة هنا لا خلاف لكن اختلفوا هل هناك محو وإثبات في اللوح المحفوظ ام لا؟ والقول الأول هو الراجح والصحيح هو جمهور علماء السلف على أن المحو والإثبات واقع في صحف الملائكة فقط وأنه لا محو ولا إثبات في أم الكتاب .

طب ماذا نقصد بصحف الملائكة؟ أي صحف التقدير العمري الذي هو بتاع الملك لما ينزل في النطفة في الجنين وصحف التقدير الحولي الذي في ليلة القدر، هذه التي هي صحف الملائكة التي بيمحو الله فيها ما يشاء ويثبت، طيب ما الدلالة على وقوع المحو والإثبات في صحف الملائكة؟ أثبتناها في الأدلة السابقة وقلت أن هذا محل اتفاق، الاختلاف فقط بأن السلف سيأتي معنا في مسألة ما الذي يمحى ويثبت؟ هل كل شيء أم أنواع مخصوصة؟ هذا نتكلم عنها بعد أن ننتهي من الخلاف الذي موجود، هل وقع المحو والإثبات في اللوح المحفوظ أم لا يقع؟

أصحاب القول الأول قالوا لا يقع واستدلوا بقوله تعالى {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ} فقالوا فرق الله عز وجل بين المحو والإثبات في صحف الملائكة ونفى ذلك أن يكون في أم الكتاب وهذا يستدل به من طبعاً تفسير ابن عباس كما نقلناه من قبل ونقل عنه عكرمة وغير ذلك قال كتابان كتاب {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ}، هنا بقى المسألة المهمة الربط ما بين العلم والكتابة قالوا قد وقع الإجماع على أن علم الله سبحانه وتعالى لا محو فيه ولا إثبات انتبهوا للمسألة هذه، أجمعوا على أن علم الله عز وجل لا محو فيه ولا إثبات لا يتبدل ولا يتغير العلم علم الله عز وجل لا يتبدل ولا يتغير لأن سيكون فيه إثبات النقص فيه وهذا حاشاه، طيب قالوا والذي في اللوح المحفوظ هو علم الله فإذاً لا محو ولا إثبات فيه يبقى هنا قالوا ماذا؟ من باب اللزوم بين العلم وبين الكتابة التلازم هنا بأن العلم إجماع لا يمكن أن يكون فيه محو ولا إثبات والذي في اللوح المحفوظ هو من علم الله قالوا إذاً لا محو فيه ولا إثبات طب من أين الدليل؟ **قالوا دل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (أنَّ اللهَ خلق الخلقَ في ظُلمةٍ فألقى عليهم من نورِه ، فمن أصابه من ذلك النُّورِ اهتدى ، ومن أخطأه ضلَّ ، فلذلك أقولُ : جفَّ القلمُ عن علمِ اللهِ)** حق أن الحديث هذا فيه نظر في الاستدلال لكن استأنسنا لأصحاب القول ذكروه فذكرناه في ذلك لكن هو فيه كلام في ثبوته حقيقة لكن هو يقصد هنا الشاهد فيه أن جعل عبد الله بن عمرو أن المكتوب في اللوح المحفوظ هو علم الله عز وجل وهذا عموماً قلنا إجماعاً وحتى لو الحديث فيه ضعف لكن أجمع العلماء على أن علم الله عز وجل لا يتغير ثم بعد ذلك أثبتوا على أن الذي في اللوح المحفوظ هو علم الله عز وجل، ثم ثالثاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر في الأحاديث السابقة أنه جف القلم وأن الأمر قد فُرِغ منه فيما كُتِب في اللوح المحفوظ وهذا يدل على أنه لا يتبدل ولا يتغير اذا جف قلم اللوح المحفوظ فلا محو باللوح ولا إثبات كما جاء في حديث أبي هريرة يا أبو هريرة جف القلم بما أنت لاقٍ ثم ذكر الحديث، وحديث ابن عباس لما قال قد رفعت الأقلام وجفت الصحف، **وأيضاً حديث سراقة بن مالك حين قال (يا رَسُولَ اللهِ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيما العَمَلُ اليَومَ؟ أَفِيما جَفَّتْ به الأَقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ، أَمْ فِيما نَسْتَقْبِلُ؟ قالَ: لَا، بَلْ فِيما جَفَّتْ به الأَقْلَامُ وَجَرَتْ به المَقَادِيرُ....)** وقد بينا ذلك.

بعضهم قال أيضاً استدلوا من قوله تعالى { فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} على قراءة من يقرأ المحفوظ بالخفض قالوا أنها صفة للوح ووصف اللوح بالحفظ فهذا يعم الحفظ من التغيير والتبديل والمحو والإثبات يعني جعل الصفة عامة في الحفظ حفظه من كل شيء أن يُمحَى ويُغَيَر ويُبَدَل وغير ذلك.

الأهم بقى نظراً للإثبات أيضاً وهذه مسألة مهمة يلزم من القول بوقوع المحو والإثبات في اللوح المحفوظ لازم باطل، ممكن أحد يطلعهولي؟ هو له علاقة بالعلم الذي نحن قلناه، يلزم من القول بالمحو والإثبات في اللوح المحفوظ لازم باطل نحن دائماً نتدرج نقول الأدلة التي هي الكتاب والسنة ثم الصريحة ثم نأتي باللوازم، نحن قلنا أن العلم لا يتغير والعلم هو الذي في اللوح المحفوظ إذًا لا يتغير، طيب هنا في لازم باطل لو قلت بأن الذي في اللوح المحفوظ يتغير، اللازم الباطل هو القول على الله بالبداءة، فنقول هنا نعم يلزم ذلك بالبداءة على الله لأن قلت الآن أن العلم لا يتغير، فلما أقول العلم يتغير يبقى هنا اللازم الباطل لو قلت بأن المكتوب في اللوح المحفوظ بيتغير يبقى هتنسب البداءة على الله، يعني ايه البداءة؟ أي بدا له شيئاً لم يكن يعلمه زاد من علمه شيء وهذا لا يكون في حق الله أبداً هذا نقص ما يكون، فإذا قلنا بأن المكتوب في اللوح علمه يبقى لا يمكن أن نقول أنه يتبدل أو يتغير لأنه إذا جاز التغيير في العلم فهذا هو عين البداءة وهذا منفي عن الله عز وجل أيضاً.

تعقيب من الشيخ وسؤال أنت عارف الكتابة التي في صحف الملائكة بتيجي ازاي؟ الله عز وجل ينقل لهم الكتابة هذه التي في صحف الملائكة أن هذه السنة سيحدث كذا وكذا هم لا يعلمون ما الذي في اللوح المحفوظ، ثم الله كاتب في اللوح المحفوظ أن فلان سيصل رحمه فبدل ما كان سيموت في السبعين هيموت في المئة هذا المقيد سيأتي معنا مكتوب في اللوح المحفوظ لكن الملائكة لا تعلمه، الملائكة عندها صحف خاصة بها وكل شيء في اللوح المحفوظ هو الذي مكتوب فلما يأتي السبب يفعله العبد أنه زاد في صلة الرحم فالله عز وجل ينزل لهم من اللوح المحفوظ يخبرهم في صحفهم أن فلان زيد له في عمره الملائكة لا تعلم ما في اللوح المحفوظ لكن كل هذا مكتوب أصلاً قبل خلق السماوات والأرض في اللوح المحفوظ، فالله عز وجل استأثر بعلمه في اللوح المحفوظ وأعطي للملائكة بعض ما يأخذونه لأن لو الملائكة يعرفوا كل شيء يبقى يعرفوا كل الغيب والملائكة لا تعلم الغيب، الغيب عند الله والغيب مكتوب كله في اللوح المحفوظ فالملائكة لا تعلم إلا ما يريد الله عز وجل أن يعلمهم به.

نرجع مرة أخرى نأخذ الاعتراضات الذين اعترضوا قالوا بوقوع المحو والإثبات، هي اعتراضات ضعيفة لكن سنذكرها يعني من باب المدارسة لأنها علمية قالوا اعترضوا ثلاث اعتراضات:

الاعتراض الأول قالوا المكتوب في صحف الملائكة هو الذي موجود في اللوح المحفوظ قالوا يعني في صحف التقدير السنوي تنسخها الملائكة من اللوح المحفوظ أو يُنسَخ لها أياً كان، وصحف التقدير العمري أيضاً بتعرض على اللوح المحفوظ فتكون مطابقة للوح المحفوظ الذي هو قال فيها ابن عباس في تفسيره {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} قلنا في ليلة القدر يكتب من أم الكتاب ليلة القدر انتبهوا أين الاعتراض؟ ما يكون في هذه السنة من رزق او آجال أو موت أو حياة وغير ذلك وقالوا أن التقادير هذه التي كتبت عند الملائكة موجود مثلها في اللوح المحفوظ أيضاً طيب فإذا قلنا بالمحو والإثبات في صحف الملائكة لزمنا القول بالمحو والإثبات في اللوح

المحفوظ، هذا قولهم اعتراضهم طيب الجواب عليه يسير قلنا لا شك أن الذي موجود في صحف الملائكة موجود في اللوح المحفوظ لا شك في ذلك لأن اللوح المحفوظ مكتوب فيه كل شيء بالتفصيل سواء ما يتعلق ببنى آدم أو بغير بني آدم الله عز وجل كتب كل ما يتعلق بما يقوله الرب سبحانه وتعالى وما يفعله وقلنا وبما يكون من قوله وبما يكون من فعله كما بينا من قبل كل هذا وبما كان مقتضى أسماءه وصفاته وآثاره كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ لكن النزاع الذي بيننا وبينكم فين؟ هل الذي في اللوح المحفوظ هو فقط ما في الصحف؟ أم في زيادة عليها؟ في زيادة عليها، طيب حتى نتضح المسألة هذه تعالى نتكلم عن مسألة في القدر أن الذي مكتوب في اللوح المحفوظ هذه مهمة انتبهوا ليها هتحل لكم مشكلة كبيرة عند البعض الذي مكتوب في اللوح المحفوظ ينقسم إلى قدر معلق وقدر مبرم، الذي مكتوب في اللوح المحفوظ ينقسم إلى قسمين قدر معلق وقدر مبرم، القدر قدران القدر المثبت أو المطلق أو المبرم هو ما في اللوح المحفوظ دون غيره في الصحف وهو ما علمه الله أنه يقع أو سيقع أو وقع وهو مستقر الأمر الذي يعلمه الله عز وجل ولا تعلمه الملائكة وهذا القدر ثابت لا يتغير فلا محو فيه ولا إثبات، طيب القدر المعلق أو المقيد وهذت معلق لماذا؟ لأنه معلق بأسباب ومقيد لأسباب هذا من جملة ما قدره الله وكتبه وهذا الذي في صحف الملائكة وأيضاً موجود في اللوح المحفوظ طبعاً، إذًا كأن يقال مثلاً للملك انتبه يقال للملك يكتب عنده أن عمر فلان مائة سنة إن وصل رحمه وستون إن قطعه هذا موجود عند الملك في الصحيفة لكن الملك ما يعرف أكثر من هذا وقد سبق في علم الله عز وجل أنه يصل أو يقطع هذا مكتوب في اللوح المحفوظ والذي عند الملائكة المعلق المقيد وهذا الذي عند الملائكة الذى فيه المحو والإثبات فلما يصل سيأتيهم المحو بالزيادة أو يأتيه الإثبات خلاص بالمئة لما يأتي بالنقصان سيكون الستين فيأتي الأمر المقدر المبرم المكتوب في اللوح المحفوظ وليس عند الملائكة، فإذًا هو نعم الذي في الصحف مطابق لما في اللوح المحفوظ لكن مقيد بالأسباب، وما في اللوح المحفوظ أشمل فيه القدر المبرم المستقر ومعه القدر المعلق أيضاً والذي ينقل للملائكة المعلق والمقيد، ثم المبرم والمثبت هو الذي في اللوح المحفوظ

الاعتراض الثاني قالوا القول بالمحو والإثبات قد روي عن بعض السلف طب من أين لكم؟ قالوا عندنا رواية عند ابن أبي شيبة عند البيهقي في القضاء والقدر عن ابن مسعود رضي الله عنه انتبهوا للرواية قال: (ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه في معيشته يا ذا المن فلا يُمَن عليك يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطول لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين إن كنت كتبتني عندك -انتبهوا هذا هو الشاهد- بأم الكتاب شقياً فامحو عني اسم الشقاء واثبتني عندك سعيداً وإن كنت كتبتني في أم الكتاب مقطراً علي رزقي فامحو حرماني وتقطير رزقي واثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير فإنك تقول في كتابك يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) الشاهد طبعاً أنه يقول إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامحو عني اسم الشقاء -هم بيستدلوا بذلك- واثبتني عندك سعيداً وجعل ذلك فين؟ أم الكتاب، طيب كيف الرد؟ الرد هين أولاً الحديث فيه ضعف في السند لأن فيه رواية عبد الرحمن بن إسحاق وفي انقطاع بينه وبين القاسم وابن مسعود يعني الحديث مش موصول لابن مسعود فيه انقطاع بينه وبين ابن مسعود فالأثر لا يصح، طب الثاني نقول على فرض الصحة له تخريج أو تأويل هنقول ماذا؟ أن هذا الكلام معارض بالنصوص الصريحة التي جاءت أن اللوح المحفوظ لا محو فيه ولا إثبات لو قلنا قول صحابي عارض فيه النصوص الصريحة فلا شك أنه يقدم، ثالثاً مخالف لجمهور الصحابة لأن هذا القول لم يؤثر على أحد من الصحابة إذاً هذا الاعتراض لا يقف على أرجل ولا يستقيم لهم في شيء.

الاعتراض الثالث هو في الحقيقة أضعف منه قالوا إن ما في اللوح خرج عن الغيب لإحاطة بعض الملائكة به فيحتمل التبديل فإذاً يمكن أن يبدل قلنا لم يثبت لنا نصاً واحداً أن هناك أحد من الخلق أطلع على ما في اللوح المحفوظ ولا الملائكة بل ثبت خلاف ذلك ولأن ربنا قال لوح محفوظ قالوا حفظ من كل شيء ما يطلع عليه أحد، فكل هذا اختصاص له بمعرفة الغيب وهذا باطل مخالف للنصوص.

طيب إلى هنا هذه الاعتراضات وليست قوية في شيء وهذا يبين أن الراجح في القول الأول وهو أن اللوح المحفوظ لا يتبدل ولا يتغير فيه شيء والذي يتبدل ويتغير هو ما عند الملائكة.

ندخل على المسألة التي تليها وهي من الأهمية بمكان أيضاً، وهي ما الذي متعلق بالمحو والإثبات يعني ما الذي يمحى أو يثبت في صحف الملائكة؟ هذه المسألة محل خلاف بين العلماء أوعلماء السلف على سبعة أقوال سبعة أقوال يعني أنتم فاهمين السؤال ما الذي بيمحى ويثبت في صحف الملائكة؟ كل شيء ولا أشياء وأشياء لا؟ طيب خلينا نقول أن ما ورد تخصيصاً في الذي بيمحى ويثبت في النصوص ثلاثة على سبيل التخصيص وهي مسألة زيادة العمر، والرزق كما في صلة الرحم، وأيضاً الشقاوة والسعادة لما جاءت في الأحاديث السابقة التي قلناها عند أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو، يعني جاء تخصيصاً في السنة بأن ما يمحى ويثبت كما سيأتي معنا الشقاوة والسعادة على سبيل الدليل التخصيصي يعني والأجل والرزق، ثلاثة هم الذى جاء فيهم نصوص صريحة في هذه المسألة، الذي جاء في المحو والإثبات ما كان له علاقة بالرزق وبالأجل وبالشقاوة والسعادة هذه التي جاء فيهم نصوص تتكلم عن المحو والإثبات فيه زيادة الأجل زيادة الرزق أو القلب من الشقاوة إلى السعادة، وهذا الذي جعل هناك خلاف وحتى نبين قوة الخلاف فين الأول نذكر سبع أقوال :

1) أول قول: يمحى كل شيء إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فإنهما قد فُرِغ منهما وهذا قول ابن عباس ومجاهد، ابن عباس له أكثر من قول لكن هذا أول قول، كل شيء إلا الموت، والحياة، والشقاوة، والسعادة.

2) القول الثاني يمحى كل شيء إلا السعادة والشقاوة وهذا قول ابن عباس ومجاهد أيضاً قول ثاني.

3) القول الثالث يمحى كل شيء بدون استثناء، كل شيء يمحى وهو قول عمر وابن مسعود وكعب الأحبار ومن بعدهم أبي وائل شقيق ابن سلمة.

4) القول الرابع أن الذي يمحى ما ليس فيه ثواب ولا عقاب والذي يثبت ما فيه الثواب والعقاب وهذا قول الضحاك وأبي صالح.

5) القول الخامس الذي يمحى ويثبت هو الأجل، يمحى من قد حان أجله ويثبت من لم يجيء أجله إلى أجله وهو قول الحسن.

6) السادس أن الذي يمحى ويثبت هي الذنوب، يمحوها بالمغفرة ويثبتها بعدمها وهو قول سعيد بن جبير.

7) السابع أن الذي يمحى ويثبت هو الناسخ والمنسوخ، فيمحى المنسوخ ويثبت الناسخ وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج وقتادة.

طيب سنستعرض الأقوال فقط بالمعنى الأول لو في حد عنده معنى غامض:

أول قول واضح إن الذي بيمحى كل شيء إلا الموت والحياة والسعادة والشقاوة وجعلوا كل شيء يمحى.

القول الثاني كل شيء إلا السعادة والشقاوة فقط وهذا ليس فارق كثير عن الأول غير الفرق هذا.

الثالث يمحى كل شيء، كل شيء يمكن أن يمحى أو يثبت ليس فيه استثناء.

الرابع الذي يكون فيه الثواب والعقاب يثبت والذي ليس فيه ثواب وعقاب يمحى.

الخامس يوم الذي بيجي أجله يمحى خلاص غير موجود والذي ما زال ما جاء أجله هو الذي بيثبت.

السادس مسألة ذنوب ومغفرة من فعل ذنباً يثبت، غُفِر له يمحى.

السابع تعرض للناسخ والمنسوخ الأوامر الشرعية الذي جاء الأمر بنسخه يُرفع والناسخ هو الذي يثبت طيب المعنى هكذا واضح، لو نظرتم للقول الخامس والسادس والسابع تجده هو خارج النزاع لكن هو يُضَم مع الذين قالوا أنه لا يمحى ولا يثبت، لأن هو كلامهم ليس له علاقة بالمحو والإثبات الذي نريده، يعني هو ليس له علاقة الناسخ والمنسوخ ومحو الذنوب والأجل الذي بيموت بيمحى، فالخامس والسادس والسابع كأنه هيُضم للذين يرون بأنه لا ليس هناك محو وإثبات في الصحف إلا الحياة والموت والشقاوة والسعادة يعني يُضموا مع أصحاب القول الأول والثاني، نحن فقط لماذا نقول هذا الكلام؟ فيتلخص لنا ثلاثة أقوال لنتكلم عنهم، الخامس والسادس والسابع غير مؤثر في المسألة معنا نحن بننظر ما الذي بيمحى ويثبت، فالأول العموم بلا استثناء وهذا الذي نُقِل عن عمر وابن مسعود العموم بلا استثناء، يعني كل شيء يمحى ويثبت بلا استثناء هذا القول الأهم في المسألة، القول الثاني العموم مع استثناء إما الشقاوة والسعادة فقط أو الشقاوة والسعادة مع الأجل هذا القول الثاني الذي هو في الاستثناء استثنى الشقاوة والسعادة أو الشقاوة والسعادة مع الآجال، والقول الثالث قالوا المحو والإثبات لشيء خاص ليس فيه ثواب ولا عقاب، أيضاً اتركوا الثالث لأنه هو الخلاف كله القوي بين القول الذي قال بالعموم بدون استثناء والقول الذي قال باستثناء الشقاوة والسعادة والآجال والأرزاق أيضاً هو ما ذُكِر هنا لكن هو بيدخله عندهم فيها.

وهذا هو الذي سنتكلم عنه.

سؤال من طالب: ما معنى بدون استثناء؟ بدون استثناء يعني يقولوا إن كل شيء بيمحى ويثبت كل شيء العموم كل شيء قابل أن يمحى ويثبت في صحف الملائكة هذا الذي يقصده بدون استثناء يعني ليس هناك حاجة مستثناة لأن أصحاب القول الأول قالوا كل شيء بيمحى لكن السعادة والشقاوة والآجال لا تُمحى استثنوا أشياء لا تمحى.

طيب قلنا لو تأملنا النصوص والآثار وجدنا أن لما تدور في الخصوص على السعادة والشقاوة والآجال والأرزاق الذين قالوا بالعموم استدلوا من قوله تعالى {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} فقالوا على عمومها يمحو الله ما يشاء ويثبت قالوا على عمومها، **واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ) وفي رواية (لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ)** طب أين الاستدلال هنا؟ أين الاستدلال عند أصحاب العموم؟ المستثنى غير المستثنى منه فكأن لا يرد القدر إلا الدعاء فالمستثنى منه غير المستثنى كأنك هنا هو المفترض

إنه لو حذفت المستثنى منه تصبح لا يرد القدر شيئاً صحيح؟ طب هنا لا يرد القدر شيئاً فقلت كل أنواع القدر فقط هو النفي الأول النفي مع القدر المعرف ب(ال) فكأنك ستقول كل أنواع القدر لا تُرد النفي مع القدر مفرد معرف فنُفِي رد القدر، ثم قال إلا الدعاء فهنا أثبت أن الدعاء هو الذي يرد كل أنواع القدر واضح؟ أنتم لم تدرسوا بعد أصول ليس معكم هذه المسألة ليست واضحة، كأن المقصود هو يقول لا يرد القدر - لو أنت ليس عندك استثناء - لا يُرَد القدر، ثم جعل الدعاء يرد القدر، يعني هي معناها إيه؟ يرد الدعاء القدر خذها هكذا، والقدر هنا جاء معرف بألف ولام فيرد الدعاء كل أنواع القدر هذا العموم صح كده؟

طيب قلنا أصحاب القول الأول استدلوا بالعموميات، استدل أصحاب القول الأول بعموميات قوله تعالى {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} فقالوا ذلك على العموم، قالوا لا يرد القدر إلا الدعاء، بل لم يستثنى من القدر الذي يُرَد شيئاً قال كل القدر ودخل فيه كل أنواع القدر إن الدعاء يرده ودخل فيه الآجال الشقاوة والسعادة الأرزاق وكل، طيب هذا أصحاب القول الأول والحق أن قولهم قوي جداً لأن العموم قالوا ليس عندنا تخصيص قالوا ائتونا بتخصيص يخصص ذلك.

أصحاب القول الثاني قالوا لا عندنا التخصيص، قالوا النصوص التي جاءت في الرد في المحو والإثبات جاءت في ثلاثة أشياء فقط، فقالوا هنا عندنا نصوص جاءت في الأرزاق وفي الآجال وفي الشقاوة والسعادة فقط وهذا الذي جاء إثباتاً على وجه التخصيص، نقول إن هذا تخصيص للعموم الذي تدعونه، **طبعاً الأحاديث حتى تعلموا: (مَن سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، أوْ يُنْسَأَ له في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)، الحديث الثاني حديث ابن مسعود قال اللهم ان كنت كتبتني شقياً فاكتبني سعيداً**** أيضاً فقالوا هنا هذه تخصيصات جاءت بالاستثناء من العموم، ويكون فقط المحو والإثبات في الأرزاق والآجال وفي الشقاوة والسعادة، قالوا مسألة أخرى وهذه بقى استئناساً أو نظراً قالوا لو قلنا بعموم المحو والإثبات ليشمل كل شيء يلزم عليه لازم باطل، قلنا ما هو اللازم الباطل؟ قالوا عدم الوثوق بشيء من الأخبار الغيبية كالحشر النشر وغير ذلك، لماذا؟ قالوا لأنه هكذا لا يبقى وثوق بالأخبار بأنه صلى الله عليه وسلم أيضاً خاتم النبيين لجواز أن يكون الله تعالى قد علم ذلك حين أخبر ثم تعلق علمه بخلافه، وهذا يترتب عليه هدم الدين والشريعة إذًا لابد أن نخصص أن المحو والإثبات يكون فيما جاء فيه الدليل الخاص فقط، والكلام حقيقة الذي عند أصحاب التخصيص هو وجيه طبعاً، لكن قوة أدلة القول الأول في العموم خاصة أيضاً هم جاءوا بدليل آخر غير الآية وغير الحديث وهذه قد تشكل عند البعض قالوا بأن المبشرين بالجنة كانوا من أشد الناس خوفاً من النار حتى أن منهم من كان يقول (ليت أمي لم تلدني) وبعضهم كان بيتكلم على قصة عمر لما كان بيسأل حذيفة أسماني الله في المنافقين؟ بالله عليك أسماني الله فيما ذكر لك؟ وقد يقولوا كيف عمر يسأل؟ فهنا يقولون المبشرين بالجنة كانوا من أشد الناس خوفاً من النار حتى أن منهم من يقول ليت أمي لم تلدني وهم يرجعوا هنا يقول لك هذه دلالة على أن كل شيء ممكن يمحى ويثبت وكانوا يخافون من ذلك أيضاً، طبعاً هذا أصحاب القول بالاستثناء قالوا لا نحن ليس عندنا إشكال معكم في المحو والإثبات في الشقاوة والسعادة لأن نحن بنثبتها فهذه خارجة عن النزاع نحن كلامنا كله في غير الشقاوة والسعادة والآجال وغير الأرزاق هل يمحى ويثبت فيها أم لا؟ لذلك هم يقولون إن الأحاديث العامة والآيات العامة الأدلة عام مخصوص يقولون عام مخصوص بما قد ذكرنا فيها، وحقيقة طبعاً استدلال الآجال قلناها نحن قلنا الأجل أيضاً من قوله تعالى {....فَإِذَا جَاءَ

{أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} طبعاً هنا البعض يقول نحن عندنا أهو إذا جاء الأجل لا يستأخر ساعة، خلينا نقف عند الجزء الأول، القول الأول والثاني الذين قالوا بالعموم والخصوص والخلاف يعني حقيقة قول العموم قوي جداً، قول العموم يعني أنا أرى والله أعلم المسألة بأن حتى ما جاء تخصيصاً فهذا لا يقيد ما بقول العموم في قوله تعالى {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} الآية في العموم ظاهرة جداً والقول الذي جاء في الآجال وفي الشقاوة والسعادة والأرزاق لا يشترط أن هذا يكون على سبيل التخصيص والتقييد لكن القول عند السلف موجود، الخلاف لا إنكار فيه.

طيب الذين قالوا ليس هناك محو ولا إثبات أو قالوا أن هو في الثواب والعقاب فقط استدلوا ببعض الآيات ظاهرها فقط صحة القول عندهم لكنها بالتحقيق ليست لهم فيها دليل منها قوله تعالى {.... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}، وقوله تعالى {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا....} ، أنا أترك لكم الرد أنا هقول الأدلة وأنتم هتردوا الآن إن شاء الله، **حديث عبد الله بن مسعود لما جلست أم حبيبة رضي الله عنها هي مين أم حبيبة؟ زوج النبي صلى الله عليه وسلم، (قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَبأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبأَخِي مُعَاوِيَةَ قالَ: فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: قدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئًا عن حِلِّهِ، ولو كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِن عَذَابٍ في النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ في القَبْرِ، كانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ)** فهم استدلوا على ماذا؟ قول النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يؤخر ولا حتى في الأرزاق المقسومة لن يزاد فيها شيء.

طيب ثم استدلوا أيضاً بحديث ثوبان رضي الله عنه (لا يرُدُّ القَدرَ إلَّا الدُّعاءُ، ولا يَزيدُ في العُمُرِ إلَّا البِرُّ) فقالوا إذاً لا يزيد في العمر إلا البر فقط، طب الآية الأولى والثانية وحديث أم حبيبة كيف الرد عليهم؟ {.... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} هنا هذه هنقول لهم خارج النزاع هذه لا تعارض وقوع المحو الإثبات لماذا؟ هذه خاصة بمن حضر أجله بالنص الذي هو القدر المثبت بقى خلاص المبرم أصالة بخلاف من لم يحضر أجله فالمحو والإثبات في الأجل واقع ما لم يحضر الأجل يعني هيزيد من البر فيزيد الأجل، لكن لو جه الأجل انتهى الأمر خلاص ليس هنا زيادة لا يستأخر ولا يستقدم أيضاً، طيب والدلالة على ذلك آية سترد عليهم للفرق بين الإثنين وهي نزلت في قوم نوح عليه السلام قال {يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يبقى فرّق بين الأجلين، **(إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى)** هذا الذي فيه الزيادة و(إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ) الذي هو الأجل المبرم المثبت الذي هو لا يتبدل ولا يتغير.

طيب وطبعاً حديث ثبت في السنة حديث آدم عليه السلام حديث أبو هريرة (لمَّا خلق اللهُ آدمَ مسح على ظهرِه فسقط من ظهرِه كلُّ نسَمةٍ هو خالقُها من ذرِّيَّتِه إلى يومِ القيامةِ وجعل بين عينَيْ كلِّ إنسانٍ منهم وبيصًا من نورٍ ثمَّ عرضهم على آدمَ فقال أي ربِّ من هؤلاء قال هؤلاء

ذرِّيَّتُك فرأَى رجلًا منهم فأعجبه وبيصُ ما بين عينَيْه فقال أي ربِّ من هذا فقال رجلٌ آخرُ الأمم من ذرِّيَّتِك يُقالُ له داودُ قال أي ربِّ كم جعلتَ عمرَه قال ستِّين سنةً قال أي ربِّ زِدْه من عمري أربعين سنةً فلمَّا انقضَى عمرُ آدمَ جاء ملَكُ الموتِ فقال آدمُ أوَلم يبقَ من عمري أربعون سنةً قال أوَلم تُعطِها ابنَك داودَ قال فجحَد وجحَدت ذرِّيَّتُه ونسِي فنسِيَت ذرِّيَّتُه وخطِئ فخطِئت ذرِّيَّتُه) هنا دلالة على ماذا؟ تغير العمر والأجل لما طلب آدم من الله عز وجل أن يزيده أزاده الله عز وجل ذلك وذكره عند ذلك وطبعاً يبين لك بأن الدعاء يغير الأجل، الدعاء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أنس بقى رضي الله عنه لما دعا له بطول العمر وزيادة البركة في المال حتى قال قد وصل آخر الصحابة عدى المئة تقريباً ورأى يعني كثيراً من أحفاده وأحفاد أحفاده وبورك في رزقه حتى إنه كان بستانه يطرح مرتين في العام خلاف باقي الصحابة يعني الله من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام يطرح مرتين ثمار.

وأيضاً من أدلة التثبيت بقى مسألة شرع الدعاء ليزيد الآجال **حديث النبي صلى الله عليه وسلم حديث عمار (اللهمَّ بعِلْمِكَ الغيبَ وقُدْرَتِكَ عَلَى الخلَقِ ، أحْيِني ما علِمْتَ الحياةَ خيرًا لِي ، وتَوَفَّنِي إذا عَلِمْتَ الوفَاةَ خيرًا لي)** إذاً المسألة على الدعاء يزاد لك في الحياة إذا كانت خيراً لك وفيها البر والطاعة لك أو يكون العكس أيضاً، طيب هذه كانت الآجال خلاص؟

استثناء الشقاوة والسعادة حديث (عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ قالَ كنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغرقدِ قالَ فأتى رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقعدَ وقعدنا حولَهُ ومعَهُ مِخصرةٌ فنَكَّسَ رأسَهُ وجعلَ ينكُتُ بمخصرتِهِ ثمَّ قالَ ما منكم من أحدٍ من نفسٍ منفوسةٍ إلَّا وقد كُتِبَ مَكانُها منَ الجنَّةِ والنَّارِ وإلَّا قد كُتِبت شقيَّةً أو سعيدةً فقالَ رجلٌ يا رسولَ اللَّهِ أفلا نتَّكلُ على كتابِنا وندعُ العملَ فمن كانَ منَّا من أَهْلِ السَّعادةِ فسيصيرُ إلى عملِ أَهْلِ السَّعادةِ ومن كانَ من أَهْلِ الشَّقاءِ فسيصيرُ إلى عملِ أَهْلِ الشَّقاءِ فقالَ اعمَلوا فَكُلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ أمَّا أَهْلُ السَّعادةِ فيُيسَّرونَ لعملِ أَهْلِ السَّعادةِ وأمَّا أَهْلُ الشَّقاوةِ فيُيسَّرونَ لعملِ أَهْلِ الشَّقاوةِ ثمَّ قرأَ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) اتخذ بالأسباب فسيوصل لذلك.

طيب طبعاً الدعاء بمحو الشقاوة والسعادة قد ورد عن كثير من السلف منهم عمر وابن مسعود وغيرهم، ورد عن عمر كان يطوف بالبيت ويبكي ويقول اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنباً فامحه فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة، وهنا هذه في الشقاوة أنه يمحو الشقاوة.

وأيضاً عن ابن مسعود أنه قال اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني واثبتني في أهل السعادة. هذا فعل عمر وفعل ابن مسعود وأيضاً ابن عمرو ورد عنه ذلك.

هذا آخر الكلام في مرتبة الكتابة، عندك سؤالان تفضل، جواب الشيخ: يعني الأشياء التي فيها ثواب وعقاب تثبت ولا تمحى؟

أي حاجة فيها ثواب أو عقاب من الأفعال لا تمحى ولا تثبت،

الذي فيه ثواب وعقاب لا يمحى ولا يغير يظل مكتوب الذي غير ذلك هذا الذي ممكن يمحى ويتغير على أن هذا ليس فيه محاسبة ولا جزاء والثاني الذي فيه المحاسبة والجزاء

طيب انا ختمت بس أريد نسترجع هسأل سؤال وممكن أنتم تقولوا لي ما الفرق بين ما كتب في اللوح المحفوظ وبين ما كتب في صحف الملائكة؟ أنا عايز أربع فروق:

- الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولا يتغير صحيح
- المكتوب في اللوح المحفوظ قدر مبرم والمكتوب في صحف الملائكة قدر معلق ممتاز هذه جميلة هكذا اثنين
- المكتوب في اللوح المحفوظ غيب ولا يبدل هي هي بردو كده اثنين حتى الآن
- صحف الملائكة قدر معلق بالأسباب اللوح المحفوظ مبرم ثابت نعم هي نفس الاثنين اللي نحن فيهم كويس
- هذه الثالثة كانت برة الدرس أحسنت هذه الثالثة يبقى الذي كتب في اللوح المحفوظ كتب بالقلم والذي كتب في صحف الملائكة الملائكة كتبته هذه الثالثة
- الذي كتب في اللوح المحفوظ سابق -لأن نحن في القدر- سابق على وجود المقدر صحيح؟ بخلاف ما كتب في صحف الملائكة لاحق متأخر صحيح؟

لو جمعتوا المرتبة الأولى مع المرتبة الثانية (العلم والكتابة) التي اتكلمنا عنها هتطلعوا فائدة، هذه هي الفائدة أن ما كتب في اللوح المحفوظ مبنى على علم الله عز وجل فلم يقبل التغيير لأن العلم لا يتغير وما كتب في صحف الملائكة مبني على علم الملائكة لذلك يتغير لأن الملائكة مخلوقات فهم جنس غير البشر، ما كتب في اللوح المحفوظ لابد يقع وما كتب في صحف الملائكة قد يقع وقد لا يقع، حتى تعرفوا هذا فرق، غير المبرم والمعلق لا فيه فرق فيه فرق إن المعلق يعني معلق على شرط يقع هذا فرق لكن الفرق الثاني إن الذي في اللوح المحفوظ يقع لكن الذي في صحف الملائكة قد يقع وقد لا يقع يعني ممكن يمحى ويقع غيره فقد يقع وقد لا يقع، وهكذا أصبحوا ستة.

طيب إلى هنا ننتهي، أنا ممكن ألخص:

- أن ما كتب في اللوح المحفوظ سابق على وجود القدر وما كتب في صحف الملائكة لاحق أصالة
- ما كتب في اللوح المحفوظ مبني على علم الله لا يتغير وما كتب في صحف الملائكة مبني على علم الملائكة
- ما كتب في اللوح المحفوظ لابد يقع وما كتب في صحف الملائكة قد يقع وقد لا يقع
- ما كتب في اللوح المحفوظ كتب بالقلم وما كتب من صحف الملائكة كتبته الملائكة
- ما كتب في اللوح المحفوظ قدر مثبت أو مبرم ومثبت وما كتب في صحف الملائكة معلق ومشروط
- ما في اللوح المحفوظ لا يمحى ولا يتغير وفي صحف الملائكة يتغير.

انتهينا من هذه المرتبة وكنت أتمنى أن نأخذ الإرادة والخلق لكن يبدو أنه لن نلحق طيب أحسن الله إليكم جزاكم الله خير

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت أستغفرك وأتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة الثلاثون

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي الكرام على موعد مع برنامج دراسة العقيدة مرحلة القواعد التأسيسية التأصيلية في شتى أبواب العقيدة وما زلنا في القواعد الخاصة بالإيمان بالقدر والقاعدة الخاصة بمراتب القدر وإثبات القدر، انتهينا من المرتبة الأولى والثانية مرتبة العلم ومرتبة الكتابة، اليوم إن شاء الله نختم بمرتبة المشيئة ومرتبة الخلق.

مرتبة المشيئة وهي الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فليس في الوجود موجب تام كمشيئة الله وحده، فلا يكون شيء إلا بمشيئته، ولا يخرج عن مشيئته شيء، وهذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به. ودل على هذه المرتبة إجماع الرسل كما قلنا من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله عز وجل والفطرة فطر الله عز وجل عليها الخلق وأدلت العقول وغير ذلك وإجماع المسلمين من أولهم إلى آخرهم على إثبات مشيئة الله عز وجل كما ثبت. و تنوعت الأدلة على إثبات أمرين؛ أن ما وقع إنما وقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئة الله عز وجل لذلك الأمر. وهذه هي حقيقة الربوبية، حقيقة الربوبية لا خلق ولا رزق ولا إعطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه تعالى، وأن كل شيء بمشيئته وحده لا شريك له. يدخل في الإيمان في هذه المرتبة كما سيأتي بعض القواعد الفرعية الإيمان بقدرة الله ففي قاعدة مهمة سنبين مسألة العلاقة بين المشيئة والقدرة، فيدخل في الإيمان في مرتبة الإيمان بقدرة الله عز وجل الشاملة وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، سواء من الموجودات أو المعدومات وما شاء كونه فهو كائن قدرته كما قال تعالى "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ"

وما لم يشأ كونه فليس لعدم قدرته عليه بل لعدم مشيئته لوجوده كما قال تعالى" وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا" أخبر سبحانه وتعالى أن هداية كل نفس أمر مقدور له، لكنه لم يرده معللاً سبحانه وتعالى بعدم وقوعه، طيب وهذه سنبينها إن شاء الله في مسألة العلاقة بين المشيئة والقدرة. لكن القواعد المتعلقة بالمشيئة منها قاعدة فرعية (مشيئة الله مستلزمة وجود مراده وجوداً وعدماً)، بمعنى أن مشيئة الله عز وجل مستوجبة لوجود ما آراده، فما شاء الله لابد أن يوجد وبالعكس ما لم يشأ فإنه لا يكون. فقد علق الله عز وجل وجود كل شيء بمشيئته، وجوداً يعني أن ما شاء الله لابد أن يقع ويوجد وبالعكس، ما لم يشأ الله لا يكون، قد علق الله عز وجل الوجود والعدم للأشياء على المشيئة، ومعنى هذا نقول أن المشيئة مرادفة للإرادة الكونية لا للإرادة الشرعية وأن الأمر الكوني غير الأمر الشرعي فلذلك لا يلزم من وجود ما اقتضاه الله عز وجل وشاءه أن يكون يحبه ويرضاه، ووجوب وجوده إنما هو بمشيئته المستلزمة لقدرته، وما أن ينشأ امتنع وجوده عن المشيئة. يعني الآن نريد أن نقول في هذه القاعدة أن وجود المقدور وعدم وجوده يرجع لمشيئته عز وجل، الوجود ومشيئة في عدم الوجود لهذا الشئ هذه حقيقة الربوبية أي وجود إلا بمشيئته، وهذا التأصيل مهم لأنه بعض المخالف وقع في خلاف ما قلنا الآن مثل القدرية وغيرهم لذلك لما نقول حقيقة الربوبية أنه لا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئته وهو القائم بتدبير عباده، فلو وقع في الوجود ما لا يريده لم يكن مدبراً لهم ولا يستحق أن يكون رباً، يعني إن قلت أن هناك ما يقع في الكون بغير إرادة الله وبغير مشيئة الله وبغير تدبير الله فكيف يكون رباً؟ هذه من لوازم الربوبية، وهذا يبين لك خطأ القدرية المعتزلة الذين وقعوا في باب القدر ليه؟ ما المشكلة عندهم ؟ هم نفوا عموم مشيئة الله أو مشيئة الرب نفوا العموم.. أن كل شيء لا يكون بمشيئته وقالوا بأن يكون في ملكه ما لا يريد وهذا كلامهم معناه ايه؟ لازم أنه لا يكون رباً لأن مشيئة العبد هنا على كلامهم ستغلب مشيئة الله عز وجل عندهم، لأن مشيئة العبد مستقلة عن مشيئة الرب. وهذا الكلام قالوا القاضي عبد الجبار المعتزلي في أن الله يريد جميع ما أمر به انتبه ما أمر به ورغب فيه من العبادات وأنه لا يريد شيئاً من القبائح بل يكرهها، وهذا في الحقيقة هم جعلوا الإرادة الشرعية هي الكونية، وهذا نفي للربوبية كأنه يقع في كونه ما لا يريد، لذلك من اللوازم الفاسدة عند المعتزلة أنه عندهم لا يجوز للرجل أن يقول في دعائه اللهم وفقني اللهم اعصمني ما يقول ذلك.. ليه طيب؟ لأن إرادة العبد عندهم تغلب إرادة الرب، فلو أراد الله ما لم يرده العبد فإن إرادة العبد تغلب على إرادة الله. لو كنت تذكروا دراسة الشريعة لمن درس الإمام الآجري قال في كتابه الشريعة " ثم اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القدري الذي هو من القدرية لا يقول اللهم وفقني ولا يقول اللهم اعصمني ولا يقول لا

حول ولا قوة إلا بالله" ليه؟ لأن عنده أن المشيئة إليه إن شاء أطاع وإن شاء عصى ف احذروا مذاهبهم لا يفتنوكم عن دينكم. رحمكم الله لماذا نقول مثل الكلام هذا ؟ لأن البعض يقول لي ما هو الكلام شكله واضح لأ فقد وقع فيه طوائف كمثل هذه وقالوا انظر ما يستطيع أن يدعو بهذا الدعاء كأن الله هو الذي يوفقه ويعصمه لأنه جعله مشيئة العبد عندهم إذا خالفت مشيئة الله أو إرادة العبد تقدم على إرادة الله. طيب ما الأدلة على تقرير هذه القاعدة؟ قوله تعالى " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ" وقوله تعالى " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" وقال تعالى" ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" فدلت الأدلة على أن حصول أي شيء في هذا الكون إنما يكون بمشيئة الله، وعدم حصوله أيضاً يرجع لمشيئة الله. قلنا دلت الأدلة هنا على أن علق الله حصول الشيء وعدم المشيئة على ذلك، فإن مشيئة الله مستلزمة وجوداً.. وجود مراده طرداً وعدمه هذا من الكتاب ومن السنة عن معاوية رضي الله عنه وسفيان كما جاء معاوية رضي الله عنه وأرضاه معاوية بن سفيان وهو يخطب قال" سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول **"من يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيرًا يفقِّهْهُ في الدِّينِ، وإنَّما أنا قاسمٌ "** أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال " - اصنَعوا ما شئتُم فإنَّه ما يُرِدْ يَكُنْ" كل هذا رد الإرادة والمشيئة كلها إلى الله عز وجل" علق وجود الشيء بإرادة الله. ومن الأدلة من أقوال السلف منه الحديث سيدنا علي بن أبي طالب هو وفاطمة رضي الله عنهم كانوا نائمين من الليل فقالَ لهمْ: ألا تُصَلُّونَ؟، فقالَ عَلِيٌّ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّما أنْفُسُنا بيَدِ اللَّهِ، فإذا شاءَ أنْ يَبْعَثَنا بَعَثَنا" أيضاً رد ذلك أن الأنفس متوقفة على مشيئة الله عز وجل. وغير ذلك من الآثار ومن الأدلة تبين مضمون هذه القاعدة. يدخل معها قاعدة أيضاً تلازمها (أنه ليس في الوجود مقتضى على الحقيقة إلا مشيئة الله وحده) تتمة يعني، ايه المقصود هنا؟ مقصود أن مشيئة الله هي المقتضية والنافذة وحدها على الحقيقة، فلا يوجد في الوجود ما هو خارج عن مشيئة الله عز وجل وهذا لا يفهم منه أن العبد ليس له مشيئة ولا اختيار!! لا. أو أن تفهم منه أن العبد ليس بقادر. بل أن العبد له مشيئة وله اختيار ولكنها تابعة لمشيئة الله عز وجل. فلابد هنا إثبات للمشيئتين، لكن من زعم أن العبد يشاء لنفسه ما لا يشاءه الله ولا يريده فقد زعم أن مشيئة العبد تغلب مشيئة الله عز وجل وهذا هو عين قول القدرية التي بيناه في القاعدة الأولى وهذا افتراء عظيم، فإنها وإن كانت أفعال العباد تقع بمشيئة وإرادة للعباد لكنها لا تقع إلا بمشيئة الله عز وجل وهذا معنى ليس في الوجود مقتضي على الحقيقة هذه معنى إلا مشيئة الله وحده على الحقيقة، لأن فعل العبد إذا لم يكن مخلوقاً لله وهذه الخلاصة أن فعل العبد إما واحدة من ثلاثة أن يكون مخلوقاً للعبد استقلالاً أو الثانية أن يكون مخلوقاً للعبد على سبيل المشاركة مع غيره والثالثة أن يكون فعله من غير خالق والثلاثة باطلة ما يصح أن تثبت. فأصبح أن فعل العبد مخلوق أيضاً من الله عز وجل. طيب ما الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" أخبر الله عز وجل في الآية ايه؟ في الآية الثانية فنقول "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" ففي الآية الأولى أن الله عز وجل أخبر الاقتتال والآية الثانية عدم الإيمان وقع بمشيئة

الله ولو شاء الله ذلك أن لا يقع لم يكن سيقع، ثم سورة الإنسان "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" هنا إثبات للمشيئتين وهذا رد واضح وصريح وهذا منهج السلف في هذه المسألة يثبت مشيئة الله ومشيئة العبد، لكنه على الحقيقة لا هناك وجود في الحقيقة إلا بمشيئة الله عز وجل. جاء حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " لا تَقولوا : **ما شاءَ اللهُ وشاءَ فلانٌ** ، ولَكِن قولوا : ما شاءَ اللَّهُ ثمَّ ما شاءَ فلانٌ ". ما معنى كلمة مقتضي؟ متحقق يعني، اقتضاء من الاقتضاء أي واقع.. طبعاً كل ما يكون بقوم في الحقيقة مقتضي لمشيئة الله لا يكون مقتضي لغير مشيئة الله، هو في مشيئة للعبد لكن هي لابد حقيقة أن تقع بمشيئة الله، هذا المقصود أن كل ما في الكون لابد أن يكون مقتضي بمشيئة الله عز وجل. أيضاً منها يعني من أقوال السلف في ذلك لما مرض أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه فقالوا ألا ندعو لك طبيب؟ فقال قد رآني قال فأي شيء قال لك؟ قال إني فعال لما أريد. الشافعي رحمة الله عليه يقول في قوله تعالى " وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا " قال أن المشيئة هي إرادة الله تعالى فأعلم أن الله تعالى خلقه المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم ما تكون إلا أن يشاء الله. وكل ما سبق تأكيداً على إثبات المشيئتين للعبد ومشيئة الله وإن كانت مشيئة العبد ثابتة لكنها تحت مشيئة الله عز وجل. قاعدة أخرى في المشيئة (كل ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة) هنا تبين العلاقة بين المشيئة والقدرة.. وسنبين تحقيق الثمرة منهما وهي مهمة. (كل ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة) كل ما شاء الله هو قادر عليه وكل ما لم يشاءه الله هو قادر عليه أيضاً وليس كل ما هو قادر عليه يشاءه ، الإرادة هذه صفة والقدرة هذه صفة

كل ما شاءه الله عزوجل وجوداً وعدماً يقدر الله عليه، وهنا يبين لك هناك علاقة بين المشيئة والقدرة نعم لكن ليست تلازم المتطابق لأننا هنتكلم في المخالف ماذا قالوا في هذه المسألة؟

(كل ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة) هذه القاعدة مكملة للقاعدتين السابقتين وهي معناها ايش؟ ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فما شاء كان ولا يكون شيء إلا بقدرته، طيب فما شاء الله وجوده فلا يوجد بالمشيئة وحدها وإنما يوجد بالمشيئة مع القدرة، إذاً وجود المقدور متوقف على أمرين القدرة التامة والإرادة التامة إذا تخلف أحد الإثنين امتنع وجود المقدور لكن سؤالنا هنا الآن هل كل ما تعلقت به القدرة تعلقت به المشيئة؟ الجواب أن ما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فلا تكون كلية صحيحة إلا بقيد الموجودات يعني لابد ما تعلقت به القدرة من الموجودات لابد تتعلق به المشيئة، طيب وهذا يظهر أن المشيئة والقدرة يجتمعان في الشيء الموجود أو الشيء الذي سيوجد، وتنفرد القدرة بالممكن الذي لم يشاءه الله عز وجل كما في قوله تعالى { إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (٢٢) وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ (٢٣) } [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٢٢-٢٣] فالله عز وجل قادر على أن يسمعهم ولكن هل أسمعهم ؟ الإجابة لا لماذا ؟ لعدم المشيئة ليس لعدم القدرة ولكن لعدم المشيئة فلم تتعلق القدرة هنا بالمشيئة ليش؟ لأنه أمر معدوم لا يوجد، قيدنا تعلق القدرة مع المشيئة بالموجودات ليست بالمعدومات التي لا توجد، في المعدومات القدرة موجودة لكن المشيئة غير موجودة هل فهمتم هذه المسألة؟ هذه مسألة مهمة فالسلف يقولوا (الله على كل شيء قدير) هذا في حالة الموجودات وحالة المعدومات هو قدير سبحانه وتعالى لكنه لم يشأ أن تكون فهنا فارقت القدرة المشيئة، لذلك السلف يقولون الله على كل شيء قدير وعندهم إشكال في قول من يرى (الله على ما يشاء قدير) ما الإشكال؟

ما الفرق بين الله على كل شيء قدير والله على ما يشاء قدير ؟؟ الشيخ قرأ إجابات الطلبة وعلق قائلاً غالب كلامكم يعني كله يؤدي إلى مسألة واحدة وهو أن جعلوا القدرة مع المشيئة في الموجود فقط إذا شاءه قدر عليه وما لم يشاءه كأنه ما لم يجعل له فيه قدرة وده طبعاً نقص وانتقاص من ايش؟ من عموم قدرة الله الشاملة لذلك نقول هنا سنبين الكلام على القول (أن الله على ما يشاء قدير) فالبعض يقول (الله على ما يشاء قدير) ولا يقولون (الله على كل شيء قدير) تعليق الشيخ وهنا أولاً لابد أن نتكلم عن شمول قدرة الله عز وجل أولاً أن الله عز وجل قدرته شاملة لكل شيء قال تعالى "وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " " وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا " فهنا كل شيء دخل في العموم فكل ما صح أن يكون شيئاً سواء وجد فعلاً أو لم يوجد مما بيتصوره الذهن أنه موجود فكل هذا الله عليه قدير أو قادر عليه سواء شاء أن يكون أو لم يشأ أن يكون.

أولاً لابد أن تثبت مسألة القدرة سواء الموجود أو المعدوم أيا كان لذلك أيضاً ثم تثبت شمول مشيئة الله عز وجل أيضاً الله مشيئته شاملة لكل شيء، وجوباً فيما وقع وجوازاً فيما لم يقع، وجوباً للذى وقع بمشيئته وجوازاً فيما لم يقع فهو جوازاً أيضاً الله عز وجل إن شاءه سيكون، إذن المراد هنا أن مشيئة الله عز وجل نافذة في الوجود فلا يكون في الوجود شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل هنا يبين لك شمول القدرة وشمول المشيئة تمام؟

طيب نأخذ العلاقة بقى جواز تعلق قدرة الرب عز وجل بكل ما جاز أن تتعلق به المشيئة والعكس وجوداً وعدماً يعني ايش هنا؟ القدرة شاملة على ما أراده أن يكون وشاءه وأيضاً على ما لم يشأ أن يكون، القدرة لله عز وجل متعلقة فيه، وكذلك المشيئة تكون على المقدور وما لا يصح أن يكون مقدوراً لأن كونه ليس بشيء لا يتوجه إليه المشيئة هنا، يبقى هنا فارقت. فالمشيئة فقط جاءت فيما صح أن يكون موجوداً أما ما لم يكون موجوداً فليست فيه مشيئة، فأصبح القدرة في الكل في الموجود وغير الموجود قادر، وفي المشيئة متعلقة بالموجود فقط ، وكأن القدرة لو قلت أنها أعم أو تلازمت القدرة مع المشيئة في الموجودات وانفردت القدرة بدون المشيئة في المعدومات الذي لم يشاءها الله عزوجل (الخلاصة).

هذه هي كما قال ابن تيمية (قدرة الله لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وليس كل ما كان قادراً عليه فِعله أو إذا كان لو شاء لفَعله دل على أنه قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير المقدور) طيب ولذلك نقول (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) طبعاً هذا عموم في كل شيء، فهمت الآن؟ طيب.

طيب المرتبة الرابعة (الخلق) وهو الإيمان بأن الله عز وجل خالق كل شيء فما من مخلوق في السماوات والأرض إلا الله خالقه، خالق كل عامل وعمله وخالق للمتحرك وحركته وكل ساكن وسكونه وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق إلا هو، وهذه المرتبة متفق عليها بين الرسل ومتفق عليها بين أصحاب الفطر والعقول والاعتبارات ولابد طبعاً حتى تثبت القدر لابد تثبت هذه المرتبة الرابعة عموم خلق الله عز وجل لكل شيء، لذلك يدخل تحتها بعض القواعد الفرعية الله خالق كل موصوف وصفته.

أولاً الله خالق كل مخلوق يدخل في المخلوقات الملائكة الجن الإنس الطيور يعني العجماوات و الحيوانات وغير ذلك أيضاً، الله خالق كل موصوف وصفته يعني كل صفة في المخلوقات الله خالقها سواء صفة جسدية كالأجنحة كالأيدي الساق العين حتى في الآدمي أو غير ذلك، الله عز

وجل متصف وحده بصفة الخلق لا خالق إلا الله عز وجل جميع ما في الوجود من أعيان وصفات خلقها الله عز وجل، وهذه يدخل فيها عموم خلقه سبحانه وتعالى لكل شيء وهذه حقيقة الربوبية لأن الرب وحده هو الخالق سبحانه وتعالى " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ " فالخلق صفة من صفات ربوبية الله عز وجل، والله خلق خلقه بناء على علمه السابق فيهم ثم خلق بعد ذلك، لذلك قلنا أن مرتبة العلم أهم المراتب لأنه يترتب عليها بعد ذلك إذا علم كتب وشاء وخلق بعد ذلك كما قال الآجرى في باب ذكر الآثار والسنن المبينة أن الله عز وجل خلق خلقه قال (خلق من شاء خلقه للجنة ومن شاء خلقه للنار في علم قد سبق) وهذا يبين لك أن العلم أولاً سبق في علم الله عز وجل ثم خلق سبحانه وتعالى الخلق جميعاً

الخلق له معنيان الإبداع على غير مثال سابق والثاني هو التقدير والتصوير وهذا معنى آخر للخلق، الخلق المضاف إلى الله عز وجل يجمع فيه الإثنين لابد تجمع فيه الإثنين وهو الإبداع على غير مثال سابق والتقدير والتصوير، وأما الخلق ليضاف إلى المخلوق كقوله تعالى (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) فأضيف الخلق للمخلوق وهذا يأخذ فيه التقدير والتصوير فقط دون الإيجاد، وقد بينا كما يصنع الصانع يعطي الخشب ويجعله دولاباً ويأخذ الحديد يجعله سيارة إلى غير ذلك، هذا من باب التصوير دون الإيجاد، أما الإيجاد من عدم أو الإبداع على غير وجود سابق هذا لا يكون إلا لله عز وجل قال تعالى{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ } [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١] وقال تعالى {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ } [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٩٦] وقال تعالى {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ } [سُورَةُ التَّغَابُنِ: ٢]فالله عز وجل خلق العبد ذاته وصفاته دخلت في الخلق أيضاً وقال حذيفة رضي الله عنه وأرضاه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ)، طيب ومن أقوال السلف أيضاً كما تذكروا قصة الحسن البصري لما ذهب إلى مكّة ودخل في المجلس وقد قيل عليه ما قيل في بعض المسائل بالقدر، فجاء رجل قال يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ كأنه بيختبره فقال سبحان الله وهل من خالق غير الله؟ خلق الخير وخلق الشر فقال الرجل يكذبون على الشيخ -لأن البعض نسب إليه كلاماً في القدر- فقال يكذبون على الشيخ فقد بين أنه لا خالق إلا الله وقد بين له أن لا شيء يخرج عن خلق الله عز وجل خلق الخير والشر لأن القدرية طبعاً يقولون أنه خالق للخير وليس خالق للشر وأفعاله.

فنقول هذه القاعدة الأولى أن الله عز وجل خلق العبد وصفته ثم قاعدة أخرى تفرد الرب بخلق ذوات العباد وصفاتهم متناول لتفرده بخلق أفعالهم، أضفنا على هذه القاعدة كما أنه متفرد بخلق الخلق وصفاتهم وهو متفرد أيضاً بخلق أفعالهم أفعال من؟ أفعال العباد.

ومعنى هذه القاعدة أن الله عز وجل تفرد كما تفرد بخلق العباد وصفاتهم يقتضي ذلك بأنه يخلق فعل العبد ومفعولاته أيضاً، أفعال العبد حادثة بعد أن لم تكن والحوادث كلها داخلة تحت خلق الله سبحانه وتعالى، كل مُحدَث لابد له من مُحدِث وهو الله عز وجل، فإذا قلنا إن الله هو المحدث لأفعاله فقلنا العبد وأفعاله محدثة من قبل الله عز وجل أي الله عز وجل هو الذي خلقها أيضاً، لأن لو لم نقل ذلك سيكون العبد هو المحدث لأفعاله وكأن العبد يحدث ما لا يقدر عليه الله

عز وجل وهذا ينافي قدرة الله التي قلناها من قبل وقررناها في الربوبية الله عز وجل، لكن البعض أشكل قالوا لا العبد بيحدث ودول طبعاً المعتزلة وغير ذلك أفعالاً لا يحدثها الله عز وجل واستدلوا بقوله تعالى {مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ } [سُورَةُ المَائِدَةِ:١٠٣] وجه الشاهد؟ قالوا(مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) فنفى الله عن نفسه الجعل والجعل له معنى عندهم بالخلق فكأن الله ما خلق أو ما جعل، فقالوا إذاً هنا الذي جعل ذلك العبد وهذا يدل على أن العبد عندهم يحدث.

الشيخ يسأل هل عندكم من اجابة؟

رد أحد الطلبة (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)

الشيخ لا خذها قاعدة لما يشكل عليك حد يعترض بدليل لا تترك دليله وتروح تجيب له دليل آخر ترد به عليه هذا ضعف في الاستدلال أن تأتي بأدلة أخرى؟ نعم لكن لابد تفند له الإعتراض الذي في دليله ما يمنع أنك تأتي بأدلة أخرى تثبت لكن يتبقى لك ترد على الدليل الذي أشكل عليك به ما تتركه وإلا هذا يكون ضعف في الاستدلال فأنت استدلالك بالآية نعم صحيح لكن ما تفعل في هذا؟ تدبروا قبل أن تجيبوا

السؤال مرة أخرى قلنا بأن أفعال العباد الله يخلقها أيضاً هناك طائفة قالت لا هناك أفعال العباد لا يخلقها الله عز وجل ويحدثها العباد من أنفسهم وقالوا هنا قال تعالى (مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) ما جعل يعني ما خلق من الذي فعل ؟ قالوا العبد هو الذي فعل ذلك، طيب هو الذي عمل الوصيلة والحام والبحيرة وغير ذلك فقالوا إذاً هو نفى الله عن نفسه الجعل وهو بمعنى الخلق فإذاً يجوز أن يحدث غير الله عز وجل هذا السؤال. فكيف الرد؟

إجابة طالب

(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ)

الشيخ

أنت كده لم تجاوب عن الآية

نعم (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ) هذا عموم صحيح نوافقك طب وكيف الرد على الآية.

الإجابة المقصود به الجعل الشرعي وليس الكوني ليس بمعنى الخلق هنا لأن المشركون كذبوا على الله وافتروا بأن الله قد أباح لهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كل هذه الذي يسيبونها وهذه ليست من الفعل لله عز وجل بل كانت من عمرو بن لحي الذي كان أول من سوب السوائب وأدخل الشرك في جزيرة العرب فالله وجل ينكر عليهم ذلك

قال (وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ)

يعني ما جعل الله من بحيرة أي ما شرع الله ذلك وما حكم شرعاً بهذا ، فإذاً الآية هنا ايش؟ الآية ليست في الكونى بل الآية في الشرعى، فيرد على هؤلاء وهذا رد على الآية لأن ليس هذا الجعل المقصود عندكم بالخلق لكنه المقصود هنا أن الله عز وجل ما حرم ذلك البحيرة والسائبة والوصيلة لكن هم الذين حرموا الذين كفروا ذلك والله عز وجل ينكر عليهم ذلك ، وهذا يستقيم لكم أو يستقيم لأهل السنة أن الله خالق العباد وأفعال العباد أيضاً

لكن هنا سؤال مهم

ما معنى كون الله عز وجل خالقاً لأفعال العباد؟

يعني ايش معنى أننا نقول بأن الله عز وجل خالقاً لأفعال العباد؟ خلاص انتهينا من الجعل، قلنا خلاص أن الله خلق العباد وصفاتهم وأفعالهم، طب عرفنا ما معنى خلق العباد؟ نفس العبد خلقه، وخلق صفاته يعني الذي خلق العبد خلق اليد والساق وخلق الأمور

فما معنى أن الله عز وجل خلق أفعال العباد؟

الإجابة

المقصود أن الله عز وجل خلق الإرادة والقدرة في العبد ليفعل والعبد هو الذي فعل

لكن من الذي خلق الإرادة والقدرة؟ الله لذلك هنا خلق الله لأفعال العباد والمقصود بها ماذا؟ ما دام الله خلق لك القدرة والإرادة التي أنت فعلت بها إذن الله خالق لأفعال العباد، هو ده المقصود نعم جزاكم الله خيراً

فإذا كانت الإرادة والقدرة مخلوقتان لله، يبقى معنى ذلك إذن أفعال العباد مخلوقة لله

إشكال

ممكن يشكل عليك يقول لك أنت بتقول أن ربنا خالق أفعال العباد والعبد هو الذي بيفعل، فقلنا له والعبد فعل بإرادة وقدرة والإرادة القدرة من الذي خلقهم؟ الله

فإذاً الله هو الخالق الإرادة والقدرة يبقى إذاً بالتبعية الله خالق أفعال العباد

لأنه هو يقول لك من الفاعل؟ من الذي قتل؟ من الذي شرب؟ من الذي صلى؟ العبد.

نقول الإرادة التي فعلت ذلك والقدرة خلقها الله والله خالق الإرادة فالله عز وجل خلق الفعل أيضاً الذي فعله العبد لذلك فهذا معنى أن الله خالق أفعال العباد.

لذالك المعتزلة بعضهم يلبس على الناس فيقول أن الله عز وجل خلق أفعال العباد ويعدون بالخلق هنا التقدير والتصوير، هم لا يقولون أن الله خالق أفعال العباد

لكن أحياناً بعضهم يلبس على أهل السنة فيقول في بعض كتبه أن الله خالق أفعال هو يقصد هنا التقدير والتصوير لا الإبداع ، يعني نفى عن الله الخلق الإبداع الذي نحن قلناه، ويبقى هنا ما وافق أهل السنة فيه لكن هو جعل في التقدير والتصوير فقط.

طب ماذا تقول الجبرية ؟ الجبرية يقولون أن الله خالق أفعال العباد وإنما تنسب إلى العباد مجازاً على النقيض، يعني القدرية يقول أن العبد هو يخلق فعله، الجبرية يقولون أن الله خالق أفعال العباد، وإنما تنسب للعبد على سبيل المجاز على سبيل ايش؟ المجاز، وهذا الكلام أيضاً كلام باطل، لذلك يقول لك تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس وإنما فُعِلَ ذلك بالشجرة والشمس الله عز وجل وهم طبعاً يجعلون أن كل الأفعال يفعلها الله عز وجل وفقط تنسب للعبد مجازاً.

طبعاً هذا سيأتي إن شاء الله في دراسات أخرى لكن نحن بنبين قولهم على النقيض من القدرية في مسألة الفعل، الأشاعرة حاولوا يتوسطوا فاخترعوا شيء أضحكوا الناس عليهم قالوا

اقترحوا شئ اسمه الكسب، قالوا الله خالق أفعال العباد والعبد كاسب، ربنا الذي خلق والعبد الكاسب، ثم قعدوا هم يعيشوا في معنى الكسب واختراع أقوال كثيرة لهم ليس لها محل هنا

قال الباقلاني (فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركاتهم حيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق له غيره فهي منه خلق وللعباد كسب) و لما تيجي تنظر لمعنى الكسب عندهم في الحقيقة هما كما قال بعض أهل السنة أنهم قالوا بالجبر المؤدب سموه جبر مؤدب لكن هم في الآخر كلامهم هو جبرية في النهاية لأنهم ذكروا الكسب معنى لا حقيقة له أصالة.

فالشاهد الذي نحن نريد أن نقول بأن اختلفت الطوائف في معنى فعل العباد منهم من جعل الفعل مستقل للعبد كما قالت القدرية، ومنهم من جعل أفعال العباد كلها لله كما قالت الجبرية، ثم جاء الأشاعرة أرادوا أن يتوسطوا قالوا بمعنى يسمى الكسب وهذا أيضاً كله مردود عليهم.

قلنا هذا في الأفعال أى أفعال العباد أنها مخلوقة يعني أن الله عز وجل خلقها طيب هناك أفعال بفعل العبد مباشرة وهناك أشياء تتولد من فعل العبد تسمى المتولدات بمعنى لما العبد أكل حصل الشبع له، الشبع تولد من ايش؟ من الأكل

طيب هل هذه المتولدات تدخل تحت خلق الله أيضاً أم لا؟ هي حاصلة بسبب فعل العبد يعني الشبع هذا أو الارتواء حاصل متولد بيسموه متولدات حدث من ايش؟ من فعل العبد

هل هذا يدخل أيضاً في خلق الله عز وجل أم لا يدخل؟ طبعاً أهل السنة والجماعة يقولون أن كل هذا يدخل سواء الفعل مباشرة أو المتولد من فعله أيضاً، واستدلوا بآية يبين لك بأنه المتولد فعله المباشر والمتولد من هذا الفعل كله يكون من فعل العبد أيضاً وما دام من فعل العبد فهو داخل في خلق الله عز وجل

قال تعالى{ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ }[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٢٠]

ثم قال تعالى

{ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٢١]

الله فرق في الآية بين أمرين، فرق بين الإنفاق والسير وبين الظمأ وغيره من الأمور التي جاءت في الجزاء

فرق في الجزاء كيف؟ قال لما كان الإنفاق والسير عملاً مباشراً قال (كُتِبَ لَهُمْ) والأمور الأخرى لم تكن مباشرة الذي هو (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) الظمأ ليس منك ولا النصب ولا التعب ولا المخمصة

وهو يسمى المتولد هذا، **قال (إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌۚ) لماذا قال كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ ما الأول كتب لهم والتاني كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ لأنهم مشاركون في هذه الآثار، فحصول هذه الآثار التي حدثت لهم من النصب والظمأ والمخمصة لابد فيها من أسباب يخلقها الله عز وجل ولابد فيها من موانع يرفعها، لذلك قال أنهم شاركوا فكتب لهم به عمل صالح مع**

أن هذه ليست منهم متولدات تسمى، لماذا بنقول هذا الكلام؟ لأن خالف فيهم أيضاً القدرية والجبرية، الجبرية يقولون ايش؟ أن جميع المتولدات هذه فعل لله، على أصلهم أن كل الأفعال لله فيكون حتى المتولدات هذه فعلاً لله عز وجل وليست فعلاً للعباد لماذا؟ لأن عندهم العبد مجبور. طب القدرية اختلفوا بينهم في المسألة هذه، منهم من قال حدثت بلا محدث أصلاً له وهذا ضلال، لكن أهل السنة والجماعة قالوا لا. المتولدات أيضاً من الأفعال التي خلقها الله عز وجل طب من الأدلة على ذلك ايش؟ أن المتولدات هذه أيضاً خلقها الله عز وجل أكثر من آية منها قوله تعالى { رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ } [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٢٨] ما وجه الشاهد؟ الدعاء من إبراهيم عليه السلام أن الله يجعلهم مسلمين طلب إبراهيم وإسماعيل من الله أن يجعلهما مسلمين، مع أن كونهم مسلمين فعلاً لمن؟ لهما. يعني كونهم مسلمين فعل لهما دل ذلك على أن فعل العبد يخلقه الله عز وجل، لو كان فعل العبد ما يخلقه الله عز وجل لما صح منهم هذا الدعاء لماذا يقولوا لله اجعلنا مسلمين مع أنهم هم الذين يجعلوا أنفسهم مسلمين؟لأن الله هو الذي يخلق أفعالهم. وأيضاً من قوله تعالى { وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ } [سُورَةُ فُصِّلَتۡ: ٢١] أخبر الله أنه هو الذى ينطق والنطق أصلاً من مين؟ من العبد يعني الذي بينطق العبد ومع ذلك قالوا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ فدل ذلك على أن الله عز وجل هو الذي حقق فعل العبد في ذلك وهذا كله من أدلة القاعدة التي بيناها. أيضاً لقوله تعالى { وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ } [سُورَةُ النَّحۡلِ: ٨١] الآية فيها دلالة على ما قلت، ما وجه الشاهد وكيفية الاستدلال أنتم عارفين هو المسألة فين؟ الله خلق العبد وخلق أفعاله وخلق المتولدات أيضاً من أفعال العبد، هذه الآية دليل أين وجه الشاهد وكيفية الاستدلال؟ الإجابة الشاهد (وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ) هي لا تكون سرابيل إلا بعد صنع العبد ومع ذلك الله عز وجل قال ايش؟ (وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ) من الذي صنع السرابيل؟ العبد. (والله جعلها لكم) عشان كده أنا قلت في التأصيل انظروا إلى فعل العبد ثم ينسبه الله عز و جل إلى نفسه، فهو القصة أن السرابيل لا تكون سرابيل إلا بعد صنع العبد ومع ذلك الله عز وجل جعل لكم سرابيل، طالب يقول أيضاً قوله تعالى (وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا) تعليق الشيخ هذه الآية لا تساعدك لأن خلق الظلال من الله ليس للعبد دخل فيها. (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا) هنا لو قلت أن الجبل جعل منه أكنانا يعني حفروا من جبال فنقول نعم أيضاً وممكن لو قلت (وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا) أنك أنت الذي زرعت الشجرة مثلاً لكن كل هذا بعيد عن السرابيل، الاستدلال الصريح هو في السرابيل.

فنقول أن الله خلق العبد وخلق فعل العبد طبعاً من الأدلة الصريحة في ذلك قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) وهذه دلالة على أن الله عز وجل خلق العبد وخلق أفعال العبد.

وقال يحيى بن سعيد ما زلت أسمع أصحابنا يقولون (بأن افعال العبد مخلوقة)، وأيضاً قال ذلك البخاري رحمه الله قال فأما أفعال العباد فقد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا ابو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (**إِنَّ اللَّهَ يَصنعُ كلَّ صانعٍ وصنعتَهُ**) ثم تلا قوله تعالى (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**).

والأدلة كثيرة حقيقة من السلف وهذا إجماع الصحابة والتابعين على أن أفعال العباد مخلوقة لله عزوجل.

هذا كان آخر الكلام في مسألة الخلق وهذا يدل على وجوب الإيمان بهذه المراتب الأربعة لتحقيق الإيمان بالقدر، وقلنا أن هذه التقسيمات لم يرد فيها كتاباً ولا سنة لكنه من استقراء العلماء بالتتبع والاستقراء في النصوص فجعلوا أن مراتب القدر أربعة كما قلنا العلم والكتابة والمشيئة والخلق، والحقيقة أن هذه المراتب هي صفات الله أصلاً العلم صفة لله والكتابة والمشيئة والخلق القدرة وقلنا المشيئة مع القدرة كلها صفات لله عز وجل والإيمان بصفاته واجب فدخل ذالك في الإيمان بالقدر، و ضل في ذلك طبعاً طوائف خالفوا أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقاعدة الأصلية التي كنا بنتكلم عنها المحاضرة السابقة والتي قبلها بمسألة (أن الإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بالمراتب الأربعة) طبعاً القدرية هم ضلوا في هذا الباب، غلاة القدرية نفوا المراتب الأربعة لذلك أهل العلم كفروهم بذلك، ثم جاء القدرية دون الغلاة الذين أثبتوا العلم والكتابه ثم جعلوا للعبد مشيئة مستقلة وخلق لأفعاله مستقل وهؤلاء الطائفة الثانية من القدرية وبداية ظهور هذا القول القدري معبد الجهنى بالبصرة ظهر في وقت ابن عمر كما بينا من قبل وأنهم نزلوا لابن عمر يسألون عن هذا القول فقال أخبروهم بأني برئ منهم ثم ذكر حديث جبريل (أنه لا يؤمن أحد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره)، وغلاة القدرية اتفق سلف الأمة على تكفيرهم لأنهم أنكروا العلم لذلك كان الشافعي يقول (خاصموهم بالعلم فإن أقروا به ألقوا عليهم ما بقي أما إذا أنكروا العلم فقد كفروا وجحدوا) لأنه لو أنكر العلم سينكر كما قلنا باقي المراتب التي فيها، ثم جاء المعتزلة الذين أثبتوا العلم والكتابة ونفوا المشيئة والخلق وأنكروا إرادة الله فيما وقع من المعاصي ومن أفعال العباد من الذنوب وغير ذلك وهم قالوا لم يخلقها الله ولم يشاءها، قالوا لم يخلقها الله عز وجل فنفوا خلق الله لافعال العباد ونفوا مشيئة الله عز وجل للمعاصي، ظناً أن هذا تنزيه الله عز وجل على أنه كيف يريد المعاصي والذنوب أو يخلقها، وهذا ضلال منهم لأنهم لم يفرقوا بين الإرادة الكونية أو المشيئة وبين الإرادة الشرعية، لم يفرقوا المشيئة وبين المحبة، جعلوا المشيئة والمحبة واحدة، وقالوا كيف الله عز وجل وهو لا يحب المعاصي كيف يخلقها؟ وقلنا أن هذا التفريق هو الصحيح عند أهل السنة والجماعة فرقوا بين المشيئة والإرادة الكونية وبين المحبة والإرادة الشرعية، وقد تكون المشيئة الإرادة الكونية فيما يحب وفيما لا يحب أراده كوناً وأما الإرادة الشرعية التي لا تكون إلا في ما يحب. نتيجة لهذا الضلال في هذه المسألة عندهم لم يثبتوا أن الله خلق المعاصي والذنوب وأن العباد هم الذين يخلقون بأنفسهم ظناً منهم أن هذا تنزيهاً لله عزوجل، وهذا طبعاً ضلال.

هذا آخر الكلام في هذه القاعدة إن شاء الله بعد ذلك سنتكلم الأسبوع القادم عن القواعد الخاصة بأفعال الله عز وجل يعني نحن انتهينا هكذا من القواعد العامة في القدر، في قواعد ستكون خاصة بأفعال الله عز وجل نتكلم عنها إن شاء الله نريد فقط ننتهي إن شاء الله من القواعد قبل الدخول على رمضان علينا فنحاول ننتهي من القواعد الخاصة بأفعال الله عز وجل ثم هناك قواعد خاصة بأفعال العباد بعد ذلك ونختم بها قاعدة خاصة بالقدر بإذن الله تعالى نكتفي بهذا اليوم.

تعقيب من الشيخ المشيئة لا تكون إلا في الكونى فالمشيئة لا تطلق إلا على الإرادة الكونية أما الإرادة الشرعية لا يطلق عليها مشيئة يطلق عليها إرادة شرعية فقط أو المحبة. أي شيء في الكون لابد له من مشيئة الله فمسألة المشيئة منتهية ما يحدث في الكون إلا من مشيئة الله سواء كان خيراً أو شراً أنت تريد أن تفرق بين الكوني و بين الشرعي، الشرعي ما يكون إلا فيما يحبه الله وهي الأوامر الشرعية أو النواهي هذا الذي يكون شرعاً وهذا البعض يستجيب والبعض لا يستجيب و قد يقع وقد لا يقع، لكن الكونى حتماً سيقع والفرق أن الكوني فيما يحب وفيما لا يحب وأما الشرعي فلا يكون إلا فيما يحبه فقط.

قول ابن تيمية في القدرة والمشيئة قال (قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته) وربط هنا بين القدرة مع المشيئة قال لا يفعل بها في قدرة على كل شيء لكن لا يفعل بهذه القدرة إلا مع وجود المشيئة فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وليس كل ما كان قادراً عليه فعله يعني ليس كل شيء قادر عليه الله عز وجل أنه يجب أن يفعله ، و لو شاء لفعله يبقى لو شاء لفعله دل على أنه قادر عليه و لا يمكن فعل غير المقدورهذا في منهاج السنة، يعني جواز القدرة دليل على جواز المشيئة وجواز المشيئة دليل على جواز القدرة أيضاً، نعم هذا ما قلنا المشيئة مع القدرة تلازمية بالموجودات والقدرة في المعدومات لأنه لم يشأ الله عز وجل أن تكون فليست هناك مشيئة معه، وأياً كان الصيغة التي بتقولوها يعني المشيئة تكون متعلقة بالموجودات والقدرة المتعلقة بالموجودات والمعدومات مع عدم المشيئة للمعدوم

طيب سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه جزاكم الله خيراً

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي الكرام على موعد مع درس برنامج دراسة العقيدة مرحلة القواعد التأسيسية والتأصيلية ونحن الحمد لله على مشارف الانتهاء من القواعد، وكنا قد بدأنا الأسبوع الماضي والذي قبله في القواعد الخاصة بالقدر وكانت القواعد العامة الخاصة بالقدر، أثبتنا الإيمان بالقدر من حيث المراتب الأربعة العلم والكتابة والمشيئة والخلق، اليوم سندخل في مجموعة قواعد خاصة بالقدر لكنها تحت باب جديد من أبواب قواعد القدر وهي القواعد الخاصة بأفعال الله عز وجل، هذه القواعد متعلقة بأفعال الله عز وجل وهذه سنأخذ فيها بعض القواعد على قدر ما نستطيع، ويتبقى لنا بعد ذلك القواعد الخاصة بأفعال العباد، وكلها تحت مسألة القدر.

سنبدأ بالقواعد الخاصة بأفعال الله عز وجل في باب القدر ونبدأ بالقاعدة الأولى وهي أن الله عز وجل جبل العباد على ما شاء، وهذه القاعدة تتعرض لبيان خلق الله عز وجل لإرادات الناس وأنهم راضين بها مختارين لها، وسنبين سبب اهتمام العلماء بمسألة جعل هذا يرد فيه على الجبر الذي قد تكلم فيه القدرية والجبرية أيضا، تجد الزبيدي عليه رحمة الله تعالى يقول: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحب.

وقال الأوزاعي: ما أعرف للجبر أصلا من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل.

فالكلام مذكور عن العلماء السابقين في مسألة أن الله جبل العباد على ما يشاء.

والأدلة على هذه القاعدة أيضا من الكتاب ومن السنة:

من قوله تعالى "إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا " فأخبر الله عز وجل أنه خلق الإنسان على هذه الصفة.

وقوله تعالى "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ"

ومن السنة حديث عن أُمّ أَبَانَ بِنْتِ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ عَنْ جَدِّهَا زَارِعٍ - وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ - قَالَ: (لما قدمنا المدينةَ، فجعلْنا نتبادرُ من رواحِلنا، فنقبِّل يدَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ورجلَه، وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة، قال: يا رسول اللهِ! أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله.) هو كل الناس نزلوا من رحالهم بإحراقهم وبهدومهم كما كانوا يقبلوا يديه ورجليه أما هو فجلس فعقل ناقته، ثم هندم ملابسه ثم هيأها ثم جاء بتؤدة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالنبي صلى الله عليه وسلم قال له: إن فيك خلتين يحبهم الله الحلم والأناة انتبهوا معي قال يا رسول الله أنا اتخلق بهما أم الله جبلني عليهما.. وهذا وجه الشاهد أنا اتخلق بها؟ أم الله جبلني عليها قال: بل جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله.

طيب هذا يعني استدلال من الكتاب والسنة على مسألة الجبل لكن نريد أن نعرف ما معنى الجبل في اللغة؟ الجبل في اللغة مأخوذ من مادة جَبَل يقال جبل الله الخلق يجبلهم جبلا أي خلقهم، وجبل الإنسان على هذا الأمر أي طبع عليه، وجبلة الشيء أي طبيعته وما بني عليه، وفي الشرع أن الله عز وجل جبل العباد فخلقهم وخلق ذاتهم وصفاتهم وأفعالهم وما أودعه في نفوسهم من طبائع وصفات هذا هو الشاهد. معنى الجبل في الشرع ما أودع الله عز وجل في نفوس العباد من طبائع وصفات هذا ما نريده، معنى جبل الله عز وجل العباد على ما شاء أي أودع الله عز وجل في نفوسهم من طبائع وصفات، طيب لكن هذا عموم يعني هذا كل ما أودعه الله عز وجل من طبائع وصفات يدخل فيما جبل الله لكننا لا نريد العموم في القاعدة معنا نحن نريد في باب القدر هنا أمرا خاصا، الخاص هنا أن الله عز وجل خالق لإرادات عباده من إيمان وكفر وطاعة ومعصية، مقصود الجبل هنا في باب القدر أن الله عز وجل خالق لإرادات عباده من إيمان وكفر وطاعة ومعصية.

سبب الكلام في هذه القاعدة ايه؟ أن القدرية أنكروا أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء لأنهم قالوا إن العباد خلقوا أفعالهم بأنفسهم وأنكروا أن الله خالق أفعال العباد أرادوا أن يلزموا مخالف.. قالوا لهم لو قلتم بأن الله عز وجل خالق أفعال العباد فكأنه جبرهم، هو خالق الأفعال إذًا هو أجبر العباد على أفعالهم، فأرادوا أن يوقعوا المخالف في أنهم لو قالوا أن الله هو خالق أفعال العباد كما هو صحيح عند أهل السنة أن الله خالق العباد وأفعالهم خلقًا وإيجادًا، قالوا إذا قلتم بذلك فإذًا الله قد جبر العباد على ذلك، فأراد بعض أهل السنة أن يخرجوا من هذا الأمر أن الله قد جبر فبعضهم قال بقول المعتزلة لما نظر على ذلك في الحقيقة، لكن نبينه معنى مقبول ومعنى غير مقبول والبعض نفوا أن يكون هناك جبرا فأراد الأئمة أن يخرجوا من ذلك حتى لا يدخل في الجبر مع كان مذموما فقالوا بمسألة الجبل أنه جبل عباده حتى يخرجوا من إشكالية الجبر لأن لو قالوا بالجبر فالبعض سيقول بالقول الممنوع والبعض سيقول بالقول المقبول فأهل

السنة قالوا أن الله عز وجل قد جبل العباد حتى يخرجوا من الكلام عن الجبر ليردوا به على المعتزلة الذين أرادوا أن يثبتوا أن من قال بأن الله خالق أفعال العباد أنه قد جبرهم فأراد أهل السنة أن يخرجوا من إشكالية الجبر بأن الله قد جبل العباد.

إذًا لفظ الجبر أصالة له معنى مجمل معنى صحيح ومعنى باطل، ولكن الجبل هنا ليس فيه إشكال فنقول إن الله قد جبل العباد لأن الله لم يجبره، لكن يقال إن الله قد جبل العباد. إذًا هناك فرق بين أن نقول إن الله قد جبل العباد وأن الله قد جبر العباد، عشان نبين الفرق الجبر فيه معنى الإكراه وفيه معنى القهر، طيب لكن يراد به معنيان مختلفان المعنى الأول إلزام الإنسان بخلاف رضاه وإكراهه على فعل ما لا يريده أو منعه من فعل يريده أصالة، ثم هذا الإلزام قد يكون بحق وقد يكون بباطل هذا المعنى العام للجبر الأول اللي هو ايه؟ إلزام الإنسان بخلاف رضاه إما بالإكراه على فعل لا يريده. (دقيقة 10:54)

خلاصة ما قلناه من قبل حيث كنا بنتكلم عن القاعدة أن الله عز وجل جبل العباد على ما شاء وقلنا جبل العباد على ما شاء جاء في كلام العلماء عندما ذكروا الكلام في القضاء والقدر قالوا القضاء والقدر والخلق والجبر والجعل والجبل وهذا نقل عن الاوزاعي والزبيدي ونقل عن سفيان الثوري قال ما أعرف الأوزاعي للجبر أصلا في القرآن ولا في السنة، فأهاب أن أقول ولكن القضاء والقدر والجبل والخلق.

وقلنا أدلة سريعا مرة أخرى على ذلك من قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} فقالوا إن الله قد خلق الانسان على هذه الصفة على صفة أن الانسان خلق هلوعا هذا معنى الجبل جبله الله عز وجل أنه خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا فهذا دلالة على أن الله قد جبل العباد على صفات ما أو إرادات كما سيأتي.

ومنها {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي} أيضا جبله على ذلك.

وقوله تعالي: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ} لأن هم أصالة مسلمين ومع ذلك يقول ربنا اجعلنا مسلمين ومن ذريتنا أمة مسلمة يعني مش كل ذريتنا على ذلك.

وقلنا من حديث الأشج وفد قيس لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة قال هل اتخلق بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال بل جبلك الله عليهما، قال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله.

طب قلنا لماذا هذه القاعدة يتكلم فيها العلماء مسألة أن الله جبل؟ قالوا ليردوا بها على المعتزلة القدرية الذين قالوا أو اتهموا أو ناظروا أهل السنة قالوا إن أثبتم بأن الله عز وجل خالق أفعال العباد، إذًا أنتم قلتم بالجبر جبرتم العباد على ذلك لأن الله خالق أفعالهم فردوا بعض أهل السنة قبلوا ذلك والبعض قالوا لا، البعض قبلوا بالجبر والبعض لم يقبل بقول الجبر، فجاء التحقيق من العلماء بأنهم أرادوا أن يفرقوا بين الجبر والجبل أن الله جبل نعم العباد لكن لم يجبر العباد، وفيه

فارق بين الجبل وبين الجبر فقلنا الجبر ما معناه؟ قلنا الجبر له معنى صحيح ومعنى باطل عندنا، فوقفنا عند معنيين للجبر:

- المعنى الأول وهو إلزام الإنسان بخلاف رضاه إما بإكراهه على فعل ما لا يرضاه أو بمنعه من فعل ما يرضاه وقد يكون هذا الإلزام بحق أو بباطل يعني في إلزام بحق في الجبر؟ نعم وفي إلزام باطل؟ نعم.. مثال الانسان اللي بحق إجبار الولي على المرأة البكر في النكاح التي تحت ولايته، فله كما جاء أن يجبر البكر بغير رضاها على خلاف فقهي.. لكننا نقول هذا إجبار بحق أو نقول هنا المعنى الباطل في نفس المسألة إجبار الولي المرأة تحت ولايته على النكاح بغير رضاها أو من غير كفء لها، يعني نفس المثال متى يكون بحق ومتى يكون بباطل؟ تكون بحق على قول بعض العلماء له أن يجبر البكر الصغيرة وهذا ممكن يكون بحق ويكون الباطل إجبار المرأة عموما لو قلنا على الجواز بغير كفء لها لو قلنا وإجبارها أو بعضلها عن الزواج فهذا اجبار بباطل لا يصح طب هذا المعنى الأول.
- المعنى الثاني والذي نريده في هذا الباب خلق الإرادة في قلب العبد وجعله مريدا لذلك مختارا محبا له راضيا به، وخلقه متصفا بهذه الصفات.. انتبهوا لهذا الكلام اللي احنا نريده الآن في باب القدر خلق الإرادة في قلب العبد وجعله مريدا لذلك مختارا محبا له راضيا به، وخلقه أيضا متصف بهذه الصفات.

هذا معنى آخر للجبر متفق عليه عند العلماء، قال قتادة رحمه الله في اسم الله الجبار قال جبر خلقه على ما يشاء، إذا من معنى اسم الله الجبار أنه قد جبر خلقه على ما يشاء، وأيضا قال بعض السلف الجبار يسمى لأنه يجبر الخلق على ما أراده نفس المعنى لكن ذكره محمد بن كعب القرظي، هذا الجبر بهذا المعنى يصح إضافته إلى الله عز وجل، بل نقول لا يقدر على ذلك غير الله اللي هو ايه؟ أن يخلق الإرادة في قلب العبد لذلك ويجعله.. انتبهوا مش مجرد خلق إرادة.. ويجعله راضيا محبا لهذه الإرادة أن يفعلها أصالة، وهذه من لوازم الربوبية لأن الله هو المتفرد بالخلق وتدبير العباد وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء كقلب واحد. فمعنى هذا الجبر اللي هو القهر والقدرة وأن الله عز وجل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والجبر هنا من هذا المعنى مختص لله عز وجل وجائز.

أعيد المعنى الثاني للجبر خلق الإرادة في العبد وجعله مريدا لذلك مختارا محبا له راضيا به وأيضا خلقه متصفا بهذه الصفات هذا المعنى الثاني للجبر وهذا قلنا معنى حقيقي وصحيح في حق الله لأن الله عز وجل هو المتفرد بالخلق وبالقدرة وبالتقدير وبتدبير الأمور وبجبل أو جبر قلوب العباد على ما يريده. فهذا المعنى مختص بالله عز وجل وهذا ينبع من العلم الشامل ومن القدرة ومن الحكمة اللي تكلمنا عنها من قبل.

المعنى الأول لا يصح أن يوصف به الله عز وجل، اللي هو الإلزام اللي قلناه الآن كإلزام الولي للمرأة على أن يزوجها بغير كفء هذا فيه قهر وفيه عدم رضا، هذا لا يمكن أن ينسب إلى الله عز وجل. المعنى الثاني هو المعنى الذي ينسب إلى الله عز وجل، فلما كان في إشكال في معنى الجبر العلماء ذهبوا إلى الكلام عن الجبل، أن الله جبل وسيأتي الكلام أيضا عن أن الله قد يسر، وده كلام لابن القيم سيأتي في القاعدة الثانية لكن هنا ليه السبب؟ بسبب الاشتباه في معنى الجبر فالأئمة منعوا إطلاق القول بالنفي أو الإثبات فيها، يعني لما يأتي كلام الجبر تجدهم يتوقفون لأن له لوازم باطلة وظهر كلام من القدرية بإلزام السلف على مسألة الجبر.

ومنهم كلام الأوزاعي لما سئل الأوزاعي عن الجبر رحمه الله قال ما أعرف للجبر أصلا لا في الكتاب ولا في السنة فأهاب أن أقول ذلك، لكن قال ايه؟ ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل.. انتبه! فقال فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وده اللي ذكرناه في الأدلة في الآيات وفي حديث أشج القيس فهنا نفوا الجبر أو مش نفوا قالوا لا أعرف له أصلا، وبين أن عندنا الذي نقول به نحن بمسألة ايه؟ أن الله جبل وسبق قلت ذلك أن للجبر معنيين؛ معنى فيه باطل ومعنى حق، فأراد أن يخرج العلماء من الاشتباه بذلك فلم يقولوا به، بل وورد عن كثير بقى، يعني عبد الرحمن بن مهدي، سفيان بن عيينة قال لما سئل عن الجبر قال العكس قال الله جبل العباد، وقال أبو بكر المروزي أظنه أراد قوله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس يستدل بسفيان الثوري لما سئل عن الجبر فقال الله جبل العباد أراد أن لا يثبت ذلك.

طيب ما الذي جعل الأئمة يعدلون من الجبر إلى الجبل؟ قالوا أولا لأن الجبل جاء شرعيته في الكتاب والسنة يعني له أدلة من الكتاب والسنة فقالوا بأن مسألة الجبل حديث أشج عبد القيس، والثاني أن الجبل ليس فيه اشتباه، في قاعدة عندنا لو تذكروا قلناها في القواعد كلما يأتي لفظ مجمل فيه اشتباه تجد السلف ما يقولون به في العقيدة، يعني يقول لك الجسم الجهة الحد ماذا تريد؟ طبعا في ألفاظ ابتدعت فهذه فيها اشتباهات فكانوا دايما يتجنبون ذلك ويأتون بالألفاظ الصريحة الواضحة في مسألة العقيدة فالجبل واضح ليس فيه اشتباه والجبر فيه اشتباه لذلك عدلوا عن الجبر بالجبل في هذه المسألة.

أيضا المعنى الأساسي بقى للجبل لماذا اتوا به خلافا للجبر؟ لأنه يشمل أن الله عز وجل يخلق إرادات العباد لأن الله جبل العباد إذًا خلق إرادات العباد للخير وللشر وطبعهم على ذلك ويجعله فاعلين مريدين وهذا الذي لابد تقيده، يعني هو خلق الارادة والشر حتى لا يدخل عليك أحد طب ما هو لو خلق الارادة والشر يبقى هم بيفعلوا بدون إرادة لا خلق الإرادة والشر لها فيكون هم مريدون لذلك يعني يفعلونه بحب أو يفعلونه بكره أيا كان اللي بيفعلوه، فالله عز وجل جعلهم فاعلين مريدين لما يشاء هو في سابق علمه، وهذا الباب له ارتباط وثيق بمسألة الضلالة والهدى. باب الجبل له ارتباط وثيق لماذا؟ لأن الله عز وجل بيخلق الهدى في قلب العبد المؤمن وبيسره لليسرى ويخلق الضلالة في قلب العبد الكافر أو الفاسق وبيسره للعسرى، ويبين لك يعني ثبوت هذه القاعدة في كلام العلماء لما سئل الإمام أحمد عن الجبر ماذا قال؟ رد قال يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء فعدل عن الكلام في الجبر بأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولما سئل زيد بن أسلم عن قول الله عز وجل {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} قال ما جبلوا عليه من شقاوة وسعادة فأثبت أيضا الجبل ما جبلوا عليه من شقاوة أو سعادة، فالحاصل في ذلك أن الله عز وجل خلق عباده وطبعهم على ما شاء هو وجعل في قلوبهم إرادة ما يشاء منهم، وذلك لكمال العزة والقهر منه والقدرة سبحانه وتعالى.

هذه القاعدة التى أثبتناه الآن أن الله جبل العباد على ما يشاء هو خالف فيه طوائف خلاف أهل السنة والجماعة لأن القاعدة دي لها علاقة بخلق الأفعال فلو سألتم الآن من الذي خالف؟ القدرية لابد أنهم سيخالفون فيها، من أنكر أن للعبد إرادة ومشيئة ويجعل العبد هو المختار لما يفعله فهنا هم القدرية المعتزلة فلن يقبلوا بأن الله عز وجل قد جبل العباد على إرادات معينة، ده اول شيء يبقى القدرية سيردون القاعدة لماذا يردون؟ لأن أنت بتقول في القاعدة أن الله قد جبل العباد يعني خلق لهم إرادة وهم يقولون ان العباد هي اللي بتخلق أفعالهم لكن أيضا مش القدرية فقط، الجبرية أيضا سينكرون في ذلك، الجبرية سيقولون ماذا؟ أن الله عز وجل قد اجبر العباد على

فعله وأنه لا مشيئة لهم بل اختياره كالريشة في الهواء كما قلنا فأيضا سينكرون هذه القاعدة لأن مع أن الله قد جبل العباد على ما يريد لكن هم الذين فعلوا أيضاً، ودخل فيهم أيضاً الاشاعرة الذين يقولون بالكسب اللي هم الجبرية المتوسطة كما يقال اصالة.

فالمخالفون دائرون بين الجبر وبين أيضاً القدر الاثنين خالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك لان الاثنين تعرضوا لنفي المشيئة ونفي الإرادة للعباد.

طيب هذه مسألة الجبل، يلتحق بها قاعدة أخرى أيضاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: كل ميسر لما خلق له، وابن القيم لما أراد أن يتكلم قال بمسألة التيسير هذا يعني لم يتكلم في الجبل تكلم في التيسير، فلذلك لابد أن إحنا نتكلم عن هذه القاعدة أيضاً ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم وهي اصالة هي جاءت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له، القاعدة ايضا كل ميسر لما خلق له، وهي القاعدة نص لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وايضا لها من الكتاب والسنة يعني ايه كل ميسر لما خلق له؟

من الكتاب من قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (10)}

وقال تعالى: {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}

ومن السنة من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلَّا وقدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، ومَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أفلا نَتَّكِلُ علَى كِتَابِنَا، ونَدَعُ العَمَلَ؟ قالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له، أمَّا مَن كانَ مِن أهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أهْلِ السَّعَادَةِ، وأمَّا مَن كانَ مِن أهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَن أعْطَى واتَّقَى وصَدَّقَ بالحُسْنَى} الآيَةَ) طيب ما معنى هذه القاعدة وهى قول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وما مناسبتها لباب القدر هنا؟ نقول القاعدة هذه تتعرض لثلاث أشياء: باب الأسباب، وباب الحكمة، وباب الهدى والضلال، يعني هذه القاعدة من قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له يتعرض في باب القدر لباب الأسباب والحكمة والهدى والضلال، وبعض أهل العلم قلت إنه وضعوا لفظ التيسير مكان لفظ الجبل الذي تكلمنا عنه في القاعدة الأولى ردا على مسألة الجبر وهذا الذي فعله ابن القيم رحمة الله عليه استبدل لما جه يتكلم قال بالتيسير ولم يقل بالجبل ايضا في الرد على الجبر.

طب ما ارتباطها بباب الهدى؟ أول شيء التيسير لليسرى هو في الحقيقة الهدى والتيسير للعسرى هو في الحقيقة الضلال فهنا ربطها بين باب الهدى وباب الضلال.

طب ربطها بباب الحكمة أن الله عز وجل يعلم المحل الذي يصلح لفضله وكرامته وعطائه والمحل الذي يصلح لغير ذلك، فالأول الذي يصلح لحكمته للفضل والعطاء فييسره لأسباب السعادة والثاني الذي لا يصلح لذلك فييسره لأسباب الشقاوة، طب هذا ارتباطها بباب الحكمة من حكمة الله.

طب ارتباطها بباب الأسباب؟ قالوا لأن الله سبق في علمه سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه فهو يعلم أن السعيد سيسعد بأسباب السعادة اللي هي الأعمال الصالحة وان الشقي سيشقى بالأعمال السيئة فمن كان سعيدا يُسِّر سعيه للأعمال الصالحة ومن كان شقيا يسر للأعمال السيئة، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له، قد سئل أكثر من مرة هذا السؤال أفلا ندع العمل؟ فقال كل ميسر لما خلق له.

طيب هذا الكلام الذي قاله صلى الله عليه وسلم متضمن لأربع أصول، كل ميسر لما خلق له يتضمن إثبات أربع أصول عندنا:

- الأول إثبات الأسباب لأنه يقال كل ميسر لما خلق له يعني هنا إثبات الأسباب يعني بيان أن لكل من السعادة والشقاوة أسباب تؤدي اليها، الانسان لا يكون سعيداً ولا شقيا هكذا لابد من أسباب جعلته سعيداً وأسباب جعلته شقيا.
- الأصل الثاني إثبات القدر السابق لأن الله أثبت أن هناك من كتب أنه سعيد وكتب أنه شقي ثم سييسر بالأسباب إلى السعادة والشقاوة، إذًا إثبات القدر السابق اللي تكلمنا عنه من قبل، وهنا لا يتنافى القدر السابق مع كون الإنسان له قدرة وفعل لأنه صح هو كُتِب سعيداً او كُتب شقيا لكنه أخذ بأسباب السعادة بعد ذلك او اخذ بأسباب الشقاوة أيضاً،
- ثم قال كل ميسر وكل لفظ يدل على العموم يبقى هذا في كل المخلوقات كل عام في كل مخلوق إذًا الكل ميسر لما خلق له
- الرابع ان هناك أناس خلقوا للسعادة وهناك أناس خلقوا للشقاء بخلاف من يرى بأن كل الناس خُلقوا للسعادة ومنهم من اختار الشقاء، لا الصحيح ان هناك أناس خلقوا للسعادة وهناك أناس خلقوا للشقاوة، وهذا قُدِّر في اللوح المحفوظ، لكن قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن أبي حميد الساعدي: (أجملوا في طلبِ الدنيا فإنَّ كلًّا مُيَسَّرٌ لما كُتِبَ له منها)

طيب اذا التيسير نوعان: تيسير لليسرى كما قال سبحانه وتعالى {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7)} واليسرى هنا الشيء السهل النافع المهيأ للعبد لما يرضاه في الدنيا ويرضاه في الآخرة.

طب ما أسباب اليسرى من الآية؟ أسباب اليسرى في الآية ثلاثة وهو فعل العبد ما يتضمن لجميع ما أمره الله عز وجل من اعتقاد وقول وعمل، طب يدل على العموم ماذا؟ دي أصولية ما الذي يدل على العموم فيها من قول وعمل واعتقاد وكل شيء؟ حذف المعمول لأنه سبحانه قال اعطى وما قال أعطى ماذا، ودايما عندنا القاعدة حذف المعمول يؤذن بالعموم ودي قاعدة في اللغة العربية حذف المفعول به مثال أعطيت فلانا وسكت اعطيته ماذا؟ جنيه عشرة ميه أم خمسمية أو اعطيت فلانا ما يريده فحذف المفعول يؤذن بالعموم، وهنا قال فأما من اعطى فلما حذف المعمول جاء اللفظ للعموم فقالوا إذا هنا الاعطاء متضمن لفعل العبد كله كل ما أمر الله به قول وعمل واعتقاد وغير ذلك.

هذا السبب الأول طب الثاني فأما من أعطى واتقى فأصبحت التقوى يبقى من أسبابه التقوى وهي فعل المأمور وترك المحظور، ما الفرق بين الأولى والثانية؟ أين العموم هنا والخصوص؟ التقوى أعم طبعا لان التقوى فيها فعل مأمور وترك محظور فقالوا هنا التقوى أعم.

طب الثالثة في الآية التصديق بالحسنى قالوا الثالثة التصديق بالحسنى التصديق هو الإيمان بجزاء الله عز وجل فاذا أصبحوا ثلاثة أسباب لليسرى ذلك والتقوى أعم الاعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى اصالة يعني حتى الثالثة ايضا ترجع للتقوى حتى أيضا التصديق بالحسنى ترجع للتقوى لأن كلها فعل المأمور وترك المحظور وكل هذا أمر به، لكن هذا لا إشكال ان يأتي الخاص قبل العام أو يأتي العام بعد الخاص.

والذي يؤكد مسألة التقوى آية أخرى {.... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} وهنا جعل التقوى مقابل اليسرى فلذلك قالوا التقوى أعم في ذلك كله والله أعلم، ثم التيسير لليسرى يختلف قوة وضعفا بحسب تحقيق العبد لهذه الأسباب.

وعلى النقيض تيسير للعسرى قال تعالى {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (10)} فالعسرى هنا يعني الحالة العسرى وهي العمل بالمعاصي والأسباب التي قالها في الآيات الله عز وجل البخل وعدم اعطاء ما امر به العبد، الاستغناء وترك التقوى، والتكذيب بالحسنى، وايضا التيسير للعسرى يختلف بحسب ضلال او فسق او عدم موافقة العبد للأسباب التي قد بيناها.

طيب هذا قال كل ميسر لما خلق له ما معنى خلق له؟ احنا اخدنا مراتب القدر، لما قدره الله سبحانه وتعالى خلق هنا لما قدره الله عز وجل أن يصير إليه من سعادة وشقاوة من جنة ونار فمن خلقه للسعادة يسر لذلك ومن خلقه للشقاوة يسر لذلك بالمقصود أن الله عز وجل ييسر لعباده ما شاء من يسر أو عسر بإلهامه هذا اليسر وإلهامه هذا العسر أو بأخذ الأسباب أيضاً التي تؤدي إلى اليسر والأسباب التي تؤدي إلى العسر.

طيب انتبهوا بقى هنا المخالفة أيضا، مخالفة القدرية لهذه القاعدة اشكالا كبيراً عند القدرية في هذه المسألة أرادوا أن يفروا منه لماذا؟ لأن الآيات تبين من الذي يسر للعسر أو لليسر يبقى من الذي يضل؟ ويهدي؟ وهم يقولون العبد هو الذي يخلق افعاله يبقى العبد اللي بيضل نفسه وبيهدي نفسه طب كيف سيصرفون هذه الأدلة على أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والله هو الذي ييسر لليسرى وييسر للعسرى؟ هم يرون أن الله لا يضل أحد ولا يهدي أحد اذا لابد أن يصرفون هذا التيسير فقالوا التيسير ليس فعلاً لله بل هو البيان فقط من الله، يعني الله يبين لعبادة ويزيل الموانع لكن الذي يفعل هم العباد، كل ده فراراً لأنهم لو أقروا بالآية سيجعلون الله هو الذي يضل ويهدي فقالوا والمقصود بالتيسير هو البيان من الله وازالة الموانع يعني أن الله فقط يبين للعباد ويرسل الرسل وينزل الرسالات ويرفع الموانع للكفر أو العصيان لكن التيسير لليسرى والتيسير للعسرى يكون من من؟ يكون من العباد، والدلالة على ذلك هناخد أقوال يسيرة منه عشان مش مقام الخلاف نبينه القاضي عبدالجبار قال المراد بقوله فألهمها أى أعلمها وبين لها الفجور لتتجنب ذلك والتقوى لتقدم عليها، انظر جعل المسألة ماذا؟ بيانا وهذا باطل جعل فقط البيان للنفس والنفس هي اللي بتقدم سواء للخير او للشر اصالة، حتى الزمخشري قال في قوله فألهمها فجورها وتقواها قال ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامها وإعقالهما وأن أحدهما

حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء، ممكن احد يقرأ في التفاسير وما يفهمش يضل عليه الكلام ده ولا يأخذ باله منه لذلك نقول لا يقرأ أحد في التفسير إلا تفسير السلف المعروف بحسن العقيدة، انظر ماذا يقول في فألهمها فجورها وتقواها يقول الهام الفجور والتقوى افهامها واعقالها يعني كأنك بتبين له وتفهمها لكن من الذي الهم؟ من الذي فجر؟ ومن الذي اتقى؟ هم يقولون العبد اللي بيفعل كل شيء ويخلق كل شيء ليس الله الذي خلق الإرادة فيه على ذلك فقال ماذا؟ يعني افهامها واعقالهما وأن أحدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء وكل هذا كلام باطل.

القاعدة الثالثة: الله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم مع قدرته عليه، وهنا البحث في القاعدة حقيقة الظلم الذي نزه الله عز وجل نفسه عنه انتبهوا للزيادة هنا انه داخل تحت قدرته سبحانه وتعالى، طيب كلام العلماء الأول في القاعدة منهم كلام شيخ الاسلام ابن تيمية قال فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وأنه لا يفعله فعلم أن الذي حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لأنه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس عنه، هو يريد أن يثبت هنا ماذا؟ أولا يثبت أن الله نفى الظلم لكنه يريد أن يثبت أمرا زائد قدرة الله عز وجل عليه لكنه نفاه مع القدرة، وده اللي قاله ابن عبد البر أيضاً رحمه الله قال وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة، وأيضاً ابن قتيبة قال وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور هذه لا إشكال فيه يعني كل الجزء الأول أنك تعلم أن الله عدل وأن هو لا يظلم لكن ما زاد عليه بالقاعدة ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وسنبين لماذا هذه الزيادة نرد بها على المخالف سواء القدرية أو الاشاعرة كمان ولهم كلام فيه المعتزلة والاشاعرة هنا بأنه داخل تحت قدرة الله عز وجل يعني الله نزه نفسه عن الظلم وأنه داخل تحت قدرته سبحانه وتعالى لذلك قال بعضهم أن الظلم الذي حرمه على نفسه هو ظلم لا ريب لكنه أمر ممكن مقدور عليه يعني الله يقدر عليه سبحانه وتعالى لكن يتركه لمشيئته واختياره لأنه عادل وليس بظالم طيب هنا أفصل القول قليلا في هذه القاعدة بس نثبتها بالأدلة بالكتاب والسنة:

أولا نثبت الآيات التي تبين أن الله ليس بظلام أو تنزيه الله عن الظلم منها قوله تعالى {...وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}

ومنها قوله {.... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}

{.... وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}

{..... وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}

هذا النوع الأول نفى الله عز وجل الظلم عن نفسه.

النوع الثاني في الأدلة أن الله نفى أنه يريد الظلم لذلك قال تعالى {..... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ} يبقى ده النوع الثاني في الاثبات، {.... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ}

النوع الثالث تأمينه سبحانه وتعالى للعباد عن الظلم قال تعالى {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} الله أمّن العباد عن أن يصيبهم ظلما مادام قد عملوا الصالحات.

النوع الرابع إخباره سبحانه وتعالى عن نفسه باتصافه بخلاف الظلم وهو العدل فوصف نفسه بالعدل قال تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}

وأيضا قال {... قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ...} أي بالعدل

أيضا {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا...} فهنا أثبت الحكم بالقسط أيضا.

ثم النوع الخامس في الاستدلال أيضا على تنزيه الله عز وجل عن الظلم نفيه سبحانه وتعالى التسوية بين الظالم وبين الطائع بين الطائعين والظالمين قال تعالى {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} وأيضا {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}.

وأما أدلة السنة فحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: في حديث القدسي قال الله: (يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرَّمًا...)

طيب حديث أيضا عشان نختصر في الأدلة عشان القاعدة فيها تفصيل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تَحاجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ؛ فَقالتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ والمُتَجَبِّرِينَ، وقالتِ الجَنَّةُ: ما لي لا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ وسَقَطُهُمْ؟ قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى لِلْجَنَّةِ: أنْتِ رَحْمَتي، أرْحَمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، وقالَ لِلنَّارِ: إنَّما أنْتِ عَذابِي، أُعَذِّبُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ منهما مِلْؤُها، فأمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ حتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنالِكَ تَمْتَلِئُ ويُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ، ولا يَظْلِمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ مِن خَلْقِهِ أحَدًا (وده وجه الشاهد من الحديث ثم قال بعد ذلك ايه انتبه للسياق)، وأمَّا الجَنَّةُ فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُنْشِئُ لها خَلْقًا.) فجعل في النار أن الله لا يظلم أحدا لا يمكن سيدخل النار أحد إلا لو كان وقع عليه أنه لابد يدخل النار لكن في الجنة قال ينشئ لها أناسا وده من تمام الفضل يعني ناس يخلقهم الله يدخلهم الجنة في هذا الوقت وهم لم يكونوا من أهل الدنيا ولم يتعرضوا لتكليف ولا شيء من

فضل الله عز وجل لكن قال قبلها والله لا يظلم أحدا لما ذكر أهل النار لأنهم يستحقون الدخول بذلك.

ثم قال أيضا من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنَّ اللهَ لو عذَّبَ أهل سمواتِه وأهل أرضِه لعذَّبَهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحِمَهم كانتْ رحمتُهُ خيرًا لهم مِن أعمالِهم) طيب هذه كلها أدلة على الاثبات.

طيب القاعدة هنا تتكلم عن نفي الله عز وجل الظلم عن نفسه وهو عدل سبحانه وتعالى لكمال عدله، طيب مادة ظ ل م في اللغة تأتي بمعنى الظُلمَة وهي خلاف النور ده معنى أول ظَلَمَ من الظُلْمة وظُلم وظلمات والظلام ومُظلَم ومُظلِم كل هذا، انتبهوا بقى للثاني وهذا الذي نريده معنى الظلم في الشرع لأن ده محك الخلاف أو موطن النزاع بين أهل السنة وبين من خالفهم من الأشاعرة وغيرهم، أهل السنة يقولون تعريف الظلم وضع الشيء في غير موضعه، طبعا هو في معاني أخرى للظلم لا نحتاجها قالوا الظلم الميل عن القصد وقيل الظلم أيضا النقصان كما قال تعالى: {.... وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} يعني ما نقصونا شيئا ولكن هم الذين نقصوا أنفسهم فجاء الظلم هنا بمعنى النقصان أيضا.

لكن احنا نريد الظلم في الشرع، الظلم في الشرع هو وضع الشيء في غير موضعه، وانتبهوا لأن هناك تعريف آخر عند الأشاعرة ونقوله الآن عشان يبين لنا عند الخلاف، الظلم عند الأشاعرة وغيرهم أن يتصرف المرء في غير ملكه أو لا يطيع الذي يأمره، يبقى هنا الظلم عندهم ماذا؟ أن يتصرف المرء في غير ملكه وألا يطيع من هو أعلى منه أو من أمره، يبقى عندهم تعريف الظلم حاجتين في حالتين أن يتصرف في غير ملكه والثاني ألا يطيع من أمره فقالوا هذا تعريف الظلم سنبين العوار اللي فيه.

لكن تعريف الظلم عند أهل السنة والجماعة هو وضع الشيء في غير موضعه، طيب والظلم بهذا التعريف نوعان عند أهل السنة والجماعة: أولا نقول الظلم في حق المخلوق وسيأتي الظلم في حق الخالق، فالظلم في حق المخلوق على حالتين الحالة الأولى ظلم النفس وهي تحميلها ما لا يطيق إما تزيد في الطاعة بما لا تطيق كصلاة وصوم وغير ذلك حتى يقع، كما قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي وقع في السفر قال ليس البر الصيام في السفر لأنه وقع من الصيام وهو ليس له ذلك أصالة فهذا ظلم للنفس، أو ظلمها بالذنوب والمعاصي أن تفعل الذنوب والمعاصي وهذا إما يكون ظلما أكبر وهو الشرك الأكبر وإما يكون ظلما أصغر وهو الشرك الأصغر وإما يكون بالكبائر أيضا هذا في حق المخلوق، النوع الأول ظلم النفس والثاني ظلمه للغير يعني المخلوق إما يظلم نفسه بما قلنا أو يظلم الغير يعني يعتدي على الغير في الدماء والمال والأموال والأعراض وغير ذلك، وهذا ليس مراد في القاعدة معنا الآن احنا بنتكلم عن الظلم في حق الله عز وجل الذي نفاه عن نفسه.

فالنوع الثاني الظلم في حق الخالق، احتاج اتكلم عن ثلاثة أمور معنى الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن الظلم وقدرة الله عز وجل على الظلم، ثلاث أشياء في هذه القاعدة التي نريدها معنى الظلم الذي نفاه الله عز وجل عن نفسه وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن الظلم وقدرة الله عز وجل على الظلم.

طب المسألة الأولى معنى الظلم الذي حرمه الله عز وجل على نفسه، الله قال إني حرمت الظلم على نفسي، ما الظلم اللي حرمه الله عز وجل على نفسه الذي لا يقوم به؟ أول شيء أن ينقص

من حسنات العامل يعني واحد عمل حسنات وطاعات فينقص من حسناته أو يزيد عليه من سيئات غيره، طب من أين هذا جاء؟ قالوا من قول الله عز وجل: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} ظلما أنه يُحَمَّل من سيئات غيره وهضما أن يُبخَس شيئا من حسناته، فده أول شيء الله عز وجل أمّن به العباد ونفاه في الظلم، حتى ابن عباس اللي قال هذا الكلام قال لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته ولا يظلم فيهضم عليه من حسناته في تفسير ابن عباس للآية، الثاني عقوبة من لم يذنب الله نفى عن نفسه سبحانه وتعالى أن يعاقب من لم يذنب من أين أتوا؟ من قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (31)} طب ما الوجه؟ قالوا المؤمن الذي نبأنا الله عز وجل عنه في القرآن قال إن العقاب الذي عوقب به هؤلاء الأقوام لم يكن ظلما منه سبحانه وتعالى بغير جرم قد اقترفوه لأنه ذكر ثم قال وما الله يريد ظلما للعباد يعني هو يحذرهم من العقاب الذي وقع فيه هؤلاء لأنهم قد وقعوا فيما وقعوا فيه وما الله يريد ظلما للعباد لأن الله لا يريد ظلم عباده لكنه أهلكهم بإجرامهم الذي أجرموه بتكذيبهم للرسل وقتلهم للأنبياء وغير ذلك، وأيضا قالوا {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ.....} استدلوا بها على أن الله عز وجل لا يعاقب من لم يذنب فقالوا لا تزر وازرة وزر أخرى وأيضا {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} بالإنشاء هذه بالخبر وهذه بالإنشاء، طب هذا النوع الثاني في نفي الله عز وجل الظلم عن نفسه في حق العباد.

الثالث أن ينقص ثواب العمل يعني أنت تفعل أعمال والله ينقصك هذا الثواب، هذا الله نفاه أيضا لأن هذا ظلم نعم مع إنه تفضل أصلا ثواب العمل هذا تفضل نحن الله يكرمنا بثواب الأعمال ليست في المقابلة ولكن تفضل منه ومع ذلك الله عز وجل قال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} وجه الشاهد وما ألتناهم من عملهم من شيء فإن الله عز وجل يخبر بأن المؤمن يلحق بذريته الذين اتبعوه على الإيمان فيرفعهم إلى درجته وإن لم يعملوا مثل العمل هذا ومع ذلك لا ينقص ذلك من عمله هو، بل هذا فضل وكرم من الله عز وجل أيضا لذلك سعيد بن جبير رضي الله عنه ورحمه الله قال وما ألتناهم وما ظلمناهم يعني ما انتقصنا مش لأن الله قد رفع قومه معه فينقص من ثوابه لا بقي ثوابه كما هو وأيضا رفع لهم القوم، وأيضا منها (مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها ، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها ، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا) فيبين لك أيضا ذلك، طب هذه المسألة الأولى الأنواع التي نزه الله الظلم عن نفسه سبحانه وتعالى.

طيب تنزه الله سبحانه وتعالى عن الظلم قلنا الآيات التي بيناها والأدلة من الكتاب والسنة، لكن هيضاف عليها أدلة من باب العقل نقول أو من باب دلالة العقل يعني، دلالة الكتاب والسنة

بيناها في أول القاعدة، دلالة العقل نقول بأن الظلم نقص وعيب بإجماع العقلاء والله عز وجل منزه عن النقص فوجب أن يكون الله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم هذه مسألة واضحة أصالة، قالوا أيضا إن العدل نقيض الظلم ولأن الله قد وصف نفسه بالعدل وهو صفة كمال فالعقل يقول بأنه لا يمكن أن يوصف نفسه بالنقيض وصفة النقص وهي الظلم أيضا، ثم في كلام بديع ننقله لبعض العلماء في بيان كيف استنبطوا من بعض أسماء الله عز وجل عدم الظلم أو العدل: طبعا أولا قالوا من قوله تعالى {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} والله هو الحاكم فقالوا أصل كلمة الحكم بمعنى المنع أي المنع من الظلم ومن هنا قيل للحاكم بين الناس حاكم لأنه يمنع الظلم بين الناس والحَكومة أصالة رد الرجل عن الظلم يعني معنى الحَكومة رد الرجل عن الظلم، فلذلك ابن كثير يقول في قوله تعالى أليس الله بأحكم الحاكمين أي هو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى الذي لا يجور ولا يظلم أحد فمادة الحكم قائمة على ذلك أصالة، وقالوا أيضا اسم الله السلام قالوا السلام من معانيه سلم خلقه من ظلمه، وقالوا اسم الله المؤمن من باب التأمين فقالوا الذي أمّن خلقه من ظلمه أيضا، وقالوا اسم الله عز وجل المتكبر تكبر عن ظلم عباده سبحانه وتعالى، وقالوا من أسمائه لما قال أسمائه الحسنى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...} ابن القيم يقول أسمائه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه كيف تكون حسنى وفيه نسبة شر وظلم وسوء إليه فكونه أسماءه حسنى تمنع ذلك كله، طب هذه المسألة الثانية في تنزيه الله عن الظلم.

الثالثة قدرة الله على الظلم وهذه محل القاعدة أصلا لأن هي دي فيها الزيادة التي تبين فيها توقيف أهل السنة والجماعة عن غيرهم في اثبات قدرة الله على الظلم قلنا لو تذكروا في مراتب القدر الحقنا مع المشيئة القدرة وقلنا أن قدرة الله لما شاءه ولما لم يشاءه صحيح؟ فإذا شمول قدرة الله عز وجل أيضا فيدخل في ذلك ما يفعله وما لا يفعله والله قد قال إنه لا يفعل الظلم ويدل ذلك مع قدرته عليه أصالة، فإذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الظلم ممكن (انتبهوا) ممكن مقدور لله سبحانه وتعالى وليس بممتنع لأن المخالف قال ممتنع وغير مقدور، طب مذهب أهل السنة والجماعة أن الظلم لله ممكن ومقدور وليس ممتنع، طب من أين قلنا بهذا الكلام؟ أولا قالوا تمدح الله عز وجل بتركه وعدم إرادته، الله مدح نفسه بأنه ترك الظلم ولا يريده، {... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ}، {.... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} ولو لم يكن مقدورا لما كان لهذا التمدح معنى، انت دلوقتي لما تيجي تتمدح رجل من أهل الدنيا يقول لك أنا اقدر اشيلكم المنطقة دي كلها أسويها لكم بالأرض بلطجي يدخل كده ويقول هذا ولا لو اللي عنده قوة يقول لك أنا كفيل بأن أفعل كذا، ولكن أنا مش هفعل مش عايز أعمل الكلام ده لا أريد ده من أهل الدنيا أو المخلوق فهو بيتمدح أنه يستطيع لكن لن يفعل، ولله المثل الأعلى إذا كان الله قد مدح نفسه بأنه لا يفعل الظلم ولا يريد الظلم فهذا يدل عقلا أيضا على أن ما مدح نفسه إلا بشيء قد يستطيع أن يفعله ويقدر عليه لكن هو لا يريد أن يفعله أيضا، بل الله لم يكتفي بنفي الظلم بل حرمه على نفسه الله سبحانه وتعالى حرمه على نفسه، لذلك لا يمكن أن يكون حرم شيئا على نفسه ولا يقدر عليه، لا هو مقدور عليه لكن الله عز وجل هو الذي نزه نفسه عن فعل ذلك.

طيب القدرة على الظالم أو على الظلم صفة كمال وضدها نقص والله عز وجل لا يمكن أن يوصف بالنقص لذلك قدرة الله على الظلم من كماله فنثبتها لله لذلك من هذا الباب، قلنا عن شمول قدرة الله عز وجل.

طيب لذلك احنا قلنا في الأسباب أن الله عز وجل من تمام قدرته أو من تمام عدله أو عدم ظلمه أنه لا ينقص من حسنات العامل ولا يزيد عليه من سيئاته ولا يعاقب من لم يذنب ولا ينقص من ثواب العمل قلنا ذلك، طيب هل خالف أحد من الفرق؟ نعم خالف، نحن نزهنا الله عن الظلم وهذا اتفاق يعني حتى الفرق التي خالفتنا هم نزهوا الله عن الظلم، لكن الفرق هما كيف نزهوه؟ الجبرية والأشاعرة انضموا إليهم قالوا الإشكال أن الظلم ليس بممكن الوجود انتبه احنا قلنا إن الظلم ممكن ومقدور عليه لكن الله نفاه عن نفسه قالوا لا الظلم غير ممكن الوجود، بل هو ممتنع، قالوا لماذا؟ لأن هذا الجمع بين النقيضين فكيف يكون موجودا ومعدوما وكل ممكن إذا قُدِّر وجوده من الرب فإنه عدل فالعدل هو الممكن وغير الممكن يكون الظلم فأرادوا أن يقولوا إن الظلم غير ممكن وممتنع، هم لماذا قالوا ذلك؟ انتبهوا لما جم يعرفوا الظلم عرفوه خطأ لأن هم عرفوا الظلم بغير تعريف أهل السنة، قالوا الظلم إما أن يكون تصرف في ملك الغير والله يملك كل شيء فكيف سيتصرف في ملك غيره؟ فلا يقع منه الظلم، والثاني الظلم أنك لا تطيع الآمِر أو مخالفة الآمر الذي تجب طاعته وقالوا لا يوجد آمر لله حتى يخالف طاعته فإذًا لا يكون الظلم ممكنا، وهنا نقول المقدمة باطلة والنتيجة باطلة، المقدمة إنكم عرفتم الظلم خطأ نحن نعرف الظلم أنه وضع الشيء في غير موضعه، لكن سنرد على تعريفكم نقول تعريفكم هذا باطل، دعوى امتناع الظلم من الله عز وجل غير صحيحة قلنا لماذا؟ لأن الظلم بيّنّا خلاص بالأدلة أن الله نزه نفسه عن الظلم ولا ينزه نفسه إلا عن شيء ممكن، هو قبل أن نرد على تعريف الأشاعرة تعرفوا لماذا المسألة عندهم جنحوا لهذا الباطل؟ لأن عندهم إشكالية، أصل التعريف ده جاي من مسألة التحسين والتقبيح، هي مكلكعة سنة بقى خدوها كده بالراحة قالوا الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ولا مدخل للعقل هم قالوا ذلك لو تذكروا حتى قالوا لو أمر الشرع بالزنا والعياذ بالله أو الكفر لكان حسنا لأن الشرع أمر به ولو نهى عن العدل وعن الصلاة والصوم لكان باطلا لأن الشرع قال ذلك أصالة، هم نفوا الحكمة والتعليل وقالوا إن المسألة محض شرع، مافيش تحسين وتقبيح إلا عن طريق الشرع فقط وهذا أصل الخلاف لكن يعني خذوها هكذا عشان ما ندخل في تفاصيل أكثر، لكن نرد على التعريف الواضح الأول اللي هم قالوه إن هم قالوا إن الظلم التصرف في ملك الغير قلنا هذه المقدمة باطلة لأن جاءنا من الشرع في إمكانية التصرف في ملك الغير أصالة كما جاء الشرع في الحجر على مال السفيه والتصرف فيه فهذا تصرف في ملك الغير فإذًا عندنا في الشرع ما جوّز التصرف في ملك الغير بغير إذنه أيضا وليس ظلما لم يكن هذا ظلما باتفاق العقلاء، بل هو عدل ومنفعة يبقى إذًا التصرف في ملك الغير بغير إذنه ليس في كل الأحوال هو ظلم بل قد يأتي فيه عدل، وعندنا مثال احنا بنخرم لهم التعريف اللي قالوه كما قالوا، طيب الثاني قالوا ماذا؟ عدم طاعة الآمر وقالوا ليس لله من يأمره طيب قلنا لا طاعة الآمر قد جاء الشرع أيضا بعدم طاعته في حديث علي رضي الله عنه وأرضاه لما قال (بَعَثَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَرِيَّةً، فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ وأَمَرَهُمْ أنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقالَ: أليسَ أمَرَكُمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ تُطِيعُونِي؟ قالوا: بَلَى، قالَ: فَاجْمَعُوا لي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقالَ: أوْقِدُوا نَارًا، فأوْقَدُوهَا، فَقالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، ويَقولونَ: فَرَرْنَا إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَما زَالُوا حتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: لو دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا منها إلى يَومِ القِيَامَةِ؛ الطَّاعَةُ في المَعروفِ) انظر اهو أمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ما هو ده أصلهم في الكلام فأغضبوه في شيء يعني فقال أجمعوا لي حطبا وأوقدوا النار في الحطب ثم قال ادخلوا في النار يعني هم ضايقوا الأمير أغضبوه فهو أراد أن يؤدبهم فأمرهم أن يدخلوا النار فرفضوا أن يدخلوا حتى سكن غضبه وسكت فلما رجعوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له ما حدث فقال لو دخلوها ما خرجوا منها إنما

الطاعة في المعروف، إذًا المسألة لا الطاعة في المعروف أصالة فقد بين صلى الله عليه وسلم وجوب الخروج عن الطاعة إذا كانت في غير المعروف، فنقول هنا دلالة على أن التصرف في ملك الغير ومخالفة الآمر قد يكون عدلا ليس ظلما إذًا تعريفكم للظلم بذلك ليس تعريفا صحيحا، وتعريفنا هنا الذي جاء في الشرع وضع الظلم في غير موضعه.

طيب النقيض بقى من؟ القدرية ولن استفيض فيهم لكن سنبين مذهبهم لأن أكثر من ذلك يبقى اشكال، قالوا إن الظلم مقدور لله عز وجل طب ماشي كويس زينا، لكن قالوا بأن الظلم الذي حرمه الله عز وجل نظير الظلم الذي بين الآدميين بعضهم وبعض، والحق عشان ألخص لكم القدرية هم مشبهة في الأفعال يعني يجعلوا أفعال الخالق كأفعال المخلوق فمشبهة في ذلك، ولا نحتاج نستفيض فيها كثيراً لأن هذه خارج المنهج في مسألة المخالفة نحن فقط نشير إلى بعض المخالفين في المسألة هذه حتى هناك توسع بعد ذلك نبينه إن شاء الله فهذا آخر الكلام في هذه القاعدة ونكتفي بالقواعد الثلاثة اليوم لأنهم فيهم ما فيهم من الكثرة ويتبقى لنا بعض القواعد إن شاء الله نختم بها الأسبوع القادم باب خاص بالقواعد في أفعال الله عز وجل.

طيب سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج دراسة العقيدة لفضيلة الشيخ

وليد صالح البري

المحاضرة الثانية والثلاثون

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي الكرام على موعد مع محاضرة جديدة من محاضرات برنامج دراسة العقيدة المرحلة التأسيسية الخاصة بالقواعد وما زلنا في القواعد الخاصة بالقدر واليوم نتم إن شاء الله تعالى القواعد الخاصة المتعلقة بأفعال الله عز وجل، واليوم نأخذ قاعدتين إن شاء الله.

القاعدة الأولى قدر الله الذي هو فعله لا شر فيه بوجه من الوجوه.. هذه القاعدة من القواعد التي قررها أيضا أهل العلم عليهم رحمة الله تعالى منهم قول شيخ الإسلام ابن تيمية قال: "فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وحسنات وفعله كل خير فإنه لا يخلق شرا محضا بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خير ولكن قد يكون فيه شرا لبعض الناس وهو شر جزئي إضافي فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب منزه عنه وهذا هو الشر الذي ليس إليه"، يعني استدلالا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضا ابن القيم رحمة الله عليه قال: "إن أفعال الله كلها خير وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه" وقال رحمه الله: "إنما يقع الشر في مفعولاته ومخلوقاته لا في فعله سبحانه" وقال أيضا ابن القيم رحمة الله عليه: "الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته" وهذا تقرير لقول أهل العلم في هذه المسألة أو من أقوالهم سنستدل بالطبع من الكتاب ومن السن، لكن نقول إن دخل في هذه القاعدة أن فعل الله كله خير كل ما كان شرا جزئيا من الذوات كالشياطين والأشرار ومن الأفعال القبيحة كالزنا والسرقة والقتل وغير ذلك. والشر في اللغة هو خلاف الخير أو هو يرجع إلى عدم الخير وأسبابه أيضا المفضية إليه لا من حيث وجوده كموجود، النفوس الشريرة مثلا وجودها خير من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها، مرة أخرى النفوس الشريرة على سبيل المثال وجودها خير، الوجود من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع موارد الخير عنها، فكل موجود باعتبار وجوده خير وإنما دخل الشر في بعض المخلوقات بأن قطع عنها مادة الخير لا باعتبار الوجود. فإن قيل طب لما لم يمده الله بالخير حتى لا يكون شرا جزئيا؟ قالوا هذا يرجع لحكمة الله سبحانه وتعالى ولعلمه ومشيئته.

معنى القاعدة أن الشر لا يضاف إلى الله وإن كان الله هو خالقه، فالشر لا يضاف إلى الله فعلا، ليس من أفعال الله أو لا يمكن أن تكون أفعال الله فيها شر، فإيجاده هو المنسوب إلى الله ومن هذا الوجه ليس بشر، لذلك الشر لا يدخل في أسمائه ولا صفاته كما قال ابن القيم ولا في أفعاله ولا يلحق بذاته لأن دي كلها كمال، وكمال مطلق ذاته لها الكمال المطلق لا نقص فيه بوجه من الوجوه، أسماؤه وأوصافه لها الكمال المطلق من كل وجه. والشر لا يضاف إلى الله ولا يتقرب به إلى الله.. فالله لا يقبله مطلقا.

وكذلك أفعاله سبحانه كلها خير محض لا شر فيه أصلا، ليه؟ لو فعل الشر سبحانه لاشتق له منه اسم ولو كان الاسم ليس بحسن فلا يمكن أن يكون أسماء الله ليس فيها حسن ولو فعله لم يكن فيه عدل والله عدل في كل أفعاله فلذلك لا يمكن أن ينسب الفعل إلى الله عز وجل من ناحية الفعل، وأما الشر في مفعولاته المنفصلة عنه فهذا لا ينكر، لأن الله خالق الخير وخالق الشر في فرق كما سيأتي معنا بين فعله وبين مفعوله، فالشر الجزئي موجود في النصوص الشرعية، أن هناك شر جزئي، الله عز وجل قلنا أن فعله كله خير لكن هناك شر جزئي، وإن كان لم يضف إلى الله إلا في أحوال ثلاثة، منها قوله تعالى على العموم: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} فالله خالق الخير والشر وذلك للحكمة البالغة من خلقه سبحانه وتعالى، والإضافة الثانية إضافته إلى السبب، إضافته إلى السبب المخلوق قال تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} فأضيف هنا إلى السبب، والثالثة حُذف الفاعل كما قال تعالى: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}

ووجه عدم إضافة الشر إلى الله عز وجل لأمور، يعني ليه لم يضاف الشر إلى الله عز وجل في أفعاله؟ لأن هذا يوهم بأن هذه القبائح أو الشرور خارجة عن ذاته، في وهم لو نسبت الشر إلى الله يوهم كما قال أهل العلم أن هذه القبائح كأنها تخرج من الذات كما تخرج من ذات العبد لو العبد فعل شر فبتخرج من ذاته والله منزه عن ذلك أن يخرج من ذاته قبائح، يوهم أيضا بأنها من الله قبيحة وسيئة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، يوهم أن الله قد أمر بها والله لا يأمر بالفحشاء فلا تنسب إلى الله أيضا، تأدبا مع الله كما جاءت الآيات أنه لا يضاف الشر إليه.

طيب لو قلنا الآن أن الشر لا يضاف إلى الله عز وجل فعلا وأفعال الله كلها خير الأدلة على ذلك من الكتاب ومن السنة، أولا من الكتاب من قوله تعالى {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} فالحسنة كما سيأتي هو الخير وأسبابه والسيئة الشر وأسبابه، فأضاف الله عز وجل الخير إليه سبحانه وأضاف الشر إلى من؟ إلى نفس الإنسان.

كذلك ما جاء من نفي بعض أفراد الشر كالظلم وإرادة العسر عن الله عز وجل بالعباد قال: {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} نفى الله عز وجل الظلم.

وقوله تعالى: {.... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ....} وهذا نفي بعض أفراد الشر.

أما السنة فجاءت تصريحا من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث علي بن أبي طالب في دعاء الاستفتاح: (لَبَّيْكَ وسعدَيْكَ والخيرُ كلُّه في يدَيْكَ والشَّرُّ ليس إليكَ)

ومن حديث حذيفة بن اليمان أيضا قال رضي الله عنه: (يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي في نادي مناد يا محمد صلى الله عليه وسلم على رؤوس الأولين والآخرين فيقول صلى الله عليه وسلم لبيك وسعديك والخير بيديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت تباركت ربنا وتعاليت قال حذيفة فذلك المقام المحمود).

وكذلك لو تتبعت كل نص في الكتاب والسنة فيه تسبيح لله عز وجل دليل على نفي الشر عنه، لأن "سبحان الله" كلمة ينزه الله بها عن السوء وهذا وارد عن ابن عباس وغيره من التابعين.

طب هذه القاعدة التي معنا من القواعد الهامة جدا في باب القدر، وأيضا خالف فيها الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة سنعرج عليها في النهاية.

نبين بعض المسائل الهامة في هذه القاعدة لو تكلمنا عن هذه القاعدة لابد نوضح، أولا تأسيسا يعني نؤسس - وهذه أمور ذكرناها من قبل - اتصاف الله عز وجل بصفات الكمال وتنزيهه عن كل نقص، وهذه قواعد تكلمنا عنها كثيرا من قبل وأطلنا فيها في إثبات كمال الله عز وجل المطلق من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة والحس، ودلالات كثيرة أدت إلى ذلك، وهذا يرجع طبعا للإيمان بالله اللي هو باب الإيمان بالله أصالة، طب ايه علاقتها هنا؟ نقول علاقتها بأن وصف الشر وصف نقص.. الشر وصف نقص مطلقا فوجب تنزيه الله عز وجل عن هذه الصفة وعن هذه التسمية أو عن أفعاله أيضا يكون فيها شر. ولابد أن تثبت كمال الضد وهو الخير.

فإذا تأمل المتأمل يرى أن جميع صفات النقص مرجعها إلى الشر، وجميع صفات الكمال ترجع إلى الخير لذلك **جمع النبي صلى الله عليه وسلم في الجملتين قال: (والخير بيديك والشر ليس إليك)** فإذا مسألة تنزيه الله عز وجل عن النقائص وإثبات الكمالات له هذه مقدمة توطئة كما قلنا لإقرار هذه القاعدة.

المسألة المهمة الأخرى التي هي يقع فيها البعض يعني يختلط عليه أن الله عز وجل إنما يوصف بما قام به لا بما خلقه في غيره، مرة أخرى هذه تدرج لأن في أمور بيختلط على البعض حتى فيها، أن الله عز وجل يوصف بما قام به لا بما خلقه في غيره، فالله عز وجل خلق في الغير السكون والحركة واللون والكلام، ولم يكن هو سبحانه متصف بأحكام هذه الصفات، فلا يوصف بأن هو المتحرك أو هو المتكلم أو هو الساكن أو هو المتلون أو هو القائم أو هو الجالس، فالمحل الذي قامت به الصفة هو الذي يأخذ حكمها ويشتق له منها اسم، لو قام أحمد الآن أنا أقول له قام فعلا وممكن نسميه الواقف أو القائم، ليه؟ لأن هو المحل الذي قام بالصفة، فهذه القاعدة مهمة ليه؟ تاني أن الله عز وجل يوصف بما قام به لا بما خلقه في غيره، لذلك لها استدلال عقلي واستدلال غير عقلي، قالوا استدلال عقلي إن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل، الثاني أنه يشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم، إذا كانت الصفة دي مما يشتق لها اسم، طبعا هذا مش لاشتقاق الأسماء لله احنا بنتكلم عقليا أن المحل الذي قام بصفة عاد الحكم على ذلك المحل، قلنا قام أحمد فأحمد هو القائم، فأخذ صفة القيام ممكن نسميه كمان القائم، طب ايه بقى علاقة هذا المبحث باللي احنا فيه؟ ما المقصود من التأصيل ده الأول؟ أن الله سبحانه وتعالى إذا خلق الشر في محل ما قام وصف الشر بذلك المحل لا به سبحانه وتعالى، فلا يوصف الله عز وجل بسبب ذلك بالشر لا في صفاته ولا في أفعاله، كما أن الشر يتسمى به ذلك المحل دون الله عز وجل، يعني لو واحد فعل الشر قتل شرب منكرا المحل الذي قام بالصفة هو الذي يوصف به فهو قاتل شارب، فالصفة تكون على من؟ على الشر الذي قام به صاحب المحل، لا بمن خلق له ذلك الأمر، يعني علاقة هذه القاعدة وهذه من الأهمية بمكان لتفرق - وهذا اللي وقع فيه بقى الفرق المبتدعة - بتفرق بين فعل الله وفعل المخلوق وتفرق بين أن الوصف إذا جاء لمحل فالمحل الذي يأخذ الوصف لا يوصف به الله عز وجل وإلا ستوصف الله بكل ما يحدث في الكون وده اللي وقع فيه الجبرية.

المسألة الثالثة قول الله عز وجل **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}**، بينا الأول مسألة تنزيه الله، المسألة الثانية أن نفرق أن الله يوصف بما قام به لا بما خلقه في غيره، الثالثة عموم قوله تعالى **"اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ"** ودي تكلمنا عنها في مسألة الخلق في القدر فلن نعيد فيها، والمقصود هنا ايه؟ أننا بندخل الشر في عموم هذه الأشياء التي خلقها الله عز وجل فاحنا هنا بنتدرج أولا أثبتنا أن الفعل قام بالمحل أو الصفة قامت بمن فعل، لكن أيضا لابد نثبت بأن الله خالق هذا الشر لتفرق بين خلقه وبين مباشرته، وهذا هيكون فيه رد على الطائفة الثانية اللي نفت خلق الله لأفعال العباد، فهنا ما زلنا نحن بنقرر حتى نضبط اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وهو أن الله خالق كل شيء وقد قلنا بأن معنى ذلك بأن الله خالق الشر، دخل في عموم الأشياء التي خلقها الله عز وجل، وانتفاء إضافته إليه وصفا وتسمية وفعلا لا ينافي إضافته إليه خلقا وتكوينا **{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** فتبينا أن الشر داخل في عموم الأشياء التي قد خلقها الله عز وجل واحنا نفينا إضافة الشر إلى الله فبنقول انتفاء إضافة الشر إلى الله فعلا وتسمية وصفة لا

ينافي إضافته إلى الله خلقا وتكوينا، مع التنبيه هنا على أن المراد بالشر الجزئي الإضافي، لا يوجد شر محض، احنا نتكلم هنا عن شر إضافي فقط، ومع ذلك أيضا مع أننا قررنا بأن الله خالق الشرور، لكن تأدبا العلماء يقولون لا يضاف إليه سبحانه وتعالى خلقا طبعا من باب الأدب بعض الأمور المحقرة يعني لا تقول الله خالق القردة والخنازير والكلاب مثلا خالق المعاصي والآثام وإن كان هذا خالقه لكن هذا من باب التأدب وإن كان الجميع مخلوقا لله عز وجل وبعدين قال لا يضاف الأشياء الحقيرة له كالهوام والدواب تأدبا لكن احنا أثبتنا أن الله خالق كل شيء.

طيب ننتقل بعد ذلك في نفس القاعدة لمسألة أخرى، معنى ذلك أن أهل السنة يثبتون الفرق بين فعل الفاعل وبين مفعوله المنفصل، فالفعل هو إحداث الشيء والمفعول هو الحدث فكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول، بمعنى نقول فعله الذي يقوم به الله يتصف به خلقه فهو يتصف به سبحانه وتعالى، وأما مفعوله المنفصل فلا يتصف به، الصلاة من العبد على سبيل المثال صحيح؟ طيب تطلق على شيئين فعله القائم الذي قام به المصلي قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه وتطلق على المفعول المنفصل منه وهي الصلاة التي وجدت بفعله، دي تسمى صلاة ودي تسمى صلاة الفعل الذي قام به صلاة والمفعول الذي وُجِد بعد ذلك يسمى صلاة، هذا الفعل وهذا المفعول.

طب الخلق والمخلوق الخلق اللي هو مباشرة الخلق نفسه ونتج عنه ايه؟ مخلوق مفعول، هو المقصود أن نفرق بين الفعل اللي هو الحدث والمفعول اللي هو منفصل، الصلاة اللي أنت صليتها في فرق بين فعلك ركوع وسجود تسمى صلاة أيضا وانتهاءك من الصلاة دي تسمى ايه؟ ده المفعول منك المنفصل عنك، طب أنت الآن لما أنت صنعت ده فعلك أنك قاعد تصنع، لما انتهيت من التصنيع وطلعت بالكاس ده، ده اسمه ايه؟ ده المنتج المفعول صح؟ فهنا المقصود هنا أن احنا نفرق بين الفعل وبين المفعول المنفصل، الفعل إحداث الشيء والمفعول هو الحدث تصلي ده إحداث الركوع والسجود والمفعول هو الصلاة نفسها، كذلك الأمر في حق الله عز وجل فرق بين فعله عز وجل ومفعوله، كما أن الفعل غير المفعول في حق المخلوق، كذلك في حق الله فعل الله غير المفعول، فالله سيتصف بفعله والمفعول هذا الذي يفعله لا يتصف به، يعني الشرور والآلام والمعاصي التي خلقها الله عز وجل بعلمه وكتابته ومشيئته لكن الشيء المخلوق هذا بقى اللي باشره المخلوق اللي هو ارتكاب الاثم والمعاصي والذنوب لا يوصف به الله وإنما يوصف به المخلوق، هو المقصود منها أن أهل السنة يفرقون بين فَعَلَ وأَفْعَلَ وهذا الذي يوضح أكثر، أن في فرق بين فعل وبين أفعل، الفعل هو الذي يقوم به الفاعل ويشتق له اسم وصفة وأما الإفعال (بكسر الألف) فلا يقوم به وإنما يقوم به من جعله فاعلا له، يعني الله عز وجل فاعل غير منفعل والعبد فاعل منفعل، في انفعالات للعبد ليس لها اختيار مثل المرض أو الموت أو الارتعاش دي مش من اختياره وهناك أفعال له فيها اختيار فالله عز وجل مع العبد أفعل والعبد هو اللي فعل، مثلا العبد ضل الله أضل العبد والعبد هو الذي ضل، الله عز وجل هو الذي جعله كافرا والعبد هو الذي كفر، الله الذي جعله هاديا وهو الذي اهتدى، الله عز وجل جعله مصليا والعبد الذي صلى، فهو ده الفرق بين فعل وأفعل، فعل بتلحق بالمباشرة هنا في العبد والذي أفعله هو الله عز وجل، فلا يلزم من جعل الله للعبد فاعلا للشرور أن يوصف الله بوصف الشر لأن الفرق بين أفعل وفعل العبد فعل الشرور والله أجعله يعني أفعل الشرور له، فلا يلزم من جعل الله عز وجل العبد فاعلا للشرور أن يقوم به وصف الشر وانما يقوم بمن فعله وهو العبد، وهذه تجعلك تفرق بين فعل وأفعل، هي لغةً مفهومة لأن لغةً فعل الذي هو يقوم به الفاعل ويشتق هذا الفاعل له اسم واحد قام فنقول له الذي قام بالقيام الآن وقف هو الذي قام هو الذي فعل وممكن نقول هو قائم نشتق له اسم من صفة القيام لكن ما الذي جعله يقوم؟ -اللي هي أفعل-

هو الله عز وجل لأن الله خالق العباد وأفعالهم خلقا وايجادا وبالتالي الذي يوصف بالصفة هو الذي فعل وليس الذي أفعل، طبعا كل ده عشان نصل للشرور فالعبد بيقوم بالشر فعله، فلتفرق بين فعل وبين أفعل فالله الذي أفعله أو الذي جعله يفعل ذلك هو الله لكن الذي فعل هو العبد ولذلك يوصف العبد بالشر ولا يوصف الله عز وجل.

طبعا هو الشر على قسمين شر محض وشر جزئي، شر محض اللي هو كله خلا من مصلحة وحكمة ورحمة وهذا لم يخلقه الله عز وجل ليس له وجوداً، وشر جزئي أو نسبي الذي فيه مصلحة وحكمة من وجوده، يعني هو من حيث خُلِق هو خير لكن الشر موجود لكن هنا لحكمة ومصلحة لذلك هو شر نسبي أو جزئي لبعض الناس شر ولغيرهم ليس بشر، فاحنا لما بنقصد بنفي الشر عن الله عز وجل نقصد نفي الوصف والاضافة لا نفي الخلق، لذلك القاعدة بتقول فعل بننفي الفعل اللي هو من الله عز وجل أن يكون شرا لكن المخلوق والايجاد يكون فيه شر، لذلك إحنا نقصد بنفي الشر عن الله نفي الوصف والإضافة لا نفي الخلق لأن كل ما سوى الله مخلوق { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}، و{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} إذا المقصود بالشر المنفي هو الشر الجزئي لا الكلي، لأن الكلي لا وجود له أصلا ما فيش شر أصلا كلي موجود والله لم يخلقه لأنه ليس فيه لا حكمة ولا مصلحة ولا فيه رحمة لأحد والله عز وجل لابد أن يكون في خلقه و في أفعاله كمال في العدل وفي الرحمة وفي الحكمة والشر المحض ليس فيه ذلك فلذلك لم يخلقه الله عز وجل أو لم يوجده الله عزوجل، لذلك قد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين نفي نسبة الشر إلى الله عز وجل وبين إثبات الضد لما قال الخير بيديك والشر ليس إليك، يعني الشر ليس إليك يعني لا يضاف إليك بوجه لا في ذاتك ولا في اسمائك ولا في صفاتك ولا في أفعالك على العموم فنفى كله أما انتفاءه في ذاته لأنه أكمل الذوات فلو قلنا له الكمال المطلق فلو نسبنا له الشر يبقى ليس له الكمال المطلق، وقلنا ايضا لابد أن ننفيه عن اسمائه لأن له الأسماء الحسنى وانتفاءه في صفاته لأن صفاته كلها كمال وهذا الشر ليس بكمال وانتفاءه في افعاله لأن أفعاله كلها خير ورحمة ولو نسبنا الشر لفعله فلن يكون فيه الخير والرحمة والحكمة.

وقلنا عشان نبين مثال للشر النسبي مثلا الشر الذي حصل للقاتل بالقصاص هو شر له من حيث إزهاق الروح وأن حياته عدمت لكن هو خير له من وجه آخر تكفير لذنبه وهذا خير له وخير لعموم الناس، ده خير خاص له أنه كفر عن ذنبه أما الخير لعموم الناس إظهار الدين والشريعة وزجر الناس وإقامة الشرائع وانتشار للأمن وحفظ للدماء، وهذا يبين لك أن ما في شر موجود مطلق لماذا؟ لأن هذا يقدح كما قلنا في ذاته واسمائه وصفاته وأفعاله لله سبحانه وتعالى وكذلك لابد أن يكون الشر فقط جزئياً، تلخيصا مرة أخرى أن الشر لا يضاف إلى الله لأنه لم يضف في كلام الله عز وجل ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم إلا على أحد وجوه أضيف عموما الله خالق كل شيء وأضيف السبب وأضيف بحذف الفاعل، كما قال الخضر أيضاً {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا} انتبه وقبلها قال في السفينة {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} ففي الشر أضافه إلى نفسه وفي الخير أضافه إلى الله في الحالة الثانية فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ومنها قوله تعالى وهذه الآية التي سنبين فيها الخلاف مع المعتزلة {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} فهنا أضاف الحسنة إلى الله لأنه هو المنعم بها وأضاف السيئة إلى العبد لأنه هو المتسبب والفاعل لها، طبعا هنا في

تفسيرات للحسنة والسيئة فيه أكثر من تفسير لها البعض قال الحسنة السراء والسيئة الضراء، وقيل الحسنة النعم والسيئة المصائب، وكلها معاني تصح والاختلاف فيها اختلاف تنوع لا إشكال فيه.

طيب هل هناك من خالف في هذه القاعدة؟ نعم هناك من خالف أهل السنة والجماعة في ذلك، الخلاف ليس طبعا في نسبة الشر إلى الله عز وجل أو تنزيه قضاء الله عز وجل عن الشر الذي خالف فقط الجهم بن صفوان في ذلك وهذا خلاف مردود عليه لأن الجهم قال إن الله يخلق الشر المحض الذي لا خير فيه وهذا الكلام باطل طبعا وأصول الإسلام مسألة الشر المحض وقلنا أن هذا لا يمكن أن يكون موجوداً، لكن هناك خلاف أيضا مع طائفتين المعتزلة والأشاعرة، الخلاصة هو أهل الكلام اتفقوا على عدم إضافة الشر إلى الله يعني هم اتفقوا على عدم إضافة الشر لكن نازعوا في معنى الشر، ما هو الشر الذي لا يضاف إلى الله؟ المعتزلة قالوا الشر اللي هو القبيح وهذا الذي يترتب عليه الذنب كل ما كان قبيحا من العبد فإنه يكون قالوا قبيحا من الرب بناء على قياس عندهم احفظوه كده دايما أفعال الله يقيسوها بأفعال العباد عندهم تشبيه في هذه المسألة يقيسوا أفعال الله على أفعال العباد، لماذا وقعوا في نفي القدر؟ لأنهم قاسوا الاثنين لذلك القاضي عبد الجبار يقول والشر هو الضرر القبيح وبناء على هذا الترتيب قالوا أن فعل العبد ليس داخل في خلق الله لأن من فعل العبد ما هو شر فقالوا لا ينسب إلى الله خلقا هم أرادوا أن ينزهوا الله عز وجل فلم ينسبوا إلى الله عز وجل ذلك فقالوا لأن من فعل العبد ما هو شر فلا ينسب إلى الله خلقا فأخرجوا الشر عن خلق الله كما أخرجوا فعل العبد أيضا أن يكون خلقاً لله، مش هم أصلا كقدرية على أصولهم قالوا العباد خالقون لأفعالهم فأيضا الشر أخرجوه عن خلق الله، الأشاعرة أتوا بأمر آخر قالوا الشر مش موجود أصلا ما فيش شر كل ما وجد فهو خير وبالتالي رتبوا على ذلك أن الله جبر العباد على كل شيء ومنها الشر فهو لا يسمونه شر لماذا؟ لأن الله عز وجل أوجده فقالوا هذا لا يكون شرا، فإذا المعتزلة لم ينسبوا الشر إلى الله عز وجل وسموه باسم القبيح وقالوا أن الشر كله للعباد واستدلوا على ذلك بقوله تعالى {.....وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ.....(٧٩)} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٧٨-٧٩]

كيف وجهوا الآية؟ قالوا أن عندنا حسنة وسيئة أولى وحسنة وسيئة في الآية التي تليها فقالوا الحسنة الأولى اللي هو الخصب والرخاء والسيئة الشدة والأمراض، طيب والحسنة الثانية قالوا الطاعة والسيئة الثانية قالوا المعاصي، فقالوا وإن تصيبهم خصب ورخاء فيقولون هذا من عند الله وإن يصيبهم شدة ومرض يقولوا هذا من عندك قل كل من عند الله، ثم قالوا ما أصابك من حسنة يعني ما أصابك من طاعة فمن الله وما أصابك من سيئة يعني من معصية فمن نفسك فوجهوا على أن الشر كله من العباد، هم أصابوا في شيء وأخطأوا في شيء أصابوا بأن قضاء الله منزه عن الشر أصابوا في ذلك، لكن هم أساءوا أنهم أخرجوا الشرور المتعلقة بأفعال العباد عن قضائه وخلقه، مرة أخرى هم أصابوا أنهم جعلوا قضاء الله منزه عن الشر اللي هو فعل الله، لكن هم قالوا القضاء هو طبعا ما يقصدون الفعل لأنهم أصلا لا يرون بأنه يخلق الشر لكنهم أساءوا لما أخرجوا الشرور المتعلقة بأفعال العباد عن قضائه وعن خلقه طبعا هم هنا

أخطأوا لأنهم خالفوا الأدلة الصريحة اللي موجودة في الكتاب والسنة التي دلت على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل، وأما الاستدلال بالآية التي قلناها الآن فلا دليل له لماذا؟ لأن الله عز وجل فرق بين الحسنات والسيئات وهم عندهم لا فرق بينهما يعني هذا بيرد عليهم الله فرق بين الحسنات والسيئات وأنتم عندكم لا فرق بينهما عندهم أن كله للعبد، بل فعل العبد عندهم حسنة أو سيئة منين؟ من العبد طب والآية بتقول {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ.....}على الأصول عندكم فهذا أصلا لا يستقيم، فإذا هذا الاستدلال أصلا خارج عن أصولكم أصالة، ثم إن الله عز وجل جعل الحسنات والسيئات كلها من الله في الآية لما قال {.... قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ...} وهم لا يقولون بذلك في الأعمال يقولوه بس في الجزاء أن الجزاء من عند الله لكن الأعمال ليست من عند الله فهذا أيضاً يرد عليهم من الآية نفسها، أما التفريق اللي قلناه عنهم هذا في الحسنة والسيئة الأولى عن الحسنة والسيئة الثانية لا دليل عليه أصلا لا في السلف ولا في التفاسير وهذا تحكم من عندهم.

هذا الكلام عن المعتزلة الذين لم ينسبوا الشر إلى الله حتى خلقاً أيضا، الأشاعرة نفوا الشر عن قضاء الله عز وجل لكنهم جعلوا كل ما في الوجود خير وأن الله لم يقدر شرا مطلقا والشر اللي موجود ليس ذاتيا أيضا، طبعا هذا الكلام منقول عنهم كثير احنا لا ننقل تفصيلا الآن، لكن هذا أصل المسألة لأن هو يرجع لقاعدة التحسين والتقبيح عندهم هم يرون بأن الحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبّحه الشرع ليس للأشياء وصف في نفسها يعني ما في شيء أصلا يتصف عقلا بأنه حسن أو يتصف بأنه قبيح وإنكارهم للشر باطل يرد عليهم، انكارهم وجود الشرور أمر يكذبه واقع الأمر الأمراض والأسقام والقتل ماهي باينة انها شرور كيف لا تكون شرورا؟ فهى شرور بالنظر إلى ذاتها باتفاق العقلاء هي شرور وإن كنا قلنا شرا جزئيا ليس محضا يعني الله عز وجل يقدره لحكمة ومصلحة لذلك القول بأن الوجود خير والعدم شر، هم عندهم يقولون أن العدم هو الشر والوجود خير، فلما الله لم يوجد إلا خير إذاً لم يوجد الشر لأنه عدم فإذا الشر غير موجود اصالة، وهنا الإشكال الذي وقع فيه الأشاعرة لأنهم بينفون الحكمة عن أفعال الله عز وجل هم اصلا لا يقولون بالحكمة في أفعال الله بل يقولون يفعل المشيئة ودي ستأتي معنا ليس لحكمة لمجرد انه شاء ذلك فلما قالوا هذا القول انسد عليهم هذا الباب.

طيب إلى هنا ننتهي من هذه القاعدة حتى ندخل في القاعدة التي تليها اليوم وهي قاعدة خاصة بحكمة الله عز وجل.

سؤال: ما التفسير الصحيح للحسنة والسيئة الأولى والثانية عند أهل السنة والجماعة؟

تعقيب من الشيخ: التفسير الصحيح لها خلقا وايجادا من الله عز وجل لأنه قال كل من عند الله في الأولى لما قال سبحانه ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعني العقاب كله من عند الله كله من عند الله خلقا وإيجادا، ومباشرة وفعلا من عند العباد الذي يقوم به، فالله عز وجل حتى لو جازى (أصابك من حسنة) يجازيك على فعلك، والسيئة بسبب فعلك أيضاً يعني كأن الله يعطيك الثواب من باب الكرم والفضل ليست في المقابلة على الفعل يعني ما أصابك من الحسنة فمن الله يعني أنت فعلت نعم الفعل لكن هذه الحسنة كرم من الله وفضل ليس مقابلة، وأما ما جزيت بالسيئة من نفسك من أفعالك فالله عز وجل بعدله أن جزاك عنها وكل من عند الله كله خلقا وايجادا من الله عز وجل.

طيب القاعدة الثانية لنختم بها قواعد أفعال الله عز وجل، قاعدة أن أفعال الله صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، أفعال الله سبحانه وتعالى صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، قلنا من قبل إن الحكمة صفة من صفات الله عز وجل، الله عز وجل اسمه أيضا الحكيم وله صفة الحكمة سبحانه وتعالى متصف بها، فحكمة الله عز وجل تدخل في أفعاله من خلقه وهدايته ورزقه وغير ذلك من أفعاله سبحانه وتعالى، طيب قلنا انتبهوا أفعال الله صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، إذًا نثبت صفة الحكمة لله عز وجل ونثبت أمرا مهما من هذه القاعدة لأن فيها رد على الأشاعرة تحديدا وغيرهم الذين قالوا إن أفعال الله ليست لمحض المشيئة يعني الله لم يفعل لمجرد أنه يشاء، لا لابد من أفعاله مع المشيئة حكمة والحكمة سيكون معها علم طبعا كما بينا، فإذًا لنبين هنا لماذا نقول إن أفعال الله صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل؟ فمعناها إن أفعال الله ليست لمحض المشيئة فقط ويترتب على المسألة دي مسألة التحسين والتقبيح أيضا لأن الذين قالوا بأن أفعال الله للمشيئة ولم يجعلوا لها حكمة فرجعوا إلى إن التحسين والتقبيح اللي بيقوله ربنا، لو قال ربنا إن الربا ده جميل هيبقى جميل، لو قال إن الزنا جميل يبقى جميل لو قال إن الخمر جميل يكون جميل ولو قال بإن الصلاة قبيحة ستكون قبيحة لماذا؟ رجعوا المسألة للشرع فقط للمشيئة هو شاء أن ده يكون جميل وهذا خير وهذا يكون شر، ونفوا الحكمة وجعلوا المسألة على المشيئة فجعلوا التحسين والتقبيح فقط شرعي، ولو تذكروا تكلمنا من قبل عند المعتزلة جعلوا التحسين والتقبيح عقلي سنبينها ايضا هنا في المسألة هذه، إن العقل يحسِّن ويقبِّح، ولكن هو اشكالياتهم الاثنين إن المعتزلة جعلوا الجزاء الثواب والعقاب على التحسين والتقبيح العقلي والأشاعرة جعلوا الجزاء والعقاب على التحسين الشرعي، وأهل السنة قالوا بالاثنين قالوا التحسين والتقبيح يعرف عقلا لكن يجازى عليه شرعا، **{... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}** يعني حتى لو حسّنا وقبّحنا بالعقل فلا نجازي عليه إلا أن يأتينا شرع، يأتي الرسالة والرسول فيحاسب بعد ذلك عليه حتى لو علمنا عقلا إن هذا حسن وهذا قبيح، هذه خلاصتها جدا إذا تكلمنا عنها، لكن هنا القاعدة المقصود بها أن أفعال الله صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، يعني ما المقصود؟ ما هو المعنى الإجمالي؟

أفعال الله معللة فالله عز وجل يفعل بمقتضى حكمته ومقتضى حكمته هي صفة من صفاته فالله لا يفعل عبثا بغير حكمة، والحكمة هي الغاية المقصودة من الفعل لذلك لو سئل سائل لماذا خلق الله الخلق؟ لماذا ربنا خلقنا؟ هتقول العبادة هي المقصودة من خلق الله للخلق، والله عز وجل يفعل لا لمجرد المشيئة وإنما هناك غاية مقصودة {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، وهذه الحكمة تعود لشيئين أو نقول تتضمن شيئين وهذه أيضا مهمة الكلام هذا بيرد على بعض الناس اللي عندهم وساوس وعندهم يأس كما يقال وقنوط وغير ذلك، تقول أن الحكمة من هذا الخلق حكمة تعود إلى الله يحبها الله ويرضاها أي فعل لله عز وجل وله غاية وله حكمة الأولى تتضمن حكمة تعود إلى الله يحبها الله ويرضاها يعني غاية مقصودة من فعله هو الله عز وجل يفعل لأنه يحب أن يفعل ذلك وله فيه حكمة، والثاني حكمة تعود إلى العباد يتنعمون بها فهذه الغاية المقصودة من الفعل الذي يتلذذ به العبد ويتنعم به وله فيها مصلحة، إذًا الحكمة بتتضمن شيئين حكمة تعود إلى الله عز وجل من حبه ورضاه بهذا الفعل الذي يريده وحكمة قد تعود للعبد نفسه بالتلذذ بهذا الفعل والتنعم به، لذلك حكمة الله عز وجل تدخل في أفعاله وفي شرعه، ما الفرق بين أفعاله وشرعه؟ نعم أنه يفعل لحكمة ويأمر وينهى لحكمة، شرعي الأمر والنهي لحكمة، والفعل الذي ليس فيه أمر ونهي لحكمة أيضا قال تعالى **{.... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**، فإذا كان الله عز وجل قد جعل في المخلوقات حكمة فمعطي الكمال أحق به، إذا كان الله عز وجل جعل في المخلوقات حكمة يقول لك ده حكيم رشيد أو غير ذلك فالمعطي لذلك أحق بذلك الحكمة

أن يكون أكمل منها، ولو كان العبد أو المخلوق متصف بالحكمة لكان المخلوق أكمل من الخالق إن لم يكن الخالق متصف بذلك، فمن باب أولى قياس الأولى هنا الذي لا يصح في بعض الأسماء والصفات أن يكون الله عز وجل متصف بالحكمة، كما أن من لوازم ذلك الإحكام والاتقان في المخلوقات يدل على كمال حكمة الله عز وجل لأنك لو جعلت إن الفعل ليس له حكمة هينتفي الإحكام في أفعال الله، الإحكام يعني الاتقان فلو جعلت الفعل بغير حكمة فسينتفي عن هذا الفعل الإحكام وإذا انتفى الإحكام اللي هو الاتقان انتفى دليل العلم فنفيت عن الله العلم أيضا.

طبعا أجمع أهل الإسلام على أن الله عز وجل موصوف بالحكمة لكن تنازعوا في تفسير الحكمة، يعني أما جم يفسروا الحكمة تنازعوا فيها، قول جعلوا الحكمة المتعلقة بالعلم والمشيئة فقط قالوا حكمة الله هو علم الله ومشيئته وليست هي المقصودة من الفعل فما يحصل من المفاسد والمصالح للعبد إنما كان عند الفعل لا لأن هذا الفعل علة له الحكمة علة وده قول من سيكون؟ الجبرية جعلوا الحكمة متعلقة بالعلم والمشيئة فقط ربنا شاء ذلك وعلم، وليست الحكمة مقصودة من الفعل نفسه، لذلك جعلوا كل ما يحصل من مصالح ومفاسد عند الفعل لا علة للفعل، يعني لو جالك خير ربنا بيخلق لك هذه المصلحة والمفسدة عند الفعل هذا وليس لأن هذا الفعل له علة، ليس لأن الصوم له أجر كذا والصلاة لها أجر كذا والصدقة لها أجر كذا، العلة منها، أو المعصية شؤم في ذلك أو يترتب عليها العقاب لا، قالوا العبادة من الخلق ليست هي المقصودة من الفعل إنما ترجع لعلم الله ومشيئته فعلم من بعضهم أنهم سيعبدونه وشاء منهم ذلك فعبدوه فقط، فهذا تفسيرهم للحكمة هم مش بينفوا الحكمة عشان ما تفتكروش حد يضحك عليك يقول لك ده انت بتقول مثلا الجبرية ما فيش حكمة، لا هو بيقول فيه حكمة بس ده تفسيره للحكمة جعل الحكمة فقط للعلم وللمشيئة ليست لغاية في ذلك، وده طبعا مُسَطّر عبد القاهر البغدادي قال: وقال اصحابنا إن الله حكيم في خلق كل خلق ولو لم يخلق الخلق لم يخرج عن الحكمة ولو خلق أضعاف ما خلق جاز ولو خلق الكفرة دون المؤمنين أو خلق المؤمنين دون الكفرة جاز.

هم في الحقيقة ينفون الحكمة المقصودة من الفعل وده القول الأول في تفسير الحكمة ولذلك الآمدي يقول مذهب أهل الحق – وهو طبعا ليس بالحق - أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها، بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه. طبعا هذا الكلام يطابق ما قلناه أنهم جعلوا المسألة ترجع للعلم والمشيئة فقط، وهو ليس بعجب لماذا ليس بعجب؟ لو ربطتم بين هذا الكلام وكلامهم في الصفات، طب أنا أقرب لكم، لأنهم لما قالوا هذا الكلام هم نفوا في الصفات ماذا عن الله؟ في نوعية من الصفات نفوها، بالضبط هم نفوا الفعل القائم بالله صحيح؟ غضب؟ لا لم يغضب، انتقم؟ لا، يحب؟ لا، صحيح؟ فهم نفوا الفعل القائم بالله فإذا نفوا الفعل فمن باب أولى أنهم ينفوا الغاية أصالةً، فده امتداد للأصل الفاسد اللي موجود، يعني إذا كانوا هم نفاة للفعل القائم بالله فمن باب أولى أن يكونوا نفاة للغاية التي من أجلها فعل، لأن الحكمة هي في حق من يفعل الفعل القائم بذاته وهم أصلا لم يقولوا غضب ولا أحب ولا انتقم ولا شيء خالص من هذه الأفعال فلو نفوا الفعل القائم بالله سينفوا الغاية التي من أجلها فعل، يبقى هذا امتداد لكلامهم.

طب هم لماذا قالوا ذلك؟ قالوا لو أثبتنا الحكمة اللي هي فيها الغاية لكأنه أصبح الرب مستكملا بغيره، ماذا يعني الآن؟ يعني الله خلق سبحانه وتعالى لحكمة للعبادة فهو كأنه مستكملا بعبادة الغير مستكملا بطاعة الغير فأرادوا أن ينفوا عن الله الاستكمال بغيره فنفوا الحكمة من ذلك

اصالة، يعني كأنه {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} كأنه خلق ومنتظر عبادة الخلق ليستكمل به فعل الخلق الذي خلقه، فقالوا اثبات الحكمة يقتضي أن يكون مستكملا بغيره يعني كأنه منتظر كأنه يعني سيستكمل العلة من الخلق بالعبادة له وغير ذلك من الأمور التي من أجلها فيها الحكم، والحق فهذا كلام باطل، قولهم مستكمل بغيره باطل، لأن هذا الذي يحصل إنما يحصل بقدرته ومشيئته لا بقدرة غيره ولا مشيئة غيره هو ليس محتاجا سبحانه وتعالى إلى غيره ده هو بيخلقهم للعبادة ليجازيهم لكن هم فعلوا أو لم يفعلوا فلن يضره ولن ينفعه لا عبادة العابدين ولا الفاسقين أو العاصين. طب هذه معنى الحكمة في القول الأول.

القول الثاني: من اثبت حكمة تعود إلى العباد فقط يعني الحكمة ترجع للعباد يعني حكمة مخلوقة منفصلة عن الله لا يعود على الله منها شيء وده قول من؟ القدرية امتداد ايضا لأنهم يقولوا بأن أفعال العباد مخلوقة فأيضا هتكون الحكمة من الفعل مخلوقة للعباد ولا تعود إلى الله عز وجل في شيء.

القول الثالث من اثبت حكمة تعود إلى الرب لكن بحسب علمه فقالوا خلقهم الله ليعبدوه فمن وُجِد منه ذلك فهو مخلوق لذلك ومن لم يوجد منه ذلك فليس مخلوقا له وهذا القول قول الكرّامية، قالوا ومن اثبت حكمة تعود إلى الرب لكن بحسب علمه فقال خلقهم الله ليعبدوه فمن وجد منه ذلك فهو مخلوق لذلك ومن لم يوجد منه ذلك فليس مخلوقا له، وهذا القول قول الكرّامية.

طب لماذا مسألة الحكمة هذه؟ احنا نضبط بس كدة لأن الخلاف مش المقصود من القواعد كلها احنا بس بنشير إليهم لكن نبين المقصود هنا معنا، إن نتج عن مسألة الحكمة دي في التعريفات مسألة التحسين والتقبيح، كما قلنا الجبرية لما نفوا الحكمة المقصودة من الفعل وأن الله يفعل لمجرد المشيئة فنفوا أن يكون أي أفعال منها حسن ومنها قبيح نفوا ذلك، إلا من جهة الشرع فقط فيجوز أن يأمر بالشرك ويكون حسن ويجوز أن يأمر بالكفر ويكون حسن القبيح اللي هو ما أراده الله عز وجل فقط طبعا هذا لهم كلام في ذلك، ولكن هم حقيقة يعني هم اصابوا واخطأوا طبعا اخطأوا في هذا الكلام لكن أصاب الجبرية والأشاعرة في ذلك على أنهم رتبوا الثواب والعقاب على بعد ارسال الرسل فأصابوا في هذه المسألة واخطأوا في أنهم جعلوا الحكمة للمشيئة فقط وللعلم، يعني الباطل عندهم أنهم نفوا أن يكون الفعل في ذاته حسنا أو في ذاته قبيحا، يعني ازاي طيب تتصور إن ممكن يكون الزنا في ذاته ليس قبيح مثلا وأن الطاعة ليست في ذاتها حسنة، فهنا ده الباطل الذي عندهم في المسألة إن هم جعلوا الحسن والقبيح لمجرد مشيئة الله ليس فيه ما تعقله أو ما تتدبره العقول، على النقيض جاء القدرية اثبتوا الحكمة وجعلوا للحكمة تأثير وتأثيرها يرجع للعبد فقط وجعلوا حسن الأفعال وقبحها أمر ذاتي يعني لا يرجع لحكم الله لا العقل يستطيع أن يفرق بين الحسن والقبيح، وأيضا هم قالوا بقول جزء فيه باطل أكثر من الحق، الحق أن هم قالوا إن الحسن والقبح يُعلم بالعقل نعم الحسن والقبح قد يعلم بالعقل صحيح لكن هم لأن المعتزلة بيشبهوا الخالق بالمخلوق في الأفعال فهم قالوا هنا في الباطل انهم رتبوا الثواب والعقاب على ما يوجبه العقل ولم يرتبوه على ما أوجبه الشرع فلم يقولوا بقول أهل السنة والجماعة مسألة أن الثواب والعقاب لا يكون إلا بعد ارسال الرسل، أهل السنة والجماعة جمعوا بين الاثنين بقى اثبتوا أن الأفعال منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون قبيحا ويُعرف بالعقل وكذلك الجزاء والثواب والعقاب لا يكون إلا من خلال الشرع بعد ارسال

الرسل، هو طبعا ردوا على ذلك من قوله تعالى {.....وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}

فالحق عند اهل السنة والجماعة أن الحسن والقبح قد يعلم بالعقل لكن لا يترتب الثواب والعقاب إلا بإرسال الرسل.

طب الأدلة على القاعدة دي كثيرة جدا جدا جدا التي فيها بيان حكمة الله عز وجل يعني أنواع ممكن نفرد فيها محاضرة لكن أنا سأنتقي بعض الآيات فقط لتبين الحكمة من أفعال الله.

قال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} فقد أخبر الله انه فعل هذه الأفعال لعلة قال لتعلموا انه خلق السماوات والأرض ومن الأرض مثلهن وأن الأمر يتنزل ثم ذكر الحكمة فقال لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما.

ومنها قوله تعالى {مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، طبعا هنا كي تعليلية أيضا.

{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)} لكي أيضا هنا للتعليل فكي الصريحة في التعليل وبيان الحكمة.

وقوله {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}

فأنكر الله عز وجل على من زعم أنه خلق لا لغاية أو لمجرد العبث يعني، وكل ذلك منكر للحكمة، هذه ردود عليه من الآيات تبين بأن الله ما فعل فعلا إلا لحكمة، وطبعا كما جاء عن

الربيع بن أنس رحمه الله في قوله تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} قال ما خلقتكم لعبا، ولكن خلقتكم للعبادة، وايضا قتادة قال والله ما خلق الله شيئا عبثا ولا ترك شيئا سدى وكل هذا يبين الحكمة في خلقه تعالى.

وقوله تعالى {....وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ايضا من قوله تعالى حكيم في أمره خبير بخلقه اصالةً فالأئمة بينوا جميعا أن الله لم يخلق شيئا عبثا سبحانه وتعالى وإنما خلقهم لحكمة وقد نص على ذلك أيضا.

وأكثر من ذلك حقيقة يعني أيضا {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} فالله قد بين أنه كتب القتال لعلة ولغاية ترجع إلى علمه سبحانه وتعالى قال الله يعلم وأنتم لا تعلمون.

وأيضا من قوله في سورة الفتح {.....فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا.....}

ومن السلف قال ابن عمر وهذه يعني فائدة عظيمة "إن الرجل ليستخير الله فيختار له، فيسخط على ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خار له" سبحان الله! لذلك الاستخارة من الأهمية بمكان، إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيسخط على ربه يعني ماذا؟ يظن أن هذا الذي اختاره الله له لا يعجبه فلا يلبث أن ينظر في العاقبة فإذا هو قد خار له، هو ما الشاهد من هذا الحديث؟ كيف الاستدلال منه؟ ابن عمر يبين أن الغاية من الفعل ترجع لعلم الله، فالله يعلم عواقب الأمور التي هي الغاية من الفعل، ما احنا كلامنا كله في الحكمة والغاية فأريد أن يرجع بأن الغاية من الفعل يعلمها الله عز وجل قد تغيب عنك وقد لا تعلمها لكن الله يعلمها فقد تظهر لك بعد ذلك في عاقبة الأمر لكن هذه دلالة على أن هناك غاية لهذا الفعل وحكمة منه أيضا.

هنا بيثبت بالأثر أن للفعل غاية قد لا تعلمها في أول الأمر لكن في عاقبة الأمر تظهر لك من هذا الفعل.

طيب هو يختم بقاعدة نفس القاعدة التي معنا وهي عدم علم الناس بالحكمة في فعله لا يستلزم نفي ثبوتها في نفس الأمر، احنا أثبتنا أن الله يفعل لحكمة عدم احاطة الخلق لحكمة الله عز وجل لا يلزم نفي الثبوت في نفس الأمر، هي فرع عن اثبات الحكمة في أفعال الله، ليس من لازم اثبات الحكمة لله أن يطلع الله عز وجل عباده عليها فالعباد قد يعلمون من حكمته ما يطلعهم الله سبحانه وتعالى وقد لا يعلمون، وعدم العلم لا يلزم منه العدم فلا نستدل على نفي الحكمة بعدم علم الناس لها لأن العبد لا يحيط بالله ولا بصفاته، إذًا المقصود عدم العلم بالحكمة لا يلزم منه نفي الحكمة لأن العقول تعجز عن ادراك كل الحكم المقصودة والأفعال لقصورها ولابد من عجز في ذلك، ولكن هذا العجز لا ينفي الحكمة في نفس الأمر، لكن العبد يكفيه أن يعلم ويؤمن بأن الله عز وجل لا يفعل إلا لحكمة ويسلم له، تفاصيل الحكمة دي ليس مخاطب بها العبد، العبد غير مطالب بتفاصيل هذه الحكمة، إن منّ الله عز وجل عليه وأظهرها له فبها ونعمت وهذا يزيده إيمانا وعلما ويقينا وإن أخفاها الله عز وجل فهذا أيضا يبين لك بأنك مستسلم لله ومتبع ومذعن ومقبل على الله بما قضاه وقدره عليك أيضا، بل أحيانا إن اطلاعك على الحكمة قد

يكون فيها مضره، لذلك قال الله عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ....} فالله عز وجل نهانا عن سؤاله عن بعض الأمور وطبعا في الشرع أمثله أن الصحابة كانوا يعني يتحرجون من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ويخافون والنبي كان يخشى أيضا أن يأتي أحد فيسأل فيحرم عليه كما جاء في نص حديث قبل ذلك هذه المسألة إنه يسأل عن أمور فتحرم، بل ما أراد أن يخرج في التراويح ويصلي خشية أن تفرض عليهم صلى الله عليه وسلم، وأيضا مما ينبغي أن يعلم أن الحكمة المقصودة من الفعل متعلقة بعموم الخلق وإن كان في بعض هذه الأمور قد يكون مضرة لبعض الناس فالله يراعي الحكمة العامة لا الحكمة الخاصة، كما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم محمد قال {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} أصالة، وإن كان في ضمن ذلك ضرر على الكافر لماذا؟ لأن الكافر سيعاقب إن لم يؤمن سيعاقب، ودلالة على ذلك في مسألة أن عدم العلم بالحكمة لا يستلزم نفيها قال تعالى {.... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ .....} يبين أن الاحاطة بالحكمة وغاية الله في بعض الأفعال لا تكون إلا إذا شاء الله عز وجل بذلك أيضا، فالله عز وجل أخبر أنهم لا يحيطون به ولا بأفعاله علما فلا يعلمون إلا ما علمهم الله عز وجل وقد جاءت في أكثر من موضع كما قال تعالى للملائكة في سورة البقرة {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} فأخبر الله أن الملائكة خفيت عليهم الحكمة التي من أجلها خلق الإنسان، وهذا لا يدل على نفي الحكمة لأن الله قال إني أعلم ما لا تعلمون إذًا في حكمة لكن أعلمها أم لم يعلمها إياها.

طيب هذا آخر الكلام في القاعدة، قاعدة الحكمة ونكون إن شاء الله قد انتهينا إلى حد يعني من القواعد الخاصة بأفعال الله، سنحاول نجمل المتبقي إن شاء الله في الأسابيع القادمة وننتهي من البرنامج المرحلة هذه قبل رمضان بإذن الله تعالى حتى نستفتح بعد ذلك في رمضان بكتاب بإذن الله تعالى من كتب السلف أيضا في الدراسة، غالبا إن شاء الله يكون كتاب السنة لابن أبي عاصم بإذن الله تعالى غالب الظن إن شاء الله نستخير على ذلك.

طيب سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة الكرام على موعد مع برنامج دراسة العقيدة مرحلة القواعد التأسيسية، وما زلنا في القواعد الخاصة بالقدر إن شاء الله يعني نسأل الله أن ييسر لنا اليوم والأسبوع القادم وننتهي بإذن الله من قواعد القدر وننتهي بإذن الله من مرحلة القواعد بالكلية ثم نشرع إن شاء الله بعد رمضان بإذن الله تعالى في كتاب السنة لابن أبي عاصم.

سنأخذ اليوم قاعدة أو قاعدتان.

القاعدة الأولى تكون بمعنى الاستطاعة، والمقصود بها: الاستطاعة استطاعتان سابقة للفعل ومقارنة للفعل.

الاستطاعة استطاعتان سابقة للفعل وهي التمكن وسلامة الآلات، ومقارنة للفعل وهي حقيقة القدرة، القاعدة بتتكلم عن الاستطاعة ومعنى الاستطاعة مفهوم عند أهل السنة والجماعة والمخالفون لذلك، والمقصود بها في باب القدر بأن أولا الاستطاعة مقصود بها القدرة والوسع أو الطاقة أو القوة، والاستطاعة على قسمين:

إما استطاعة متقدمة أو استطاعة مقارنة، استطاعة متقدمة عن الفعل واستطاعة مقارنة للفعل.

الاستطاعة المتقدمة وهذه لا يجب أن تكون مع الفعل بل يجب أن تتقدم عن الفعل وهي المتعلق بها الأوامر والنواهي، ثم الاستطاعة الثانية المقارنة للفعل والتي يجب بها الفعل، يعني إذا وجدت هذه الاستطاعة حصل الفعل دون تأخر.

إذًا متلخص لنا الآن عندنا استطاعتان: استطاعة قبل الفعل واستطاعة مع الفعل.

طيب الاستطاعة السابقة هي القدرة المصححة للفعل، يعني هي التي يقدر بها الفاعل على الفعل لذلك قلنا هي سلامة الأدوات، هي الوسائل، هي الأسباب التي أودعها الرب سبحانه وتعالى في الفاعل، والتي تشكل جميع هذه الوسائل والأسباب والآلات بمجموعها استعدادا وقوة ليتمكن بها من الفعل، طبعا إذا أراد أن يفعل ذلك بمشيئة الله كما سيأتي اللي هي الاستطاعة المقارنة للفعل، إذًا دي الاستطاعة السابقة اللي هي قبل الفعل، ودي تتنوع بتنوع الأفعال لو قلنا مثلا الاستطاعة في الحج هي الزاد والراحلة، طب الاستطاعة في الصلاة قوة البدن، الاستطاعة في الزكاة ملك النصاب، الاستطاعة في الصيام قوة الجسم على تحمل الامتناع عن المفطرات، كل هذه أسباب ووسائل سابقة قبل الفعل، وكل أمر استطاعته على حسب الآلات أو سلامة الآلات أو الوسائل التي يفعل بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: (صلِّ قائمًا، فإن لم تستَطِع فقاعدًا، فإن لم تستَطِع فعلَى جنبٍ)، طب هنا عدم الاستطاعة فين؟ قبل الفعل، مش إن أنت تجرب الصلاة فإن لم تستطع لا دي الاستطاعة السابقة التي تكون قبل الفعل التي عندك الآلة للصلاة قائما أم لا؟ عندك الآلة الاستطاعة إنك تصوم أم لا؟ فهذه استطاعة تسمى سابقة للفعل.

قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}، أولا ينظر هل هو مستطيع أم غير مستطيع ليحج؟ طب كيف ينظر؟ عنده الزاد والراحلة وعنده القوة؟ فهذه استطاعة سابقة للفعل، وهذه التي يكون فيها التكليف فيها الأمر والنهي لأن هذا المقصود من قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} أي الأمر بالحج عند الاستطاعة، لذلك تجد الاستطاعة المتقدمة تخص الأوامر والنواهي اللي هي فيها التكليف.

وهذه الاستطاعة المتقدمة نوعان: استطاعة كونية واستطاعة شرعية لكن احنا نريد منها الاستطاعة الشرعية وليست الكونية، كيف؟ بالمثال يتضح المقال، الاستطاعة الكونية عموما في هذا الباب أو في هذه الجزئية أخص من الاستطاعة الشرعية، الآن رجل عنده جرح على اليد يستطيع أن يسيل الماء على جرحه ليتوضأ والجرح مفتوح، فيه استطاعة؟ نعم فيه استطاعة، يعني يمكن أن يغتسل ويسيل الماء عليه ويصب الماء عليه يتوضأ، طيب رجل غير مشلول يستطيع أن يصلي قائما أم لا؟ نعم يستطيع يصلي قائما، لكن هذه استطاعة كونية ليست الشرعية هو يستطيع أن يسيل الماء على الجرح لكن هو سيؤدي ممكن إلى ضرر ومرض

والشرع جاء متشوف إلى التيسير فأصبحت الاستطاعة الشرعية ليست هي الاستطاعة الكونية والذي نريده هنا الاستطاعة الشرعية وليست الاستطاعة الكونية، يبقى المقصود بالاستطاعة السابقة هي الاستطاعة الشرعية، يعني هو ممكن يسيل الماء لكن يؤدي إلى ضرر وممكن إن لم يكن حتى مشلولا ويستطيع أن يصلي قائما لكنه من العجز والمرض والتعب فلو صلى قائما ذهب عنه الخشوع والطمأنينة فالشرع لم يأمره بهذه الاستطاعة والقلب لم يحضر، إذًا لما نقول بأن الاستطاعة السابقة هي سلامة الآلات المرادة في القدر هنا الاستطاعة الشرعية وليس الاستطاعة الكونية، انتم فاهمين؟ يبقى إذًا الاستطاعة اللي قبل الفعل استطاعة كونية أو استطاعة شرعية، المرادة هنا هي الاستطاعة الشرعية اللي هو بيتعلق بها التكليف، اللي يتعلق بها الأمر والنهي.

طب ما الأدلة على الاستطاعة السابقة هذه من الكتاب ومن السنة؟ أكثر من دليل ما زلنا نتكلم عن الاستطاعة السابقة للفعل دايما نقول هي مناطها الأمر والنهي.

قال تعالى" {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} فأوجب الحج على المستطيع، لو لم تكن هذه الاستطاعة سابقة عن الفعل غير مقارنة له لما وجب الحج إلا على من وقع منه وهذا باطل، إذًا لا بد أن تكون الاستطاعة سابقة، المقصودة في الآية إن الأول عنده الآلات وعنده الاستطاعة فأُمِر بالحج ما دام عنده الاستطاعة فيفعل، وفي استطاعة ثانية ستأتي وهي الاستطاعة المقارنة للفعل، لكن هذه تسمى استطاعة سابقة.

قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ....} أمر بالتقوى وقيدها بالاستطاعة، فلو لم يكن المراد الاستطاعة السابقة لما استطاع التقوى إلا من اتقى، ما هو لو قلنا الاستطاعة مقارنة يبقى هو بيفعلها عند الفعل يبقى لن يستطيع ان يتقي إلا من اتقى، لكن لا أصالة الاستطاعة سابقة للتقوى.

كذلك من قوله تعالى: {....وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ....} هم اعتذروا عن تخلفهم بعدم استطاعتهم الخروج، ولو لم يكن المراد بالاستطاعة هنا السابقة لما احتاجوا أن يعتذروا.

منها قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ.....} وهذه أيضا دلالة على استطاعة سابقة.

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: (صلِّ قائمًا، فإن لم تستَطِع فقاعدًا، فإن لم تستَطِع فعلَى جنبٍ)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذَا صَلَّى أحَدُكُمْ إلى شيءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فأرَادَ أحَدٌ أنْ يَجْتَازَ بيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْهُ، فإنْ أبَى فَلْيُقَاتِلْهُ؛ فإنَّما هو شيطَانٌ)

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ)

خذها بقى ضابط كل استطاعة عُلِّق بها حكم تكليفي أو جاءت في سياق اعتذار غير الاعتذار بالقدر فهي استطاعة سابقة، يعني تأتي بمعنى التمكن من الفعل وسلامة الآلات كل استطاعة تأتي هكذا فهي المقصود بها استطاعة سابقة وضابطها ستجد فيها حكم تكليفي.

ندخل في أحكامها الآن، ضبطنا خلاص الأدلة على الاستطاعة السابقة، هل لها أحكام؟ اللي هي متقدمة هذه؟ نعم قالوا هي استطاعة متقدمة على الفعل لا متأخرة ولا مقارنة، انتم سيظهر لكم لماذا احنا بنتكلم في النوعين لأن الفرق اللي خلاف أهل السنة أنكروا كل واحد أنكر نوع من هذه الاستطاعة فاحنا الآن بنفرق لها لتبينوا أن في استطاعة سابقة واستطاعة مقارنة للفعل، فالاستطاعة المتقدمة على الفعل لا تكون لا متأخرة ولا مقارنة، طب لماذا هي متقدمة؟ لأنها وسيلة لهذا الفعل هي الأداة، عشان تضبط معكم الاستطاعة السابقة هي الوسائل والآلات والأدوات التي تمكن المرء من الفعل أو الترك سواء فَعَلَ أو تَرَكَ، لكن هي أعطاها الله عز وجل أو يسرها الله للمكلف سواء سيفعل أو لن يفعل، فإذا هي سابقة للفعل لأنها وسيلة وأداة وسبب من أسباب إيجاد الفعل، وطبعا هذه لحكمة، الله عز وجل ربط الأسباب بالمسببات وجعل وجود الشيء متوقف على وجود أسبابه ومقتضياته فوجود الشيء مع عدم بعض أسبابه هذا يقدح في حكمة الله عز وجل، لذلك وجب أن تكون هذه الاستطاعة متقدمة عن الفعل كما يتقدم السبب على الفعل، وكونها غير متأخرة ليس المقصود بها أنه لن يكرر الفعل لا هو ممكن يكرر، لكن هي لا يمكن أن تأتي بعد الفعل يعني هي المراد أن هي لا تأتي متأخرة عن الفعل المعين هي لابد أن تكون سابقة للفعل المعين، لكن ممكن يكرر، يعني يفعل ثم يأتي بأسباب أخرى ويفعل مرة أخرى وغير ذلك.

أنا لسه في أول حكم اللي أنا قلته الآن إن هي متقدمة وليست متأخرة كما سيأتي الآن معنا وهي غير مقارنة لماذا غير مقارنة؟ لأن كونها غير مقارنة المراد منه أن الفعل إذا خرج بأسبابه إلى الوجود يعني إذا أنت فعلت الصلاة صمت حجيت فالاستطاعة السابقة حينئذ ليست موجودة، أنت عندك الاستطاعة السابقة أولا فإذا فعلت الفعل كان في استطاعة أخرى مقارنة فالاستطاعة السابقة تلاشت لأنك فعلت الفعل، لذلك فقلنا هي غير مقارنة هذا النوع من الاستطاعة هو غير مقارن يعني انت ملكت المال والزاد والقوة دي سابقة لما حججت أو صمت أو صليت هذه استطاعة أخرى مقارنة للفعل أصبحت الأولى غير موجودة خلاص تحل محلها استطاعة أخرى اللي هو بيتحقق بها الفعل، يبقى هذه استطاعة سابقة على الفعل وهذه استطاعة مقارنة للفعل، لذلك احنا حصرناها في إنها متقدمة لا متأخرة ولا مقارنة.

طيب من أحكامها يناط بها الأمر والنهي، إذا وجدت وجد أمر ونهي سواء بقى الأمر والنهي وجوبًا استحبابًا محرمًا كراهة لكن هنا إذا عُدِمَت الاستطاعة السابقة دي ليس هناك أمر ولا نهي، {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}، الأمر والنهي بالحج لو وُجِدَت الاستطاعة إن لم توجد الاستطاعة ليس هناك أمر بالحج، لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وقدرتها فإذا عدمت الاستطاعة لم يتوجه الأمر والنهي لم يأتي.

رابعا من أحكامها أنها صالحة للضدين يقولون يعني للفعل وللترك بمعنى أن الله عز وجل يعطي الآلة والوسائل وهناك من يفعل وهناك من يترك، فإذًا هذه الاستطاعة السابقة انتبهوا قابلة للضدين نقول ذلك أو صالحة للضدين، يعني يستطيع بها الفاعل الفعل والترك، قبل الفعل هو مستطيع مختار انتبهوا لأن هندخل في القدر بقى هنا، قبل الفعل هو مستطيع مختار لا يلزم من حصول الاستطاعة السابقة وقوع الفعل بل قد يقع وقد لا يقع ابتدينا ندخل في القدر عشان

تظهر لكم، إذًا الاستطاعة السابقة يستطيع بها الفاعل أن يفعل أو يترك وجودها ليس معناه أنه فعل أو ترك لا يلزم من حصولها وقوع الفعل بل قد يقع وقد لا يقع.

خامسا أن من أحكامها أنها حاصلة للفاعل وللتارك يعني الفاعل يكون مستطيع والتارك مستطيع يعني لا يختص بها أحدهما، بل هي للاثنين، فالله لو قدر سبحانه وتعالى له أن يفعل فكانت الاستطاعة دي اللي هي قبل حاصلة له ولو لم يفعل فأيضا الاستطاعة كانت حاصلة له هو الذي لم يفعل اختيارا.

طيب من أحكامها أنها سبب من أسباب وجود الفعل، الاستطاعة السابقة دي سبب من أسباب وجود الفعل، قلنا سبب لأن ممكن تكون الاستطاعة موجودة ويأتي موانع كما سيأتي، لكن هي الاستطاعة كما قلنا هي سلامة الآلات التي يوجد بها الفعل عندك زاد راحلة قوة بدنية قوة قلبية حتى في العبادات القلبية وغير ذلك فهي من أسباب وجود الفعل يتوقف عليها، ولكن هي ليست متفردة بإيجاده يعني هي من جملة الأسباب بدليل احنا قلنا الحج يحتاج لماذا؟ لأسباب راحلة وزاد فلا حج بدون راحلة وزاد، لكن ممكن تتوفر الراحلة والزاد ولا تحج أيضا، يبقى وجودها مش محقق لوقوع الفعل وجود الاستطاعة ليس محققا لوقوع الفعل قد يوجد وقد لا يوجد تمام؟

طيب انتهينا من الاستطاعة السابقة للفعل سندخل الآن على الاستطاعة التي مع الفعل أو المقارنة للفعل وهنا لابد نضع ضوابط لهذه الاستطاعة لأنه لا يمكن ولا يحصل لأي انسان أن يفعل شيئا أو حتى يحدث شيئا إلا بوجود ثلاثة أشياء يعني هذه ضوابط للاستطاعة المقارنة للفعل إذا تخلف أحد هذه الضوابط الثلاثة لا يحصل هذا الشيء أبدا وهذه من أصولنا في أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب:

- أول شيء أن يكون له القدرة التامة على الفعل القدرة التامة على إيجاد الفعل إذا لم يكن عنده القدرة على الفعل لا يمكن أن يحصل الفعل، يعني الآن اتي بأحد لم يتعلم الكتابة واعطه قلم في يديه وقل له اكتب، ما يستطيع ما عنده القدرة أن يكتب، رجل الله عز وجل أذهب بصره فأعطه كتاب وقل له اقرأ ليس عنده القدرة على أنه يقرأ حروف هذا الكتاب إلا لو عنده القراءة اللي هي باللغة الخاصة بهم باللمس أو غير ذلك، أيضا رجل يتكلم باللغة العربية فلو قلت له اكتب باللغة الإسبانية ما يكتب باللغة الإسبانية صحيح ولا بالصينية ولا بالأثيوبية ولا بالسودانية لو عندكم سودانية ماشي لماذا؟ لأنه لا يعرف الحروف بالصينية ما عنده القدرة فلا يقدر على أن يكتب بهذه اللغة ما عنده القدرة التي يحصل بها الفعل، يبقى أول شيء لابد من القدرة.
- الأمر الثاني لابد من الإرادة الجازمة جازمة يعني غير مترددة إذا وجدت الإرادة الجازمة مع بقية الشروط التي ستأتي القدرة والإرادة ثم سيأتي المشيئة لله وجد الفعل لكن لو وجدت الإرادة فقط ولم توجد القدرة واحد يريد الحج عنده إرادة قوية للحج ما عنده قدرة الذهاب إلى الحج لا مال ولا راحلة ولا قوة جسمانية ولا شيء يبقى لا يمكن أن يحصل الفعل، يريد أن يذهب لمكة وعنده قدرة مالية، لكن ما عنده إرادة إنه يذهب، يريد أن يحفظ كتاب الله لكن ما عنده القدرة على الحفظ مثلا، ولو كانت عنده إرادة جازمة لكن لابد من القدرة، يبقى أصبح قدرة ثم إرادة جازمة أصالة، ممكن يكون عنده إرادة لكن يتمنى لكن ما يستطيع ما عنده القدرة لذلك المؤهلات لذلك أيضا
- ثم الثالثة وهي مشيئة الله عز وجل أن يشاء الله عز وجل حصول هذا الفعل وهذا الضابط نعض عليه لأن ده اللي سيأتي فيه المخالفة بعد ذلك مع المعتزلة وغيرهم.

فإذًا عندك ثلاثة ضوابط حتى تكون الاستطاعة مقارنة للفعل قدرة، إرادة جازمة، مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن والمقصود بها مشيئته الكونية في هذا يعني إذا شاء أن يكون الفعل ممن عنده قدرة وإرادة كونًا فإنه سيعين العبد انتبهوا المشيئة هنا لما نقول مشيئة يبقى كونية عشان بس نصحح المقصود مشيئة كونية فإنه سيعين العبد على حصول هذا الفعل إذا كانت القدرة والإرادة وشاء الله عز وجل أراد ذلك فإنه سيعين العبد على هذا الفعل، إذًا كيف تكون إعانة الله؟ بأمرين التوفيق يوفقه والثاني أن يُعدِم المعارض يعني يوفقه للفعل ويرفع ويعدم المعارضات التي قد تمنعه من هذا الفعل، يريد الذهاب لمكة عنده القدرة المالية عنده الإرادة الجازمة ويريد أن يحج هذا العام نسأل الله أن يجعلنا جميعا حجيج هذا العام، لكن يأتي المعارض الذي يعارض، تعب في البدن حصول خلل في الطائرة لما يجي يطلع يسرق مآلة يمنع من الدخول أسباب كثيرة قد لا تحصى من المعارضات طيب هذه مشٍ في قدرة العبد ولا في إرادة العبد لكن هي في مشيئة الله عز وجل إن كان الله قد شاء ذلك إذًا مشيئة الله في أن يفعل هتكون بتوفيقه وبحجب المعارضات اللي موجودة إذا اجتمعت هذه الثلاثة اللي هي القدرة والإرادة ومشيئة الله عز وجل حصل الفعل إذا تخلفت واحدة لم يحصل الفعل، إذًا الاستطاعة التي يجب بها الفعل هي القدرة التي يجب بها الفعل وتحصل مع وجود الإرادة الجازمة ثم مع وجود إعانة الله عز وجل على ذلك بالتوفيق والتسديد ودفع المعارضات له.

طيب انتبهوا لهذه الضوابط القدرة قدرة العبد على الفعل هل هو الذي أوجدها في نفسه أم الله الذي خلقها فيه؟ الله الذي خلقها فيه ادي واحدة، طب الإرادة الجازمة اختيار منه أو مفروض عليه؟ اختيار منه اختيار منه اضبطوا الثانية لأن هنا سيأتي المخالفين في ذلك، وطبعا المشيئة من الله عز وجل أرادها وشاءها، يبقى القدرة خلقها الله في العبد والإرادة اختيارا من العبد وليس إجبارا من الله عز وجل.

طيب ما الأدلة على الاستطاعة المقارنة للفعل؟

قول الله عز وجل: {.....مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} الاستطاعة المنفية هنا هي الاستطاعة المقارنة لماذا؟ لأن انتفاء السمع والبصر اللي بيكون به التكليف ده عذر لهم لا حجة عليهم والآية مش في العذر الآية في الحجة عليهم، تاني {.....مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} ده مش عذر ليهم يعني الآية مش في العذر لا ده انكار عليهم حجة عليهم كأنهم هم تركوا وأعرضوا عن السمع والبصر أصالة إنهم لم يريدوا ذلك أصالة فدي استطاعة مقارنة ليست استطاعة سابقة لو سابقة كان هيكون التكليف عذر ليهم أصالة لكن الله عز وجل هنا لم يجعله عذرا ده بيجعله حجة عليهم الكلام فكانت هذه استطاعة مقارنة.

منها قوله تعالى {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} هذه استطاعة أيضا مقارنة للفعل.

وأيضا منها قول الخضر في سورة يوسف لما قال لموسى عليه السلام: {قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} المنفي هنا حقيقة الصبر لا أسباب الصبر، لأن أسباب الصبر كانت أوتيت موسى ده من أولي العزم من الرسل ولكن عاتبه الخضر عليه السلام ولو كان عادما لأسباب الصبر وأدواته ما استحق اللوم ولكان معذورا، لكن هو هنا بيتكلم معه عن الاستطاعة المقارنة للفعل.

طيب ما هي أحكامها؟ ضبطنا ما معنى الاستطاعة المقارنة وشروطها وكيف تكون، من أحكامها أنها لا تكون إلا مقارنة للفعل الاستطاعة المقارنة للفعل ما تأتي إلا مع الفعل لا تأتي سابقة ولا لاحقة لا يمكن أن تتقدم ولا تتأخر لماذا؟ لأن هذه الاستطاعة بيخرج بها الفعل إلى الوجود، الاستطاعة المقارنة هذه بيخرج بها الفعل إلى الوجود فلا يمكن أن تكون لا متقدمة ولا متأخرة عن ذلك بوجودها يوجد الفعل وبعدمها يعدم الفعل فارق عن الاستطاعة السابقة هي موجودة الاستطاعة السابقة لكن قد تفعل وقد تترك واسمك مستطيع، لكن هذه مقارنة للفعل بوجودها يوجد الفعل وبعدمها يعدم الفعل أصلا.

طيب أيضا من أحكامها أنها خاصة بالفعل المعين لا تكون لغيره، خاصة دي الاستطاعة بفعل المعين.

أيضا ثالثا لا تصلح للضدين يعني ليس فيها فعل وترك، بل هي للفعل فقط المقارنة مع الفعل فلا بد أن تكون بالفعل مافيش استطاعة مقارنة للترك تمام؟ طيب لذلك هي كانت كونية.

يلزم من وجودها وجود الفعل ولا يمكن أن يتخلف يعني لا يمكن أن تتخلف الاستطاعة عن الفعل لا يتصور وجودها مع عدم الفعل لا يتصور وجود الاستطاعة المقارنة مع عدم الفعل، لا يتصور أنك تقول حجيت وأنت لم تذهب إلى مكة، ومثلا تقول أنا استطعت الصلاة وأنت لم تصلي، هذا ما يقبل أصالة.

من أحكامها تختص بالفاعل دون التارك، التارك لا يسمى مستطيعا الاستطاعة المقارنة والفاعل فقط هو الذي يسمى مستطيع الاستطاعة المقارنة أيضا.

هي أيضا موجبة للفعل الاستطاعة المقارنة موجبة للفعل وسبب تام في وجود الفعل لكن لابد أن نبين أمر ومع ذلك هي لا تستقل بإيجاد الفعل يعني هي موجبه لإيجاد الفعل الاستطاعة المقارنة لكن لا تستقل لابد من مشيئة الرب سبحانه وتعالى حتى لو قلت مستقل هتقول بقول القدرية كما سيأتي المعتزلة و وجود القدرة والإرادة هذا لا ينفي المشيئة عشان ترد على الجبرية، لأن وجود القدرة والإرادة كان بمشيئة الله أيضا وخلق القدرة قلنا في العبد واختيار الإرادة للعبد بفعل ذلك أيضا، فتكون الاستطاعة المقارنة مرجحة للفعل بمشيئة الله عز وجل.

إلى هنا واضح؟ احنا بنتكلم عن الاستطاعة مش الإرادة فقط، لأن الاستطاعة المقارنة قلنا فيها قدرة وإرادة ومشيئة، يعني كلامنا هنا عن الاستطاعة.

هناك استطاعة موجودة عند العبد سابقة والاستطاعة السابقة هي الآلات والوسائل التي أعطاها الله عز وجل للعبد فعل أو لم يفعل دي الاستطاعة السابقة قلنا أعطاه الزاد أعطاه الراحلة أعطاه القدرة البدنية للصلاة وللصوم قلبا خاشعا هذه قلنا الاستطاعة السابقة وقلنا ضوابطها دي السابقة اللي يعطيها الله عز وجل واللي هي سلامة الآلات للفعل قد يفعل وقد لا يفعل ويسمي الفاعل مستطيعا والتارك مستطيعا وهي مختصة بالأمر والنهي والتكليف أنا بس براجع.

الاستطاعة المقارنة قلنا اللي هي تكون مع الفعل وهذه لا تكون إلا مع وجود الفعل ولابد فيها من قدرة للعبد زائد إرادة جازمة زائد مشيئة لله عز وجل الكل لابد يجتمع فيها، ومشيئة الله متمثلة في التوفيق له ودفع المعارضات أو عدم المعارضات التي تعارضه هذه اجمالا ما قلنا.

هذه عند أهل السنة والجماعة الاستطاعة هكذا لابد تثبت استطاعة سابقة واستطاعة مقارنة.

الاستطاعة السابقة غير المقارنة، السابقة هي اللي تكون عندك الآلات تفعل أو لا تفعل دي استطاعة سابقة للفعل، الاستطاعة المقارنة لابد مع الفعل تكون مع الفعل إذا فعلت لكن عشان تفعل هذا الفعل عشان تصلي عندك استطاعة أصلا سابقة للصلاة قدرة ربنا اداك القدرة البدنية وعرفت العلم بالمواقيت وكل شيء والطهارة والماء دي استطاعة سابقة، تصلي استطاعة مقارنة للصلاة، حتى تفعلها لابد لك من قدرة أولا قدرة شرعية إنك تستطيع تقف مثلا تصلي مثلا وعقلك موجود زائد إرادة جازمة، قدرة يعني دي القدرة الحسية والبدنية والقلبية عندك القدرة زائد الإرادة الجازمة، ثم الثالثة التي لابد منها ودي الأصل بقى في المسألة مشيئة الله أنه يوفقك لهذا الفعل لأن ممكن يكون عندك إرادة وعندك قدرة زي ما قلنا الآن عندك القدرة تروح للحج معاك فلوس وتذاكر وكل شيء وعندك الإرادة انك تحج ثم جاء معارضات لك، المشيئة عشان يتم الفعل، لا يمكن أن يتم هذا الفعل بدون مشيئة، هو لماذا بنقول هذا؟ عشان تستشعر بعد ذلك وتفهم، ما هي المسألة لازم يكون لها وقع إيماني بقى، إن ما في فعل فعلته باستطاعة مقارنة إلا لما كانت بالثلاثة ليست بقدرتك فقط وليست بإرادتك فقط ولكن بمشيئة الله أيضا، نعم ربنا خلق لك القدرة لكن الإرادة منك مش انت اللي سُيِرت لهذا الفعل سواء كان طاعة أو معصية، انت اللي اخترت الإرادة هنا الذي تفعله ثم حدث لك مشيئة الله، المشيئة دي أيا كان كونية لأن ممكن مشيئة لفعل معصية ومشيئة لفعل طاعة المسألة مش في الطاعات فقط، لكن انا بتكلم على الفعل الاستطاعة المقارنة للفعل لابد يتحقق فيها الثلاثة ما أحد يحتاج إن أنا فعلته بدون إرادة كما سيأتي يبقى أنا مسير، ولا أحد يقول لا ده أنا فعلته بنفسي كما قالوا خلق الأفعال العباد فأنا القدرة عندي والإرادة، لا أنت ما فعلته لا بقدرة ولا بإرادة إلا لابد ما كان معك مشيئة وهي فيها التوفيق مع دفع المعارضات وهنا يدخل معنا الآن الكلام في الذين خالفوا الجبرية والقدرية والمعتزلة.

الجبرية جاءت وقالت القدرة منفية، أولا الجبرية ما أثبتوا الاستطاعة السابقة اثبتوا الاستطاعة المقارنة فقط الجبرية، لأن على أصولهم أصلا إن العبد ليس له اختيار فمفيش استطاعة اصلا سابقة فجاءوا في الاستطاعة المقارنة قال لك احنا تكلمنا في قدرة وإرادة ومشيئة قال لك القدرة منفية ليس له قدرة والإرادة هو مرغم عليها مرغم إنه يريد والمشيئة خضع لمشيئة الله عز وجل أصالة، فالفعل كله فعل الرب بلا اختيار فصار فعل العبد بعد أن حدث اللي هو الحركات اللي حدثت مثلا كلها من الله سواء بقى حدثت حركات الأشجار ما بيتكلموش على العبد فقط الأشجار الورقة في الماء الريشة في مهب الريح كل هذا الكلام.

جاءت القدرية في المقابل قالت القدرة بيد العبد والإرادة عند العبد، القدرية أثبتت الاستطاعة السابقة فقط ولم تثبت الاستطاعة المقارنة، ده على أصولهم لابد يفعلوا ذلك قالوا ماذا؟ أقربها لكم، قالوا أثبتنا الاستطاعة السابقة لأن دي اللي يظهر فيها عدل الله، هو خلي بالك هم كلامهم كله ينفوا عن الله الظلم، فقالوا طب احنا عندنا اشكال، في استطاعة كنتوا بتقولوا سابقة ودي احنا نقركم فيها لأن السابقة دي للناس كلها الله أعطى الآلات للفاعل والتارك اللي فعل وترك عنده الآلة فهذا من عدل الله إنه ربنا ساوى بين الناس وأعطاهم الآلات فالاستطاعة السابقة نقول بها لأن هي في الآخر من الله للعباد دي سابقة عن الفعل، لكن الاستطاعة المقارنة لم

يقولوا بها لماذا لم يقولوا بها؟ لأن لازمها سيكون ضبط لمشيئة الله للفعل هذا، وهم عندهم إن العبد لما بيفعل بيخلق أفعال نفسه فكان لزاما عليهم إنهم ينفوا الاستطاعة المقارنة للفعل ويجعلوا إن للعبد إرادته وقدرته، القدرة والإرادة من العبد ولا علاقة لفعل الله، يبقى الاستطاعة المقارنة من العبد لذلك نفوا الاستطاعة المقارنة لأن فيها اثبات مشيئة الله مع الإرادة والقدرة وهم لا يقولون بأن الله عز وجل له مشيئة في أفعال العباد فنفوا الاستطاعة المقارنة وأثبتوا الاستطاعة السابقة فقط وقالوا بأن القدرة خلق للعبد هو اللي خلق القدرة، والإرادة توجهت إليه وقالوا هذا يؤدي إلى العدل وعدم الظلم، لماذا؟ قالوا لأن لو قلنا بالاستطاعة المقارنة فهناك من فعل وهناك من لم يفعل صح مش الاستطاعة المقارنة هي مع الفعل فقط فإذا قلنا بأن الله هو الذي شاء الاستطاعة فكأن الله شاء لهذا أن يفعل وشاء لهذا أن لا يفعل فقالوا وكدة فيه نسبة الظلم إلى الله فقلنا بأن الاستطاعة المقارنة لابد تأتي من العباد فنفوا الاستطاعة المقارنة واثبتوا السابقة فقط التي يكون كل الناس سواسية فيها حتى لا ينسبون إلى الله كأنه اختص بهذا أن يفعل واختص بهذا أن لا يفعل، وغاب عنهم كما سيأتي بقى الآن هي دي التفصيلة فيها لأن هم ده أصلهم يعني هم كأنهم نفوا التوفيق ودفع المعارضات والمشيئة من الله في الاستطاعة المقارنة لذلك لغوا الاستطاعة المقارنة ولم يقولوا بها.

هم قالوا إن الله عز وجل أعطى القدرة والاستطاعة للعبد اللي هي السابقة انتبه اهو فقد مكّنه من فعل الأفعال كلها لأنه اعطى له الآلة القدرة والاستطاعة يصح منه أن يفعل الخير والطاعة بالآلة دي ويصح منه أن يفعل الشر أو المعصية فقالوا دي المتقدمة على الفعل دي نقر بها خلاص لكن المقارنة للفعل قالوا هذه من أفعال العباد فلما ما أقروش بها جعلوا بأن الاستطاعة اللي بيخلي العبد لما يفعل باستطاعته هو ليس فيها مشيئة لله ليس فيها توفيق من الله ليس فيها تسديد من الله في الاستطاعة المقارنة، لماذا؟ قالوا لأن هذا العدل أن الله أعطاه لكل الناس لكن لو جينا نقول في الاستطاعة المقارنة دخلنا فيها المشيئة ده قولهم فكأن الله شاء لهذا أن يفعل الطاعة وشاء لهذا أن يفعل المعصية فكأن الله ظلم بين العباد وحاشاه ذلك فهم يقولون لا نقول باستطاعة مقارنة لأن لا ندخل المشيئة فيها لأن العبد هو اللي فعل لماذا؟ عشان هم ظنوا انهم بيحملوا العبد ما فعل خطأً ولا يكون هذا لله على أصل ما تكلمنا قبل كده في الشر لو تذكروا أصالة، أنتم فهمتم؟

سؤال من طالب: طب يا شيخنا بالنسبة للجبرية ازاي نفوا الاستطاعة السابقة؟

إجابة الشيخ: لأن هم أصلا بيروا بأن العبد لا يفعل شيء فكأن الاستطاعة السابقة (الآلة) ليس لها قيمة غير مؤثرة لأن في الآخر الاستطاعة الفعلية المقارنة اللي بيفعلها الرب ليس هو، خلاص هو يقول لك إن الإرادة والقدرة والمشيئة من الله فإذًا المسألة كلها في استطاعة الفعل، الاثبات الأول كأنه ليس له قيمة عنده

أنت عشان تتدبر هذه المسألة لكي تفهم، لابد للفعل أن يجتمع فيه القدرة والإرادة الجازمة والتوفيق وكل من غاب عنه هذا الأمر ضلّ، لأن هذا أصل باب القدر، أصل باب القدر بأنك نعم تنظر في الأسباب وتأخذ بالأسباب لكن تعلم أن تأثير الأسباب كما سيأتي معنا في القاعدة التالية لا يكون إلا بمشيئة الله عز وجل، ولو أردت أن تأخذ مثال لهذه المسألة يعني يقرب لك الثلاثة انظر إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مثال يعني حي كما يقال ومثال كامل انظر هي الهجرة من أعظم الوقائع التي أُخِذ فيها ونُظِر فيها بالأسباب، النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بكل الأسباب الممكنة طريق بعيد عكس طريق المدينة أخذ بعكس الطريق عشان يظن المشركون أنه ذهب لطريق آخر، أخذ يستأجر خريتا هاديا، ثم غاب في الغار ثلاثة أيام عشان

يضللهم، واستخدم عبد الله بن أبي بكر وأسماء وعامر بن فهيرة كلهم تضليل هذا للاستخبارات وهذا لكذا وهذا لكذا وهذا لكذا، أخذ بكل الأسباب صح أم لا؟ كل الأسباب الممكنة وجلس في الغار، هل الأسباب نفعت؟ طب ما الدلالة على أنها لم تنفع؟ وصلوا للغار أم لم يصلوا؟ وصلوا إلى باب الغار على رأس الغار حتى أبو بكر يقول لو أبصر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، انظر بقى هنا من الذي جعل رؤوسهم لا تنظر إلى الأرض؟ ده أكثر من واحد ده مش واحد من الذي شاء ألا ينظروا أسفل فيروا النبي صلى الله عليه وسلم ويرى أبو بكر؟، كل الأشياء اللي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم يتحقق بها قدر السلامة فعلها، لكن هل نفعت؟ لم تنفع المشركون وقفوا على رأس الغار فهنا يظهر لك تمام المسألة بقى في الاستطاعة المقارنة هنا للفعل أن الفعل المراد لا يتم إلا بمشيئة الله، وهذا الذي وقع فيه المعتزلة، يعني ضلال المعتزلة جعلوا أن فعل العبد لنفسه فقط وقلنا لماذا هذا المثال يبين؟ لأنك فعلت كل شيء ومع ذلك لم تحقق الذي تريده، لكن لولا أن الله عز وجل أراد وشاء ألا ينظروا ويروا النبي صلى الله عليه وسلم فما الذي جعل الرقبة لا تنزل؟ النظر لا ينزل؟ أصالة، ما الذي منعهم من النظر إلى أسفل؟ ده كان ممكن ينظر بالغلط ومع ذلك الله عز وجل منع ذلك وهو يبين لنا جميعا والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك، لأن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن يبين لنا أن حتى النبي صلى الله عليه وسلم اللي أخذ بكل الأسباب الممكنة ومع ذلك الله عز وجل أراد أن ينجيه بمشيئته هو فقط، ليكمل لك الضوابط الثلاثة لأن المسألة هذه لابد أن ينظر المؤمن في باب الاستطاعة وباب الأفعال أن ما من فعل يفعله ويستطيع هو أن يفعله إلا ليعلم بأنه لم يكن ليفعله إلا بمشيئة الله إلا بتوفيق الله عز وجل له إلا بدفع المعارضات من الله عز وجل حتى يقوم بهذا الفعل، هذه هي اللفتة الإيمانية التي هي الأهم في ذلك كله، لذلك يقولون الاستطاعة كما قلنا السابقة أمر ونهي الاستطاعة المقارنة فيها الثواب والعقاب، الاستطاعة المقارنة يختص بها الثواب والعقاب والاستطاعة السابقة يختص بها الأمر والنهي، يعني التي مع الفعل هي المنوط بها الثواب والعقاب وأما التي قبل الفعل هي اللي فيها الأمر والنهي أصالة، لذلك من أبدع الأدعية يعني، هو طبعا عادة احنا نقول نقدم الأذكار التي ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن هناك بعض الأدعية لما ترد لبعض العلماء يعني هي علمية كما يقال تجد أن فيها كلام بديع، ابن تيميه كان يقول اللهم ليس مني شيء ولا فيّ شيء ولا إليّ شيء ولكن مع ذلك لست مجبورا، اللهم ليس مني شيء يعني كله من الله عز وجل مش من نفسه أصالة، ولا فيّ شيء ولا إلي شيء ولكن مع ذلك لست مجبورا، هو كده بيدعو حتى يرد على الطوائف التي تقول ذلك.

لذلك كل نصوص الهداية في القرآن ونصوص القدر معناها أيضا أن العبد يأخذ بالأسباب وأن الله عز وجل هو الذي يعينه على ذلك، وهو ده الذي وقع فيه المعتزلة، هم ظنوا أن لما الله عز وجل سيوفق ده للفعل ولا يوفق هذا للفعل أن هذا ليس بعدل، لا الله عز وجل كتب في سابق كتابته أن هذا سيطلب الطاعة فالله سيوفقه لها وهذا سيريد المعصية فالله سييسره إنه يفعلها لأن هنا في إرادة للعبد والله يسره لما أراد لذلك وهذا الذي لم يفقهه المعتزلة فظنوا بأن إذا الله عز وجل جعل هذا يفعل الخير وهذا يفعل الشر كأنه ظلمهم وهذا كأنه نوع جبر أصلا فأرادوا أن يفروا من الجبر فنفوا القدر الصحيح لله عز وجل، هو الصحيح أن الله أعطى بسبب ومنع بسبب، وانظر لقوله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} هو الذي أراد أن يتخذ إلهه هواه أم لا؟ هو الذي اتخذ ليس الله عز وجل الذي جعله يتخذ ذلك، أيضا {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ

عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً...} شوف اتخذ إلهه هواه أولا وأضله الله على علم لماذا؟ لأن الله علم أن هو أراد أن يتخذ إلهه هواه فأضله الله على ما اتخذه، وهذا يحل لهم الإشكال الذي وقعوا فيه، فالذي أُعطِي أُعين والذي حُرِم عومل بسبب فعله، قال {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ....}، وهذا يحل لك الإشكال الذي وقع فيه المعتزلة.

لذلك نظر أهل السنة أن الله ساوى بين الناس في التكليف، في التكليف الله عز وجل ساوى بين الناس في الآلات في الاستطاعة اللي هي السابقة ساوى، اما الاستطاعة التي مع الفعل فلا يحدث الفعل إلا بأشياء الله عز وجل أعان هذا بأسباب ومنع هذا بأسباب وهذا هو العدل في المسألة التي نريد أن نبينها.

طب القاعدة انتهت ننتقل للقاعدة التي تليها وهي من الأهمية بمكان.

طيب القاعدة التي تليها عشان ننجز إن شاء الله اليوم نأخذ القاعدة هذه ويتبقى قاعدتين فقط الأسبوع القادم ننهي إن شاء الله القواعد الخاصة، نسأل الله أن ينفعنا بذلك.

طيب نقول الله عز وجل ربط الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرا وجعل الأسباب محل حكمته هذه القاعدة، الله سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرا وجعل الأسباب محل حكمته، هذا نص القاعدة من كلام ابن القيم من شفاء العليل يعني النص كله، لكن هو قالها: الله سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرا وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي وأمره الكوني القدري، لكن القاعدة هذه اجتثت من الكلام فيها.

طيب الأدلة على هذه القاعدة كثيرة جدا حقيقة من الكتاب ومن السنة ومن الإجماع ومن الشرع ومن الفطرة ومن الحس ومن العقل كمان، نقول ودي مسألة مهمة جدا في مسألة الأسباب لأن ضل فيها أيضا المعتزلة وغيرهم والجبرية أو الأشاعرة في ذلك أيضا نقول، وتجد أن المسألة كلها قائمة على أن الله رتب الأحكام على أسباب وعلل وبين ذلك في كثير من الأدلة على ترتيب هذه الاحكام بناء على الأسباب والعلل سواء بقى قلنا بالنص الخبر أو الحس أو الفطرة أو العقل.

لو قلنا من الكتاب أو السنة العلماء قسموا ذلك تقسيمات، يعني الأدلة قسموها منها أن يرتب الحكم على ما قبله بحرف يفيد التسبب، احنا كلامنا كله في الأسباب ودورها في الأحكام فأول نوع من الأدلة أن يرتب الحكم على ما قبله بحرف يفيد التسبب، منها قوله تعالى: {....وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (بما).

{... فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}

{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}

والنوع الثاني أن يرتب الحكم الشرعي أو الجزائي على وصف مناسب له فيبين لك العلة، قال تعالى {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فجعل الجزاء قطع اليد بسبب السرقة رتب الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف اللي هو السارق والسارقة لأن هو سماهم سارق وسارقة فقطع اليد على ذلك فهنا ترتيب الحكم الشرعي على الوصف المناسب.

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...} سماه زاني وزانية فوصف تمام.

الثالث أن يرتب الجزاء على شرط وهذا كثير جدا جدا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ...}

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} كل هذه الشرط فيها.

أو أن يذكر الشيء جزاء لشيء آخر {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}

{... وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}

{أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} هذا من الكتاب.

من السنة جاء أكثر من حديث يربط السبب أيضا بالحكم منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ هذِه القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً علَى أَهْلِهَا، وإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لهمْ بصَلَاتي عليهم) فجعل هنا أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم نسأل الله عز وجل أن يكرمنا بها فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صلاته سبب لهذا المسبب وهو تنوير القبور.

وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص في قصة مرضه (لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون) فأخبر أن النفع لقوم والضرر لآخرين سيحصل بسبب حسن العمل أو وجود سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد حدث.

وأما الإجماع كما نقل ابن تيمية رحمة الله عليه السلف والأئمة متفقون على اثبات الأسباب والحِكَم خلقا وأمرا وأيضا قال العلماء متفقون على اثبات حكمة الله في خلقه وأمره واثبات الأسباب والقوى.

ثم من العقل قالوا بأن الأسباب شروط للمسببات وجود المشروط بدون الشرط ممتنع لو قلنا لا صلاة بغير طهور الصلاة غير موجودة بغير طهور شرط الصلاة الطهارة صح وجود

المشروط بغير شرط ممتنع، كذلك الأسباب شروط المسببات وجود المسبب بغير السبب ممتنع أن يحدث ذلك ده عقلا نتكلم من باب العقل لابد للمسبب من أسباب اتركوا الآن مسألة ان يتخلف السبب ولا يتخلف لكن أي مسبب لابد له من سبب ده عقلا يقول ذلك أيضا، قالوا أيضا من العقل أن لابد للمخلوق أن يفعل ما ينفعه ويدفع ما يضره ده عقل أي واحد بيفعل اللي بينفعه وبيدفع اللي يضره، وقالوا إن هذا عموما جماع الأسباب هذا من العقل يبين لك أن الأسباب مرتبطة بالمسببات أيضا.

ثم الحس يعني المشاهدة قالوا وجدنا بالمشاهدة إن كثير من ترتب المسببات على أسبابها وأن الناس لا يمكن أن تستغنى عن الأسباب لفعل المسببات يعني هذه من الحس أصالة، لذلك قال ابن تيمية انكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقدح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء، تجحد الشيء كأنك تنكره أقول لك الشمس اهيه تقول لا أنا مش شايف الشمس ده جحد لوجود الشمس انكار والشيء واضح، إنك تجحد الشيء مع وضوحه انكاره.

طيب البحث في المسألة دي مسألة الأسباب وهي من الأهمية بمكان وضل فيها فرق والبحث فيها لأن أصل القيام بالأسباب محض العبودية يعني لماذا احنا بنبحث الناحية الإيمانية في المسألة؟ أهمية البحث في الأسباب؟ القيام بالأسباب هو محض العبودية، عبودية الله عز وجل تكون بفعل الأوامر وترك النواهي وكلاهما في حقيقة الأمر أسباب لأنك انت بتفعل ذلك لتنال رضا الله ففعلها أسبابا لنيل رضا الله والفرار من عقاب الله عز وجل، فالأعمال التي تقوم بها هي أسباب شرعية يقوم بها العبد لنيل رضوان الله عز وجل والبعد عن عقاب الله عز وجل، فإذًا النظر في الأسباب لان هي محل العبودية أيضا لله عز وجل أصالة، وذلك لأن أيضا الأوامر والنواهي اللي بيقوم بها العبد هي أسباب للفلاح، وعدمها أسباب للشقاء، فذلك النظر في الأسباب مهم جدا أصالة، لذلك حتى نتكلم سنبين أربع مسائل في هذه القاعدة نتكلم عن تعريف السبب، ونتكلم عن أقسام الأسباب، يعني خلينا ناخد الأول والثاني وبعدين ندخل في الثالثة والرابعة، في أربع مقدمات فيها.

الأولى تعريف السبب: السبب هو في اللغة الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، اللي هو الحبل اللي كان بيوضع فيه في الآخر الدلو، نعم هذا هو الحبل يسمى سبب، ثم استعير في اللغة لكل ما يتوصل به إلى شيء، كل ما يتوصل به إلى شيء يسمى سببا، أما المسبَب فهو الحاصل عن السبب، الأمر الحاصل عن السبب يسمى مسبب، الولد مسبب عن النكاح لابد النكاح أولا ثم يأتي الولد، الولد مسبب، الشبع مسبب عن الأكل تأكل ده السبب الاكل ثم تشعر بالشبع، أو الري مسبب عن الشرب إنك تشرب ثم تشعر بالارتواء بعد ذلك أصالة فعندك سبب ومسبب.

أقسام الأسباب تكلم فيها العلماء بأكثر من تقسيم في عدة اعتبارات يعني.

1) أن تقسم السبب باعتبار العادة:
   - أسباب مألوفة ودي التي يعرفها الناس كأنك تضع البذر للزرع معلوم للناس أن البذر يخرج به زرعا، أو الجماع للولد لابد يحدث جماع حتى يكون هناك ولدا، فدي أسباب مألوفة.
   - وأسباب غير مألوفة وهي التي لا يعاهدها أكثر الناس يعني كما مثلا خلق عيسى من أم ولا أب مثلا هذه أسباب غير مألوفة. طيب هذا باعتبار المألوف.
2) باعتبار الشرعية أسباب شرعية وأسباب غير شرعية:

- أسباب شرعية: الأسباب التي سبّبها الشرع أو جعلها الشرع سببا، مثل الحج المبرور سبب لغفران الذنوب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ) ، أو قد يكون السبب دنيوي، يعني أسباب شرعية لكن سبّبها الشرع بمسببات شرعية أو مسببات دنيوية، يعني مسببات شرعية قلنا الحج عبادة، لكن ممكن يكون مسبب دنيوي قال صلى الله عليه وسلم مثلا في الكمأة (الْكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)، زي (مَن تَصَبَّحَ بسَبْعِ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سُمٌّ، ولا سِحْرٌ) فهذا سبب شرعي لكن على أمر دنيوي، أو العسل فيه شفاء وغير ذلك حبة البركة إلى غير ذلك. أو من الأشياء ما ثبت سببيته بغير الشرع لكن أكده الشرع بعد ذلك كالحجامة مثلا، الحجامة معلومة من قبل نزول الشريعة، الإسلام يعني موجودة في الجاهلية وهي مفيدة لصحة الجسم فالمسبب هذا كان ثابت قبل الشرع فلما جاء الشرع أكدها، كما جاء في أحاديث الحجامة واحتجام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك، فكان سببا أكده الشرع ومسببه كان من قبل الشرع. طب دي أسباب شرعية.
- أو أسباب كونية: الأسباب الكونية التي تثبت بالحس والتجربة وغير ذلك، يعني مثلا يقول لك المستفرغ اللي يتقيأ أو الاستفراغ سبب لصحة البدن، يعني لو هو أراد أن يخرج ما في معدته ممكن يصح بدنه بعد ذلك أصالة، استفراغ المؤذي يعني لو شيء مؤذي عندك واستفرغته عفانا الله هذا يؤدي إلى صحة البدن إن خرج من بدنك خلاص المؤذي، أو مثلا يقول لك سبب بالحس إن الماء سبب لنمو النبات يضع البذرة وتضع ماء تسقي تسقي تسقي والله عز وجل يجعل هذا السبب حسي أن ينمو النبات هذه أسبابه الكونية.

3) طيب في تقسيم باعتبار أسباب الدنيا والآخرة أسباب دنيوية وأسباب أخروية:
- أسباب دنيوية التي يتوصل بها إلى مسببات دنيوية الماء سبب للري والأكل سبب للشبع.
- طب وأسباب أخروية وهي أسباب يتوصل بها إلى مسببات أخروية مثلا صلة الرحم سبب مثلا لزيادة الأجل أو لزيادة الرزق، أو بناء مسجد سببا لبناء بيت لك في الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن بنى للهِ مسجِدًا ولو كمَفْحَصِ قَطاةٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ) فهنا سبب أهو أخروي سبب يوصل به إلى مسبب أخروي أصالة، وكل بقى الأعمال التي سبب لدخول الجنة تدخل في ذلك.

4) طيب الأسباب باعتبار الحكم الشرعي:
- قالوا أسباب واجبة التي أمر الشارع بوجوبها سواء في الصلاة والزكاة والصوم والصدقة إلى غير ذلك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، أو أسباب اللي بتحفظ الضروريات اللي قلناها في المقاصد، الضروريات الخمسة، هذه الأسباب كلها ضرورية لازمة.
- أو أسباب مستحبة أمر بها الشارع العباد على وجه الاستحباب أو على وجه الندب، النوافل، العمرة إلى العمرة مثلا، الحج إلى الحج وغير ذلك من الصوم يوم لله، الوضوء عند كل صلاة مثلا، إلى غير ذلك.
- أسباب مباحة: الأسباب التي أباحها الشارع للعباد ولم يوجبها ولم يستحبها يعني جعلها مباحا وهذه الاباحة طبعا ممكن تنظر بها إلى ذات السبب بقى، يعني لو

كان الطعام والشراب عموما واللباس وما شابه إذا أردته بنية معينة ممكن يرتقي من المباح إلى المستحب لغير ذلك.

- أسباب مكروهة: الأسباب التي نهى عنها الشارع ليس على سبيل اللزوم كالشرب قائما البول قائما مثلا وغير ذلك.
- أسباب محرمة: الأسباب التي نهى عنها الشارع نهيا جازما أن تُفعل وهذه إما أن يكون فيها ضرر على المرء في الدين أو في الدنيا أو غير ذلك وهي كثيرة، من أعظمها طبعا تحريم الشرك أهم شيء من الأسباب التي تؤدي إلى الخلود في النار أصالة، تحريم البدعة سواء بدعة عقائدية أو بدعة عملية، تحريم المعصية سواء كانت كبائر أو صغائر، ثلاثة أنواع من الشرك إلى البدع إلى المعاصي من كبائر وصغائر.

طب كل هذه كانت تقسيمات عند العلماء للأسباب.

نأخذ المقدمة الثالثة وهي الأهم بقى، احنا عرفنا ثم قسمنا.

أحكام الأسباب: للأسباب أحكام لا تنفك عنها، أول شيء وده مهم جدا إن ثبوتها متوقف على الدليل الشرعي حتى يكون هذا الشيء سببا يتوقف على الدليل الشرعي فما كان مسببه شرعي فدليل شرعي وما كان كوني أيضا فهو دليل كوني على حسب التقسيم، فجعل الشيء سببا بدون دليل أمر محرم عندنا أو عند أهل الاسلام أصالة، لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سببا إلا بعلم، كما قال ابن تيمية فمن أثبت شيئا سببا بلا علم أو يخالف الشرع كان باطلا، ودي قاعدة مهمة جدا أو ضابط مهم جدا إن أول شيء في السبب أنه لابد أن يتوقف على الدليل حتى يكون سببا.

الثاني وانتبهوا لهذه لأن الثانية دي تخص طائفة الصوفية تحديدا أنه يمتنع التجرد منها يعني من الأسباب دي عقلا وشرعا وحسا، يعني يمتنع أنك تتجرد كأنه الأسباب دي ليس لها وجود أو غير مؤثرة أو شيء غير موجود لا عقلا ولا شرعا ولا حسا، لا يمكن قيام شيء من أمر الدنيا والآخرة إلا بالأسباب الله عز وجل خالق لكل شيء خلق هذه المسببات مقرونة ومربوطة بأسبابها يمتنع وجودها بدونها عادة ولا يتصور الفصل بينها وبين مسبباتها كما لا يتصور الفصل بين المشروط والشرط، طيب يمتنع التجرد يعني يمتنع عليك أنك تتجرد أو تعتقد لا عقلا ولا حسا ولا شرعا بعدم وجود الأسباب لأنه لا يمكن قيام شيء من أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا بالأسباب، فالله عز وجل خالق لكل شيء خلق المسببات وخلق أسبابها وربط بين الأسباب والمسببات فيمتنع وجودها بدونها عادة بل لا يتصور الفصل بينهما، احنا بنأصل الآن أن التجرد من الأسباب لا يجوز، اترك مسألة أن أحيانا قد يتخلف السبب عن التأثير، التأثير شيء والسبب والمسبب شيء، احنا نتكلم الآن إن المسببات لابد لها من أسباب، وهذا كلام أصلا ابن تيمية بيقوله في هذه المسألة فيمتنع التجرد منها عقلا يعني يمتنع أنك تتجرد من وجود الأسباب سواء بالعقل أو بالشرع أو بالحس هذا ممتنع عقلا، احنا مش قلنا في الأول اثبتنا الأسباب بالشرع وبالعقل وبالحس وكذا، لذلك هو يقول يمتنع التجرد منها يعني التجرد انك تظن لا عقلا ولا حسا ولا شرعا إن في مسببات بدون أسباب ولأن الله خلق المسببات فلابد خلق لها أسباب، ده تأصيل للمسألة، يمتنع وجود الشيء كما لا يتصور الفصل بين الشرط والمشروط كذلك لا يتصور الفصل بين المسبب والسبب.

طيب الثالثة الأسباب لها تأثير في وجود مسبباتها - انتبهوا هذه الجملة من أهم ما يكون - وليست علامة محضة عليها، نص الجملة الأولى لها رد على طائفة والجملة الثانية لها رد على

طائفة، لذلك تقول نثبت أن لها تأثير في وجود المسببات نعم وليست علامة محضة عليها يعني هي مش علامة على المسبب لا ده لها تأثير، النار تحرق، الماء يروي، الطعام يشبع، في تأثير، أهل السنة يقولون ذلك.

رابعا ولا بد نقولها عشان ما نسيبش ثالثا، أن الأسباب لا تستقل بإيجاد الفعل، بل لابد من وجود المعاون ودفع المانع، يبقى أول شيء ثبوتها متوقف على الدليل الشرعي، يمتنع التجرد من وجودها عقلا وشرعا وحسا، ثالثا لها تأثير في وجود المسبب وليست علامة فقط، رابعا أنها لا تستقل بإيجاد الفعل بل لابد من الوجود المعاون، لذلك لابد أن نتكلم عن أهم شيء بقى في القاعدة كل ده احنا بنقدم لنبين معنى ربط الأسباب بالمسببات، لأن ده اللي عايزين نصل إليه، معنى ربط الأسباب بالمسببات عند أهل السنة والجماعة، فدي المسألة الأولى أن الله عز وجل جعل كل شيء من أمر الدنيا والآخرة ومن أمور الشرع والقدر قائم على الأسباب متعلقا بها يتوقف وجوده على وجودها، وجود المتسبب هذا يتوقف على وجود الأسباب أصالة، فالوصول إلى أي مسبب شرعي أو كوني موقوف على تحصيل سببه سواء كان السبب ده شرعي أو كوني.

طيب كيف ارتباط الأسباب بمسبباتها عندنا؟ من وجهين، يعني احنا بنقول في ارتباط بين السبب والمسبب كيف يرتبط؟ من وجهين، ارتباط حسي مشاهد وهذا في الأسباب الدنيوية سواء كانت دي أسباب كونية أو شرعية، يعني ارتباط الري بالشرب لما بتكون عطشان وشربت ارتويت حس مشاهد اهو صحيح، ارتباط الولد بالنكاح لا يمكن لابد يحدث الأول نكاح وجماع ثم يأتي الولد ارتباط حسي مشاهد أصالة أيضا، ارتباط النصر والتمكين بإقامة الدين {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ....}

أو {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا....} ، فقالوا أول شيء ارتباط حسي مشاهد تمام، الثاني ارتباط غيبي وده خاص بالأسباب الأخروية كارتباط صحبة **النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة بكفالة اليتيم، الحديث الذي جاء (أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين ، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني : السَّبَّابةَ والوسطى)**، ارتباط دخول الدرك الأسفل في النار لأهل النفاق {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ....}، المقصود بالغيب هنا الغيب المطلق وإلا فكثير من الأسباب الدنيوية فيها غيب نسبي، يعني واحد في بلد وواحد تاني في بلد تاني ده غيب نسبي، لكن اتكلم هنا عن الغيب المطلق.

طيب لابد أن نضبط، افتقار بقى المسبب إلى السبب لا يعني انتفاء قدرة الله عز وجل على خلقه بدون سببه، - انتبهوا - قلنا ارتباط المسبب بالسبب هذا الأصل لكن هذا لا يعني انتفاء قدرة الله سبحانه وتعالى على خلقه بدون سببه، بل سبحانه قادر على ذلك مثل كما خلق آدم بلا أبوين بكن، وكما خلق عيسى عليه السلام بدون أب فالله عز وجل خالق السبب والمسبب وهو خالق كل شيء وما من شيء إلا وهو مخلوق مربوب لله عز وجل.

الثانية وهي الأسباب هي محل الحكمة، يعني يريد أن يقول هنا أن الله عز وجل خلق المخلوقات كلها على أتم ما يكون من التناسق، قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...} فخلق الأشياء فسوى خلقها وعدلها وسواها هذا في الخلق، وكذلك في الشرع قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} فأي قول لله لا يمكن أن يختلف ولكن قول غير الله تجد فيه اختلاف أصالة، وهذا التناسق والائتلاف يرجع لصدوره من الله عز وجل لذلك هو يتكلم هنا على أن الأسباب هذه اللي تكلمنا عنها هي محل حكمة الله عز وجل.

طيب هناك تأصيل في المسألة هذه كأنها قاعدة فرعيه بعد كل اللي قلناه ده كله عشان نصل بقى إلى أن للسبب تأثير في مسببه وليس علامة محضة ولا علة تامة، يعني هذه القاعدة بعضهم يجعلوها قاعدة فرعية لكن هي لابد تأتي مع القاعدة الأولى يعني أيا كان، مبحث، قاعدة فرعية، وهذا المقصود بقى إن للسبب تأثير في مسببه وليس علامة محضة ولا علة تامة، ألخص لكم كما هي متلخصة ثم نفصل، سنثبت أن للسبب تأثير يعني نقول النار لها قدرة الاحراق والماء له قدرة الارواء ومثلا السم له قدرة القتل أو غير ذلك له تأثير ليس علامة يعني ليس كما قال الأشاعرة كما سيأتي أنهم أرادوا أن يرفعوا التأثير من السبب قالوا لا ده حصل الري مع الشرب حصل الشبع مع الأكل فقط الماء علامة على الري لكن مالوش تأثير حدث الاحتراق ربنا خلق الاحتراق عند اقترابك من النار يبقى النار علامة على الاحتراق حتى لا يجعلوا للشيء تأثيرا فقالوا لو قلنا للمخلوق تأثيرا جعلناه كالخالق اشركنا، هقولها مرة ثانية قلنا للسبب تأثير في مسببه وليس علامة محضة ولا علة تامة.

سنتكلم عن تأثير السبب ثم نتكلم عن أنه غير مستقل بالتأثير اخر حاجتين إن شاء الله.

الجزئية الأولى قد بيناها في كثير من الأدلة السابقة وأن السبب له تأثير بالكتاب والسنة والاجماع والقياس، لما الله عز وجل أثبت أن للمسببات أسباب فلابد لما أثبت لها أسباب أن لها تأثير، لذلك ذكرها في الأدلة التي قلناها في أول القاعدة أصالة سواء من الكتاب أو من الشرع أو غير ذلك، رتب القصاص على القتل رتب قطع اليد على السرقة مثلا رتب الضمان على الاتلاف استحقاق الغنائم على القتال، كل هذه أحكام رتبها الله عز وجل إن لم تكن هذه الأسباب مؤثرة في المسببات لما جعل الله عز وجل عليها ترتيبا صحيح، وإلا لم يكن لهذا الترتيب معنى وكان الله عز وجل يفعل ما يشاء ولا يذكر لنا ذلك، لذلك نفي تأثير الأسباب نفي للحكمة، لو أنت نفيت تأثير السبب يبقى أنت بتنفي حكمة الله، لماذا الغنائم طب للمجاهدين؟ لماذا الاتلاف على الضامن؟ وغير ذلك أصالة، جعل الشرع الأمور منوطة بالأسباب فكان اعراضك عن الأسباب دفعا للحكمة، ابن الجوزي قال: فإذا جعل الشرع الأمور منوطة بالأسباب كان اعراضه عن الأسباب دفعا للحكمة، يبقى أنت لما تعرض عن الأسباب كأنك بتدفع حكمة الله عز وجل الذي أراد ذلك.

طيب وأنا حتى لا أعيد مرة أخرى مسألة العقل والحس وغير ذلك احنا كل ده اثبتناه أصالة، أوضح ما يقال في ذلك قصة إبراهيم نفسه عليه السلام في القائه في النار لما قال: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ (69)} لم تخرج النار عن كونها نارا صحيح، لكن سلبت خاصية الاحراق، الله عز وجل قال يا نار ما قالهاش يا شيء ثاني يا نار كوني بردا وسلاما فالله عز وجل لم يخرج النار عن كونها نار لكن سلبت الخاصية والقوة فلم تؤثر بالاحراق وانقلبت إلى الضد أصالة من البرد، فهذا استدلال من الحس على التأثير، لو أنت غير إبراهيم وضعت ايدك في النار ستجد احراق أم لا؟ في تأثير أهو ودلالة القصة أن الله أبدل هذا التأثير بتأثير غيره، لذلك سنبين أن التأثير ليس مستقلا مش علة فعالة، لكن هو له تأثير؟ نعم له تأثير كما بينا.

الجزئية الثانية، احنا قلنا هنبين التأثير وأن التأثير غير مستقل، سنستدل هنا في الجزئية الثانية أنه غير مستقل بالتأثير بأكثر من آية جاءت في مسألة عموم مشيئة الله على مشيئة العبد، أو كل شيء مخلوق لا يغادر مشيئة الله عز وجل لما قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)} هو الله عز وجل أخبر أن مشيئة العبد سبب من أسباب الفعل صحيح؟ متوقف حصولها على مشيئة الله إذًا لا يمكن أن تحصل بدون مشيئة الله عز وجل، فإذا كان السبب متوقف على وجوب مشيئة الله فكان تأثيره على المشيئة من باب أولى، تاني نقولها من واحدة ثانية، قال تعالى: {فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)} فذكرهم لا يمكن وجوده إلا مع الاتيان بالأسباب إلا أن يشاء الله ذلك أيضا، لو كان سببا تاما لما توقفت المشيئة عليه ما هو قال فمن شاء ذكره ثم قال وما يذكرون إلا أن يشاء الله يعني لو كان الذكر لهم مستقل ما قال تعالى وما يذكرون إلا أن يشاء الله فجعل أيضا الاتيان بهذه الأسباب بمشيئة الله عز وجل لو كان السبب تاما ما توقف على مشيئة الله عز وجل وهذا يبين لك أن السبب لا يؤثر تأثيرا مستقلا لابد له من مشيئة الله عز وجل، ومنها أيضا حديث **النبي صلى عليه وسلم في الشفاعة قال: (لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي ، فهي نائلةٌ من مات منهم لا يشركُ باللهِ شيئًا)** فهي نائلة - شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم - إن شاء الله على من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا، يعني النبي صلى الله عليه وسلم قيد نيل الموحدين شفاعته صلى الله عليه وسلم في الآخرة التي هي سبب لمغفرة الذنوب بمشيئة الله أيضا مع إن هي شفاعة النبي التي وُعِد بها لكن النبي يبين أن شفاعة النبي ليس سببا تاما، هي سبب غير تام ولا يتم إلا بالمشيئة فكذلك كل سبب لا يكون مستقلا فعله إلا بمشيئة الله عز وجل واضح؟

طب نقول سؤال: إذا كنا نقول أثبتنا الأسباب وأن لها تأثير وأنه ليس بعلة مستقلة وقلنا إن كل شيء بقدر من الله عز وجل تراكما بقى للي قلناه من قبل، إن كان المقدور قد سبق فما فائدة الاتيان بالسبب؟ يعني إذا كان المقدور قد سبق فما فائدة الاتيان بالأسباب وهذه ممن وقع فيه من ضل في هذه المسألة أنه نظر نظر مجرد هنا قال المقدور قد سبق طب ما فائدة الاتيان بالأسباب؟ تقول المقدور قد سبق بالأسباب، هتقول لي إن المقدور قُدِّر بأسبابه، أنا عايز تقول لي أن هذا المقدور قُدِّر بأسبابه لم يُقَدَّر مجرد وهذا الاشكال اللي هم بيتكلموا فيه، يعني أنت لن تشبع إلا إذا أكلت لن ترتوي إلا إذا شربت أصالة، لن يقدر لك ولد إلا إذا وطأت لن تدخل الجنة إلا إذا عملت أصالة، فهو الله قدر دخول الجنة بالأعمال وقدر الشبع بالأكل والري بالشرب

وقدر الولد بالوطء كل هذا، وهذا يبين أن هذا من المقدور يعني ليس هناك انفكاك بين المسبب والأسباب.

طيب ثبوت تأثير الأسباب وده بقى رد على الأشاعرة تحديدا الذين قالوا بأن ثبوت تأثير الأسباب قادح في التوحيد فنقول إن ثبوت تأثير الأسباب لا ينافي التوحيد، بل يقرر التوحيد ويؤيده أصالة، لماذا؟ لأن احنا بنقول الأسباب دي وجدت بمن؟ وجدت بإيجاد الله لها ولولا مشيئته لما وجدت أصالة وأن الله عز وجل هو الذي نصّب هذه الطرق التي توصل إلى هذه المسببات عن طريق هذه الأسباب، والله هو الذي أودع القوة التي تؤثر فيها هذه الأسباب في مسبباتها أيضا هي من الله يعني احنا رجعناها ونسبناها إلى الله عز وجل، قلنا أيضا أن تأثير هذه الأسباب ليس تأثيرا تاما بل هو تأثير ناقص جزئي يحتاج فيه إلى أسباب أخرى معينة يعني لم يجعل السبب تأثيرا تاما لا ده تأثيره ناقص لابد فيه من أسباب أخرى ودفع موانع أخرى أيضا، وطبعا مثال قصة إبراهيم عليه السلام واضحة في ذلك، في تخلف النار وغير ذلك، فإذًا ثبوت تأثير الأسباب ليس قادحا في التوحيد كما ظن هؤلاء، بل هو مقر للتوحيد ومثبت له، طيب فقلنا الأسباب هي دلائل التوحيد أصلا.

آخر شيء ثبوت الأسباب لا يعني الاعتماد عليها ودي أيضا يرد على المعتزلة الذين قالوا إن الأسباب علة فاعلة مستقلة، قلنا الأسباب لها تأثير في المسببات ولابد أن نأخذ بها وأن الاستغناء عنها ممتنع لكن لابد أن نعلم أنه لا يجوز الركون إليها ولا الاعتماد عليها في تحصيل المسبب أنت بتأخذ بالأسباب لأنك أمرت بالأخذ بالأسباب لكن لا يُعتمَد عليها ولا يُركَن إليها لأنها هي جزء من أسباب الفعل، الأسباب نفسها هي جزء من حصول المسبب الذي هو بمشيئة الله عز وجل، لذلك أربع مراتب تكلم عنها العلماء في ذلك:

1) الاعتماد على الأسباب والالتفات إليها بالقلب وهذا شرك
2) الثانية محوها من أن تكون أسبابا وانكارها وهذا نقص في العقل
3) ثالثة الاعراض عنها واهمالها وهذا مخالفة للشرع وقدح فيه
4) الرابعة الاتيان بها وتنزيلها منازلها ومدافعة بعضها ببعض وتسليط بعضها على بعض مع تعلق القلب بخالقها سبحانه وتعالى هذا هو التوحيد ومقتضى التوحيد والشرع والعقل.

إذًا أربعة ودي دائما يتكلم عنها العلماء لخصناهم للوقت بس حتى يعني ننجز، الاعتماد على الأسباب والالتفات إليها بالقلب شرك في التوحيد، محوها من أسبابها وانكارها هذا قدح في العقل أو نقص في العقل، الثالثة الاعراض عن الأسباب واهمالها مخالفة للشرع وقدح فيه، الرابعة وهي الاهم الاتيان بها وتنزيلها منازلها ومدافعة بعضها ببعض وتسليط بعضها على بعض وتعلق القلب بأن الله خالقها هذا هو تحقيق التوحيد والشرع والعقل، لذلك كثير من أهل العلم يقول لك الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب نقص في العقل والاعراض عن الأسباب بالكلية نقص في الشرع والتوكل والرجاء معنى يتألف منه التوحيد والشرع والعقل.

أقول لكم المخالفون هي ممكن ناخدها في دقيقتين بالضبط، احنا الخلاف يعني لا نتعرض له كثير لكن تعلمون الفلاسفة خالفوا مسألة العقل في هذه القاعدة قالوا السبب مقتضي ضرورة لمسببه، السبب مقتضي بالضرورة كأنه جبرا يعني بلا اختيار ولا إرادة، مذهب الفلاسفة أن السبب مقتضي ضرورةً لمسببه يصدر عنه بلا اختيار ولا إرادة، في نظرية عندهم اسمها

الفيض واحنا مش عايزين ندخل فيها قوي هي أفلاطونية أصالة يعني هم يقولون أن العالم يفيض عن الله كما بيفيض النور عن الشمس أو الحرارة عن النار وهي نظرية الفيض عند الفلاسفة مقابلة لنظرية العقيدة عند أهل الأديان، عند أهل الأديان الله خلق العالم وعند الفلاسفة العالم فاض عن العقل الفعال كمان يقولون بلا إرادة ولا مشيئة، ودي خدوها كده كما هي ومافيش داعي ان احنا ناخدها أكثر من ذلك، يعني هم يرون الفلاسفة أن المدبر هو العقل الفعال ليس الرب، الرب فاض، حتى بعضهم يقول العقل الفعال ده جبريل، يعني بعضهم قال ذلك أن العقل الفعال هو جبريل ودخلوا بقى في الكفريات التي يعني لا نحتاج إليها حقيقة لكن بنبين فقط، المعتزلة أيضا خالفوا مذهبهم في الأسباب هم في الجملة يوافقون أهل السنة في تأثير السبب، يعني في الجملة نقول ذلك لكن هو الاشكال عندهم جعلوا قدرة العبد ومشيئته علة تامة لفعله وأنه لا مدخل لمشيئة الرب في الخلق ودي الجزئية اللي هم خالفوا فيها، لم يجعلوا قدرة العبد ومشيئته أسبابا من جملة الأسباب المؤثرة بمشيئة الرب، يعني هم يقولون السبب مؤثر اه لكن جم عند أفعال العباد أخرجوها من هذه المسألة وده ضلال طبعا في المسألة، أخرجوها من مشيئة الله وأن الأسباب أصبحت مؤثرة من العبد نفسه، الأشاعرة انكروا تأثير الأسباب أنكروا أن يكون للأشياء في نفسها قوة أو طبيعة لذلك أنت لما تقول أنك لو رميت الحجر على الزجاج فكسره فيقول لك لا وافق الكسر ارتطام الحجر بالزجاج اللي هي بيسموها علامة بقى اللي احنا كنا بنقول عليها في القاعدة علامة، يقول لك السبب علامة ليس له تأثير هو علامة فقط، يعني يقول لك في علاقة بين السبب والمسبب علاقة اقتران يعني ربنا خلق الاحراق مع اقتراب النار من الجسد مثلا، لكن النار لا تحرق لماذا؟ لو قلنا النار تحرق يبقى لها تأثير يبقى هي خالق يبقى جعلنا المخلوق خالق فكفر بذلك أصالة، فهم يقولون أن العلاقة بين السبب والمسبب علاقة اقتران عادية، علامة زي ما قلنا في القاعدة علامة فقط، وطبعا انا يعني الكلام هنقله البيجوري قال: ومنها يُعلم بطلان دعوة أن شيئا يؤثر بطبعه أو بقوة فيه فمن اعتقد أن الأسباب العادية كالنار - طبعا حتى في السكين يقول لك السكين لا تقطع القطع جاء مع السكين - الأسباب كالنار والسكين والأكل والشرب تؤثر في مسبباتها -انتبهوا- كالحرق والقطع والشبع والري بطبعها وذاتها فهو كافر بالإجماع -طبعا إجماعهم- أو بقوة خلقها الله فيها فهو في كفره قولان والأصح أنه ليس بكافر بل فاسق مبتدع ومن اعتقد أن المؤثر هو الله -دي كمان الثالثة- لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازما عقليا بحيث لا يصح تخلفها فهو جاهل وربما جره ذلك إلى الكفر ومن اعتقد أن المؤثر هو الله وجعل بين الأسباب والمسببات تلازما عاديا بحيث يصح تخلفها فهو المؤمن الناجي إن شاء الله تعالى، طبعا هو ترتب على انكار الأشاعرة هذا الكلام وتأثير الأسباب أنهم نفوا تأثير قدرة العبد ومشيئته بالفعل جعلوا أن العبد مالوش تأثير ولا مشيئة في الفعل ونفهم بعد ذلك أيضا للحكمة لأن زعموا أن الله يفعل لمحض الإرادة والمشيئة ليس لحكمة وهذا طبعا لا شك أنه ضلال في هذه المسألة أصالة، ويعني هذا يكفي إن احنا نذكر بس فقط لأن ليس المقصود في القواعد هذه إن احنا نتعرض للخلاف ونرد عليه بتفصيل لكن نشير إليه حتى يضبط بس الدارس الأصل عندنا عند أهل السنة والجماعة كيف نضبط هذه المسألة، وعلمنا أن هناك مخالفين يتأتى لنا في الشروحات إن شاء الله بعد ذلك التفصيل نسأل الله.

نقف عند ذلك تبقى إن شاء الله قاعدة لا حجة للعبد في القدر على معاصيه، هذه القاعدة وأيضا قاعدة فرعية أو قاعدة ثانية أيضا الرضا بالقضاء منه ما يجب ومنه ما لا يجب، هذه ختام إن شاء الله يكون الاسبوع القادم في ختام قواعد القدر وختام المرحلة هذه أيضا، نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بهذا العلم وأن نستفيد منه ونعمل به جزاكم الله خيرا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

****

ملحوظة : المحاضرة اجتهاد الطالبات الفضليات ولم يتم مراجعتها من فضيلة الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم ختام مرحلة القواعد التأسيسية والتأصيلية التي قد بدأناها بفضل الله من عدة أسابيع

واليوم نختم بفضل الله تعالى آخر القواعد في باب القدر وأيضا ختام لهذه المرحلة من القواعد التي شملت عدة أبواب في التوحيد؛ بداية من أركانه وشروطه والأسماء والصفات توحيد العبادة وتوحيد والإيمان والقدر إلى غير ذلك من الأبواب.

حاولنا أن نسلط الضوء على أهم القواعد التي تعين طالب العلم على ضبط الأسس التي يقف عليها أو يقم عليها عقيدة أهل السنة والجماعة في شتى أبواب العقيدة.

فيتبقى لنا اليوم قاعدتان في القدر وإن شاء الله نكون ختمنا المرحلة الأولى وبعد إن شاء الله رمضان بإذن الله تعالى نعود مرة أخرى لشرح الكتب، كتب العقيدة وكما تعودنا بنشرح كتب المتقدمين وإن شاء الله يكون كتاب السنة لابن أبي عاصم وهو من الكتب التي لها من الأهمية والمكانة في كتب السلف أو في كتب دراسة العقيدة، أسأل الله عز وجل أن ييسر لنا ذلك وينفعنا بهذا العلم وأن نعمل به ويميتنا علي عقيدة أهل السنة والجماعة اللهم آمين.

قاعدة اليوم لا حجة للعبد في القدر على معاصيه، لا حجة للعبد في القدر على معاصيه، وهذه القاعدة أيضا مستقاة من أقوال أهل العلم وسنبينها بالثبوت من الكتاب والسنة العقل والفطرة وما إلى غير ذلك.

ومنها قول الإمام الأجري رحمه الله قال "وليس لأحد على الله حجة بل لله الحجة على خلقه" ومنها قول ابن بطة رحمه الله "فمن هداه بطول منه اهتدى ومن خذله ضل بلا حجة له ولا عذر" ومنها قول ابن القيم رحمه الله "والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب" أيضا وقبلها الربيع ابن أنس رحمه الله قال "لا حجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده" وهذا يظهر لك أن هذه عدة أقوال من السلف على مسمى هذه القاعدة التي يستدل لها من الكتاب ومن السنة ومن العقل ومن الفطرة والإجماع أيضا بعد السنة.

الأدلة من الكتاب منها قوله تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}

ومنها أيضا قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}

ومنها قوله تعالى {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}

وقوله تعالى أيضا {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

كل هذه طبعا آيات سيأتي الكلام فيها أن هؤلاء أرادوا أن يحتجوا بالقدر على معاصيهم، فالله عز وجل رد ذلك عليهم، وأنكر ذلك في الآيات الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

أما في السنة من حديث أبي هريرة الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم (احتجَّ آدمُ وموسَى عليهما السَّلامُ فقالَ لَه موسَى يا آدمُ أنتَ أبونا خيَّبتَنا وأخرجتَنا منَ الجنَّةِ بذنبِك فقالَ لَه آدمُ يا موسَى اصطفاكَ اللَّهُ بكلامِه وخطَّ لَكَ التَّوراةَ بيدِه أتلومني علَى أمرٍ قدَّرَه اللَّهُ عليَّ قبلَ أن يخلقني بأربعينَ سنةً فحجَّ آدمُ موسَى فحجَّ آدمُ موسَى فحجَّ آدمُ موسَى ثلاثًا).

ومنها حديث أبو هريرة رضي الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (احرص على ما ينفعُك، واستعنْ بالله، ولا تعجز، وإن أصابَك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان).

أما الإجماع فقد حكى ابن البر رحمه الله وقد أجمع العلماء على أنه غير جائز لأحد أن يجعله أي القدر يعني حجة إذا أتى ما نهاه الله عنه وحرمه عليه، تاني ابن البر يقول وقد أجمع العلماء على أنه غير جائز لأحد أن يجعله يقصد القدر أن يجعله حجة إذا أتى ما نهاه الله عنه وحرمه عليه وهذه هي المعاصي كما سيأتي الاحتجاج بالمعاصي، هنا الشيخ ابن تيمية يقول وليس لأحد ان يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، لذلك قال رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله ومنهيون عما نهاهم الله، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده، هذا كان من الكتاب ومن السنة ومن الإجماع ليس للعبد حجة في الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

أما من العقل أيضا إضافة إلي الكتاب والسنة والإجماع، لو كان القدر عذرا للخلق في فعل المحظور وترك المأمور للزم ألا يلام أحد على إساءة ولا يذم ولا يعاقب في الدنيا ولا في الآخرة، العقل يقول لو الآن كل واحد يحتج بالقدر على ما يفعله من معصية من نهي وترك الأمر الذي أمر به يعني لا يفعل الأوامر ويفعل النواهي ويحتج بالقدر، فالعقل يقول إذا لا أحد سيلام على أي إساءة سيفعل المنهيات ويترك الواجبات، ولا يلام ولا يعاقب لا في الدنيا ولا في الآخرة ولزم إن الناس تفعل ما تشتهي مطلقا كل واحد يفعل ما يريد ما يشتهيه ويحتج بالقدر وهذا معلوم الفساد ببداءة العقول، يعني لا يمكن إن أي عقل حتى مبتدئ أنه يقبل ذلك هذا معلوم فساده أصالة، بل الأمة مجمعة على جواز لوم من أتى ما يلام عليه من المعاصي وذمه على ذلك، عقلا الأمة تجتمع أن الذي يأتي بمعصية أو شيء منهي عنه أو شيء غير مقبول أنه يلام على ذلك ده عقلا.

أما الفطرة فالناس أيضا مفطورون على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم، لذلك لا يتأتى إذا مُكِّن كل واحد أن يفعل ما يشاء من المفاسد ويحتج بالقدر، لأن قبول هذه الحجة من المفاسد الذي لا صلاح فيها وهذا تنكره الفطرة أصلا أو مردود في فطر جميع الناس أن كل واحد يفعل ما يريد من المعاصي والمفاسد ثم يحتج بالقدر على ذلك.

هذه كان الاستدلال على القاعدة، نحتاج نشرح القاعدة ونقول أن هذه القاعدة من الأصول العظيمة جدا من أصول الإيمان وأنه لا حجة لأحد على الله سبحانه وتعالى بل لله الحجة البالغة على عباده قال تعالى {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} وما معنى الاحتجاج أصلا؟ احنا بنقول ليس للعبد أن يحتج، الاحتجاج في اللغة مصدر احتج يحتج وهي جاية من الحج والحج القصد، يقول حج قصد، وهي لها معاني أيضا الحجة بمعنى الدليل والبرهان والحجة، الاحتجاج بمعنى الحجة والدليل والبرهان، أو يدفع به الخصم الدليل أو البرهان الذي يدفع به الخصم، لكن المراد هنا بالاحتجاج بالقدر في الاصطلاح معنا أو في الشرع جعل القدر حجة لفعل أو ترك، يعني يجعل القدر حجة لفعل شيء أو ترك شيء، وهنا الاحتجاج ليس مقصورا على الخصم الخارجي، لا بل هنا الاحتجاج على النفس.. النفس اللوامة بتلوم صاحبها على فعل المعصية فهي المخاصمة له في ذلك، يعني الخصومة هنا بين العبد

ونفسه النفس اللوامة التي تلومه على فعل المعصية فهو يدفع هذا اللوم كأنه يحتج بالقدر على ذلك.

طب الاحتجاج بالقدر على ثلاثة أنواع إما يحتج بالقدر على الطاعة، أو يحتج بالقدر على المصيبة، أو علي المعصية، ما نحتاجه أو نتكلم عنه في القاعدة الثالث اللي هو الاحتجاج بالقدر على المعصية لكن إن شاء الله في نهاية الكلام سنعرج على الاحتجاج بالقدر كيف يكون على الطاعة وكيف يكون الاحتجاج بالقدر على المصيبة، لكن هنا احنا بنتكلم عن الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

والاحتجاج بالقدر على المعاصي يتناول معنيين المعنى الأول الاحتجاج بالقدر على المعاصي بما يضاد الشرع، والمعنى الثاني الاحتجاج بالقدر على المعاصي بما لا ينافي الشرع، سنتكلم عن معنيين المعنى الأول الاحتجاج بالقدر على المعاصي بما يضاد الشرع، والمعنى الثاني الاحتجاج بالقدر على المعاصي بما لا ينافي الشرع.

طيب المقصود هنا طبعا الأول من الاحتجاج بالقدر على ما يضاد الشرع هو ده المتبادر في الذهن معنا في القاعدة، وده سواء عند أهل السنة أو خصوم أهل السنة بهذه المسألة، طب ما صورة هذا الاحتجاج؟ أن يرتكب العبد مخالفة ثم يعتذر ويحتج على من ينكر عليه بسبق المقادير، يقول قُدّر علي من قبل أنني سأفعل ذلك يعني يفعل ذنب أو معصية سواء يرتكب منهي عنه أو لا يفعل المأمور أصالة وهذه مخالفة ثم يعتذر أما أحد ينكر عليه فيحتج عليه يقول سبق علي القدر بذلك ولا حيلة لي في دفع القدر، قصدا منه رفع اللوم والعقوبة عن نفسه، يبقى دي صورة المسألة الاحتجاج يعني ايه معنى انه يحتج العبد بالقدر؟ أنه لما يفعل المنهي عنه أو المخالفة فينكر عليه بذلك فيحتج على أنه سبق عليه المقادير وأن هذا قدر الله لا يمكن دفعه هو يقول ذلك وهذا المقصود بقوله ماذا؟ أنه يرفع اللوم من عليه والعقوبة، وهذا النوع من الاحتجاج محرم ولا يجوز وهو باطل شرعا وعقلا من وجوه كثيرة.

من الشرع أن الله قد رد هذه الشبهة جاءت في القرآن أو ذكرها الله عز وجل لنا في كتابه وردها لما قال {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149)}

انظر ابن عباس رضي الله عنهما ماذا قال في الآية؟ قال بيننا وبين أهل القدر هذه الآية حتى بلغ ابن عباس في قوله تعالى {....فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} فهنا قال علي بن زيد رحمه الله انقطعت حجة القدرية في هذه الآية فقال تعالى {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} أولا أخبر الله عز وجل في أول الآية حجة المشركين وهي حجة قبيحة، ثم ساقوا هذه الشبهة هم يريدون أن يقولوا ماذا؟ أن الله مطلع على ما نحن فيه من الشرك ومن التحريم لما حرموه والله قادر على تغييره بأن يهدينا للإيمان أو يحول بيننا وبين الكفر، فلم يغير

فدل على أنه بمشيئته وإرادته رضى منا ذلك، انظر التلبيس هم يقولون الله مطلع على ما نحن عليه من الشرك ومن التحريم ما أحله الله ولو شاء الله لهدانا للإيمان أو نهانا عن الكفر، فلما لم يفعل دل على أن مشيئته وإرادته ورضاه عن ذلك، كأنه يريدون يقولون ما يرتكبونه من الشرك والتحريم تعلقت به مشيئة الله، ده كلامهم وكل ما تعلق به مشيئة الله وإرادته فهو مشروع وهو مرضي عنه من الله، فينتج عن ذلك أن ما نرتكبه من الشرك والتحريم مشروع ومرضي عنه من الله ده قول هؤلاء، ثم بين الله عز وجل أن هذه الحجة كانت حجة قديمة لما نزلت الآيات حجة الأقوام السابقة من الكفار أيضا ولكنها لم تنفعهم بل عوقبوا على ذلك، ثم أخبر الله عز وجل في الآيات بأنهم ليس لهم علم لما قال في الآيات {....هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ...} فبين الله عز وجل أن هذا ليس العلم الذي بنوا عليه المقالة هذا ليس بعلم، بل هذه ثمرة اتباع الظن والخرص والكذب على الله عز وجل وهذا من باب اتباع الهوى، ثم أعقب الله عز وجل في آخر الآيات الحجة الدامغة عليهم التي لا مناص لهم عنها وهي أن هداية الله من هدى وإضلال من أضل هي عن حكمة من الله عز وجل بالغة، يعني الله عز وجل يهدي من يهدي ويضل من يضل عن حكمة وترجع هذه إلى مشيئته، الحكمة التي ترجع لمشيئته إلى الله هذا، ما الإشكال اللي وقعوا فيه هم؟ لو حد يلمح الإشكال اللي عندهم لأن هو ده اللي احنا تكلمنا عنه من قبل ما هو؟ نعم ممتاز بارك الله فيك هم هنا سووا بين رضا الله سبحانه وتعالى وبين مشيئته، والتسوية بين الرضا وبين المشيئة هنا باطل ليه؟ قد يشاء الله سبحانه وتعالى ما لا يحبه ويرضاه يعني لا يحب ولا يرضى الاتنين بالنفي، يعني كأنه كما شاء من خلقه للكفر والفسوق وهو لا يرضاهما ولا يحبهما، وقد يرضى الله ويحب ما لا يشاء وجوده فلا شك بأن الله كان يرضى بإيمان أبي جهل وطاعة ابليس ويحبه لكن لم يشاء وجوده، فإذا هذه التسوية اللي أوقعتهم في الضلال، في فارق بين الرضا وبين المشيئة، قد يرضى ويشاء، وقد يرضى ولا يشاء، وقد يشاء ما لا يرضى، وقد يشاء ما يرضى، والآية حجة على المعتزلة والجبرية طب حد ممكن يقول كيف الاثنين؟ هو الجبرية بتقول ايه في العبد؟ أنه مجبر وفي أول الآية قالوا {.... لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا...} يعني هم قالوا أشركنا أهو، فالآية ترد على الجبرية أن للعبد اختيارا وقدرة، هم قالوا اشركنا فنرد على الجبرية بأول الآية نثبت أن للعبد قدرة واختيار طبعا القدرة والاختيار دي يقطع الحجة والعذر فين؟ في المخالفة والعصيان طيب والعجز للقدرية بإثبات نفوذ مشيئة الله عز وجل في العبد وأن جميع أفعاله وفقا للمشيئة الإلهية {...فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} فالآية أصبح صدرها على الجبرية وعجزها على القدرية، نقولها تاني: الجبرية بيقولوا أن العبد ليس له اختيار فأنت ترد أن العبد له اختيار في أول الآية قال الذين أشركوا {.... لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا...} فجعلوا الشرك منهم مش هم الجبرية بتقول أن العبد لا يفعل شيء، بل الله يفعل كل شيء وهو هنا الأولى ترد على الجبرية لأن هم اثبتوا فعل الشرك لدى أنفسهم فإذًا هو له اختيار أصالة يعني هم وقعوا في ذلك، وآخر الآية في القدرية اللي بتقول بأن العبد يفعل بمشيئته وإرادته ليس بمشيئة الله والله قال {...فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} فجعل الله عز وجل أن المشيئة له فذلك يرد على القدرية أيضا.

والرد على كلام القاعدة من حيث العقل نقول إن العباد مأمورون منهيون، يعني العبد مأمور ومنهي وقد عُلِم بالضرورة عقلا أن الأمر والنهي يتوجه لمن هو قادر على الضدين يعني ايه؟ يعني لا يمكن أن يتوجه إليك أمر ونهي وأن الله عز وجل يأمرك وينهاك إلا وأنت قادر على أن تفعل المأمور أو تنتهي عن المنهي عنه، يعني أنا ممكن أشوف واحد الآن يستطيع المشي وأقول له مثلا أذهب ائتني بشيء من المكان الفلاني، أنا لماذا قلت له ذلك؟ لأني رأيت أنه يستطيع أن يفعل أو لا يفعل لكن مش ممكن آتي لواحد قعيد عافانا الله جميعا وأقول له اذهب وائتني بكذا، إذًا العقل بيقول ماذا؟ أن العبد المأمور والمنهي قد يعلم بالضرورة عقلا أن الأمر و النهي يتوجه لمن هو قادر على الضدين ولولا هذا الإقدار ما خوطب بالتكليف، لولا أنه قادر ما كناش كلفناه فإذا ثبت ذلك عقلا فلا حجة في القدر على المعصية ليس لك أنك تحتج بالقدر على المعصية لأنك أنت قادر على أنك تفعل أو لا تفعل وبما أنك فعلت أو لم تفعل يبقى ليس لك أن تحتج بالقدر هذا عقلا، ولو افترضنا ما قاله العبد أنه يحتج بالقدر هيلزم منه لوازم باطلة، يستلزم إنك احتجاجك بالقدر على المعصية أنك هتسقط الأمر والنهي بالكلية، لماذا؟ القدر حجة و ترك امتثال الأمر والنهي لو قلت سبق به القدر فيكون تركه لا لوم فيه وهذا سيكون من أبطل الباطل لأن معناه أن ما فيش أوامر ونواهى، ما هو أنت لو احتجت بالقدر على المعصية يبقى معناها أنك أنت بتقول أن القدر سبق طيب يبقى كل الأوامر والنواهى التى جاءت كلها هتسقطها وده من أبطل الباطل عقلا، ده يلزم منه كمان لوازم أخرى عقلا يلزم منه إبطال الثواب والعقاب وإبطال الجنة والنار أصالة، لا لوم على من فعل المعصية لسبق القدر بها ولا ثواب على من فعل الطاعة لأنه أيضاً سبق القدر فإذا لا معنى للثواب والعقاب، لو قلت ذلك ستبطل الثواب والعقاب، بل الأشد يستلزم من ذلك إبطال الرسالة وإبطال وإسقاط حجة الله عز وجل على عباده لأن الله عز وجل له الحجة البالغة { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ...}، {... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} فهذا يتطلب منه إنك ستسقط الرسالة اصلا وحجة الله على العباد بعد أن يرسل لهم الرسل لأنك انت خلاص بتحتج أن كل شيء سابق بالقدر و يترتب على ذلك اسقاط الرسالة أصالة، لذلك ابن تيمية يقول وهؤلاء لا يحتجون بالقدر إلا إذا كانوا متبعين لأهوائهم بغير علم.

لذلك نقول الناس في مقام القدر والشرع على ثلاثة أقسام، أصناف الناس في مسألة الشرع والقدر على ثلاثة أقسام وانتبهوا إلى الأقسام الثلاثة لن يخرج عنهم في الغالب، هذا تلخيص للناس جميعا في حالهم مع الشرع والقدر:

1) أولا من يحتج بالقدر على المعاصي لنفسه ولا يرى حجة لغيره يعني يستند إلى القدر في الذنوب والمعائب انتبه يستند إلى القدر في الذنوب والمعائب، ثانيا ولا يطمئن إليه في المصائب، ثالثا ولا يحتج به على الطاعة، هذا أشر الناس كما سيأتي يحتج بالقدر على المعاصي لنفسه هو ولا يراه حجة لغيره، ويستند إلى القدر في الذنوب والمعائب ولا يطمئن إليه في المصائب ولا يحتج به عند الطاعة لذلك كما يقول السلف عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري وهذا ليس مذهبا حتى لا تظنوا ما فيش جماعة أو مذهب لذلك لكنهم طائفة يعني ناس من بني آدم وقعوا في ذلك، يعني وهو غالبا أهل الجهل والضلالة لا هم حفظوا حدود الأمر والنهي ولا علموا حقيقة القضاء والقدر وهذا أشر الأقسام ومن يقع فيه والعياذ بالله أشر الناس.

2) الصنف الثاني خلافه بالكلية، وهم من يحتجون بالقدر على الطاعة يعني ما فعل الطاعة إلا بتوفيق وتسديد من الله عز وجل فربنا كتب عليه الطاعة ويسرها له فيحتج بالقدر على الطاعة فنسب هذا الفضل والخير إلى الله أنه وفقه لذلك ولا يحتج به على المعصية بل يجعل المعصية من نفسه هي بقدر من الله لكن هو لا يحتج بالقدر على المعصية يلومن نفسه لأنه وقع فيها باختياره ولذلك يقيم شرع الله ويجتهد وينسب ما وُفِق فيه في الخير إلى القدر والمشيئة ويمتنع عن المعاصي ويجتهد في ذلك أيضاً وينسب ما وقع فيه من المعصية إلى نفسه أو الشيطان يعني يقول هذا مني ومن الشيطان، هذا أفضل الأقسام وهذا هو المعتقد الصحيح في هذه المسألة، أنه يحتج بالقدر على الطاعة ويعلم إذا وفق إلى الخير ينسبه إلى الله وإلى القدر يعني ويجتهد في الأمر والنهي أيضا ويجتهد في منع المعصية وإذا وقع فيها ينسب ذلك الشر إلى نفسه وإلى الشيطان وقلنا هذا خير الاقسام

3) القسم الثالث، قسم بين هذين القسمين بين أشر الناس وخير الناس وده اللي وقع فيه الطوائف المخالفة لأهل السنة في هذه المسألة الذين هم خاضوا في القدر بالباطل وهم صنفان:

- صنف ينكر القدر من أصله ولا يجعل القدر حجة لا على طاعة ولا معصية ولا ينظر إلى القدر في مصيبة، بل يرى أنه هو من يهدي نفسه وهو من يضلها ولا توجد لا إعانة من الله على طاعته ولا خذلان من الله على معصيته فجعل العبد هو مستقل بنفسه في ذلك وهم القدرية، ولذلك هم أنكروا القدر لكن قاموا بالأمر والنهي يعني علموا أن الأمر والنهي من الله فاستجابوا للأمر والنهي فهم اثبتوا الأمر والنهي لكنهم أنكروا القدر، فاهمين؟ لذلك قاموا بالأوامر والنواهي، عظموا جدا الأمر والنهي لكنهم أساءوا في باب القدر وجعلوا بأن التوفيق وعدم التوفيق من العبد.
- الصنف الثاني غلوا في إثبات القدر ولا يرون لأنفسهم فعلا ولا تركا أصلا، فلا يرون أن العبد بيفعل شيء، يعني لا هو فعل ولا ترك لا طاعة ولا معصية، بل نسبه كله إلى الله وأنه لا اختيار للعبد في ذلك ويحتجون بالقدر على ما يقع منهم من ذنوب أو معاصي وهؤلاء حقيقة اسقطوا الأمر والنهي بالكلية ما استجابوا لا لأمر ولا نهي، هؤلاء هم الجبرية.

هذه مجمل أقسام الناس في هذه المسألة، لذلك ابن تيمية يقول كلام بديع لخص لنا ذلك قال على العبد أن يصبر وينبغي له أن يرضى بما قُدِّر من المصائب دي أول واحدة، ويستغفر من الذنوب والمعائب ولا يحتج لها بالقدر دي الثانية، ويشكر الله على ما قدر الله له من النعم والمواهب، فيجمع بين الشكر والصبر والاستغفار والإيمان بالقدر والشرع وهذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك.

طيب لو تذكروا قلنا الاحتجاج بالقدر كان ثلاثة أنواع اخذنا المعاصي اللي كنا بنتكلم عنها قلنا لا حجة له، هناك احتجاج بالقدر على الطاعات وهناك احتجاج بالقدر على المصائب.

نقول الاحتجاج بالقدر على المصائب حكمه: هل لك أن تحتج بالقدر على المصيبة إذا وقعت أم لا؟ الله عز وجل خلق الخلق وقدر عليهم النعائم والمصائب وهو سبحانه وتعالى حكيماً عليما، والعباد لا شك صائرون إلى ما قدره الله عز وجل عليهم ايا كان هذا الذي قدره الله، والله قد أمر عباده بالصبر عند المصائب وعدم الشكوى منها أو التشكي، بل جعل أعظم من ذلك أنه يرتقي لدرجة الرضا بما قدره الله عز وجل والحب بما قدره الله عز وجل عليه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) ارشد النبي صلى الله عليه أن من اصابه مكروه أن يلجأ الى القدر ولا يتحسر ولا يلوم.

قال ابن تيمية فأمره إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر ولا يتحسر على الماضي ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وهناك حديث بديع لأنس رضي الله عنه وأرضاه يقول (خَدَمْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عَشْرَ سِنينَ، فما قال لي لشيءٍ فعَلْتُه: لِمَ فعَلْتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعَلْه: ألَا فعَلْتَه؟ وكان بعضُ أهلِه إذا عتَبَني على شيءٍ يقولُ: دعُوه؛ فلو قُضِيَ شيءٌ، لكانَ) يعني النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو كان عنده ثمانية عشر سنة فما لامني لائم من أهله يعني أي واحد كان بيلوم أنس على ما يفعله وكان أنس صغير يقول له دعوه فإنه لو قضي شيئا كان.

وطبعا حديث آدم وموسى في الاحتجاج، وقلنا إن آدم عليه السلام احتج بالمصيبة التي وقعت وهي إخراجه وذريته من الجنة لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى، وهنا احتج بالمصيبة على ما يقع إذا الاحتجاج بالمصيبة مشروع، لماذا مشروع أنك تحتج بالقدر إذا وقع عليك مصيبة وقع عليك حادث أو مرض ابتلاء خسارة مال تجارة أمرا ما من المصائب التي تحدث، مصيبة على الأمة أيضاً مصائب الأمة أشد من مصائب الفرد أصالة طبعا نقول هنا ايه؟ جاز لك الاحتجاج بالقدر من أين ذلك؟ أول شيء النصوص بينت النصوص التي تلوناها الآن تبين لك ذلك، بل أن الاحتجاج بالقدر على المصيبة لا ينافي ما شرعه الله عز وجل فالله شرع امتثال الأوامر وترك النواهي فالعبد إذا علم أن هذه المصيبة قدر من عند الله عز وجل سيرد هذا القدر بدعاء أو ينتهي عن أمر معصية أو شيء ليرفع الله عز وجل عنه ذلك، فالرد إلى القدر عند المصيبة هو إعمال للشرع، يعني أنت لما ترد القدر عند المصيبة ستدفع ذلك إما بفعل أوامر بدعاء أو غير ذلك أو أسباب أو تنتهي عن أمور فيرفع عنك ذلك وهذا نفسه إعمال للشرع، ويبين لك الترابط بين القدر والشرع هنا بأنك بالاحتجاج بالقدر على المصيبة ستعمل بالشرع ويتحقق لك الجمع بين القدر والشرع، وهذا أكمل الخلق الذين يفعلون ذلك ما يجلسون يعني يدفعون القدر بالمصيبة فيجلسون ما يفعلون شيء ولكن يبادرون إلى الشرع فيما امروا به فيدفعون ذلك فيكونوا حققوا الدفع بالقدر والفعل بالشرع أيضاً كذلك.

من الإيمان بالقدر على المصيبة أن فيه رضا من صاحبه بالقدر، فأنت لا يمكن أنك تحقق الرضا هذا إلا بالرجوع إلى القدر في المصيبة أصالة، وفيه ايضا أنك بالاحتجاج بالقدر على المصائب أنك بتبين أو تثبت شهود ربوبية الله عز وجل لك أنك بتشهد بربوبية الله عز وجل بقدرته بمشيئته بنفوذ تصرفه سبحانه وتعالى بحكمته بقوته أصالة لأنه لا حركة ولا سكون ولا حياة ولا موت إلا بمشيئة الله عز وجل فأنت بإيمانك وباحتجاجك بالقدر على المصيبة بتشهد بذلك لله عز وجل وهذا من تمام الإيمان وتحقيق الربوبية توحيد الربوبية لله عز وجل.

طب هذا الاحتجاج بالقدر على المصيبة، أما الاحتجاج بالقدر على الطاعة كما أمرنا الله عز وجل بالصبر عند المصائب أمر بشكر النعم قال تعالى {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} إذًا أمر الله عز وجل بشكر النعم، بل شكر النعم سبيل وسبب ثباتها وزيادتها وعدم الشكر سبب لنقصانها وزوالها ونعوذ بالله من ذلك إذًا حتى تشكر النعمة لابد من ثلاثة أركان، أولا الاعتراف بالنعمة دي لله سبحانه وتعالى كيف؟ في قلبك يوقن القلب أن الله عز وجل هو الذي تفضل عليه بهذه النعمة من غير استحقاق

إذًا اول ركن انتبهوا هذا كلام مهم جدا في التدبر في مسألة كيف القدر هذا هو اعظم ركن من أركان الإيمان الذي يحيا به المرء إذا ضبطه المرء في حياته يعيش سعيداً ففي شكر النعمة أولا تعترف بقلبك وتوقن بقلبك أن الله هو الذي تفضل عليك بهذه النعمة من غير استحقاق من العبد لها هذا فضل من الله.

الثانية الثناء على هذه النعمة باللسان ونسبتها إليه سبحانه وتعالى ونسبتها لله وحده لا لعلم العبد ولا لقدرته ولا لغير ذلك وده لابد من الثناء باللسان لأن الذكر باللسان مع القلب يثبت، لذلك دايما يقول لك الذكر حتى يكون ذكر لابد التلفظ به لا يكفي القلب فقط اجتماع اللسان مع القلب يثبت.

الثالثة استخدامها فيما يرضي المنعم سبحانه وتعالى، أنك تستخدم هذه النعمة فيما يرضي الله عز وجل لذلك السمع والبصر واليد والرجل والعلم والمال وغير ذلك والجسد والصحة واللسان كل هذه نعائم وكلما جاءتك نعمة تستعملها فيما يرضي الله عز وجل.

طب ما علاقة هذا باللي بنتكلم عنه؟ هنا بقى الطاعة، احنا نقول الاحتجاج بالقدر على الطاعات فأنت كيف تحتج بالقدر على الطاعة؟ أنك تشكر الله عز وجل وتثني عليه على النعمة التي انعم بها عليك أن يسرك لهذه الطاعة أن وفقك لهذه الطاعة لأن الطاعات من جملة نعائم الله عز وجل، بل هي من أجل النعائم، النعائم ليست فقط الدنيوية المال والرزق والولد والطعام والشراب فقط، بل الطاعة هي أجل نعائم الله عز وجل كلما عظمت الطاعة كلما كانت النعمة بها أعظم، يعني أنت انظر إلى الطاعة اللي ربنا بيعطيها لك كلما كانت الطاعة دي أعظم يبقى النعمة دي اعظم والمعاصي على الضد كما قلنا أيضا كذلك والمصائب على الضد، كلما كانت المصيبة عظيمة كان الإيمان بها ودفعها توحيدا أعظم أيضا، لذلك كان الشكر على الطاعة أوجب من الشكر على غيرها من النعم، يعني أنك تشكر الله على الطاعة أوجب من غيرها من النعم التي تتنعم بها في الدنيا، لو قمت بس تصلي الفجر حاضرا، تقوم من الليل فصليت ما شاء الله لك أن تصلي، استطعت أن تصوم يوما، تعتمر، تحج، تتصدق، تذكر الله عز وجل، تعلم أحد، تنشر كذا، تقول الآيات من القرآن تراجع، الشكر على الطاعة أوجب من الشكر على باقي النعم، لذلك يجب على العبد أن يعتقد بقلبه أن الله عز وجل هو الذي امتن عليه بالطاعة ووفقه إليها ولولا ذلك ما كان له أن يفعلها أو يسير في طريقها أصالة، وليس بجهد منه ولا يعني بأحقية ولا شيء، لكن الله علم من حرصه على الطاعة فوفقه إلى ذلك، فهذا أصبح الاحتجاج بالقدر على الطاعة كيف يكون؟ بالشكر لذلك وقد بينا معنى هذا الشكر.

طيب هذه آخر القاعدة قبل أن ندخل في القاعدة التي تليها، لكن سنبين يعني إن شاء الله قد تأتي معنا بعد ذلك في الدراسات التفصيلية لكن أنا أريد أن نستكمل كلاما لشيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أصناف الفرق التي ضلت في القدر، وده تقسيم للشيخ نفسه ابن تيمية مذكور في كتبه،

سماهم ثلاثة مجوسية وشركية مشركية وإبليسية، يعني هو لما ذكر أصناف الطوائف التي ضلت في القدر فذكر أصنافا ثلاثة ومن ثم نختم بها الكلام لأن أيضا في الباب الذي معنا في القدر الحاقا بالقاعدة فجعل الثلاثة فرق الذين ضلوا وخاضوا في القدر، احنا ذكرنا تقسيم أولي بيناه وهذا لا يمنع إن احنا نعلم هذا التفسير لأنه له معنى، هو سماه فرقة مجوسية وفرقة مُشركية وفرقة إبليسية، فقال المجوسية هتعرفوا إن هم القدرية لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذي فيه خلاف في ثبوته عن ابن عمر: (القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هذه الأمةِ..) فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله وآمنوا بالأمر والنهي، غلاتهم أنكروا العلم والكتابة اللي قلناه من قبل، والمقتصد منهم اثبتوا العلم والكتابة وانكروا المشيئة والخلق، وهؤلاء هم المعتزلة يسمون مجوسية في باب القدر.

والفرقة الثانية المُشركية اللي هم جاءت فيهم الآيات {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ...} أقروا بالقضاء والقدر لكن انكروا الأمر والنهي، وهؤلاء بيحتجوا على تعطيل الأمر والنهي بالقدر، يعني يعطلون فعل الأوامر والمنهيات بالقدر، وحقيقة أكثر ما ستجد هؤلاء عند الصوفية ستجدهم أكثرهم يحتجون بالقدر على تعطيل الأمر والنهي، ستجد بقى منهم الخواص الذين يعني انقطعوا عن التكاليف والعبادات ووضعوا نفسهم في مراتب وغير ذلك.

الفرقة الثالثة الإبليسية هؤلاء العجيب بقى أقروا بالأمرين، أقروا بالأمر والنهي والقضاء، يعني اثبتوا القضاء واثبتوا الأمر والنهي لكن هم ضلوا فين؟ فيما وقع فيه إبليس، طعنوا في حكمة الله وفي عدل الله وهذا يظهر من إبليس لما قال الله عز وجل: { قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦} يعني كيف تجعلني أسجد وأنا من النار وهو من الطين؟ كأنه طعن في حكمة الله وفي عدل الله، فقالوا كل من أثبت الأمرين، الأمر والنهي واثبت القضاء والقدر لكن يأتي بقى ويتكلم ويطعن في حكمة الله وفي عدل الله، لماذا أعطى هذا ولم يعطي هذا؟ لماذا ابتلى هؤلاء ولم يبتلي هؤلاء؟ فيطعن فهؤلاء كإبليس ومقدمهم في ذلك، لذلك سميت هذه الطائفة الطائفة الإبليسية، ونُقِل ذلك عن أهل الكتاب بعضهم يقول إن أهل الكتاب هم هؤلاء، يعني هم الذين قالوا بقول إبليس بعد ذلك وكل من يسير عليه.

طيب انتهينا إلى هنا، تبقى معنا هذه القاعدة المرتبطة بها: (الرضا بالقضاء منه ما يجب ومنه ما لا يجب)، انتبهوا الرضا بالقضاء منه ما يجب ومنه ما لا يجب.

قلنا الرضا بالقضاء ثلاثة أنواع تكلمنا عنها: اللي هو الرضا بالطاعة وهذه الطاعة مأمور بها، والثاني رضا بالمصائب وهذا فيه الخلاف بين السلف مأمور به إما مستحب أو واجب سيأتي الكلام عنه اللي هو الرضا بالمصائب إما وجوبا أو استحبابا يعني في قولين، والرأي الثالث الرضا بالمعصية وهذا الذي سنتكلم عنه في القاعدة.

طيب الرضا الثابت بالنص كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد النبي صلى الله عليه وسلم.

طيب قبل أن ندخل في الأدلة والشرح نؤصل: الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني، في قضاء كوني وحكم كوني، وقضاء شرعي أو ديني وحكم شرعي، الديني يجب الرضا به ده من لوازم الإسلام لأن هو عبارة عن شرع الله عز وجل {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...} ده الأصل الذي سيأتي معنا في الأدلة، بس احنا بنقسم الرضا ماذا يكون؟

الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني، الديني يجب الرضا به وهو من لوازم الإسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام الشكر الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله عز وجل وإن كانت هي بقضائه وقدره، ومنها ما يستحب الرضا به كالمصائب وفي وجوبه قولان، هذا إجمالا وسيأتي التفصيل.

مرة أخرى القضاء والحكم منه قدري ومنه ديني، الديني اللي هو الأمر والنهي اللي هو الشرعي ده يجب الرضا به ده من لوازم الإسلام من الأركان الرضا بأمر الله وشرعه {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، وأما القضاء الكوني والحكم الكوني منه ما يجب به الرضا

وهو النعائم والشكر بها يكون ثمرة ذلك الرضا، ومنه ما لا يجوز الرضا به وهو النقائص والذنوب والمعايب التي يسخطها الله، ومنها ما يستحب الرضا به أو يجب اللي هو في المصائب، انتبهوا لهذه أول شيء نريد أن نؤصله التقسيم هذا.

طيب نريد أن نتكلم تأصيل آخر إن عندنا قضاء وهو فعل قائم بذات الرب ومقضي وهو المفعول المنفصل عنه، ده تأصيل ثاني سيأتي معنا سنفرق بين القضاء والمقضي، والقضاء اللي هو الفعل القائم بذات الرب سبحانه وتعالى والمقضي هو المفعول المنفصل عنه، القضاء خير كله عدل وحكمة فيُرضَى به كلية فترضى بكل قضاء الله يعني كل فعل الله، أما المقضي فقسمان قسم منه ما يرضى به العبد ومنه ما لا يرضى به تمام؟

طيب العز بن عبد السلام له كلام سنأخذه قال: "فإذا كان المقضي به طاعة فيرضى بالقضاء والمقضي به جميعا وإن كان معصية فيرضى بالقضاء (اللي هو فعل الله) ولا يرضى بالمقضي به بل يكرهه، (يبقى هنا يكره المعصية لكن هيرضى بقضاء الله الكوني اللي فيها فعل الله) وإن لم يكن طاعة ولا معصية فيرضى بالقضاء ولا يتسخط بالمقضي به وإن رضي به كان أفضل (دي اللي هي المصيبة هذه المصيبة) واضح؟

طيب هنا القاعدة تتكلم في مسألة الرضا بالقدر، القدر اللي نتكلم عنه الآن اللي هو فعل الله سبحانه وتعالى الأول الذي يجب الرضا به أنا أكرر بس عشان المسألة تبقى واضحة للكل، فوجوب الرضا بالقدر الذي هو فعل الله عز وجل جاءت عليه أدلة من الكتاب أو من السنة، خلينا نقول من السنة حديث العباس رضي الله عنه وأرضاه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا) صلى الله عليه وسلم.

وحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا سَعِيدٍ، مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وجَبَتْ له الجَنَّةُ....) وجه الدلالة من الحديثين أن الرضا بالقدر من الرضا بالله ربا، والرضا بالله ربا واجب، فيكون الرضا بالقدر واجب فهمتم

وجه الدلالة؟ أنه قال هنا ذاق طعم من رضي بالله ربا، طب احنا بنتكلم عن القدر نقول هنا الرضا بالقدر من الرضا بالله ما هو في الإيمان أركان الإيمان الستة، يبقى الرضا بالقدر من الرضا بالله ربا، والرضا بالله ربا واجب فيكون الرضا بالقدر واجب.

ومنها قوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

طب حرمة الرضا بالمعاصي والكفر؟ قال تعالى {... وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ...} يبقى أنت لا ترضى، انتبهوا احنا هنا بنتكلم في المقضي بقى مش في فعل الله مستحضرين؟ لا يرضى لعباده الكفر والله هو خلقه وقدره لكن لا يرضى لعباده الكفر، هذا المقضي، فأنت تكره ولا ترضى ذلك، وهذا على مسألة حرمة الرضا بالذنوب والمعاصي انتبهوا، حرمة الرضا بالذنوب والمعاصي وقع فيها ناس بجهل منهم أو بغير ذلك، قال تعالى {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ...}، {... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

كل هذا يبين لك حرمة الرضا بالذنوب والمعاصي بما أن الله لا يرضى يبقى أنت وجوبا لا ترضى كيف ترضى عن شيء الله لا يرضى عنه؟ لأن الواجب أنك ترضى بما يرضي الله عز وجل وأن تبغض ما يبغضه الله عز وجل، فلما الله عز وجل لا يرضى عن الفاسقين، لا يرضى عن الذنوب والمعاصي، لا يرضى عن الكفر، فأنت وجوبا عليك ألا ترضى ويحرم عليك أنك ترضى.

طيب ما معنى الرضا أصلا؟ الرضا في اللغة تأتي من يرضى رضا رِضوانا ورُضوانا، والرضا يُعرَف بنقيضه حقيقة خلاف السخط أن يسخط المرء.

أما الرضا في الشرع فجاء تفسيره في أقوال السلف منها ابن مسعود رضي الله عنه يقول: الرضا ألا ترضي الناس بسخط الله ولا تحمد أحد على رزق الله ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتيك الله.

طيب الرضا الحق عشان نضبط المسألة عندنا رضا بالقضاء الكوني ورضا بالقضاء الشرعي، الرضا يتناول معنيين: رضا بقضاء شرعي ورضا بقضاء كوني.

ما هو الرضا بالقضاء الشرعي؟ أن ترضى بأوامر الله ونواهيه، الشريعة التي خاطبك الله عز وجل بها فتذعن وتقبل وتسارع في الامتثال وطبعا كل هذا من قوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} لذلك لم يتنازع العلماء في وجوب الرضا بشريعة الله عز وجل وأن هذا قالوا أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، ده بعضهم حمل الآية على شرط في صحة الإيمان، فأمرهم بعد نزول الأحكام أن يرتفع في أنفسهم الحرج ويسلموا تسليما كاملا بشرع الله عز

وجل، فهذا حقيقة الرضا بحكم الله وهذا حقيقة الرضا الشرعي، أنت الآن بتنظر الناس بيجي لها الحكم بتضربه عرض الحائط نعوذ بالله من ذلك دي مصيبة لأن ده أصل من أصول الإيمان، لما تقول له قال الله قال الرسول تقول له الحكم الشرعي بيقول كذا وهم أصبحوا الآن يردون أصول يردون المواريث التي هي محكمة في الكتاب يردون أصول الدين فيردون ومنهم من رد السنة بالكلية أصالة، فإذًا هذا مضاد للرضا بالقضاء الشرعي.

ثم الرضا الثاني رضا بالقضاء الكوني وما يقدره الله عز وجل على العباد مما وقع أو سيقع لاحقا يعني إما وقع بالفعل أو سيقع لاحقا، ولذلك لما تكلموا في الرضا العلماء ربطوا بين الرضا والتوكل في هذه المسألة، الرضا بالقضاء الكوني والتوكل في علاقة بين الرضا والتوكل، وحتى لا استفيض فيها كثيرا مقامها في شروحات أخرى، لكن العلاقة بين الرضا والتوكل يعني تنوع فيها أقوال السلف طبعا أنا مش هشرح التوكل لأن احنا شرحناه من قبل والرضا شرحناه الآن، لكن بعض العلماء قالوا التوكل هو الرضا عن الله الحسن البصري قال ذلك، يعني جعلوا كأن الرضا هو التوكل والحق أنه ليس كذلك، الصواب أن الرضا هو ثمرة التوكل ويبين لك من السنة الرضا ثمرة التوكل، التوكل قبل الفعل ثم بعد الفعل يكون الرضا، كما قال ابن تيمية، الرضا والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه، وهذا يستدل عليه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال صلى الله عليه وسلم: (اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الرِّضا بعدَ القضاءِ) فجعل صلى الله عليه وسلم الرضا بعد وقوع المقضي، والأصرح من ذلك حديث الاستخارة الكل يعلمه، حديث الاستخارة ماذا قال؟ أنا هاخد آخره لما قال في الجزء الثاني (فاصرفهُ عنِّي واصرفني عنهُ واقدرْ ليَ الخيرَ حيثُ كانَ ثمَّ رضِّني بهِ) ويسمي الحاجة بعد ذلك، فهنا ذكر طلب الرضا متى؟ بعد وقوع المقدور، الدعاء نفسه هو توكل لأن ده التوكل انت الآن لما استخرت توكلت، لكن وانت بتدعو الدعاء نفسه قبل وقوع المقدور توكل ثم الرضا يكون ثمرة التوكل هذا، لذلك المسألة بقى اللي هي ناس كثير في الدعوة لابد تتعرض لها مسألة الرضا بالقدر لابد تفصلها للناس، الرضا والقدر حتى تتكلم فيه -واختلفوا الناس كتير فيه وتنوعت- هو مبني على الأصلين اللي احنا تكلمنا عنهم في أول القاعدة هذه وهو التفريق بين الفعل والمفعول -انتبهوا لمن أراد أن يضبطها علميا- التفريق بين الفعل والمفعول ده أصل، الثاني التفريق بين أنواع القضاء الكوني، فالتفريق بين الفعل والمفعول بيناه أن فعل الله كله خير وكله لابد أن ترضى به، بل الرضا به واجب ده من الايمان بالله رضيت بالله ربا خالقا إلاها مدبرا، فهذا لابد أن تفصل بين الفعل وبين المفعول، بين القضاء والمقضي، فالأول لابد وجوبا ترضى به، طب الأصل الثاني وهو أن القضاء الكوني اللي هو بقى المقضي ما هو ده القضاء الكوني المنفصل، ده نوعان، يبقى القسم الاول اللي هو الرضا بقضاء الله اللي هو فعل الله واجب، الرضا بقى بالمقضي اللي هو المفعول المنفصل هذا نوعان نوع ما يقضيه الله سبحانه مما يوافق إرادة العبد ومحبته ورضاه سواء الصحة العافية الغنى اللذة الملذات يعني هذا الرضا به لازم للعبد بمقتضى الطبيعة التي جبله الله عليها، جبله على محبة ما ينفعه فالصحة ما ينفعه والرزق ما ينفعه والملذات والعافية والغنى فهنا -انتبه أنت تقول الفطرة والجبلة- طيب الرضا لازما له، كيف الرضا هنا فيه؟ الرضا هنا فيه والعبودية فيه تكون بالشكر، بشكره، انتبهوا هنا، هذا القسم الرضا فيه بالقيام بشكره وكيف؟ بالاعتراف بالقلب واللسان كما قلنا في أول المحاضرة واستخدامه فيما يرضي الله الثلاثة اللي تكلمنا عنهم، هذه في النوع الذي يقضيه الله سبحانه وتعالى بما يوافق إرادة العبد ومحبته ورضاه وهذا الذي الفطرة والجبلة تحبه لكن هنا الرضا به يكون بشكره حتى يكون عبدا حتى تكون عبودية لأنك أنت أصلا موافق عليه وفطرة تحبه لكن حتى ينقلب لعبودية لله تحتاج هنا أنك تشكر هذا النوع، النوع الثاني بقى لما يقضيه

الله عز وجل كونا مما لا يوافق إرادة العبد ومحبته، طب النوع ده ينقسم لقسمين اللي هو بيقضيه الله عز وجل مما لا يوافق الإرادة على قسمين، القسم الأول مما ليس للعبد فيه اختيار وهي المصائب المحن البلايا التي يقدرها الله على العبد سواء كانت بلايا مجردة أو عقوبة على ذنب سابق ليس لك فيها اختيار، هذا الرضا به مشروع وهذا الذي اختلف العلماء قول السلف على الرضا به مستحب أم واجب؟ على قولين الحقيقة لن أدخل في أقوال كل طرف وأدلته حتى ما نتفرع لكن اضبطه ويكفينا نقول أن هذا الرضا به مشروع وهو مستحب على الصحيح عند أهل العلم وبعض أهل العلم قالوا بالوجوب انتبهوا، لأن المصائب درجات ثلاثة: الصبر علي المصيبة لما تقع وعدم التسخط وده واجب بالاتفاق، ثم الرضا وده أعلى وده اللي فيه الخلاف هل الرضا على هذه المصائب واجبة أم مستحبة؟ ثم الأعلى منه الشكر على ذلك أصالة وطبعا ده بالاتفاق إنه كمال، لكن الخلاف في الرضا هل هو واجب أم مستحب؟ فيه خلاف بين العلماء والصحيح الراجح حقيقة أن الصبر هو الواجب، والرضا على قولين عند أهل السنة والجماعة في ذلك، حتى لا ندخل في هذه المسألة.

طيب هذا كان القسم الأول صح؟ القسم الثاني ما للعبد فيه اختيار، طب احنا ممكن طبعا يعني إن أردتم تستدلوا في مسألة المكروه، القسم الأول {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ....} إلى آخر هذه الآيات. القسم الثاني ما للعبد فيه اختيار.

يبقى في القضاء الكوني قسمنا اللي هو يوافق إرادة العبد الجبلي، والذي لا يوافق إرادة العبد جعلناه على قسمين بقى القسم الأول اللي هو المصائب ما يكون فيه المصائب والمحن وغير ذلك وقلنا إن الرضا فيه على قولين بالوجوب والاستحباب، ثم القسم الثاني طبعا اللي قلناه ده ما ليس للعبد فيه اختيار، القسم الثاني ما للعبد فيه اختيار وهو ما يُقدَّر على العبد مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق والعصيان، انتبهوا احنا بنتكلم على الكوني، عشان ما تسرحوش بعيد احنا اتكلمنا عن الكوني دلوقتي فده ما للعبد فيه اختيار وهو ما يُقدر على العبد مما يكره الله ويسخطه وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق العصيان هذا لا يجوز الرضا به، بل يجب كراهيته وسخطه لماذا؟ لأنه مبغوض مكروه عند الله عز وجل بل ذم الله عز وجل من رضي قال {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} فالله ذمهم وهذه مسألة بيقع فيها ناس كثير يستمتعون ويتلذذون بالمعاصي ويحبون أن يراها ويقع فيها وهذه مصيبة الذنوب هذه أو الكفر والفسوق والعصيان هذه ما للعبد فيه اختيار وهو ما يقدر على العبد كونا مما يكرهه الله مش الله كتب الكفر والفسوق والعصيان، طيب هذا لا يجوز الرضا به يعني لا يجوز أن ترضى بما عليه المرء من كفر أو فسوق أو عصيان القلوب لابد تبغض ولا ترضى بذلك، من تراه على كفر على فسوق على عصيان على كذا لا ترضى بذلك قلبا أصالة وغير قلبا يعني أنت لا ترضاه لا قلبا ولا عملا، بل يجب الكراهة والسخط منه، قال تعالى {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} يعني لا يجوز لكم أن ترضوا عنهم وهم يحلفون لكم كذبا ونفاقا وبهتانا ولو رضيتم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، لذلك ابن تيمية يقول كلام قوي جدا فمن أمر أو استحب أو مدح الرضا الذي يكرهه الله ويذمه وينهى عنه ويعاقب أصحابه فهو عدو لله لا وليا لله وهو يصد عن سبيل الله وطريقه وليس بسالك لطريقه وسبيله، بالتفصيل هذا يزول اللبس اللي قلناه، يعني لو أتيت بهذا التفصيل اللي تكلمنا عنه التقسيم اللي بيناه هيزول لك اللبس، ما هو يرضى

بقى عن الكفر يرضى عن الفسوق والمعاصي والذنوب يرضى عن المنكرات التي تُفعل يرضى عن ذلك، قال أمر أو استحب أو مدح، فالذي يأمر بالمنكرات أنها تفعل وييسر لها ذلك أو يستحب أنها تفعل يكون هو مبسوط جدا لما بيلاقي المنكر موجود وأعوذ بالله من ذلك أو يمدح هؤلاء ما هو ده كده نوع من الرضا أصالة وهذا كله يكرهه الله ويذمه المجال واسع مش محتاج أقول أمثلة يعني خد بقى من أول الكفر للكبائر للمعاصي بتدرج هذا كله أصالة سواء اعتقادية من اعتقادات مخالفة لأهل السنة سواء منكرات من المنكرات والمعاصي والكبائر الموجودة فأنك تأمر أو تحب أو تمدح زي مثلا واحد على معصية أو على ذنب فتمدحه كل هذا يبغضه الله ويكرهه، فأنت إن فعلت ذلك وقعت في الرضا الذي يجب ألا ترضى به أصالة، لذلك هذا التفصيل يبين لك أن الرضا بالقدر له تعلقين تعلق بالرب تقديرا وعلما وكتابة ومشيئة وخلقا فكل قضاء من هذه الجهة مرضي وجوب لابد ترضى به كله كله وجوبا ده رضا بالله عز وجل بفعل الله، وتعلق بالعبد وهذا لا يطلق فيه الرضا يقسم بقى اللي احنا قلناه يفصل سواء بقى كان في الطاعة أو كان في المصيبة أو كان في المعصية اللي احنا كنا بنفصل عليها وهذا يستقيم لك الكلام في الأمر، لكن -ختاما- هناك ثمة أمور قد تأتيك فيها أدلة من الشرع فيها صورة من الشكوى من القدر وهذا فعله جائز ولا ينافي الرضا بالقدر يعني فيه نوع من الشكوى بيشكل على بعض الطلاب وبيشكل على بعض الناس يعني الآيات جاءت أو الأحاديث كأنها فيها نوع من عدم الرضا بالقدر وهي ليست من هذا النوع بس بشرط ما لم يقترن به شيء مما يحرم أو يكره بمعنى قد يأتي خبر مجرد يخبرك عن مصيبة يعني يذكر وقوع المصيبة أو التألم من المصيبة أو حكاية المصيبة مثلا أو حكاية الشيء لمن يرجى منه أنه يدفعها، أدلة عشان تظهر لكم موسى عليه السلام قال {.... لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} ظاهرة كأنها شكوى على القدر لكن هو بيحكي أدي حكاية، قوله سبحانه وتعالى عن لوط وهذه دايما السؤال ده كنا دايما نسأل واحنا بنطلب {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} هل هذا احتجاج على القدر؟ أم هو يحكي في شدة هذا اليوم،

بل لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أَجَلْ إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنكُم)فهذه شكاية؟ ليست شكاية، عائشة رضي الله عنها تقول: (رجَع إلَيَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذاتَ يومٍ مِن جِنازةٍ بالبقيعِ وأنا أجِدُ صُدَاعًا في رأسي وأنا أقولُ : وارَأْسَاه قال : (بل أنا يا عائشةُ وارَأْسَاه)) النبي صلى الله عليه وسلم ده خلقه مع أهل بيته هذه تحتاج لسلسلة حتى نتفقه جميعا في كيفية التعامل مع نسائنا لكن هنا هو يعني بيطيبها يعني مع إنه قال لها بعد كده (وما ضرَّكِ لو مِتِّ قبْلي فغسَلْتُكِ وكفَّنْتُكِ وصلَّيْتُ عليكِ ثمَّ دفَنْتُكِ)، هذه بعض الآيات أو الأحاديث وهي ليست شكوى من القدر هذه جائزة وهذه لا تنافي الرضا بالقدر وهذه طبعا تعريفها من السياق لأن ما دام لم يقترن بها شيء يحرم أو يكره، لكن لو كان مثلا اخبارا عن المصيبة كما قلنا التألم من شيء حكاية شيء هذه لا اشكال فيه، لكن ممكن ترى أمور أخرى صور أخرى ترى فيها عدم الرضا بالقضاء منها مثلا النياحة على الميت هذه واضحة في عدم الرضا بالقضاء، الحلق بعض الناس إنه لما يحصل شيء يحلق يعني يموت أحد يقوم حالق، وكان في بدعة كده مطلعاها النساء لما أحد أصيب في العائلة عندهم شيء أو من الأخوات بمرض يعني معين تاخد الادوية فيقع الشعر فيقول لك عايزين يحلقوا عشان يبقوا زيها عشان لما تشوفهم يعني ما يبقاش في فرق ما بينهم وهذا طبعا يعني جهل ما يصح أصلا يفعل، يعني من باب المشاركة فتحلق؟ الذي يحلق الرجل ليست

المرأة، فهذه يعني ظهرت متأخرة نتيجة الأمراض اللي موجودة اسأل الله أن يعافي الجميع، لكن نقول هنا الجزع والقنوط مثلا تمني الموت لأمر دنيوي وهذا شيء أصلا ما يرضاه الله عز وجل يعني جاءك ضر دنيوي ليس في الدين يعني الدين ممكن تخشى على نفسك الفتنة فتقول اللهم اقبضني الساعة حتى لا تُفتَن في الدين عادي على الراجح البخاري فعل ذلك يعني لو خشيت على نفسك الفتنة، لكن في ضور دنيوي هذا نوع من عدم الرضا لأن المفروض تصبر على المصيبة كما نقول يعني أو تسخط القلب، المهم إن الرضا بالقدر فيه التفصيل الذي قد بيناه خلاصته أنه إن كان من باب علم وكتابة ومشيئة الله فالرضا به واجب، أما إذا كان من قبل المصائب فالرضا به قلنا مشروع وهو بين الوجوب والاستحباب، وأما من كان من قبل المعاصي فالرضا به حرام ولا يجوز هذا آخر الكلام.

يعني نكتفي بذلك هو كان الكلام عن المعتزلة فيما قالوه ولكن هو المعتزلة للأسف ما استطاعوا أن يفرقوا كما قلنا من قبل في مسألة المشيئة والرضا فوقعوا في نفي الرضا بسبب عدم التفرقة بين رضا الله ومشيئة الله عز وجل، كنا تكلمنا فيه أول المحاضرة فلا نحتاج أن نعيده، هذا آخر الكلام بفضل الله في هذه المحاضرة وقد انتهينا لله الحمد والمنة علينا وهذا من فضل الله حقيقة على هذه القواعد بالكلية، وشكر الله عز وجل حقيقة الذين بدأوا معنا هذا البرنامج جزاهم الله خيرا، هو ما كان النية أني استمر لهذا القدر يعني احنا كنا سنبتدي بأمور خاصة بالأسماء والصفات وبعدين الله فتح علينا اننا ننتقل من باب لباب لباب حتى اعتقد بفضل الله تعالى ان في مجموعة كبيرة من القواعد معنا ممكن تراجع بقى وتذاكر وتدارس تساعد طالب العلم في أي كتاب سيقرأه يعني هذه قواعد تأسيسية في أي كتاب من الكتب باختلاف حتى الكتب متقدمة متأخرة مبتدئة يعني تكون ضوابط في كل باب إن شاء الله تعينه على ذلك فاسأل الله عز وجل القبول والنفع واننا نعمل أهم شيء بهذه القواعد وهي تحتاج أيضا لتحقيق وتنقيح ومراجعة لعل إن شاء الله يعني لو ربنا أكرمنا بمرحلة أخرى من القواعد الخلافية بقى في المسألة تكون مرحلة بعد الدراسة ان احنا بعد ما اتينا بالقواعد اللي هي التأصيلية نأتي بالقواعد التي تبين الخلاف بقى مع الفرق الاخرى وهذه مرحلة أخرى.

شكر الله لكم جميعا جزاكم الله خيرا اسأل الله عز وجل ان يجمعنا ان شاء الله دائما.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.